العسجد المسبوك
والزبرجد المحكوك
فيمن ولى اليمن من السلاطين والملوك



تأليف الفقيه الفاضل العلامة النسابة المحقق

شمس الدين أبي الحسن موفق الدين علي بن الحسن

ابن أبي بكر بن الحسن الخزرجي الأنصاري الزَّبيدي

تحقيق

عبدالله محمد الحبشي

دار الوفاق

DAR AL WEFAQ

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

ⓒ دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:...../ ....

ردمك:

الكتاب: العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من السلاطين والملوك

تأليف: شمس الدين أبي الحسن موفق الدين علي بن الحسن الزَّبيدي

تحقيق: عبد الله محمد الحبشي

القياس: 17 × 24 سم

الصفحات: 812 ص

الطبعة الأولى

1444هـ - 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

تشكَّلت بداية المدرسة التاريخية في اليمن بجهود ثلاثة من المؤرخين اليمنيين صنعتهم الأحداث السياسية التاريخية الكبرى في اليمن، ولم يكن لهم فيها دور إلَّا بداية التأليف في كتابة التاريخ ومتابعة أحداث سير الأئمة الثلاثة الأوائل في اليمن وهم:

1 - الهادي يحيى بن الحسين الرسي المتوفى سنة 298هـ الذي دخل اليمن سنة 280هـ واستعانته بأهل البلاد في الحروب الواقعة ثم كتابه تحركاتهم العسكرية والحربية.

فكان المؤرخ علي بن محمد العباسي في القرن الثالث الهجري وكتابة سيرته في مؤلف ضخم عرف بسيرة الإمام الهادي وهو في حقيقته كتاب حربي يروِّج لدولة ذلك الإمام المذكور وقيامها.

2 - ثم المؤرخ عبد الله بن عمر الهَمْداني في القرن الرابع الهجري الذي كتب سيرة الناصر أحمد بن الإمام الهادي، وكتابه هذا من الكتب المفقودة. ووجد منه نتف طبعت بآخر سيرة الهادي المذكور، وكذلك المستشرق ماديلونج بلندن ما وجد عنه في طبقات مسلم اللحجي.

3 - يليه المؤرخ والفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب (من علماء القرن الرابع الهجري) ألّف سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني المتوفى سنة 388هـ، وهذه السيرة وجدت وقمت بنشرها وتحقيقها سنة 1417هـ.

ثم تتابعت سير الأئمة يتلوا بعضها بعضًا، فألف بعدهم:

المؤرخ مفرج بن أحمد الربعي (في القرن الخامس) كتاب سيرة الأميرين أبناء القاسم العياني نشرت بتحقيق الدكتور رضوان السيد سنة 1933.

ثم المؤرخ سليمان بن يحيى الثقفي (في القرن السادس) فألف سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان نشرت بتحقيق الدكتور عبد الغني عبد العاطي سنة 2000م.

وسير أخرى لا مجال لذكرها هنا، وقد كان الإمام الواحد منهم هَمَّه الأول بعد تولِّيه الإمامة أن يجنِّد طائفة من الناس لتخليد مآثره وأعماله، ويكلفون جماعة من العلماء والفقهاء بكتابة تحركاتهم وتدوينها في كتب ضخمة حفلت بها المكتبة اليمنية، وقد كثرت هذه السير حتى تكاد تغطي كل مراحل التاريخ اليمني وبقيت ظاهرة مميزة في التاريخ اليمني حتى وفاة آخر إمام منهم وهو الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين سنة 1382هـ.

وقد تتبعت هذه السير وأسمائها في مقدمة تحقيقي لكتاب سيرة الإمام القاسم العياني فتنظر هناك.

ولكن هذه الكتب أو السير تنفرد في تتبع أعمال فرد واحد ولا تعرج إلى ما سواه، فهي عبارة عن عمل تاريخي بحت مركز في الشخص الواحد ولا يتعدَّى غيره سوى ما للمذكور من ارتباط يتعلق بالآخرين كحربه لبعض المناوئين أو فتحه لبعض البلدان ثم التعريج على ذكرها واستطرادات أخرى قد يضطر إليها السياق.

وهذا لا يفيد تاريخ اليمن كوحدة متكاملة، ولكن ما هو الشأن في تاريخ اليمن كسرد عام للأحداث الكبرى التي شهدها اليمن.

هنا سنجد أن المؤرخ الكبير إسحاق بن يحيى بن جرير الزهري الصنعاني المتوفى بعد سنة 450هـ قد استفاد مما قرأه في كتب الحوليات الإسلامية الكبرى كتاريخ الطبري واليعقوبي والبلاذري وغيرهم وحاول أن يصنع شيئًا يشبه عملهم فألف كتابه القيم "تاريخ صنعاء" الذي قمنا بنشره وتحقيقه سنة 1990م.

فكان خير بداية لهذا الفن عند أهل اليمن، ثم ترعرع هذا الشأن وتقوَّى عوده بعمل المؤرخ الأمير محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني (نحو سنة 672هـ) في كتابه السمط الغالي الثمن في أخبار ملوك الغز باليمن المطبوع سنة 1972م وهو عمل قيم وجَيّد، ظهرت معالمه بعد ذلك واضحة في العمل الكبير الذي قام به العلامة الأمير عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله بن حمزة المتوفى سنة 714هـ في كتابه (كنز الأخيار في السير والأخبار) المطبوع سنة 1992م.

وكل هذا يقال عن الجانب السياسي ولكن ما خبر مصير الجانب الثقافي الذي يتمثل في تراجم العلماء ومن يلحق بهم من شعراء وأدباء وكتّاب وحتى الأمراء والسلاطين منهم.

هنا سنجد أول من استفتح هذا الباب مؤرخ أبين العلامة الفقيه عمر بن علي بن سمرة بن أبي الهيثم الجعدي المتوفى سنة 586هـ، في كتابه طبقات فقهاء اليمن المطبوع بتحقيق فؤاد سيد سنة 1957م، وهو صاحب الريادة في هذا المجال، وقد يتعاصر مع المؤرخ مسلم اللحجي وربما سبقه الأخير سنوات إلّا أن عمل اللحجي يبقى محصورًا في طائفته من المطرفية.

وكان لغرس ابن سمرة نتاج مثمر ظهر في عمل مؤرخ آخر كبير هو بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدِي المتوفى نحو سنة 732هـ في كتابه الضخم "السلوك في طبقات العلماء والملوك" المطبوع بتحقيقنا سنة 1439هـ.

وسرعان ما تلقف هذا العمل بكامله مؤرخنا هذا مؤلف كتابنا هذا أيضًا العلامة الفقيه المقري موفق الدين علي بن حسن بن أبي بكر الخزرجي المتوفى سنة 812هـ في كتابه طراز أعلام الزمن وهو عمل موسوعي كبير وضخم. (قمنا بنشره أخيرًا في بيروت).

ولا نريد أن نخوض في بقية من أتى من بعدهما من المؤرخين فهذا عمل آخر أفردناه بكتاب مستقل هو كتابنا "مدرسة التاريخ اليمني".

الخزرجي مؤلف الكتاب

هو موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي، وفي ترجمته عند البريهي في طبقات صلحاء اليمن أنه ولد بعد الثلاثين وسبع مئة وتعتبر ترجمة البريهي للخزرجي من أقدم الترجمات لمؤرخنا وقد انتقده في تاريخه وذكر أنه يعتمد في بعض حوادثه على جماعة السوكندارية وهم عوام لا معرفة لهم.

والخزرجي دائمًا نجده يعتد بنسبة إلى الخزرج ويفاخر به بني رسول الذين يعودون في الأصل مع الخزرج إلى فرع واحد يقول في رثائه لوالدة الملك الأشرف الرسولي:

بها ليل من غسان من آل جفنة فروعهم فرعي ونجرهم نجري

وقد عاش بمدينة زبيد ويعتبر من أكثر الناس معرفة بها بدليل مناقشة للمؤرخين الذين ذكروا زبيدًا وتصحيح أخطائهم حولها:

وقد حدثنا عن والده في عبارات مقتضبة وغالبًا ما يذكره عندما يتذكَّر ما يتحدث به معه في بعض الحوادث التي شاهدها والده وأخبره بها كتلك الحادثة التي أخبره عنها والده ودخول

أحد العوارين مسجد زبيد وإرغامه الخطيب بأن يخطب للملك المجاهد وذلك سنة 725هـ.

وربما استفاد من والده تصحيح بعض الوقائع والأخبار ولكن هذا قليل جدًّا على أن ذاكرته قد تسعفه في بعض الأحيان في تدعيم بعض الأخبار التي وردت في مصادره.

وعلى كل فإن انتقاداته واستعراضاته تأتي عندما يدعو لذكرها ما يسرده من أحداث ولم يكن القصد منها النقد والتمحيص.

ومن معاصريه من زوده بمعلومات لا توجد في الكتب التي معه كذلك الخبر الذي أفاده معاصره وشيخه العلامة محمد بن عبد الله الريمي المتوفى سنة 792هـ عن مكتبة الملك المظفر وعناية المذكور بقرائتها وتصحيحها (انظر العقود اللؤلؤية: 229).

وفي الواقع أن مؤرخنا الحسن بن علي الخزرجي كان من فئة الفقهاء والمحدثين بجانب أنه يشغل منصب علم القراءات في جامع الأشاعر بزبيدة وكان من أهم شيوخه في علم القراءات المقري محمد بن عثمان بن شنينة المتوفى سنة 758هـ وهو من أقدم شيوخه، ومن شيوخه في علم القراءات المقري محمد بن يوسف بن محمد بن علي الجعفري الوصابي المتوفى سنة 797هـ.

ومن شيوخه في علم الحديث أبو العباس عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير الشماخِي المتوفى سنة 798هـ أخذ عنه صحيح البخاري وأجازه فيه.

وحضر المجلس الكبير الذي أقامه العلامة اللغوي والمحدث مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي المتوفى سنة 817هـ قراءة صحيح البخاري وأجاز له فيه هو وأولاده كما ذكر الخزرجي نفسه في آخر كتابه هذا.

أما علم اللغة والأدب فقد أخذ عن جماعة أولهم أبي العباس أحمد بن عثمان بن بصيبص المتوفى سنة 768هـ أخذ عنه مقدمة طاهر في النحو وألفية ابن مالك والجمل للزجاج، وكان شيخه في علم الأدب الفقيه أبو بكر بن علي بن محمد الراعي المتوفى سنة 761هـ، يقول: أخذت عنه طائفة من كتاب التنبيه وهو شيخي الذي فتح الله به عليَّ في فن الأدب، وفي الواقع أن أكثر ميول المؤرخ الخزرجي كانت إلى الأدب وكان يحفظ ديوان المتنبي بكامله، ولعل الأدب هو الذي جعله يرغب في علم التاريخ كثيرًا ويتقرب به إلى ملوك بني رسول.

ومن شيوخه الذين يذكرهم بالفضل والتقدير العلامة الموسوعي محمد بن موسى بن محمد الذؤالي المتوفى سنة 790هـ أخذ عنه جملة من العلوم.

أمَّا علم الفقه فالذي يظهر لنا من شيوخ الخزرجي أنه كان يجمع بين المذهبين الشافعي والحنفي وقد أخذ عن الفقيه محمد بن علي العامري المتوفى سنة 793هـ كتاب التنبيه في الفقه الشافعي وأخذ عن محمد بن خضر بن غياث الكابلي كتابه في الفقه الحنفي وقرأه عليه قبل رحلته من زبيد سنة 793هـ.

وآخرين من شيوخه لم يفصح عنهم الخزرجي في كتابه لعل أشهرهم وأهمهم العلامة اللغوي المحدث مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي المتوفى سنة 817هـ أي أنه توفى شيخه المذكور بعد وفاة تلميذه بخمس سنوات.

وكانت له صحبة ومعرفة بالعلماء القادمين إلى زبيد لعل أشهرهم وأهمهم المحدث الكبير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ.

وله شعر لا بأس به تجده يستخدمه دائمًا في التقرب إلى بني رسول، وكان الملك الأشرف إسماعيل بن عباس الرسولي موضوع شعره دائمًا فتارة يهنئه بختان أولاده فيقول:

هبّ النسيم معنبر النفحات ... وشَذ الحمام بأطيب النغمات
وتألق البرق الكليل فأشرقت ... أنواره في حَنْدس الظلمات
فرحا بتطهير الملوك الأكرمِيـ ... ـن الأعظمين الجلة السادات
أولاد مولانا ومالك عصرنا ... قمر الخلافة صادق العزمات
الأشرف بن الأفضل بن علي بن دا ... ود بن يوسف قِسْور الغابات
الأشرف الملك الذي عم الورى ... بالفضل والإحسان والحسنات

وأخرى يرثي فيها والدة الأشرف:

تعزَّ ولا تجزع لنائبه الدَّهر ... وقابل عظيم الخطب بالحمد والصَّبر
ولا تكترث إن ناب خطب فقد قضى ... بما قد قضى في الخلق ذو الخلق والأمر
لكل امرئ كأس من الموت مترع ... ولكننا نسري إلى أجل يسري
فحمدًا على حلو القضاء ومرّه ... وصبرًا فإن الصَّبر من شيمة الحر

وهذا نظم وليس بشعر ولكن الخزرجي كسائر الفقهاء يريد أن يساير الشعراء والأدباء في كل شيء، رأينا ذلك في شرحه لمخلعة ابن المقري.

وفاة الخزرجي

إذا كان المؤرخ لا يستطيع ضبط سنة وفاته فمن أين وصلتنا هذه السنة:

هنا سندرك أن أول من ترجم للخزرجي وذكر سنة وفاته هو مؤرخ مصر العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة 845هـ في كتابه "درر العقود الفريدة" 2: 155 وضبطها بآخر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

ثم جاء بعده المحدث الكبير علامة الدنيا شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ قال في أبناء الغمر 3: 144 "اجتمعت به بزبيد وكتب لي مدحًا، مات في أواخر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وقد جاوز السبعين".

ثم المؤرخ اليمني الفقيه عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي المتوفى نحو سنة 874هـ وهو وإن لم يذكر وفاته في تاريخه الكبير إلا أنه ذكرها في تاريخه الصغير:293 وذكر أنها كانت سنة 812هـ.

فهؤلاء المؤرخون الثلاثة أجمعوا على أن وفاته كانت سنة 812هـ فانتفى الشك وتأكد لنا صحة هذه السنة لتواتر الثلاثة على ذلك، ومن الغريب أن تسقط ترجمة الخزرجي من تاريخ بلدياته المؤرخ عبد الرحمن بن حسين الأهدل المتوفى سنة 855هـ فلعله لم يسمع به أصلًا.

بين الخزرجي والملك الأشرف

تعود صلة الخزرجي بالأشرف من قبل تولِّيه الحكم سنة 778هـ ولا شك أنه تعرف عليه أثناء حكم والده الملك الأفضل وذلك عندما كان يشارك في بناء المدرسة الأفضلية بتعز التي أسسها الأفضل سنة 765هـ.

وتقوَّت هذه الصِّلة حينما أوكل إليه الأشرف مهمَّة الحج عن والدته سنة 784هـ يقول: "وفي هذه السنة ندبني السلطان رحمه الله تعالى للحج عنها والزيارة، فزوَّدني بأربعة آلاف درهم ولما رجعت من الحج والزيارة سامحني في خراج أرضي ونخلي يومئذ مسامحة مؤبدة مستقرة".

وكانت مكانة الخزرجي عند أسرة آل رسول مرموقة كعالم ومهندس وبحكم إتقانه صناعة النقش والزخرفة على السقوف والجدران، وكان الملوك من بني رسول يكرمون أصحاب المهن الصناعية فكيف بالخزرجي وقد جمع بين المهنتين العملية والعلمية.

على أن الملك الأشرف قد أوكل إليه مهمّة ثقافية أخرى تتلخَّص في حلمه الكبير هو أن يكون صاحب موسوعة تاريخية ضخمة يرجع إليها المؤرخون ويذكر بها اسمه، وقد كان عنده وعند والده الملك الأفضل موسوعة الأمير الجليل العلامة عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله الحمزي المتوفى سنة 714هـ، وهو على الرغم من أنه محسوب من جماعة أئمة الزيدية وشارك في حروبهم ضد الدولة الرسولية إلَّا أنه انخرط في آخر عمره مع الدولة الرسولية وأصبح أحد أمرائها الكبار والمتولين لشؤونها حتى وفاته وقد ألف موسوعته المشار إليها المسماة (كنز الأخيار في السير والأخبار) وتقع في أربعة مجلدات ضخمة أرَّخ فيها للعالم الإسلامي عامة وأخبار الخلافة في بغداد ومصر والشام معتمدًا في ذلك على تاريخ الطبري وما استجد بعده من تواريخ أخرى كتاريخ ابن الجوزي "المنتظم" ثم كتاب الكامل لابن الأثير، وقد تمنَّى الملك الأفضل أن يكون له كتاب مثله، ولكن أيامه قصرت ولم يسعفه العمر بالقيام بذلك المهم فما كان منه إلا أنه اكتفى باختصار هذا الكتاب في مؤلف مستقل يحمل عنوان "نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخيار".

وبقى الحلم يراود ابنه الملك الأشرف، والأمر سهل عنده ما دام يملك المال والسلطة فكان أن كلَّف مؤرخنا الفقيه العلامة علي بن الحسن الخزرجي، وظل يدأب في تأليفه مدّة حياة الأشرف حتى كمل هذا الكتاب، وقد شرح لنا الخزرجي بعض ما يدور بينه وبين الملك الأشرف حول تأليف موسوعته هذه بشقيها التاريخي والثقافي (أعني تراجم العلماء)، فقال في مقدمة كتاب العسجد المسبوك (القسم العام).

"حصلت الإشارة الشريفة من الحضرة العلية أجل الملوك أبو الحسن إسماعيل بن العباس قابله الله بالقبول أن أجمع له كتابًا في أعلام اليمن وكبرائها وملوكها وعلمائها وعبادها ورؤسائها وزهادها فانتعشت عند ذلك همَّتي واستبشرت بالنجاح عزيمتي فجمعت من ذلك كثيرًا وجمًّا غفيرًا ممن أحاط به علمي وانتهى إليه فهمي ثم حملته إليه فلما صار بين يديه أدار نظره فيه وتأمل ثم تمثَّل بقول الأول: حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء ثم ذكر عددًا كثيرًا ممن

غرب عني ذكره وشَذَّ عني خَبَرُه وخُبْرَهُ ثما قال: صنّف الجميع كتابًا ورتبه فصولًا وأبوابًا يحتوي على طبقات أهل اليمن وعلمائها وأعيانها وعظمائها وملوكها وزهادها ورؤسائها وعبادها ثم شرع أيده الله يعرفني كيف وضع الكتاب وتفصيل الفصول والأبواب وتقرير قواعده وتوجيهه وترتيب مبانيه وتهذيب معانيه ونظم قلائده ثم قال رتّب الأسماء على حروف المعجم وأخر من ألفاظه ما استعجم، وآخذ على هذا المثال ولا تَعْدُ عن هذا المثال ثم أشار بالرواية إليَّ وأحال بالتَّصنيف عليَّ فامتثلت أمره شرَّف الله قدره وشرعت في جمعه كما رسم ووضعته كما أمر وألزم".

هكذا كانت تدور المباحثة الأدبيّة والمناقشة العلمية بين الملك الأشرف والخزرجي؛ ظنًّا من الأشرف أن الكتاب سيكون باسمه وإلَّا فما شأنه بعالم مغمور مثل الخزرجي أن يكلفه بالتأليف ويتابع ما يؤلفه، والعلماء كثر في عصره وما الذي يستفيده منه.

وفعلًا خرجت هذه الكتب في حياة الملك تحمل اسمه – أعني الملك الأشرف – فظهر كتاب العسجد باسم الأشرف (انظر طبعته البغدادية) بتحقيق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم سنة 1975م.

وكتاب العسجد في قسمه اليمني بعنوان "فاكهة الزمن في أخبار من ملك اليمن" الذي قامت بنشره دار الوفاق سنة 1435هـ.

فإن كل فقرة من الكتاب تبتدي بجملة "قال الأشرف أبو العباس إسماعيل بن العباس أصلح الله سريرته ونوَّر بصيرته".

وهذا الكتاب هو الذي حاكى فيه الملك الأشرف المؤرخ عماد الدين إدريس في كتابه "كنز الأخيار" في القسم الخاص بأهل اليمن الذي يقول فيه بعد أن فرغ من تاريخ العالم الإسلامي:

"وإذ قد أتينا على ما ذكرناه من أخبار الملوك والممالك في العالم فنختم هذا الباب بجمل مختصرة من أخبار اليمن خاصة ومن وليه من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا مفردًا ليبَين للناظر فيه مراده إذ الكتاب يمان وشوق أهل كل بلد إلى الاطلاع على أخبار بلدهم فلذلك أفردناه". (كنز الأخيار: 24).

فكان هذا القسم هو القسم المقابل للباب الرابع من كتابنا هذا العسجد المسبوك، وإن شئت أسميته بفاكهة الزمن أو الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن في الإسلام أو مرآة الزمن، وكلها لمسمى واحد هو هذا الذي بين يديك.

وحتى كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية الذي يقطع الباحث أنه من تأليف الخزرجي نجد الخزرجي نفسه ينسب الكتاب للملك الأشرف كما نصَّ على ذلك في ترجمته للمذكور في طراز أعلام الزمن، وإلَّا فكيف للأشرف أن يؤرخ لسنة وفاته وهي سنة 803هـ كما هو ثابت ومدون في الكتاب المشار إليه. نعم قد يكون الخزرجي أضافها بعد وفاة الأشرف وكان الكتاب في نسخته الأولى منسوبًا للأشرف، وأظن أن الخزرجي قد حاول بعد وفاة الأشرف تتبّع النسخ التي تحمل اسم الملك الأشرف وحاول إتلافها، وما بقي منها هو ما فات الخزرجي إدراكه. والله أعلم

وعلى كل فلا يجب أن نقطع بعدم أثر الملك الأشرف في الكتب المذكورة، فالرجل قد بذل جهده وماله وتوجيهاته فيكون له بعض المشاركة وإن كان الخزرجي قد استحوذ بالنَّصيب الأكبر فإن له أيضًا جهده الكبير، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

بل يبدو لي أن فكرة جمع الكتاب والبحث عن مصادره الأربعة الآتي ذكرها إنما كانت من عمل الملك الأشرف ولم يكن للخزرجي علم بما هو قادم عليه إلَّا حينما وجهه الملك الأشرف.

مؤلفات الخزرجي

الكتب التي تنسب له عناوين مختلفة كلها تدور حول مسمى واحد هو هذا الكتاب الذي بين يديك، هذا إذا استثنينا كتاب (طراز أعلام الزمن) فهو كتاب مستقل يتعلّق بتراجم العلماء وليس الأحداث التاريخية، وكتابه (العقود اللؤلؤية) ليس إلَّا الفصل السادس من كتابنا هذا وخذ من هذه الأسماء:

1 - كتاب العسجد المسبوك منه مخطوطة بدار الكتب المصرية 3863 تاريخ خ سنة 1187 في 196 ورقة القسم الأول (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم 736 تاريخ) وأخرى بالآصفية برقم 18 في 422 ورقة (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم 1136 تاريخ) وثالثة ببلدية الإسكندرية برقم 1265 ب مخطوطة سنة 1014هـ في 300 ورقة (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم 736 تاريخ) ورابعة بمكتبة الجامع الكبير (مصورة بمعهد المخطوطات العربية 2189) وخامسة بمكتبة الحرم المكي برقم 47 وسادسة بالمكتبة المحمودية برقم 55 تاريخ ونسخ أخرى.

ومن مضمون أبوابه وفصوله نفهم أنه القسم الخاص بالعالم الإسلامي، فالقسم الأول يشتمل على ذكر سيرة الرسول ﷺ وذكر الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين من الصحابة وذكر خلفاء بني أمية وبني العباس وسائر الأئمة، والقسم الثاني: في ذكر ملوك مصر والشام

وأفريقيا والقيروان والأندلس والمغرب الأقصى.

وهذا الكتاب هو الذي قام بتحقيقه الدكتور شاكر محمود عبد المنعم وطبع في بغداد عن دار التراث الإسلامي والتوزيع دار البيان سنة 1975م في 704 صفحات، ويبتدي بعد مقدمة المحقق بالفصل السادس والثلاثون في خلافة الناصر لدين الله العباسي من ص: 173 حتى آخر الكتاب ص: 650، وهو مطبوع باسم الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الرسولي الغساني.

2- الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام. وهو الباب الرابع: في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن وما يتعلق بذلك وهو نفس كتاب العسجد المسبوك هذا الذي بين يديك منه مخطوطة بجامع صنعاء الكبير (مصورة بدار الكتب المصرية برقم 2206) وأخرى مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم 1182 تاريخ وثالثة بمكتبة خدانجش بتنه برقم 2883 مخطوطة سنة 948هـ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم 1182 تاريخ) رابعة بمكتبة بانكبور برقم 1097 مخطوطة سنة 948هـ في 177 ورقة.

3 – العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية وهو الباب السادس من العسجد المسبوك كما أشرنا فيما سبق منه مخطوطة بمكتبة خدابخش بتنه برقم 2883 (وهي المخطوطة التي طبع عليها نشرته السير جيمس رود هوس سنة 1884م وهي على الرغم من جمال خطها إلا أنها مليئة بالأخطاء ويتخللها خرم من أولها إلى آخرها، ومخطوطة أخرى بمكتبة جامع صنعاء (مصورة بدار الكتب المصرية برقم 2190) وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب سنة 1430هـ ونشرته بمكتبة الإرشاد بصنعاء (معتمدًا على المخطوطتين المذكورتين) أما المخطوطة الموجودة بمكتبة العبيكان بالرياض فليست سوى نسخة أخرى من العسجد المسبوك وقد رجعنا إليها في تحقيقنا لهذا الكتاب الذي بين يديك.

4 – طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، يسمى أيضًا (العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اليمن) موسوعة ضخمة في تراجم علماء اليمن قمنا بتحقيقه عن عدة مخطوطات وقد صدر عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة 2021م وفيه وصف مخطوطاته وأماكن وجودها.

5 – المَحْصول في انتساب بني رسول، ذكره المؤلف في العقود اللؤلؤية: 39) ويرد أحيانًا ذكره في طراز أعلام الزمن بعنوان "السول في أنساب بني رسول".

6 – مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن (إيضاح المكنون 2: 458).

مصادر تاريخ الخزرجي

إذا أردنا أن نعرف المصادر التي استقى منها الخزرجي علينا أن نرجع أولًا إلى محتويات المكتبة التاريخية اليمنية في ذلك الوقت لأن الخزرجي إنما اعتمد عليها كليًّا ولم يكلف نفسه عناء البحث والمتابعة إلَّا في الحوادث التي عاصرها في زمني الأفضل وابنه الأشرف.

وكانت المكتبة التاريخية اليمنية في ذلك الوقت شحيحة المصادر وهي لا تَعْدو أن تكون أربعة كتب لا غير، هي في عمومها هي التي كونت كتب الخزرجي واستقى منها مادته وهذه الكتب هي:

1. كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار ملوك الغز باليمن، للأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني المتوفى نحو سنة 702هـ.
2. كتاب كنز الأخيار في السير والأخبار، لعماد الدين إدريس بن علي الحمزي المتوفى سنة 714هـ.
3. كتاب بهجة الزمن في تاريخ اليمن، لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة 732هـ.
4. كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك لبهاء الدين محمد بن يوسف الجندي المتوفى بعد سنة 732هـ.

فهذه الكتب الأربعة هي مادة كتب الخزرجي وحصيلته، وهي في الواقع ليست من جهد المؤلف وعمله وإنما اختارها الملك الأشرف من مكتبته العامرة وقدَّمها للخزرجي لينتقي منها التاريخ المذكور ويمزج بين أحداثها، وإلا فمن أين لفقيه عادي مثل الخزرجي أن يقف على مثل هذه الكتب التي لا توجد إلا في خزائن الملوك، وهو ينقل دائمًا عن ابن حاتم اليامي من كتابه السمط الغالي الثمن ويسميه العقد الثمين وربما نقل عنه أغلب أخبار الدولة الرسولية في زمنها الأول وبداية تكونها، ولما كان ابن حاتم يكتب أحداثه عن مشاهدة ومشاركة فيها نجده يتوسع فيما يورده وربَّما أطنب كثيرًا وتوسع فيقف الخزرجي عند بعضها حائرًا متوقفًا لا يدري ما يدع وما يثبت فتجده في بعض الأحيان يختصر العبارة وقد يحذف بعض التفاصيل المهمة.

أما عماد الدين إدريس صاحب كنز الأخيار فهو المعني به إذا قال الخزرجي قال: أهل السير والأخبار، وهذه العبارة تكررت كثيرًا في كتابه العسجد المسبوك. وقد نقل مادة كتاب الكنز وأفادته كثيرًا لأنها جاءت على هواه من حيث الاختصار والإيجاز.

وكذلك يقال عن ابن عبد المجيد صاحب بهجة الزمن والجندي صاحب كتاب السلوك استفاد منهما في الأخبار المكملة للكتابين السابقين - كتابي السمط والكنز - لأنهما ذكرا ما توقفا عنده من حوادث فصاحب البهجة استوعب مادة كتاب كنز الأخيار ثم أضاف ما شاهده وشارك فيه من أحداث ثورة الظاهر الرسولي على ابن عمه المجاهد. وكذا فعل الجَنَدي عندما غادر ابن عبد المجيد الديار اليمنية مطرودًا مقهورًا لأنه وقف مع خصم المجاهد الملك الظاهر، وكان من نصيبه الخروج من اليمن بعد العز والسلطان، فجاء بعده الجَنَدي وأكمل ما انتهى عنده ابن عبد المجيد.

فكان كل ذلك حصيلة سهلة للخزرجي وغنيمة باردة ساقها الله إليه تضاف إلى أعماله ويرضى عنها مخدومه الملك الأشرف الرسولي.

بين العسجد والعقود

قلنا: إن الكتب التي أَلَّفها الخزرجي إنما أَلّفها في البداية منسوبة إلى الملك الأشرف كما سبق ذكره.

وعندما جمع الخزرجي كتابيه العسجد المسبوك والعقود اللؤلؤية كان الكتابان منسوبين للملك المذكور، ثم لما توفى أعاد نقل الكتابين ومزج بينهما في كتاب واحد وهو الكتاب الذي يحمل اسم العسجد المسبوك أو الكفاية والإعلام أو غيرهما وبقى الكتاب يحمل العنوانين في آن واحد: العسجد المسبوك والعقود اللؤلؤية، حتى إني لما شرعت في تحقيق كتاب العقود اللؤلؤية سنة 1429هـ وجدت في مكتبة الرياض كتابًا يحمل اسم العقود اللؤلؤية ولما طلبته من المكتبة المذكورة ظهر لي أنه نفس كتاب العسجد المسبوك.

وكأن المؤلف بعدما توفى الملك الأشرف بدا له أن يفصل بينهما ويضيف إليهما أشياء وينقص في بعضهما - وهذا ما لاحظته عندما شرعت في تحقيق الكتابين - بدليل أننا نجد لكتاب العقود اللؤلؤية مقدمة مستقلة، ولو كان الكتاب ملحقًا بأصله لما وردت هذه المقدمة - على الرغم من أن هذه المقدمة حذفت من طبعة دار الهلال وطبعة الأكوع -، وأثبتناها في طبعتنا اعتمادًا على مخطوطة خدابخش بتنه التي رجع إليها المحقق الأول - وأعني به ريد هوس -.

على أن الذي لا شك فيه أن أعمال الملك الأشرف كانت من صنع الخزرجي وقد اغتنم فرصة وفاة الملك وأعاد نسبتها إليه، وهذا يطعن في أخلاقه وأمانته العلمية لأن أعماله هذه التي كتبها إنما كتبها خالصة باسم الملك الأشرف مقابل أجر مدفوع الثمن فكان من حق الملك الأشرف أن ينسب إليه العمل، وكان من حسن حظ المؤرخ الخزرجي أن الملك الذي أتى من بعد الأشرف هو ابنه الملك الناصر أحمد بن إسماعيل وهو رجل همّه الأول السياسة ومتابعة خصومه ولا تعلّق له بأمور الثقافة والتاريخ، فلم يسأل عن كتب والده ولا عن اهتماماته وميوله السابقة ونسي أمر كتب والده ولم يناقش الخزرجي في ذلك. وإلَّا فالأمر خطير بالنسبة للخزرجي إذا وجد من يحرّض النّاصر عليه ويتّهمه بالاستيلاء على تراث والده، والإقدام بنسبتها إليه، أقلها أن يحرم من المسامحة في أملاكه التي أعطيت له في زمن الأشرف.

ويبقى كتاب العقود اللؤلؤية نمط قائم بذاته يختلف في بدايته عن الملحق المضاف بالعسجد ويتفق معه في سائر أبوابه الباقية التي تتحدث عن تاريخ اليمن في عصر الملوك الرسوليين حتى زمن معاصرة الملك الأشرف.

وقد وقعت موافقات تامة بين الكتابين حتى لا يكاد الناظر للوهلة الأولى أن يفرق بينهما إلا أنه إذا تمعَّن فسيجد المؤلف يثبت فقرات ويمحي أخر في كلا الكتابين وهذا لا يؤثر على طبيعة الكتابين وموضوعهما.

وقد أفادنا هذا التطابق في إيجاد نسخة ثالثة من الكتاب (أعني العسجد المسبوك) ولأن الأبواب السابقة لتاريخ الدولة تعد شيئًا ضئيلًا بالنسبة لما ورد في الكتاب بعد ذلك فأفادنا هذا في المراجعة والنظر في بعض الأسماء والمفردات الواردة في النصين.

ومن غريب الأمر أن يتوقف المؤلف عند السنة التي توقف فيها العقود اللؤلؤية وهي السنة التي توفى فيها الملك الأشرف سنة 803هـ ولم يتابع بقية الأحداث بعد وفاته وخاصة أنه عاش بعد الأشرف نحو تسع سنوات لم يكتب فيها شيئًا. وهذا يدلك على أن الرجل ليس مؤرخًا حقيقيًا وإنما هو مؤجَّر يكلف بمهمة ثم يتركها إذا انتفى الداعي إليها.

نعم ربما يعود هذا إلى كبر سن الخزرجي فقد أناف على الثمانين ولم يبقَ من أقرانه من يأنس إليه وقد مات أكثرهم وخاصة أن هذه الفترة – زمن الناصر – كانت مرحلة قلاقل وثورات وفي مثل هذه الحالة يصعب ضبط الأخبار وتتبعها، بل إنه لم يجد الحاجة إلى

كتابتها وقد انتفى المحفّز له والمموّل لأعماله وخاصة إذا علمنا أن الأخبار المعاصرة له في زمن الأشرف إنما قام بها الأشرف نفسه بواسطة جُنْدِهِ الذين يسمِّيهم البريهي (السوكندارية) وهم جند الأشرف وقد أمرهم بجمعها ودفعها إلى الخزرجي ليضيفها إلى تاريخه، فما كان منه بعد وفاة الأشرف إلا أن قبع في بيته واستقر في سربه متلقيًا بعض الطلبة الذين يترددون عليه ويدرسون عنده علمي القراءات والعروض، وكان مؤرخنا يتقن هذين الفنين ويجيد صناعتهما.

على أن أهم الفوارق بين الكتابين، هي أن المؤلف في العقود اللؤلؤية تتبع وفيات العلماء منذ بداية الكتاب حتى نهايته وهو الأمر الذي لا نجده في كتابه العسجد المسبوك، وإن كان قد ذكر بعض الوفيات إلا أن ذلك كان في أواخر الكتاب، وهو على وشك النهاية.

وقد أبانت العقود اللؤلؤية عن حالات نفسية كانت تعتري المؤلف فهو في حالات السلوان والسرور نجده بتوسع في استقصاء الأخبار ويبين تفاصيلها وملابساتها، ثم إنه في بعض الأحيان تجده يقتضب الأخبار ويسردها سريعًا كما هي في أصلها الأول - وأعني به كتاب العسجد المسبوك - ويترك تفاصيل كثيرة وهذا ما لمسته في الحوادث التي أعقبت موت الملك المؤيد سنة 721 هـ حتى إنه ربما يوهم ذلك الاختصار والحذف أنه ربما وقع في أصل المخطوطات التي رجعنا إليها، ولكن بعدما وجدنا جملًا أخرى مختصرة في أصله الثاني عرفنا أن النقص كان من عند المؤلف.

وربما كان المؤلف في تلك الفترة التي كان يكتب فيها كتابه قد تعرض لضائقة مالية أو أسرية أو ما شابه ذلك أو ربما كان همه الأول في العقود اللؤلؤية ليس كتابة الحوادث وإنما كان تراجم العلماء الذين كان يزين بذكرها كتابه بعد ذكر حوادث كل سنة. وهو الأمر الذي لم يعنِ به في كتابه الآخر العسجد المسبوك.

ولعل الأمر ليس هذا ولا ذاك وإنما قعدت به مصادره التي كان ينقل عنها فإنه بعد وفاة الجندي سنة 732هـ وهي السنة التي ولد فيها مؤرخنا لم يجد ما يسعفه من الكتب التي يغطّي بها أحداث السنوات التي لابد أن يذكر مجرياتها وأحداثها. والله أعلم

مخطوطات الكتاب ومنهج التحقيق

عندما أردت القيام بمهمة التحقيق لم أكن مجرد ناسخًا للكتاب ومراجعًا للمخطوطات وإنما حلّلت النص ورجعت إلى المصادر التي رجع إليها المؤلف نفسه واستقيت من بعضها

مباشرة دون الرجوع إلى أصل المؤلف لأن المؤلف قد يسهو في بعض الأحيان وربما يجمح به النظر إلى جملة أخرى مشابهة فيقع السقط، فكان لابد من التيقن فيما يورده.

ثم إني لم أكتفِ بمراجعة الأصول التي رجع إليها المؤلف فقط وإنما عدت إلى المصادر الأولى التي ذكرت تلك الحوادث في زمنها وهي مؤلفات قديمة لم يرجع إليها الخزرجي نفسه، فأفادت هذه المقابلة الكثير من التفصيلات وتحقيق بعض الأسماء والأعلام.

فهو - مثلًا - حينما يذكر دخول الإمام الهادي إلى اليمن كان عليه أن يرجع إلى سيرة الهادي التي كتبها مؤلف سيرته المؤرخ علي بن محمد العلوي وهو معاصر له والتحقق من بعض الأسماء والأعلام التي يوردها فلم ينقل منها شيئًا ولا رجع إليها ورجعنا إليها نحن.

وكذلك عند ذكر المنصور العياني المتوفى سنة 393هـ رجعنا إلى السيرة التي كتبها معاصره الحسين بن أحمد بن يعقوب، وهي من نوادر السِّير ومن المحال أن يكون الخزرجي رجع إليها.

وعند ذكر الأميرين العيانين، وكانت لهما سيرة كتبها معاصرهما المؤرخ مفرح بن أحمد الربعي وطبعت في بيروت سنة 1993م وقد تَمَّ لنا الرجوع إليها.

ومثلهما الإمام أحمد بن سليمان المتوفى سنة 566هـ له سيرة ألّفها معاصره سليمان بن يحيى الثقفي وقد قام بتحقيقها وطبعها الدكتور عبد الغني عبد العاطي سنة 2000 رجعت إليها وقد أفادتني كثيرًا في ضبط الأسماء والأشعار.

ثم سيرة المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنة 614هـ له سيرة كتبها أبو فراس فاضل بن عباس بن دعثم طبع منها جزآن، وقد أفادتني أيضًا في ذكر قتل أخيه وما قيل فيه.

ولم أكتفِ بالمطبوع من المصادر بل رجعت إلى المخطوط ووجدت في جامع صنعاء مخطوطة سيرة المهدي أحمد بن الحسين المقتول سنة 656هـ فأفادتني في كثير مما أورده الخزرجي وصلة الإمام المذكور ببني رسول.

ومصادر أخرى لا مجال لذكرها هنا، كذلك دعَّمت نصوص الكتاب بالأشعار الواردة في دواوين الشعراء ورجعت إلى ديواني ابن فليتة المتوفى سنة 731هـ (المخطوط) وديوان ابن المقري المطبوع بالهند سنة 1305هـ. وفيهما توضيح لبعض الوقائع التاريخية.

وكذلك يجب على المحقق أن لا يتخم النص بتعاليق لا معنى لها، كأن يترجم لمشهور لا يحتاج إلى تعريف أو شرح بلد هي معروفة للعالم والمتعلم، وكذلك عليه أن يقف عند شرح الكلمات والمصطلحات التي لابد من شرحها وربما غابت عن العلماء أنفسهم.

فمتابعة مصادر المؤلف وشرح المهم من غامض الكتاب هو من ضرورات التحقيق الناجح، وقد كثر الآن من طلبة الجامعات الذين يدعون أنهم يحققون نصوصًا من التراث الكثير من هذه الهفوات المضحكة المبكية. حتى إنك تستغرب كيف يعطى طالب شهادة جامعية وهو يصحف لفظة مشهورة ثم يشرح تصحيفه بكلام سخيف مزري، وكان يجب على المنصفين سحب تلك الشهادات خاصة إذا تَمَّ طبعها وعلمنا ما فيها ولكن هذا يدخل من ضمن الفساد المنتشر.

وقد رجعت في تحقيق الكتاب إلى مخطوطتين كلاهما يكمل الآخر.

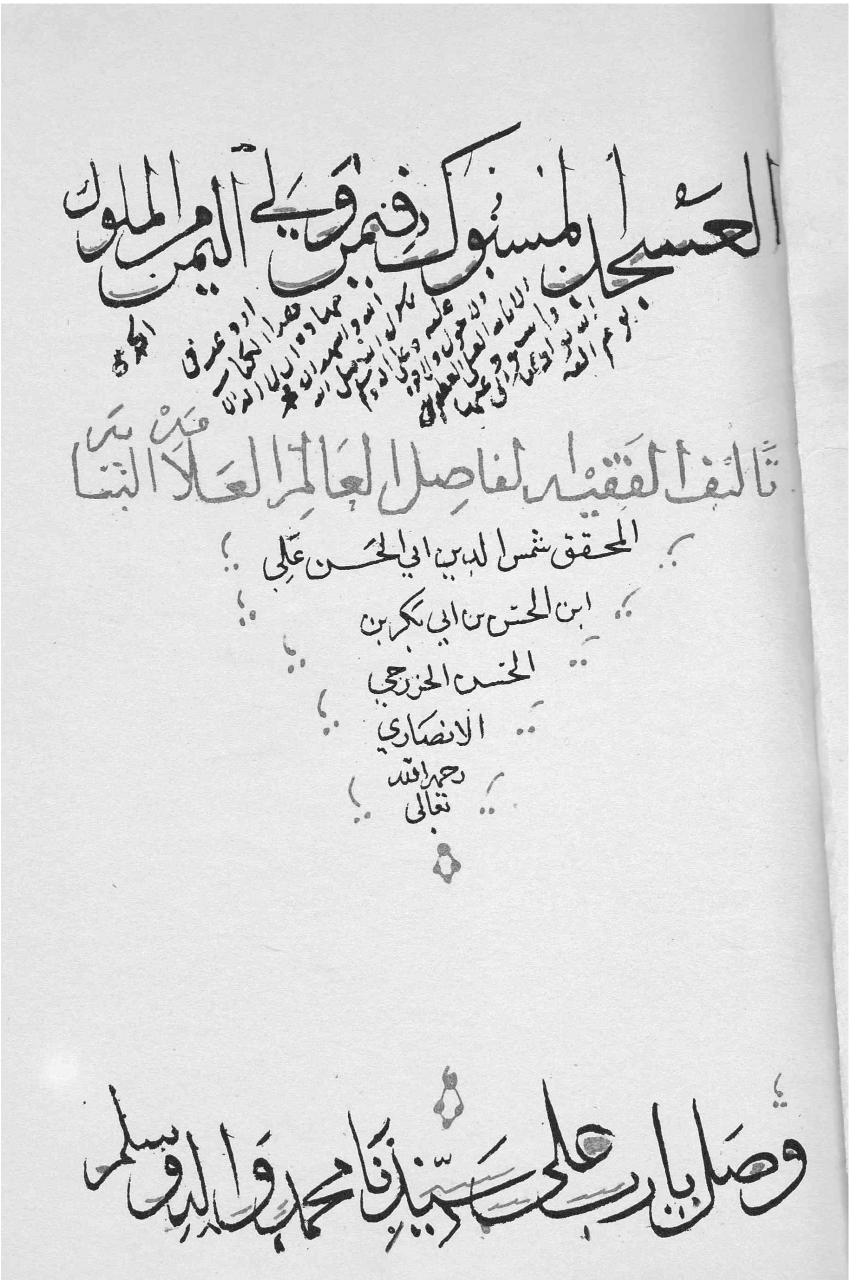
المخطوطة الأولى (و)

هي نسخة خزائنية جميلة اعتنى بها كاتبها وتميزت بأنها استكملت بقية أخبار الدولة الرسولية من السنة التي توقف فيها الخزرجي وهي سنة 803هـ حتى آخر سنة من عمرها وهي سنة 858هـ، نقل الناسخ هذا الملحق من كتاب بغية المستفيد الذي قمنا بتحقيقه سنة 1401هـ وتقع هذه المخطوطة في 521 صفحة فرغ من كتابتها سنة 1102هـ، وهي المخطوطة التي نشرت صورتها وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية اليمنية سنة 1401هـ/ 1981م.

المخطوطة الثانية (ع)

وهي تحمل عنوان "العقود اللؤلؤية" وهي من مقتنيات مكتبة الشيخ عبد الرحمن العبيكان الذي كان سفيرًا للمملكة العربية السعودية أثناء حكم الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين. وناسخها الفقيه علي بن يحيى الحبيشي فرغ من كتابتها يوم الثلاثاء نصف شهر ربيع الأول من شهور سنة 1082هـ وكتبت برسم مالكها العلامة شرف الدين الحسين بن أحمد الشامي وهذه النسخة مراجعة من قبل مالكها، وهي في عمومها سليمة من التصحيف والسقط وقد أفادتنا كثيرًا لأن ناسخها من أهل المنطقة التي تقع فيها أحداث الكتاب.

تقع في 1089 ورقة.



العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك

تأليف الفقيه الفاضل العالم العلا

المحقق شمس الدين أبي الحسن علي

ابن الحسن بن أبي بكر بن

الحسن الخزرجي

الانصاري

رحمه الله

تعالى

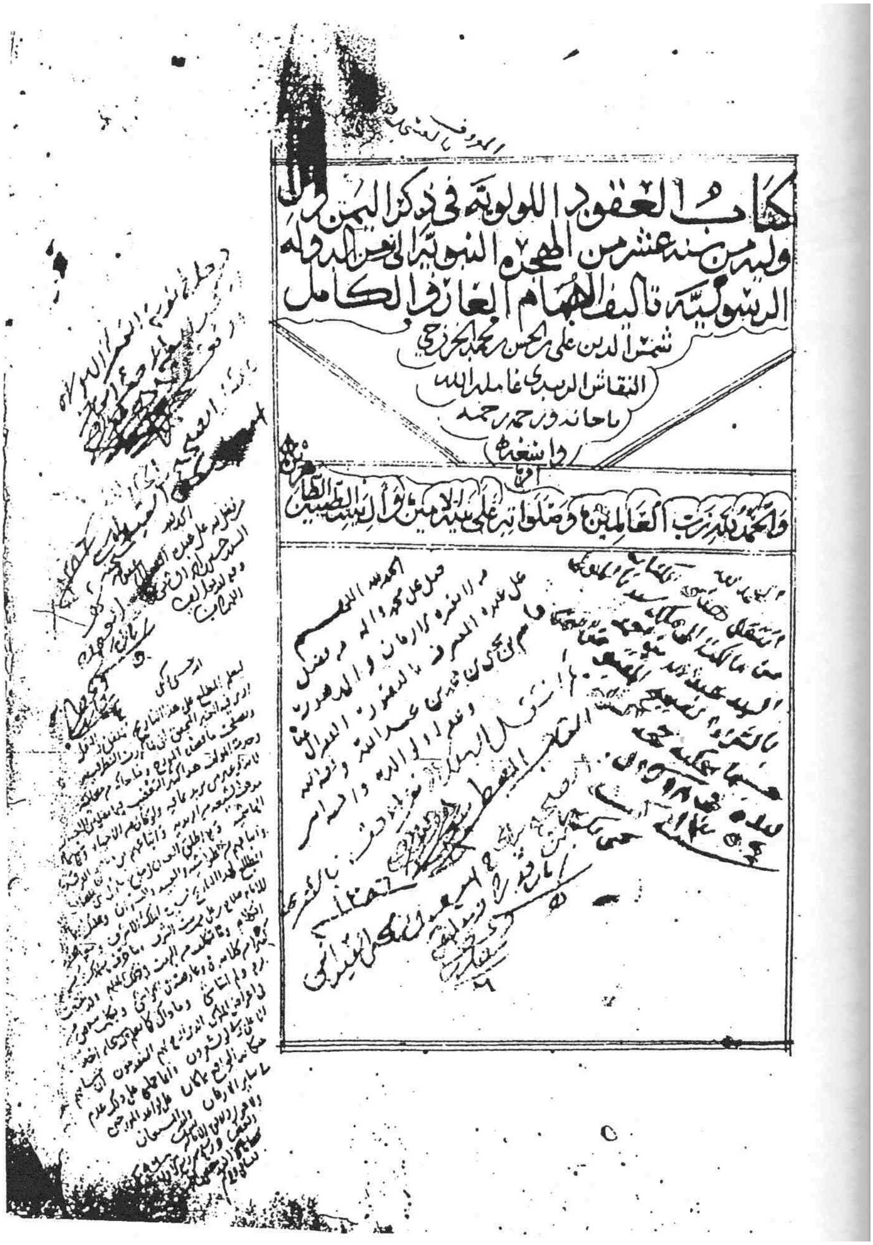
وصل يارب على سيدنا محمد وآله وسلم

مخطوطة (و)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الباب الرابع

في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن وما يتعلق بذلك
عشرة فصول الفصل الأول في فضل اليمن قال علي بن الحسن الخزرجي قال بلد الله
اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر البركة وردت في فضيلته أخبار وآثار جمع
فضله أبو بكر محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن حاتم القرشي المصري أربعين حديثا
وفضائل اليمن كثيرة مشهورة فمن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
بينما النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قال الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح وجاء
اليمن نقية قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية أخرجه
بن حبان في صحيحه وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم
بارك لنا في يمننا اللهم بارك لنا في شامنا قالوا وفي نجدنا قال الزلازل والفتن
أخرجه الترمذي وعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه أشار النبي صلى الله عليه وسلم
نحو اليمن وقال ألا إن الإيمان هاهنا وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم
وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم إذا هاجت الفتن


كتاب العقود اللؤلؤية في ذكر اليمن وملوكه
من سنة عشر من الهجرة النبوية إلى عصر الدولة
الرسولية تأليف الهمام العارف الكامل
شمس الدين علي بن الحسن بن محمد الخزرجي
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا الأمين وآله الطيبين الطاهرين

مخطوطة (ع)


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الباب الرابع في ذكر من ملك اليمن ومن ملك صنعاء وعدن وما يتعلق بذلك وفيه عشرة
الفصل الأول في فضائل اليمن وما ورد فيه من الأخبار الفصل الثاني
في ذكر إسلام أهل اليمن وفي ذكر عمال رسول الله صلى الله عليه الفصل الثالث
في ذكر عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليمن بعد وفاته الفصل الرابع
في ذكر عمال بني أمية في اليمن الفصل الخامس في ذكر عمال الدولة العباسية
في اليمن الفصل السادس في ذكر القرامطة باليمن وظهور علي بن الفضل ومنصور
الفصل السابع في ذكر الأمراء المتغلبين على صنعاء اليمن الفصل الثامن في ذكر
ظهور الدولة الصليحية وما يتعلق بها الفصل التاسع في ذكر ملوك صنعاء بعد
الصليحيين الفصل العاشر في أخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين على عدن
الباب الخامس في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها وهي خاتمة [illegible] فصلا
الفصل الأول في ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد فيها الفصل الثاني
في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح الفصل الثالث في ذكر وزراء آل نجاح
الفصل الرابع في ذكر قيام الأسد علي بن مهدي باليمن وانقضاء دولتهم الفصل
الخامس في ذكر دولة بني أيوب ونسب دخولهم اليمن الفصل السادس في ذكر
الدولة الغسانية الرسولية الزاهرة وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول
الغساني التركماني الفصل السابع في ذكر السلطان الملك المظفر
يوسف بن عمر الفصل الثامن في ذكر دولة السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي
بن رسول الفصل التاسع في ذكر دولة السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف المظفر
الفصل العاشر في ذكر دولة الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر المظفر
الفصل الحادي عشر في ذكر الدولة الأفضلية الفصل الثاني عشر في ذكر الدولة
الأشرفية الكبرى وتمامه تم الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى وهذا أوان الشروع في الفصل الأول
من الباب الرابع في ذكر فضائل اليمن وما ورد فيه من الأخبار المروية الفصل الأول
في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن وما ورد في فضائل اليمن وما ورد فيه من الأخبار
قال علي بن الحسن الخزرجي فأقول وبالله التوفيق اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر البركة
وردت في فضله أخبار وآثار جمع في فضله أبو محمد عبد الحميد بن عبد الله [illegible] القرشي
المصري أربعين حديثا وفضائل اليمن كثيرة مشهورة فمن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قال الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح جاء
أهل اليمن نقية قلوبهم لينة طاعتهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية [illegible]
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا
قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك
الزلازل والفتن وعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال أشار النبي صلى الله عليه وسلم
بيده وقال ألا إن الإيمان هاهنا وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وعن أبي ذر
الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن

مخطوطة العبيكان

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين

الباب الرابع: في ذكر من ملك اليمن ومن ملك صنعاء وعدن وما يتعلق بذلك.

وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: في فضائل اليمن وما ورد فيه من الأخبار.

الفصل الثاني: في ذكر إسلام أهل اليمن وذكر عمال رسول الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: في ذكر عمال رسول الله ﷺ باليمن بعد وفاته.

الفصل الرابع: في ذكر عمال بني أمية في اليمن الميمون.

الفصل الخامس: في ذكر عمال الدولة العباسية في اليمن.

الفصل السادس: في ذكر القرامطة باليمن وظهور علي بن الفضل وبدء أمره.

الفصل السابع: في ذكر الامراء المتغلبين على صنعاء اليمن.

الفصل الثامن: في ذكر ظهور الدولة الصليحية وما يتعلق بها.

الفصل التاسع: في ذكر ظهور ملوك صنعاء بعد الصليحيين.

الفصل العاشر: في أخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين على عدن.

الباب الخامس: في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها وهو خاتمه وفيه اثني عشر فصلا.

الفصل الأول: في ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد فيها.

الفصل الثاني: في ذكر ملوك الحبشة من آل نجاح.

الفصل الثالث: في ذكر وزراء آل نجاح.

الفصل الرابع: في ذكر قيام السيد علي بن مهدي باليمن وانقضاء دولتهم.

الفصل الخامس: في ذكر دولة بني أيوب وسبب دخولهم اليمن.

الفصل السادس: في ذكر الدولة الغراء الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي رسول الغساني التركماني.

الفصل السابع: في ذكر التبع الأكبر السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر.

الفصل الثامن: في ذكر دولة الملك الأشرف [بن] يوسف بن عمر بن علي بن عمر المظفر.

الفصل التاسع: في ذكر دولة السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف المظفر.

الفصل العاشر: في ذكر دولة الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر المظفر.

الفصل الحادي عشر: في ذكر الدولة الأفضلية.

الفصل الثاني عشر: في ذكر الدولة الأشرفية الكبرى، وبتمامه تم الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى.

وهذا أوان الشروع في الفصل الأول][1]

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي

من الباب الربع

في ذكر [فضائل][1] اليمن وما ورد فيه من الأخبار المدونة

الفصل الأول

[في ذكر اليمن ومن ملك بصنعاء وعدن، وما ورد][2]

في فضل اليمن [وما ورد فيه من الأخبار][3]

قال علي بن الحسن الخزرجي **قابله الله بالقبول**: اليمن قطر مبارك عظيم الفضل، ظاهر البركة، وردت في فضله[4] أخبار وآثار، جمع في فضله أبو بكر محمد بن عبد المجيد(5) بن عبد الله بن خلف القرشي المصري أربعين حديثًا.

وفضائل اليمن كثيرة مشهورة، فمن ذلك ما روي عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر، جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن نقيةً قلوبهم، لينةً طباعهم، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية» أخرجه ابن حبان في صحيحه[6].

---

(1) زيادة من (ع).

(2) زيادة من (ع).

(3) زيادة من (ع).

(4) في (و) فضيلته.

(5) كذا في الأصل صوابه: عبد الحميد، انظر ترجمته في العقد الثمين2: 96 والدرر الكامنة4: 145.

(6) انظره بتوسع في (نثر الدر المكنون): 30 ط مكتبة الثقافة الدينيةوانظره في (الإحسان) لابن بلبان 16: 287.

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في شامنا قالوا: وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن» أخرجه الترمذي.

وعن أبي مسعود البدري: أشار النبي ﷺ نحو اليمن وقال: «ألا إن الإيمان ههنا» وهو حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن، فإنها مباركة[1]».

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ترجع ثلثا بركة الدنيا إلى اليمن، من كان هاربًا من الفتنة فإليه يهرب - يعني اليمن - فإن العبادة فيه رضا، الله الأكبر[2]».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم باليمن إذا هاجت الفتن، فإن قومه رحماء، وإن أرضه مباركة، وللعبادة فيه أجر كبير[3]».

وروى الإمام أبو بكر الحافظ بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[4]: خلقت الدنيا على صورة الطائر برأسه وصدره وجناحيه وذنبه، فالرأس مكة والمدينة واليمن، والصدر مصر والشام، والجناح الأيمن العراق، وخلف العراق أمة يقال لها: واق، وخلف واق أمة يقال لها: وقواق، وخلف ذلك ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل، والجناح الأيسر السِّند، وخلف السند الهند، أمة يقال لها: ناسك، وخلف ناسك أمة يقال لها: منسك، وخلف ذلك أمم لا يعلمها إلا الله تعالى، والذَّنب من ذوات الحمام إلى مغرب الشمس، وشر ما في الطَّير الذنب.

وروي عن ابن عباس أنه قال[5]: لما نادى إبراهيم عليه السلام بالحج أجابه كل من حج هذا البيت من بعده إلى يوم القيامة من أصلاب آبائهم وبطون أمهاتهم، وقالوا: لبيك اللهم لبيك، فالتَّلبية

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية هذاالحديث لا يعرف إلا بهذا اللفظ (فتاوى ابن تيمية18: 284).

(2) حديث لا أصل له وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أحاديث القصاص: 62 وقال موضوع.

(3) من الأحاديث الموضوعة كسابقه.

(4) انظره في (الدر المنثور) 1: 533 (تفسير سورة الأعراف).

(5) رواه الحاكم في (المستدرك) 2/ 289 والبيهقي في (السنن) 5: 176 عن طريق إسحاق عن جرير عن ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه الشيخان وليس فيه ذكر أهل اليمن.

جواب لدعاء إبراهيم عليه السلام، فمن أجابه مرةً حج مرة، ومن أجابه عشرًا حج عشرًا، وكان أكثر الناس إجابةً أهل اليمن.

وروى الأزرقي في كتاب (أخبار مكة)[1]: أن إبراهيم الخليل استقبل الجهات الأربع في ندائه، وابتدأ بجهة اليمن.

وروى الإمام أبو الشيخ بإسناده، عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «لا تسبوا أهل اليمن، فإنهم زين الحاج».

وفي رواية أخرى عن ابن عمر أنه قال[3]: لا تسبوا أهل اليمن فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «زين الحاج أهل اليمن».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوتاد الأرض من أمتي: أبدال الشام، وعصب اليمن أربعون صديقًا لا يموت منهم أحد إلا أبدل مكانه مثله».

وروى الإمام الحافظ أبو الشيخ بإسناده، عن أحمد بن أبي الحواري، عن أبي سليمان أنه قال: الأبدال بالشام والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق.

وروي أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة إلى الطائف يريد النصرة من ثقيف على أهل مكة، فأقام عندهم ما شاء الله، ثم رجع يريد مكة، وقد يئس من خير ثقيف، فلما كان بنخلة قام يصلي في جوف الليل، فمر به نفر من الجن، وهو يتلو القرآن، فرقَّت له قلوبهم، فأسلموا، فأنزل الله إليهم:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1 - 2] إلى آخر القصة.

قال الجندي[4]، عن الرازي[5]: إنهم من قرية من اليمن يقال لها: نصيبين.

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه: ومن المنسوب إلى اليمن: الركن اليماني، وريح الجنوب.

(1) أخبار مكة للأزرقي: 119 تحقيق الدهيش.

(2) انظره في (الجامع الصغير) وحكم الألباني بضعفه.

(3) أورده ابن عساكر وانظره في (ضعيف الجامع الصغير) وزياداته للألباني 3: 199.

(4) الجندي (السلوك) 1: 74.

(5) (تاريخ صنعاء) للرازي: 244.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادي يقول: آمين آمين، فإذا مررتم فقولوا: اللهم ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾».

وروى الآجري بإسناده عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال[1]: «وكل الله به سبعين ألف ملك – يعني الركن اليماني – فمن قال: أسألك العفو والعافية، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين آمين».

وذكر الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي في كتابه (عجائب الملكوت): أن النبي ﷺ[2] قال: «ريح الجنوب من ريح الجنة، ومنها خلق الله الخيل العراب، وهي الرياح اللواقح أيضا».

وعن وهب بن منبه قال[3]: لما أراد الله أن يخلق الخيل، قال للريح الجنوب: إني خالق منك خلقًا أجعله عِزّا لأوليائي ومذلةً لأعدائي، وإجلالًا لأهل طاعتي، فقبض قبضةً من ريح الجنوب فخلق منها فرسًا، وقال: سميتك فرسًا وجعلتك تطير بلا جناحين، فأنت المطلب وإليك المهرب.

واختلف العلماء في تسمية الشام بالشام، واليمن باليمن، فقال جمهور العلماء: اليمن اسمٌ لولد قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وبهم سميت الناحية التي سكنوها كما سمي كثير من البلدان بأسماء من سكنها، كالشوافي[4] وبعدان[5] وذؤال[6]

(1) انظره في (تفسير ابن كثير) 1: 31.

(2) من ضعيف الجامع الصغير قاله الألباني.

(3) انظره في (تفسير ابن كثير) 2: 564 قال: من إسرائيليات وهب بن منبه وانظر (الموضوعات) لابن الجوزي2: 611.

(4) الشوافي: قرية في جبل الخضراء من مديرية حبيش وأعمال إب (تحفة الزمن2: 552).

(5) بعدان: أحد جبال اليمن ذات الزروع والأنهار والعيون يطل على مدينة إب من جهة الشرق (تحفة الزمن2: 541).

(6) ذؤال: بضم الذال: أحد أودية اليمن ومنه مدينة القحمة (تحفة الزمن2: 549).

ولعسان[1] وقفاعة[2] وشرعب[3] ووحاظة[4] ويحصب[5]، قالوا[6]: وسمي الشام شامًا لشامات سود وبيض في أرضه، وذلك لاختلاف الترب والبقع، وهذا قول الكلبي وطائفة من العلماء، وقال آخرون: سمي الشام شامًا لشؤمه، **وسمي** اليمن يمنًا ليُمنه، وهذا القول يُعزى إلى قطرب النحوي وطائفة آخرين، وقيل: سمي اليمن يمنًا، لأنه عن يمين الكعبة، وركناها الأيمنان، وهما: الركن اليماني وركن الحجر الأسود، وشمائلها الركنان المكتنفان للميزاب، بدليل أنك إذا استقبلت إنسانًا فالذي يقابل يمينك هو شماله، والذي يقابل شمالك هو يمينه، وكذلك الكعبة، إذا استقبلها إنسان، فالذي يقابل يمينه هو شمال الكعبة، والذي يقابل شماله هو يمين الكعبة، قالوا: وسمي الشام شامًا، لأنه عن شمال الكعبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: 8 – 9]، قالوا: وسمي الحجاز حجازًا، لأنه حجز بين الشام واليمن، والله أعلم، قال: واليمن يمنان يمن أعلى ويمن أسفل، فأما اليمن الأعلى فقصبته[7] صنعاء، وهي إحدى جنان الأرض الأربع وذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال[8]: «ثلاث جنات في الدنيا: مرو من خراسان، ودمشق من الشام، وصنعاء من اليمن، وجنة هذه الجنان صنعاء».

(1) لعسان: هي البطائح والمواطن فيما بين باجل وسهام وبرع وحراز (معجم البلدان والقبائل اليمنية: 1274) ولعسان من ولد عك بن عدنان.

(2) قفاعة: قرية جوار بلده الملاحيط من مديرية الظاهر وأعمال صعدة، وهي من مساكن خولان بن عامر (المقحفي: 1191).

(3) شرعب: واد في الغرب الشمالي من مدينة تعز على مسافة نحو أربعين كيلومتر سمي نسبة إلى شرعب بن شهد بن زيد الجمهور (المقحفي: 1191).

(4) وحاظة: حصن أثري في أعلا منطقة شباع من جبل حبيش وأعمال محافظة إب سمي نسبة إلى وحاظة بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن حمير الأصغر (المقحفي: 1858).

(5) يحصب: اسم قديم للمنطقة الممتدة من مدينة إب إلى مدينة معبر جهران عرفت بذلك نسبة إلى يحصب بن نعمان بن مالك من ولد الهميسع بن حمير (المقحفي: 1899).

(6) انظر (ياقوت معجم البلدان) 3: 312.

(7) في (ع) فقبضه.

(8) انظر (تاريخ صنعاء) للرازي: 192 قال محققه: لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا في تخريج هذا الحديث وهو من الأحاديث الموضوعة انظر (الفوائد المجموعة للشوكاني: 428).

وعن بعض العلماء قال[1]: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وشعب بَوَّان، وصغد سمرقند، وصنعاء اليمن، ويقال: أول بنيان رفع على وجه الأرض بعد الطوفان مسجد صنعاء، وقيل[2]: أول حجر وضع على حجر بعد الكعبة حرَّان من أرض الجزيرة، وكان الذي عمرها نوح ﵇، ثم بعدها قصر غَمْدان بصنعاء، وكان الذي عمره سام بن نوح ﵇.

وعن وهب بن منبه قال[3]: لما توفي نوح ﵇ سار سام بن نوح في الأرض يرتاد مكانًا طيبًا أطيب ما فيها، فأقبل[4] طالعًا في الجنوب إلى أن صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه سكنى، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبه، فبنى صنعاء اليمن، ثم أسس غمدان واحتفر بئره، فهي التي تسمى بئر كرامة، وهي مقابلة لأول باب من أبواب المسجد الجامع من ناحية الشرق، وماؤها اليوم أجاح، واختلفت[5] الأقوال في سمك غمدان بعد أن زاد فيه التبابعة من ملوك حمير، وكان من المباني العجيبة، فأصح ما قيل فيه: أنه عشرون سقفًا بين كل سقفين عشرون ذراعًا، وقيل: عشرة أذرع. وفي رأسه غرفة من زجاج طولها اثنا عشر ذراعًا، وعرضها كذلك، وكان ينبسط ظله ثلاثة فراسخ، الفرسخ: ثلاثة أميال، الميل ثلاثة آلاف خطوة، الخطوة ذراعان، وكان إذا أسرج فيه الشمع يراه الناظر مثل النجم الزاهر[6].

ولم يزل قائم العمارة إلى أن هَدَمَهُ فروة[7] بن مسيك المرادي بأمر رسول الله ﷺ، وقيل: هدمه في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر، وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وروى ابن عبد المجيد في كتابه (بهجة الزمن في أخبار اليمن)[8]: أن دور صنعاء بلغت مئةً وعشرين ألف دار، وكانت مساجدها ثلاثة عشر ألف مسجد، وحماماتها كذلك. قالوا: وعدوا

(1) ياقوت: معجم البلدان2: 464 منسوبا للأصمعي.
(2) (تاريخ صنعاء) للرازي: 19 منسوبا لوهب بن منبه.
(3) (تاريخ صنعاء): 16.
(4) في (ع) فأهل.
(5) (تاريخ صنعاء) للرازي60.
(6) (تاريخ صنعاء): 26.
(7) فروة بن مسيك المرادي استعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد وانظر (طبقات فقهاء اليمن). لابن سمرة: 14.
(8) بهجة الزمن: 24 نقلا عن (كنز الأخيار): 29 وهو نقلا عن (تاريخ صنعاء) للرازي: 114.

مساكن القطيع[1] فبلغت سبعين ألف مسكن، والقطيع ربعها. قال: ثم تلاشت في أيام أحمد[2] بن قيس الضحاك، وذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة للهجرة، فكانت ألف دار وأربعين دارا.

قال المصنف أيده الله تعالى: وقد أثبت في هذا الباب ذكر ملوك اليمن الأعلى وما آل إليه أمرهم من الملوك والعمال والأئمة في عشرة فصول.

وأما اليمن الأسفل فقصبته مدينة زبيد، وهي إحدى البقاع المقدسات المرحومات. [وروى][3] الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني عن مشايخه عن كعب الأحبار عمن أدركه من أصحاب شق وسطيح الكاهنين[4]: أن في اليمن[5] أربع بقاع مقدسات أو قال: مرحومات وهي الكثيب الأبيض والجَنَد، ومأرب وزبيد.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه لما قدم الأشعريون من اليمن[6] قال لهم: «من أين جئتم؟ قالوا: من زَبِيْد، قال: بارك الله في زَبِيْد، قالوا: وفي رمع، قال: بارك الله في زَبِيْد، قالوا: وفي رمع، قال: بارك الله في زَبِيْد، قالوا: وفي رمع، قال: بارك الله في زبيد، قالوا: وفي رمع، قال: وفي رمع»، قالها ثلاثًا في زبيد ومرة في رمع، وقد روى هذا الحديث الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب (دلائل النبوة)[7].

قلت: والبركة في زبيد ظاهرة لا شك فيها، وذلك لدعاء رسول الله ﷺ بالبركة، وقد أفردت لزبيد بابًا مستقلًا فيه ذكر ملوكها ووزرائها وأمرائها وأعيانها وهو خاتمة الأبواب، وبتمامه يتم الكتاب، إن شاء الله تعالى.

---

(1) القطيع حي من أحياء صنعاء (تاريخ صنعاء) للرازي: 634.

(2) أمير من آل الضحاك رؤساء قبيلة همدان دخل صنعاء سنة 381هـ (تاريخ صنعاء): 521 وسيأتي ذكره.

(3) سقط من (و).

(4) الإكليل 8: 118 و(معجم البلدان) لياقوت 4: 437.

(5) في الإكليل (مرا معين).

(6) انظره في مصنف عبد الرزاق 11: 54 و(نثر الدر المكنون): 62.

(7) دلائل النبوة للبيهقي 6: 298.

الفصل الثاني

في ذكر إسلام أهل اليمن وذكر عمال رسول الله ﷺ

قال علي بن الحسن الخزرجي عفا الله عنه: أجمع العلماء قاطبةً على أن كافة أهل اليمن أسلموا على عهد رسول الله ﷺ، وقد تقدم في صدر كتابنا هذا، أن[1] رسول الله ﷺ بعث رسله إلى النواحي في سنة سبع من الهجرة، فبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن يومئذ، يدعوه وقومه إلى الإسلام، فأسلم وأسلموا.

وقيل: بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن وبر بن يحنس الخزاعي - ويقال[2]: الأنصاري - بعثه إلى صنعاء، وذلك بعد موت باذان، فأنزله داذويه في كنيسة صنعاء التي عند امرأته أم سعيد البزرجية، فقرأ عليها وبر بن يحنس القرآن فأسلمت وحسن إسلامها، وكانت أول من أسلم من أهل اليمن باليمن، وتعلمت القرآن وصَلَّت في منزلها. ثم فشا الإسلام في اليمن، فهاجر فروة بن مسيك المرادي إلى رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كندة ومباعدًا لهم، فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد ومذحج وزبيد كلها، فقال لرسول ﷺ: إني امرؤ شريف وإني في بيت من قومي وعددهم[3]، أفأقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل؟ قال: نعم. فخرج فروة من المدينة يريد اليمن حتى إذا سار يومًا وليلة نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأمره ونهاه، فسأل رسول الله ﷺ عن فروة فقيل له: إنه قد سار إلى بلاده، فبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في طلبه، فلما لحقه قال: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك، فقال فروة: أنا عائذ بالله من غضبه، وغضب رسول الله ﷺ، ورجع مع عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «لا سخط عليك إنك أتيتني وزعمت أنك شريف في قومك، وأنك[4] شريف قومك وسألتني

(1) (تاريخ صنعاء) للرازي: 80 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 17 (تحقيقنا) و(تاريخ الطبري) 3: 331.

(2) (تاريخ صنعاء): 80 و(تاريخ الطبري) 3: 134.

(3) عبارة ابن جرير في (تاريخ صنعاء): (إني امرؤ شريف في قومي وعددهم كثير).

(4) في الأصل (وأنا في بيت قومك) أصلحناه من (تاريخ صنعاء) للرازي: 18.

أن تقاتل بإجابة من معك من أدبر من قومك فأتاني جبريل فأمرني ونهاني، فكان فيما أمرني بالراحة[1] بأولاد [سبأ][2] واللطف بهم، والتحنن عليهم، وأعلمني أنه يحسن إسلامهم، فادع القوم، فمن أسلم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل عليه[3]، حتى أرسل إليك».

وهاجر إلى رسول الله ﷺ الأشعث[4] بن قيس الكِنْدي في ثمانين راكبًا من كندة، ومن زُبَيْد عمرو بن معدي كرب الزبيدي في عدة من قومه، فأقام هو والأشعث بن قيس مسلمين حياة رسول الله ﷺ، ثم ارتدا بعد موته، ثم أسلما في أيام أبي بكر، وشهدا المشاهد في أيامه، وتَزَوَّج الأشعث بن قيس أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق، وأولم على عرسها وليمته المشهورة[5]، وهاجر[6] إلى رسول الله ﷺ [الأبيض بن حمال وهو جَدّ بني الكر ندي[7] من ملوك المعافر فأقطعه رسول الله ﷺ[8]] ملح مارب. فقال الأقرع بن حابس التميمي: يا رسول الله إني قد وردت هذا الملح في الجاهلية، وإنه مثل الماء العذب من ورده أخذه. فاستقال النبي ﷺ من الأبيض بن حمال. فقال: قد أقلتك يا رسول الله ﷺ على أن تجعله مني صدقةً، فقال: هو منك صدقة.

وهاجر إلى رسول الله ﷺ الأشعريون من اليمن من وادي زبيد ووادي رمع، فيهم أبو موسى الأشعري وأخوه أبو بردة وأبو رهم، واثنان وخمسون رجلًا من قومهم، فلقوا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فقسم لهم ولم يقسم لأحد ممن لم يشهد الفتح غيرهم، وقال

---

(1) في هامش (ع) بالرافة بمراد وكذا في (تاريخ صنعاء) للرازي: 18.

(2) سقط من (ع).

(3) عبارة (تاريخ صنعاء) (فمن أسلم فأقبل منه ومن كفر فقاتله).

(4) نثر الدر المكنون: 128.

(5) قصة وليمة الأشعث المذكور: أنه لما ارتد جيء به إلى أبي بكر فأسلم وأطلق سراحه وزوجه بأخته فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى ناقة ولا جملا إلا عرقبه وصاح الناس كفر الأشعث ثم طرح سيفه وقال: والله ما كفرت ولكن هذا الرَّجل زَوَّجني ولو كُنَّا في بلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه: يا أهل المدينة انحروا وكلوا ويا أهل الإبل تعالوا وخذوا شرواها.

(6) في (ع) وقد.

(7) في (ع) الكريدي بالياء المثناة من تحت. وبنو الكرندي سيأتي ذكرهم.

(8) ما بين المعقوفتين ساقط من (و) وانظر (تاريخ الطبري) 3: 139.

لهم رسول الله ﷺ: «من أين جئتم؟ قالوا: من زبيد، فقال: بارك الله في زبيد»، فلما فشا[1] الإسلام باليمن بعث رسول الله ﷺ عماله، وهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وخالد بن الوليد المخزومي، وزياد بن لبيد الأنصاري، وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر[2] بن أبي هالة، ويعلى[3] بن أمية، وعمرو[4] بن حزم، وعكاشة[5] بن ثور، ومعاوية[6] بن كندة، وجرير[7] بن عبد الله البجلي، وعامر[8] بن شهر، وشهر[9] بن باذام.

قال البخاري[10]: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ومع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة: بريدة الأسلمي والبراء بن عازب، فوصل علي بن أبي طالب إلى صنعاء، ثم عاد بالهدايا فوافى رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

وروي: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما تجاوز أرض عك في تهامة وأن قبائل عك قاتلوه في حد بلادهم من ذؤال وعقروا بغلته، فلذلك سمي الموضع المعقر[11]، ثم إنه هزمهم وقتل منهم طائفة وأسر آخرين، وكان في جملة من أسر زهير بن محمد بن مالك بن ذؤال، ثم أسلموا وحسن إسلامهم، وزهير[12] بن محمد المذكور في الأسارى هو جَدّ الزهيريين أصحاب محَلّ دلهام، وقد قيل: إن عليا رضي الله عنه دخل عدن أبين وخطب على منبرها خطبةً بليغةً.

(1) انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير19 و(كنز الأخيار): 27 و(السلوك) 1: 163.

(2) لم يذكر في كتب التاريخ اليمني وذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب): 368 نقلا عن سيف بن عمر بعثه رسول الله ﷺ مع أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وعكاشة ابن ثور.

(3) (السلوك) 1: 111 وانظر (أسد الغابة) 5: 128.

(4) أسد الغابة4: 98.

(5) الإستيعاب: 368.

(6) (غاية الأماني): 72.

(7) (السلوك) 1: 188.

(8) أسد الغابة3: 83.

(9) (السلوك) 1: 97 وفيه شهر بن باذان.

(10) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه قبل حجة الوداع بسنة الحديث رقم4092.

(11) في (السلوك) 1: 233 المعقر قرية على وادي ذؤال: أحدثها الحسين بن سلامة فيكون المذكور اختط هذه المدينة في الموضع المسمى المعقر (ياقوت معجم البلدان) 5: 157.

(12) من ولد عبد الله بن عك انظر (التعريف بالأنساب) للاشعري: 44.

وفي كتاب (الميمون)[1]: أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فأقام فيهم ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا، ثم أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما دنا منهم خرجوا إليه فصَلَّى بمن معه، ثم صَفَّهُم صفًّا واحدًا، وتقدم بين أيديهم، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت هَمْدان جميعًا. فكتب علي إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامهم، فلما قرأ النبي ﷺ الكتاب خَرَّ ساجدًا، ثم رفع رأسه ﷺ فقال عليه السلام: «السلام على همدان[2]».

وروي: أنه بعثه إلى نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

وروى البيهقي في (دلائل النبوة[3]) عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟ قال: فضرب بيده على صدري، وقال: «اللهم أهد قلبه، وثبت لسانه. فوالذي فلق الحبة ما شككت بقضاء بين اثنين».

قال ابن هشام[4]: وقدم وَفْد هَمْدان على رسول الله ﷺ، فيهم مالك بن نمط الهمداني وأبو ثور وهو ذو المشعار[5]، ومالك بن أيفع، وضمام بن مالك الهمداني السلماني، وعميرة بن مالك الحارثي[6]، فلقوا رسول الله ﷺ بمرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية برحال الميس على المهرية والأرحبية، ومالك بن نمط وآخر يرتجز بهم، يقول أحدهما[7]: [من مشطور الرجز]

همدان خير سُوْقَةٍ وأقيال   ليس لها في العالمين أمثال

(1) كتاب ينسب لمحمد بن إسماعيل بن أبي الصيف المتوفى سنة: 609هـ انظر (مصادر الفكر الإسلامي): 54.

(2) فتح الباري (الحديث رقم4092) قال: وأورده الإسماعيلي عن طريق أبي عبيده بن مسفر بزيادة لا توجد في البخاري.

(3) دلائل النبوة للبيهقي5: 494).

(4) سيرة ابن هشام2: 596 ط مؤسسة علوم القرآن.

(5) بيض له في (ع) وفي (و) الأسعار والإصلاح من سيرة ابن هشام.

(6) في السيرة لابن هشام (الخارفي).

(7) سيرة ابن هشام2: 597.

محلها الهضب وفيها الأبطال لها أطابات بها وآكال[1]

ويقول الآخر[2]:

إليك جاوزن سواد الريف في هَبَوَات الصَّيف والخريف

مُخَطَّمات بِحِبَال الِّليف

فقام مالك بن نمط بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله نصية من هَمْدان من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواج متصلة بحبال الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم [من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا الآلهات الأنصاب عهدهم لا ينقص ما أقلعت لعلع وما جرى من اليعفوربصلع][3]، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فيه: [بسم الله الرحمان الرحيم هذا من رسول الله محمد][4] لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل، مع وفد[5] ذي المشعار مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه: على أن لهم فراعها ووهاطها ما أقامواالصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها، ويرعون عافيها، لهم بذلك عهد الله وذمام رسول الله ﷺ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار، وأما معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري فاختلفت الروايات عنهما، فقيل: بعث إلى اليمن أولًا أبو موسى الأشعري، ثم معاذ. وقيل: بعث معاذًا، وقال لهما رسول الله ﷺ[6]: «ادعوا الناس وبَشِّرا ولا تنفِّرا، ويَسِّرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا»، وبعث كل واحد منهما على مخلاف من اليمن، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله»، ولا يبعث رسول الله ﷺ للقضاء إلا عالمًا به، وكان معاذ بن جبل من أفقه أصحاب رسول الله ﷺ، وهو معدود في

(1) في الأصل: أطات لها والرحال وأثبتناه من سيرة ابن هشام.

(2) انظر سيرة ابن هشام2: 597.

(3) مابين المعقوفتين زيادة من سيرة ابن هشام.

(4) سقط من (و) وأثبتاه من (ع) وسيرة ابن هشام.

(5) السيرة: وافدها.

(6) صحيح البخاري (باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن) 3996.

أكابر الصحابة ﷺ، وقال فيه رسول الله ﷺ[1]: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»، ولما خطب عمر بالجابية قال: من أراد الفقه فليأت معاذًا. وكان الصحابة إذا تحدثوا، وهو فيهم، نظروا إليه هيبةً له.

ويروى: أنه كان يومًا جالسًا عند عمر بن الخطاب ﷺ في جماعة من الصحابة، إذ رفع رجل امرأته إلى عمر، فقال[2]: يا أمير المؤمنين غبت عن زوجتي هذه سنتين وهي خاتم، ثم جئت وهي حامل، فاستشارعمر في رجمها، فقال له معاذ: إن كان ذلك عليها فما لك على ما في بطنها من سبيل، دعها حتى تضع فلما وضعت بعد أيام عرف زوجها شبه الولد، فقال: ابني، ورَبُّ الكعبة. فقال عمر ﷺ حينئذ: عجز النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

وروى البيهقي في (دلائل النبوة)[3]: عن عاصم بن حميد السكوني: أن معاذ بن جبل لما بعثه رسول الله ﷺ خرج راكبًا ورسول الله ﷺ يمشي إلى جَنْب راحلته.

وروي[4] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه الكريم صلوات الله عليه وسلامه، وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من يغترب[5] منكم إلى اليمن؟ فقام أبو بكر الصديق ﷺ فقال: أنا لها يا رسول الله، فداك أبي وأمي، ثم عاد الثانية، فقال: أنا لها يا رسول الله فداك أبي وأمي، ثم عاد الثالثة، فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار من يغترب منكم إلى اليمن؟» فقام معاذ بن جبل الأنصاري فقال: أنا لها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنت لها، وهي لك»، ثم التفت فقال: يا بلال ائتني بعمامة فوضعها على رأس معاذ بيده، ثم أقبل على معاذ يوصيه، فقال له: يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وأداء الأمانة، وتوقِّي الخيانة، وعليك بحسن الخلق، يا معاذ، جالس المساكين والفقراء، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزَّوْج الصالح. يا معاذ، علِّم الجاهل الخير وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، ولا تأخذك في الله لومة لائم. يا معاذ، يَسِّر ولا تُعَسِّر،

(1) عن أنس بن مالك (سنن الترمذي) 5: 330.
(2) السنن الكبرى للبيهقي 7: 739 (1558).
(3) دلائل النبوة (الحديث: 2151).
(4) الثقات لابن حيان 2: 109.
(5) الثقات (ينتدب).

فإني أعلم أنك لا تلقاني إلى يوم القيامة. فبكى معاذ بكاءً شديدًا، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي لفراقك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي. فقال: لا تبكِ، فإن في البكاء فتنة».

وقيل(1): إن رسول الله ﷺ كتب له كتابًا إلى ملوك حِمْير وإلى السكاسك، وهم أهل مخلاف اليمن، وكانت رئاستهم إلى قوم منهم، يقال لهم: بنو الأسود وأمرهم بإعانته على بناء المسجد(2)، ووعد من أعانه على ذلك خيرًا.

ثم قال: «يا معاذ، إذا قدمت عليهم فَزَيِّن الإسلام بعدلك، وحلمك، وصفحك، وعفوك، وحسن خلقك، فإن النَّاس ناظرون إليك وقائلون: خيرة رسول الله ﷺ، فلا ترى(3) لك سقطة يستريب بها أحد في حلمك وعدلك وعلمك، وإن الرسل من المرسلين. يا معاذ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة الضعيف، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، ولين الكلام، وبذل السلام، ولزوم الإمام، والتَّفقه بالقرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل. وأنهاك أن تشتم مسلمًا، أوتصدِّق كاذبًا، أوتعصي إمامًا عادلًا، وأن تفسد في الأرض. يا معاذ، اذكر الله عند كل شَجَر وحَجَر، وأحدث لكل ذَنْب توبةً، السر بالسر والعلانية بالعلانية، ويَسّر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر، وستقدم على قوم أهل كتاب، يسألونك عن مفاتيح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، وسار معاذ حتى قدم صنعاء، فَصَعَد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، وصَلَّى على النبي ﷺ، فلما فرغ من خطبته أتاه أهل صنعاء، فقالوا: يا معاذ، هذا منزلك قد فَرَّغناه لك، أوهذا منزلك قد هيأناه - [فانزل بين أظهرنا](4)، فبكى معاذ بكاءً شديدًا، ثم قال: يا أهل صنعاء ليس بهذا أمرني رسول الله ﷺ، إنما أوصاني: أن أجالس الفقراء والمساكين، فأقام على ولايته لا يرزؤهم شيئًا، إنما يعمل على راحلته ويأكل من كسبها.

ثم تَوَجَّه نحو الجَنَد فقدمها في جمادى الأخرى، وأوصل كتاب رسول الله ﷺ إلى بني الأسود(5)، وقد كانوا أسلموا، ثم إنهم اجتمعوا في أول جمعة من رجب يعظهم معاذ، وفيهم

(1) (السلوك) 1: 18.

(2) في (ع) مسجد الجند.

(3) في (ع) فلا بد لك سقطه.

(4) زيادة من (و).

(5) في (ع) الأسنود.

جمع من اليهود، فسألوه عن مفاتيح الجنة؟ فقال: صدق رسول الله ﷺ مفاتيحها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقالوا له: عجبًا من إصابتك الجواب، وقولك صدق رسول الله فقال لهم: إن رسول الله ﷺ أخبرني عن سؤالكم هذا. فأسلموا عن آخرهم، وكان ذلك في محفل عظيم قد اجتمع فيه الناس من جهات شتى[1].

ومن ذلك اليوم أَلِف الناس إتيان مسجد الجَنَد في أول جمعة من رجب، ويصلون فيه الصلاة المشهورة[2].

وروى البخاري[3] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا من أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أَنَّ الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وروى البخاري[4] عن عمرو بن ميمون الأودي: أن معاذًا لَمَّا قدم اليمن صَلَّى بهم يومًا صلاة الصبح، فقرأ سورة النساء، فلما قال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125] قال رجل من خلفه: قرت عين أم إبراهيم.

وبعث[5] رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر - أو جمادى الأولى - من سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بِنَجْران يدعوهم إلى الإسلام، وأمره: ألا يقاتلهم ثلاثًا فإن استجابوا وإلاَّ قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الرّكبان يَضْربون في كل وجه يدعون إلى الإسلام، ويقولون: يا أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلموا ودخلوا فيما دعوهم إليه، فأقام فيهم يعلمهم الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتابًا يخبره فيه بإسلامهم من غير

(1) (السلوك) 1: 82.

(2) يعني بها الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب تقام في أول ليلة من جمعة رجب بين صلاتي المغرب والعشاء. وقد أنكرها جماعة من العلماء (كشف الظنون 2: 1081).

(3) البخاري (كتاب المغازي) (باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (الحديث 4.25) وانظر (طبقات فقهاء اليمن) لابن سمرة: 23.

(4) البخاري الحديث 3996 و(السلوك) 1: 83.

(5) سيرة ابن هشام 2: 592 ط مؤسسة علوم القرآن.

قتال، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «أن أقبل وليقبل وفدهم معك»، فوفدوا[1] على رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد، وفيهم [قيس][2] ابن الحصين ذي الغُصَّة، ويزيد بن عبد المدان وعدة من أعيانهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فقال: «من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند؟». قيل: يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب، فلما وقفوا بين يدي رسول الله ﷺ سلموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأن لا إله إلا الله. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم الذين إذا زجروا استقدموا؟» فلم يجبه أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يجبه أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يجبه أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرَّات، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»، فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك[3] ولا حمدنا خالدًا. قال: «فمن حمدتم؟» قال: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: «صدقتم»، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نغلب أحدًا. قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم»، قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحدًا بظلم. قال: «صدقتم»، فَأَمَّرَ رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب[4] قيس بن الحصين، ورجع وفدهم إلى قومهم في شوال من سنة عشر، والله أعلم.

وعن محمد بن إسحاق قال: قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير مَقْدمه من تبوك، وهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، وبعث إليه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله ﷺ[5]: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، **أما بعد ذلكم**: فإني

(1) سيرة ابن هشام 2: 593.

(2) زيادة من سيرة ابن هشام.

(3) كذا في (سيرة ابن هشام) وفيه سوء أدب مع رسول الله ﷺ.

(4) زيادة من (سيرة ابن هشام).

(5) انظر (الحديث والمحدثون في اليمن) لعبد الله بجاش الحميري 3: 1919 نقلا عن (تاريخ اليعقوبي) 2: 52.

أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة، فَبَلَّغَ ما أرسلتم به، وخَبَّر بما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه، فإن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبي من صفيه، وما كتب على المسلمين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وأن في الإبل: الأربعون لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو له، ومن أَدَّى ذلك وأشهد على ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله [وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المومنين له مالهم وعليه ما عليهم][1]، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجِزْيَة، على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافر[2] أو عوضه ثيابًا، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله، فإن منعها فإنه عدو لله ولرسوله[3].

كتاب رسول الله ﷺ لزرعة ذي يزن:

أما بعد فإني رسول الله محمد النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن: إذا أتاكم رسلي فأوصيكم فيهم خيرًا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك [بن مره][4] وأصحابهم. وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة [والجزية][5] من مخاليفكم وأبلغوها رسلي، وإن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلاَّ راضيًا، أما بعد: فإن محمد يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني: أنك أسلمت من أول حِمْيَر، وقتلت[6]

(1) زيادة في الحديث والمحدثون: 1919.

(2) سيرة ابن هشام 4: 174.

(3) انظر الحديث والمحدثون 3: 192.

(4) زيادة من الحديث والمحدثون وانظر (سيرة ابن هشام) 4: 175.

(5) زيادة من الحديث والمحدثون.

(6) الحديث والمحدثون: (فارقت).

المشركين فأبشر، وآمرك بحمير خيرًا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإن رسول الله ﷺ هو مولى غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ﷺ ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكًا قد بَلَّغ الخبر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيرًا، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي، وذوي دينهم، وأولي علمهم، وآمركم بهم خيرًا، فإنه منظور إليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وروى(1) سيف عن شهاب(2) بن يوسف، عن زياد بن لبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري، وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع عُمَّال اليمن بعدما حَجَّ حجَّة الوداع قال: فَرَّق رسول الله ﷺ عُمَّاله بعدما حج حجة الوداع بين شهر بن باذام، وعامر بن شهر، وأبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي هالة، ويعلى بن أمية، وعمر بن حزم وعلى حضرموت، زياد بن لبيد الأنصاري البياضي، وعكاشة بن ثور على السكاسك [والسكون](3)، ومعه معاوية بن كندة. وعَهِد رسول الله ﷺ عهودًا جامعةً لمعاني الشريعة من الصَّلَاة والزكاة والحج والصِّيَام، وسائر الأحكام من الحلال والحرام والخاص والعام.

وروى سيف بإسناده عن أبي بردة، عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ خامس خمسة على أصناف اليمن.

وروى(4) سيف عن عبادة الليثي: أن النبي ﷺ أفرد كل رجل بِحَيِّز(5)، ففرق عمالة حضرموت بين ثلاثة، وعلى نجران عمر بن حزم، وعلى ما بين نجران ورِمَع وزَبيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى هَمْدان عامر بن شهر، وعلى صنعاء [شهر](6) بن باذام، وعلى عَكٍّ والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى مارب أبو موسى الأشعري، وعلى الجَنَدِ يعلى بن أمية.

---

(1) طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة: 21 (7).

(2) طبقات ابن سمرة: سهل بن يوسف، زيادة من طبقات ابن سمرة.

(3) زيادة من (طبقات ابن سمرة).

(4) طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة: 23.

(5) مطبوعة الطبقات (بحيرة).

(6) زيادة لا توجد في طبقات ابن سمرة.

قال[1]: ولا خلاف أن باني مسجد الجَنَد معاذ بن جبل، واختلفوا فيمن بنى مسجد صنعاء، فقيل: أبان بن سعيد بن العاص، وقيل: وبر بن يحنّس الخزاعي، وهو ممن بعثه رسول الله ﷺ وكتب إليه[2]: «أن تبني الحائط الذي لباذان مسجدًا، وتجعله من الصخرة إلى موضع جداره، واستقبل بقبلته جبل ضين» وهو جبل مؤمل[3]، وكان موضع المسجد بستان لباذان.

ولما ظهر الأسود العنسي باليمن وادَّعَى النبوة، تابعه طائفة واستفحل أمره واستطار، فكتب عمال اليمن إلى رسول الله ﷺ بخبره، فأمرهم بمحاربته ومحاربة من معه، فحاربوه، فأعزَّ الله الإسلام بقتله، وكان بين ظهوره وقتله نحوًا من أربعة أشهر، هكذا ذكر ابن سمرة في (طبقاته)[4]، وكان الذي قتله فيروز الديلمي، **وقيل**: قيس بن المكشوح المرادي، والله أعلم.

---

(1) طبقات ابن سمرة: 26.

(2) طبقات الفقهاء لابن سمرة: 26.

(3) طبقات ابن سمرة (مرمل).

(4) انظر (طبقات فقهاء اليمن) لابن سمرة: 25.

الفصل الثالث

في ذكر عمال اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ

قال علماء السير، رحمهم الله تعالى[1]: لما توفي رسول الله ﷺ ارتد بعض أهل حضرموت وقوم من أهل صَنْعاء، وطائفة من أهل تهامة، وكان عُمَّال رسول الله ﷺ على اليمن يومئذ [ثلاثة][2]: أبان بن سعيد بن العاص على صنعاء وأعمالها، ومعاذ بن جبل الأنصاري على الجَنَدِ ومخاليفها، وزياد بن لبيد البياضي[3] على حَضْرموت وأعمالها، وقيل: استعمل رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي على كِنْدَة بحضرموت، فمرض في المدينة فلم يطق الذَّهاب إلى حضرموت، فكتب رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد ليقوم على عمل المهاجر. فلما توفي رسول الله ﷺ أقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه على عمله، وأمره أن يقاتل المرتدة في سائر اليمن مع بقاء عمَّال رسول الله ﷺ.

فسار المهاجر إلى اليمن وسار معه عبد الرحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البجلي، فلما سار[4] إلى نجران انضم إليه فروة بن مسيك المرادي فيمن معه من مراد، فقَسَّم المهاجر خيله فرقتين، فترك عنده فرقةً وأرسل أخاه عبد الله بن أبي أمية في الفرقة الأخرى إلى من ارتد من عك بتهامة.

ولما دخل المهاجر بن أبي أمية صنعاء كَتَبَ معاذ إلى أبي بكر يستأذنه في القفول، وكذا سائر العمال. فكتب إليهم أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ بعثكم لما بعثكم له من أمره، فمن كان منكم أنفذ ما أمره به رسول الله ﷺ وأحب أن يرجع فليرجع ويستخلف على عمله من أحب، ومن أحب منكم أن يقيم فليقم، فاستخلف معاذ على عمله عبد الله بن أبي ربيعة

---

(1) كنز الأخيار: 27.

(2) زيادة من (ع).

(3) في (ع) الشامي.

(4) في (ع) وصل.

المخزومي والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر، واستخلف أبان بن سعيد بن العاص على عمله يعلى بن أمية التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف. فأمر أبو بكر ﵁ ابن أبي ربيعة المخزومي عَلَى الجَنَد ومخاليفه، وأقر يعلى بن أمية على صنعاء ومخاليفها.

ولما قدم المهاجر حضرموت وحارب المرتدة أسر الأشعث بن قيس الكندي على رِدَّته، وبعث به إلى أبي بكر، فلما وصل المدينة أسلم فأطلقه أبو بكر وزَوَّجه أم فروة بنت أبي قحافة، فأولم الأشعث وليمته[1] المشهورة يوم تزويجها.

ويروى أن أبا بكر[2] بعث عليا إلى أرض عك من تهامة وإلى المصانع وحضور وجبل الورس، وأن عليًا قاتل عكًا في حدود بلادهم وهَزَمهم، وقتل منهم وأسر، بعد أن عقروا بغلته في الموضع الذي يسمى المعقر.

وحكى صاحب (نزهة الأبصار)[3] ما حكاه الشريف إدريس بن علي بن عبد الله في كتابه (كنز الأخيار)[4] قال: توفي رسول الله ﷺ وعامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى بلاد عك من تهامة الطاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي، وعلى نجران عمرو بن حزم الأنصاري وأبو سفيان بن الحارث، وعلى ما بين زَبيد ونجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى صنعاء فيروز الديلمي، وعلى الجَنَدِ يعلى بن أمية، وعلى مأرِب أبو موسى الأشعري، وكان معاذ بن جبل ينتقل إلى عمل كل واحد منهم [يعلّمهم القرآن ويفقهّهم في الدين][5]، وثار الأسود العنسي في [آخر][6] أيام النبي ﷺ فحاربه ﷺ بالكتب والرسائل حتى قتله الله قبل وفاة رسول الله ﷺ بليلة أو ليلتين.

فلما توفي رسول الله ﷺ انتقضت اليمن، كثير من أهلها، فالتجأ عُمَّال رسول الله إلى من بقي من المسلمين باليمن إلاَّ عمرو بن حزم وخالد بن سعيد، فإنهما قدما على أبي بكر،

---

(1) سبق ذكرها.

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 19 و(طبقات ابن سمرة): 37 وسبق ذكر هذه الرواية.

(3) هو الملك الأفضل عباس بن علي الرسولي. (مصادر الفكر الإسلامي): 780.

(4) كنز الأخيار: 27 وانظر (طبقات ابن سمرة): 22.

(5) سقط من (ع).

(6) سقط من (و).

فحارب أبو بكر رضي الله عنه جزيرة اليمن بالكتب والرسائل أيام اشتغاله[1] بمرتدة اليمامة والبحرين وعُمَان وبني تميم وغيرهم[2].

وأمر عتابًا فحارب من ارتد من أهل مكة بمن أقام منهم على الإسلام، وكذلك عثمان بن أبي العاص[3].

وأوقع الطاهر بن أبي هالة بجموع تجمعت من عَكٍّ والأشعريين من تهامة[4].

وبعث أبو بكر جرير بن عبد الله البجلي إلى نجران وأقام بها، وخرج عكرمة بن أبي جهل نَحْو اليمن حتى قدم عدن أبين وعدن، واستبرأ النخع وحمير وأقام بأبين حتى سار المهاجر إلى حضرموت فسار معه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد بعث المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن، فلما قدم نجران أتاه قيس بن المكشوح المرادي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي على غير أمان فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر، فلما قدما على أبي بكر عاتبهما وحَقَن دماءهما واستبقاهما، ورَدَّهما إلى قومهما.

وسار المهاجر يريد صنعاء، فلما دخلها تتبع شُذَّان القبائل المرتَدِّين، وكَتَب إلى أبي بكر يخبره بدخوله صنعاء.

وسار عكرمة بن أبي جهل من أبين فالتقيا بمارب وواجههما كتاب زياد بن لبيد الأنصاري يستحثّهما ويُعْلِمْهُمَا بما كان بينه وبين كندة، فتَعَجَّل المهاجر في سرعان الناس[5]، واستخلف عكرمة على الجيش، فلما قدم المهاجر ومن معه على زياد بن لبيد ومن معه نهضوا جميعًا لكندة، وكان على كندة الأشعث بن قيس الكِنْدي، فانهزمت كندة، فهربوا إلى النّجير، وقد حَصَّنوه من كل جانب، فسار إليهم المهاجر وزياد وعكرمة وحصروهم في النجير. فلما ضَيَّقوا عليهم خرج الأشعث إلى عكرمة بن أبي جهل بأمان، وغدر بقومه، واستأمن لنفسه ولتسعة معه، كتب أسماءهم ونسي نفسه.

---

(1) في (و) استعماله.

(2) في (و) يزيد والإصلاح من (ع).

(3) تاريخ الطبري3: 318.

(4) تاريخ الطبري3: 318.

(5) سرعان الناس: بفتح السين والراء: أوائلهم (المصباح المنير): 274.

وفتح الأشعث الباب فاقتحم المسلمون عليهم فقتلوهم عن آخرهم، ثم نظر المهاجر في الكتاب فلم يجد اسم الأشعث فيه، فهمّ بقتله، ثم إنه أرسل بالسَّبِي والأخماس والأشعث إلى أبي بكر، فلما قدم على أبي بكر لامه وعَنَّفه على رِدَّته، وهَمَّ بقتله، ثم إنه عفا عنه وأطلقه، وزوّجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، ولم يزل الأشعث بالمدينة حتى شهد فتح العراق.

حكاية كنز هود بن عاد:

ومن عجيب ما جرى في أيام أبي بكر ﵁ باليمن أنه حصل مطر عظيم فأبرز عن باب مفتوح فهاب النَّاس فتحه، وظَنُّوا أنه كنز. فكتبوا إلى أبي بكر يعلمونه بذلك، فعاد جوابه إلى عامل البلد: أن لا يترك أحدًا يقرب الموضع حتى يقرب أمناؤه، فَلَمَّا قدم الأمناء فَتَحوا الباب، فإذا هو على مغارة فدخلوها، فإذا فيها سرير عليه رجل مَيّت، وعلى الرّجل سبعون حلةً منسوجة بالذهب، وبيده اليمنى لوح مكتوب فيه[1]: [من الوافر]

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وفي كفه الأيسر خاتم مكتوب فيها: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102]. وعند رأسه مكتوب: [من السريع]

يا لائمي في هجرهم جهلًا بهم ... عذري منقوش على خاتمي

وسيف أشد خضرةً من البقلة، مكتوب عليه: هذا سيف هود بن عاد بن إرم[2].

وكان هذا من أعجب ما جرى باليمن في أيام أبي بكر.

فلما توفي أبو بكر ﵁ واستخلف عمر ﵁ استنفر[3] أهل اليمن [إلى الشام][4] والعراق، وأبقى عُمَّال اليمن على حالهم، لم يُغَيِّر على أحد منهم إلاَّ يعلى بن أمية صاحب صنعاء، فإنه عزله عن صنعاء مرتين.

---

(1) انظر الحكاية في (الجليس الأنيس): 95 و(ربيع الأبرار) 3: 273.

(2) انظر خبر قبر هود بن عاد في (الإكليل) 8: 131.

(3) في (و) استقر.

(4) ساقط من (و).

فأما أول مرة فإن[1] رجلاً من أهل جبل حفاش أتى إلى يعلى بن أمية، وقال له: إن رجلاً قتل ابني. فكتب يَعْلى إلى سعد بن عبد الله، وكان نائبه على جبل حفاش وملحان: أن تحضر إليّ قاتل ولد فلان؟ فقدم [به سعد على يعلى فأحضر يعلى وجوه أهل صنعاء ودفع إلى والد المقتول سيفا وقال له: اقتله وهؤلاء شهود][2] فَضَرَبه بالسَّيف حتى سقط وظَنَّ الرجل ومن حضر معه أنه قد مات، فاحتمله قومه ليدفنوه فوجدوا فيه رَمَقًا فداووه حتى برئ. فبينا هو ذات يوم يرعى غنمًا له إذ مَرَّ به أبو المقتول[3] فعرفه، فذهب إلى يعلى، فقال له: إني قد وجدت قاتل ابني يرعى غنمًا. فكتب يعلى إلى عامله بإشخاصه إليه حيًا، وبه أثر جراحات كثيرة، فأمر يعلى من قَدّر أرشها فبلغت الدِّية، فقال لوالد المقتول: إن شئت أن تقتله وعليك الدية وإلاَّ فدعه. فغضب الرَّجل ولحق بعمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعديًا على يعلى، وأنه حال بينه وبين قاتل ابنه. فغَضِب عمر وبعث المغيرة بن شعبة على صنعاء، وأمره أن يدفع إليه يعلى بن أمية، فأساء المغيرة إلى يَعْلى وأشخصه إلى عمر بوجه غير مستحسن، فلما قَدَم على عمر أخبره، فَشَكَّ[4] عمر فاستفتى عليًا عليه السلام، فقال: لقد قضى بالحق، ورَدَّه عمر إلى عَمَله. فلما قدم صنعاء أحسن إلى المغيرة وجَهَّزه إلى عمر أحسن جهاز، فقال المغيرة: والله إن يعلى خير مني حين عزل، وخير مني حين وُلِّي.

وأقام يعلى على عمله ما شاء الله. ثم إن أخاه عبد الرحمن ابتاع فرسًا من رجل بمائة قلوص[5]، ثم ندم[6] البائع على فَرَسه، فاستقال عبد الرحمن فلم يقله، فلحق الرَّجل بعمر بن الخطاب، وقال: إن يعلى وأخاه غصباني فرسًا. فكتب عمر إلى يعلى: أن أقدم إليّ، فلما قدم عليه قص عليه الصورة، فقال عمر: إن الخيل لتبلغ عندكم هذا الثمن؟ فقال يعلى: نعم. فقال عمر: تأخذ من الأربعين شاةً شاةً، ولا تأخذ من الخيل شيئًا؟ خذ على كل فرس دينارًا، ثم أعاده على عمله.

---

(1) انظر (كنز الأخيار): 926 و(السلوك) 1: 165.

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(3) في (ع) والد.

(4) في (ع) فسكت.

(5) القلوص: من الإبل بمنزلة الجارية الحسناء (المصباح المنير): 513.

(6) في (ع) قدم.

وفي أيام يعلى بن أمية كانت [قصة أصيل][1]، وذلك أَنَّ رجلاً من أهل صنعاء غاب عن امرأة له اسمها زينب[2]، وترك ابنًا له من غيرها يسمَّى أصيل، صبيّ في سِنّ التمييز، وكانت فاسقةً ولها سبعة أخدان، وكانت تضيق من الصَّبي وتخشى أن يفضحهم، فقالت لأخدانها: إن هذا فاضحنا لا محالة، ولست آمنه أن يَفْضحني، ثم حَسَّنت لهم في قتله، ولم تزل بهم حتى دخلوا عليه وهو نائم فخنقوه وحملوه فألقوه في بئر وسط غمدان خلف بئر سام بن نوح ﷺ، ثم إن المرأة أظهرت بعد ذلك فَقْد الصّبي، وجعلت تدورفي شوارع صنعاء وهي راكبةً على حمار، وهي تقول: اللهم لا يخفى عليك من قتل أصيلًا؟! ثم اتصل العلم بيعلى أَنَّ صبيا فقد لا يعلم له خبر، فساءه ذلك وشَقَّ عليه، ثم إنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: انظروا يا أهل صنعاء هل تجدون لهذا الصبي علمًا أو تعلمون له خبرًا أو أثرًا؟ فلم يجبه أحد بشيء، فلما كان بعد أَيَّام مَرَّ رجل من أهل صنعاء بالبئر فوجد لها ريحًا ورأى ذبابًا [أخضر][3] يطلع من البئر ويرجع إليها، فغلب على ظَنَّه أن الغلام فيها، فذهب إلى يَعْلى وقال له: أظنني قد قدرت على طلبة (الغلام)[4] أيها الأمير، ثم أخبره بما وجد في البئر، فبادر يعلى وركب من فوره حتى وَقَف على رأس البئر، ومعه جَمْع كثير من الحفدة[5] وأهل البلد، وفي جملة ذلك الجمع واحد من الخصوم، فلما ازدحم النَّاس على البئر، قال الرَّجل الذي هو من الخصوم: أدلوني إلى البئر أنظر لكم ما فيها، وأكشف الخبر. ورُبِطَ بحبال وأنزل، فلما كان بالقرب من الماء وجد الصبي على الماء فغَيَّبَه في جانب من جوانب البئر، ثم قال: أطلعوني، فإني لم أجد شيئًا [ثم أطلع][6]، فقال: ما وجدت شيئًا، فقال له الناس: إنك لما ضَرَبْت في الماء وحرّكته اشتدت الرائحة وكثر صعود الذباب، فقال رجل آخر: أدلوني مكانه لعليِّ أظفر بشيء، إن شاء الله تعالى. فأدلوه في البئر، فلما نزل أخذت الأول رَعْدة[7] شديدة فاستوثقوا منه، فلما

(1) انظر الخبر في (الاستذكار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) لابن عبد البر 25: 232 و(تاريخ صنعاء) للرازي: 158 و(السلوك) 1: 166.

(2) الاستذكار «ربيب».

(3) سقط من (و).

(4) سقط من (ع).

(5) حفدة: أعوان.

(6) زيادة من (ع).

(7) في (ع) رغبة.

نزل الثاني وصار على الماء تحرك الماء فظهرت الرائحة واشتدت، وإذا بالصَّبي في جانب البئر، وعليه أثر التقليب، فشَدَّه بالحبل فطلع أولًا، ثم أطلع الصبي الهالك، فلما طلع الصبي ورآه الرجل الأول اشتدت رَعْدته، فشدد عليه يعلى واستقرَّه فأقر واعترف أنه قتله سابع سبعة، وأن سبب ذلك زوجة أبيه، فطلبوا جميعًا وسجنوا وجعلت المرأة بمعزل عنهم، وكتب يعلى إلى عمر يسأله الحكم فاستحضر فقهاء الصحابة وعرض عليهم كتاب يَعْلى واستشارهم، وقال: أرى أن يقتلوا جميعًا الرجال والمرأة، غير أني أردت أَلَّا ينفذ ذلك إلا بعد مشورة منكم، فاستصوبوا رأيه، فكتب إلى يعلى بقتلهم جميعًا[1].

. ثم إن نفرًا من موالي يعلى وقعوا على رجل فضَرَبوه، فلحق بعمر، فقال له: يا أمير المؤمنين: إن موالي يَعْلى ضربوني حتى! قال عمر: حتى مه؟ قال: حتى أحدثت. فكتب عمر إلى يعلى أن يأتيه ماشيًا، فخرج يعلى ماشيًا على قدميه حتى إذا صار على مراحل لقيه الخبر بموت عمر واستخلاف عثمان بعده، وإقراره له على عَمَله، وعاد يعلى راكبًا فرحًا مسرورًا، [وتلقاه أهل بيته ومواليه بالدبادب[2] والمعازف]، فلم يزل على عمله في صنعاء إلى أن توفي عثمان، [وكذلك ابن أبي ربيعة[3] لم يزل على الجَنَد إلى أن توفي عثمان][4].

ثم استخلف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فلما ولي الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل[5] على اليمن عبيد الله بن العباس على صَنْعاء وأعمالها، وعلى الجَنَد سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري، فأقام ابن عباس بصنعاء أربعين شهرًا، ولما علم يعلى بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة بقدوم عبيد الله بن العباس و[سعيد بن سعد][6]، سارا نحو الحجاز على خوف ووجل، فلحقا بمكة ولم يعرض لهما.

(1) كنز الأخيار: 29 (السلوك): 167 كلاهما نقلا الخبر عن ابن جرير في (تاريخ صنعاء) وانظر (فتح الباري) 14: 17.

(2) الدبادب: مفرده الدباب: الطبل.

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (ع).

(5) في (ع) استخلف.

(6) زيادة في (و) وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 23.

وكان يعلى قد جمع أموالًا عظيمة تخرج عن حَدِّ الحصر، فلما وصل إلى مكة لقي بها طلحة والزُّبير وعائشة، وقد عزموا على الخلاف على علي بن أبي طالب ﵁ والمسير إلى البصرة، فأعانهم يعلى على جهازهم - فيما ذكر ابن عبد المجيد في كتابه (بهجة الزمن في أخبار اليمن)[1] - بست مئة ألف درهم وست مئة بعير، منها جمل عائشة الذي ينسب إليه يوم الجمل، وكان اسمه عسكرًا. ولم يزل عبيد الله بن العباس على صنعاء اليمن يحج بالناس إلى آخر أيام علي، ثم إن معاوية بن أبي سفيان سَيَّر جيشًا إلى اليمن، وأمَّر عليهم بسر بن أرطاة العامري - وقيل: اسمه بسر[2] بضم الموحدة وسكون المهملة - وأمره أن يقتل شيعة علي بن أبي طالب، فلما بلغ المدينة دخلها وقتل بها جماعة وهدم دورًا، ثم أتى مكة فقتل من ولد أبي لهب وكذلك فعل بالسّراة وبنجران، فلما صار قريبًا من صنعاء، وعلم به عبيد الله بن العباس جمع أهل صنعاء وخطبهم وحضهم على القتال، فقال له فيروز الديلمي: ما عندنا قتال فاحترز في نفسك. فلما أيس من نصرهم استخلف عمرو بن أراكة الثقفي على عمله وسار يريد عليًا ﵁ وترك ولدين صغيرين عند أم سعيد البرزجية التي تقدم ذكرها.

فلما قدم بسر صنعاء - وقد خرج عنها ابن عباس كما ذكرنا - انحازت منه هَمْدان إلى جبل شبام، فاستدعى بالوليدين الصَّغيرين، فأمر بقتلهما فقتلا. وقيل: ذبحهما بيده، وكان اسم الكبير حسنًا والصغير حسينًا، وقيل: عبد الرحمن وقثم، وكان عُمْر الكبير ثماني سنين. ثم قَتَل عمرو بن أراكة الثقفي الذي استخلفه عبيد الله بن العباس على صنعاء، وقتل من الأبناء اثنين وسبعين رجلًا كانوا قد شفعوا بالولدين الصَّغيرين[3]. فدفن الولدان حيث قتلا، وبني عليهما مسجد، وهو معروف هنالك بمسجد الشهيدين،[4] مشهور الفضل والبركة.

وكان بسر بن أرطاة أول جبار دخل اليمن وعسف أهله، واستَحَّل الحرام، وعاث في البلاد حتى دخل عدن، ولما بلغ عليًا، ﵁، دخول بسر اليمن جَهَّز ألفي فارس من الكوفة، ومثلها من البصرة، وجعل على الجميع حارثة بن قدامة السَّعدي، وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر

---

(1) بهجة الزمن: 21 نقلا عن (كنز الأخيار): 229.

(2) الأعلام 2: 51 وفيه الإختلاف في صحبته.

(3) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 25: ثم قَدَّم اثنين وسبعين شيخا من أبناء فارس فذبحهم على باب المصرع لدخولهم في طاعة عبيد الله بن العباس.

(4) من المساجد العامرة في الغرب الشمالي من سوق صنعاء (مساجد صنعاء) للحجري: 59.

حيث كان، ومطالبته بما أحدث في اليمن من قتل وفساد، فلما دخل حارثة اليمن هَرَب بسر وتفرق أصحابه، وكان قد وافق بسرًا جماعة من أهل اليمن وغيرهم على رأيه وفعله، فلزمهم حارثة ونكَّل بهم، وقتل منهم من استحق القتل، ثم عاد إلى مكة، فلما دخلها بلغه موت علي، فأخذ حارثة بن قدامة البيعة على أصحابه وعلى أهل مكة ولمن بايع له أصحاب علي، وكان أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان تحت يد علي يستخلف عليهم من شاء من صالحي أصحابه، رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الرابع

في ذكر عُمَّال بني أمية على اليمن[1]

قال علماء السيرة والتواريخ[2]: لما توفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كَرَّم الله وجهه، وصار الأمر بعده إلى معاوية بن أبي سفيان، استعمل على اليمن عثمان[3] بن عفان الثقفي فأقام به مدة، ثم عزله بأخيه عتبة[4] بن أبي سفيان، وجَمَع له ولاية المخلافين: صنعاء والجَنَدِ، فأقام في الجند سنتين، وقال الشريف إدريس[5]: ثلاث سنين، ثم لحق بأخيه معاوية، واستخلف على اليمن فيروز[6] الديلمي، فأقام ثمان سنين، وفي مدته توفي عتبة بن أبي سفيان، واستعمل معاوية مكانه النعمان[7] بن بشير الأنصاري، فأقام في اليمن سنة، ثم عزله ببشير[8] بن سعيد الأعرج، فيما قاله الجندي[9]

وقال الشريف إدريس[10]: عزله واستعمل سعيد بن داذويه الفارسي، فأقام تسعة أشهر ومات عقيبها، فاستعمل معاوية على اليمن الضَّحاك بن فيروز الديلمي، فلم يزل على اليمن إلى أن توفي معاوية.

وقال الجندي[11]: كان واليًا على صنعاء ولم أعلم من كان نائبه على الجَنَدِ، والله أعلم.

---

(1) في (ع) في اليمن الميمون.

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: و(كنز الأخيار): 31 و(السلوك) 1: 174.

(3) أسد الغابة 3: 375 و(الإصابة) 2: 462.

(4) الأعلام 4: 200.

(5) كنز الأخبار: 30.

(6) الأبْناوي من أبناء الفرس في اليمن (تاريخ صنعاء) للرازي: 295 والإصابة: 3: 210.

(7) أول مولود في الإسلام (طبقات ابن سعد) 6: 153 (أسد الغابة) 5: 22 (سير الأعلام النبلاء) 3: 411 الإصابة 3: 559.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 27.

(9) (السلوك) للجندي1: 175.

(10) كنز الأخبار: 31.

(11) (السلوك) 1: 175.

ولما توفي معاوية، وكانت وفاته في رجب من سنة ستين للهجرة، وقد تقدم ذكر ذلك في صدر الكتاب[1]، وكان معاوية قد ألزم[2] الناس للبيعة ليزيد طوعًا وكرهًا فاستولى يزيد على الخلافة.

ولما ولي يزيد بن معاوية استعمل على اليمن بحير بن ريشان[3] الحميري على المخلافين معًا، وكان أوحد كرام الولاة، وكانت ولايته ضمانًا بمال معلوم يحمله في كل سنة، فكان يبعث في كل سنة [يحمل][4] بالمال وسبعين رأسًا من الرقيق ما بين وصيف ووصيفة، وكان متجبرًا عاتيًا، جوادًا متلافًا، وكان يأنف أن يسأل شيئًا قليلًا، وربما عاقب من يسأله القليل، ويحكى أن رجلًا[5] قصده من الحجاز، وامتدحه بشعر يقول فيه[6]: [من الطويل]

بحير بن ريشان الذي ساد حميرًا ونائله مثل الفرات غزير[7]

(1) يعني في الأقسام السابقة من الكتاب المتعلقة بتاريخ الإسلام من صدر الإسلام حتى زمن بني العباس.

(2) هنا مسألة دقيقة يغفل عنها كثير من الناس في مسألة تولية معاوية ليزيد الخلافة، وهي أن الدولة الإسلامية بعد أن ترامت أطرافها في شتى أنحاء المعمورة أصبح من الصعب أن تكون البيعة كتلك التي وقعت في عهد الخلفاء الثلاثة وربما وقع هرج ومرج واختلاف كثير بين الناس فيمن هو أصلح لها، فكان لا بد أن يبتّ في الأمر ويبقى الحكم في بيت واحد، وقد رأينا ذلك في السلالات التي حكمت في التاريخ الإسلامي ودامت مددها واستطالت واستقر فيها الناس وقلَّ الشغب، ومن الغريب أن الشيعة يعيبون على معاوية هذا الأمر، ويريدونها هكذا في عليّ وأولاده وراثة ملكية، فيكون الرسول ﷺ ـ وحاشى له ـ قد أخذ الأجر على النبوة من الله بأن جعل أبناءه ـ حسب زعم الشيعة ـ يتولون رقاب المسلمين ويفسدون في الأرض، وقد رأينا ذلك واضحا عندما تولت هذه الذرية الحكم في الحجاز واليمن، وما وقع فيها من موبقات يندى لها الجبين، وكانوا يحكمون الناس بحكم أنهم أبناء رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، وهؤلاء هم أبناء علي بن أبي طالب وليسوا أولاد رسول الله ﷺ، فكيف ينسبون إلى رسول الله والقرابة الواردة في القرآن هي ليست قرابة رسول الله ﷺ وإنما أرادها مطلق القرابة، وقد أوصى الله بالقرابة في آيات كثيرة، أن يبرّ الرجل بقرابته من أهله من باب صلة الأرحام والله أعلم.

(3) يرد في المصادر ريسان بالسين المهملة انظر (الإكليل) 2: 279، وابن ماكولا (الإكمال) 1: 197.

(4) زيادة من (ع).

(5) هو أبو الأسود الدؤلي كما سيأتي ذكره.

(6) البيتان في (تاريخ دمشق) لابن عساكر 25: 201 نقلا عن الجليس الصالح للنهرواني 3: 297 وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 28.

(7) تاريخ ابن عساكر: بأفعاله والديِّرات تدور.

وإني لأرجــو مــن بـحـيـر ولـيـدةً   وذاك مـن الـحـر الـكـريـم يـسـيـر[1]

فغضب عليه بحير، وقال: تَرْحل إليّ من الحجاز لا ترجو إلاَّ وليدةً! لأؤدبنك، ثم أمر به فضرب أسواطًا، وبعث له بعشر ولائد وبجائزة سنية[2].

ولم يزل بحير على اليمن إلى أن توفي يزيد بن معاوية، وكانت وفاته في سنة أربع وستين من الهجرة.

ولما توفي يزيد في التاريخ المذكور وصار الأمر بعده إلى عبد الله بن الزبير، فاستولى على الحجاز والعراق واليمن، واستخلف على اليمن الضَّحاك[3] بن فيروز الديلمي فأقام سنة.

ثم عزله بعبد الله[4] بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأقام مدة، ثم عزله بعبد الله[5] بن عبد المطلب بن وداعة السهمي، فأقام سنةً ثم ثمانية أشهر، [ثم عزله بأخيه عبيدة[6] بن الزبير، فمكث خمسة أشهر، ثم عزله بحسن[7] بن عبد الله الفقيه، فلبث مدةً][8]، ثم عزله بقيس[9] بن يزيد السعدي التميمي، فأقام عشرة أشهر.

---

(1) الأصل كثير وأصلحناه من (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

(2) كذا يتناقل المؤرخون اليمنيون هذه الحكاية وأول من نقلها ابن جرير في (تاريخ صنعاء) والذي في (تاريخ دمشق) لابن عساكر بعد ورود البيتين: فقال بحير يا أبا الأسود سألتنا على قدرك ولو سألتنا على قدرنا ما رضينا بها لك قال: أما لا فأجعلها روقة أي تعجب مالكها، يقال راقني جماله أي أعجبني.

(3) طبقات خليفة بن خياط: 287 و(تهذيب الكمال) للمزي 23: 277.

(4) كذا يرد نسبه في المصادر اليمنية، وفي بعض المصادر اسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة. قال في الجمهرة: ولي اليمن لابن الزبير وكان من أجود العرب، وكان يمدحه أبو دهبل الجمحي (جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي 1: 18).

(5) ذكره ابن ماكولا في (تهذيب مستمر الأوهام): 259 وانظر نسب قريش للزبير: 406.

(6) مطبوعة (السلوك) 1: 177 خالد ولعله الصواب، انظره في (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار: 343.

(7) كذا في الأصلين صوابه حنش بن عبد الله الصنعاني انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 30 و(تاريخ صنعاء) للرازي: 46، و(طبقات ابن سمرة): 238، و(طبقات ابن سعد) 5: 536، و(سير أعلام النبلاء) 4: 492، و(السلوك) 1: 177.

(8) ما بين المعقوفتين ساقط من (كنز الأخبار).

(9) (معجم البلدان) 4: 185 (غير) و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 31 و(كنز الأخبار): 31 و(السلوك): 1: 177.

قال الشريف[1]: ثم عزله واستعمل بعده ولاةً يقفون الأربعة الأشهر [والخمسة][2] ويعزلهم، حتى قتل سنة ثلاث وسبعين.

وقال الجَنَدي[3]: لما قُتِل قيس بن يزيد السعدي ولي بعده أبو النجود مولى عثمان بن عفان فمكث خمسة أشهر، ثم أعيد الضحاك بن فيروز، فمكث ستة أشهر، ثم عزل بخلاد بن السائب الأنصاري، ثم عزل بأبي النجود، وفي أيامه قدمت الحرورية صنعاء، وذلك سنة اثنتين[4] وسبعين [مدة حصار الحجاز[5] قد قدموا صنعاء][6]، فجمع[7] وهب بن منبه الناس لقتالهم، فقال له الناس: ليس لنا بقتال الخوارج طاقة، ونحن نخشى[8] أن يستحلوا دماءنا، فتفرق الناس وصالحوا[9] الخوارج على مئة ألف دينار، فاستعان أهل صنعاء بأهل المخاليف على المال فأعانوهم، واضطرب أهل اليمن يومئذ[10].

ولم يزل مضطربًا إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين.

ولما صار الأمر إلى عبد الملك بن مروان، واستولى الحجاج على مكة، استعمل على صنعاء أخاه محمد بن يوسف الثقفي[11].

وعلى الجَنَد: واقد[12] بن مسلمة الثقفي.

وعلى حضرموت: الحكم بن أيوب الثقفي.

---

(1) يعني عماد الدين إدريس انظر (كنز الأخبار): 31.
(2) زيادة من (كنز الأخيار).
(3) (السلوك) 1: 177.
(4) (السلوك) 1: 177.
(5) يعني حصار مكة انظر خبر حصار الحجاج بن يوسف للحجاز في (الكامل) لابن الأثير 4: 122.
(6) زيادة من (كنز الأخيار).
(7) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 32 «نتخوف».
(8) (تاريخ صنعاء): 32 و(كنز الأخبار): 32.
(9) انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 32 و(كنز الأخيار): 32 ولم يرد في (السلوك).
(10) (السلوك) 1: 177.
(11) انظر خبر تولي محمد بن يوسف اليمن في (تاريخ خليفة بن خياط): 293 و(طبقات ابن سمرة): 54 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 33.
(12) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 33 و(السلوك) 1: 202 ط.أولى.

فأقاموا سنة، ثم عزل واقدًا وجمع المخلافين لأخيه محمد، فلم يزل واليًا عليهما إلى آخر أيام عبد الملك، وتوفي قبل وفاة عبد الملك – وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين – وكان قد جمع المجذومين بصنعاء وجمع لهم الحطب ليحرقهم، فمات قبل ذلك[1].

فاستناب الحَجَّاج على اليمن ابن عمه أيوب[2] بن يحيى الثقفي، فلم يزل واليًا عليها مدة أيام الوليد، وهو الذي[3] بنى الجامع بصنعاء، حين زاد الوليد فيه ما زاد.

ولمَّا توفي الوليد ولي الخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك، واستخلف على اليمن عروة[4] بن محمد السعدي، وأقام على اليمن مدة خلافة سليمان بن عبد الملك.

فلما توفي سليمان بن عبد الملك، ولي الخلافة بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز، فأَقَّر عروة بن محمد السعدي على عمله، واستقضى[5] وهب بن منبه على اليمن أيضًا، فأقام عروة على عمله إلى أن توفي عمر.

فلما توفي عمر بن عبد العزيز واستولى يزيد بن عبد الملك، استعمل على اليمن مسعود[6] ابن عوف الكَلْبي، فأقام واليًا عليها مدة ولاية يزيد بن عبد الملك.

فلما توفي يزيد وولي أخوه هشام بن عبد الملك أقر مسعود بن عوف على ولايته سنة، ثم عزله واستعمل يوسف[7] بن عمر الثقفي على مخاليف اليمن كلها، فأقام واليًا على اليمن ثلاث عشرة سنة. واستقضى على صنعاء الغطريف[8] بن الضحاك بن فيروز الديلمي، وخرج عليه عباد الرعيني في ثلاث مئة [محكما][9] فغلبهم يوسف بن عمر الثقفي، ثم أمره هشام بالتقدم إلى العراق والقبض على خالد بن عبد الله القسري، فاستخلف على اليمن ابنه

(1) (تاريخ صنعاء): 33 و(السلوك) 1: 202.
(2) (تاريخ صنعاء): 34 و(كنز الأخيار): 32.
(3) (تاريخ مدينة صنعاء) للرازي: 85.
(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 34 و(كنز الأخيار): 32 و(السلوك) 1: 203.
(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 34.
(6) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 34و (كنز الأخيار): 32 و(السلوك) 1: 23.
(7) (تاريخ صنعاء): 34 و(تاريخ خليفة بن خياط): 357 و(كنز الأخبار): 32.
(8) (تاريخ صنعاء): 35 و(السلوك) 1: 203.
(9) زيادة من (الكنز). والمحكم: الواحد من الخوارج لأنهم قالوا: لا حكم إلا لله.

[الصلت بن][1] يوسف، فأقام الصلت في اليمن إلى أن توفي هشام بن عبد الملك في سنة خمس وعشرين ومئة.

وفي هذه السنة: توفي عمرو[2] بن دينار مولى باذان الفارسي أمير الفرس بصنعاء، وكان مولده لبضع وأربعين للهجرة، ثم نشأ بمكة وتَفَقَّه على ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من التابعين، وكان من جملة العلماء الراسخين، وقيل لعطاء بن رباح: بمن تأمرنا بعدك؟ قال: بعمرو بن دينار، وقال طاووس لابنه: إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار، وكان حسن الخلق والخلق، وقيل: كانت وفاته سنة أربع، وقيل: سنة سبع وعشرين ومئة، وكانت ولاية الصلت في اليمن خمس سنين، وفي أيامه كان سيل دار خوط[3]، وذلك يوم الجمعة منتصف شهر شوال سنة أربع وعشرين ومئة.

وكانت دار خوط تسمَّى برك الغماد، وكانت مجتمعًا للعرب والوفود بصنعاء إذا قدموا على ملاكها[4] حتى ضرب بها المثل، [فلما توفي هشام ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاستعمل على اليمن جميعه مروان[5] بن محمد بن يوسف الثقفي][6]، وهو ابن أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، قاله[7] الشريف إدريس[8]: فلما قتل الوليد بن يزيد وولي ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

استعمل على اليمن الضحاك بن واصل السكسكي، واستقضى يحيى[9] بن شرحبيل بن أبرهة، فأقام الضحاك واليًا على اليمن مدة ولاية يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فلما غلب مروان بن محمد استخلف على اليمن القاسم[10] بن عمر الثقفي.

---

(1) سقط من (و).

(2) من كبار التابعين (تاريخ البخاري) 6: 328 و(طبقات فقهاء اليمن) 59 و(سير أعلام النبلاء) 5: 300.

(3) انظر خبر سيل دار خوط في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 36 و(كنز الأخيار): 33 نقلا عن ابن جرير.

(4) في (ع) ملوكها.

(5) (السلوك) 1: 179.

(6) هذا الخبر سقط من (تاريخ صنعاء) و(الكنز).

(7) كذا في الأصل لعله قال: انظر (تاريخ صنعاء): 37 و(كنز الأخيار): 33 و(السلوك): 18.

(8) كنز الأخيار: 33.

(9) كذا في الأصل، وفي (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 41 إن الذي استقضاه على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد المدان.

(10) (تاريخ صنعاء): 37 و(كنز الأخيار): 33.

وفي أيامه ثار بحضرموت الخارجي الأعور، وهو عبد الله بن يحيى[1]، ثم قَصَدَ صنعاء فهزم القاسم بن عمر، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف، وغلب عبد الله بن يحيى على اليمن سنة وأربعة أشهر، فاستولى نائبه أبو حمزة الخارجي على مكة، وقتل أهل قديد، وسار فاستولى على المدينة، وأقام بها أربعة أشهر، ثم سار منها يريد الشام، فبلغ وادي القرى فلقيته جموع الشام الذين بعثهم مروان عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، وكان قد انتخبهم من فرسان العرب ووجوه الناس، فلقيهم عبد الملك بوادي القرى فقاتلهم فهزمهم حتى قتل منهم كثيرًا، ثم تَتَبَّعهم إلى مكة ثم إلى بيشة ثم إلى اليمن وسار بعدهم إلى حضرموت فأتاه كتاب مروان بتولِّيه الموسم فصالحهم، وسار في ركب قليل يريد الموسم، فلما بلغ الجوف قتل هنالك.

فلما بلغ مروان الخبر بقتل عبد الملك بن عطية بعث الوليد بن عروة بن محمد، فلم يزل في اليمن إلى أن انقطعت دولة بني أمية بالشام، وقتل مروان بن محمد ببوصير من أرض مصر، وذلك آخر سنة اثنتين وثلاثين ومئة [وفي تلك السنة][2]، توفي الفقيه عبد الله[3] بن طاووس، وكان إمامًا جليلًا مشهورًا.

قال عبد الرزاق: لم أر فقيهًا كابن طاووس. قيل له: ولا هشام بن عروة؟ قال: لم يكن مثله. وقيل: كانت وفاته في سنة ست وثلاثين ومئة، والله أعلم.

---

(1) انظر ثورة الأعور المذكور في: (الكامل) (حوادث 128 هـ) و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 137 و(تاريخ خليفة بن خياط) 2: 582 و(كنز الأخيار): 33 و(تاريخ اليعقوبي) 2: 39 (ع) في (و) فقتلهم.

(2) زيادة من (ع).

(3) من فقهاء التابعين (طبقات خليفة بن خياط): 734 و(طبقات ابن سمرة): 66 و(تاريخ صنعاء). للرازي: 57.

الفصل الخامس

في ذكر عمال اليمن في الدولة العباسية

قال علماء السير[1]: لما قتل مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية وولي أبو العباس السفاح، استعمل على اليمن والحجاز عَمَّه داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فاستعمل داود على اليمن عمر[2] بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي، وكان أول من قدم اليمن نائبًا لبني العباس، فلما أقام بِصَنْعاء بَوَّب جامعها ولم يكن له باب قبل ذلك[3].

ثم مات – أو قتل[4]– داود بن علي بعد مضي خمسة أشهر، فبعث أبو العباس على اليمن محمد بن زيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المدان الحارثي فقدمها لسبع بقين من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئة، وبعث أخًا[5] له على عدن، فساءت سيرة كل منهما، وأحدث صاحب صنعاء قبائح كثيرةً بصنعاء، وَهَمَّ بإحراق المجذومين، وأمر أن يجمع لهم الحطب، وقال: لو كان فيهم خيرًا ما أوقع الله بهم هذا الجذام. فمرض أيامًا يسيرةً قبل أن يفعل بهم، ثم مات ومات أخوه الذي في عدن[6].

ويقال: كان موتهما في يوم واحد، فبعث [أهل صنعاء][7] رسولاً إلى أخيه الذي في عدن يخبرونه بموت أخيه، وبعث أهل عدن رسولًا إلى أخيه بصنعاء يخبرونه بموت أخيه، فسار

---

(1) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 39و (كنز الأخيار): 35.

(2) الزبير بن بكار نسب قريش: 264 و(جمهرة أنساب العرب) لابن حزم: 152.

(3) هنا زيادة بخط بعض المحشِّين على المخطوطة أدخلها بعض المؤرخين في زمن حسن باشا وهي: ولما كان في سنة اثنتين بعد الألف نقض أبواب جامع صنعاء سنان كيخيا بأمر حسن باشا في اليمن حينئذ وكانت الأبواب قد شارفت على الهلاك والتلف فنقضها المذكور واستدعى لها ألواحا من أرض الهند وعمل لها أبوابا جدد محكمة.

(4) الصواب: أنه مات سنة 133هـ انظر (الأعلام 2: 333).

(5) في (ع) خاله.

(6) (كنز الأخيار): 35.

(7) سقط من (و).

الرسولان فالتقيا وتحدثا وأخبر كل واحد منهما صاحبه بموت الآخر، فأخذ كل واحد منهما كتاب الآخر وعاد كل واحد منهما إلى بلده يخبر بموت الذي سار إليه، هذه رواية الجَنَدي[1].

وذكر ابن عبد المجيد[2]: أنهما باتا جميعًا في موضع، ولم يعلم أحدهما بما قدم له الآخر، ثم افترقا، وسار كل واحد منهما يؤدي [مقصده][3].

فلما علم أبو العباس السفاح بموتهما بعث مكانهما عبد الله بن مالك الحارثي، وأقام أربعة أشهر، ثم عزله، وبعث علي[4] بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي فمكث أربع سنين وأشهرًا.

[حكومة أهل صنعاء والأبناء في الرحبة]

وفي أيامه كانت حكومة أهل صنعاء والأبناء في الرحبة، فَوَكَّل أهل صنعاء عمر بن ثمامة، وَوَكَّل الأبناء إبراهيم بن فراس[5]، فأخرج إبراهيم بن فراس كتاب رسول الله ﷺ: أنها [للأبناء. فقال عمر بن ثمامة: إنه يكفر بهذا الكتاب][6]. فغضب الأمير علي بن الربيع وقال له: تكفر بكتاب رسول الله ﷺ؟ وَجَرَّده من ثيابه وضربه خمسة وسبعين سوطًا. وقال: أما إنه لا يخرج من الدنيا حتى تصيبه عاهةً. فأقام حتى ولي منصور بن يزيد الحِمْيري، ودعا وجوه أهل صنعاء إلى حائط له، وفيهم عمر بن ثمامة فأكل جؤجؤ فرخ طائر، فغص به فمات من ساعته[7].

ولما توفي أبو العباس السفاح ولي الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور، واستعمل على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأقام مدةً وسار نحو المنصور، واستخلف ابنه، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن[8] بن زائدة الشيباني، وكان قدومه في شهر ربيع الأول من سنة أربعين ومئة.

(1) (السلوك) 1: 181.

(2) بهجة الزمن: 34 نقلا عن (كنز الأخيار): 35 وهو نقلا عن (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 40.

(3) بياض في (و).

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 41 و(كنز الأخيار): 35.

(5) في (ع) فراش.

(6) سقط من (ع).

(7) انظر هذا الخبر في هامش (تاريخ صنعاء) لابن جرير (تحقيقنا): 40.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 41 و(كنز الأخيار): 35وانظر (تاريخ الطبري) 7: 508.

وفي تلك السنة[1]: تناثرت النجوم مثل المطر نحو المغرب من أول الليل إلى الصبح، وعوفي في تلك الليلة كثير من المجانين، فأصبحوا وليس بهم بأس.

وحكي عن بعضهم قال: كنت أعرف امرأةً من المجانين تقوم على رأسها، وتجعل رجليها أعلاها، وتقف عامة يومها كذلك، فأصبحت ذلك اليوم عاقلةً تغسل ثيابها. فقالت: إن الله تعالى رماه البارحة بنجم فأحرقه وكفانيه. وبعث معن في أيَّام ولايته باليمن ابن عم له [يقال له]: سليمان، إلى المعافر.

وقال الجندي[2]: بعث معن أخًا له وابن عم نائبًا له على الجَنَد، وأراد إذلالهم فقتلوه، فغزاهم معن فأخرب القرية المذكورة التي قتل فيها ابن عمه، وقتل من أهل القرية نحوًا من ألفي[3] رجلاً وكان بعد ذلك ينشد: [من الطويل]

إذا تمت الألفان كادت حرارة ... على القلب من ذكرى سليمان تبرد

وقدم ابن جريج الفقيه على معن وافدًا من مكة لدين لحقه، فأقام عنده، حتى إذا كان عاشر ذي القعدة مَرَّ[4] بقوم وجارية تغني لهم بشعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول شعرًا[5]: [من البسيط]

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجيادًا فليس لنا ... إلا التذكّر أو حظٌّ من الحَزَن
بالله قولي له في غير مُعْتُبَة ... ماذا أردت بطول المَكْثِ في اليمن؟
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

فبكى ابن جريج بكاءً شديدًا واستأذن على معن، وقال له: إن أردت خيرًا فردني إلى مكة، ولست أريد منك شيئًا. فاستأجر له معن أدلَّاء وأعطاهم خمس مئة دينار، ودفع إلى ابن جريج ألفًا وخمس مئة دينار، فساروا به حتى وافوا به يوم عرفة[6]، ثم إن حضرموت انتقضت

(1) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 41 و(كنز الأخيار): 35.
(2) (السلوك) 1: 183.
(3) في (ع) أربعين.
(4) الأصل: من.
(5) ديوان عمر بن أبي ربيعة 283 تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
(6) انظر هذه الحكاية في (كنز الأخيار): 36 ونقلها عنه ابن عبد المجيد اليماني في بهجة الزمن: 35 وعنه نقلها الذهبي في (سير أعلام النبلاء) 6: 335.

على معن فسار إليهم فمَرَّ بزبيب في وادي مسور فعظم في عينه ما رأى من جرين الزبيب بها، فقال لنائبه: لا تقبل منهم إلا عشرة آلاف ذهبا زبيبًا، فلم يزالوا به حتى حط لهم ألف ذهب[1]، فجمعوا أعشارهم فجاءت عشرة آلاف، فأعطوا عامله تسعة آلاف، وبنوا مسجدهم بألف.

ولما وصل معن إلى حضرموت أوقع بهم عدة وقعات حتى بلغت قتلاهم فيها إلى نحو خمسة عشر ألفًا، فأعظم الناس ذلك، فَتَحدَّثُوا به حتى قال رجل من قريش للمنصور: ألا ترى يا أمير المؤمنين إلى ما فعل معن بأهل حضرموت، كاد أن يأتي عليهم؟! فقال له المنصور: يا ابن أخي أخبرني عن قوم نساك من قومك ومن الأنصار، كنت أعرفهم بملازمة السواري في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ، وقد اصفرت ألوانهم من العبادة؟ قال: قتلهم الخوارج يوم قديد. فجعل المنصور يسأله قال: فأخبرني عن الرجل الصالح الذي كان يلازم السارية الفلانية حتى كأنه حنيَّة من العبادة؟ قال: قتل يوم قديد. قال: فأخبرني عن أهل البيت الصالح بني فلان ما فعل الدَّهر بهم؟ قال: قتلوا يوم قديد. فجعل المنصور يسأله عَمَّن قتل يوم قديد من المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة وعُبَّادهم ونساكهم وساداتهم؟ وهو يقول: قتلوا يوم قديد. فقال له المنصور: يا بن أخي أفتعيب على معن في قتل أهل حضرموت وقد أخذ بثأركم؟! فسكت عن ذلك القرشي[2].

ولما رَجَعَ مَعْن إلى صَنْعاء أقام بها حتى أتاه كتاب المنصور بعد مضي ستّ سنين من ولايته فاستدعاه إلى العراق، وأمره أن يَسْتخلف ابنه زائدة على اليمن. فاستخلف ابنه، وسار إلى العراق فوجهه المنصور إلى خراسان لقتال الخوارج بها، فتبعه رجلان من أهل حضرموت، كان قتل أباهما، فلم يزالا يرصدانه حتى قتلاه غيلة في سجستان واختفيا في المدينة أيامًا بعد قتله حتى سَكَن الأمر، ثم رجعا إلى حضرموت، وقد تَقَدَّم تاريخ وفاته في صَدْر الكتاب. وأقام زائدة بن معن في حضرموت اليمن بعد أبيه ثلاث سنين.

قال الجَنَدي[3]: ثم استعمل المنصور على اليمن الحَجَّاج بن منصور فأقام مديدةً، ثم عزل واستعمل على اليمن الفرات[4] بن سالم العنسي، فأقام واليًا ثلاث سنين ثم عزله بيزيد بن

---

(1) الذهب: مكيال معروف في اليمن. (القاموس للفيروزبادي: 598).

(2) انظر (كنز الأخبار): 37 و(بهجة الزمن): 37.

(3) (السلوك) 1: 184وانظر (تاريخ اليعقوبي) 2: 385.

(4) كنز الأخيار: 37 و(بهجة الزمن): 37 و(السلوك) 1: 184.

منصور خال المهدي، وذلك في سنة أربع وخمسين ومئة، فأقام واليًا على اليمن خمس سنين إلى أن توفي المنصور، وكانت وفاته في سنة ثمان وخمسين ومئة.

ولما توفي المنصور في التاريخ المذكور استولى على الخلافة بعده ولده محمد المهدي، فَأَقَّرَ خاله يزيد[1] بن منصور الحِمْيَري على اليمن سنة، ثم عزله ثم كتب إليه أن يستخلف على اليمن ويسير إلى مكة، ليقيم للناس حجهم، ففعل واستخلف عبد الخالق بن محمد الشهابي، فولي خمسةً وسبعين يومًا، ثم توفي يزيد بن منصور، فاستعمل المهدي على اليمن رجاء[2] بن روح الجذامي.

وكان[3] قد وقع بين أهل صنعاء والجُنْد قتال في العيد، فانحاز أهل الجند إلى شعوب، ثم اصطلحوا فأقام رجاء بن روح في اليمن ثلاثة عشر شهرًا[4].

ثم بعث المهدي على اليمن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، فقدمهما في المحرم من سنة إحدى وستين ومئة، وأقام هنالك إلى سنة اثنتين وستين ومئة، وقيل: كانت إقامته في اليمن سنةً وخمسة أشهر، وسار نحو العراق، واستخلف على اليمن رجلًا يقال له: واسع[5] بن عصمة فأقام بعده أحد عشر شهرًا.

ثم بعث المهدي عبد الله بن سليمان فقدم لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ومئة فأقام سبعة أشهر، فيما قاله الجَنَدي[6].

وقال ابن عبد المجيد[7]: أقام سبعة أشهر، ثم بَعَثَ المَهْدي منصور بن يزيد بن منصور الحميري فقدم سنة خمس وستين ومئة، فمكث سنةً ثم عزله بعبد الله[8] بن سليمان النوفلي،

---

(1) تاريخ اليعقوبي 2: 385.

(2) كنز الأخبار: 38 و(الإكليل) 1: 479 و(بهجة الزمن): 38» وانظر (تاريخ اليعقوبي) 2: 399 وفيه رجاء بن سلام بن روح. وتاريخ الطبري 8: 121.

(3) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 45.

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 45 و(كنز الأخيار): 38.

(5) كنز الأخيار: 38.

(6) (السلوك) 1: 185.

(7) بهجة الزمن: 38 وفيه أقام تسعة عشر شهرا.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 46 وانظر تاريخ الطبري 8: 151 (سير أعلام النبلاء) 9: 582.

فمكث سنة، وكان خيرًا يروي الحديث عن الزهري عن عروة عن عائشة، ويروي عن يزيد بن يزيد عن جابر، عن مكحول.

ثم عزل النوفلي بسليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي فمكث سنةً وعشرة أشهر، ثم توفي المهدي في المحرم من سنة تسع وستين ومئة، وقد تقدم تاريخ وفاته، ولما توفي المهدي في هذا التاريخ، واستولى على الخلافة بعده ولده [في المحرم سنة سبع وستين ومائة وقد تقدم ذكر تاريخ وفاته ولما توفي المهدي واستولى على الخلافة بعده ولده][1] موسى الهادي، استعمل على اليمن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فأقام سنة، ثم عزله بإبراهيم بن سليمان بن عقبة بن مسلم الباهلي فمكث أربعة أشهر، وتوفي الهادي وكانت وفاته في سنة سبعين ومئة، ولما توفي الهادي في التَّاريخ المذكور استولى على الخلافة بعده أخوه هارون الرشيد، واستعمل على اليمن خاله الغطريف – وقال الجَنَدي[2]: هو ابن خاله – فقدم اليمن والفتنة ثائرة بين أهل الجَنَد[3] وصنعاء، فأصلح بينهم وأقام في الجَنَد ثلاث سنين وسبعة أشهر.

ثم سار نحو الرشيد، واستخلف على اليمن عباد[4] بن محمد الشهابي فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فقدم صَنْعاء آخر سنة أربع وسبعين، وفي أيامه حصل الثلج بصنعاء، ولم يكن حصل قبل ذلك مثله، ثم عزله الرشيد بعاصم بن عيينة الغساني [فأقام سنة][5]، ثم عزله بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فمكث سنةً ثم عزله بالربيع بن عبد الله الحارثي والعباس بن سعد مولى بني هاشم: الربيع على الحرب والصلاة، والعباس على الجباية. فأقاما سنتين ثم عزلا بمحمد بن إبراهيم الهاشمي وجمع له الحجاز واليمن، فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس إلى اليمن فشكاه الناس، فعزله الرشيد بعد ستة أشهر بعبد الله[6] بن مصعب بن ثابت بن الزبير، وكان رزق

(1) زيادة من (و).

(2) (السلوك) 1: 185. وانظر تاريخ الطبري 8: 222 وهو الغطريف بن عطا.

(3) كذا في الأصل وفي (الكنز) بين الجند وأهل صنعاء.

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 47 وانظر (السلوك) 1: 212 و(بهجة الزمن): 33.

(5) سقط من (و).

(6) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 41 وله ذكر في رسائل ابن أبي الكباري انظر (بشر بن أبي الكباري) لوداد القاضي: 38.

عمال صنعاء في كل شهر ألف دينار، فجعل له الرشيد ألفي دينار، فقال له يحيى بن خالد: هذا يفسد عليك من توليه بعده من أهل بيتك، فرد رزقه إلى ألف دينار ووصله بصلة جليلة، فأقام سنةً ثم عزله بأحمد بن إسماعيل بن علي الهاشمي.

وفي هذه السنة: ثار الهيصم[1] بن عبد المجيد في جبال العضد، فحارب جنود السلطان [وهو منهم][2] وهزمهم وقتلهم، وعزل أحمد بن إسماعيل بإبراهيم[3] بن عبيد الله بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، فأقام سنةً ووثب به الجند، وكان في ولايته تخليط وضعف.

فعزله الرشيد بمحمد بن برمك فدخل صنعاء في شَوَّال من سنة ثلاث وثمانين ومئة، فأقام بها حتى جَرَّ إليهم النهر المعروف بالبرمكي، ثم سار إلى بلد يحصب فأقام بقرية منكث يجبي المخلافين الجَنَد وصَنْعاء، وكان من أحسن الولاة القادمين اليمن عدلًا ورفقًا، وحسن سيرة.

ولما فرغ من عمارة النهر المذكور جَمَع أهل صنعاء وحَلَف لهم الأيمان المغلظة: إنه لم يصرف في عمارته شيئًا من مال السلطان ولا من مال حرام ولا شبهة. ثم وقفه على المسلمين، وبنى مسجدًا بصنعاء عند سوق اللساسين[4]، وكان محمد بن خالد هذا كثير الصَّدقة في جميع أحواله، وكان كثير التفقد لأحوال الرَّعية، مُحِبًّا ومشفقًا عليهم.

ويحكى أنه خرج يومًا إلى سواد صنعاء فوافى أهل ذلك السَّواد، وعليهم ثياب الصُّوف الأسود، وهي التي تسمى الشِّمال، فظَنَّ أنهم سُؤَّالًا، فقال لخدمه: تصدقوا على هؤلاء المساكين. فقيل له: إن هؤلاء الرعية الذين يؤخذ منهم المال، فَتَأَلَّمَ لحالهم، وقال: ما ينبغي أن يؤخذ من هؤلاء شيء، فلم يزل يتلطف بهم حتى أراد بعضهم الخروج عليه. وخَرَجَ عن طاعته أهل تهامة، فبعث إلى الرشيد يشكوهم، فبعث الرشيد مكانه مولاه حماد البربري[5]،

(1) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 49 و(كنز الأخبار): 39 و(الإكليل) 2: 322، و(تاريخ اليعقوبي) 2: 412 و(تاريخ الطبري) 8: 323 و(بهجة الزمن): 41.

(2) سقط من (و).

(3) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 949.

(4) من أسواق صنعاء انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 167 (الملحق). (تحقيقنا).

(5) في (و) اليزيدي وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 50و (تاريخ الطبري) 8: 272 و(تاريخ اليعقوبي) 2: 412.

وقال له: اسمعني أصوات أهل اليمن، فقدم اليمن في شوال سنة أربع وثمانين ومئة، فعاملهم بالعسف والجبروت، وقتل جماعةً من رؤسائهم وشَرَّد جمعًا كثيرًا منهم، حتى دانوا له وأطاعوا وسَلَّموا ما يجب عليهم من الخراج المعتاد وزيادة.

وعمرت اليمن في أيامه وخاصة صنعاء، وأمنت السبل حتى القوافل تُقْدِم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلاتان في كل مخلاة ستة أمداد تمرًا فيباع بأرخص الأثمان، وأخصبت اليمن في أيامه خصبًا لم يعهد مثله، ورخصت الأسعار، واشتد العسف على أهل اليمن منه، فحجوا إلى مكة وشكوا إلى الرَّشِيد فلم يسمع منهم، فأغلظوا له في الكلام فلم يجبهم إلى شيء مما سألوه منه، فخالف عليه الهيصم بن عبد المجيد وأجابه إلى الخلاف خلق كثير من أهل اليمن بسبب ما نالهم من العسف، فكتب حَمَّاد إلى الرشيد يستمده فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان، فاستأمن إبراهيم بن عبد المجيد أخو الهيصم إلى حماد فأمنه، وكان[1] سبب ظفر حماد بجبال العضد فهرب الهيصم إلى بيش من تهامة، فظفرت به هنالك الجيوش، فأخذ وحمل إلى حماد فأشخصه حماد إلى الرشيد ومعه جماعة من أهل بيته، فأمر الرشيد بضرب عنق الهيصم، وصرف من كان معه إلى السجن ببغداد، فأقاموا هنالك إلى أن هلك الرشيد، وكانت وفاة الرشيد في سنة ثلاث وتسعين ومئة.

ولما توفي الرشيد في التاريخ المذكور واستولى على الخلافة [بعده][2] ولده محمد الأمين، أقر حماد البربري[3] على عمله في اليمن سنةً بعد موت الرشيد، ثم عزله بمحمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، فلما قدم اليمن صادر عمال حَمَّاد، وأخذ منهم أموالًا جليلةً، وحسنت سيرته بالرعايا وأَحَبَّه أهل اليمن.

وبعد سنة من ولايته عزل بمحمد[4] بن سعيد بن السرح الكناني فقدم صنعاء في شعبان سنة خمس وتسعين ومئة، فأقام باليمن حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون، فلما ضعف الأمين وحصره طاهر بن الحسين دخل [أهل][5] الأطراف في طاعة طاهر، فبعث طاهر بن

---

(1) عبارة (تاريخ صنعاء) لابن جرير 510 (حتى ظفر حماد بالجبل) وانظر (تاريخ الطبري) 8: 240.

(2) سقط من (و).

(3) في (و) اليزيدي.

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 52 و(كنز الأخبار): 40 محمد بن عبد الله الخزاعي.

(5) زيادة من (ع).

الحسين على اليمن يزيد[1] بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القشيري[2]، فقبحت سيرته في اليمن، وظهرت منه عصبية قبيحة، وذلك أنه وجد قومًا من الأبناء الذين بعث بهم كسرى مع وهرز مددًا لسيف بن ذي يزن قد تَزَوَّجُوا في العرب، فأمرهم بطلاق من في أيديهم من نساء العرب، فلما بلغ ذلك المأمون عزله بعمر بن إبراهيم بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان نازلا مع أخواله من أرحب، وقيل: بل قدم رجل من العراق يقال له أبو الصّلت علي بن يزيد بن جرير بن يزيد القسري طالبًا فلم يعطه يزيد شيئًا فقصد عمر بن إبراهيم بن واقد العمري، وكان مقيمًا عند أخواله من همدان، فأخبره بما كان من يزيد بن جابر[3]. فقال عمر بن إبراهيم بن واقد العمري: بئس ما صنع يزيد، ووصل أبا الصلت بعشرين دينارًا. فقال ابن الصلت: لأحسنن[4] مكافأتك إن شاء الله تعالى، فخرج من عنده يريد العراق فغاب عنه مدة، ثم قدم عليه بكتاب افتعله بولايته على اليمن، فقدم عمر[5] بن إبراهيم ولده في جماعة من العرب وقوم جمعهم، فدخلوا صنعاء في شهر صفر من سنة ثمان وتسعين ومئة، وأخذ يزيد بن جرير وحبسه وصادره بمال جزيل، ثم قدم عليه أبوه بعد ذلك فأقام أيامًا وأخرج يزيد من السجن ميتًا، وقيل: مقتولًا[6].

وأقام العمري[7] في ولايته سنةً، وقيل: أشهرًا، وقيل: شهرًا واحدًا، ثم عزله المأمون بإسحاق[8] بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن [العباس فقدم في ذي القعدة من سنة ثمان وتسعين ومائة فيما قاله الشريف فأقام على ولايته تسع وتسعين ومائة ثم سار يريد الحجاز واستخلف على اليمن ابن عمه القاسم بن إسماعيل][9]، وذلك حين بلغه ظهور الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بطباطبا بالكوفة واستيلاؤه عليها، فلما

---

(1) (تاريخ صنعاء): 53 و(كنز الأخبار): 141و (تاريخ الطبري) 8: 247 وفيه»جرير بن يزيد«.

(2) في (تاريخ صنعاء) وكنز الأخبار (القسري) انظر (التعريف بالأنساب) للأشعري: 48 وهو الصواب.

(3) كذا في الأصل صوابه: يزيد بن جرير.

(4) في (ع) لأحسبن.

(5) في (ع) عمرو.

(6) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 55 و(كنز الأخبار): 41.

(7) يعني عمر بن إبراهيم السابق ذكره.

(8) كنز الأخبار: 41.

(9) زيادة من (ع).

سار إسحاق بن موسى عن صنعاء أيامًا وثب عليه الأعراب فقاتلوه، فرجع إلى صنعاء فوجد نائبه قد أحدث فيها أحداثًا وضرب بها رجالًا، وهدم دورًا كثيرةً، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: تخوفت، وأخرج كتابًا قد زور على خطه بذلك. فلم يزل يبحث عن الذي زَوَّر الكتاب حتى عرفه. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: تخوفت أن يقتل ابن عمك. فسكت ولم ينكر عليه ما فعل[1]، وسمع بقدوم إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق أميرًا على اليمن من قبل الإمام محمد بن إبراهيم بن طباطبا، فقدم إبراهيم بن موسى اليمن في صفر من سنة مئتين، فأسرف في القتل حتى سمي الجَزَّار.

ولم تزل أموره مستقيمةً في اليمن إلى أن مات الإمام محمد[2] بن إبراهيم، وقام بعده محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين.

فلما أسر محمد بن الحسين، وقتل أبو السرايا[3] انحلت[4] أمور الطالبيين باليمن والحجاز. فبعث المأمون محمد[5] بن علي بن عيسى بن ماهان فكان بينه وبين إبراهيم بن موسى عدة وقائع استظهر فيها ابن ماهان على إبراهيم، ولم يزل إبراهيم [بن موسى][6] يتردد في القرى التي حول صنعاء حتى قدم عليه عهد المأمون بولاية اليمن فأبى ابن ماهان أن يسلمها إليه، فالتقيا بِجَدِر[7] عند صنعاء فانهزم إبراهيم، ولم يستقم له أمر بعد ذلك.

ثم بعث المأمون عيسى[8] بن يزيد الجلودي التميمي واليًا على اليمن، فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل، وخرج بهم ابنه عبد الله من صنعاء فالتقوا[9] بالجلودي، [فهزمهم

(1) انظر هذه الحادثة بتوسع في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 55.

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 56 و(كنز الأخيار): 42.

(3) هو قائد العلويين ضد العباسيين قتل سنة 200هـ انظر أخباره في (تاريخ الطبري) 10: 227 و(مروج الذهب) 4: 22.

(4) في (و) انجلت.

(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 57 وتاريخ الطبري 8: 541 و(كنز الأخيار): 42 وفيها حمدويه.

(6) زيادة من (ع).

(7) جدر: قرية من قرى بني الحارث شمالي صنعاء.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 95 وكنز الأخيار: 43. وتاريخ الطبري 8: 567.

(9) سقط من (و).

الجلودي] ودخل بعدهم صنعاء، فتم[1] عبد الله منهزمًا طريق أعشار[2] في فرسان حتى قدم مكة، واختفى أبوه محمد بن ماهان بصنعاء، فدل عليه الجلودي فقبضه وحبسه[3].

وفي هذا التاريخ: توفي الإمام أبو الغيث[4] محمد بن خالد الجَنَدي، وهو أحد شيوخ الإمام الشافعي، وكان بعض الفقهاء يستدل على الشافعي أنه دخل الجَنَد كما دخل صنعاء بروايته عن الإمام محمد بن خالد الجندي المذكور، وكان وفاته على رأس المئتين من الهجرة، والله أعلم.

ولما استقر الجَلُودي بصنعاء فَرَّق عماله في المخاليف وشخص نحو العراق، واستخلف على العمال رجل يقال له: حصن[5] بن المنهال، فأقام حتى قدم عليه إبراهيم[6] الإفريقي، وهو رجل من شيبان.

وفي سنة ثلاث ومئتين: قَلَّد المأمون محمد[7] بن عبد الله بن زياد الأعمال التهامية، وما استولى عليه من الجبال، فقدم اليمن في سنة أربع ومئتين، واستعمل على القضاء بتهامة محمد بن هارون التغلبي، وهو جَدُّ بني عقامة، واستولى ابن زياد على التهائم بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختط مدينة زَبيد في الرابع من شعبان من سنة أربع ومئتين، وسأذكر ولاة التهائم وما يتعلق بذلك في الباب الآتي بعد هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

ولما قدم الإفريقي [اليمن أقام بها مدة ثم عزل بنعيم بن وضاح الأزدي والمظفر بن يحيى الكندي اشتركا في العمل فقدما][8] صنعاء في صفر سنة ست ومئتين. فسار المظفر إلى الجَنَد فأقام بها مدةً يجبي مخاليفها، ثم رجع إلى صنعاء فمات بعد أيام من رجوعه، وصار

(1) كذا في الأصل وفي (الكنز) (فيهم).

(2) أعشار: واد مشهور من ناحية بلاد الروس من نواحي صنعاء (المقحفي: 43).

(3) انظر كنز الأخيار: 43.

(4) (طبقات فقهاء اليمن) لابن سمرة: 966 (السلوك) 1: 134 و(طراز أعلام الزمن) 1890.

(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 59 وفيه حصن بن منهال الهشمي وانظر كنز الأخيار: 41 وبهجة الزمن: 49.

(6) (تاريخ صنعاء) لابن جرير وفيه: محمد بن إبراهيم الأفريقي.

(7) سيأتي ذكره.

(8) سقط من (و).

الأمر جميعه إلى نعيم بن الوضاح الأسدي[1]، فأقام بها حتى عزل بمحمد بن عبد الله بن محرز مولى المأمون، فقدم اليمن سنة ثمان ومئتين، وأمر ابنًا له يقال له: أبو الحمد[2] يجبي الجَنَد ومخاليفها، فلم يلبث أن شغب[3] عليه أهل الجند، وكان في ولايته ضعف. فخرج نحو الحجاز واستخلف عباد[4] بن الغمر الشهابي، فأقام حتى قدم عليه إسحاق[5] بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان قدومه آخر شهر رجب من سنة تسع ومئتين، فأساء السيرة، وظلم الناس وعسفهم[6]، وظهرت منه أخلاق منكرة[7]، ونال من اليمانية كل منال، وتعصب عليهم تعصبًا لم يفعله أحد قبله، كان لا يسأل أحدًا عن نسبه، فينتسب إليهم إلا قتله، ولم يترك لحمير ذكرًا، حتى إنه أمر بقلع الخوخ الحميري[8] مما أسرف [في التحامل][9] عليهم، وفي أيامه[10] كانت الزلزلة العظيمة المشهورة بصنعاء سنة اثنتي عشرة ومئتين.

ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ست عشرة، واستخلف على عمله عند موته ولده يعقوب فلم تصف له اليمن بعد أبيه، وحصل بينه وبين أهل صنعاء شقاق أفضى إلى قتال قتل فيه جماعة من أهل صنعاء، ثم انهزم إلى ذمار. فعزله المأمون بعبد الله[11] بن علي بن عبد الله بن العباس فقدم في المحرم سنة سبع عشرة ومئتين، فلم يزل بها إلى أن توفي المأمون، وكانت وفاته في سنة ثماني عشرة ومئتين، فلحق بالعراق، واستخلف عباد بن الغمر الشهابي، ولما توفي المأمون وولي أخوه المعتصم الخلافة وأَقَرَّ عبادا بن الغمر[12] الشهابي على عمله سنتين.

(1) سبق ذكره بالأزدي ويجوز في الأزدي الأسدي، انظر كتب الأنساب.
(2) في (ع) أبو الحميد.
(3) في (ع) تشعث.
(4) في (و) عماد وانظر كنز الأخيار: 41.
(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 60.
(6) في (و) غشمهم.
(7) زيادة في (ع).
(8) في (تاريخ صنعاء): هامش2: 64 الخوخ الحميري: هو الفرسك.
(9) زيادة في (و).
(10) (تاريخ صنعاء) للرازي: 63.
(11) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 64.
(12) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 64.

ثم عزله بعبد الرحيم[1] بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، وابنه[2] عبد الرحيم يعفر بن إبراهيم الحوالي، فأقام عبد الرحيم إلى سنة خمس وعشرين ومئتين، وعزل بجعفر[3] بن دينار مولى المعتصم، فأرسل خليفةً يقال له: منصور[4] بن عبد الرحمن التنوخي، فقدم اليمن في صفر من سنة خمس وعشرين ومئتين، فضبط البلاد وَوَجَّه عماله إلى المخاليف، فقدم عليه عبد الله بن محمد بن علي بن عيسى بن ماهان، وقد أشرك مع جعفر في الولاية، فأقام مع منصور في اليمن وقتًا، ثم عزل جعفر بن دينار بإيتاخ[5] التركي مولى المعتصم في سنة سبع وعشرين.

ولما توفي المعتصم: استولى على الخلافة بعده ولده الواثق فأقر إيتاخ التركي على اليمن فوجه [إيتاخ][6] أبا العلاء [أحمد][7] العامري، فلما وصل صَعْدة أرسل الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي غلامه طريف بن ثابت في عسكر نحو صنعاء، فخرج إليهم منصور بن عبد الرحمن في أهل صنعاء وهزمهم وقتل من موالي يعفر بن عبد الرحيم نحوًا من ألف رجل وأسر آخرين، فضرب أعناقهم، وقدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة فأقام فيها حتى توفي، واستخلف أخاه عمرو[8] بن العلاء فأقام بها مدة، ثم إن إيتاخ استخلف على اليمن هرثمة[9] بن البشير مولى المعتصم فورد كتاب هرثمة على منصور بن عبد الرحمان بنيابته على اليمن ثم قدم هرثمة][10] في آخر المحرم من سنة ثلاثين ومئتين، فأقام أيامًا وخرج لمحاربة الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي وهو بشبام فحاربه أيامًا، ثم عاد إلى صنعاء.

---

(1) الأصل عمر وأثبتاه من (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 65.

(2) (تاريخ صنعاء): 65.

(3) هنا اضطراب في الأصول والذي في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 65 (فبعث عبد الرحيم هذا من تحت يده رجلا يقال له العباس بن محمد بن أبي حرب فقدم يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وكان معه كتاب من عبد الرحيم بن جعفر.

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 66 وفيه الديوشار جعفر بن دينار.

(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 68.

(6) زيادة من (تاريخ صنعاء) لابن جرير. وانظر تاريخ الطبري 9: 103.

(7) سقط من (و) وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 66 وفيه: أحمد بن العلاء المعروف بأبي العلاء العامري.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 67.

(9) (تاريخ صنعاء): 67 فيه: هرثمة بن البشير مولى أمير المومنين.

(10) سقط من (و).

ثم إن الواثق عزل إيتاج[1] عن اليمن، واستعمل عليها جعفر بن دينار، فسار إلى اليمن فلما قدمها حاصر يعفر بن إبراهيم، وحَصَل الصّلح بينهما، وعاد إلى صَنْعاء، فأقام بها إلى أن توفي الواثق في آخر ذي الحجة من سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، فلما توفي الواثق استولى أخوه المتوكل على الخلافة، وأَقَّرَ جعفر بن دينار على اليمن، فأقام بها مدة، واستخلف ابنه محمد بن جعفر بن دينار على عمله، وسار نحو العراق فأقَّر المتوكّل محمد بن جعفر على اليمن، فلم يزل المتوكل حتى قتل في شوال من سنة سبع وأربعين ومئتين، فلما توفي المتوكل استولى على الخلافة بعده ولده المنتصر في سنة ثمان وأربعين ومئتين فأقر محمد بن جعفر على عَمَله، فأقام باليمن إلى أن مات المنتصر في سنة ثمان وأربعين ومئتين، فلما توفي المنتصر ولي الخلافة بعده ابن عمه أحمد المستعين، فأقر محمد بن جعفر على عمله فلم يزل قائمًا باليمن حتى خلع المستعين في سنة إحدى وخمسين ومئتين، ولما خلع المستعين ولي الخلافة بعده ابن عمه محمد المهتدي، فأقر[2] محمد بن جعفر على عمله، فأقام هنالك إلى أن قتل المهتدي في سنة خمس وخمسين ومئتين، فلما قتل المهتدي واستولى على الخلافة بعده ابن عمه أحمد المعتمد، أقر محمد بن جعفر على عمله، وكانت أمور المعتمد كلها بيد أخيه أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل، فوردت كتب [أبي][3] أحمد إلى الأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي بولاية اليمن، فوَجَّهَ عماله على المخاليف وفتح [حصن][4] حضرموت، وكانت قد تمنعت على من قبله.

هذه رواية الشريف إدريس في كتابه (كنز الأخيار)[5].

وقال[6] **الجندي**[7]: لما توفي الواثق وقام بالأمر بعده أخوه المتوكل أَقَرَّ جعفر بن دينار على اليمن مدة، ثم عزله واستعمل حمير[8] بن الحارث، فلم يتم له الأمر مع الأمير يعفر بن

(1) كذا ترد في الأصول إيتاج بالجيم، وفي (تاريخ صنعاء) و(الكنز) إيتاخ بالخاء المعجة من فوق وهو الصواب انظر إيتاخ التركي في تاريخ اليعقوبي2: 479 وما بعدها.

(2) في (ع) فأقام.

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (ع).

(5) (كنز الأخيار): 51.

(6) (كنز الأخيار): 51 وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 71.

(7) (السلوك) 1: 191.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 69 وفيه (خميروه).

عبد الرحيم الحوالي فعاد حمير إلى العراق هاربًا واستولى يعفر بن عبد الرحيم على صنعاء ومخاليفها، وقتل المتوكل عقيب ذلك، وقام بالأمر بعده ابنه محمد المنتصر، فأقام في الخلافة ستة أشهر، وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومئتين، فقام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المستعين بن محمد المعتصم، وكان في ولايته تخليط وضعف، ثم خلع وقتل في سنة اثنتين وخمسين ومئتين.

وولي الخلافة بعده ابن عمه المعتز الزبير بن المتوكل، وكان مغلوبًا على أمْرِهِ إلى أن خُلِعَ وقتل في سنة خمس وخمسين ومئتين، فولِيَ الخلافة بعده ابن عمه المهتدي بالله محمد بن الواثق فلم تطل مدته، فخلع وقتل في سنة ست وخمسين ومئتين، فولي الخلافة بعده ابن عمه المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل، فلما استوثقت له البلاد وامتدت أيامه أخذ البيعة له في اليمن الأمير محمد[1] بن يعفر بن عبد الرحيم وتابع الخطبة له، فلما وصل خَبَرُهُ إلى المعتمد كتب إليه بنيابته على صنعاء ومخاليفها، فغلب على صَنْعَاء والجَنَدِ وحضرموت، وكان مع ذلك يوالي ابن زياد صاحب زبيد، ويحمل إليه الخراج ويعده[2] أنه نائب عنه لعجزه عن مقاومته.

وكان وصول كتاب المعتمد إليه في سنة سبع وخمسين ومئتين، فأقام على عَمَلِهِ إلى سنة اثنتين وستين ومئتين، واستخلف على عمله ابنه إبراهيم بن محمد بن يعفر وحَجَّ إلى مكة المشرفة في السنة المذكورة.

وفي أيام الأمير محمد بن يعفر حصل في صنعاء سيل[3] عظيم، وهو السيل[4] الثاني في الإسلام، فأخرب دورًا كثيرةً [وأتلف أموالا جزيلة وهَلَكَ عالم لا يحصون كثرة][5]، ويقال: إن عدة الدور التي خربت يومئذ ستة آلاف دار، وقيل: بل ألف دار ومئتا دار، والله أعلم. وكان ذلك في شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وستين، قال الشريف[6]: معظمه في السرار[7].

---

(1) (السلوك) 1: 199.

(2) في (و) ويوحده كذا، وفي (السلوك) 1: 248 «تحقيقنا» ويخبره.

(3) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 71 وفيه يسمى سيل يعمد.

(4) في (ع) المطر الثاني.

(5) زيادة في (ع).

(6) يعني عماد الدين إدريس بن علي الحمزي، انظر: (كنز الأخيار): 51.

(7) السرار: واد يشق صنعاء على ضفتيه قصور ودور (الأعلاق النفيسة): 110.

قال الجندي[1]: ولما رجع الأمير محمد بن يعفر من الحج بنى جامع صنعاء على الحال الذي هو عليه إلى الآن، وذلك في سنة خمس وستين ومئتين، ذكر ذلك عن القاضي سري[2] بن إبراهيم.

قال الشريف إدريس[3]: ولم يزل إبراهيم بن محمد بن يعفر على ولايته إلى سنة سبعين ومئتين، ثم أمره جَدَّه يعفر بن عبد الرحيم بقتل ولديه محمد بن يعفر وأحمد بن يعفر فقتلا بعد المغرب في صومعة شبام[4]، فانتشرت الأمور على يعفر بن عبد الرحيم، وخالف عليه الفضل بن نفيس[5] المرادي بالجوف وولد[6] طريف غلامه بيحصب ورعين والمكرمان ببيحان [ومالوا إلى جعفر بن محمد المناخي][7]، فوجه أبو جعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر إلى المخالفين عليه من حاربهم، وكانت الحرب بينهم سجالًا.

وولى إبراهيم بن محمد بن يعفر[8] على الجوفين محمد الدعام، فتغير له الدعام ونصب لهم الحرب، فسارت[9] إليه عساكر إبراهيم بن محمد بن يعفر فالتقوا بوَرْوَرْ[10] فهزمهم الدَّعام وقتل منهم كثيرًا.

وقدم عهد[11] يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر على صنعاء ومخاليفها من ذي الوزارتين

---

(1) (السلوك) 1: 200.

(2) يعني في كتابه الاختصاص بذكر تجديد عمارة الجبَّانة التي هي مُصَلّى العيدين للقاضي سري الدين بن إبراهيم بن أبي بكر العرشاني المطبوع في آخر كتاب (تاريخ مدينة صنعاء) للرازي، انظر ص: 518.

(3) (كنز الأخيار): 51.

(4) عبارة (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 72 ثم قتل محمد وأحمد أبناء يعفر.ليلة النصف من جمادى الأولى من سنة سبعين ومائتين قتلهما قوم من همدان قتلا في الصومعة في مسجد شبام بأمر أبيهما أبي يعفر بعد صلاة المغرب.

(5) كذا في الأصل وفي (تاريخ صنعاء) و(الكنز) (يونس).

(6) في (ع) بعث.

(7) زيادة لا توجد في (ع).

(8) في (ع) جعفر.

(9) في (ع) فسارعت.

(10) وروور: جبل وواد يقع أسفل شؤابة من ناحية ذي بين يعرف اليوم بظفار داود (المقحفي.: 52).

(11) في (ع) وفد عهد بن يعفر.

صاعد[1] بن مخلد وزير المعتمد، فاعتزل[2] إبراهيم بن محمد بن يعفر عن الإمارة، وولى ابنه عبد الرحيم فأقام بصنعاء مدةً، ثم عزله أبوه حين قدم صنعاء في سنة ثلاث وسبعين ومئتين، واستعمل على صنعاء ولاةً كثيرة[3]، وكان أكثر مقامه بشبام.

ثم اجتمع أهل صنعاء، من الأبناء وغيرهم، والشهابيون، على عمال أبي يعفر بصنعاء فقاتلوهم وأخرجوهم من صنعاء وَنَهَبوا دار أبي يعفر وأحرقوها.

ولم يلبث أبو جعفر أن قتل[4] بشبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ومئتين.

فقام بالأمر بعده ابن عمه عبد القاهر بن أحمد بن يعفر أيامًا حتى قدم من العراق علي[5] بن الحسين المعروف بجُفْتُمْ عاملًا على صنعاء، وكان قدومه في صفر من سنة تسع وسبعين ومئتين، فقاتله الدعام في مدينة [صنعاء][6] فهزمه جُفْتُمْ ودخل عليه صنعاء وطرده منها، ولم يزل جفتم مالكًا صنعاء إلى أن توفي المعتمد في رجب من سنة تسع وسبعين ومئتين، فلما توفي المعتمد وولي الخلافة بعده ابن أخيه أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل أَقَرَّ علي بن الحسين جُفْتُمْ على ولايته بصنعاء، فلم يزل مالكًا لها إلى سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وكان لا ينام الليل، بل يكون قاعدًا وأبواب الدروب[7] بين يديه[8] والعسس تختلف إليه، وكل من له حاجة وصل إليه وقضاها منه حتى يطلع الفجر، فإذا صَلَّى الصبح قَعَدَ للناس إلى وقت الغداء، فيتغدى معه خاصته ونُوَّابه، ثم ينام إلى الظهر، فإن انتبه عند الأذان وإلا اجتمع الصِّبيان وكبروا حتى ينتبه[9]، ثم عاد إلى العراق في سنة اثنتين وثمانين ومئتين.

---

(1) من مشاهير الوزراء كان نصرانيا ثم أسلم انظر أخباره في تاريخ الطبري9: 544و (الأعلام 3: 187).

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 74 و(كنز الأخيار): 52.

(3) انظر أسماءهم في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 74.

(4) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 75 وفيه ذكر أسماء قتلته.

(5) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 76 و(تاريخ صنعاء) للرازي: 112 و(سيرة الهادي): 14 و(كنز الأخيار): 52 و(بهجة الزمن): 54.

(6) سقط من (ع).

(7) في (و) الدور، والدروب هنا جمع درب السور على المدينة.

(8) علق في هامش (ع) على هذه اللفظة بقوله لعلها (مفتحه).

(9) انظر هذا التفصيل عن سيرته في (كنز الأخيار): 52 ولم يرد في (تاريخ صنعاء) لابن جرير مصدر (الكنز).

فلما رحل عن صنعاء قصدها الدعام فَدَخلها، ثم هَرَبَ منها، ورجع الأمر إلى بني يعفر الحواليين[1].

ولم يزل إبراهيم بن محمد بن يعفر على صنعاء ومخاليفها، وهو يهادن ابن زياد، وقد اتخذ[2] زبيد دار ملك، ولم تطل مدة إبراهيم بن محمد بن يعفر، فلما هلك قام بالأمر بعده ابنه أسعد بن يعفر إبراهيم بن محمد يعفر بن عبد الرحيم.

وفي أيامه ظهر القرامطة فخرج [قوم من اليمن][3] إلى جبل الرَّس بالمدينة فقدموا بالإمام الهادي يحيى بن الحسين [بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب][4]، وذلك في سنة أربع وثمانين ومئتين، فملك ما بين صنعاء وصعدة، وبعث عماله إلى النواحي، وكان مقيمًا بصعدة[5].

ثم إن أبا العتاهية بن الروية المذحجي استدعى الإمام الهادي من صعدة إلى صنعاء فدخل صنعاء في المحرم من سنة ثمان وثمانين ومئتين، ودعا إلى نفسه فبايعه الناس، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وكتب في الطرز[6]، ووجه عماله إلى المخاليف فقبض الأعشار، وخرج إلى يحصب ورعين ونواحيها، واستخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين، فأقام أيامًا هنالك، ثم عاد إلى صنعاء، ثم خرج منها إلى شبام، واستخلف ابن عمه [علي بن] سليمان على صنعاء.

وكان بعض آل يعفر وبعض آل طريف في سجن صنعاء، وبعضهم في سجن شبام، فاجتمعت هَمْدان وغيرها وقصدوا الهادي إلى شبام وقاتلوه بصنعاء، ووثب من بصنعاء على نائبه بصنعاء وطردوه وكسروا السجن وأخرجوا من كان فيه من آل يعفر وآل طريف، وخرج الهادي من شبام، وأقام بريدة وبيت زود شهرًا، ثم عاد إلى صنعاء في جيش عظيم، فدخل

---

(1) (السلوك) 1: 201.

(2) الضمير في قوله (وقد اتخذ) يعود إلى ابن زياد.

(3) سقط من (ع) وأثبته بالهامش.

(4) زيادة لا توجد في كنز الأخيار ولا في (السلوك) وهي موجودة في (تاريخ صنعاء) لعله أدخلها عليه أحد الشيعة.

(5) (تاريخ صنعاء): 76 و(كنز الأخيار): 52.

(6) كذا في الأصل وفي (الكنز) (الضرب) وفي (تاريخ صنعاء) « للرازي «وكتب اسمه في (طرز الثياب).

صنعاء وانحازت آل يعفر إلى شبام، وتَوَلَّى الأمر فيهم أسعد بن يعفر وابن عمه [عثمان][1] بن أبي الخير بن يعفر، فأقامت الحرب بينهم سجالًا، والناس في ضيق من العيش وانقطاع من الطرق، ثم رجع الهادي إلى صعدة سنة تسع وثمانين ومئتين وذلك في جمادى الآخرة منها، وعادت صنعاء إلى آل يعفر ودخلها مولاهم إبراهيم بن خلف[2].

وفي هذه السنة: توفي المعتضد فاستولى على الخلافة بعده ولده المكتفي علي بن المعتضد أحمد، فاستعمل على اليمن نجح بن نجاح[3]، فوردت كتبه على الأميرين أسعد بن يعفر وعثمان بن أبي الخير بتجديد ولايتهما[4].

وفي ذلك الوقت اشتد القحط[5] باليمن وأكل الناس بعضهم بعضًا، ومات كثير من الناس جوعًا، وخربت في اليمن عدة كثيرة من القرى.

ثم قدم علي بن الحسين جفتم واليًا على اليمن، وهي الولاية الثانية، فلما صار في بلد بني شهاب خرج إليه جراح[6] وإبراهيم بن خلف كالمُسَلِّمين عليه فقبضاه وحبساه في ظهر، وانضم جيشه إليهما، فمكث في الحبس مدة، ثم احتال لنفسه في الخروج، فخرج من الحبس، وصار إلى صنعاء، فانضم إليه أصحابه الذين وصلوا معه، والجند الذين بها.

وكان الأمير أسعد بن أبي يعفر وابن عمه عثمان بن أبي الخير يغدوان إليه في كل يوم، فسألهما تسليم الأمر إليه [فاستنظراه[7] فجمع أصحابه يوما وكبسهما فأرادا الهرب][8]، فلم يمكنهما، فخرجا في مواليهما ومن انضم إليهما من أهل صنعاء، فاقتتلوا فقتل علي بن الحسين بن جفتم، وقتل معه جماعة من أصحابه، ومال الجيش جميعًا إلى آل يعفر، ويقال:

---

(1) سقط من (ع).

(2) سيرة الهادي 19 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 78 وكنز الأخيار: 53.

(3) (تاريخ صنعاء): 79 وفيه عج بن حاج وكذا في (الكنز): 53 وهو الصَّواب وهو أحد ولاة مكة، انظر (العقد الثمين 1: 176).

(4) (تاريخ صنعاء): 79 و(كنز الأخيار): 53.

(5) انظر هذه المجاعة في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 80 وفيه زيادة إيضاح بالهامش، و(كنز الأخيار): 54.

(6) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 81 (وكنز الأخيار) 54. و(سيرة الهادي): 393 وفيه جراح بن بشير.

(7) عبارة (الكنز): 54 (فاستنظراه أياما).

(8) سقط من (و).

إن بعض أهل صنعاء أكل من لحم جفتم، ثم إن أسعد بن أبي يعفر وثب على ابن عمه عثمان بن أبي الخير، فحبسه واستَبَدَّ بالأمر وحده إلى سنة ثلاث وتسعين ومئتين.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومئتين: دخل القرامطة صنعاء، وانحاز الأمير أسعد بن أبي يعفر إلى بلاد قدم[1]، والله أعلم [وأحكم][2].

(1) بلاد قدم: نسبة إلى قبيلة من حاشد وهي منطقة جنوب حجة (المقحفي: 517).

(2) زيادة في (ع).

الفصل السادس

في ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل وبدو أمره

قال علماء السير والتواريخ[1]: كان علي بن الفضل شيعيًا على مذهب الإثني عشرية، فاتفق أنه حَجَّ مكة في بعض السنين، ثم خرج يريد العراق في ركب أهل العراق قاصدًا زيارة قبر الحسين بن علي، فلما وصل إلى العراق وزار قبر الحسين عليه السلام بكى بكاءً شديدًا عنده، وتَرَحَّمَ عليه، واستغفر له، وأظهر من التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القَدَّاح في اصطياده، وكان ميمون القداح يخدم الضريح هو وولده عبيد الله، ولا يكاد يفارقه ليلًا ولا نهارًا، وولده عبيد الله هو جَدُّ العبيديين الذين ملكوا مصر، وتقدم ذكرهم في القسم الأول من الكتاب في الباب الرابع[2] منه، فلما رأى ميمون القداح ما ظهر من علي بن الفضل من التأسف والبكاء طمع في اصطياده فخلا به وحادثه، فَوَجَده مائلًا إلى مذهبهم مع ما تبين له فيه من النجابة والشهامة، وكان ميمون منجمًا، له معرفة بعلوم الفلك، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم، وكان قد شهد له علمه أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم يفضي به إلى الملك، وأن عقبه يتوارثون ملكه بعده دهرًا طويلا، وبعد[3] عليه وجه اتصاله بالملك، وكان على ما حكاه بعض العلماء يهوديًا قد كبته[4] الإسلام، فلم ير بدًا من الدخول فيه، فتظاهر بالإسلام، فقدم مشهد الحسين وادعى أنه من ولده، و[لكن][5] العلماء من العلويين وغيرهم تنكر نسبه إلى أهل البيت، وقد تقدم في صدر كتابنا هذا ذكره مستوفًى[6]، واختلاف أقوال القائلين فيه، والله أعلم.

---

(1) انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 82 و(كنز الأخيار): 55 و(بهجة الزمن): 57 و(السلوك) 1: 201.

(2) يعني سبق في القسم الخاص بتاريخ العالم الإسلامي، وهو الذي نشر قطعة منه الدكتور شاكر عبد المنعم محمود تبتدىء من الفصل السادس والثلاثين.

(3) كذا في الأصل.

(4) (ع) كذا وفي (السلوك) (حسد).

(5) سقط من (و).

(6) انظر الحاشية السابقة.

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب يقال له: منصور بن حسن، وكان اثني عشري المذهب أيضًا، وفيه من العقل والدهاء والفطنة والذكاء ما لا مزيد عليه، فلما قدم علي بن الفضل، ورأى فيه من النجابة جمعهما مَيْمون القداح، وباح لهما ما عنده من المذهب، وأخبرهما أن ابنه إمام الزمان، وأنه لا بُدَّ له من دعاة، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق، فأجاباه إلى ما يريد، ثم قال لهما: اعلما أن «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، وكل أمر يكون مبدؤه من اليمن – أو من قبل اليمن – فهو ثابت لثبوت نجمه.

وكان منصور قد عرف من ميمون إصابات كثيرةً، فأجابه إلى ذلك ووافقهما علي بن الفضل، فعاهد بينهما وأوصى كل واحد بصاحبه، ثم قال لمنصور: الله الله في صاحبك: احفظه وأحسن إليه، وأمره بحسن السيرة، فإنه شاب ولا آمن عليه، وقال لعلي بن الفضل: الله الله في صاحبك، وَقِّرَه واعرف حقه، ولا تخرج عن أمره، فإنه أعرف منك ومِنِّي، فإن عصيته لم ترشد، فسارا إلى اليمن، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر، واختلاف آل يعفر فافترقا من غلافقة[1]، فقدم منصور لاعة عدن، وبذلك أمره ميمون القداح، وقصد علي بن الفضل سرو يافع، وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها يظهر الزهد والتَّقشف والورع والصَّلاح حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته، لما ظهر من ظاهر أمره، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زَكَوَاتهم، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم.فقال منصور بن حسن لمن حوله: أريد موضعًا منيعًا يكون بيت مال للمسلمين، فسارعوا إلى قوله، وبنوا له موضعًا يسمى عين محرم، وهو حصن كان لقوم يقال لهم: بنو العرجاء[2] تحت مسور، فلما حَصَّنه نقل ما كان عنده من دراهم وطعام، وجمع من رجال الحَرْب نحوًا من خمس مئة رجل، فعاهدهم على القيام بدعوة الإمام المهدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ. وانتقلوا إليه بأموالهم وأولادهم، واستوطنوا الحصن، وأنكر الناس ذلك [من أمره][3]، فقال: إنما تَحَصَّنت من السلطان، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه، فهزمهم هزيمةً[4] شديدة، فعظم شأنه وشاع ذكره، وعمل لنفسه طبولًا ورايات، وأظهر مذهبه ودعا إلى المهدي،

(1) غلافقة: بضم الغين المعجمة: كانت ميناء مشهور تقع بين الحديدة وزبيد (صفة جزيرة العرب: 61).
(2) في (ع) القدعاء.
(3) سقط من (و).
(4) في (ع) هزمة.

وقال: ما أخذت هذا بحالي ولا برجالي، وإنما أنا داعي المهدي، فانهمك إليه عامة الناس، فدخلوا في مذهبه.

ثم سَمَتْ همته إلى ارتكاب جبل مسور، فَأَعَدَّ له الرجال والعدد، ثم عامل عشرين رجلًا من المرتبين في حصن مسور، فجمع جموعه وطلع الجبل في وقت معلوم، ففتح له أولئك العشرون، وقال: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: 46]، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل، وكانت طبوله ثلاثين طبلًا إذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة، وأَمَّن [مستحفظ][1] الحصن ومن معه مال جزيل للحواليين، فلم يعرض له، وعمر بيت ريب[2] وجعله دار الإمارة، وحَصَّنه وحَصَّن سائر الجبل، ودَرَّبَه[3] من كل ناحية، وجعل له بابين، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله حتى أبادهم وأخذ أموالهم، وملك جميع تلك المخاليف.

وسار إلى بلد بني شاور[4] فافتحها، ثم خرج إلى ناحية شبام فحارب الحواليين فكسروه وقتلوا طائفةً من عسكره، ثم عامل رجلًا من مواليهم كان مستحفظًا على حصن الضلع، وسار نحو الحواليين فهزمهم وغنم جميع ما كان لهم بشبام، فنقله إلى مسور، ثم خالف عليه ذلك المولى[5] الذي كان عامله على الحصن، وندم على ما فعل، واستدعى العساكر من صنعاء فكسوه[6] إلى شبام، فخرج منهزمًا إلى مسور، وترك كل ما كان له هنالك، وكتب إلى ميمون القداح وولده عبيد الله يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد، وبعث هدايا من طرف اليمن، وذلك في سنة تسعين ومئتين، والله أعلم.

وأما علي بن الفضل، فهو رجل من أهل اليمن خَنْفَرِي النَّسب من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الأصغر، وكان ساقطًا في أول عمره مغمورًا لا شهرة له، إلاَّ أنه كان أديبًا ذكيا شجاعًا جريئًا لسنًا فصيحًا، ورحل من اليمن [إلى الكوفة][7] - كما ذكرنا - وتَعَلَّمَ

---

(1) سقط من (و).

(2) بيت ريب: حصن في جبل مسور من أعمال حَجَّة (المقحفي: 289).

(3) أي جعل له دربا وهو السور.

(4) بلد بني شاور: نسبة إلى شاور من حاشد من همدان وتقع بناحية الرجم وأعمال الطويلة (المقحفي: 348).

(5) في (ع) الوالي.

(6) في (ع) فكبسوه وهو الأصح.

(7) سقط من (ع).

مذهب الإسماعيلية، ورجع إلى اليمن داعيةً هو ومنصور بن حسن فافترقا من غلافقة فطلع علي بن الفضل إلى الجَنَدِ، ثم خرج منها إلى أبين، ثم خرج إلى يافع فوجدهم رعاعًا، فجعل يتعبد في بطون الأودية، ويأتونه بالطعام فلا يأكل منه شيئًا، وإن أكل منه أكل شيئًا يسيرًا، وكان قد أقام في رأس جبل متخليًا بزَعْمِه للعبادة. وكان يريهم أنه يصوم النهار ويقوم الليل، فأَحَبُّوهُ وافتتنوا به، وجعلوا أمرهم بيده، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم، فقال: لا أفعل إلا أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، وتتوبوا إلى الله من سائر المعاصي، وتقبلوا على طاعة الله. فأجابوه إلى ذلك، فأخذ عليهم العهود والمواثيق بالسمع والطاعة له، ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرق[1] ففعلوا، فأنهبهم أطراف البلاد وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين حتى يَدْخلوا في دين الله طوعًا وكرهًا.

وكان يومئذ في لحج وأبين رجل يعرف بابن أبي العلاء من الأصابح مالكًا لهما، فقَصَدَهُ ابن الفضل بمن معه من يافع وغيرهم، فهزَمَهُ ابن أبي العلاء وقتل من أصحابه خلقًا كثيرًا، وانهزم علي بن الفضل إلى صهيب[2] واجتمع هنالك أصحابه المنهزمون جميعًا، فقال لهم: إني أرى رأيًا صائبًا؟ فقالوا: وما هو؟ قال: اعلموا أن القوم قد أمنوا مِنَّا، وأرى أنا نَهْجُم عليهم فإنا نظفر بهم، فوافقوه إلى ما يريد، فلم يشعر ابن أبي العلاء إلَّا وهو معه بخَنْفَر على حين غفلة، وافتراق من أصحابه، فقتل ابن أبي العلاء وطائفة كثيرة من أصحابه، واستباح ما كان لهم، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء سبعين بدرة، والبدرة عشرة آلاف درهم [الجملة سبع مئة ألف درهم][3]، وعاد إلى بلد يافع، فعظم شأنه وشاع ذكره.

ثم قصد المذيخرة[4] في سنة إحدى وتسعين ومئتين، وبها جعفر بن محمد المناخي، وهو الذي ينسب إليه مخلاف جعفر، وكان قد كتب إليه: بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين

---

(1) في (ع) السرو.

(2) صهيب: تعرف قديما سبا صهيب وهي بلد في الجنوب الشرقي من الضالع بين لحج وقطيب (المقحفي): 57.

(3) سقط من (و).

(4) المذيخيرة: بلد مشهور اختطت على سفح جبل ثومان في العدين وكانت عاصمة المناخيين (المقحفي: 45).

وأخذ أموالهم، وإنما قمت لإقامة الحق وإماتة الباطل، فادفع لأهل دلال[1] دية ما قطعت من أياديهم[2]، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاث مئة يد، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زمانًا طويلًا.

ثم إن علي بن الفضل جمع جموعه وسار نحو المعافر[3]، وهي ما بين ذبحان[4] وجبأ[5] وجمع المناخي جموعه وسار نحوه، فلزم هو وأصحابه نقيل الثروات[6]، وقاتلوه هنالك، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه وعاد إلى يافع، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة.

ثم جمعوا جموعهم مرة أخرى وقصدوا المذيخرة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلةً خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومئتين، فدخلها وأخذ حصن التعكر[7]، وانهزم جعفر بن إبراهيم المناخي إلى تهامة، فيقال: إنه بلغ القرتب من وادي زبيد، فأمده صاحب زبيد بجيش كثيف، فرجع جعفر بن إبراهيم يريد المذيخرة فلقيه علي بن الفضل في جموعه وكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم بأكمة حوالة هو وابن عمه أبو الفتوح، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة، ودخلت رؤوسهم المذيخرة يوم السبت أول يوم من شعبان، فقويت شوكة القرامطة، واستولى [علي بن الفضل][8] على بلاد المناخي، وجعلها مستقر ملكه.

وكانت دولة جعفر بن إبراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين إلى سنة اثنتين وتسعين، ثلاثًا وأربعين سنةً.

---

(1) دلال عزلة من بعدان وأعمال إب (مجموع الحجري: 331).
(2) في (و) أموالهم.
(3) المعافر: الاسم القديم لبلاد الحجرية (المقحفي: 636).
(4) ذبحان: عزلة من قضاء الحجرية (المقحفي: 257).
(5) جبأ: بلدة قديمة بين جبل صبر وجبل ذخر (المقحفي: 117).
(6) في (ع) الثروات وفي (الكنز) المطبوعة: 58) البردان وانظر (بهجة الزمن) ط2 تحقيقنا: 62.
(7) حصن مطل على مدينة ذا جبله (المقحفي: 108).
(8) زيادة من (و).

ثم سار علي بن الفضل إلى بلاد يحصب فدخل (منكث)[1] وأخربها، فلما صار بذمار [وكان والي هران من أصحاب الحوالي][2] وجد جيشًا عظيمًا بهران من أصحاب الحوالي، فكتب إلى والي هران يستميله، فأجابه [ودخل في ملته][3]، ثم دخل صنعاء فهرب منه أسعد بن أبي يعفر، فلما صار علي بن الفضل في (صنعاء) أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله [كذب عليه لعنة الله][4]. وأباح لأصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات وسائر المحرّمات، وأنشد[5]: [من المتقارب]

خـذ الـدّف يـا هـذه والـعـبـي ... وغـنِّـي هـزاريـك ثـم اطـربـي
تـولَّـى نـبـيّ بـنـي هـاشـم ... وهـذا نـبـي بـنـي يـعـرب
لـكـل نـبـي مـضـى شـرعـة ... وهـاتـا شـريـعـة هـذا الـنـبـي
فـقـد حـطَّ عـنَّـا فـروض الـصلاة ... وحـطَّ الـصِّـيـام ولـم يُـتْـعِـبْ
إذا الـنَّـاس صـلـوا فـلا تنهضي ... وإن صَـوَّمُـوا فـكـلـي واشـربـي
ولا تَـمْـنَـعـي نـفسك الـمُـعْـرسين ... مـن الأقـربـيـن أو الأجـنـبـي
فـلـم ذا حَـلَـلْـتِ لـهـذا الـغريب ... وصِـرْت مـحـرّمـةً لـلأب؟
ألـيـس الـغـراس لـمـن رَبَّـه ... وأسـقـاه في الـزَّمَـن الـمـجـدب
ومـا الـخَـمْـر إلا كـمـاء الـسـمـاء ... حـلال، فَـقُـدِّسْـتُ مـن مـذهـب
[وصـلـى إلـهـي عـلـى أحـمـد ... وأخـزى الـفـويـسـق مـن يـعـرب
وحَـرَّم عـلـيـه جِـنَـان الـنَّـعـيـم ... فَـقَـدْ بـاح بـالـكُـفْـر لـم يـرقـب][1]

ولما علم المنصور بن حسن بدخول علي بن الفضل صنعاء سَرَّه ذلك، وتَجَهَّزَ للمسير إليه، فلما سار إليه والتقيا أقاما أيامًا وابن الفضل يبجل منصورًا، ويقول: إنما أنا سيف من سيوفك،

(1) منكث: قرية بجوار ظفار ذي ريدان من عزله بني منبه وأعمال يريم (مجموع الحجري: 722).
(2) زيادة في (ع).
(3) زيادة في (و).
(4) زيادة من (ع).
(5) انظر ما كتبناه في تخريج هذه القصيدة اللعينة في هامش (تحفة الزمن) 1: 146 ط ثانية.
(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع) أدخلها بعضهم في الرَّد على هذه القصيدة الكفرية، جزاه الله خيرا.

وكان منصور بن حسن يهاب[1] علي بن الفضل ويخافه لما يرى من شهامته وصرامته.

ثم عَزَمَ علي بن الفضل على نزول تهامة فنهاه صاحبه منصور بن حسن، وقال له: الصَّواب أن تَتَأَنَّى وتقف بصنعاء وأنا بشبام سنةً حتى نصلح جميع ما استفتحناه، فلم يقبل منه، فجمع ثلاثين ألفًا ما بين فارس وراجل، وسار على طريق اللحب[2]، فلما تَوَسَّط مضايق البلاد ثاروا عليه ولزموا الطريق، فلم يقدر على التَّخَلص، فلما علم منصور بن حسن جمع جموعه وسار نحوه، فاستنقذه وعاد إلى صَنْعَاء ورَتَّب بها، وسار إلى حراز ومِلْحَان[3]، ونزل المَهْجَم[4] فقتل صاحبها، ثم سار إلى الكَدْرَاء[5] فأخذها، وسار إلى زبيد فهرب صاحبها إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد فهجم على من فيها فقتلهم واستباحهم وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء، ثم خرج منها، فلما صار في موضع [يسمى[6]] الملاحيط جمع جنده، وقال: إن هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ونساء الحصيب فتنة، فاذبحوا ما في أيديكم منهن وتَجَرَّدوا للجهاد، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة، فسمي الموضع المشاحيط.

ثم رجع إلى المذيخرة، وقد جعلها دار مملكته، وأمر بِقَطْع الحج.

ثم إن أهل صنعاء استدعوا بالإمام الهادي - وكان مقيمًا بصعدة - فسار إليهم وَوَجَّه ابنه أبا القاسم المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى ذمار ومخاليفها، فاستعمل العمال.

ثم تعاظم أمر القرامطة، وقصدوا أبا القاسم المرتضى إلى ذمار، فخرج من ذمار إلى أبيه وكان بصنعاء، وذلك في سنة أربع وتسعين ومئتين.

ثم إن موالي بني يعفر: الحسن بن كبالة[7] وابن خراج، جمعوا جموعهم لحرب الإمام الهادي، فندب أهل صنعاء لحربهم فتخاذلوا عنه، فخرج من صنعاء إلى صعدة، فدخل أسعد بن يعفر الحوالي صنعاء فملكها[8].

---

(1) في (ع) يخاف.

(2) في (ع) الخبت.

(3) ملحان: جبل منيع في بلاد المحويت يطل على تهامة (المقحفي: 28).

(4) المَهْجم: مدينة خاربة في وادي سردد بالقرب من الزيدية (المقحفي: 28).

(5) الكدراء: من المدن التهامية القديمة تقع وسط وادي سهام (المقحفي: 552).

(6) زيادة من (ع).

(7) في (و) كالة انظر سيرة الهادي: 293 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 83.

(8) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 83.

ثم إن ذا الطوق اليافعي أحد قُوَّاد علي بن الفضل، قصد ابن الروية المذحجي إلى ذمار، فهَرَب منه إلى رداع وجمع عشيرته، فقصده ذو الطوق إلى رداع فقتله.

ثم سار ذو الطوق نَحْوَ صَنْعاء، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم، فقاتله ذو الطوق فهزمه، وقتل من أصحابه نحوًا من ثلاث مئة رجل، ومن سائر جَمْعِه عِدَّة، ودَخَلَ ذو الطوق صنعاء فملكها.

واستدعى[1] أهل صنعاء بالإمام الهادي أيضًا، فنهض نحوهم وبعث مقدّمةً من عسكره [وعليهم[2]] علي بن جعفر العلوي والدَّعام بن إبراهيم، وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر، فخرجت القرامطة من صنعاء ودخلها المرتضى محمد بن الإمام الهادي، فأقام فيها زمانًا حتى جاءته القرامطة بما لا قبل له به، فخرج من صنعاء وخرج معه جيش عظيم من صنعاء فلقيهم الهادي بِوَرْوَرْ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد، فعادوا جميعًا إلى صعدة، ولم يلبث الإمام الهادي أن توفي، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومئتين[3].

ولما انتشرت القرامطة باليمن وعظم أمرهم جمع آل يعفر مواليهم ومن قَدَروا عليه، وقَصَدُوا القرامطة إلى صنعاء، فقتلوا بعضهم وهَرَبَ الباقون، ودخل ابن أبي يعفر صنعاء وملكها، ثم قَصَدَ علي بن الفضل صنعاء في سنة تسع وتسعين ومئتين فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم من السنة المذكورة، وخرج أسعد بن أبي يعفر منها هاربًا، فرتَّبَ عليها علي بن الفضل من يحفظها، ولما رأى علي بن الفضل أنه قد استحكم له أمر اليمن خلع طاعة عبيد الله المهدي، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك، فعاد جوابه يعاتبه، ويقول: كيف تخلع من لم تنل خيرًا إلا به وببركة الدعاء إليه، أَمَا تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق، وما أخذ علينا جميعًا من الوَصِيَّة بالاتفاق وعدم الافتراق؟ فلم يلتفت إليه، فكتب إليه علي بن الفضل كتابًا يقول فيه: إن لي بأبي سعيد الجَنَّابي[4] أسوةً، وقد دعا

(1) كنز الأخيار: 6.

(2) سقط من (و).

(3) الذي يبدو من الحوادث أن الهادي لم يكن جادا في حرب القرامطة ولما يقوم به ابن الفضل من حرب أهل السنة واستئصال شافتهم وبذلك يكون قد حقق هدفه من نشر مذهبه الشيعي بعد فراغ البلاد ممن يعتقد مذاهب أهل السنة والجماعة والله المستعان.

(4) في (ع) الجبائي (خطأ) وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام كبير القرامطة وصاحب مذهبهم وكان معاصرا لعلي بن الفضل توفي سنة 301 هـ انظر أخباره في (الكامل) لابن الأثير 8: 27 وغيره.

إلى نفسه، وأنت إن لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب.

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظَنِّه صحته[1]، فطَلَعَ جبل مسور[2] وحَصَّنَه من كل ناحية، وقال: إنما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشَّرَ في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء.

ثم إن علي بن الفَضْل سار لحرب منصور بن حسن وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشَّجاعة والإقدام في عسكره، وحَصَرَهُ ثمانية أشهر، فلم يظفر منه بطائل، وشق به الوقوف فراسله منصور بالصلح. فقال: لا أفعل إلا أن يرسل إليّ بعض ولده يقف معي على الطاعة، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلًا لا عجزًا، فأرسل منصور [بعض[3]] أولاده إليه، فَطَوَّقه علي بن الفضل طوقًا من ذهب، وسار به معه إلى صنعاء فأقام بها أيامًا، وكان أسعد بن أبي يعفر ومولاهم الحسن بن كبالة بذمار، فلما تَوَجَّهَ علي بن الفضل نحو المذيخرة وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن بن كبالة فقتله، فاصطلح هو وعلي بن الفَضْل فَوَلَّاه صنعاء، وخطب له ولبس البياض[4]، وقطع ذِكْرُ بني العباس، وتراجع أهل صنعاء وأمن الناس، وكان أسعد بن أبي يعفر حذرًا من غدْرِه، ولا يكاد يستقر بصنعاء خوفًا من غارة تهجم عليه، وكان عنوان كتابة [علي بن الفضل][5] إذا كتب: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الأرض ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده فلان؟ وكفى بهذا دليلًا على كفره.

وفي مدة[6] نيابة أسعد بن أبي يعفر لعلي بن الفضل قدم رجل غريب من أهل بغداد، يُذْكر أنه شريف فصحبه أسعد بن أبي يعفر واخْتَصَّ به، فأقام عنده مدة، وكان جرائحيا ماهرًا في عمل الأدوية، بصيرًا بفتح العروق ومداواة الجرحى، فلما رأى شِدَّة خوف أسعد من علي بن الفضل، قال له: قد عزمت على أن أهب نفسي لله وللمسلمين، وأريح النَّاس من هذا الرجل الطاغي. فقال له أسعد: لئن فعلت، ثم عدت إليّ لأقاسِمَنَّك فيما أنا فيه من الملك، فأخذ

(1) في (ع) صحة ذلك.

(2) مسور: جبال تقع إلى الشمال من صنعاء (المقحفي: 623).

(3) سقط من (و).

(4) البياض شعار الشيعة في ذلك الوقت على عكس السَّواد شعار بني العباس.

(5) زيادة في (ع).

(6) انظر (كنز الأخيار): 61 و(بهجة الزمن): 66 و(السلوك) 1: 211.

منه عهدًا وميثاقًا، وخَرَجَ من صنعاء يريد المذيخرة، فلما قَدِمَهَا خالط وجوه الدَّولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة، وفَصَدَ من احتاج الفصد، وانتفع به ناس كثير، فرفع ذكره إلى علي بن الفضل، وأثني عليه في حضرته، وقيل له: إنه لا يصلح إلا لمِثْلك، فلما كان ذات يوم أَحَبَّ الفصاد فطلبه فلما حَضَرَ بين يديه جرده من ثيابه وغسل المبضع وهو ينظر، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل، فلما دَنَا منه ليفصده وقعد بين يديه ومَصَّ المبضع تنزيهًا لنفسه، ثم مسحه بأطراف شعره كالمجَفِّفِ له، فعَلِقَ فيه ما علق من السُّم، ثم فصده الأكحل[1] ورَبَطَه، وخرج من فوره هاربًا من المذيخرة متوجهًا إلى أسعد بن أبي يعفر، فلما كان بعد ساعة أَحَسَّ علي بن الفضل بالموت، فطلب الحكيم الغريب، فلم يجد له خبرًا، فأيقن بالموت فأمر أن يلحق حيث كان، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[2] فأرادوا لزمه فامتنع، وقاتل على نفسه حتى قتل في ذلك الموضع، فقبره في ذلك الموضع.

وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك، [وكانت وفاته ليلة الخميس[3] النِّصف من ربيع الآخر سنة ثلاث] وثلاث مئة، وكانت مدة مجيئه وملكه سبع عشرة سنة، فلا رحم الله مثْوَاه، ولا بَلَّ بشيء من الرحمة ثراه.

ولما[4] علم أسعد بن أبي يعفر بوفاته فرح فرحًا شديدًا، وخَرَج يريد المذيخرة، وكتب إلى أهل الجَنَد والمعافر، فالتَفَّ العسكر إليه، وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم إليه أهل مذهبه وتحصَّنُوا بالمذيخرة، فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر، فنصب لهم المنجنيقات، ولم يزل مصابرًا لهم مدة سنة كاملة حتى أخربها المنجنيق، ودخلها قهرًا بالسيف، وقتل [ولد] علي بن الفضل وسبى بناته، وكنَّ ثلاثًا، فَرَّقهن في رؤوساء العرب، ووهب واحدةً منهن لابن أخيه قَحْطَان بن عبد الله بن أبي يعفر، فولدت له عبد الله بن قحطان، وكان اسمها معاذة، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر، ولم تزل المذيخرة خرابًا إلى عَصْرِنا هذا، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها، والله أعلم.

(1) الاكحل: عرق في الذراع يفصد (المصباح المنير: 527).

(2) في (ع) شيان وقينان انظرها في (السلوك) 1: 212 من يحصب السفلي.

(3) زيادة في (و).

(4) هنا سقط قدر ورقتين في مخطوطة (ع) فأكملناه من (و) و(السلوك) 1: 212 و(الكنز): 76.

واستولى الأمير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب من سنة أربع وثلاث مئة.

وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور قَدِمَ اليمن الوزير علي[1] بن عيسى بن الجراح من العراق، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة، وقُدّم له مالًا كثيرًا، ورجع الوزير إلى بغداد، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور، فعمل في رفع الخراج عن اليمن، فجزاه الله خيرًا.

وولي بعده أبو يعفر سبعة أشهر، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل وكانت وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وكانت له وقعات مشهورة، منها: أن أبا يعقوب المحابي[2] وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي، فالتقوا للحرب في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، فقتل منهم مقتلةً عظيمة نحوًا من ألفي رجل، وكانت الدائرة على أبي يعقوب المحابي، وهو من جهة الحسين بن سلامة، والله أعلم.

وأما منصور بن حسن: فكان رجلًا عاقلًا لبيبًا كاملًا وكان وادعًا يحب المباقاة[3]، ولم يبرح في جهة لاعة إلى أن توفي في سنة اثنتين وثلاث مئة، ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه الحسن بن منصور وإلى رجل من أصحابه يقال له: عبد الله الشاوري[4]، وكان خِصِّيصًا به فأمرهما بالمحافظة على مذهبه [الخسيس] وألاَّ يقطعا أمرًا دون عبيد الله المهدي، وأمرهما بمكاتبة المهدي، فإذا ورد كتابه بولاية أحدهما سَمِعَ الآخر وأطاع، فكتب الشاوري إلى المهدي [وهو معهم بالمهدية][5] برسالة وهدية وعرفه بموت منصور [وأنه قد قام بالدعوة وبعث بالكتاب مع الحسن بن منصور][6].

---

(1) هو وزير المقتدر العباسي انظر أخباره بتوسع في (تاريخ بغداد) 12: 14 و(تاريخ ابن عساكر) 12: 244 و(المنتظم) 6: 351 و(معجم الأدباء) 14: 41...73 وسير أعلام النبلاء15: 298 وذكر وفادته إلى اليمن ابن جرير الصنعاء في (تاريخ صنعاء): 170 وذكر أنه هو الذي جَدَّد عمارة مسجد الأمير.

(2) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المحابي توفي سنة344هـ (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 86.

(3) كذا في الأصل و(السلوك) 1: 213.

(4) انظر في (السلوك) 1: 213.

(5) زيادة من (السلوك) 1: 213.

(6) سقط من (و).

وكان منصور بن حسن قد أرسل الشاوري إلى المهدي برسالة وهدية، وقد عَرَفَه المهدي فلما سار حسن بن منصور بكتاب الشاوري، قدم عليه وهو في المهدية، فدفع إليه الكتاب، فلما قرأه أَقَرَّ الشاوري بالاستقلال، وبعث إليه تسع رايات، وعاد الحسن بن منصور خائبًا.

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري وعَزْل أولاد منصور ووصل الحسن بن منصور خائبًا عمل على قتل الشاوري فنهاه إخوته فلم ينته وكان أولاد منصور يواصلونه، وهو يكرمهم ويبجلهم، ولا يحتجب منهم أحدًا، ثم إن الحسن بن منصور دخل يومًا على الشاوري في بعض الغفلات فلم يجد عنده أحدًا فقتله واستولى على البلاد.

فلما استوثق له الأمر جَمَعَ الرعايا من أقاصي البلاد وأدانيها وأشهدهم على نفسه وأنه قد خرج من مذهب القرامطة إلى مذهب أهل السنة، فأحبه الناس ودانوا له، فدخل عليه أخ له يُسَمَّى جعفر فنهاه عما فعل وقَبَّحه عليه، فلم يلتفت إليه، وقتل القرامطة الذين حوله وشَرَّدهم في كل وجه، ثم إنه خرج يومًا من مسور إلى عين محرم[1] وفيه رجل من قبله يقال له: ابن العرجاء، فاستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب، فلما دخل عليه حسن بن منصور عين محرم وثب عليه ابن العرجاء فقتله واستولى على ما تحت يده، وبلغ الخبر إبراهيم بن عبد الحميد فلزم مسورًا، وادعى الأمر لنفسه، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم، إلى جبل بني أعشب فوثب عليهم المسلمون[2] فقتلوهم ولم يبقوا على أحد منهم وَسَبُوا حريمهم.

ثم اتفق ابن العرجاء وإبراهيم بن عبد الحميد فاقتسما البلاد نصفين[3]، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السنة، وخَطَبَ للخليفة العباسي، وكاتب الأمير إبراهيم بن زياد صاحب زَبيد ودخل في طاعته، وسأله أن يرسل إليه برجل من قبله، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسَّراج وقال له ابن زياد: إذا أمكنتك الفرصة من إبراهيم فثب عليه. فتلقاه إبراهيم وأنصفه وأكرمه، فعامل عليه السراج من يقتله، فبلغ العلم إلى إبراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج وحلق رأسه ولحيته ونفاه وقطع مواصلة ابن زياد.

---

(1) عين محرم سبق ذكرها وهي حصن تحت جبل مسور.

(2) في (السلوك) 1: 214 الناس.

(3) في (كنزالأخيار): 76 (المغرب).

وتَتَبَّعَ القرامطة بالقتل والسَّبي حتى أفناهم، ولم يبق منهم إلا طائفةً قليلة بناحية مسور كاتمين أمرهم مقيمين ناموسهم برجل يقال له: ابن الطفيل[1]، فقتله إبراهيم بن عبد الحميد، فانتقلت الدعوة إلى رجل يعرف بابن قحيم[2]، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم بن عبد الحميد، فخاف ابن فحيم على نفسه، فكان لا يستقر في موضع واحد خوفًا من المنتاب [ومن معه من المسلمين][3]، وكان يكاتب المعز إلى مصر بعد خروجه من القيروان، فلما حضرته الوفاة استخلف رجلًا من شبام يقال له: يوسف بن الأسد[4]، فأقام دعوته مدة حياته، فلما حضرته الوفاة استخلف عند موته سليمان بن عبد الله الزَّواحي، [وهو رجل من حمير، والزواحي أيضًا قرية من أعمال حراز ينسب إليها المذكور، والزواحي أيضًا قرية من أعمال خدد، والزواحي أيضًا قرية من أعمال حيس بتهامة][5]، فكان سليمان بن عبد الله الزواحي داعيًا في أيام الحاكم[6] والظاهر وأول أيام المستنصر، وكان كثير المال والجاه، واستمال الرِّعاع والطغام إلى مذهبه، وكلما هَمَّ به المسلمون دافعهم بالجميل، ويقول: أنا رجل مسلم، أقول أشهد أن لا إله إلا الله. فيمسكون عنه، وكان فيه كرم نفس، وإفضال على الناس، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي، الذي سيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

(1) (كنز الأخيار): 77.

(2) في (الكنز) (ابن مخيم) و(السلوك) (ابن رحيم) وهو الصواب.

(3) زيادة من (الكنز).

(4) (السلوك): الأشج و(كنزالأخيار): الأسر.

(5) زيادة لا توجد في (السلوك).

(6) الحاكم والظاهر والمستنصر هم ملوك الدولة االفاطمية في مصر انظر أخبارهم بتوسع في (اتعاظ الحنفاء) للمقريزي.

الفصل السابع

في ذكر الأمراء المتغلبين على صنعاء

قال علماء السير[1]: لما أهلك الله علي بن الفضل القرمطي في التاريخ المذكور استولى على صَنْعاء ومخاليفها والجَنَد وأعمالها وسائر جهات اليمن الأعلى الأمير أسعد بن أبي يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم، إلاَّ صعدة وأعمالها فإنها كانت تحت يد الإمام المرتضى محمد بن الهادي، وكان وادعًا ناسكًا مؤثرًا للعبادة والعلم، ولم يزل في منزله بِصَعْدة إلى أن توفي سنة عشر وثلاث مئة.

فلما توفي في التاريخ المذكور قام بالأمر بعده أخوه الإمام أحمد الناصر فاستولى على كثير من البلاد ودخل عدن في ثمانين ألفًا فيها أربعون ألف قوس، فدان له كثير من البلاد، وأقام في إمامته إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وقيل: خمس وعشرين، والله أعلم.

ولم يزل أسعد بن أبي يعفر مستوليًا على صنعاء وأعمالها إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة، وكانت [وفاته بكحلان][2]، ثم حمل في تابوته إلى شاهرة، وهي التي وقفها على الجامع بصنعاء، ودفن هنالك[3].

وفي أيامه كان قيام الإمام الناصر أحمد بن الهادي [ولم تزل صنعاء في يد بني يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم وقيام من يقوم عليهم إلى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وصل المختار بن الناصر أحمد بن الهادي][4]، إلى ريدة، فخرج من صنعاء من كان فيها من بني الضحاك، فولاها المختار أبا القاسم بن يحيى بن خلف، ولم يلبث الضحاك أن غدر بالمختار بن الناصر فحبسه في قصر ريدة في شهر صفر من سنة

---

(1) (كنز الأخيار): 62.

(2) بياض في (ع).

(3) انظر: نص وَقْفيَّة الأمير أسعد بن ابي يعفر المذكور في (تاريخ صنعاء: 191) تحقيقنا والوثائق السياسية اليمنية لمحمد بن علي الأكوع: 299.

(4) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

خمس وأربعين وثلاث مئة، وأقام محبوسًا إلى شهر شوال من السنة المذكورة [وقتله][1]، وكان علي[2] بن وردان من موالي آل يعفر قد غلب على صنعاء، فثار الأسمر[3] بن يوسف بن أبي الفتوح الخولاني فقامت معه خولان، فعارض بنو يعفر وبنو الضحاك فقصدوه وهو بخدار[4] فهزمهم وقتل من هَمْدان خلقًا كثيرًا، وتوفي علي بن وردان في سنة خمس وأربعين وثلاث مئة، وقد استخلف أخاه سابور[5] فقام بالأمر وصار الضحاك معه كما كان مع أخيه، فخرجا جميعًا لقتال ابن أبي الفتوح الخولاني [إلى بلد خولان فلم يظفر منه بشيء فعاد الضحاك إلى صنعاء وسار سابور يريد ذمار فلحقه الأسمر بن أبي الفتوح الخولاني][6]، فقتله في نقيل يكلى[7]، وذلك في سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة.

وكتب الضحاك إلى أبي الجيش[8] بن زياد صاحب زبيد وبذل له الطاعة، وخطب له بصنعاء في شوال من سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة.

وكتب الأسمر الخولاني إلى الأمير عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر الخولاني، وهو يومئذ بشبام، أن يقوم بالأمر، فخرج الأمير عبد الله بن قحطان إلى السر[9] فأقام مع الأسمر ابن أبي الفتوح الخولاني أيامًا، ثم سار نحو كحلان فأقام به مدة ورجع إلى صَنْعاء فدخلها سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة. وخرج منها الضحاك منهزمًا ولم يلبث ابن قحطان أن خرج من صنعاء فدخلها، واستعادها الضحاك وأعاد الخطبة لابن زياد، فلم يستقر له أمر، وعاد الأمر إلى عبد الله بن قحطان وامتدت أيامه.

وفي أيامه قام الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي، وذلك في سنة ثمان وستين وثلاث مئة، فخرج إلى نَجْران ثم إلى بلد الرَّبيعة، ثم سار إلى ريدة واستخرج

---

(1) زيادة من (ع) و(كنز الأخيار).

(2) (كنز الأخيار): 62 (في المطبوعة ورد اسمه ذودان) (خطأ) انظر (تاريخ صنعاء): 84 (تحقيقنا).

(3) انظره في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 86 و(كنز الأخيار): 62.

(4) في (و) حراز.

(5) انظره في (تاريخ صنعاء): 886 و(كنز الأخيار): 62.

(6) سقط من (و).

(7) يكلى: بلد من ناحية الحدا (المقحفي: 766).

(8) في (ع) أمير الحبش.

(9) (كنز الأخيار): 24.

عَمَّه المختار بن الناصر، رحمه الله، فوجده على هيئته من حين قتله الضحاك – هكذا قاله الشريف إدريس في كتابه (كنز الأخيار[1]) – فدفنه وسار إلى صنعاء فدخلها في شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة، وخطب لنفسه، وهدم ما كان بني في دور[2] صنعاء.

وسار قيس بن الضحاك إلى بيت بوس[3] عند قدوم الإمام يوسف صنعاء، ثم خرج الإمام يوسف إلى الرحبة فلقيته جموع قيس بن الضحاك وفيهم أسعد بن أبي الفتوح [الخولاني][4] وخيل قد [كان أسعد] استمدها من مأرب، وجمع عظيم من أهل صنعاء وغيرهم، فهزَمُوا أواخرعسكر الإمام وقتلوا منهم جماعة، ثم عطف الإمام في خيله وكان معه نحو من ألف فارس من همدان وحمير وغيرهم، فهزم الناس وقتل منهم عدة قتلى، وأمسى في شعوب[5]، ودخل صنعاء فأقام بها أياما، وخرج [إلى المشرق إلى بلد أبي الفتوح ثم عاد إلى صنعاء فأقام أياما ثم خرج][6] منها فدخلها قيس بن الضحاك وأسعد بن أبي الفتوح، وأقام الإمام يَتَرَدَّدُ في البون، واستَمَدَّ قيس بن الضحاك بابن زياد صاحب زبيد فأمده بشريف من ولد الهادي في عسكر ضخم فسار إلى رَيْدة وطلع الإمام بلد بني صريم، وسار قيس بن الضَّحاك طريق المولدة إلى خيوان[7]، ورجع الشريف الهدوي [وأسعد][8] بن أبي الفتوح إلى صَنْعاء،ثم أقبل الإمام وقد جمع جموعا عظيمة، واختلف الشَّريف الهدوي وابن أبي الفتوح، فسار الشريف إلى الإمام فقاتلوا أسعد بن أبي الفتوح على أبواب صنعاء أربعة أيام لم يظفروا بشيء[9] منه، فأخربوا ما حول صنعاء من الأعناب وغيرها، وذلك في سنة تسع وستين وثلاث مئة، ورجع الإمام ومن معه إلى ريدة[10]، وأقام أسعد في صنعاء وناصره سلمة بن محمد الشهابي، فأقاما

---

(1) (كنز الأخيار): 24.

(2) كذا في الأصل وفي (الكنز) (درب) وهو السور.

(3) بيت بوس: قرية حصينة تقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء (المقحفي: 94).

(4) سقط من (و).

(5) شعوب: واد ملاصق لصنعاء من الشمال، وهو الآن ضاحية صنعاء الشمالية (المقحفي: 368).

(6) سقط من (و).

(7) خيوان: واد مشهور يقع إلى الشمال من صنعاء (المقحفي: 234).

(8) سقط من (ع).

(9) انظره في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 97 و(كنز الأخيار): 65.

(10) (الكنز) المطبوعة: 65 زبيد خطا.

زمانا ثم اختلفا [فقام][1]: أهل صنعاء مع سلمة على أسعد بن أبي الفتوح حتى أخرجوه من صنعاء إلى بيت بوس، فكتب أسعد بن أبي الفتوح إلى الإمام يوسف بالسمع والطاعة وحرب أهل صنعاء، فالتقيا إلى ضلع ودخلا صنعاء على سلمة بعد قتال شديد، فانحاز سلمة إلى دار [فهجم عليه وأخذ][2] وقتل جماعة من الشهابيين، وهدم الإمام الدرب.

ثم فسد ما بين الإمام وأسعد بن أبي الفتوح، فخرج الإمام إلى بلد خيوان فأخرب دورًا كثيرة فيها، إلَّا دار ابن أبي الفتوح، وعاد الإمام إلى صنعاء [وكان يخرج لحرب ابن أبي الفتوح إلى بيت بوس، واتفق الإمام والضحاك وجعل له الإمام جباية صنعاء][3]، ثم اختلف عليه هَمْدان فسار إلى بلد عنس، فأقام بذمار زمانًا، ثم سار إلى مارب، فوصل ريدة وجمع همدان، وصار إلى صنعاء وذلك في سنة أربع وسبعين وثلاث مئة.

ثم خالفت عليه هَمْدان، فرجع إلى مكاتبة ابن أبي الفتوح وبذل له نصف جباية صنعاء، فصار إليه وطرد عمال ابن الضحاك[4]، ودخلها وخطب للإمام وعبد الله بن قحطان من غير أن يؤامر[5] الإمام في ذلك، فلامه على ذلك، وقطع ذكر الجميع، فسار الإمام إلى حوث[6]، فبنى بها منزلًا، ونقل أولاده إليه.

وفي سنة تسع وسبعين: تجهز الأمير عبد الله بن قحطان لنزول تهامة، فسار إليها في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فلقيه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حراز فاقتتلوا هنالك، فانهزم ابن زياد وقتل من عسكره خلق كثير، ودخل عبد الله بن قحطان زبيد فنهب دور بني زياد أقبح نهب، وأقام في زبيد ستة أيام، ونهب العسكر زبيد نهبًا شديدًا، ثم خرج عبد الله بن قحطان من زبيد [يريد][7] كحلان.

وفي هذا التاريخ أمر بقطع خطبة بني العباس في بلاده، وخطب للمعز العبيدي صاحب مصر، ثم خرج من كحلان قاصدًا مخلاف جعفر فملكه واستولى عليه في سنة [ثلاث و][8]

(1) خرج في (و) وأثبتاه من (ع) و(الكنز): 95.
(2) زيادة لا توجد في (ع).
(3) سقط من (ع).
(4) في (ع) بني الضحاك.
(5) في (الكنز): 65 يؤامره، ومعنى يؤامره يشاوره في الأمر.
(6) حوث: بلدة مشهورة في بلاد حاشد (المقحفي: 207).
(7) سقط من (و).
(8) زيادة في (ع).

ثمانين وثلاث مئة، وأقام بإب واضطرب عليه أمر المخلاف فأمر بعمارة المنظر، وتحول إليه من إب، وجعل أمر [ألهان][1] إلى أسعد بن أبي الفتوح الخولاني، فأعانه على من أراد مناوأته من أمراء العرب.

وتوفي[2] الأمير عبد الله بن قحطان في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، فقام بالأمر بعده أسعد بن عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي، فكان أمر صنعاء مضطربًا، تارةً يغلب عليها [الإمام][3] وابن أبي الفتوح، وتارةً إلى الضحاك، وكانت العرب من هَمْدان وحِمْيَر وخولان وبني شهاب مفترقةً معهم، من كَثُرَ جَمْعُهُ غَلَبَ على صنعاء.

قال الشريف إدريس[4]: ولم يكن الإمام يوسف من الأئمة السَّابقين عند أهل البيت ولا يَعِدُّوه من الأئمة القائمين بأمر الله تعالى.

فلما كان في سنة تسع وثمانين[5]: وصل الإمام المنصور القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن وكان مقامه قبل ذلك [بترج][6] من بلد خثعم، ثم أقام بتبَالَة[7] واستخرج الغيل القديم الذي كان بها، ووصل إلى صَعْدَة فملكها[8] وسار إلى نَجْران ثم عاد نحو تبالة وترج، فخالف عليه أهل صعدة، فجمع لهم هَمْدان فأخرب دَرْبَها وطرد منها الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر وَوَلَّاها ابنه جعفر بن القاسم فأقام بعيان، ثم وصل إلى ريدة فأطاعه جعفر بن الضحاك وكافة أهل البون وبايعوه، فأرسل إلى صنعاء من قبله شريفًا يعرف بالقاسم بن الحسين الزيدي من ولد زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فَتَصَرَّفَ في صنعاء بأحكام الزيدية[9].

---

(1) زيادة في (ع).
(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 16.
(3) زيادة في (و).
(4) (كنز الأخيار): 65.
(5) (كنز الأخيار): 66 وانظر (سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني): 19 (تحقيقنا).
(6) سقط من (و).
(7) تبالة: بلدة عامرة من عسير (المقحفي: 103).
(8) انظر للتوسع في هذا الخبر: (سيرة المنصور): 24.
(9) (كنز الأخيار): 66: (بأحكام الإمام).

وعاد[1] الإمام القاسم إلى عِيَان واستخرج غيل مذاب[2]، وخالف عليه أهل نجران، فَجَمَع لهم جَمْعًا عظيمًا وسير إليه ابن أبي الفتوح ابن عمّه الموفق بن يوسف، وسارت إليه حاشد وبكيل أبناء هَمْدان والزيدي[3] في أهل صنعاء، وسار نحو نجران في جموعه، فَهَدَمَ بها عدة حصون وأسر منهم جماعةً كثيرة ورجع إلى عيان، ورجع الزَّيدي إلى صنعاء.

ثم إن الإمام القاسم بن علي أمر الشريف الزيدي بالخروج إلى بلاد عَنْس وذَمَار فملكها، فصارت كلها في طاعة الإمام القاسم بن علي، [فلما صار الزيدي إلى ذمار أقام بها، واستعمل الإمام على صنعاء ولاةً يوليهم وهو يعزلهم][4] واحدًا بعد واحد، ثم وصل الإمام إلى ريدة فسأل الناس النصرة على أهل نَجْران – وكانوا قد رجعوا عن طاعته وأفسدوا عليه – فأجابه الناس إلى ما طلب [وكَتَبَ الشريف الزيدي بالخروج إلى بلاد عنس وذمار فملكها، فصارت كلها في طاعة الإمام القاسم بن علي، فلما صار الزيدي إلى ذمار أقام بها، واستعمل الإمام على صنعاء ولاةً يوليهم واحدًا بعد واحد، ثم وصل الإمام إلى ريدة فسأل[5] الناس النصرة على أهل نجران – وكانوا قد رجعوا عن طاعته وأفسدوا عليه – فأجابه الناس[6]] إلى ما طلب [وكتب الشريف الزيدي إلى الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان [صاحب كحلان][7] يرغّبه في طاعة الإمام فأجابه وخطب له بكحلان، وأمَدَّه في حركته إلى نَجْران بمال جزيل وخيل وخلع، وخطب لأسعد مع الإمام بصنعاء، وسار الإمام بجموعه نحو نجران، فدخل عليهم درب الفجر[8] قَهْرًا، وقتل منهم قتلاً ذريعًا.

ثم غدروه باسم الصلح فتأخر عنهم، فأحكموا ما فسد من دربهم[9]، ثم عاودهم فلم يظفر منهم بشيء، فعاد الإمام إلى عِيَان.

(1) (تاريخ صنعاء) لابن جرير 108.
(2) مذاب: من الأودية الشهيرة في شرق همدان بن زيد من صعدة (المقحفي: 576).
(3) في (ع) والزيدية. ويعني به القاسم بن الحسين الزيدي السابق ذكره.
(4) سقط من (و).
(5) في (ع) فسار.
(6) ما بين المعقوفتين مكرر في المخطوطة (ع) وسقط من (و).
(7) صاحب كحلان سقط من (و).
(8) كذا في الأصل وفي سيرة المنصور القاسم بن علي: 200 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 111 (الهجر).
(9) يعني سور بلدتهم (الهجر).

ثم فسد ما بين الزيدي وابن أبي الفتوح حتى دخل الزيدي ألهان[1] فأخذ حصن أشيح[2] وكان إلى ابن أبي الفتوح.

وأخذ له خيلًا وجمالًا وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء يلقاه، فالتقيا بها وَهَدَمَا دور ابن أبي الفتوح، وسار الزيدي إلى صنعاء في عسكر عظيم فأقام أيامًا وعاد إلى ذمار، وكان الإمام بوَرْوَرَ فسارت إليه همدان، وسألوه النفقات، فكتب إلى عامله بصنعاء فلم يجدوا عنده ما يقوم بكفايتهم فساروا إلى ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فَحَلَفُوا لهما ودخلوا بهما صنعاء، وخرج ولاة الإمام منها، وذلك في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة[3].

ولما علم الشريف الزيدي بذلك سار من ذمار في جموعه حتى وصل بئر[4] الخولاني، فقطع ما كان فيها من أعناب لبني أبي الفتوح، وسار إلى نعظ[5] فأخربها، فخرج ابن أبي حاشد من صنعاء، وعاد ابن أبي الصباح[6] نائب الإمام، وكانت الأبناء قد أسلمت أسعد بن أبي الفتوح وتأخرت عن نصرته، فلما رأى ذلك طرح نفسه على رؤوس القبائل وعلى الشريف الزَّيدي، فَقَبِلَهُ على أن يكون مخلاف خولان من تحت يد الزيدي، وحمل أسعد بن أبي الفتوح إلى الشَّريف الزيدي خمسةً وسبعين ألف درهم، ودخل الشريف الزيدي صنعاء، ثم تَجَهَّزَ للقاء الإمام القاسم بن علي فلقيه ودخل الإمام صنعاء فأقام بها أيامًا، ثم رجع الإمام إلى وَرْوَرَ، ورجع الشريف الزيدي إلى ذمار واستعمل الإمام على صنعاء رجلًا يقال له: هلال[7] بن جعفر العلوي.

وفي هذه السنة: ارتفع[8] سعر الطعام بصنعاء ارتفاعًا عظيمًا.

---

(1) ألهان: جبل في آنس (المقحفي: 46).

(2) أشيح: حصن في بلاد آنس (المقحفي: 67).

(3) انظر هذه الأخبار بتوسع في (سيرة المنصور العياني): 206 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 111و (كنز الأخيار): 67.

(4) من بلاد خولان العالية إلى الجنوب الشرقي من صنعاء (صفة جزيرة العرب: 407).

(5) نعظ قرية في عزلة الربع الشرقي من ناحية سنحان، تقع في الجهة الغربية من جبل كنن (المقحفي: 701).

(6) في (ع) ابن أبي الفتوح.

(7) انظره في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 113 و(كنز الأخيار): 67.

(8) انظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 114 قال فيه: وصل سعر البُرِّ ستة مكاييل بدينار.

ووصل جعفر بن الإمام إلى صنعاء، والتقى بابن أبي الفتوح، ورد عليه جميع مخلافه ولحق الناس من جعفر بن الإمام شِدَّة عظيمة، ثم تقدم الإمام إلى صنعاء ووصله ابن أبي الفتوح، وتَغَيَّرَ الإمام على الشريف الزيدي فخالف عليه وأقام حتى جاء الإمام من صنعاء، وقد استخلف عليها ابنه جعفر، فقصده الزيدي إلى صنعاء فَأَسَرَهُ وأسر جماعةً من إخوته وسيرهم إلى بيت محفد وحارب ابن أبي الفتوح، فانحاز إلى حصن المقطوع[1] فأخرب قرية نعظ، ثم إن الإمام أرسل الشريف الزيدي فاستطاب نفسه، فأطلق أولاده وحملهم وسار فلقي الإمام إلى ريدة فأقام عنده أيامًا، وتعاملا على أحوال لم تظهر لأحد، وكتب له الإمام ولاية من عجيب[2] إلى عدن، وأشهد له بذلك[3].

وكان ذلك في شهر المحرم من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، فعاد الزيدي إلى صنعاء فولاها هلال بن جعفر وسار نحو ألهان، فبلغه الخبر بموت الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر بكحلان وولاية أحمد بن أبي يعفر بعده وطاعة حِمْيَرَ له، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة[4].

ثم إن الإمام القاسم دخل صنعاء فتميَّل منه الشريف هلال بن جعفر نائب الزيدي فوصل الزيدي وكتب إلى الإمام الأول يوسف بن يحيى بن أحمد الناصر بالوصول إليه، فسار نحوه فالتقيا في مشرق هَمْدان وتحالفا، وأقام الإمام يوسف بن يحيى بريدة، ورجع الشريف الزيدي إلى صنعاء، فخطب للإمام يوسف بن يحيى، وقطع خطبة الإمام القاسم بن علي.

ووصل الشريف يوسف بن يحيى إلى صنعاء، وسار منها إلى ألهان، ثم عاد إلى ذمار، وَخَرَجَ الإمام يوسف من صنعاء وبقيت بغير سلطان، [وأتى الخبر بوفاة الإمام القاسم بن علي بعيان في شهر رمضان من سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، فوصل ابن أبي حاشد إلى صنعاء وخطب للشريف الزيدي، ثم تغيرت عليه الأحوال، فخرج من صنعاء وتركها بغير سلطان][5]،

(1) موضع في الغيل من بلد وادعة (سيرة المنصور: 104).
(2) عجيب: قرية على نقيل غولة عجيب شمال صنعاء وهي ما بين خمر شمالا وريدة جنوبا (المقحفي: 436).
(3) كنز الأخيار: 68.
(4) (كنز الأخيار): 68.
(5) ما بين المعقوفتين مكرر في (و).

ولم تزل كذلك حتى اصطلح ابن أبي حاشد وابن عمه أبو جعفر فسارت إليه هَمْدان، فدخل صنعاء سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، و[صالح ابن أبي الفتوح][1].

فلما كان ليلة النصف من رجب سنة ست وتسعين وثلاث مئة طلع نجم[2] من المشرق مثل الزهرة، وارتفع مرات بعد غروب الشمس بنصف ساعة، ولم يكن مدوَّرًا، بل هو أقرب إلى الطول، وفي أطرافه شعب مثل الأصابع، وله حركة عظيمة كأنه في ماء يضطرب، وله شعاع عظيم كشعاع الشمس، وكان طلوعه في الغفر من برج الميزان، ولم يزل كذلك إلى ليلة النصف من شهر شعبان ثم نقص نوره واضمحل.

وفي هذه السنة المذكورة[3]: تَجَهَّزَ ابن أبي الفتوح في جيش عظيم يريد ألهان، فلما صار في بعض الطريق وثب عليه بعض عُمَّاله فقتله، وحمل[4] إلى نعظ فدفن بها، وكان قتله في ذي القعدة من سنة ست وتسعين وثلاث مئة، فقام بالأمر بعده ولده المنصور وحَلَفَتْ له خَوْلان واستقامت أموره، وبقيت صنعاء بغير سلطان إلى المحرم من سنة سبع وتسعين ودخلها أحمد بن سعيد بن الضحاك واليًا عليها من قبل ابن عمه أبي جعفر، ثم غلبه عليها ابن أبي حاشد وتعاورها آل الضحاك[5] إلى سنة ثمان وتسعين وقدمها الشريف الزيدي ومعه الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر، فأقاما نحو نصف شهر ولم يتم لهما أمر، فخرج الإمام نحو مدر[6] ورجع الشريف الزيدي أيضًا إلى ذمار، وأقامت الفتنة على صَنْعاء بين هَمْدان وَخْولان وحِمْيَرَ والأبناء وبني شهاب في كل شهر لها أمير، وعليهم رئيس، وفي أكثر أوقاتها تخلو عن السلطنة والغالب عليها آل الضحاك إلى سنة أربع مئة[7].

وفي سنة أربع مئة[8]: سار جماعة من همدان وبني شهاب إلى الشريف الزيدي، وهو في ذمار فسار معهم إلى صنعاء فدخلها في ذي القعدة من السنة المذكورة.

---

(1) زيادة في (و).

(2) انظر هذه الحادثة الفلكية في (كنز الأخيار): 68.

(3) (كنز الأخيار): 69.

(4) في (ع) فأعيد.

(5) في (و) بقاؤها إلى الضحاك وأثبتاه من (ع) و(الكنز).

(6) في (الكنز): ورور.

(7) انظر صورة هذه الحالة من الإضطراب والحرب في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 129 و(كنز الأخيار): 19.

(8) كنز الأخيار: 69.

فلما كان في صفر من سنة إحدى وأربع مئة[1]: وصل الإمام الحسين بن الإمام القاسم بن علي إلى قاعة، وَادَّعَى أنه المَهْدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ فأجابته حِمْيَر وهَمْدان وسائر أهل المغارب، وتَخَلَّواْ عن الشريف الزيدي، فوصل الزيدي إلى صنعاء، وقد كان خرج إلى مغاربها وأمر ابنه محمد بن القاسم بن علي أن يدعو لنفسه بالإمامة، فوصل كتابه من ذمار بالدعوة فبلغت [أخاه][2] حسين بن القاسم، فأجابها [بنقضها][3]، وخرج الشريف الزيدي فأقام ببيت بوس، وقد حَصَّنَه وأقام ابنه زيدًا بصنعاء فَحَصَّن دروبها، ثم بدا الزيدي فأخرج من كان في حَبْس صنعاء، وأنهب أهراء[4] الطعام، وعاد إلى ذمار فتعطلت[5] صنعاء من السلطنة إلى سنة اثنتين وأربع مئة، ووصل الضحاك بن أبي جعفر بن الضَّحاك فأقام بها مدة[6].

ووصل رجل يسمى: أبا النجم رسول من الإمام الحسين بن القاسم في جماعة من أصحابه يطلب الناس بالزكاة فلم ينكر عليه الضحاك.

ووصل الإمام الحسين بن القاسم إلى صنعاء آخر سنة اثنتين وأربع مئة، فَطَلَب ناسًا من أهل صنعاء بخمس عبيدهم وخيلهم[7]، وجعل أخاه جعفرًا على صنعاء، فضرب السِّكة باسم الحسين، ولم يستقم لجعفر بصنعاء أمر وحاربه أهل صنعاء وَسَط المدينة، فأغار عليه أخوه الإمام فهدم دورًا لأهل صنعاء، واستصفى أموالهم وعاد وترك أخاه، فكتب أهل صنعاء إلى الشريف الزيدي يستدعونه، فقدم عليهم سنة ثلاث وأربع مئة، فخرج جعفر من صنعاء. فلما قدمها الزيدي أمر بِهَدْمِ دور جماعة من شيعة الإمام الحسين، واجتمع معه بصنعاء عسكر عظيم.

ولما علم الإمام الحسين بقدوم الزيدي إلى صنعاء جمع عساكره - وكان أكثرهم هَمْدان وحِمْير - وقَصَدَهُ إلى صنعاء فالتقوا عند الجبوب[8] فاقتتلوا قتالاً شديدًا ساعة من نهار، ثم

(1) كنز الأخيار: 69.

(2) زيادة في (و) ولا معنى لهذا الخبر فهو ليس أخ للحسين بن القاسم العياني.

(3) زيادة لا توجد في (الكنز): 69.

(4) في (ع) أهل. والأهراء مخازن الحبوب تكون غالبًا تحت الأرض.

(5) في (ع) فقطعت.

(6) (كنز الأخيار): 70.

(7) كعادة أهل الشيعة في أخذ الخمس. وهذا لا يكون إلَّا في حرب الكفار وكأنهم يرون أن أهل السنة كفارًا عندهم.

(8) الجبوب: موضع شرق صنعاء أسفل جبل نقم (المقحفي: 70).

انهزم الزيدي طريق الفج، ودخل الإمام الحسين بعسكره صنعاء وخرج في أفراس فلحق الزيدي بالحقل فقتله، ورجع الإمام إلى ريدة وترك أخاه جعفرًا على صنعاء.

ولما علم ولد الشريف الزيدي بقتل أبيه نَهَضَ في جمع عظيم من مذحج، فوصل ألهان وبها ابن أبي الفتوح، فهزم ابن الزيدي وقتل جماعة من عسكره، وأخذت راياته، فبعث بها ابن أبي الفتوح إلى الإمام، ونزل ابن مروان مستمدا بابن زياد صاحب تهامة فأمده بأموال جليلة، فوصل ألهان وجاءه ابن الزيدي في عَنْس فكادوا أن يستولوا على ابن أبي الفتوح فاستمدَّ بالإمام فسار إليه في جيوش عظيمة، فلما قاربهما الإمام انفض من معهم[1] من عَنْس وغيرهم، وهرب ابن الزيدي وابن مروان خفيةً، فاستولى الإمام على ما كان لهما وعلى مئتي فرس لعَنْسٍ[2].

وقد كان أهل صنعاء خالفوا عليه عند مسيره إلى (ألهان) فلما عاد فعل معهم ما لا يفعل، ولزم مشايخهم وصَلَبهم مُنكَّسين، ووهب خيلهم وسلاحهم للشِّيعة، وألزم جماعتهم الجزية وقبضها منهم[3].

وسار إلى صعدة في جيش عظيم فخرب دَرْبَها وولاَّها أخاه جعفرًا، وعاد الإمام الحسين إلى صنعاء وقد خالف عليه المنصور ابن أبي الفتوح وخالف بخلافه بنو شهاب وبنو صريم ووادعة، ونزل بنو صريم حَمْدَة فنهبوا دار الإمام وأخرجوا المحبسين من أهل البون وأرسل[4] ابن أبي الفتوح إلى ابن زياد يستمده فأمده بمال، وخرجت الشيعة من صنعاء بعد أن نهبت دورهم، وجمع الإمام عسكره [فقاتلوهم عند ريده وهزموهم إلى حَمْدَة وقتل من عسكره طائفة][5] وحطوا عليه بحمدة[6]، فخرج مختفيًا طريق بلد الصَّيَد، فذهبوا[7] حَمْدَة وأعاد الناس أبا جعفر محمد[8] بن قيس بن الضحاك على إمارة صنعاء فأقام بها إلى سنة أربع وأربع

(1) في (ع) من بعدهم.
(2) انظر هذه الحوادث في (كنز الأخيار): 70 نقلها المؤلف بالنص.
(3) هكذا يرى الشيعة أهل السنة أنهم كفار توخذ منهم الجزية.
(4) في (ع) وكتب.
(5) سقط من (و).
(6) حمْدَة: مدينة قريبة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران (المقحفي: 201).
(7) في (و) فنهضوا.
(8) في (ع) أحمد.

مئة، وجمع الإمام جمعًا عظيمًا، وجَمَع ابن الضحاك سائر القبائل المخالفة على الإمام وسار بهم إلى ذي بين[1] فانهزم الإمام إلى الجوف، ثم عاد إلى بلد الصَّيَد في مئة فارس، فعلمت به همدان فلقيوه[2] عند ريدة وقاتلوه فغشيهم بنفسه مرارًا، [وفي كلها يخرق صفوفهم][3] فتغاوروا عليه فقتلوه، وكان قتله في صفر من سنة أربع وأربع مئة.

وفي جهلة[4] الشيعة من يزعم أنه حي لم يقتل، وأنه المهدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ، وكان على هذا الاعتقاد كثير من الأشراف، ثم انقرض أهل هذا الاعتقاد[5]، وكانوا خلقًا كثيرًا في مغارب صنعاء، والأئمة من أهل البيت وعلماؤهم باليمن مجمعون على أن الحسين بن القاسم اختلط عقله في آخر عمره، لأنه ظهرت منه أشياء من الأقوال والأفعال تخالف الشرع الشريف[6]، وكان الحسين بن القاسم من أعلم خلق الله وأفصحهم، ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة[7].

ولما قتل الإمام الحسين بن القاسم: سار ابن أبي حاشد إلى صَنْعاء فدخلها وأقام بها إلى ذي الحجة من السنة المذكورة، ولم يُتِمَّ له أمر مع هَمْدان، فخرج من صنعاء وتعطَّلَت من السلطنة إلى النِّصف من شوال سنة خمس وأربع مئة، ووصَلَها أبو جعفر[8] أحمد بن قيس بن الضحاك، فأقام بها إلى شهر ربيع من سنة ست وأربع مئة، وخرج منها وارتفعت أيدي عماله

(1) في (ع) ذي يزن.
(2) (كنز الأخيار): 71 (فلقيوه إلى عرين مكره) وفي سيرة الأميرين: 9 بذي عرار، وانظر (الحور العين) لنشوان الحميري: 211.
(3) سقط من (ع).
(4) (كنز الأخيار): 71.
(5) هذا النص هو عبارة صاحب (الكنز) انظر (كنز الأخبار): 71 وحول هذا المهدي المزعوم يقول: نشوان الحميري في (الحور العين): 157 (هناك فئتان من الحسينية تدعى إحداهما أنها على اتصال به بعد قتله وأنه يزورهم ولا يقوموا بشيء إلا بأمره، وفرقة أخرى ينتظرونه كما يفعل الشيعة بالمهدي عندهم.
(6) أجمل الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان في كتابه (حقائق المعرفة) وابن الوزير في الروض الباسم: 158 مجموعة كفر يات المهدي المذكور التي تَفَوَّهَ بها منها قوله: إنه أفضل من رسول الله ﷺ وإن كلامه أبهر من كلام الله وقد ذكر هذه الألفاظ في كتاب له يسمى (المعجز) وآخر بعنوان (الرد على من ينكر الوحي بعد خاتم النبيين): 1 (انظر مصادر الفكر الإسلامي): 738.
(7) (كنز الأخيار): 71.
(8) (كنز الأخيار): 71.

وتعطلت[1] أيضًا من السلطنة إلى سنة ثمان وأربع مئة، وراجعت هَمْدان أبا جعفر في الرجوع إليها فأجابهم.

وفي هذه سنة عشر وأربع مئة: نزل[2] باليمن ثلج عظيم، وكان ذلك يوم الحادي عشر من شباط بعد أن أصابهم في أيام[3] الشتاء برد عظيم جَمَدَ الماء فيه أيامًا.

وفيها ثار زيد[4] بن الشريف القاسم الزيدي مع قوم من بني شهاب، فسجنوه[5] بأشيح فسار إليهم ابن أبي الفتوح وأَمَدَّهُ القائد مرجان[6] صاحب الكدراء وعاضدهم ابن أبي حاشد، ثم إن ابن أبي الفتوح نَزَلَ إلى تهامة فَتَلَقَّاه القائد بالكدراء في أحسن ملقًى، وعاد إلى ألهان فأقام حتى أخرج زيد بن القاسم الزيدي من أشيح وسلَّمه إلى مولاه[7] القائد.

وتحالفت همدان والأبناء على بني شهاب وأمرهم القائد بذلك فحاربوهم[8] مرارًا في بيت بوس، ثم اصطلحوا، ووصل الشريف جعفر[9] بن الإمام القاسم أخو الإمام الحسين بن القاسم من صَعْدة إلى عيان فاستدعته هَمْدان وحِمْيَر فسار إلى صنعاء فدخلها سنة ثلاث عشرة وأربع مئة وأقام بها إلى المحرم، وطلب الناس المسير معه إلى صعدة، فسار معه طائفة، فلما وصل صعدة نَهَبَهَا وأحرق دورًا، وقتل جماعة، وقد كان ذعفان وابن أبي حاشد تحالفا عليه عند مسيره إلى صعدة ودخلا صنعاء، فلما رجع إلى عيان سألته هَمْدان العود إلى صنعاء فكره. ووقع الحلف بين ذَعْفَان وهَمْدان وابن أبي حاشد فاستدعوا جعفر بن الإمام القاسم فأدخلوه صنعاء، وذلك في صفر من سنة خمس عشرة، فطالب الناس مطالبةً شديدة وأقام بها مدةً يحارب ذعفان وابن أبي الفتوح، ثم اصطلحوا شهرين ونزل ذعفان إلى القائد بالكدراء فتلقاه بأحسن ملقًى وأمده بأموال جليلة، وكتب معه إلى المنتاب بن إبراهيم بن

(1) في (و) بطلت وأثبتاه من (ع) و(الكنز).

(2) انظر هذه الحادثة الطبيعية في (كنز الأخيار): 71.

(3) كذا في (و) وفي (ع) الشتارين وفي (الكنز): مشتاهم.

(4) كذا يرد اسمه في (و) وفي (الكنز):، 72 ولم يرد ذكره في (سيرة الأميرين) لمفرج.

(5) في (ع) و(الكنز) (فقتلوه).

(6) هو مولى الحسن بن سلامة أول ملوك الحبشة باليمن انظر (المفيد): 28.

(7) كذا في الأصل وكنز الأخيار: 72 «ولاة القائد».

(8) في (و) فجاذبوهم.

(9) (كنز الأخيار): 72.

عبد الحميد صاحب مسور، وأمرهم جميعًا بحرب جعفر بن الإمام فاجتمعوا عليه، فخرج إلى بيت شعيب فحصرته هَمْدان وحِمْيَر وأعادوا ابن أبي حاشد على إمارة صنعاء، فهجم أهل بيت خولان على محطة حِمْير فقتلوا منهم مئة رجل، وانهزم عسكر المنتاب، وذلك في المحرم سنة ست عشرة وأربع مئة، ثم تهادنوا إلى آخر السنة، وأقام كل بموضعه[1].

فلما كان سنة ثماني عشرة[2]: ظهر إنسان بناعط[3]، ولم يعرِّف الناس باسمه[4]، وذكر أنه يتسَمَّى عند ظهور رايته من المشرق، وسار إلى مارب وبها عبد المؤمن[5] بن أسعد بن أبي الفتوح، فتلقاه أحسن التلقي، وأقام عنده، وصدر كتبه إلى النواحي يقول فيها: (من عبد الله الإمام المعيد لدين الله، الداعي إلى طاعة الله، الدافع لأعداء الله)، وأنفذ الكتاب إلى سائر النواحي، فبلغ القائد مرجان الحبشي[6] صاحب الكدراء قيام عبد المؤمن معه فعَتَبَ على المنصور بن أسعد وأعاد كتابه بختمه، فغضب المنصور[7] وكتب إلى سبأ أن ينهض مع الإمام المعيد وأخيه عبد المؤمن فصاروا[8] إلى مسور فلقيهم المنصور في جيوش عظيمة، ودَخَلَ الإمام صنعاء في شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربع مئة، وخطب له ابن النقوي[9] بالإمامة - وهو يومئذ على قضاء صنعاء من جهته، وأنفذ ولايته إلى جميع المخاليف - وأقام أيامًا ثم سار إلى خدار[10]، فلقيه عَنْس وبكيل على بركة ضاف[11]، وسار

(1) انظر هذا الكلام بالنص في (كنز الأخيار): 73.

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 152 وعنه نقل كل من أتى من بعده انظر (كنز الأخيار): 73 و(بهجة الزمن): 69 و(قرة العيون): 169 و(غاية الأماني): 243.

(3) ناعط: جبل وقرية أثرية في بلد خارف إلى الشرق من عمران (المقحفي: 691) و(غاية الأماني): 243.

(4) (كنز الأخيار): 74 ولم يذكر اسمه.

(5) في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 153 المؤمن بن أسعد (يحقق).

(6) كذا في الأصل وفي (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 153 أصل صاحب (الكنز) ومن أتى بعده: القائد الحسين بن سلامة (فيحقق). قلت: مرجان هو مولى الحسين بن سلامة.

(7) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 153.

(8) (تاريخ صنعاء) (ووصل إلى الحسف بالحاء المهملة واد في مسور).

(9) (كنز الأخيار) المطبوعة: اليقوي بالياء الموحدة من تحت خطأ انظره في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 153.

(10) في (و) حراز وأثبتاه من (ع) و(الكنز) وانظر (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 154.

(11) بركة ضاف: من قرى حقل جهران (صفة جزيرة العرب: 220).

إلى أهل ألهان وصاحب عسكره المنصور ابن أبي الفتوح فأقام بها سبعة أيام، ثم سار إلى ذمار، فلما صار بخدار أمر برجم إنسان زنى هنالك ودخل صاحب كحلان في طاعته وذلك في سنة تسع عشرة[1]، وأمر الإمام ببناء حصن هِرَّان[2]، ثم طلبه صاحب حصن كحلان حضر هو والمنصور بسبب المسير إلى مخلاف جعفر فسارا معه إلى إب، فأجمع عليهم أهل المخلاف إلا ابن مكرمان[3] صاحب التعكر فإنه استدعى عسكر القائد إليه فأقاموا عنده إلى سنة عشرين وعاد كل أحد إلى موضعه.

ثم إن ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد رجعا إلى طاعة القائد مرجان، فخرج الإمام إلى هران بمكاتبة عَنْس له فتعامل عليه قوم منهم فقتلوه في ذي الحجة من سنة إحدى وعشرين وأربع مئة[4].

وفي هذه السنة[5]: اشتد القحط باليمن ومات كثير من الناس، وخَلَتِ بلاد كثيرة من أهلها. وفيها كانت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة[6]، والقحط على حاله إلى سنة اثنتين وعشرين

---

(1) (كنز الأخيار): 73.

(2) حصن هِرَّان: جبل معروف به حصن يقع شمالي ذمار (المقحفي: 721).

(3) (كنز الأخيار) (ابن مكرمان) وفي (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 155 عبد الله ابن المكرمان صاحب التعكر.

(4) انظر خبر قتل الإمام المذكور الملقب بالمعيد لدين الله في (الكنز): 74 و(تاريخ صنعاء) لابن جرير: 156 وفيه خرج الإمام في شوال من هذه السنة (سنة421) فصار بشراد فأقام بها ثم عاد إلى هران بمعاملة عنس ومكاتبتهم له فأقام هنالك وعمل مع ابن الدميني وهو رجل صعبى فدخل عليه يوم الأحد من النصف الثاني من ذي الحجة سنة إحدى وعشرين فقتله والذي عامل على قتله أبو غسان بن مروان.

(5) (كنز الأخيار): 74 وفي (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 156 وفي هذه السنة جدب عظيم واخلف المطر في الصيف والخريف وغلا الطعام فانتقل الناس وخرجوا بأولادهم وخلت بلدان كثيرة وصار الناس في مخلاف جعفر.

(6) توسع صاحب (تاريخ صنعاء) ابن جرير في هذه الحادثة وهو من أهل السنة يقول: ودخل الشيعة يصلّون في المسجد الجامع على حدة بسلاحهم فلما كان ليلة النصف من شوال من هذه السنة حملوا السلاح على المشايخ من أهل السنة وجرى بينهم خلف فأغلق الجامع ولم يُصَلِّ فيه أحد مدة شهر وأعادوا القاضي وهو يومئذ عبد الله بن سليمان النقوي وأخرجوا الشيعة وطردوهم ولزم أهل السنة القبلة من المسجد اهـ. انظر (تاريخ صنعاء) 156 وهذا النص المهم يدل على أن اهل السنة كانوا هم الأغلبية في صنعاء وإنما قَلَّ عددهم بعد ذلك عندما كثر تناوب الأئمة الزيدية على الحكم.

وأربع مئة وصَنْعاء خالية من السلطنة، إلا أن لبني مروان[1] فيها بعض الأمر، وولاية ألهان ومقرى لهم من تحت يد القائد ولصاحب مسور حسين بن المنتاب بعض منازعة.

وفي شهر رجب من سنة ست وعشرين: ظهر[2] الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن إمامًا وتسمى بالنفس الزكية، ومعه ولده حمزة بن أبي هاشم - وهو الذي ينتسب إليه [الآن][3] الأشراف الحمزيون - فقصد صنْعَاء فهرب منه ابن أبي حاشد، ووصله المنصور ابن أبي الفتوح فبايعه ورجع إلى بلده، واستقوت الشيعة على السنية، وعزل القاضي وكان سنيا.

فأقام الأمر الإمام إلى سنة تسع وعشرين وأربع مئة، ثم خالفت عليه هَمْدان فدخل ابن أبي حاشد صنعاء، ثم خرج منها وتعطَّلَت من السلطنة إلى سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة.

واستدعت هَمْدان جعفر بن الإمام القاسم بن علي فدخل صنعاء في شهر ربيع من السنة المذكورة، فافترقت عليه همدان وعلى ابن أبي حاشد، وكان الأكثر مع علي بن أبي حاشد فخرج جعفر من صنعاء على علب[4] وانهزم منها، وسار ابن أبي الفتوح إلى مخلاف جعفر للقاء ابن الكرندي، وعبد الله بن يعفر فأقام معهما إلى أول شهر ربيع الآخر، ثم عاد فقوي به أمر ابن أبي حاشد، ثم فسدت الحال بينهما، فهرب ابن أبي حاشد من صنعاء وجمع جموعًا. وجاءه ابن سلمة الشهابي فقصدوا ابن أبي الفتوح إلى السِّرِّ[5] فتراكزوا فيها، وقتل ابن عم لابن أبي الفتوح [واستدعت هَمْدان جعفر بن القاسم الإمام إلى صنعاء بأمر ابن أبي حاشد، وكان ابن أبي الفتوح بعَلَب وابن سلمة وابن أبي حاشد][6] ببيت بوس، فأقاما كذلك مدة وجعفر بن الإمام القاسم بصنعاء تارةً يجبي الأموال وتارةً يضعف عن ذلك.

---

(1) في (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 157 وهما اثنان: علي بن محمد بن مروان، وعمه أبو غسان ولاة مقرى والهان.

(2) (تاريخ صنعاء) لابن جرير: 159 و(كنز الأخيار): 74 وأئمة اليمن 1: 86 (ع) كذا في الأصل وفي (الكنز) 74 (حسن).

(3) زيادة في (ع).

(4) علب: قرية في جنوب سفح جبل نقم وتعرف بحمراء علب (المقحفي: 465).

(5) السِّر: واد مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء (المقحفي: 67).

(6) مابين المعقوفتين ساقط من (ع).

ثم إن ابن أبي حاشد كَرِهَ مقام جعفر بصنعاء فعامل عليه من أخرجه عنها، فسار إلى ابن أبي الفتوح واستدعى ابن أبي حاشد الإمام أبا هاشم[1]، فدخل صنعاء ثاني خروج جعفر عنها فأقام الإمام بها ثمانية أيام، وَوَلَّى على البلاد واليًا، وخرج إلى ريدة واطرح ابن أبي حاشد على ابن أبي الفتوح [بمنزله[2]] في نعظ على محاربته له مع ابن سلمة فقتله وعادت الفتنة بين أبي الفتوح وبين بني سلمة، وقد مالأهم بنو الحارث وغيرهم على حربه، ولم تزل صنعاء خاليةً عن السلطان إلى شوال سنة تسع وثلاثين وأربع مئة[3].

ووصل الإمام أبو الفتح[4] بن ناصر الدَّيلمي مُدَّعِيا الإمامة وصار في البون[5] مع همدان وجمع العساكر لصعدة[6] ونهبها وخرب بها دورًا، وقتل من خولان[7] [بمجز][8] مقتلةً عظيمة، ورجع في ذي القعدة فَدَخَلَ صنعاء - وكان قد دَخَلها قبله ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فنصر الشيعة على السنة - ولما دخل الإمام أبو الفتح صنعاء قبض الزكوات والأخماس[9]، [وتم له الأمر وأقام بذي بين][10] إلى صفر من سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة، ووصل ابن أبي الفتوح [فبنى له في عَلَب قصرًا بالجَصّ والآجر، وكتب له المنصور ابن أبي الفتوح][11] إلى عَنْس فأقبل من رؤسائهم مئة فارس فدخلوا في طاعة الإمام وبايعوه، فاستدعى له أيضًا الأمير جعفر بن القاسم فجعله أمير الأمراء وصرف له [ربع] ما تحصَّل

(1) في (ع) الإمام الهاشمي وانظر (كنز الأخيار): 75.
(2) سقط من (و).
(3) (كنز الأخيار): 75.
(4) في (و) الإمام أبو جعفر الفتح.
(5) البون: قاع فسيح يمتد جنوبا من عمران إلى شوابة (المقحفي: 25).
(6) في (ع) بصنعاء.
(7) سقط من (ع).
(8) مجز: ناحية من قضاء جماعة في بلاد صعدة (المقحفي: 75).
(9) نلاحظ أن الأئمة الزيدية المتقدمون كانوا أقرب إلى مذهب الشيعة فياخذون الخمس من الأموال كما هي العادة عند الإثني عشرية.
(10) زيادة في (ع).
(11) سقط من (و).

للإمام، ثم فسد الأمر بينهما ولم يتم. وتمالأ جعفر بن الإمام وابن أبي حاشد على حرب الإمام أبي جعفر[1] وخرجا من صنعاء، فأمر الإمام بخراب دور بني الحارث ودور بني مروان، فغضب ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد لذلك ودَخَلَا صنعاء ورفعا أيدي ولاة الإمام وطردا الشيعة[2] من الجامع ومكَّنَا منه أهل السنة، وقطعا اسم الإمام من الخطبة، فخرج هاربًا من عَلَب إلى الجوف، ثم رجع إلى بلد عَنْس، ووصلهما جعفر بن الإمام فأقاموا في صنعاء مدة، وتوفي السلطان يحيى بن أبي حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة، فأغلقت أبواب صنعاء ولم يتبايع[3] الناس بها ثلاثة أيام، ووصل المنصور ابن أبي الفتوح في مئة فارس معزِّيًا فيه إلى هَمْدان فأقام الناس ابنه أبا حاشد وحلفت له هَمْدان.

وفي ليلة الإثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة - وهي ليلة قران المشتري - ظهر علي بن محمد الصّليحي باليمن واستولى عليه في أقرب مدة، وقد أفردنا للدولة الصليحية فصلًا نذكر فيه إن شاء الله تعالى ما لا بد من ذكره من أخبار الصليحين باليمن على حسب ما يقتضيه وضع كتابنا، وهو الفصل التالي بعد هذا إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

(1) في (ع) أبو الفتح وهو الصواب.
(2) الذي يظهر أن الولاة المتغلبون على صنعاء من غير الهاشميين لم يكونوا على مذهب الزيدية وإنما كانوا يستعينون بهم لحرب خصومهم وهذا ما تفسره هذه الواقعة التي ينتصر فيها حاكم صنعاء لأهل السنة وهم أهل مذهبه والله أعلم.
(3) أي لم يقيموا أسواقهم بالبيع والشراء لشدة الخوف والهرج.

الفصل الثامن

في ذكر الدولة الصليحية وما يتعلق بذكرها إن شاء الله تعالى

قال علي بن الحسن الخزرجي تولاَّهُ الله بحسن ولايته: أَجْمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن[1]: أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهًا عالمًا سُنِّي المذهب، وكان قاضيًا في بلده، حسن السيرة، مرضي الطريقة، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره.

وكان الداعي عامر[2] بن عبد الله الزواحي، يلوذ به ويَرْكَبُ[3] إليه كثيرًا لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يومًا ولده عَليّا فلاحت له فيه مخايل النجابة - وكان يومئذ دون البلوغ - وكان الدَّاعي عامر بن عبد الله الزَّواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتى استماله وَغَرَسَ في قلبه ولُبِّه ما غرس من علومه وأدبه ومَحَبَّة مذهبه.

وقيل: كانت عند الداعي عامر بن عبد الله الزواحي حِلْيَة[4] الصليحي في (كتاب الصور[5]) وهو من الذَّخائر القديمة، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سِرًّا من أبيه القاضي محمد وأهله جميعًا.

---

(1) (المفيد) لعماره (تحقيقنا): 32.

(2) يرد ذكره في (المفيد): 32 و(الكنز): 77 و(السلوك) 1: 615 و(غاية الأماني): 221 وغيره من المصادر باسم سليمان بن عامرالزواحي ولعله وهم من المؤلف وقد ورد اسمه بعامر في موضع واحد من (غاية الأماني) ص: 248 وعامر الزواحي هو آخر من آل الصليحي وهو عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي قال حسين الهمداني في كتاب الصيلحيين: 337 أحد قواد الصليحي تزوج الرداح أم السيدة الحرة أروى والمقصود هنا هو سليمان بن عبد الله بن عامر انظر للتوسع في أخباره كتاب (عيون الأخبار) السبع السابع: 5 ط دار الكتب المصرية سنة 1440هـ.

(3) كذا عبارة (المفيد).

(4) يعني صفته.

(5) حول هذا الكتاب المزعوم عند الباطنية الإسماعيلية ينظر ما كتبه كاي في هوامش (المفيد): 32 (طبعتنا).

ثم مات الداعي عامر بن عبد الله الزَّواحي فأوصى بجميع كتبه له وأعطاه مالًا جزيلًا، قد كان جَمَعَهُ من أهل مذهبه، وقد كان رسخ في ذِهْنِ الصّليحي ما رسخ[1]، فعكف على الدَّرس وكان ذكيا، فلم يبلغ الحلم حتى تضلَّع في معارفه التي بلغ بها - وبالجد السعيد - غاية الأمل البعيد، فكان فقيهًا في مذهب الإمامية متبصرًا في علم التأويل.

ثم صار يحجُّ بالناس دليلًا على طريق السراة، ولم يزل كذلك نحوًا من خمس عشرة سنة، وكان الناس يقولون له: بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ويكون لك شأن، فيكره ذلك وينكره على من يقوله، مع كونه قد شاع على ألسنة[2] الخاصة والعامة.

فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربع مئة[3]: ثار في رأس مسار - وهو أعلى جبل في تلك الناحية - وكان معه ستُّون رجلًا قد حالفهم على الموت والظفر بقيام الدَّعوة، وما منهم إلَّا من هو في عِزٍّ ومنعة من قومه، ولم يكن في رأس الجبل المذكور بناء - بل كان قلةً عالية منيعة - فلما ملكها لم ينتصف ذلك النهار الذي ملكها في ليلته إلاَّ وقد أحاط به عشرون ألف سياف، فحصروه وشَتَمُوه وسَفّهوا رأيه، وقالوا له: إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك [بالجوع] ؟[4] فقال لهم: أنا ما فعلت هذا إلا خوفًا عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا، فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلاَّ نزلنا، فانصرفوا عنه وَتَفَرَّقوا، فلم يَمْضِ عليه شهر إلا وقد بناه وحصَّنه ودَرَّبَه[5] وأتقنه، ولم يزل شأنه يظهر شيئًا شيئًا حتى استفحل أمره ووصلته الشِّيعة من أنحاء اليمن وجمعوا له أموالًا جليلة، وأظهر الدعاء إلى المستنصر معد بن الظاهر العبيدي.

فلما ظهر بِمَسَار وكان معه فيه قوم من سَنْحان ويام وجشم وهبرة، فحصره جعفر[6] ابن الإمام القاسم بن علي المذكور أولًا في جَمْع كثير، ورجل يسمى جعفر[7] بن العباس شافعي المذهب كان رجلًا مجابًا في مغارب اليمن الأعلى، فسار مع جعفر بن القاسم في ثلاثين ألفًا

(1) في (ع) مراسخ.

(2) في (ع) وقد كثر في أفواه الخاصة والعامة.

(3) (المفيد): 35 ط العلمية بتحقيقنا و(السلوك) 2: 486 والكامل لابن الأثير 8: 325 في حوادث سنة 447هـ.

(4) زيادة من (المفيد).

(5) أي جعل له دربا: سورا وهذه اللفظة لا توجد في (المفيد).

(6) للتوسع في خروج جعفر بن القاسم العياني علي الصليحي انظر (سيرة الأميرين) لمفرح الربعي: 72.

(7) انظره في (سيرة الأميرين): 73 و(كنز الأخيار): 78 و(غاية الأماني): 249.

فأوقع الصليحي بجعفر بن العباس في شعبان من السنة المذكورة، فقتله وقتل من أصحابه جَمْعًا كثيرًا فتفرق الناس عنه، ثم طلع جبل حضور فاستفتحه وأخذ حصن يناع(1)، فجمع له ابن أبي حاشد جمعًا، فالتقوا بصوف(2) - وهي قرية بين حضور وبين بني شهاب - فقتل ابن أبي حاشد وقتل معه ألف رجل من أصحابه، وبهذه الوقعة يضرب المثل في اليمن، فيقال: قَتْلَةُ صوف.

ثم سار الصليحي إلى صنعاء فملكها فطوى اليمن طَيًّا سَهْله وَوَعْرِهِ وبَحْره وَبَرّه، وهذا شيء لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام، حتى قال الصليحي، وهو يخطب على منبر الجَنَدِ: وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن إن شاء الله تعالى، ولم يكن ملكها بعد، فقال بعض من حضر - مستهزئًا: سبوح قدوس - ، فأمر الصُّليحي بالحوطة عليه، فلما كانت الجمعة الثانية خطب الصليحي على منبر عدن فقال ذلك الرجل: سبوحان قدوسان، - وتغالى في القول - ودخل في المذهب(3).

وفي سنة إحدى وأربعين وأربع مئة(4): هَبَّت ريح شديدة بشبام حمير فاقتلعت شجر البرقوق(5) بأصوله، وحملت الكلاب، فكانت الكلاب تنبح في الهواء، وهَدَّمت دارًا(6) ومسجدًا وجدارًا [عظيما](7)، وكان الصليحي يدعو للمستنصر صاحب مصر ويخاف نجاحًا صاحب زبيد، ويستكين لأمره في الظاهر وهو في الباطن يعمل الحِيْلة في قَتْله حتى قتله بالسِّم على يَدِ جارية أهداها إليه كانت بارعة الجمال. وكانت وفاة نجاح في سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة في مدينة الكدراء.

---

(1) يناع: قصر في أسفل جبل حضور بالحيمة الداخلية (صفة جزيرة العرب): 21 و(مجموع الحجري) 2: 27.

(2) معركة صوف المذكورة مؤرخة في (سيرة الأميرين) للربعي في يوم الاحد من شهر ربيع الأول سنة 444 هـ انظر سيرة: الاميرين 76 وفي (عيون الأخبار) للأنف: 13 سنة 439 فتحقق التواريخ المذكورة هنا.

(3) قلت: هذا من ضعف إيمان هذا الرَّجل، وإلا فهذه اللفظة لا تقال إلا في حَقِّ الله تعالى جلَّ جلاله.

(4) انظر هذه الحادثة السماوية في (كنز الأخيار): 78 و(غاية الأماني): 25.

(5) البرقوق في كلام أهل اليمن: المشمش عند أهل الشام وغيرهم.

(6) في (ع) دورا.

(7) زيادة من (كنز الأخبار).

وفي سنة ثلاث وخمسين(1): كتب الصُّليحي إلى المستنصر بالله صاحب مصر يستأذنه في إظهار الدعوة، ووجَّه إليه بهدية جليلة منها: سبعون سيفًا قوائمها من العقيق، وبعث بذلك رجلين من قومه: أحمد(2) بن محمد والد السيدة الصليحية - الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى - وهو الذي انهدم عليه الدار بعدن، والثاني أحمد بن المظفر والد السلطان سبأ بن أحمد، فلما وصلت هديته إلى المستنصر بالله قبلها وأمر له برايات، وكَتَبَ له الألقاب وعقد له الولاية، وأذن له في نشر الدعوة هنالك، فلما وصل له الإذن في ذلك - وقد توفي نجاح في التاريخ المذكور آنفًا - سار الصليحي إلى التهائم وافتتحها، ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وقد استولى على كافة قطر اليمن من مكة إلى حضرموت سهله وجبله، وتمنعت عليه صَعْدة بعض التَّمَنُّعِ بأولاد الناصر. ثم إنه قتل القائم فيهم وملكها(3).

واستقر(4) ملكه في صنعاء وأخذ معه ملوك اليمن الذي أزال ملكهم وأسكنهم معه، واختط في صنعاء عدة قصور، وحَلَفَ أَلَّا يولي في تهامة إلا من حمل له مئة ألف دينار، ثم ندم على يمينه، وأراد أن يولِّيها صِهْره أسعد بن شهاب، صِنْو أسماء بنت شهاب والدة المكرم، فحملت أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب مئة ألف دينار، وطلبت له ولاية التهائم، فقال لها الصليحي: يا مولاتنا ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ﴾ [آل عمران: 37] ؟ قالت: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]. فتبسم الصليحي، وعلم أنه من ماله وخزانته، فقبضه وقال: ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ﴾ [يوسف: 65]، فقالت له أسماء: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: 65]، فَوَلَّاه التهائم.

فدخل أسعد بن شهاب زبيد في سنة ست وخمسين وأربع مئة، فأحسن سيرته في الرَّعية، وفسح لأهل السنة في مذهبهم(5)، فكان يحمل إلى الصليحي في كل سنة - بعد أرزاق الجُنْدِ الذي بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة - ألف ألف دينار، وعامل الحَبَشة ومن يليهم(6)

---

(1) (المفيد): 36و (عيون الأخبار): 31 و(السجلات المستنصرية): 30.

(2) الصلحيون: 219.

(3) (السلوك) 2: 486.

(4) (المفيد): 36 و(الكنز): 78.

(5) يقول المؤرخ عماد الدين إدريس (من علماء الإسماعيلية): «ولم ينكر الداعي علي بن محمد الصليحي على أحد من مذاهب فرق الإسلام على شعبها بل أَقَرَّ كل امرئ على ما كان عليه» (عيون الأخبار: 22).

(6) في (و) يتهم.

بالدولة بالصَّفح والإحسان، وربما يظفر ببعض من يخشى منه، فيحسن إليه حتى زَرَعَ له ذلك في قلوب الناس محبةً شديدة.

وأقام الصَّليحي بصنعاء إلى آخر سنة تسع وخمسين وأربع مئة.

وفي هذه السنة[1]: عزم الصليحي على الحج فَتَوَجَّه إلى مكة المشرفة حرسها الله تعالى بالإيمان، واستخلف ابنه المكرم على الملك، وأخذ زوجته معه أسماء بنت شهاب، - وكانت من أعيان النساء وحرائرهن - بحيث تقصد ويمدح بها زوجها وابنها، وكان الصّليحي لَمَّا تَحقَّقَ كمالها وَكَّلَ إليها أمر التدبير، ولم يكن يخالفها في غالب أمرها، وكان يجلّها إجلالًا عظيمًا، وكانت إذا حَضَرَتْ مجلسًا لا تستر وجهها من الحاضرين، وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن في أحد من نساء زمانها، [وفيها يقول الشاعر[2]][3]: [من الخفيف]

قلت إذ أعظموا لبلقيس عرشًا   دست أسماء من ذرى النجم أسمى

وكان علي بن محمد الصليحي من أعيان اليمن وسادات الزَّمن، وأذكياء الملوك ودهاتهم، وكان شاعرًا فصيحًا كاملًا، ولما قَهَر الملوك ملوك اليمن ألزمهم ألا يفارقوا ركابه حيث كان، بعد أن تَوَثَّق منهم بالرَّهائن والأيمان المغلظة، فلما أراد التقدم إلى مكة - كما ذكرنا - ألزمهم أن يسافروا معه، فسار في خمسين ملكًا من ملوك اليمن وفي مئة وستين - أو مئة وسبعين - من آل الصُّليحي خوفًا أن ينافقوا [به، أو يغيروا][4] على ولده المكرم بعده، وسار في ألفي فارس من العسكر، ومن ذكرنا من الملوك، وبين يديه خمس مئة فرس، مجنوبة[5] عليها مراكب الفضة [وخمسمائة هَجِين عليهم ألوان الفضة والمراكب المفضَّضة][6]، ومعه خمسون دواةً من ذهب وفضة، وغير ذلك من الزينة والآلات مما لا يدخل تحت الحصر، حتى نزل مدينة[7] المَهْجَم في ضَيْعة تعرف بأم الدهيم وبئر أم معبد، وخيمت عساكره حوله.

(1) (كنز الأخيار): 79.

(2) هو عمرو بن يحيى الهيثمي (المفيد: 34).

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (ع).

(5) المجنوبة جمع جنيبة: الفرس تقاد ولا تركب (المصباح المنير: 111).

(6) سقط من (و).

(7) في (ع) ظاهر.

فلما كان في الثاني عشر من ذي القعدة: لم يَشْعر الناس انتصاف النهار حتى قيل لهم: قتل الصليحي، فاندفعوا، وسقط في أيديهم(1).

قال الشريف إدريس(2)، رحمه الله تعالى: وسَبب قتله أنه لما استولى على زبيد وملكها بعد أن قتل نجاحًا بالسم على يد الجارية - كما ذكرنا - تَفَرَّقَ أولاد نجاح وهَرَبُوا إلى أرض الحبشة، وشاع على ألسنة المنجِّمين وأهل [الملاحم](3): أن سعيدًا الأحول بن نجاح يقتل علي بن محمد الصّليحي فبلغ ذلك الصليحي فاستشعره، وصورت له صورة سعيد بن نجاح على جميع حالاته، وَتَرقَّت همة سعيد الأحول إلى ذلك وتهيأ لأسبابه، وكانت أخبار الصليحي عنده في كل وقت وحين. فلما بلغه عَزْم الصّليحي على الحجِّ خرج من البحر معارضًا له في خمسة آلاف حربة من الحبشة قد انتقاهم حين خرجوا من ساحل المهجم، فساروا حتى هجموا على المحطة انتصاف [النهار](4)، والنَّاس متفرقون في خيامهم غير مستعدِّين لشرٍّ ولا خائفين له.

فَقَصد سعيد الأحول في أهل بيته خيمة الصليحي فدخلوا عليه، وهو عند دواب النوبة يريد الركوب فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الله بن محمد هنالك، وافترق باقي الجيش في المحطة، فقتلوا من قدروا عليه، واستولى سعيد الأحول على خزائن الصُّليحي وأمواله، وكان قد استصحب معه أموالًا جليلة، قيل: كان قصده مصر [والدخول](5) إلى أهل دعوته من العُبَيْديين. وقتل سعيد الأحول من وَجَدَه من آل الصليحي [خاصة](6) رميًا بالحراب، وأخذ أسماء بنت شهاب فأركبها هودجها، وجعل رأس الصليحي وأخيه أمام هَوْدَجَهَا ورَجَعَ إلى زبيد.

---

(1) حول مقتل علي بن محمد الصليحي انظر (المستبصر) لابن المجاور: 91 ط مكتبة الثقافة الدينية، و(عيون الأخبار) للأنف: 112 - 117.

(2) (كنز الأخيار): 79.

(3) بياض في (و).

(4) تكملة من (و).

(5) زيادة من (ع).

(6) زيادة من (و).

وروى عمارة في (مفيده)[1] صفة قتله روايةً غير هذه سأذكرها في أخبار آل نجاح في الباب الثاني بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

ولما دخل سعيد بن نجاح زبيد بعد قتل الصُّليحي أنزل [زوجته][2] أسماء في دار سحار[3]، وجَعَلَ الرأسين أمام طاقتها، وأقامت في الأسر سنةً كاملة، لم يمكنها الوصول إلى ابنها المكرم بشيء حتى تَلَطَّفت إلى رجل مشرقي، فرمت إليه برغيف[4] وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المُكَرَّمِ تُخْبِره: أنها قد صارت حاملًا من العبد الأحول - ولم يكن الأمر كذلك ولا رآها الأحول قَطّ، وإنما أرادت تستثير حفائظهم وحفائظ العرب جميعًا - فلما وَصَلَ الكتاب إلى المكرم جمع رؤساء القبائل وقرأ عليهم الكتاب، فأخذتهم الحميّة، وثارت حفائظهم، وساروا في ثلاثة آلاف فارس غير الرِّجْل، فخطبهم المكرم [وحَظَّهم][5]، وعَرَّفَهم إنما سيقدمون على الموت، فمن أراد أن يرجع فليرجع الآن، [وتمثل بقول أبي الطيب المتنبي][6]: [من الطويل]

وأورد نفسي، والمهند في يدي ... موارد لا يَصْدُرْن من لا يجالد

فقيل رجع بعضهم - وقيل: لم يرجع أحد - وساروا حتى إذا وطئوا تهامة من شرقي زبيد - قصدوا قرية التربية[7] - فَنَزَل المكرَّم ودخل مسجدها المعروف بها، وبها بعض الجماعة ورجل من أهل القرية قد صَلَّى الصُّبح ووقف يتلو، وقد صار في سورة البروج - أو الطارق - فوقف المكرم عنده حتى خَتَمَ ودعا، وأمَّن المكرَّم ومن معه على الدعاء، وخَرَجوا من المسجد وركبوا خيولهم وقصدوا باب الشبارق - وهو الباب الشرقي [من زبيد][8] - وخرج

(1) (المفيد): 64، وحول مقتل علي بن محمد الصليحي، انظر: ابن المحاور: (صفة بلاد اليمن): 73 - 75 وابن خلكان3: 413 و(العقد الثمين) للفاسي6: 243 و(عيون الأخبار): 114 - 117.

(2) سقط من (ع).

(3) (المفيد): 64 (ط) الإرشاد: دار شحار بالشين المعجمة.

(4) في (ع) رغيف.

(5) زيادة من (ع).

(6) زيادة لا توجد في (ع).

(7) التربية: قرية عامرة بالشرق من زبيد (المقحفي: 90).

(8) زيادة في (و).

سعيد الأحول من زبيد في جموعه، وصَفَّ [رجالة] وعَبَّأهم وكانوا عشرين ألف حربة، وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب والميسرة لعمِّه، وقال لهما المكرم: إنكما لستما كأحد [من هذه العرب أنكما موتوران][1]، فإن مولاتنا أخت أحدكما وابنة أخي الآخر، وكان المكرم في القَلْب وكان شجاعًا مقدامًا في الحَرْب، فلما التقوا قاتلت الحبشة قتالًا شديدًا ساعةً من نهار، فانطوى عليها الجناحان فانكسرت الحبشة كسرةً شنيعة، فجالت عليهم الخيل جولةً واحدةً فانطحنوا طحن الرَّحى، وأتى القتل على أكثرهم، وكان سعيد الأحول قد أَعَدَّ خيلًا مضمرةً على الباب الغربي المسمى بباب النخل من زبيد، فلما انهزم ركبها فيمن سلم من أصحابه وخواصه وأهل بيته، وسار عليها إلى البحر، وقد أعدت له سفن هنالك فَرَكبها من فَوْره، وسار نحو دهلك[2] ودخل العرب زبيد قهرًا بالسيف، فكان أول فارس وقف تحت طاقة أسماء ولدها المكرم بن علي، فسلَّمَ عليها فلم تعرفه، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا أحمد بن علي. فقالت: إن أحمد بن علي في العرب كثير. فَرَفَعَ المِغْفر عن وَجْهه فعرفته، فقالت: مرحبًا بمولانا المكرم. فضربته ريح حينئذ، فارتعش واختلجت بشرة وجهه، فعاش بعد ذلك بقية عمره وهو على هذه الحالة.

وأقبل رؤساء القبائل يُسَلِّمون عليها وهي بارزة بوجْهِهَا لهم، وكانت كذلك بأيام الصّليحي، ثم أمر المكرم بإنزال الرأسين، وبنى عليهما مشهدًا[3].

ويروى: أن أسماء قالت للمكرم حين أسفر عن وجهه: من كان مجيئه كمجيئك، فما أخطأ ولا أبطأ. وولى المُكَرَّم خاله أسعد بن شهاب زبيد والأعمال التهامية، ورجع بوالدته إلى صنعاء[4].

قال عمارة[5]: وأدركت أهل زبيد إذا شَتَمَ أحدهم صاحبه، وقيل له: أتشتم الرجل؟ فيقول: الرجل، والله، من فَكَّ أمه من الأسر، وقَتَلَ من دونها عشرين ألفًا.

---

(1) سقط من (و).

(2) دهلك: جزيرة ومرفى تقع أمام مصوع من بلاد الحبشة.

(3) للتوسع حول موضوع تخليص المكرم والدته من سعيد الأحول انظر (عيون الأخبار) للأنف: 122 – 127.

(4) (المفيد): 41 – 42.

(5) (المفيد): 42.

وكان علي بن محمد الصليحي شاعرًا فصيحًا، ومن شعره[1]: [من الكامل]

أنكحت بيض الهند سُمَّرَ رماحهم ... فرؤوسهم عوض النثار نثار

وكذا العلى لا يستباح نكاحها ... إلا بحيث تطلق الأعمار

ومن شعره أيضًا قوله[2]: [من الكامل]

وألَذُّ من قرع المثاني عنده ... في الحرب ألجم يا غلام وأسرج

خيل بأعلى حضرموت محالها[1] ... وصهيلها بين العراق ومنبج

ولما رجع[2] المكرم إلى صَنْعاء فَوَّض الأمر إلى زوجته الحرة السَّيدة الملكة الصليحية، واسمها سيدة بنت أحمد بن جعفر بن محمد الصليحي [وكانت أسماء بنت شهاب وعلي بن محمد الصليحي][3] هما اللذان تَوَلَّيا تربيتهما، فكان الصليحي يخصّها من الإكرام بما لا يفعل لسائر بناته، ويقول لزوجته أسماء: هذه، والله، كافلة ذرارينا القائمة بهذا الأمر لمن بقي مِنَّا، وكانت أمها الرداح بنت الفارع بن موسى، مات عنها زَوْجها أحمد بن جعفر والد السيدة، فخلف عليها [عامر بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزواحي فولدت له][4] سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي، فهو أخو السَّيدة الملكة لأمها، وولي الدعوة بأمرها فقتله المفضل بن أبي البركات بالسم[5].

وكان مولد السيدة في سنة أربع وأربعين وأربع مئة، وتَوَلَّت أسماء بنت شهاب كفالتها وتأديبها وتهذيبها كما ذَكَرنا.

وكانت بيضاء اللون مشربةً بحمرة، مديدة القامة، معتدلة الجِسْم، وإلى السِّمَن أقرب، وكانت كاملة المحاسن، جهورية الصَّوت، كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار، عارفةً بالأنساب والتواريخ وأيام العرب، وكان يقال لها: بلقيس الصغرى، لرجاحة عقْلِها وحسن تدبيرها

---

(1) البيتان في: ابن خلكان3: 415و (خريدة القصر) 3: 25.

(2) (خريدة القصر) 3: 225.

(1) في (ع) مجالها وفي (خريدة القصر) «أشدها».

(2) للتوسع في أخبار المكرم بعد رجوعه من حرب النجاحي انظر (عيون الأخبار للأنف: 131 – 148).

(3) سقط من (و).

(4) سقط من (و).

(5) (المفيد): 47.

للملك، وكانت تفضّل بالمعرفة على كثير من الملوك. وتَزَوَّجها المكرم في أيام أبيه، وكان الصليحي [قد جعل صداقها عدن فلم يزل بنو معن يحملون خراج عدن إليها فلما توفي الصليحي][1]، تَغَلَّب بنو معن على ذلك، فغزاهم المكرم وأخرجهم منها، وجعل مكانهم العباس ومسعودًا ابني المكرم الهَمْدَانيين، وسنذكر ذلك في موضعه من الكتاب، إن شاء الله، فولدت له أربعة أولاد: محمد وعلي وفاطمة وأم همدان، فأما محمد وعلي فماتا طفلين، وأَمَّا أم هَمْدان فتزوجها ابن خالها[2] أحمد بن سليمان الزواحي، فولدت له عبد المستعلي، وتوفيت قبل أمها في سنة عشر وخمس مئة.

وأما فاطمة فتزوجها: شمس[3] المعالي ابن الداعي سبأ بن أحمد، وكانت وفاتها بعد والدتها بسنتين، وذلك في أربع وثلاثين وخمس مئة[4]، ولما رجع المكرم بوالدته إلى صنعاء - كما ذكرنا - وفَوَّض الأمور كلها إلى زوجته الحرة السيدة بنت أحمد، وتفرغ للشراب والسماع، واستبدت بالأمور، وكان يقال: إنها استعفت في نفسها، وقالت له: إن امرأةً تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر، فَدَعْني وما أنا بصدده. ثم إنها ارتحلت في جيش جَرَّار، وتركته بصنعاء واتخذت جبلة من مخلاف جعفر [مسكنا][5].

وكان جبلة رجلًا يهوديا يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز[6]،وبه سميت المدينة جِبْلَة، وكان الذي اختط جبلة عبد الله بن محمد الصليحي [أخي علي بن محمد الصليحي][7]، وذلك في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وكان أخوه علي بن محمد قد وَلاَّه حصن التَّعكر في التاريخ المذكور، فاختط مدينة جبلة يومئذ، وهي مدينة بين نهرين جاريين في الشِّتاء والصيف، وتوفّيت أسماء بنت شهاب في سنة تسع وسبعين وأربع مئة، وكانت وفاتها بصنعاء.

---

(1) سقط من (و).
(2) في (ع) خالد.
(3) في (و) يمن.
(4) (المفيد): 48.
(5) زيادة في (ع).
(6) في (و) العروبة والإصلاح من (ع) و(المفيد): 48.
(7) سقط من (و).

وفي هذه السنة[1]: أمر المكرم أحمد بن علي الصليحي بضرب الدينار الملكي[2]، وفيها[3] عاد بنو نجاح فأخرجوا أسعد بن شهاب من زبيد، ثم أخرجهم المُكَرّم منها، ثم قتل سعيد الأحول تحت حصن الشِّعر بِجِبْلة، وسأذكر قتله في موضعه، إن شاء الله تعالى.

ولما توفيت أسماء بنت شهاب في التاريخ المذكور: انتقل المكرم بن علي إلى ذي جبلة واختط بها دار العز، وذلك في سنة ثمانين وأربع مئة، واستخلف المكرّم على صنعاء عَمْران بن المفضل الهَمْداني وأسعد بن شهاب، وذلك أن الحرة قالت للمكرم: أرسل يا مولانا على أهل صنعاء ومخلافها بالحضور غدًا إلى هذا الميدان، فلما حضروا قالت: أشرف يا مولانا عليهم. فلم يقع بصره) [إلا على لمعان السيوف وبريق الأسنة والبيض، فلما نزل معها إلى ذي جبلة أمرت الرعايا من مخلاف جعفر أن يحضروا في غد، فحضروا، فقالت: يا مولانا أشرف عليهم، فلم يقع بصره][4] إلا على من يقود كبشًا أو يحمل بُرًّا أو سَمْنًا أو عَسَلا. فقالت له: العيش بين هؤلاء أصلح من العيش بين أولئك، فقال المكرم: صدقت، ثم سكنا جبلة جميعًا.

فلما كان سنة إحدى وثمانين وأربع مئة[5]: دبَّرت الحرة السيدة على قَتْل سعيد الأحول، وذلك أنها أمرت الحسين بن التّبعي صاحب حصن الشَّعِر يكاتب سعيد الأحول إلى زبيد، ويقول له: إن المكرم قد أصابه الفالج، وعكف على اللَّذات، ولم يبق أمره إلَّا بيد امرأة، وأنت أقوى ملوك اليمن، فإن رأيت أن نطبق على ذي جِبْلة، أنت من تهامة ونحن من الجبال فافعل، فدولتكم أَحَبّ إلى المسلمين، فحسن موقع ذلك عند سعيد واسْتَخَفّه الفرح، فخرج من زبيد إلى ذي جبلة في ثلاثين ألف حَرْبة، وكان خروجه من زبيد في يوم قد واعده فيه ابن التبعي، وكانت السيدة قد كتبت إلى عَمْران بن المفضل وأسعد بن شهاب: أن يخلفوا سعيد الأحول على زبيد في ثلاثة آلاف فارس، فَوَصَلوا زبيد بعد خروج سعيد الأحول، فأخذوها وهرب

(1) (المفيد): 45.

(2) حول هذا الدينار انظر البحث القيم في كتاب (عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية) للدكتور: محمد كريم الشمري: 277.

(3) (المفيد): 45.

(4) سقط من (ع) وللتوسع حول هذا الموضوع انظر (عيون الأخبار: 149).

(5) (المفيد): 49 و(السلوك) 2: 49.

بقية بني نجاح، فلحق جيَّاش بالهِنْد، وسنذكر رجوعه إلى زبيد وتملكه بها في موضعه، إن شاء الله تعالى، ولما صار سعيد الأحول تحت حصن الشِّعر طَبَّق عليه الجَيْشان، فقتل وقُتِل من معه جميعًا، وقيل: نَجَا منهم نحوًا من ألفي رجل، والله أعلم، وكانت زوجته أم المعارك معه يومئذ فأسرت، وجعلوا يعرضون عليها القَتْلى واحدًا واحدًا، فلما وقعت عينها على سَيِّدها عرفته فاحتزوا رأسه، وحمل على رمح أمام هودجها، وجيء بها إلى السَّيِّدة، فأسكنت في موضع بدار العز، ونصب رأس سعيد الأحول أمام طاقتها، فكانت تقول السيدة عند ذلك: ليت لك عينًا يا مولاتنا أسماء حتى تنظرين رأس سعيد الأحول تحت طاقة أم المعارك.

وفي سنة أربع وثمانين وأربع مئة[1]: توفي المكرم أحمد بن علي الصليحي، وأسند الوصية إلى الأمير الأجل الأوحد عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حِمْيَر سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، وكان شجاعًا جوادًا كريمًا، شاعرًا فصيحًا، ويثيب على المدح ويمدح مادحه، وفي ذلك قال الحسين بن علي بن القم الشاعر المشهور في قصيدة له[2]: [من الطويل]

ولما مدحت الهزبري ابن أحمد … أجاز وجازاني على المدح بالمدح
فَعَوَّضني شعرًا بشعري وزاد في … عطائي فهذا رأس مالي وذا رِبْحي
شققت إليه النَّاس حتى لقيته … فكنت كمن شَقَّ الظَّلام إلى الصُّبْح
فَقُبِّح دهر ليس فيه ابن أحمد … ونُزِّه دهر كان فيه من القبح

قال عمارة[3]: ولما قدم ابن القُمّ على الأمير سبأ بن أحمد الصليحي، ومَدَحه بهذه القصيدة، وأنشدها قائمًا بين يديه، مَنَعه من القيام ورَمَى له بمخدَّة وأمره بالجلوس عليها إكرامًا له ورَفْعًا عن الحاضرين، فلما فرغ من الإنشاد قال له: يا أبا عبد الله أنت عندنا كما قال أبو الطيب المتنبي: [من الخفيف]

وفؤادي من الملوك وإن كـ … ـان لساني يرى من الشعراء

وكان الأمير سبأ بن أحمد دميم الخلق قصيرًا، لا يكاد يظهر من السّرج، وكان مَقَرُّ عِزِّه حصن أشيح – وهو نظير مسار والتعكر في العز والمَنَعة[4] – وكانت حصون بني المظفر مطلةً

(1) (المفيد): 50 و(عيون الأخبار): 156.

(2) (المفيد): 51.

(3) (المفيد): 152 (تحقيقنا).

(4) في (ع) في العلو.

على زبيد مصاقبه[1] لأعمالها، وأقرب إلى تهامة من جميع الجبال، ولذلك كانت الحرب بين بني سبأ بن أحمد وبين جياش بن نجاح سجالًا.

فكان إذا دخل الشتاء وبرد النسيم نَزَلت العرب تهامة، وحينئذ يرتفع جَيَّاش عن البلاد إلى دهلك[2]، فيقيم بها سبأ ونُوَّابه يَجْبُون خراجها ولا يؤذون أحدًا من الرَّعايا بظلم ولا غيره، ويحتسب العُمَّال بما قبضه منهم جياش في مدة الصَّيف والخريف، فإذا انقضى الشتاء والربيع وسخنت البلاد ارتفعت[3] العرب من تهامة إلى الجبال [والحواز][4]، فحينئذ يدخلها جياش تارةً بقتال وتارةً بغير قتال.

فإذا عاد جَيَّاش إلى زبيد نشرت المصاحف وظهرت الفقهاء وتطاولت العلماء واحتسب جَيَّاش للعمال بما قَبَضَه منهم سبأ ونُوَّابه في مدة الشتاء والربيع، [حتى كان في آخر الأمر نزل السلطان سبأ في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فَحَطَّ على زبيد والحَبَشَة إذ ذاك فيها فرأى من الحبشة توانيًا فتوانى في الحزم وهي مكيدة منهم فَبَيَّتوه في بعض الليالي هو وعسكره على غِرَّة فأتوا على أكثرهم قتلًا ونَجَا سبأ على قدميه باقي ليلته حتى وجد من أركبه على فَرَسٍ في آخر الليل ولم يعد العرب إلى تهامة بعد ذلك][5]، ثم إن الداعي سبأ بن أحمد خطب[6] الحرة بنت أحمد، فكرهت ذلك وأنكرته عليه غاية الإنكار، فجمَعَ الداعي جموعه وسار من أشيح يريد حرْبَها بذي جبلة، فجَمَعت أيضًا هي جموعها وكانت أكثر من جموعه، وتصاف العسكران فاقتتلا أيامًا، ثم قال له أخوها لأمها سليمان بن عامر الزواحي: والله، لا نجيبك إلى ما تريد إلاَّ بأمر من المستنصر. فترك [الداعي] قتالها ورَجَع إلى أشيح، وسَيَّر إلى الإمام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر رسولين، هما: القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبهاني وأبو عبد الله الطيب، فكتب[7] الإمام المستنصر بالله إليها - في أثناء المكاتبات - ثلاثة أسطر يأمرها فيه بنكاح سبأ بن أحمد، وسير إليها أستاذًا - يعرف بحامل

---

(1) في (و) مضافة.

(2) في (ع) عن البلاد.

(3) في (ع) انفضت.

(4) سقط من (ع).

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(6) حول خطبة الداعي سبأ بن أحمد للحرة السيدة انظر بتوسع (عيون الأخبار: 175 - 176).

(7) انظر مكاتبات المستنصر إلى الحرة السيدة «السجلات المستنصرية: 58 - 173».

المظلة[1]، وينعت بيمن الدولة - فلما وصلوا بالجواب من المستنصر بالله إلى اليمن بعث بهم الداعي إلى الحُرَّة بذي جبلة، فلما دخلوا عليها وهي بدار العز من ذي جبلة تَكَلَّم الأستاذ وهو واقف بين يديها ووزراؤها وكتابها وأهل دولتها قيام أمامها[2]، فقال: أمير المؤمنين يردُّ السلام على الحرة الملكة السيدة الطاهرة الزكية خِيَرَة الزمن سيدة ملوك اليمن، عمدة [الإسلام][3] خالصة الإمام، ذخيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستنجدين، ولية أمير المؤمنين، ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، وقد زَوّجك أمير المؤمنين من الدَّاعي الأوحد المنصور المظفر عُمْدة الخلافة أمير الأمراء أبا حمير سَبَأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي على ما حَضَر من المال وهو مئة ألف دينار عينًا وخمسون ألفًا أصنافًا من تحف وألطاف وطيب وكساو. فقالت: أما كتاب مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأمره، فإني أقول فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 29 - 31] ولا أقول في أمر مولانا: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32].وأما أنت يا ابن الأصبهاني: فوالله، ما جئت مولانا ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22] ولقد حرفتم القول عن مواضعه و﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، ثم تَقَدَّمَ إليها زريع بن أبي الفتح وزيرها وابن الأصبهاني ونظراؤها، فما برحوا يتلطَّفون بها حتى أجابتهم إلى العقد، فعقد النكاح.

ولم يلبث سَبَأ بن أحمد أن سار في أمم عظيمة إلى ذي جبلة فأقام شهرًا والضِّيافات الواسعة تخرج إليه كل يوم إلى مخيمه [كل يوم][4]، وأنفقت على عساكره من مالها مثلما قَدَّمه من المهر إليها، ورأى الأمير سَبَأ بن أحمد من عالي همتها وشرف أفعالها ما حَقَّر نفسه معه، وندم على خطبتها وأرسل إليها في السِّر أن تأذن له في الدخول إلى دار العز ليوهم الناس

---

(1) في (و) المدينة قال: ولعلها (المذبَّة). والصواب ما ورد هنا انظر «اتعاظ الحنفاء 2: 100».

(2) في (ع) لقيامه.

(3) لا توجد في (ع).

(4) سقط من (و).

أنّه خلا بها، ففعلت ذلك، فاجتمع بها ليلةً واحدة، ثم ارتحل في صبيحها[1]، وقيل: بعثت إليه بجارية تشبهها فَنَمِيَ ذلك إلى سَبَأ، فباتت الجارية واقفةً على رأسه وهو جالس لا يرفع رأسه إليها، حَتَّى إذا طلع الفجر أمر بِضَرْب الطبول فلم يجتمعا بعدها[2]. ويقال: إن سبأ بن أحمد ما وطئ أَمَةً قط، ولا شرب مسكرًا أبدًا، وكان يرى أن وطء الأَمَة عار، وأن الشَّراب نَقْصٌ في المروءة والحسب، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد الصليحي. ولم يزل بحصنه أشيح إلى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، هكذا قال الجندي في تاريخه[3].

قال علي بن الحسن الخزرجي تولاه الله بحسن ولايته: ولما مات الدَّاعي سبأ بن أحمد الصليحي في التاريخ المذكور، خَرَجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين، وارتفعت أيديهم عنها، ولم يبق لأحد منهم فيها ذكر، وكانت الحُرَّة بذي جبلة من مخلاف جعفر إلى أن توفيت بها في التاريخ الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى، واستولى على صنعاء وأعمالها السلطان حاتم بن الغشم، وسيأتي ذكره وذكر من ملك صنعاء إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق[4].

ولما مات الداعي سبأ بن أحمد المذكور أقامت السيدة بنت أحمد للذَّب عن مملكتها والقيام بدولتها المفضل بن البركات بن الوليد الحِمْيَري، وذلك أن التَّعكر كان لعبد الله بن محمد الصليحي - كما ذكرناه أولًا - ، فلما قتل مع أخيه علي بن محمد الصليحي في ناحية المَهْجم، واستولى المكرم على البلاد بعد أبيه جَعَل أمر التعكر إلى ابن عمه أسعد بن عبد الله الصليحي، فساءت سيرته فنقله عن التعكر وعَوَّضَه منه حصون رَيْمة، وجعل أبا البركات بن الوليد الحميري واليًا في التعكر وأعماله، وولَّى أخاه أبا الفتوح بن الوليد حصن تعز، وكان المفضل يومئذ صغيرًا، فكان يتوصف[5] للمكرم بذي جبلة ويدخل إلى الحرة

---

(1) في (عيون الأخبار) للأنف: 176 «فرأى من حال الملكة ما استعظمه وما استصغر حاله عندها فلم يبت غير لية واحدة في ذي جبلة ثم رجع إلى أشيح وقيل: أن الحرة الملكة وهبت له جارية جميلة الخلق وحَمَّلتها من الحلي ما استهاله واستعظمه». وانظر (غاية الأماني): 276 و(الصليحيون) لحسين الهمداني: 157 - 159.

(2) انظر (كنز الأخيار): 81.

(3) (السلوك) 2: 492.

(4) (كنز الأخيار): 214.

(5) أي يكون وصيفا: والوصيف من الغلمان دون المراهقة.

برسائل المكرم، فلما مات أبو البركات بن الوليد – وكان موته بعد موت المكرم – جعلت السيدة ولاية التعكر إلى ابنه خالد بن أبي البركات [فأقام][1] نحوًا من سنتين، ثم قتله الفقيه عبد الله بن المُصَوَّع وكان ابن المصوّع المذكور فقيهًا فاضلًا، وكان ذا دنيا واسعة، وكان يواصل الأمير خالد بن أبي البركات لكونه الحاكم على بَلَده ذي السفال، وكان سليمًا[2] وكان الوالي يأتمنه، ويأمر أن لا يَمْنَعُوه عن الطّلوع متى شاء، وكان الأمير لا يحتجب عنه لما يعتقده فيه من الخير والصلاح، فسَوّلَت له نفسه أن يقتل الوالي استحلالًا لدمه لكونه على مذهب الإسماعيلية، ولم يشاور في ذلك[3] أحدًا، بل قَدَّر في نفسه [أنه] متى وجد المرتبون [هنالك] المال للجوامك أطاعوه على ما يريد، فعامل سَلَّاطًا[4] من عادته أن يطلع الحصن بالسليط ويبيعه على أهل الحصن، فملأ بطاطه[5] دنانير ودراهم وطلعا معًا، فلما خلا الفقيه بالأمير قتله، ثم صاح صياحًا بانزعاج فتبادر إليه أهل الحصن فوجدوا الأمير مقتولًا فقتلوا الفقيه [الذي قتل الأمير][6]، وطلع المفضل بن أبي البركات واليا في التعكر بعد قتل أخيه، فأظهر عداوة الفقهاء، وقبض أموال الفقيه الذي قتل الأمير وبساتينه وأراضي[7] قومه.

قال الجَنَدِي[8]: وهي الأملاك القديمة التي في ذي سفال، وهَرَب معظم الفقهاء عن مجاورته خوفًا من سَطْوته، وصار المفضل رجل البيت والذاب عن الملك والمرجوع إلى رأيه وسيفه، ولم تكن السيدة تَقْطع أمرًا دونه، فعظم شأنه وعَلَتْ كلمته، ولم يبق في أعيان الدَّولة من يساميه ولا من يساويه، وغزا تهامة مرارًا فتارةً له وتارةً عليه، وهَبَطَ إلى عدن مرارًا، وكان حازمًا عاقلًا شجاعًا شهمًا، له عدة مكارم وجملة مفاخر، لكنها دون الداعي سبأ بن أحمد، وكان جوادًا مُمْدحًا قَصَدُه الشعراء من الأماكن البعيدة، ومن جملة من قصده

(1) زيادة في (ع).
(2) في (السلوك) 2: 238.. وسلامه.
(3) في (ع) قتله.
(4) السَّلاط: هو الذي يمتهن مهنة السَّليط وهو ما يعرف في البلدان الأخرى بالزَّيت.
(5) بطاطه: هنا جمع بطة وعاء يعمل من عدة طبقات من الجلد السميك يستخدم لحفظ الدهون من زيوت وسمن وشحوم ونحوها. (نور المعارف: 28).
(6) سقط من (ع).
(7) في (و) وأوصى. وللتوسع في هذا الموضع انظر (عيون الأخبار 7: 232).
(8) (السلوك) 2: 495.

مواهب بن جديد[1] المغربي، وامتدحه بغرر قصائد يقول في بعضها[2]: [من البسيط]

يا مالك الدين والدنيا وأهلهما ... ومن بِعِزَّته الإسلام ممتسك

قد قِيلَ جاور لتغنى البحر أو ملكًا ... وأنت يا بن الوليد البحر والملك

وهو الذي جَرَّ الغيل من خنوة[3] إلى مدينة الجَنَد.

وهو الذي حارب الداعي حين كرهت الحرة زواجه، وحصر علي بن الداعي سبأ في قَيْظان حتى أخرجه منها، وذلك أن علي بن الداعي سبأ كان مزوجًا على بنت المكرم، ثم تزَوَّج امرأةً غيرها فطلبت منه أن يسرِّحها إلى أمها فلم يَفْعل، فكتبت إلى أمها تستنجدها عليه فَأَمَدَّتْها بالمفضل في عساكر جَمَّة، فلبست فاطمة بنت المكرم زَيِّ الرجال وخرجت من الحصن حصن زَوْجها إلى عسكر المفضل، فَسَيَّرها إلى أمها وداوم الحصار على شمس المعالي علي بن سبأ حتى خرج من الحصن بأمان على نفسه، واستخرج للحرة نِصْف خراج عدن من آل زريع حين تَغَلّبُوا عليه، ومدحه القاضي أبو بكر اليافعي[4]، فقال[5]: [من الكامل]

وأقل مكرمة له وفضيلة ... إجراؤه للغيل في الأَجْناد

شَقَّ الجبال الشامخات كأنما ... كانت بغاب هابط وهاد

وذلك أنه حفر في الصَّفا حُفَرًا عديدةً، وخَرَقَ بعضها إلى بعض، وأجرى الماء فيها في مواضع لا يصدّق بها إلاَّ من رآها، ثم لما جاء[6] إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جدارًا من الجبل إلى الجبل طوله[7] مئتي ذراع، وعرضه نَحْوًا من عشرة أذرع بالحديد[8]، وارتفاعه

(1) في (و) جرير وهو مواهب بن جديد من الشعراء الوافدين إلى اليمن مدح المفضل بن أبي البركات، انظر (المفيد): 135 و(خريدة القصر) 12: 111 (قسم شعراء الشام) وفيه ورد اسمه هكذا (عبد المحسن بن صدقه بن عبد الله بن جديد أبو المواهب االمعري).

(2) انظرهما في (المفيد): 139.

(3) خنوة: قرية ومركز إداري من أعمال ذي سفال (المقحفي: 584).

(4) في (و) الشافعي (خطأ).

(5) انظرهما في (السلوك) 2: 496.

(6) في (ع) فكلما جاء.

(7) زيادة من (ع).

(8) ذراع الحديد ويقال له ذراع السوداء طوله 127 أصبعا ويقدر بـ 4، 169 سنتميتر انظر (المكاييل والأوزان) لمحمد الجليلي ط: 681 دار الغرب الإسلامي.

نحوًا من خمسين ذراعًا، بحيث إنه إذا [رآه][1] شخص يقول: ما فعل هذا إلا الجن.

وبنى[2] مسجد الجَنَد، وجَدَّد بناءه من المقدَّم والجناحين ما هو مبني بالحجارة وسقف على [ذلك][3]، فلم يزل كذلك حتى ظَهَر مهدي[4] بن علي بن مهدي وأخربه وأحرقه، ولم يزل مهدومًا حتى قدم سيف الإسلام فزاد في سُمْك المَسْجد ما هو مبني الآن بالآجر، هكذا قاله الجَنَدي في (تاريخه)[5].

وكان التعكر مَقَرَّ ذخائر بني الصّليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن، وكانت الحُرَّة تطلع من ذي جبلة في أيام الصَّيف فتقيم فيه، فإذا بَرَد الوقت نزلت إلى ذي جبلة، والمفضل لا يَتَصرَّف عن أوامرها ويدخل عليها مع خواص وزرائها، والأزمّة[6] الأكابر من عبيدها، فقال المفضل يومًا للحُرَّة وهي في التعكر: انظري إلى ما كان في هذا القصر من ذخائرك فانزلي به إلى دار العز[7] أو فاعزليه إلى بعض القصور، وأما هذا الحجر يعني التعكر فلا طاعة[8] لك عليّ فيه بعد هذا اليوم.

فقالت له: لو لم تقل بهذا القول ما أحوجتك[9] إليه: الحُصْن حصنك وأنت رَجَل البيت، ولا حرج عليك. فخجل[10] منها وأطرق.

ونزلت إلى ذي جبلة ولم تغير من الأموال شيئًا، فكان بعد ذلك ينزل إليها ويَتَرَضَّاها في طلوع الحصن كعادتها فلم تفعل، وهي مع ذلك تواصل بِرَّه بما يحسن موقعه عنده من الجوار المغاني[11] والكساوي والطيب وغير ذلك، ولم تزل هذه حاله إلى سنة أربع وخمس مئة.

---

(1) زيادة من (ع).

(2) (السلوك) 2: 496.

(3) سقط من (ع).

(4) في (ع) علي بن مهدي.

(5) يعني في (كتاب (السلوك)) انظر 2: 491. وفاكهة الزمن (المنسوب للملك الأشرف): 305.

(6) الأزمة: جمع زمام ويقال له الزمام دار، لقب للقائد العسكري (معجم الألفاظ التاريخية: 87).

(7) دار العز بجبلة قام سيف الإسلام الأيوبي بخرابه سنة 494.

(8) في (ع) طاقة.

(9) في (و) أخرجتك.

(10) في (و) فخرج.

(11) الجواري المغنيات: ويقال لهن الجواري الجنكيات، وهن اللَّاتي يَضْربن على الجنك. من آلات الموسيقى (معجم الألفاظ التاريخية: 56).

وفي هذه السنة[1]: استنجد منصور بن جَيَّاش بالحُرَّة على أخيه وبذل لها مبلغًا، فبعثت معه المفضل ناصرًا له فسار معه وأخذ له زبيد، فلما صار بعسكره في زبيد هَمَّ المفضل أن يغدر به ويأخذ زبيد منه، فبينا هو كذلك إذ وَصَلَهُ الخَبَرُ بأخذ التعكر، فخرج من زبيد لا يَلْوي على شيء حتى وصل التَّعكر، فطلع عَزَّان التعكر، وصار بها محاصرًا للتعكر مدة، وكان متولي التعكر رجل من الفقهاء فطلع إليه جماعة من فقهاء المخلاف ليسوا من أهل السنة فحَسَّنُوا له الخلاف في الحصن على الأمير المفضل بمواطأة من الرَّعايا ووافقهم على ذلك ابن عَمٍّ للمفضل فاستولوا على الحصن وما فيه من الأموال والذخائر، فلما وصل المفضل حَصَرَ الفقهاء الذين في الحصن حَصْرًا شديدًا، فلما حصرهم المفضل قال أحدهم: لا أموت حتى أقتل المُفَضَّل، ثم بعد قتله أهلًا بالموت، فعمد إلى حظايا المفضل وسراريه فأطلعهن سقوف الدار بحيث يراهن المفضل ومن معه، وألبسهن مصبغات الثياب، وأمرهن أن يغَنِّين ويضربن بالدفوف [بمرأى المفضل وغيره][2]، وكان المفضل شديد الغيرة فأخذته بطنه - وقيل كان في يده خاتم مسموم فامتصه فأصبح [مسموما ميتا][3] وهو فيه[4] بعزان، وذلك في شهر رمضان من سنة أربع وخمس مئة[5].

وعند ذلك طَلَعت الحرة من ذي جبلة فَحَطَّت بالرَّبادي[6] وكاتبت الفقهاء بالنُّزول من الحصن على أن يقترحوا عليها ما شاؤوا، فأجابوا إلى ذلك واشترطوا عليها شروطًا وَفَتْ لهم بها، وجعلت السيدة في الحصن مولاها فتح[7] بن فتح فلبث ما شاء الله.

ثم تَغَلَّب على الحصن واحتال عليه بنو الزِّر، وذلك أنهم خطبوا ابنةً له لواحد منهم فزَوَّجُه بها، فلما كان ليلة الزِّفاف وَصَلَ جماعة منهم فأخرجوه من الحصن.

وأقامت السيدة مقام المفضل ابن عمه أسعد بن أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحِمْيَرِي في القيام بدولتها، والذب عن مملكتها والتَّوجه أين ما [أرادت][8] أمرته. وكان متوليًا حصن

(1) عيون الأخبار 7: 232.
(2) سقط من (ع).
(3) سقط من (و).
(4) في الأصل قبته وأصلحناه من (السلوك) 2: 498. و(و) وفاكهة الزمن: 307.
(5) (المفيد): 60 (طبعتنا) و(السلوك) 2: 498.
(6) الربادي: مركز إداري من مديرية جبلة وأعمال إب (المقحفي: 668).
(7) في الأصل بدون أعجام وفي (المفيد): 60 و(السلوك): 60 فتح بن مفتاح.
(8) زيادة في (ع).

تعز وصبر، إذ كان أبوه قبله واليًا عليهما، فلم يزل على ذلك حتى غَدَرَ به رجلان من أصحابه فقتلاه بين البابين في حصن تعز سنة أربع عشرة وخمس مئة.

وكان قد قدم قبل ذلك رجل من مصر - يقال له: علي[1] بن إبراهيم بن نجيب الدولة ويلقب بالموفق - قدم داعيًا ومعه عشرون فارسًا [سنة عشرين وخمسمائة][2] وكان نبيهًا عاقلًا حسن التَّدبير، كثير المحفوظات مستبصرًا في مَذْهب الشيعة، قَيِّمًا بتلاوة القرآن العزيز [على عدة روايات][3]، وكان على خزانة الكتب الأفضلية بمصر، فتركته السَّيدة على بابها حافظًا لها في مدينة جبلة فغزا أهل الأطراف، وقويت شوكته، واستخدم أربع مئة فارس من هَمْدان وغيرهم، فاشتد بهم جانبه وأمنت البلاد ورجعت الأسعار[4].

ولما مات[5] الأفضل بن أمير الجيوش سنة خمس عشرة وخمس مئة، وكان الأفضل وزير الخليفة في الدِّيار المصرية، فلما توفي في التَّاريخ المذكور قام بأمر الوزارة بعده ابنه المأمون ابن الأفضل قيامًا كليًا، وكتب إلى ابن نجيب الدولة كتابًا بالتفويض له في الجزيرة اليمنية، وشد أزره وبسط يده ولسانه، وسَيَّرَ إليه أربع مئة قوس أرمن وست مئة أسود، وكانت خولان قد بسطوا أيديهم على الرعايا والبلاد احتقارًا بالسيدة لعدم القائم بأمرها فطردهم ابن نجيب الدولة عن جبلة ونواحيها، وأوقع بمن لقيه منهم العقاب الشديد حتى لم يَبْقَ منهم إلاَّ من كان منتسبًا إلى السيدة داخلًا في جملة الرعية، فلما رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجَنَد لوطأتها وانكشاف جَوّها فسكنها، وهي وطية للحافر متوسطة في الأعمال، فضاق الأمر به على سلاطين الوقت.

وفي سنة ثماني عشرة وخمس مئة[6]: غزا ابن نجيب الدولة زبيد فقاتل أهلها على باب القرتب، فَرُمِيَ حصانه في منخره فَشَبَّ به الحصان فَصَرَعه، وقاتل عنه فرسانه[7] حتى أردفه أحدهم[8]،

---

(1) انظر خبر قدومه إلى اليمن في (المفيد): 46 و(اتعاظ الحنفاء) 3: 113 و(عيون الأخبار): 233.

(2) سقط من (و) وفي (المفيد) سنة 513 وهو الصواب انظر: (عيون الأخبار): 233.

(3) سقط من (ع).

(4) (المفيد): 64 ورخصت الأسعار.

(5) (المفيد): 64: (اتعاظ الحنفاء) 3: 110.

(6) المفيد: 164 وفيه: سنة ثماني عشرة.

(7) في (و) سلطانه.

(8) في (ع) بعضهم.

وَتَمَّ حصانه شاردًا إلى الجَنَد، وكانت الوقعة يوم الجمعة، فأصبح الفرس يوم السبت في مدينة الجَنَد، فأمسى الخَبَرُ ليلة الأحد بذي جبلة: بأن ابن نجيب الدولة قتل بزبيد، فلما كان بعد [أربعة][1] أيام وصل ابن نجيب الدولة [إلى الجَنَد ليس به بأس، وذلك في الحجة من السنة المذكورة.

وفي سنة تسع عشرة وخمس مئة[2]: ساءت سيرة ابن نجيب الدولة][3] على السيدة فاستخف بها وانتقصها وأظهر انتقاص رأيها ونسبها إلى السَّفه والخرف، وقال: قد استحقت عندي أن يُحْجَر عليها وأظهر خلافها. فَجَهَّزت له جَيْشًا فحاصره، وأغرت به ملوك اليمن، وكانوا تَحْت طاعتها لا يخالفها منهم أحد فيما تأمرهم به من حَرْب أو صلح، فوصل إليها سلاطين دولتها: سليمان وعمران أبناء الزر[4] أصحاب خدد[5] وبهجة، وسبأ بن أبي السعود وأبو الغارات وأسعد بن أبي الفتوح والمنصور بن المفضل، واستأذنوها في حصار ابن نجيب الدولة في الجَنَد، فأذنت لهم - وكانت الجَنَد مُسَوَّرةً - ومعه أربع مئة فارس من هَمْدان وغيرهم، فيهم فرسان يُعَدُّ كل واحد منهما لمئة فارس، فجاءته السلاطين في نحو من ثلاثة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل، فحصروه حتى جَهَد، وكانت فرسانهم تقاتله على باب المدينة أشد قتال.

فلما اشتد عليه الحَصْرُ بعثت الحرة إلى وجوه [القبائل][6] منهم بعشرة آلاف دينار مصرية، وقالت للرسل: أشيعوا في النَّاس أن هذا من ابن نجيب الدولة. فطلبت العساكر من سلاطينها أن ينفقوا عليهم وإلاَّ ارتحلوا، فغالطوهم ولم يعطوهم شيئًا، فارتحلوا [وتفرق][7] الناس، فقيل لابن نجيب الدولة: هذا من تدبير التي قلت إنها قد خرفت، فَرَكِبَ إليها إلى ذي جبلة واعتذر مما كان منه، وكان ذلك في المحرم من سنة عشرين وخمس مئة، والله أعلم[8].

---

(1) سقط من (ع).

(2) المفيد: 166.

(3) سقط من (ع).

(4) (المفيد): 65 وفي (ع) الزواحي.

(5) في «فاكهة الزمن»: خود وبهجة (يحقق). وانظر المفيد: 166 ولا توجد فيه هذه الزيادة.

(6) زيادة في (و).

(7) سقط من (ع).

(8) انظر (المفيد): 66.

ثم قدم رسول من الدِّيار المصرية يسمى الأمير الكذاب، فلما وَصَل واجتمع بابن نجيب الدولة في ذي جبلة في مجلس حافل، فلم يحتفل به ابن نجيب الدولة، ورُبّما أغلظ له في القول، وأراد أن يغض منه، فقال له: أنت والي الشرطة بالقاهرة؟ فقال: بل أنا ألطم خيار من فيها عشرة آلاف نعل[1]، فالتصق به أعداء ابن نجيب الدولة وأكثروا بِرَّه وحملوا إليه الهدايا والتحف فضمن لهم بهلاكه، وقال: اكتبوا معي أنه دعاكم إلى نزار[2] وراودكم على البَيْعة له فامتنعتم، واضربوا لي سكةً نزارية[3]، وأنا أوصلها إلى الخليفة الآمر بأحكام الله، ففعلوا ذلك فأوصل الكتب والسِّكة فبعث الخليفة الآمر بأحكام الله ابن الخياط إلى اليمن، وأمره يقبض على ابن نجيب الدولة، وأرسل معه من مصر مئة فارس من الحجرية[4].

فلما قدم ابن الخَيَّاط ومن معه على الحرة طلب منها ابن نجيب الدولة، فامتنعت من تسليمه، وقالت له: أنت حامل كتاب فخذ جوابه وإلَّا اقعد حتى أكتب إلى مولانا [الخليفة] ويعود جوابه بما يرى. فخَوّفها وزراؤها بسوء السمعة بالنزارية، ولم يزالوا بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يمينًا، وكتبت إلى الخليفة الآمر بأحكام الله وسيرت رسولًا - هو كاتبها محمد بن أبي الأزدي - وسيرت هديةً حسنة، وفي الهدية بدرة[5]، قيمة الجوهر الذي فيها أربعون ألف دينار، وشفعت فيه وسَلّمته إليهم، فلما فارقوا ذي جبلة بليلة جعلوا في رجله لبنة من حديد وزنها مئة رطل، وشتموه وأهانوه، وبات في الدّهليز عريانًا في الشّتاء وبادروا به إلى عدن وسَفَّروه إلى مصر في جلبة سواكنية[6] أول يوم من شهر رمضان، وأخذوا رسولها محمد ابن الأزدي بعده ستة عشر يومًا، وتقدموا به إلى ربان المركب أن يغرقه، فغرق المركب بما فيه على باب المَنْدب، ومات ابن أبي الأزدي غريقًا فَجَزَعت الحرة

---

(1) الأصل (فعل) وأصلحناه من (المفيد). وفاكهة الزمن: 311.

(2) في الأصل: الإضرار وأصلحناه من (المفيد): 67.

(3) نسبة إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمي المعارض للمستعلى الفاطمي.

(4) من تعاليق كاي في (المفيد): 63: الحجرية هم فريق من الرجال كانوا في خدمة الخلفاء الفاطميين وتسموا بهذا لأنهم كانوا يقيمون في ثكنات تعرف باسم الحُجَر. وانظر (اتعاظ الحنفاء 3: 140).

(5) الأصل: بدنه وأصلحناه من (المفيد): 68 والبدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به الناس.

(6) جلبة سواكنية: نسبة إلى سواكن ميناء في السودان والجلبة بالتحريك سفينة صغيرة تكون خاصة بنقل الأغنام والمواشي (مصطلح السفينة) لكندرمان: 76.

على ذلك جزعًا شديدًا حيث لا ينفعها ذلك[1].

وقال الجندي[2]: ثم إن الحرة أقامت الداعي إبراهيم بن الحسن الحامدي فتوفي عقيب ذلك، ولم تطل مدته، وفي أثناء مدته وَصَل العلم بموت الخليفة بمصر الآمر بأحكام الله وقيام الإمام الحافظ بعده، فأضافت الحرة دعوته إلى آل زريع بن العباس اليامي[3] فوليها منهم [محمد بن][4] سبأ بن أبي السعود بن زريع، ولذلك لقب بالداعي، ثم وليها عقبه كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وتوفّيت الحرة السيدة بذي جبلة وكانت وفاتها في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وهي بنت ثمان وثمانين سنة، وانتقل جميع ما كان تحت يدها من الحصون والذخائر والأموال إلى منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحِمْيَري، فلما كبر وضعف عن كثير من الحركات وأَحَبَّ الدعة والسكون ابتاع منه الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود الحصون والبلاد سنة ست وأربعين وخمس مئة بمئة ألف دينار.

قال عمارة[5]: وهي ثمانية عشر معقلاً ما بين حصن ومدينة: مدينة ذي جبلة واحدة، ومدينة إب ومن الحصون: التعكر وحَبّ واحد منها.

ونزل منصور بن المفضل إلى حصنيه تعز وصَبِرَ، وطَلَّقَ امرأته الصليحية، وهي أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصليحي، وهو أول من اتخذ[6] ثعبات[7] متنزَّهًا، وكان ينزل من الحصن فيقف بها الأيام.

(1) كذا في الأصل والذي في (اتعاظ الحنفاء) 3: 119 في حوادث سنة 521: فيها أحضر الموفق أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة داعي اليمن الذي سيره الوزير المامون البطائحي فدخل يوم عاشوراء على جمل بطرطور ومعة مشاعلية بهيئة ملائكة وخلفة قرد يصفعه، وهو يقول: بقوة نفس: والله لا التفت فأدخل خزانة البنود وسجن مع المأمون.

(2) (السلوك) 2: 50، والمفيد: 239.

(3) في (ع) المناخي (خطأ).

(4) زيادة في (ع).

(5) (المفيد): 77.

(6) في (ع) اختط.

(7) ثَعَبَات: بالتحريك منطقة أعلى مدينة تعز، من الناحية الشرقية في جبل صبر (المقحفي: 255).

ولم يزل كذلك إلى أن توفي لبضع وأربعين وخمس مئة، فخلفه ابن له اسمه: أحمد بن منصور بن المفضل بن أبي البركات، فقام مقام أبيه إلى سنة ثماني وخمسين وخمس مئة، ثم طلع مهدي بن علي بن مهدي من تهامة فابتاع منه تعز وصَبِرَ، وانتقل هو إلى الجَنَد، فسكن بها إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة، والله أعلم، فهذا ما كان من أخبار الدولة الصليحية وما يتعلق بها، وبالله التوفيق[1].

(1) انظر أخبارهم في (المفيد): 32 – 81 و(السلوك) 2: 476 – 509 و(عيون الأخبار) 7: 3 – 294 وعن سجلات الدولة الصليحية انظر السجلات المستنصرية للدكتور عبد المنعم ماجد ط مصر دار الفكر العربي سنة 1954م والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين الهمداني ط مصر سنة 1955م.

الفصل التاسع

في ذكر ملوك صنعاء بعد الصليحيين

قال علماء السير والأخبار[1]: لما مات الداعي سبأ بن أحمد الصليحي في التاريخ المذكور – وهو سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة – خرجت صنعاء وأعمالها من مملكة الصليحيين وارتفعت أيديهم عنها، ولم يبق لأحد منهم ذكر فيها، فاستولى على صنعاء وأعمالها يومئذ السلطان الأجل حاتم[2] بن الغشيم المغَلَّسي الهَمْداني، وكان ناهضًا كافيًا معدودًا من كَمَلَةِ الرجال، وكان له من الولد ثلاثة أولاد: محمد وعبد الله ومعن، فأما محمد[3] بن حاتم فكان سيفًا مصلتًا في حياة أبيه، لم يشاركه أحد في شجاعته وجودته، وله الوقعات المشهورة والفتكات العجيبة، فمن ذلك أنه سمع صوت الطبول وهم يضربون النوبة[4] آخر النهار، فارتاح فلذلك، ثم اهتَزَّ، ثم أفرغ عليه لأمته، وركب جواده، واعتقل رمحه، ونادى في هَمْدان بالركوب، فركبوا، فخرج بهم حتى بلغ الموضع الذي يسمى مَصَبّ الدروع[5]، فقالوا له: أين تريد وما عَزْمُكَ؟ فقال: أريد أن أغزو[6] نَجْران. فقالوا له: إن بيننا وبين نَجْران عدة أيام وليال، ونحن وأنت كما ترى لا خيام، [ولا زاد][7]، ولا رواحل نصون بها خيلنا. فقال: ما لكم بُدَّ من ذلك. فقالوا له: اتركنا نعود الليلة إلى صنعاء نَتَجَهَّزَ ونخرج إليك [في غد][8]، إن شاء الله تعالى. فقال: لا بأس، صُبُّوا دروعكم ههنا، وادخلوا. فَصَبُّوا دروعهم في ذلك

(1) (كنز الأخيار): 85.

(2) (عيون الأخبار): 309 قال: «وهو من الغز من مذكر ثم من يام وصارت صنعاء لأولاده وفي (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 227 قال أنه سرق السلطنة من آل الصليحي وانظر (مطلع البدور): 646.

(3) (كنز الأخيار): 85.

(4) النوبة: فترة زمنية يقوم العسكر فيها بأعمالهم وغالبا ما يؤذن بإعلامها بطبول تضرب للإعلام.

(5) قرة العيون: 203 و(غاية الأماني): 280.

(6) في (و) أعزم.

(7) زيادة من (و).

(8) زيادة من (ع).

الموضع، فسمي ذلك الموضع (مَصَبُّ الدروع)[1] من يومئذ إلى الآن، ثم وافوه[2] من الغد، فغزا نجران، فاستباحها وعاد، وكانت له خطرات، وكان فيه اختلاط عقل، فكان إذا تزوج امرأةً وأحبها قَتَلَها، فتحاماه النَّاس ولم يزوّجه أحد، ثم إنه خرج يومًا يطوف في صَنْعاء فأبصر اليهود قد أوقدوا نارًا عظيمة للفخار، والنار فيها عالية تلتهب، وكانت له جارية يحبها حبا شديدًا، فجاء بها وعليها ما شاء الله من حلي وحلل، فطرحها في تلك القبة فاحترقت، ثم ندم عليها ندمًا عظيمًا، وجاء ليطرح نفسه بعدها فلزمه الحاضرون ورجعوا به ملزومًا إلى منزله[3].

ثم خطب امرأة من بني الصّليحي أهل قيظان، فأبى أهلها تزويجه إلا بضمانة أبيه وكفالته: أنه لا يقتلها. فلم يزل بأبيه حتى ضَمن عليه، وتَكَفَّل بذلك في محفل عظيم من رؤساء العرب، وقال له: إن قتلتها قتلتك. فتزوَّجها وأقامت عنده ما شاء الله ثم قتلها، ولحق بحصن براش صنعاء خوفًا من أبيه، فلم يزل أبوه يخادعه ويراسله حتى نزل إليه فالتقيا عند أكام الزبيب شرقي صنعاء – وقيل: التقيا تحت المدرج – وكان أبوه قد أمر عبيده بِلَزْمه إذا واجهه، فلما واجهه أبوه إلى الموضع المذكور أشار إلى العبيد بلزمه فلزموه، فوثب عليه أبوه فقتله واحتَزَّ رأسه ودخل به صنعاء على رمح.

وكانت له بنت في صنعاء قد فقدته واشتاقت إليه، فلَمَّا علمت بخروج جَدِّها إلى لقاء أبيها فرحت وانتظرت وصوله، ففوجئت برأسه، فماتت لوقتها، وقيل: جُنَّت، والله أعلم.

وكان السلطان حاتم قد حمل بالأشعار ونكف على ما فعله ولده، فمن ذلك ما قاله بنو الصليحي[4]: [من الطويل]

فقل للهمام الأريحي مجاهرًا ... له بالذي يهوى وخَلِّ الجماجما
أتأبى دني الفعل من أنت يافع ... وتكسب ما عشت الوفا واللوازما
فأصبح ما قد شِدْتَه ذهبت به ... زلازل هدَّمن البنا والدعائما

(1) (كنز الأخيار): 86.
(2) في (ع) فوافقوه.
(3) (كنز الأخيار): 86 وفاكهة الزمن: 320 (قرة العيون): 204.
(4) انظر هامش (قرة العيون): 204. وفاكهة الزمن: 321.

فأجابهم بعد أن قتل ابنه وحزن عليه حزنًا عظيمًا ورثاه بأبيات يقول فيها[1]: [من الطويل]

وارتـعـت رأس الأريـحـي محمد — من البيض، مشحوذ[2] الغرارين صارما

وقـلـت لـه: هـذا قـصـاص بما جنت — يـداك وكـان الله لـروحـك راحـمـا

وقـد كـنـت إن جَـشَّـمْـتَـهُ لملمَّة — رأيت فتًى للمعضل الخطب جاشما

وإن حضـر الـيـوم الـعـبـوس رأيتـه — إذا طاشت الأحـلام[3] أرْوَع باسما

ثم توفي حاتم بن الغشيم[4] في سنة اثنتين وخمس مئة، فولي الأمر بعده ولده عبد الله بن حاتم، وكان يعرف بالشاب العادل فكانت ولايته سنتين، وقتل بالسم، فولِّي بعده أخوه معن بن حاتم فحصل في دولته تشويش وخبط على همدان أنكرته كبارها، ولاسيما القاضي أحمد بن عمران بن الفضل، وكان يومئذ عالم همدان والمستضاء برأيه والمرجوع إلى اختياره. فجَمَعَ رؤساء همدان إلى الموضع [المسمى مصب الدروع][5]، وخَلَعَ مَعْنًا عن الأمر، وساعدته قبائل همدان على ذلك، وذلك في شهر صفر من سنة عشر وخمس مئة، وقَدَّم عليهم السلطانين الأجلين هشامًا وحماسًا ابني القبيب بن زنيخ فقبلوا ذلك، واستوثق على هَمْدان منهما بحسن السيرة والعدل في الرعية، فاجتمعت قبائل هَمْدان ودخلوا بهما صنعاء، وحَصَروا السلطان معن[6] بن حاتم في الدَّرْب، وخرج على يد القاضي أحمد بن عمران، وكان استقراره بعد ذلك في حصن براش، واستقام الأمر في بني القبيب، وكان منوطًا بأكبر الولدين وهو هشام بن القبيب، فحسن أمره واستقامت طريقته إلى أن توفي، فانفرد بالأمر بعده أخوه الحماس بن القبيب [وذلك][7] في السابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمس مئة. وكان أعظمهم رياسةً، وأقواهم شوكةً، وغزا بلاد جنْبٍ وقتل منهم مقتلةً عظيمة في هران، وساس الأمر إلى أن حضرته الوفاة فجمع إخوته، وهم: أبو الغارات

---

(1) انظر: (كنز الأخيار): 86.

(2) في (و) مسحوب.

(3) في (ع) الاعلام.

(4) (كنز الأخيار): 85 (الغشم).

(5) زيادة من (ع).

(6) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 188.

(7) زيادة من (ع).

وعامر ومحمد وأبو الفتوح، وحَضَّهم على الألفة، وأمرهم بالتساعد وأن يجعلوا رئيسهم ومقدمهم أبو الغارات، وأن يحلفوا له. فلم يفعلوا، وقالوا: لا نحلف ولا نقدِّم علينا إلا محمدًا – وكان أصغرهم – فلما رأى ما هم فيه بكى بكاءً شديدًا، فقالوا: ما يبكيك؟ فأنشد متمثلًا[1]: [من الطويل]

فما الموت[1] أبكاني ولا القبر راعني ... ولا من حذار الموت يا صاح أجزع

ولكن أقوامًا أخاف عليهم ... وأخشى بأن يعطوا الذي كنت أمنع

وتصبح آراء الرجال عليهم ... تجوز وإصلاح الدنية يوضع

ومات من ساعته، فاختلفت إخوته وتفرقت آراؤهم من بعده، حتى إن أهل صنعاء اعتزلوهم.

فلما كان سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة: اجتمعت هَمْدان كافة وقصدت السلطان الأجل حميد الدولة حاتم[2] بن أحمد بن الفضل اليامي كريم هَمْدان، فحملته على القيام بالأمر والاضطلاع به، فقام به أتم قيام، ودخل صنعاء موكِّبًا معه سبع مئة فارس من هَمْدان وهو القائل[3]: [من الطويل]

يقولون لي قد حزت مملكة الدَّرْبِ ... فأدمن على اللذات واللهو والشُّرْبِ

ولا تهجر الصَّهباء فهي لذيذة ... مسهلة ما كان من خُلق صَعْب

فقلت: اذهبوا عني فلست ببارح ... على مَذْهبي حسبي به مَذْهَبًا حسبي

صبا القوم فانصبوا إلى أم وفرهم[1] ... ولست بمنصب إليها ولا صَبّ

(1) من أبيات تنسب للدراج الضَّبَّاني انظر (التذكرة السعدية): لمحمد بن عبد الرحمان العبيدي ط دار الكتب العلمية.

(1) الأصل: السجن.

(2) سلطان صنعاء وإليه تنسب الرَّوضة من ضواحي صنعاء انظر أخباره بتوسع في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 154 – 323 و(المفيد) لعمارة: 255 وتوسع في نسبه الملك الأشرف في (طرفة الأصحاب): 117 و(طراز أعلام الزمن): 651 ومطلع البدور: 42.

(3) (المفيد): 259 (خريدة القصر) 3: 276.

(1) (قرة العيون): وفرهم بالدال، وأم دفر وأم وفر من كنى الدنيا.انظر (المرصع لابن الأثير): 168 و338.

وكان له من المفاخر ما لم يكن لأحد قبله مع الفصاحة والرَّجاحة، ولم يجتمع عتاق الخيل وجيادها مثلما اجتمعت له معه، وفي ذلك يقول ابن أخيه نصر بن محمد بن أحمد بن عمران من قصيدة: [من الكامل]

إلي (الصريح)[1] و(ناصحين)[2] وسابق — و (البحر) و(الخَطَّار) و(الهطال)

والجون والذئبين كل مُسَوَّمٍ — أخذ الجنوب لواحق الآطال

نجل العيون بناتجتها[3] سُبّق — تُعْزَى إلى الغَنَّا والذبَّال

والرازقيُّ وسابقين وفائق — والحضرمي ولاحق ونبال

كل ابن سابقة يناط لجامها — في شامخ أو شاهق مُخْتال

تعزى بألطاف الكرامة دائمًا — ويظَلُّ في الأطلال غير مذال

وكان حَدُّ ملكه من نقيل الغابرة[4] إلى اليمن[5] وإلى القبلة[6] بركة الجوف[7] والمعروفة بالبحر، وكانت صعدة بيد الأشراف الهدويين.

وفي أيامه ظهر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، فاستولى على صعدة ونجران والجوف والظاهر، ثم بعد مدة [طويلة][8] اجتمع إليه العرب من كل مكان وهو ساكن بالجوف، فخرج[9] بهم لحرب السلطان حاتم بن أحمد، ولم يزل السلطان حاتم بن أحمد في نمو دولة ونفاذ صولة حتى قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بحربه، وذلك في سنة

(1) اسم خيل للسلطان حاتم، وهو الذي صُنِّفَ على اسمه كتاب (الصريح) انظر (الأقوال الكافية) للملك المجاهد الرسولي: 355. والياقوت المعظم: 139 (تحقيقنا).

(2) جميع ما ورد هنا هي أسماء خيول للسلطان حاتم.

(3) كذا في (و) وفي (ع) ما حلها بشقيق.

(4) نقيل الغابرة: في منطقة الحدا من أعمال محافظة ذمار (المقحفي: 116).

(5) يعني على جهة الجنوب.

(6) يعني جهة الشمال.

(7) في (قرة العيون): بركة جوب بلد من ظاهر البون الأسفل في الشمال الغربي من عمران (قرة العيون: 206).

(8) زيادة من (ع).

(9) انظر خروج الإمام أحمد بن سليمان علي السلطان حاتم في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان). للثقفي: 152.

خمس وأربعين وخمس مئة: فجاءته القبائل كافة، وطلع بأهله واستقر بحصن بَوْس[1] أيامًا وأطاعه بنو شهاب[2] وكافة أهل حضور، ثم نَهَضَ إلى بلاد جَنْبٍ، وجمع قبائل مَذْحج وخولان وغيرهم حتى اجتمع معه جملة من الخيل والرِّجل، وسار نحو السلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء.

ووصل منه رسول إلى صنعاء خفيةً يشتري له ورقًا وصابونًا وحوائج، فعلم به السلطان حاتم فأمر له فاستخبره عن الإمام وأعطاه كتابًا وقال: احمل لنا هذه الورقة وأوصلها إليه، وكان فيها مكتوب[3]: [من الطويل]

أبا الورق الطلحي[1] تأخذ أرضنا ... ولم تشتجر تحت العجاج رماح

وتملك صنعا، وهي كرسيُّ ملكنا ... ونحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وصلت إلى الإمام، قال: نعم والله لنأخذنها إن شاء الله تعالى، ثم نهض الإمام [المتوكل على الله][2] بعساكره من ذمار إلى موضع في بلاد سنحان يقال له: الشرزة[3]، وكان عسكره ثمانين ألفًا فيها ألف وخمس مئة فارس، والباقي رجّالة، وفي ذلك يقول ولده الداعي[4]: [من الطويل]

ثمانين ألفًا كان عسكر أحمد ... إليها فأمست ملكه قبض خِنْصِرِ

وكان المصاف[5] في هذا الموضع المعروف بالشرزة فانكسرت هَمْدان وقتل نحو من خمس مئة أكثرهم من سَنْحان، فانهزم السلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء، وتبعه عسكر الإمام قاصدين صنعاء، فدخل السلطان حاتم بن أحمد ومن معه من أصحاب الإمام، وأبلت

---

(1) في سيرة الإمام أحمد بن سليمان بيت بوس قرية من عزله حزّة صنعاء.

(2) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 153 قال: ومعهم السلطان أسعد بن عطوة.

(3) انظرهما في (طراز أعلام الزمن): 653 (نقلا عن كتابنا هذا) و(غاية الأماني): 302.

(1) الورق الطلحي: نسبة إلى طلحة بن طاهر أحد أمراء الدولة الطاهرية بخراسان (207 – 213) (الفهرست لابن النديم): 23.

(2) سقط من (ع).

(3) الشرزة: بفتح الشين قاع في بلاد سنحان جنوب شرق صنعاء (مجموع الحجري3: 449).

(4) في (ع) و(قرة العيون): 208 (السباعي).

(5) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 220.

هَمْدان بلاءً حسنًا، ولم تدع ممكنًا من الصَّبر، ولما رأى الشيخ زيد[1] بن عمرو اليعبري[2] ما نزل بهَمْدان خاطب الإمام فيهم فأذم عليهم الإمام، وخرج السّلطان حاتم بن أحمد إلى الإمام وهو في مسجد الجامع، فلما استقبل الإمام قال له الإمام: قد عفونا عنك يا سلطان العرب، فأنصفه وأكرمه.

ولما خرج السلطان حاتم بن أحمد من الدرب ورأى اجتماع الناس على حربه مع الإمام، أنشد[3]: [من الطويل]

غلبنا بني حواء بأسًا ونجدةً ... ولكننا لم نستطع غلب الدهر

فلا لوم فيما لا يطاق وإنما ... يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

ثم خَرَج السلطان حاتم بن أحمد إلى المنظر[4] ووقف فيه أيامًا وتَفَرَّقت هَمْدان، ووقع بين السلطان حاتم بن أحمد وبين الإمام أكاليم حملها النَّاس فيما بينهم، فالتقيا إلى عرم السد وجرى بينهما كلام فافترقا على غير صلح.

ونهض[5] السلطان حاتم بن أحمد إلى حصن الظفر ووقف فيه إلى أن تَفَرَّقت جموع الأشراف، ثم جمع هَمْدان وقصد بهم صنعاء، فلما علم الإمام خرج وحَطَّ في موضع تحت براش[6]، يقال له: شعب الجن، فتحَصَّنَ فيه وأمر مستنجدًا بِجَنْبٍ وبالعرب، فسَبَقَهُ السلطان حاتم بن أحمد ووقع في المحطة التي للإمام فقتل من أصحاب الإمام طائفة، وفي ذلك [اليوم] تبع رجل من هَمْدان رجلين من أصحاب الإمام قد ركبا ناقةً وهربا فطعنهما طعنةً واحدة بالرمح فنظمهما برمح، فسمي النَّظام من ذلك اليوم.

وعاد السّلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء، واستمر له الأمر في البلاد، ثم عاد الإمام ثانية[7]

---

(1) في (و) التعزي وفي (طراز أعلام الزمن): 653 (اليعبري) من كبار رؤساء همدان انظر أخباره وأشعاره في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان) 181 و83 و84و185و189.

(2) في (و) اليعثرى.

(3) انظرهما في (قرة العيون): 209 و(طراز أعلام الزمن): 253. وفاكهة الزمن: 328.

(4) هو ما يعرف الآن بروضة حاتم وهي القرية التي أنشأها السلطان حاتم المذكور.

(5) فاكهة الزمن: 329 (قرة العيون): 209.

(6) في (و) فراس.

(7) في (و) نائبة.

إلى بلاد جَنْب، فأراد أن يجرّهم إلى صنعاء، وكان بين جَنْب قتول كثيرة، فأراد الإمام أن يُصْلح بينهم ويجمع كلمتهم.

فلما علم السلطان حاتم بن أحمد بذلك ركب [هو وركب من عسكره في عشرة أفراس من هَمْدان لا ثقل معهم ولا رَجَّاله فوصلوا قريبا من ذمار][1] وقد اجتمعت قبائل جنب بأسرها لملقى الإمام أحمد بن سليمان ومن وافقه إلى العود إلى صنعاء، فلما أقبل السلطان حاتم بن أحمد والذين معه أنكرتهم جَنْب، وقالوا: إنا نرى أفراسًا وهي لا شك هَمْدانية، فعرفوا السلطان حاتم بن أحمد [وجنبوا به][2]، فلما وصلهم رَحَّبوا به ودخل منفردًا وَسَطِ الحلقة وهو على حصانه معتقلًا رمحه، فقال: حياكم الله يا وجوه العرب، لا يعتب علي من خلفي، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولا وجهين في رأسه. ثم قال: وَصَلْناكم يا وجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عِزٌّ إلى حين.

قال المصنف: هذا كلام مختصر بليغ، ومعناه: إن لكم فيه شرفًا بوصولنا إليكم، ولنا فيه عز بكم بسلامة بلادنا من العدو. فعرفت جَنْب مقصوده، فَرَحَّبوا به، فقال: لما عَلِمْت أنكم في طلب إصلاح وأخذ ذمم بينكم وهَدْم قتول من عشائركم، أردت أن ألم شملكم وأقطع عنكم ما تحاذرون، وأَتَحَمَّل من مالي ديات قتلاكم. فحمدته جنْب على ذلك ومن حضرهم من قبائل العرب، ثم افترق ذلك الجمع وراح معهم إلى ذمار.

وكتب إلى أهله بصنعاء[3]: [من الكامل]

مملوك بعضهم ووالد بعضهم ... وشقيق بعضهم وهذا جامع
ينبئهم[1] حملي ديات عتيدة ... أن المكارم في الرقاب ودائع
فليسرعوا من فورهم تصديرها ... متعمِّدين نفاذ ما أنا صانع

وَنَفَّذَ بالكتاب رسولًا على الفور، فما لبث أن عاد الرسول بالمال، فكانت ديات جَمَّة فَدَفعها لِجَنْب وفَرَّق جموع الأشراف، ثم عاد إلى صنعاء.

---

(1) سقط من (و).

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(3) انظرها في (طراز أعلام الزمن): 654. وفاكهة الزمن: 330.

(1) الطراز (ينبهم).

وكان السلطان حاتم بن أحمد شاعرًا فصيحًا بليغًا، حسن الشعر جَيّد السبك، وقد أوردت من شعره ما يستدل به على مناقبه[1]، فمن ذلك قوله[2]: [من الطويل]

أرقت وطال الليل والعقل نائمه … وقد أفِلَتْ أشراطه ونعائمه
وأورى زناد الهمِّ في القلب جذوةً … إذا جاش من تَيَّاره متلاطمه
يُطْفِّئها العزم الذي عُرِفت به … إذا لم يُطَفِّئها من الدَّمْع ساجمه
وما ذاك من شوق ولا نأي معهد … ولا فَقْد رَسْم دارسات معالمه
ولكن إذا خان الصَّديق صديقه … وصارم بالأوهام من لا يصارمه
ونَكَّب عنا من نريد وصاله[3] … وسالمنا من لا نريد نسالمه
تَعَذَّر غَمْض العين وانتزح الكرى … وباح من الأسرار ما أنا كاتمه
غدا مائلًا عنا خليل نَوَدَّهُ … على غير جرم، بَلْ علينا جرائمه
ولا أم قومًا[4] غيرنا مِتَكَتِّمًا … وجاهرنا باللوم فيمن نلائمه
ونَجَّم فينا بل تنجَّم عازمًا … فسلَّمنا الباري وضاعت عزائمه
فسامحته كي يرعويَّ فما ارعوى … سوى مقالته لا أستطيع أخاصمه
ولو أنني حاكمته لحججته … ولكنني من حشمة لا أحاكمه
فيا [صحبتى][5] لِيْنُوا له وارفقوا به … لِيَنْسَلَّ عنه حقده وسخائمه
أَقِلُّوا عليه العَتْب يَصْفُ وداده … وما كان في الحوباء فالله عالمه
ولا تيأسوا عنه ولو أن عوده … عسى فهو صدق العود والوِدِّ سالمه
سعى جاهدًا في خدمتي غير هائب … ملامًا ولم تَرْدَعْهُ عنها لوائمه
فلما بلغنا غايةً ليس بعدها … مراماٌ رأيت الوِدَّ مالت دعائمه

---

(1) في (ع) باقيه.

(2) انظرها في (طراز أعلام الزمن): 655. وفاكهة الزمن: 331.

(3) الطراز: وداده.

(4) الطراز: ولا أم.

(5) سقط من (و).

وعاد إلى ضِدِّي الذي كان فاعلًا وعاوده وسواسه وهماهمه
ودمت على وِدِّي له حين لم يدم وخير وداد المرء للمرء دائمه
وضاعت على قرب العهود عهوده وما نفعت أيمانه ولوازمه
أعاتبه حينًا وحينًا أصونه وطورًا أناديه وطورًا أكاتمه
وأرجو رجوعًا منه وهو مصمِّم على غيِّه حتى كأنِّيَ ظالمه
وما لامني إلا ملوم مفنِّد ولا لامه إلا على النَّكث لائمه
وما أنا من إخلاصه الودَّ آيساً وإن لجَّ في إغرائه من ينادمه
دليل صفاء الودِّ في المرء بِشْرِه وشَرّ خليل عابس الوَجْه واجمه
ولِلودِّ ما بين الأخلاء شاهد أحاديثهم عند المغيب تراجمه
أبا منذر إن كان عندي عيبة خرجت فأعلمني بما أنت عالمه
ولا تذر قولًا كالرِّياح مبدَّدًا وكَفّ جماح الشعر إذ أنا لازمه
وإن كنت ذا عجب بما قد نظمته فلست بذي عجب بما أنا ناظمه
دع المَنُّ إمَّا كنت أسديت صالحًا فمَنُّ الفتى ما كان أسداه لائمه
وتمَّ على ما قد تَقَدَّمَ بيننا فأفضل فعل العالمين خواتمه
ورم صالحًا في كل سعي سعيته يبوِّءك[1] الرحمن ما أنت رائمه
وأقدر سام مجفر[2] الجَنْبِ طامح بعينيه نهدًا، واضح الوجه ساهمه
صبيح مُحَيَّاه طويل عنانه ليان مثانيه حِدَاد مناجمه
قصار سواسية طوال ضلوعه عراض حواميه[3] لطاف شكائمه
شديد صفاق البطن أغبط شوذب صلاب على طول المغار قوائمه
سليم الشظى عبل الشوى شنج النّسا شديد القصيرى سالمات مقادمه
وَفِيٌّ بما ساررته وعهدته إليه إذا أودت بخل نمائمه

(1) في (و) ليونبك.
(2) هنا يصف الشاعر خيله.
(3) الطراز (سواسيه).

غنيت به عن صاحب متلوِّن كَحَرْبَاء صيف لَوَّحته سمائمه
فدونكها كالبدر ليلة تَمِّه وكالعَنْبر الشِّحري فاحت لطائمه
يهذِّبها فكرا تَحَصَّر بعدما بدا فهو صمصام الكلام وصارمه
خبير بأبكار المعاني وعونهار وبالشِّعر مذ نيطت عليه تمائمه

وقال في طَرْدِ الذئب، كتبها إلى إخوته: [من الطويل]

كتمت عن الإخوان ما بي فلم أجد لما بِيَ نفعًا غير أن اتكلَّما
ظللت على ظهر المعلَّى[1] كأنني على أجدل[2] ينقَضُّ من أفق السما
أطارد سرحانًا[3] يرى الضّنك مسلكًا قويا ويستقوي الجبال مصمما
أيممه سَهْل البقاع فينثني وَيَكْره غير الوَعْر أن يَتَيَمَّمَا
وأعطفه ذات الشِّمال لَحَتْفه فَيَنْصاع في ذات اليمين ليَسْلَمَا
فما زال هذا دأبنا طُوْل يومنا إلى أن رقى نهيا من الهَضْب واحتمى
[فرحت كمثل الصَّقر أخطأ صيده أكتِّم غيظا منه لن يتكتما][4]
وراح المعلَّى محفزًا متمطِّرًا به مَرَح يهتَزّ في السَّير صلدما
فلم تر عيني كالمعلَّى مطهَّمًا يطارد سرحانًا ويحمل ضَيْغما
فمن مُبْلغ عَنِّي عليًّا وصِنْوه بأني أليم فاثأرا وتلزما
فيسراي من جَذْب العنان تخونني ويمناي من جَرْي الأصمِّ المقوما
وإلا ثنيت العزم نحو محمد وعمرو وخيروش أولى الرمي والحمى
وناديت من قرب شريفا[5] وصعترا[5] وزِدْتهم منّا عليًّا[5] وشيظما[5]
فإن أبلغوني ما أريد وشمَّروا وإلّا ركبت الرازقي[5] المطَهَّما

(1) اسم خيل للمذكور.
(2) الأجدل: الصقر.
(3) السرحان: من أسماء الذئب.
(4) سقط من (ع).
(5) أسماء خيول لصاحب القصيدة.

فحينئذ لا يعصم الذئب عاصم ولو أنه يرقى إلى الجو سُلَّما

قال المصنف رحمه الله تعالى: الرازقي مهر أحمر اللون مصمت أقرح، جُلَب من نجد مع خيل كثيرة، فاشتريت تلك الخيل كلها، ولم يشتر الرَّازقي، وكان أعجف، وكان أهل تلك الخيل قد ضربوا بيوتًا من الشَّعر في قرية المنظر[1]، فأشرف السلطان حاتم بن أحمد يومًا من الأيام على البيوت الشعر [فرأى المهر المذكور وقد أفردته الكلاب والجأته إلى بيوت الشعر][2] المضروبة، فوثَب المهر بيتا من البيوت الشَّعر وثبةً واحدة، فقال السلطان حاتم بن أحمد: لمن هذا المهر! فاشتراه من يومه ذلك وأكرمه وتوَلَّى تأديبه بنفسه وسمَّاه الرازقي، فكان السلطان يصلِّي الظهر في المنظر ثم يركبه ويركضه فيصلِّي العصر في شِبَام حِمْير تحت حصن كوكبان، قد فعل ذلك غير مرة، وما كان يطيب ركضه ويلين إلا في قاع العبرين تحت المنقب.وكان إذا ركبه قريبًا من المنظر ركضه جرى إلى عرة ذهبان، وأداره عليها خمسة أشواط، وهي أكمة كبيرة مائلة في الأرض متسعة، ثم يرجع يلعبه، وقد لان وهو القائل فيه: [من الخفيف]

ليس للرازقي فيما علمنا الآن ذنب نعدّه في الذُّنوب
غير صبر وحدة ووقار ونشاط مع الوقار وطِيْب
[أفتضحى في الهند تحث البغايا ما لذات العيوب غير العيوب][1]

ومن شعر السلطان حاتم بن أحمد قوله: [من الطويل]

نراهم يريعون المحال ضحية[1] وكلهم بالحق للحق عارف
فهذا لمن لم تدن منه مؤالف وهذا لمن لم تنأ عنه مخالف

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولي قائد نحو المنايا وسائق يسوق إليها أو إليَّ يسوقها

---

(1) هي المعروفة الآن بالروضة من ضواحي صنعاء.

(2) سقط من (و).

(1) سقط من (و).

(1) في (ع) المجال سجية.

وهــنَّ الـمـنـايـا أي واد سلكنه   طـريـقـي عـلـيـهـا أو عـلـيَّ طريقها

وتوفي السلطان حاتم بن أحمد يوم الجمعة العاشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمس مئة، وكانت وفاته بِدَرْب صنعاء.

ولما رأى الشيخ الأديب عبد الله بن علي، جنازة السُّلطان حاتم بين أعناق الرجال من هَمْدان وقد حَمَلوه من دَرْب صنعاء إلى المنظر، قال[1]: [من البسيط]

حـقـا أحـاتـم مـا تَـنْـفَـكُّ منصلتًا   حَـيًّـا وميتًا أمـام الجحفل اللجب

مـا إن رأيـنـا وهــذي عــادة عرفت   طودًا يسير على الأعناق في خَبَبِ[1]

ولما توفي السُّلطان حاتم بن أحمد في التاريخ المذكور، تولى أمر صنعاء بعده ولده[2] السلطان الوجيه[3] علي [ابن السلطان حاتم][4] بن أحمد بن عمران بن الفضل يوم وفاة أبيه فبايعه إخوته أولًا، ثم بايعت هَمْدان أرسالًا عقيب ذلك، ثم خَرَج بعد ذلك إلى حصنه في ظهر[5] المسمى فده[6]، فأقام فيه أيامًا، ثم إن هَمْدان خالفت عليه، وحَلَفوا لرجل من آل القبيب يقال له: محمد بن حماس وكانت له دار في ناحية القطيع[7] بصنعاء، فاجتمع المخالفون من هَمْدان إلى دار محمد بن حماس[8]، وبلغ العلم إلى محمد بن علي فجمع القبائل ودخل صنعاء موَكِّبًا في مئة فارس، ومن الرِّجل خلق كثير، وقد اجتمع من هَمْدان نحوًا من سبع مئة فارس عند باب الشعوب، فلما وصل السلطان علي بن حاتم تَفَرَّقوا وقصدوا مواضعهم وقاتله طائفة منهم قتالًا شديدًا، فدخل السلطان علي بن حاتم الدَّرب، وخرج

(1) البيتان في (طراز أعلام الزمن): 657. وفاكهة الزمن: 335.

(1) الطراز: جنب.

(2) في (ع) الشاب.

(3) في (ع) الوحيد.

(4) سقط من (ع).

(5) ظهرأ وضهر: واد بالجهة الغربية الشمالية من صنعاء (المقحفي: 398).

(6) في (و) ود، وفده: حصن منتصب في الطرف في الجنوبي من وادي ظهر المذكور (المقحفي: 492).

(7) القطيع: حارة بصنعاء في الجانب الشرقي (المقحفي: 519).

(8) في (قرة العيون): 212 (محمد بن وهاس) وأثبتاه من الأصل وفاكهة الزمن: 336 و(غاية الأماني): 314.

أخوه عَمْران بن حاتم وكان صَبِيًّا، فقاتل في شوارع صنعاء، فأصابه سهم - وقيل: حَجَر - فحمل إلى الدرب فمات من ساعته، فاضطرب هَمْدان من موته اضطرابًا عظيمًا خوفًا من علي بن حاتم، فأمر السلطان علي بن حاتم بالصائح فصاح: إن السلطان علي بن حاتم قد وهب لهَمْدان دم أخيه عمران، وهذا سيفه ذمةً ورفاقةً لمن أحب أن يحضر دفنه فليخرج، فاجتمعت هَمْدان وخرجوا بصاحبهم عَمْران بن حاتم، وقبروه في مقابر همدان، فاستمرت الأمور على أحسن نظام، وكان حصن ذَمَرْمَرْ لقوم من هَمْدان يقال لهم: [مواجد][1] فأخذه السلطان علي بن حاتم منه وعمره وحصَّنه، وكذلك كوكبان والعروس كانا لبني الزواحي فأخذهما وعمرهما وحصنهما وكان براش والظفر والفدة لوالده حاتم بن أحمد، ثم أخذ بكر[2] وعمره وحصنه، وهذه حصون البلاد في ذلك الوقت. ثم ملك الظاهرين[3] الأعلى والأسفل والجوف وصعدة والمغارب كلها.

وكان بنو شهاب تارةً يطيعونه وتارةً يعصونه، وكان مسالمًا للسلطان عمران[4] بن الذيب السلمي[5] الكِنْدي في حصونه وجهاته كلها، وكانت ولايته في حضور والمغارب كلها، وحجرة حراز، وكان جوادًا [كريما] عادلًا كريمًا، كان يُقْطِعُ الرجل من هَمْدان البلد والبلدين.

وكان له في كل مخلاف وال عليه حِفْظ ما فيه، فلا يشار فيه بظلم ولا تعسّف، ولا يترك لأحد من هَمْدان سبيلًا إلى معرة لأحد من الرعية، فإذا حَضَر الزرع في الأقطاع حضر المقطع وحضر نائب السلطان علي بن حاتم، ثم يقاسمون الرعية على الخمس من أموالهم من غير زيلادة ولا نقصان[6]، فيأخذ نائب السلطان نِصْف المبلغ ويأخذ المُقْطع النصف الثاني، فإذا

(1) لم ترد في هذه اللفظة في (قرة العيون) ولا في (غاية الأماني) ومواجد: من قبائل نجران انظر (مجموع الحجري: 723).

(2) حصن بكْر: يحاذي جبل كوكبان ويطل على مركز الطويلة (المقحفي: 83).

(3) انظر (قرة العيون): 213 وفي (غاية الأماني): 314 وملك بعض بلاد الظاهر والمغارب.

(4) من بني شهاب المذكورين الذين ينتسبون إلى كندة وانظر نسب المذكور في (طرفة الأصحاب) للملك الأشرف: 127 وورد ذكره في سيرة الإمام أحمد بن سليمان: 159 وذكر أنه قتل عند دخول الإمام أحمد بن سليمان صنعاء.

(5) نسبه إلى جده سلمة بن الغمر بن كثير بن شهاب الأصغر بن عبد الملك الكندي (طرفة الأصحاب: 125).

(6) زاد في (غاية الأماني): 314 وذلك على طريقة العبيدين يعني الشيعة الإسماعيلية.

استوفيا ذلك لم يبق[1] لأحدهما تعرّض بعد ذلك إلى الرعية بحال من الأحوال.

وكان في الظَّاهرين الأعلى والأسفل وال للسلطان علي بن حاتم يقال له: شيظم، فالظَّاهران[2] الأعلى والأسفل ظاهرا شيظم، ووصله الأمير الأجل المطهر[3] بن أحمد بن سليمان ومعه جماعة من الأشراف مستنجدين به ومستنصرين على أهل صَعْدة، فأجابهم السلطان علي بن حاتم إلى ما طلبوا، وخرج معهم من بني عمِّه وسائر همْدان عسكرًا معقودًا، وذلك في سنة سبع وخمسين وخمس مئة[4]. وكان قد أَشْعَرَ هَمْدان وغيرها: أن من تخلف منهم عن إجابته أخرب موضعه، فكان ممن تخلف السلاطين القبيبيون[5]، فنقَضَ ما بينه وبينهم من الصُّلْح وأخرجهم من صنعاء فحلُّوا عضدان[6] عند قوم من الرعية[7]، وسارت[8] العساكر صعدة فنصروهم وعادوا سالمين، ثم إن آل القبيب بعد أن أخرجهم السلطان علي بن حاتم من صنعاء تَوَسَّلُوا بكبار همدان وغيرهم، ووصلوا إلى صنعاء وطلبوا من السلطان علي بن حاتم العفو عنهم فعفا عنهم وأمَّنهم.

فلما كان سنة إحدى وستين وخمس[9] **مئة:** خالف عليه السلطان حاتم بن إبراهيم الحامدي، وقام في شبام حراز وتابعه قوم كثيرون من هَمْدان، ونقلوه من حراز إلى ريعان[10] ولؤلؤة[11]

---

(1) في (ع): لم يكن.

(2) زاد في (قرة العيون): 213فهما إلى الآن يسميان ظهار شيظم.

(3) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 257.

(4) لم يرد تاريخ هذه السنة في (غاية الأماني): 315 وتركه فارغا ويحقق تاريخ هذه السنة لأن صاحب (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 259 ذكر وفاته في يوم الخميس في شهر جمادى الاولى سنة ست وخمسين وخمسمائة.

(5) في (ع) العبيديون.

(6) موضع ذكره الهَمْداني، وهو في الجنوب من قرية وحصن عَطَّان بأطراف صنعاء الغربية (المقحفي: 449). قلت: عطان هو عضدان على قاعدة أهل صنعاء في الخلط بين الطاء والدال.

(7) في (قرة العيون): 213 محمد بن وهاس.

(8) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 315 و(غاية الأماني): 315.

(9) فاكهة الزمن: 339 (غاية الأماني): 317.

(10) قرية أثرية من همدان في الشمال الغربي من صنعاء (المقحفي: 281).

(11) قرية وواد من ناحية هَمْدان على مقربة من ريعان (المقحفي: 551).

ليكون قريبًا من حَرْب السلطان علي بن حاتم، فأقامت الحرب بينهم [مدةً][1]، ثم هزمهم السُّلطان علي بن حاتم وطَرَدَهم، فهربوا إلى كوكبان، وكان كوكبان في ذلك اليوم لبني الزَّواحي، فخرج السُّلطان علي بن حاتم في إثرهم، وأخرب مدينة شبام حِمْير وما حولها من البلاد. ثم لم يزل الحرب عليهم حتى أخرجهم من كوكبان وتَسَلَّم الحصن يومئذ من أبي النور[2] بن علي الزَّواحي، واستولى عليه، وذلك في سنة أربع وستين وخمس مئة، فكانت مدة الحصار على كوكبان من السلطان علي بن حاتم ثلاث سنين، وكان السلاطين بنو سلمة[3] بن الحسن بن محمد بن حاجب الكندي قد استولوا على حصن بيت بَوْس بعد انقضاء الدولة الصليحية، وهو من مآثرهم ومعاقلهم التي ملكتها همدان بعد بني الصُّليحي، فلم تزل الحرب بين بني سلمة وبين السلطان علي بن حاتم، وكان بنو سلمة يجرّون الأشراف لحربه إلى أن تسلمه منهم في سنة خمس وستين وخمس مئة[4].

وفي آخر سنة خمس وستين وخمس مئة: حَصَلَ[5] الحرب بين الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان وبين الأشراف القاسميين في الظَّاهر من بلد وادعة، فَخَرَج الإمام يومًا من الأيام في لقاء جماعة من أهل البلاد، وكان في قلة من العسكر، فَخَرَج عليه الأشراف القاسميون فلزموه وأسروه[6] وأخذوا ما كان معه من سلاح ومركوب، وتقدَّمُوا به إلى مَصْنعة أثافت[7]، فوصل أولاده إلى السلطان علي بن حاتم مستنجدين به وطالبين فكاكه، فكتب إلى القاسميين في إطلاقه، فأطلقوه، فوصل الإمام إلى حوث، قرية بالقرب من عَمْران، فأقام بها إلى آخر شهر صفر من سنة ست وستين وخمس مئة، ثم تقدَّم إلى السلطان علي بن حاتم، وكان يومئذ في كَوْكبان فشكر له على أولاه من الجميل، وطلب منه النصرة على الأشراف

(1) سقط من (ع).

(2) (قرة العيون): أبو النورين علي الزواحي انظر (قرة العيون): 214.

(3) جدُّ الكنديين من بني شهاب انظر (طرفة الأصحاب): 127.

(4) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 263 و(قرة العيون): 314.

(5) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 207.

(6) وذلك بعد أن أصابه العمى انظر مكاتبة السلطان علي بن حاتم اليامي إلى فليته بن قاسم القاسمي في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 208.

(7) أثافت: بلدة مندرسة في بلاد حاشد على مقربة من دمَّاج وبالشَّرق من خمر (المقحفي: 13).

القاسميين، فخرج السلطان علي بن حاتم معه إلى الظَّاهر في جَيْش عظيم، وكان خروجه معه يوم السَّبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمس مئة.

فلما وصلهم السلطان علي بن حاتم إلى مَصْنعة أثافت حاربهم عليها، فامتنعوا عنه بالمصنعة، فخرب قرى بني قيس وأعنابهم ودورهم وسائر حصونهم.

ووصل الشيخ حسن[1] بن يَعْفُر وسائر وادعة فصَفَحَ عنهم وأَمَّنهم، وعاد الإمام أحمد بن سليمان إلى شبام، وعاد السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء[2]، وتوفي الإمام في حَيْدان من بلد خولان عقيب خروجهم من مصنعة أثافت، وذلك في السَّنة المذكورة سنة ست وستين وخمس مئة، وقد تَقَدَّم تاريخ وفاته فيما تقدم من الكتاب[3].

وفي سنة سبع وستين: وصل[4] المشايخ بنو لكم بن محمد إلى السُّلطان علي بن حاتم وسَلَّموا له مصنعة أثافت، وذلك في شهر الحجة من السنة المذكورة.

ثم أقام بعد ذلك نحوًا من ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، وخالف عليه الشيخ الحسن بن يعفر[5] ومن معه من كافة وادعة، فاجتمعوا في موضع يسمى المدحك[6]، فجَهَّز لهم السّلطان علي بن حاتم أخاه بشر[7] بن حاتم في جَيْش جَرَّار وقَصَدَهم إلى الموضع المذكور، وفيه جموعهم، فأخذه عليهم قسرًا بالسيف، وقتل منهم جماعةً وأسر آخرين وأخرب الموضع المذكور، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ثماني[8] وستين وخمس مئة، ودان أهل الظاهر بعد ذلك عن آخرهم.

---

(1) (قرة العيون): 316 (الحسين بن يعفر).

(2) انظر تفاصيل هذه الأحداث بتوسع في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان) بتحقيق عبد الغني محمود عبد العاطي ط مصر عين للدراسات سنة 202م: 318 - 315.

(3) في القسم الخاص بالتراجم من الكتاب يعنى به (طراز أعلام الزمن) انظر: 311 - 315.

(4) فاكهة الزمن: 342 وفيه «المكم» (قرة العيون): 216.

(5) (قرة العيون): 216 وفيه الحسين بن يعفر، وانظر (غاية الأماني): 319.

(6) المدحك من قرى وادعة وقد خربت من مدة (المقحفي: 1461).

(7) هو المذكور في (طرفة الأصحاب): 118.

(8) فاكهة الزمن: 342 (قرة العيون): 216 و(غاية الأماني) 319.

ثم قامت دولة الغز، ووصل السلطان المعظم توران شاه في سنة تسع وستين وخمس مئة، فاستولى على اليمن بأسره، وسأذكر ما كان منه ومن السلطان علي بن حاتم في الباب الثاني بعد هذا، وهو الباب الخامس، إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

الفصل العاشر

في أخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين على عدن

قال علي بن الحسن الخزرجي وفقه الله للعمل بما يرضيه: كان السَّبب[1] في تملك آل زريع عدن وما ناهجها من البلاد أنَّ الداعي علي بن محمد الصّليحي لما استولى على اليمن وافتتح مدينة عدن، فكان فيها يومئذ بنو مَعْن قد تَغَلَّبُوا عليها وعلى لحج وأَبْيَنَ والشِّحر وحضرموت وأبقاها تحت أيديهم وجعلهم نوَّاباً بها من قبله.

فلما تزَوّج المكرم بن علي بن محمد الصُّليحي بالحُرَّة السيدة جعل الصليحي صداقها عدن وما ناهجها، وكان بنو معن يَرْفعون خراجها إلى السيدة في أيَّام الصّليحي، فلما قتل الداعي علي بن محمد الصُّليحي في التاريخ المذكور أولًا تَغَلَّب بنو معن على ما تحت أيديهم من البلاد، فَقصَدَهم المكرم إلى عدن وأخرجهم منها ووَلَّاها العباس ومسعودًا ابني المكرم الهَمْداني، وكانت لهما [شوكه][2] وسابقة محمودة وبلاء حسن في قيام الدولة المستنصرية مع الداَّعي علي بن محمد الصليحي، ثم مع ولده المكرم يوم نزوله إلى زبيد وأخذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر الأحول سعيد بن نجاح، فجعل للعَبَّاس حصن التَّعكر بعدن وباب البر وما يدخل منه، وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وإليه أمر المدينة، واستحلفهما للحرَّة السيدة، فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إلى السيدة في كل سنة مئة ألف دينار، وقد يزيد وقد يَنْقص، إلى أن توفي العباس بن المكرم فخلف ابنه زريع بن العباس على التعكر وباب البر وبقي مسعود على ما تحت يده، وكل واحد منهما يحمل ما عليه.

وملك زريع بن العباس الدملؤة يوم الثلاثاء لستٍّ خلت من رمضان سنة ثمانين وأربع مئة، فلما بعثت السيدة المفَضَّل بن أبي البركات إلى زبيد كتبت إلى زريع بن العباس وإلى

---

(1) (المفيد): 70 (تحقيقنا) و(فاكهة الزمن): 347 و(عيون الأخبار) 7: 274 – 278.

(2) سقط من (و).

عمه مسعود بن المكرم أن يلقياه إلى زَبيد فلقياه وقاتلا معه فقتلا معًا على باب زبيد، فانتقل أمر عدن إلى ولديهما: أبي السِّعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، فَتَغلَّبا على الحُرَّة أيضًا، فبعثت إليهما [المفضل بن أبي البركات في جيش عظيم فقاتلهما ثم اتفق الأمر على النصف من ذلك فكانا يحملان إليها في كل سنة خمسين ألفا فلما مات المفضل بن أبي البركات تغلبو على الحرة][1] فبعثت إليهم ابن عم المفضل أسعد بن أبي الفتوح فقاتلهما ثم اتفقا على الربع من الإرتفاع، فكانوا يحملون إليها في كل سنة خمسةً وعشرين ألف دينار، ثم تغلبوا على الربع المذكور أولًا.

ولم يزل كل واحد منهما على جهته مواليًا لابن عمه حتى توفي أبو السعود وولي جهته ولده سبأ بن أبي السعود، ثم توفي أبو الغارات وولي جهته ولده محمد بن أبي الغارات، ثم توفي محمد بن أبي الغارات، فولي جهته أخوه علي بن أبي الغارات وهو صاحب حصن الخضراء والمستولي على البحر والمدينة.

وكان للداعي سبأ بن أحمد حصن التعكر وباب البَرّ وما يدخل منه، وكان له من البر الدملؤة وسامع ومطران ويُمَيْن وذُبْحان وبعض المعافر وبعض الجَنَد، وكانت أعماله واسعةً كثيرةً.

وكان له من الأولاد: علي الأغر ومحمد الداعي والمفضل وزياد وروح، وكان السبب في استيلاء الداعي سبأ بن أبي السعود [على عدن][2] وزوال آل علي بن أبي الغارات عنها أن نواب علي بن أبي الغارات انبسطت أيديهم على نواب الداعي سبأ وأخذوا[3] في قسمة الارتفاع وامتدت أيديهم إلى الناس وعاثوا وأفسدوا، ولم ينههم مولاهم عن ذلك، والظُّلم شؤم، ولم يزالوا يتكَلَّمُون بما يوجب الغيظ ويثير الحفيظة، والداعي [سبأ][4] في أثناء ذلك مهتم بجمع الأموال والغَلَّات سِرًّا، وكان كل من يلوذ بالداعي يضام ويهتضم، والصَّولة لنواب علي بن أبي الغارات، وكان الداعي في ذلك الوقت محتملًا حتى كاد احتماله أن يخرج الأمر من يده.

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(2) زيادة من (ع).

(3) في (ع) وانبسطو.

(4) زيادة في (و).

ثم عزم على مشاجرة القوم لما بلغه أن ابن عمه علي بن أبي الغارات ينتقصه[1] ويهم برفع يده عن عدن، فخرج الداعي إلى الدملؤة، وقَدَّم قائده الشيخ بلال فولاَّه عدن وأمره أن يفاتح[2] القوم ويحرِّك القتال بعدن ففعل ذلك بلال، وكان شَهْمًا.

ولم يلبث سبأ أن جَمَعَ جموعًا من هَمْدان وجَنْب بن سعد وخولان وحِمْيَرَ ومذحج وهبط من الدملؤة فنازل القوم بوادي لحج، وكانت القرية بنا أبه[3] له فنزلها وكان الرعارع لابن عمه فنزل كل واحد في قريته، ثم اقتتلوا أشد القتال[4].

وحكى الداعي محمد بن سبأ قال: كنت يومًا في طلائع الداعي سبأ بن أبي السعود فواجهنا علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود بن المكرم، ولم تحمل الخيل يومئذ أفرس منهما ولا أشجع، فقال لي منيع بن مسعود: يا صبي قل لأبيك يثبت فلا بد العشية من تقبيل الخشيمات[5] اللواتي في مَضْربه.

فأخبرت بذلك والدي فركب بنَفْسه، وقال لمن حَضَرَهُ من بني عمه: إن العرب المستأجرة لا تَصْبر على حَرِّ الطعان، ولا يمسك الثور إلا قيده[6]، فالقوا بني عمكم بأنفسكم، وإلاَّ فهي الهزيمة والعار، قال: ثم التقى القوم فحَمَلَ مِنَّا فارس على منيع بن مسعود فطعنه طعنةً شرم بها شفته العليا وأرنبة أنفه، وكثر الطعان بين الفريقين والجلاد بالسُّيوف، وعقر كثير من الخيل - والعرب المحشودة نَظَّارة - ثم حملت هَمْدان ففرقت بين الفريقين وتحاجز القوم، وأقبل وادي لحج دافعًا بالسَّيل فوقفوا جميعًا على عدوتي الوادي يتحادثون، فقال الدَّاعي سبأ لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجشميات يا أبا مدافع؟ فقال: وجدته كما قال المتنبي[7]: [من البسيط]

والطعن عند مُحبَّبِهن كالقبل

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال.

---

(1) في (ع) ينتصفه.

(2) في (ع) يعالج.

(3) في (ع) منيبة.

(4) (المفيد): 73 وهذا الفصل ملخص جميعه من الكتاب المذكور.

(5) كذا وفي (المفيد) (الجشيمات) بالجيم.

(6) كذا وفي (المفيد) (ولا يمسك الثور إلا قده).

(7) شطر مطلع بيت من قصيدة المتنبي: أعلى الممالك ما يُبْنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل.

قال عمارة[1]: وأقامت فتنة الرِّعارع سنتين.

وكان علي بن أبي الغارات في أول الأمر ينفق [الأموال] جزافًا، والداعي سبأ ممسك، فلما تَضَعْضَعَ حال علي بن أبي الغارات بذل الدَّاعي سبأ ما لم يخطر ببال أحد أنه يبذله.

وحكى ولده محمد بن سَبَأ قال: دخل يومًا رجل من هَمْدان على الدَّاعي سبأ، وهو في الخيمة، فقال له: تعلم يا أبا حِمْير أن الحرب نار حطبها الخَيْل والرِّجال، وأنا أريد منك أن تدفع لي ديتي وهي ألف دينار. ففعل الداعي ذلك، ثم قال له: ودية ولدي فلان وأخيه فأعطاه ألفي دينار عنهما. فقال له: دَفَعَ الله عنك، يا أبا حِمْير، وقد بقي ثَمَن الخيل إن عقرت. فقال له الدَّاعي: حتى تعقر. فقال الهمداني: قَدِّم لنا أثمانها كما قَدَّمت [الدِّية]. فأعطاه الداعي كيسًا فيه خمس مئة دينار، فلما قَبَضَ المال قال: بقيت خصلة ما أظن كرمك، يا أبا حِمْير يردَّني عنها؟ قال: وما هي؟ قال: عَزَمْت أن أتزوج فلانة بنت فلان وأنت تعرف شَرَفَ قومها، وليس معي من المال ما أقابلهم به. فدَفَعَ إليه الداعي مئة دينار. فقال: أنعمت وتفضلت، إلا إنه قبيح بمثلي أن أتزوج وأنا شيخ أشيب وولدي فلان وفلان بلا زواج. فدفع لكل واحد منهما مئة دينار. ثم قام الهَمْداني، فلما بلغ باب الخيمة رجع وقال: والله لا سألتك حاجةً بعد هذه الحاجة التي رجعت من أجلها. قال: وما هي؟ قال: إن لي بنتًا لا زوج لها، وقبيح منا أن نتزوج أنا وإخوتها وتبْقَى هي أرملة. قال له الداعي: فيكون ما ذا؟ قال: تدفع لي ما أزوِّجها به. فدفع له مئةً أخرى، ثم تمثل الداعي بقول الراجز: [من مشطور الرجز]

استنتفت لحية زيد فانتف

وقال بلال بن جرير المحمدي: أنفق الداعي سَبأ بن أبي السعود على حَرْب ابن أبي الغارات[2] ثلاث مئة ألف دينار، ثم أفلس فاقترض من التُّجار الذين يوالونه مالاً جزيلاً، مات وفي ذمته منه ثلاثون ألف دينار فقضاها عنه ولده الأغر علي بن سبأ فأقامت الحرب بينهما حتى كَلَّ الفريقان، ثم إن علي بن أبي الغارات انهزم إلى ناحية صُهَيْب وتَحَصَّن هو وبنو عمه بحصني منيف[3] والحبلة[4]، وكان من عجيب الاتفاق أن بلال بن جرير المحمدي

(1) (المفيد): 54.

(2) في (و) العلا.

(3) منيف: حصن في ذُبْحان من أرض المعافر (الحجرية) على جبل يقال له قور. (المقحفي: 638).

(4) في (المفيد): 75 (الحقله) قال المقحفي: 486 قرية من مركز المقاطن شرقي مدينة إِب لعلها المقصوده هنا.

افتتح الخضراء بعدن، وأنزل بهجة أم علي بن أبي الغارات في اليوم الذي افتتح الداعي سبأ الرعارع فأرسل كل واحد منهما بشيرًا إلى الآخر بما فتح الله عليه، وبين الموضعين مسافة يوم، فالتقى الرسولان[1] بالبشرى في أثناء الطريق، وهذا من عجيب الاتفاق.

قال بلال بن جرير[2]: وجدنا في الخضراء عند أم علي بن أبي الغارات من الذَّخائر والتحف ما لم أقدر على مِثْله، وأمر عدن كلها بيدي في مدة متطاولة، ولما نزلت الحُرَّة بهجة أم علي بن أبي الغارات من الخَضْراء إلى مدينة عدن أقامت بها حتى توفيت.

قال الجَنَدي[3]: والمسجد الذي يعرف بمسجد الحرة على قرب من جامع[4] عدن، أظنه ينسب إليها، والله أعلم.

ولما ارتفعت[5] الحرب دخل الداعي سبأ بن أبي السّعود عدن فأقام بها سبعة أشهر، ثم توفي فدفن في سفح التَّعكر بعدن، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وهي السَّنة التي توفيت فيها الحرة السيدة بنت أحمد في ذي جبلة، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

قال الجَنَدي[6]: قال [ولما كان][7]: وبعد سنة سبع مئة أظهر المطر حفيرًا في أصْلُ التَّعَكُّر بعدن فتوهَّمَ الناس أنه مال، فأعلموا والي المدينة، فطلع الوالي هنالك ومعه عدَّة من النَّاس فاستخرجوا من ذلك الحفير صندوقًا كبيرًا مسْمُورًا، فأمر الوالي بفتحه، ففتح فوجدوا رجلًا ملفوفًا بأثواب إذا أمسكت صارت رمادًا، فأعادوه على حاله في حفرته. قال: ولعله الداعي سبأ بن أبي السعود، والله أعلم.

ولما توفي الداعي سبأ بن أبي السعود [بالتَّاريخ المذكور][8] وتولَّى مكانه ولده المعروف بالأغر، فلم يقم إلا قليلًا حتى توفي بمرض السِّل، وكانت وفاته بالدملؤة سنة أربع وثلاثين

(1) في (ع) الرجلان.

(2) (المفيد): 75.

(3) (السلوك) 2: 502.

(4) الأصل (جانب) وأصلحناه من (السلوك) 2: 502.

(5) في (ع) انقضت.

(6) (السلوك) للجندي2: 502.

(7) زيادة من (السلوك).

(8) زيادة من (ع).

وخمس مئة، وكان له أربعة أولاد وهم: حاتم وعباس ومنصور، ولم أقف على اسم الرابع[1] منهم، وكانوا صغارًا، فجعل كفالتهم إلى أنيس الأغرِّي[2] وهو أستاذ حَبَشِي وإلى كاتبه ووزيره يحيى بن علي العامل، وكانوا جميعًا بالدملؤة، وأوصى بالأمر إلى ولده حاتم بن علي.

وكان الشيخ بلال بن جرير[3] نائبه على عدن وهو مقيم بها، وكان يكره الأغر، والأغر أيضًا يكرهه، وكان محمد بن سبأ بن أبي السعود يومئذ هاربًا من أخيه علي بن سبأ بن أبي السعود مستجيرًا بالأمير منصور بن أبي البركات.

فلما علم الشيخ بلال بن جرير بوفاة مولاه الأغر[4] علي بن سبأ بن أبي السعود وهو عند المنصور المفضل بن أبي البركات - كما ذكرنا - وسير بالكتاب رجالًا من همدان وهو يأمره بالمبادرة إلى عدن، ويعده بالقيام معه بالرُّوح والمال، فلما بلغه الكتاب خَرَجَ مع الهَمْدانيين من عند منصور بن أبي الفضل إلى عدن، فلما صار على قرب من عدن لقيه الشيخ بلال بن جرير لقاءً حسنًا، وتَرَجَّل بين يديه، وسار معه إلى المَنْظر فأقعده فيه، ثم نزل فقعد للناس، واستحلف له العسكر جميعًا.

فلما كان بعد أيام أمره أن يتقدم إلى الدُّملؤة ويحاصر أنيسًا ويحيى العامل، ففعل ذلك واسْتَولى على البلاد بأسرها، وأطاعه من كان تحت طاعة أبيه من أهل السَّهل والجَبَلِ ببركة بلال ويمنه، وزَوَّجه بابنته، وصرف في جهازه أموالًا جليلة.

وفي أثناء ذلك قدم من مصر[5] الرشيد أحمد بن علي بن الزبير برسالة من الخليفة بمصر إلى الأمير علي بن الدَّاعي سبأ بن أبي السعود بتقْليد الدعوة له، فوجد عليًّا قد مات، فقلَّدَ الدعوة أخاه محمد بن الداعي سبأ بن أبي السعود بن زريع، ونَعَتَهُ بالمعظم، ووصفه بالمتوَّج المكين، ونعت وزيره الشيخ بلال بن جرير بالشيخ السَّعيد الموفق السديد[6]. وكان الداعي

(1) اسم الرابع في (المفيد): 76. «المفضل».

(2) في (السلوك) 2: 502 وهو خادم خصي على اسم العَبْدِ الذي قَتل مواليه آخر بني زياد.

(3) في (و) جابر (خطأ).

(4) يرد في المخطوطات و(المفيد) و(قرة العيون): بالأغر وأخرى بالأعز، والأغر من أسماء رجال الدولة الفاطمية انظر (اتعاظ الحنفاء) 1: 170.

(5) انظر خبر قدوم الرشيد إلى اليمن في (المفيد): 76 و(السلوك) 2: 503و (اتعاظ الحنفاء) للمقريزي3: 179 في حوادث سنة539هـ.

(6) في (ع) الرشيد.

محمد بن سبأ ملكًا جوادًا[1] عادلاً، وبلغ من جوده أنه أشاع لكل من قَصَدَه أن يكتب حاجته ويرفعها، وكل رقعة تَصِلُ إليه بشيء من المال والثياب فإنه يطلق علامته عليها كائنًا ما كان.

ومدحه جماعة من أعيان الشعراء منهم: القاضي الأجل يحيى[2] بن عبد السلام بن أبي يحيى، وكان بنو أبي يحيى قُضَاة صنعاء ورؤساءها وساداتها وكبراءها، وكان القاضي يحيى بن عبد السلام أشعر شعراء عصره، ومن شعره في الداعي محمد بن سبأ قوله وقد عزم إلى ذي جبلة[3]: [من الكامل]

النصر من قرناء عزمك فاعزم ... والدهر من أسراء حكمك فاحكم

ومن مداحه الشريف يحيى[4] بن محمد بن علي الحسني ومن شعره فيه قوله[5]: [من الوافر]

جلالك ألبس العزالجلالا ... ومجدك فيه مَجْدُ العيد[1] طالا

وعزك أكسب الأعياد[2] عزًّا ... تتيه به فصار لها جمالا[3]

ومن مداحه الشيخ الأديب سالم[4] بن عمران الثعلبي[5] ومن شعره قوله[6]: [من الكامل]

هل للفضائل عن مديحك معزل[1] ... أم هل لها من دون بابك موئل؟

شغلت صفاتك ألسن الشعراء عن ... أن ينسبوا معها وأن يَتَغَزَّلُوا[2]

---

(1) زيادة من (ع).

(2) انظر ترجمة في (المفيد): 209 (تحقيقنا) وفيه يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى.

(3) (المفيد): 210.

(4) (المفيد) (تحقيقنا) 216 (سقط من طبعة الأكوع).

(5) انظر القصيدة كاملة مستوفاة في (المفيد): 216 (تحقيقنا).

(1) (المفيد): 210 (العبد).

(2) في (ع) الأضداد.

(3) انظر بقية القصيدة وهي تزيد على العشرين بيتا في (المفيد): 216 - 217 (نشرتنا).

(4) من شعراء (المفيد) (تحقيقنا) انظر ص: 218 (سقط من طبعة الأكوع).

(5) (المفيد): التغلبي.

(6) انظرها في (المفيد): 218.

(1) (المفيد): معدل.

(2) انظر بقية القصيدة في (المفيد).

ومن مداحه أيضًا أحمد[1] بن سالم بن ظِفْر الهَمْداني، ومن شعره فيه قوله[2]: [من الطويل]

زمانك أحيا ميتات الخواطر وعصْرُك أبدى داثرات الدواثر
شأوت الكرام السابقين إلى العلا فأصبحت فيهم أولًا غير آخر

ومن مداحه أيضًا دجانة[3] بن محمد الصنعاني ومن شعره فيه قوله: [من الكامل]

قَسَمًا بمجدك إنه لمشيد حَقًّا وإنّك في الزمان وحيد
فاقعد بدست الملك غير منازع والبس رداء المجد فهو جديد
وافخر على أهل الزمان فإنهم خول وإنك فيهم لعميد[1]

ومن مداحه أيضًا الشيخ الأديب أحمد[2] بن علي المعافري، ومن شعره فيه قوله: [من الكامل]

شهدت بفضلك يعرب العرباء وعَنَتْ لك الأشباه والنظراء
وتَرَفَّعت هِمَمُ نراها فيك أن يأتي على أوصافها الشعراء[1]

ومن مداحه الأديب أحمد[2] بن محمد الخباز ومن شعره فيه قوله: [من الطويل]

هي الدولة الغراء والعِزِّ والنَّصر وطِيْبُ الثنا والفضل والمجد والفَخْرُ
لمن قوله فَصْل وباطنه حجى وظاهره بشر ونائله غَمْر[1]

ومنهم الأديب الأوحد وزير الدولة الهمدانية عبد الله[2] بن علي بن أحمد الصَّنعاني ومن

(1) من شعراء كتاب (المفيد) (تحقيقنا) 2: 220 (سقط من طبعة الأكوع).
(2) انظرها مستوفاة في ثلاثين بيتا في (المفيد): 220 – 221.
(3) (المفيد): 226 (سقط من طبعة الأكوع).
(1) انظر بقيتها مستوفاة في (المفيد): 226.
(2) (المفيد): 234 (سقط من مطبوعة الأكوع).
(1) انظر بقيتها في المفيد 46 بيتا.
(2) (المفيد): 236 (سقط من مطبوعة الأكوع).
(1) انظر بقية القصيدة في (المفيد): 236 وتقع في 36 بيتا.
(2) (المفيد): 241 (سقط من مطبوعة الأكوع).

شعره قوله[1]: [من الكامل]

لم يَدْرِ كيف يقول فيك المادح ... أَمْ كيف تنصفك الثناء مدائح

تأبى امتناعًا أن ينالك واصف ... أبدًا كما امتنع السماك الرامح

قال عمارة[2]: فكان الدَّاعي محمد بن سبأ من كرام الملوك، ومكارمه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. وفي أيامه توفي الشيخ السَّعيد بلال بن جرير المحمدي، وكانت وفاته في سنة خمس وأربعين وخمس مئة، وقيل: في سنة سبع وأربعين، والله أعلم.

ولما توفي الشيخ بلال[3] بن جرير في التاريخ المذكور استخلف الداعي ولده مدافع بن بلال، ثم[4] إن أخاه أبا الفرج ياسر بن بلال، فأقام معه بقية أيامه، ثم كان مع ولده عمران بن محمد بن سبأ.

وكان ياسر بن بلال رجلًا عظيم القدر، مشهور الذِّكر، من الأجواد الأمجاد يثيب المادحين، ولا يخيب القاصدين، ورد إليه عدة من فضلاء الديار المصرية، منهم الرشيد بن الزبير، وكان عالمًا فاضلًا، والأعز أبو الفتوح بن قلاقس اللخمي الشاعر المشهور، وامتدحه بقصيدة أولها[5]: [مجزوء الكامل]

سافر إذا حاولت أمرا ... سار الهلال فعاد بدرا

وهي مشهورة في ديوانه[6]، فأجازه عليها بألف دينار، ثم عاد أبو الفتوح إلى الدِّيار المصرية، فلما صار بالقرب من جزيرة دهلك[7] عَصَفت بهم الرِّيح، فغرق المَرْكب بما فيه وسلم بعض أهله، وسلم أبو الفتوح المذكور في جملة من سَلِمُ، فعاد إلى عدن[8] فقيرًا

---

(1) انظرها في (المفيد): 241 في 26 بيتا (قلت هؤلاء الشعراء المذكورون لم يرد ذكرهم في مطبوعة القاضي الأكوع ووردوا في طبعتنا لكتاب المفيد المنشورة بدار الكتب العلمية بيروت، سنة 1432 هـ.

(2) (المفيد): 79.

(3) في (ع) الشيخ السعيد.

(4) كذا في الأصل وفي (المفيد): 81 وأقام الأمر الوزير أبو الفرج ياسر بن بلال.

(5) انظرها في ملحق (المفيد) (تحقيقنا): 360.

(6) ديوان ابن قلاقس (تحقيق سهام الفريح): 241، وانظرها في ابن خلكان 5: 387.

(7) دهلك: جزيرة ومرفا تقع أمام مصوع (المنجد في الأعلام: 247).

(8) وذلك في ذي القعدة سنة 566 هـ بجزيرة الناموس.

وامتدحه بقصيدة أخرى يقول فيها[1]: [من الطويل]

وردنـا وقـد نـادى السَّماح بنا ردُّوا وعـدنـا إلـى مغـنـاك والـعـود أحمد

فعَوَّضه عن كثير مما فات له.

قال عمارة[2]: ولم يكن ياسر بن بلال دون أبيه في حزم ولا عزم.

ولما كان سنة سبع وأربعين وخمس مئة ابتاع الدَّاعي محمد بن سبأ بن أبي السعود من السلطان منصور بن المفضل بن أبي البركات جميع ما تحت يده من المعاقل والحصون والمدن بمئة ألف دينار فيما قاله الجَنَدي[3].

وقال عمارة[4]: كان ذلك في سنة أربع وأربعين وخمس مئة، والله أعلم.

وطلع الداعي[5] حُصْن التَّعكر المطل على جبلة يتفرج فيه، ثم طلع حصن حب، وبذل أموالًا جليلة في طريق البِرِّ والمعروف وإجازة الشعراء. وتوفي الداعي محمد بن سبأ سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وكانت وفاته بالدملؤة.

وقال[6] **محمد بن مصباح**: سمعت الطواشي[7] نظام الدين مختص يقول: نَبَشَ الزنوج[8] بالمنصورة في أيام الملك المنصور عمر بن علي بن رسول قبورًا هنالك فأخرجوا من قبر منها تابوتًا من أبنوس، ففتحوه عن رجل أصفر[9] اللون سالمًا من التفصيل والتغيير في خنصره خاتم من ذهب صغير. فقلت: أروني إياه فطرحوه وأخذوا الخاتم والتابوت وأمرت من يشتري له ثوبين مليحين كفنته فيهما، وأمرت من حفر له قبرًا ودفنته. فقال بعض أهل الخبرة: إنه محمد بن سبأ، والله وأعلم، ولما توفي الداعي محمد بن سبأ قام بالأمر بعده ابنه عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع بن أبي العباس بن أبي الكرم، فاقتفى طريقة أبيه مع

---

(1) انظرها في الملحق بآخر كتاب (المفيد) (تحقيقنا): 353.

(2) (المفيد): 81.

(3) (السلوك) للجندي 2: 503 و(عيون الأخبار) للأنف: 277.

(4) (المفيد): 77 وهو يوافق ما ورد عند الجندي أي سنة 547 (يحقق).

(5) (السلوك) 2: 503.

(6) من زيادات المؤلف على (المفيد) و(السلوك).

(7) الطواشي مختص كان متولى حصن الدملوة (العطايا السنية): 432 (تحقيقنا).

(8) هم الطائفة المعروفون الآن بالأخدام.

(9) في (ع) أشقر.

زيادة لائقة، وأخلاق رائقة، وكان جوادًا كريمًا متلافًا مدحه القاضي يحيى[1] بقصيدة أولها: [من الكامل]

أيـلـوم طيـفـهـم[1] عـلـى هـجْـرانـه   صَـبٌّ تـجـافى الـنَّـوم عـن أجـفـانـه
سـلـبـوا كــراه مـنـه بُـخْــلًا منهم   بـالـطَّـيـف أن يـغـشـاه في غَـشَـيَـانـه

حتى انتهى إلى قوله:

كـرم الـمـكـرَّمِ يـذهـل المشتاق عن   أشــواقــه والــصَّــب عــن أوطــانــه
كــــرم إذا خَـيِّـرتـه وخِـبـرتـه   حَـقَّـــرت قَـــدْر سـمـاعـه لـعـيـانـه
ليس البحار ولا السَّحائب تُدَّعي   لـسـمـاحـهـنّ الـجَـرْي في مـيـدانـه
يَـمَّـمـتـه والـدَّهـر قـد بَـلَـغَـتْ إلى   أقصى الـمَدَى مني مُدَى حدثانه[1]
فـأجـازني مـن جَـوهـر مـن لا يـرى   أن الـنّـجـوم أَعَـــزُّ مــن جـيـرانـه
لا يَـطْـمَـعُ الـمـخـلاف فيَّ وأهـلـه   لا كُـنْـتُ بـعـد الـيـوم مـن سُـكَّـانِـهِ
قد عـاودت شعري الألـوف جوائزًا   يــا مــن يــرون الـبـخـس مـن أثـمـانـه

وكان قد أجازه على قصيدة قبل هذه بألف دينار، ثم أجازه أيضًا على هذه القصيدة أيضًا بألف أخرى[2].

ومن جملة ما شاع من كَرَمه أن الأديب أبا بكر بن أحمد العندي مدحه بقصيدة اقترحها عليه الداعي عمران بن محمد، فوصف فيها مَجْلسه وما يحتوي عليه من الآلات، أولها:[3] [من الكامل]

فـلـك مـقـامـك والـنُّـجـوم كـؤوس   بـسـعـوده الـتـثـلـيـث والـتَّـسْـديـس
والـبَـدْر وجـهـك طـالـعًـا في دِسْـتِـهِ   لا الـبَـدْر أجـلـى وجـهـه الـحنديس

(1) هو يحيى بن أحمد بن أبي يحيى السابق ذكره.
(1) في (و) طرفهم.
(1) (و) جريانه.
(2) (المفيد): 288 – 329.
(3) (المفيد): 313 و(خريدة القصر) للعماد الأصبهاني 3: 172 (ط) المجمع العلمي بدمشق.

وفيها يقول:

يا داعي الدين الذي أنس العلا ... في حيث معنى [الجود][1] منه أنيس
يا واحد العرب الذي يسمو بها ... يَوْم التفاخر مَجْدَه القُدْموس
يا من تطابق فعله ومقاله ... فلسانه[2] التطبيق والتجنيس
حَقٌّ الكواكب أن تكون مدائحًا ... لك والبروج صحائفٌ وطروس

وهي قصيدة أجاد فيها كُلِّ الإجادة، فسَلَّمَ إليه الداعي ولده أبا السعود بن عمران، وقال: قد أجزتك بهذا، فأقعده على يمينه، فلم يلبث أن وصل إليه أستاذ الدار يستأذنه في دخول الولد إلى أَهْلِ الدار، فأذن له في ذلك، فالتفت الدَّاعي عَمْران إلى الأديب وقال له: إذا رَغَّبوك في بيعه فاستنصف في ثمنه. فلم يلبث إلا قليلًا حتى خرج الولد وخادم وفي يده قدح من فضة فيه ألف دينار وسبع مئة دينار وخلعة. فقال له الدَّاعي: كم سَلَّموا لك؟ فأعلمه بالمبلغ. فأطلق له مكس مركب فيه ألفا دينار.

ومدحه أبو بكر المذكور بعدَّة من القصائد الحسان منها القصيدة الكافية المشهورة[3]: [من الكامل]

حَيَّاك يا عدن الحيا حَيَّاك ... وجرى رضاب لُمَاهُ فوق لماك
فافتر ثَغْرُ الرَّوض فيك مضاحكًا ... بالبِشْر رونَقَ ثغرك الضَّحَّاك
ووشت مطارفه[1] عليك مطارفًا ... يَخْتال في حَبِراتها عطفاك
فلقَدْ خصصت بفضل فَضْل أصبحت ... فيه القلوب وهُنَّ من أَسْراك

وفيها يقول:

وعلام أستسقي الحيا لك بعدما ... ضَمِنَ المكرَّم بالندى سُقْيَاكِ

(1) زيادة في (ع) و(المفيد).

(2) (المفيد): قسما.

(3) انظرها في (المفيد): 300 و(خريدة القصر) 3: 187و (السلوك) 1: 373 و(طراز أعلام الزمن): 2354.

(1) (المفيد): صدائفه.

وهَـمَـتْ مكارمه عليك فصافحت ... عـن كَـفِّـه معنى الـغِـنَـى مغناك
وتـأَرَّجَـت رَيَّـاك مسكًا بعد ما ... عبقت بِـريَّـا ذِكْـره ذكـراك
فَلْيَهْنَكِ الـفَـخْرُ الـذي أحرزته ... بـعـلاه حسبك مفخرًا وكفاك
شرفت رُبَـاك[1] بـه فقد وَدَّت له ... زَهْـر الـكـواكـب أَنَّـهـن رباك
متبوئًا سامي حصونك طالعًا ... فيها طلوع الـبَـدْر في الأفلاك
فكأن بحرك جوده متدفِّقًا ... لو لَـمْ تخضه سفائن الأفلاك
فالجود مبتسم الثّغور بِبَذْلِهِ ... أبـدًا وبيت المال منه باك
من دوحة الشرف الزَّريعي التي ... رَسَـخَـتْ بأصل في المفاخر زاك

وهي قصيدة طويلة مشهورة من القصائد الطَّنَّانات المشهورات، ومن مدائحه فيه قوله[2]:

[من الكامل]

ذكر العذيب وماثلات قبابه ... وَقَـفَ الفؤاد على أليم عقابه
ومهَبُّ أنفاس الصَّبا من جُوده ... فيه شفاء الصَّب من أوصابه
فدع النسيم يَبُثّ من أنبائه ... خَبَرًا على الزَّفرات رَجْع جوابه

وفيها يقول:

لله أيام العذيب وإن يبث ... قلب المعنى المستهام لما به
وسَقَى ندى كفّ المكرَّم ملتقى ... عَقَدَات أجرعه وشُمِّ هضابه
ملك لو استسقى الزَّمان بجوده ... أغناه عن سقيا ملثٍّ سحابه
ملك أفاض على الزَّمان بهاءه ... فأعاده في عُنْفوان شبابه
ملك يشُفّ عليه نور كماله ... فيكاد يلحظ من وراء حجابه
داني منال الجود من زُوَّاره ... نائي محل المَجْد عن طُلاَّبه

(1) رباك: قرية ساحلية خربة غربي بحر التَّوَاهي من مدينة عدن (المقحفي670).

(2) (المفيد): 296 (خريدة القصر) 3: 164.

في كـل أرض مـن غـرائـب ذِكْــرِه　　سِـفْـر يقـلـقـل نـاجـيـات ركـابـه
فـكـأن مجتمع الـفـضـائـل والـغـنـى　　مــا بـيــن نـائـلـه وبـيــن خـطـابـه
فكَفَى بقحطان بـن هــود مَـفْـخَـرًا　　أن أصـبـحـت تـعـزى إلــى أنـسـابـه
أعـلـى مـآثـرهـا وشَــيَّــدَ فَـخْـرَهـا　　دون الــمــلـوك بـطـعْـنِـه وضـرابـه
وبـنـى لـهـا بـيـتًـا قـواضـب بِـيْـضِـهِ　　عُــمَــدٌ لـه والــسُّــمْــرُ مـن أطـنـابـه
يـــزْدَاد حسـن الـمَــدْح فيـه وإنـمـا　　يـبـدو جـمـال الـشَّــيء مـن أربـابـه

وهي أطول مما ذكرت[1]، ومن شعره فيه أيضًا قوله[2]: [من البسيط]

عـاد الـهـوى في فــؤادي مثلما بـدأ　　لـمـا تـعـرَّفـت مـن أهـل الـحـمـى نبأ
أملى على القلب ساري البرق[3] مبتسمًا　　عنهم أحاديث شوق تطرب[4] الملأ
فبـت أروي ربـى خــدَّيَّ مـن دِيَـمٍ　　تـــزداد غُــلَّــة أحـشـائـي بـهـا ظمأ
ومـا تَـقـنَّـصـنـي منـهـم سـوى رشـإٍ　　أفــدي بمهجة نفسي ذلـك الـرشـأ
مـلء الـنـذَواظـر حُسْنًا حين تلحظه　　وأمـلـك الـحُـسْـن لـلألـحـاظ مـا ملأ
مـا اهـتـز عِـطْـف الصَّـبـا مـن عطفة قامته　　إلا وأزرى بـغُـصْـن الـبَـان أو هـزأ
نشوان تحسب صِـرْف الـرَّاح ريقته　　أو مَـدْح داعـي الهدى عاطاه فانتشأ
عـمـران أكــرم مـن جـاء الـزمـان بـه　　فــردًا وأشــرف مـن في حـجـره نشأ
كـأن قـحـطـان قـدْمًـا كـان أودع في　　ضـمـائـر الـفَـضْـل سِــرًّا فيه أو خبأ
مَــن أوطـأتـه عـلـى كِـيـوان هِـمَّـتـه　　لـو كـان يرضى على كيوان أن يطأ
وازداد فَـخْـرًا على مـا سـاد والـده　　مـحـمـد وسَـبَــأ في مَـجْـده سبأ

(1) انظرها مستوفاة في (المفيد): 296 – 298 و(خريدة القصر) 3: 164 – 167.
(2) (المفيد): 307 و(خريدة القصر): 158.
(3) الأصل: شحانا.
(4) الخريدة: رنحه.

تناول الغرض الأقصى فأدركه واجتاز غايات أملاك الورى وشأى
أَغّر أبلج لو يسري بغرَّته في فحمة الليل بدر التّم ما انطفأ
يزهو به الدست يوم السلم مبتسمًا وفي الوغى شامخ[5] سامي التليل وأى[6]
كالليث ليس بمختار فرائسه سيان ظبي كناس عنده ولأى[7]

وهي أيضًا طويلة، ومن شعره فيه أيضًا قوله[8]: [من الكامل]

وافى الربيع يزفّ في ألوانه ما بَيْن وَشْيَ رياضه وجِنَانه
وسرى يجرر[9] في مطارف زَهْره أذيال مُخْضَلِّ الندى رَيّانه
متوشِّحًا بالخضر من أوراقه مترنِّحًا بالهِيْف من أغصانه
مستوطنًا بالقُضْب من حَبِرَاته عَدَنًا وإن جَلَّت عن استيطانه
أبدى الغرائب من بدائع حسنه غَرْس تَبَسَّم عنه قبل أوانه
غرس تناهى[10] في الثناء مجاوزًا أقصى مداه ومنتهى إمكانه
مَدَّ النَّعيم عليه فضل ردائه متكفئًا واليُمْنِ ظِلَّ أمانه
واختالت الدنيا به فكأنما عاد الشَّباب بها إلى رَيْعانه
فكأنما عَدَن به عَدْنٌ جلا رضوان فيها النّور من رِضْوانه
بهرت محاسنه العقول وصَيَّرت أوصافها وَقْفًا على استحسانه
وتأرَّجت مِسْكًا لطائم جُوده فكأنما دارين[11] في أردانه
عَمَّ البسيطة وَصْفُه فكأنما قام السّماع بها مقام عيانه

(5) (خريدة القصر) 3: 159 (سابح).
(6) الوأى: من الدواب السريع الشديد.
(7) اللأى: الثور الوحشي أو البقرة.
(8) (المفيد): 311.
(9) (المفيد) «يجرجر».
(10) في (المفيد): تباهى في البهاء.
(11) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (معجم البلدان ياقوت 2: 432).

وكأنما إشراق سُلْطان الضُّحى ... متوقِّد الإشراق من سلطانه
وسما بمفخره الزَّمان تعاظمًا ... لما اسْتَخَصَّ به عظيم زمانه
وقضى يقارن نَيِّريه بأن ذا ... الفخرين صاحب وقته وقرانه
داعي دعاة هداة سيف إمامه ... دون الملوك بِنَصْره عمْرَانَه
مَلْكٌ تفرَّع في المعالي منزلًا ... بُنْيَتْ قواعده على كيوانه
متجاوزًا أقصى العلو وإن غَدَا ... في دِسْت دار العز من إيوانه
متهلِّل الإشراق[1] ينْهَلُّ الندى ... من سُحْب راحته وفَيْض بنانه
وإذا تَصَرَّف كاتبًا أو خاطبًا ... فالدر بين بيانه وبنانه

وهي أكثر مما ذكرت[2].

ومدائحه فيه كثيرة جدا.

وكان الداعي عمران في غاية من الجود والكرم، وما أحسن قول عمارة فيه، إذ قال: لله در الداعي عمران بن محمد بن سبأ، ما أغزر دَيْمة جوده وأكرم نبعة عوده.

قال عمارة[3]: ولا يكذب من قال: إن الجود عمران حاتمها بل خاتمها، وتوفي الداعي عمران بن محمد بن سبأ في سنة ستين وخمس مئة.

قال الجَنَدي[4]: ونقله الأديب أبو بكر بن محمد العندي إلى مكة المشرفة، ودفنه في مقابرها.

ومن مآثره الباقية في عدن[5]: المِنْبر المنصوب في جامعها، واسمه مكتوب عليه، وهو منبر له حلاوة في النَّفس وطلاوة في العين.

وتوفي[6] عن ثلاثة من الولد، وهم: منصور بن عمران ومحمد بن عمران وأبو السعود بن عمران، وما منهم من أدرك الحلم قبل وفاة أبيه، فجعل كفالتهم إلى الأستاذ أبي الدّر جوهر

(1) الأصل: منهل الورى، وأصلحناه من (المفيد).
(2) انظرها بتمامها في (المفيد): 311 – 313.
(3) (المفيد): 79.
(4) (السلوك) 2: 504.
(5) (السلوك) 2: 505.
(6) (المفيد): 79.

المعظمي، فكانوا عنده في حصن الدملؤة. وكان القائم بعدن والمُدَبِّر لأمور البلاد ياسر بن بلال بن جرير وهو ليس دون أبيه في حَزْم ولا عزم.

ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قَدِم السُّلطان الملك المعظم توران شاه بن أيوب من الديار المصرية في سنة تسع وستين وخمس مئة، فاستولى على عدن وغيرها من اليمن، ولم يَبْقَ تحت أيدي بني عمران بن محمد بن سبأ إلا الدملؤة[1].

ولما استولى شَمْس الدولة توران شاه بن أيوب على عدن هَرَب ياسر بن بلال إلى [حصن][2] الدملؤة فأقام عند مواليه وعند الأستاذ جوهر المعظمي، فلم تزل الدملؤة تحت أيديهم إلى أن باعها الأستاذ أبو الدر جوهر على سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وسأذكر ذلك في موضعه من الكتاب، وأما ياسر بن بلال: فإنه أقام في الدملؤة أيامًا ثم خرج منها في أيام شَمْس الدولة متنكرًا، فدخل عدينة[3] ومعه [مملوكه][4] مفتاح الملقب بالسداسي، فَنَمَّ عليه إنسان، فقبض عليه وعلى مملوكه، وأعلم بهما شمس الدولة توران شاه بن أيوب، فأمر بقتلهما[5] فقتلا معًا، وكان قتلهما في سنة[6] إحدى وسبعين وخمس مئة، وكان ياسر بن بلال آخر وزرائهم.

قال عمارة[7]: وكان بنو المكرم يعني مسعودًا والعباس اللذين ولاَّهما أحمد المكرم بن علي الصليحي عدن بعد بني معن، يعرفون ببني الذئب وهم [بعد][8] بني الصليحي أكثر العرب في اليمن، والله أعلم.

فهذه أخبار ملوك صنعاء وعدن محققة على حكم الاختصار، والله أعلم.

---

(1) (السلوك) 2: 505.

(2) (السلوك) 2: 505.

(3) عدينة: منطقة في الطرف الجنوبي من مدينة تعز أسفل جبل صَبِر (المقحفي: 1031).

(4) سقط من (ع).

(5) (السلوك): فأمر بشنقه وقيل أمر بتوسيطها.

(6) (السلوك) 2: 506.

(7) (المفيد) لعماره: 70.

(8) سقط من (ع).

الباب الخامس

في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها

وهو خاتمة الأبواب، وبتمامه يتم الكتاب[1]، وفيه اثنا عشر فصلاً

الفصل الأول[2]

في ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد

قال علي بن الحسن قابله الله بالقبول: حكى أبو الحسن عمارة بن أبي الحسن في كتابه المفيد المصنف في أخبار زبيد[3]، عن الشيخ الإمام العالم النسابة أبي الحسن أحمد بن إبراهيم[4] القرتبي[5] الأشعري، والفقيه أبي منصور [نزار][6] بن عبد الملك المكي وما منهما إلاّ عالم بأيام الناس وأخبارهم وأنسابهم وأشعارهم قال: وقرأت في كتاب (المفيد الكبير) تأليف الملك المكين نصير الدين أبي الطامي جَيَّاش بن نجاح قال[7]: لما كان في سنة تسع وتسعين ومئة أتي إلى المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد بقوم من بني أمية بن عبد شمس فانتسب أحدهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وانتسب آخر إلى سليمان بن [هشام][8] بن عبد الملك بن مروان، وانتسب آخر إلى تغلب بن وائل، وزَعَم أن

(1) يعني يتم الكتاب الكتاب المسمى بالعسجد المسبوك، ويليه الكتاب الآخر المعروف بالعقود اللؤلؤية وقد ألحقه المؤلف بالعسجد المسبوك كما هو مدرج في كتابنا هذا الذي نقوم بتحقيقه.

(2) هذا الفصل أورده ابن الديبع بتمامة في كتابيه (بغية المستفيد) وكتاب (قرة العيون).

(3) (المفيد): 18 (تحقيقنا).

(4) (المفيد): أحمد بن محمد.

(5) في الأصول العربي والإصلاح من عندنا.

(6) زياد من (المفيد).

(7) (المفيد): 18 و(السلوك) 1: 193و (بغية المستفيد): 37 و(قرة العيون): 228.

(8) زيادة من (المفيد): 18.

اسمه محمد بن هارون، قالوا: فبَكَى المأمون، وقال: وأنَّى لي بمحمد بن هارون – يعني أخاه الأمين – وكان الأمين قد قتل في سنة ثمان وتسعين ومئة، وقد تقدم ذكر ذلك في موضعه من الكتاب[1]، ثم قال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، وأما التغلبي فيعفى عنه رعايةً لاسمه واسم أبيه.

فقال له ابن زياد: والله يا أمير المؤمنين ما نَزَعْنَا يدًا عن طاعة، وإن كنت تقتلنا على جنايات بني أمية فيكم، فإن الله يقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164] فاسْتَحسن المأمون كلامه ثم عفا عنهم، وأضافهم إلى الحسن بن سهل وقيل: إلى المفضل بن سهل ذي الرئاستين.

فلما كان في المُحَرَّم أول شهور سنة اثنتين ومئتين ورد على المأمون كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر وعك وهم أَجَلَّ عرب تهامة، فأثنى ابن سهل عند المأمون على محمد بن زياد وعلى المرواني والتغلبي، وأنهم من أعيان الكفاءة، فأشار بتَسْيِيرهم إلى اليمن: ابن زياد أميرًا وابن هشام وزيرًا، والتَّغلبي حاكمًا ومفتيًا.

فخرجوا في الجيش الذي جَهَّزه المأمون إلى العراق لحرب إبراهيم بن المهدي[2]، فحَجّ ابن زياد ومن معه في سنة ثلاث ومئتين، وسار إلى اليمن بعد انقضاء الحج، ففتح تهامة بعد حروب شديدة جَرَتْ بينه وبين عرب تهامة المذكورين[3].

واختط مدينة زبيد، وكان اختطاطها في شَعْبان، وقيل: يوم الإثنين الرابع منه، سنة أربع ومئتين، وذلك بعد موت الشافعي رضي الله عنه بثلاثة أيام.

وهي مدينة مدورة الشكل[4]، عجيبة الوضع، على النِّصف فيما بين البحر والجبل، ومن جنوبيها واديها المسمى زبيد المبارك المشهور المخصوص بالبركة لدعاء رسول الله ﷺ فيه بالبركة، فبركته ظاهرة مشهورة، ليس في اليمن واد أبرك منه. ومن شماليها الوادي رِمَع، وقد

---

(1) يعني من القسم الأول الخاص بتاريخ الدول الإسلامية الذي نشر قسما منه الدكتور شاكر محمود عبد المنعم وقد سبق ذكره.

(2) وذاك سنة 202 هـ انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير 5: 441 ط دار الكتب العلمية.

(3) (السلوك) 1: 193 و(قرة العيون): 228 و(بغية المستفيد): 37.

(4) ابن المجاور: المستبصر: 99 و(السلوك) 1: 192 و(قرة العيون): 229 و(بغية المستفيد): 33 وابن الجون: (الرياض الأدبية): 66 و(الدر النضيد): 19.

شملته البركة بدعاء رسول الله ﷺ بالبركة أيضًا، فهي مدينة بين واديين مباركين. ومن شرقيِّها على مسافة نِصْف يوم الجبال الشامخة والحصون الراسخة والمعاقل المنيعة والمساكن الرفيعة. ومن غربيها على مسافة نِصْف يوم البحر الزاخر والسُّفن المواخر، والنخيل الباسقة، والقصور الرائقة، فجعلها ابن زياد دار ملكه ومستقر إقامته.

فلما كان سنة خمس ومئتين[1]: حَجَّ من اليمن جعفر مولى ابن زياد بمال كثير وهدايا، وتَقَدَّم إلى العراق فصادف المأمون بها، فأوصل ما عنده من الأموال والهدايا والتحف والألطاف، فسُرَّ المأمون بذلك، وسيَّره المأمون إلى اليمن في سنة ست ومئتين، وسير معه ألفي فارس، فمنهم من مسودة خراسان سبْعَ مئة. فعظم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسرها [الجبال والتهائم واشترط على عرب تهامة أن لا يركبوا الخيل فملك ابن زياد حضرموت][2] والشحر ومرباط وأبين وعدن والتهائم من عدن إلى حلي بن يعقوب [إلى عدن][3]، وبين حلي ومكة حرسها الله تعالى ثمانية أيام، وملك من الجبال الجَنَد وأعماله، ومخلاف جعفر، ومخلاف المعافر وصنعاء وأعمالها، ونجران وبيحان، والحجاز بأسره، وقَلَّد مولاه جعفر الجبال.

قال عمارة[4]: وإليه ينسب مخلاف جعفر، وهو الذي اختط مدينة المذيخرة بجبل الثومان.

قال الجَنَدي[5]: وهذا غير مُسَلَّم له، بل الذي اختط مدينة المذيخرة السلطان جعفر بن إبراهيم بن ذي المنار المناخي، والمناخيون ملوك ريْمَة[6] وقياض، وإلى السّلطان جعفر ينسب مخلاف جعفر لا إلى أحد غيره.

ولما ملك ابن زياد اليمن واصل الخطبة لبني العبَّاس وحمل الأموال العظيمة والهدايا النفيسة، ولم يزل مالكًا لليمن بأسره إلى أن توفي سنة خمس[7] وأربعين ومئتين.

---

(1) (المفيد): 19.

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(3) سقط من (و).

(4) (المفيد): 20.

(5) (السلوك) 2: 478.

(6) في (و) رفضه (خطأ) أصلحناه من (ع) و(السلوك).

(7) (قرة العيون): 23 و(بغية المستفيد): 38.

فلما توفي محمد بن زياد في التاريخ المذكور: قام بالأمر بعده ولده إبراهيم بن محمد بن زياد، فقام بالأمر أتم قيام، ولم يزل مالكًا لليمن سائرًا سيرةً حسنة إلى أن توفي أيضًا، وكانت وفاته في سنة تسع وثمانين ومئتين[1].

فلما توفي إبراهيم بن محمد بن زياد في التاريخ المذكور[2] قام بالأمر بعده ولده زياد بن إبراهيم بن محمد بن زياد فلم تطل مدته، ولم أقف على تاريخ وفاته فأذكرها، فلما توفي قام بالأمر بعده أخوه إسحاق [بن إبراهيم بن] محمد بن زياد، الملقب أبو الجيش، فطالت مدته في الملك وبلغ فيه نحوًا من ثمانين سنة، فتشعثت عليه أطراف البلاد، وتغَلَّبَ عليه كثير ممن كان تحت يده.

فممن أظهر له ما يكره صاحب صنعاء وهو أسعد بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي، ولكنه كان يخطب لأبي الجيش بن زياد، ويضرب الدراهم على اسمه، ولم يكن يحمل لأبي الجيش هديةً ولا ضريبةً ولا ميرة.

وكان مبلغ ارتفاع أموال أسعد بن أبي يعفر ما يزيد على أربع مئة ألف دينار في السَّنة، يصرف معظمها في سبيل المروءة لوافديه وقاصديه.

وثار بصعدة[3] الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرَّسِّي وَتَغَلَّبَ عليها.

وامتنع[4] من ملوك تهامة على أبي الجيش الأمير سليمان بن طرف صاحب عثر[5]، وبلاده مسيرة سبعة أيام في عرض يومين وهي من الشِّرجة إلى حلي ويبلغ ارتفاعه في السَّنة خمس مئة ألف دينار عثرية، وكان مع امتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب السَّكة باسمه، ويحمل إليه مبلغًا من المال.

وكذلك الحرامي صاحب حلي [بن يعقوب][6] يحمل مبلغًا من المال إلى ابن زياد في كل سنة، ويخطب له، ويضرب السكة على اسمه، ولا يصل إليه.

---

(1) (السلوك) 2: 478 و(بغية المستفيد): 38.

(2) (المفيد): 210.

(3) انظر قيام الإمام المذكور بتوسع في سيرة الهادي: 18.

(4) (قرة العيون): 231.

(5) عثر: مدينة أثرية في الساحل من جازان، للتوسع في أخبارها انظر معجم مقاطعة جازان: 285 – 291 للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي.

(6) سقط من (و).

ولما طَعَن ابن زياد في السن امتنع منه من امتنع، وبقي في يده من البلاد من عدن إلى الشرجة - أعني شرجة حرض - وذلك نحو من عشرين مرحلة طولًا، ومن غلافقة[1] إلى أعمال صنعاء عرضًا، وذلك نحو خمس مراحل.

وروى عمارة في كتابه (المفيد)[2] **قال**: رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها، وذلك في سنة ست وستين وثلاث مئة، من الدَّنانير ألف ألف دينار عثرية[3] خارجًا عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد[4] المختلفة والمسك والكافور والسنبل[5] وما أشبه ذلك، وخارجًا عن ضرائب [العنبر][6] في السَّواحل من باب المَنْدب إلى الشِّحر، وخارجًا عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ، وعن ضرائبه على جزيرة دّهلك وهي خمس مئة وصيف وخمس مئة وصيفة من النُّوبة والحبش.

وكانت وفاة[7] الأمير أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد في سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة، وخلَّفَ ولدًا اسمه عبد الله وقيل: زياد وقيل: إبراهيم فتولت كفالته أخته بنت أبي الجيش اسمها هند، وعبد لأبي الجيش اسمه رشيد. فلم تطل مدة رشيد وهلك عن قريب.

وكان له عبد من مولدي النّوبة، اسمه حسين بن سلامة وهي أمه وكان حازمًا عفيفًا شهمًا، حسن السيرة، وكان قد رأس في حياة سيّدِه واستولى على أموره كلها، فلما مات سَيّده قام مقامه وذَبَّ عن ملك مواليه، ووزر لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت أبي الجيش، وكانت الدَّولة قد تضعضعت وتغلَّبَ ولاة الأطراف وأصحاب الحصون على ما تحت أيديهم فلم يزل

(1) غلافقة: ميناء قديم على ساحل البحر الأحمر بالغرب من مدينة زبيد (المقحفي: 1182).

(2) (المفيد): 22 وحول خراج مدينة عثر يراجع المسالك والممالك لابن حوقل: 20 (نقلا عن تعاليق كأي على المفيد: 23) (تحقيقنا).

(3) يقدر المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) الدينار العثرية نحو ثلثي مثقال. والمثقال يساوي نحو سبعة شلنات من عمله زماننا انظر تعاليق كاي على (المفيد): 23 من طبعتنا.

(4) الأعواد هنا يعني بها المراكب والسفن المترددة على البحر وربما يقصد أنواع الأطياب التي تأتي من الهند كالعود المعروف والعود الجاوي والشحري والقماري انظرها في (نور المعارف) 441 - 524.

(5) حول السنبل كمادة عطرية انظر نور المعارف: 437.

(6) سقط من (و).

(7) (المفيد): 23.

الحسين بن سلامة يغزو المتغلبين من ولاة الأطراف حتى دانوا له، وحملوا الإتاوة ودخلوا تحت الطاعة، واستوسق له الأمر، ولم تبق له مدينة ولا حصن في اليمن إلا استولى عليه، واستناب فيه من يرضاه، وعادت مملكة ابن زياد الأولى. وهو الذي اخْتَطَّ مدينة الكدراء في وادي سهام، ومدينة المعقر على وادي ذؤال وتزيًّا بالعدل، وكان حسن السيرة محسنًا إلى الرَّعية، كثير البر والصدقات، وفعل الخير، واعتمد سيرة عمر بن عبد العزيز في السلوك، وهو الذي بنى الجوامع الكبار والمنائر الطوال في المدن، وحفر الآبار الروية[1]، والقلب العادية[2]، وعمل المصانع[3]، وبنى الأميال[4] والفراسخ والبرد في الطرقات، ومبتدأ عمارته من حضرموت[5] إلى مكة نحوًا من ستين مرحلةً في كل مرحلة جامع ومئذنة وبئر، وجدَّدَ عمارة الجامع بعدن، وهو من عمارة عمر بن عبد العزيز، وعَمَرَ مسجد الجَنَد المشهور.

قال عمارة[6]: وهو مثل جامع أحمد بن طولون بمصر، وكان مسجدًا لطيفًا أول من بناه معاذ بن جبل ﵁ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، وأهل الجَنَد وما حولها من القرى يروون في فضل هذا المسجد أخبارًا كثيرةً عن رسول الله ﷺ: أن زيارته في أول جمعة من رجب تعدل بعمرة، أو قال: حجة[7].

وروى أبو سعيد المفضل[8] بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن الفقيه عامر بن شراحيل الشعبي، قال: حدثنا صامت بن معاذ الجَنَدي، حدثنا المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّه: أن النَّبي ﷺ قال: «تشدّ الرحال إلى أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، ومسجد الجَنَد».

(1) زيادة من (و) وهي كذا في (المفيد): 25.

(2) القلب العادية: جمع قليب معروف والعادي أي من أيام عاد لقدمها (المصباح المنير: 43).

(3) المصانع: القلاع والحصون ويعني هنا السقايات التي تتخذ للشرب.

(4) أي وضع علامات على مسافات الطرق.

(5) في (المفيد): 25 فأوله شبام وتريم مدينتنا حضرموت.

(6) (المفيد): 25.

(7) هذا من كلام عمارة في (المفيد): 25 وفيه نظر عند أهل الحديث.

(8) الأصل (الفضل) والإصلاح من (السلوك) 1: 148 وانظر ترجمة المفضل في طبقات ابن سمرة: 69 والتقييد لابن نقطة: 1:460 والعبر للذهبي 2: 137 والعقد الثمين للفاسي 2: 266 ولسان الميزان 6: 81.

قال الحافظ ابن ميسره: ليس فيه كذاب ولا متروك، وكان بعض الفقهاء يقول: لا ينبغي رد هذا الخبر[1].

قال عمارة: وللحسين بن سلامة في طريق مكة العليا عدة مآثر، منها: جامع الجؤة، ثم مسجد الجَنَد المذكور أيضًا، ثم ذي أشرق، [ثم إب، ثم النقيل][2]، ثم ذمار، ثم ما بين ذمار وصنعاء مسافة خمسة أيام في كل مرحلة منها بناء، ثم جامع صنعاء وهو جامع عظيم ثم من صنعاء إلى صعْدَة عشرة أيام في كل مرحلة من ذلك جامع، ثم من صعدة إلى الطائف في كل مرحلة من ذلك جامع، ثم عَقَبَة الطائف وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة، عَمَرَهَا حسين بن سلامة عمارةً متقنةً، يَمْشِي في عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها، فهذه الطريق العليا.

وأما طريق[3] تهامة فإنها تفترق طريقين: ساحلية ووسطى، وهي الجادة السلطانية[4] في كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع وبئر، فمن الساحلية: المخنق وهي على ليلة من عدن له فيها بئر طولها أربعون باعًا[5]، وجامع [المشهد[6]، ثم العارة[7]، ثم عبرة، ثم السقيا جامع وبئر طولها أربعون باعًا، ثم باب المندب، ثم][8] المخا، ثم السَّحاري، ثم الخوهة، ثم الأهواب، ثم غلافقة، ثم منعة، ثم الحردة، ثم الزرعة، ثم الشرجة، ثم المفجر، ثم القيديرية[9]، ثم عثر، ثم من[10] أبيض، ثم الدومة، ثم حمضة، ثم ذهبان، ثم حلي، ثم

(1) للعلامة بدر الدين الحسين بن عبد الرحمان الأهدل رد وتمحيص لهذه الرواية حول فضل مسجد الجَنَد وقال: الصواب رد هذه الزيادة في كون مسجد الجند رابعاً لما ثبت في الصحيحين الثلاثة فقط انظر (تحفة الزمن للأهدل 1: 102 (تحقيقنا).

(2) زيادة في (و) وانظر (المفيد): 25.

(3) (المفيد): 26.

(4) الجادة السلطانية: الطَّريق العام المسلوك.

(5) (المفيد): ثمانون ذراعا.

(6) كذا في الأصل و(قرة العيون): 234 وفي (المفيد): 26 (جامع مستهدم).

(7) العارة: منطقة شرقي باب المندب (المقحفي: 990) ويحقق مع الفازة بالفاء وألف ثم زاي وهاء: مرسى على البحر الأحمر غربي مدينة زبيد (المقحفي: 1201).

(8) سقط من (ع).

(9) (المفيد) القيدير و(قرة العيون): 234 (العندرة) تحقق أسماء هذه المواضيع.

(10) في (ع) عرين أبيض (يحقق) وفي المفيد: 78 «بيض».

السرين[1]، ثم جدة، فهذه سائر السواحل.

وأما الطريق الوسطى: فذات الحبيب[2]، ثم موزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد، ثم فشال، ثم الضجاع بكسر الضاد المعجمة ثم القحمة، ثم الكدراء، ثم المهجم، ثم مور، ثم الواديان[3]، ثم جيزان، ثم الساعد، ثم تعشر[4]، ثم المبني[5]، ثم رباح، ثم الهجرة.

ثم تلتقى طريق الجادة بالساحلية ويفترقان من السرين، وبينهما وبين مكة خمسة أيام، فأول ما تلقى من عمارته بئر الرياضة، ثم سبخة الغراب، ثم الخبت، ثم يرد الناس في وادي يلملم، وهو ميقات أهل اليمن وبه بئر من عمارته[6]، ثم بئر آدام[7] وهي بئر روية طولها عشرة أبواع[8] وعرضها خمسة أبواع.

ثم تفترق الطريق، فمن أراد مكة ورد من عمارته بئر البيضاء ثم القرين[9]، ثم مكة، ومن أراد عَرَفَات ورد من عمارته بئر الوادي الرحمة، ثم نعمان، ثم عرفات، وله مسجد على جبَل الرحمة بعرفات.

وكان حسن السِّيرة، صالح السريرة.

ويروى[10]: أنه خرج من مدينة زبيد يريد الكدراء فتظلَّم إليه إنسان من أهل مور، وزعم أنه سرقت له عيبة[11] فيها ألف دينار في وادي مور أو قال: ألفا دينار فأجلسه مع خواصه، وقام إلى الصَّلاة فأطالها، ثم نام في المحراب ساعةً، ثم انتبه.

---

(1) السرين بلد انظره في النسبة إلى البلدان لبامخرمة: 238 ومعجم مقاطعة جازان: 218.

(2) كذا في الأصل و(قرة العيون): 234وفي (المفيد) 78: «الخيف».

(3) يعني بهما رمع وسهام.

(4) في (ع) تعشر.

(5) في (ع) المبنى وفي (قرة العيون) (المطبوعة): 235 (الميناء).

(6) يعني من عمارة الحسين بن سلامة.

(7) بئر آدام: على طريق حاج اليمن لبني شعبة من كنانه (معجم البلدان لياقوت1: 125).

(8) أبواع: جمع باع: قدر مد اليدين والبوع جمعه أبواع (المكاييل والأوزان للدكتور محمد الجليلي: 41 ط دار الغرب).

(9) في (ع) القرين و(قرة العيون) (المطبوعة): الفريق.

(10) (المفيد): 27.

(11) عيبة: وعاء من جلد ونحوه.

قال الراوي: سمعته يقول لرجل من قواده: امض مع هذا إلى القرية الفلانية على السَّاحل فخذ ماله من فلان بن فلان من غير أن تؤذيه، فإن رسول الله ﷺ شفع إليَّ فيه في النوم[1]، وأخبرني أنه ينتسب إليه، وهو الذي عرَّفني بصورة الحال.

وأخبار الحسين بن سلامة في اليمن مخلدات بل مجلدات وكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة، وتوفي سنة اثنتين وأربع مئة،[2] وقيل: سنة ثلاث، قاله الجَنَدي[3]، والله أعلم.

وهو أول من أدار سورًا على مدينة زبيد، حكي ذلك في كتاب (المستبصر[4]) نصًا، وفي غيره مفهومًا، ثم أدار عليها[5] سورًا آخر الوزير أبو منصور مَنَّ الله الفاتكي في سنة بضع وعشرين وخمس مئة وسأذكره في موضعه من الكتاب ثم بني السور الثالث[6] في أيام بني المهدي، ثم بنى السور الرابع[7] سيف الإسلام طغتكين بن أيوب.

ولها أربعة أبواب[8]: باب المشرق وهو المسمَّى بباب الشبارق[9] ينفذ إلى الشَّبارق، وهي قرية من قرى وادي زبيد، ثم إلى حصن قوارير وغيره. وباب إلى المغرب وهو الذي يسمى الآن باب النخل[10]، وكان من قبل يسمى باب غلافقة وإلى الأهواب وغلافقة على ساحل البحر، كان بندر مدينة زبيد، وهي قرية عظيمة مشهورة قد خربت الآن، وانتقل البَنْدر إلى قرية الأهواب. والبندر اليوم يسمى البقعة.

---

(1) قلت مثل هذه الحكايات والمرائي التي تخالف الشرع يجب أن لا تثبت وإلاَّ فكيف لرسول الله ﷺ أن يشفع في حد شرعي وقد عرض مثل هذا في حياته ﷺ حينما جاء زيد ليشفع في المرأة المخزومية فقال ﷺ قولته المشهورة: والله لو سرقت فاطمة لقطعت يدها.

(2) في (تاريخ صنعاء) لابن جرير (تحقيقنا): 158: وفي النصف من صفر سنة ست وعشرين وأربعمائة توفي القائد الحسين بن سلامة المظفري (يحقق).

(3) (السلوك) 2: 481.

(4) انظر المستبصر لابن المجاور: 65.

(5) (بغية المستفيد): 34 (تحقيقنا الطبعة الثانية سنة 1427هـ).

(6) (بغية المستفيد): 34.

(7) (بغية المستفيد): 34.

(8) (بغية المستفيد): 35 والدرالنضيد: 481 – 484.

(9) انظر (الدر النضيد في تحديد معالم آثار مدينة زبيد) لعبده على هارون: 487.

(10) (الدر النضيد): 487 وفيه: ينفذ غربا إلى غلافقه والأهواب (البقعة اليوم) وكان من قبل يسمى باب غلافقه وانظر هذا الكلام بنصه في (بغية المستفيد) لابن الديبع: 35.

وباب إلى الجهة الشَّمالية وهو المسمى باب سهام[1] ينفذ إلى وادي رمع، ثم إلى وادي سهام، وهو وَجْه المدينة وغرّتها.

وباب إلى الجهة الجنوبية، وهو المسمى باب القرتب[2] ينفذ إلى وادي زبيد، ثم إلى قرية القرتب[3]، وهي قرية من قرى الوادي في زبيد مشهورة هنالك، وكان بناء السور المذكور باللبن والطين وأبوابه وشرانيفه[4] بالآجر في الهواء نحو من عشرة أذرع.

وقال في كتاب (المستبصر)[5] **قال ابن المجاور**: عَدَدت أبراج مدينة زبيد فوجدتها مئة برج وسبعة أبراج، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعًا، قال: ويدخل في كل برج عشرون ذراعًا، فيكون دور البلد عشرة آلاف ذراع وتسعمائة ذراع، والله أعلم[6].

قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بجوده وكرمه ومزيده: إن هذا الذي ذكره ابن المجاور غير صحيح، فإن مساحتها على ما ذكر، تسع مئة معاد[7] وخمسة وأربعون معادًا ونحو من ثلث معاد، والله أعلم لأنها مسحت في أيَّام السلطان الملك المجاهد في سنة ثلاث وثلاثين[8] وسبعمائة فجاءت ستمائة معادًا وستة وثلاثين معادًا ونصف معاد وثمن معاد، سمعت ذلك ممن أثق به[9].

قال المصنف أيده الله: ثم مسحت زبيد في الدولة الأفضلية وذلك في سنة سبع وستين وسبع مئة، وكان السلطان الملك الأفضل: يومئذ يَعْمر دار الديباج[10] في ثعبات، وكان السلطان: كثير المباشرة للعمارة، وكنت يومئذ أشتغل في الدَّار المذكور من جملة المزَخْرِفين، فباشر

(1) (بغية المستفيد): 35.

(2) (بغية المستفيد): 35 و(الدر النضيد): 487.

(3) قال في (الدر النضيد): 487 وقد اندرست هذه القرية.

(4) كذا في الأصل وفي (بغية المستفيد): شراريفه: جمع شرافة (معروف).

(5) المستبصر لابن المجاور: 74.

(6) حول أبراج زبيد انظر: (الدر النضيد): 485.

(7) المعاد في عرف اليمنيين ثمانون قصبة أولبنة وهو بقدر فدَّان مصري على التقريب (قرة العيون: 232) هامش وفي (الدر النضيد): «عشرة آلاف ذراع».

(8) في (ع) وثمانين (خطأ) وفي (بغية المستفيد): 35 سنة ثلاث وستين.

(9) هذه النص من زيادات المؤلف على الجَنَدي ولم أجده في (العقود اللؤلؤية) للمؤلف في هذا التاريخ.

(10) أشار إليه المؤلف في (العقود اللؤلؤية): 652 في حوادث سنة 770 عند ذكر هدية صاحب كاليقوط.

السلطان الأفضل: العمارة في يوم من الأيام، ووقف في المجلس الذي كنا نشتغل فيه يومئذ، فذكر بعض الحاضرين من جلسائه يومئذ علُوِّ همة الملك المجاهد: وما أبقى[1] من المآثر، وأنه الذي مَدَّن ثعبات[2] واتخذها مسكنًا، وبنى فيها جامعًا وأدار عليها سورًا، وجعل لها أبوابًا و[أبراجًا][3] وحراسًا، وجعل على الأبوابَ بوَّابين وحراسًا كمدينة زبيد. وأفرط المتحدث بذلك حتى قال: وهي أكبر من مدينة زبيد فناقضه بعض الحاضرين حينئذ، فقال: زبيد أكبر وأوسع، [ولا مناسبة بينهما][4]، فأمر السلطان الملك الأفضل: حينئذ من مسح[5] ثعبات في يومه ذلك، وأرسل إلى والي زبيد لفوره يأمره بمساحة مدينة زبيد فمسحت، وكان الذي تولَّى مساحتها يومئذ الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن السراج المعروف بأبي يزيد، والفقيه جمال الدين[6] محمد بن أبي بكر الغراس، وكانا يومئذ أبرع أهل زبيد في هذا الفن، فجاءت مساحة زبيد يومئذ ست مئة معادًا وأربعة وعشرين معادًا ونصفا، وذلك من غير اختبار[7]، وهذا كله أقرب إلى الصواب ممَّا قاله ابن المجاور، والله أعلم.

وقال في كتاب (المستبصر)[8]: أدار[9] سيف الإسلام حول السور سورًا آخر، وأمر الجُنْد أن يسكنوا فيما بين السورين بدوابهم وأولادهم، فلما فرغ من السُّور الأول توفي قبل أن يشرع في السور الثاني، والله أعلم.

---

(1) في (ع) بقى.

(2) سبق في أول الكتاب: 109: أن أول من اتخذ ثعبات متنزها هو المنصورين المفضل نحو سنة 540هـ وكان قبل الملك المجاهد جده المظفر المتوفى سنة 694هـ جعلها مسكنا له انظر (العقود اللؤلؤية): 327 (تحقيقنا) (فيحقق) وهما ربما جعلا ثعبات متنزها أما في عصر المجاهد فقد أصبحت مدينة كسائر المدن كما هو مذكور والله أعلم.

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (ع) قلت: مثل هذه المجادلة تقع غالبا بين أهل التهايم والجبال - أعني أهل زبيد وأهل تعز -.

(5) المساحة هنا هو القياس بالذراع المعروف بالمعاد كما هو مذكور.

(6) من أعيان الدولة الأفضلية توفي سنة 673هـ انظر ترجمة في (العقود اللؤلؤية): 665.

(7) زاد في (بغية المستفيد): 36 وبالإختبار ستمائة وثمانين معادا.

(8) (المستبصر): 90ط مكتبة الثقافة الدينية.

(9) عبارة المستبصر (أراد أن يدير سورا ثانيًا).

ولما مات الحسين بن سلامة في التاريخ المذكور ومات القائم من بني زياد انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفل من بني زياد.

قال عمارة[1]: وأظن اسمه عبد الله، فكفلته عَمَّة له وعبد أستاذ حبشي اسمه مرجان، وهو من عبيد حسين بن سلامة، فاستقرت الوزارة لمرجان، وكان لمرجان عَبْدان من الحبشة فَحْلان رَبَّاهما في الصِغر وولاهما الأمور في الكِبَر، يسمَّى أحدهما نفيسًا وهو الذي يتولى التدبير بالحضرة، والعبد الثاني يسمى نجاحًا وكان يتولى أعمال الكدراء والمَهْجَم ومور وبيش، وهذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشامية[2] غير زبيد. فوقع التنافس بين نفيس ونجاح عَبْدَيْ مرجان على وزارة الحضرة، وكان نفيس ظالمًا غشومًا مَرْهوبًا، وكان نجاح رؤوفًا رحيمًا، عادلًا في الرعايا، محبوبًا إليهم، وكان مرجان مولاهما يفضِّل نفيسًا على نجاح، وكان ابن زياد وعمته يفضِّلان نجاحًا على نفيس، فعلم نفيس أن ابن زياد وعمته يكاتبان نجاحًا ويفضِّلانه عليه، فشكا من فعلهما إلى سيده مرجان، فقبض عليهما ودفعهما إلى نفيس فأخذهما نفيس وبنى عليهما جدارًا، وهما قائمان يناشدانه الله عزَّ وجل حتى ختمه عليهما، وكان آخر العهد بهما، وذلك في سنة سبع وأربع مئة.

وكان نجاح يومئذ غائبًا بالأعمال الشامية عن زبيد، فكان هذا الولد من بني زياد وعَمّته آخر من ولي من بني زياد، وكان مدتهم في اليمن مئتي سنة وثلاث سنين، وذلك من سنة أربع ومئتين وهو تاريخ اختطاط مدينة زبيد إلى سنة سبع وأربع مئة، والله أعلم[3].

وقد كان بنو زياد لما علموا باختلال الدولة العباسية من قبل المتوكل وخَلْع المستعين، تغلَّبُوا على ارتفاع اليمن، وركبوا بالمظلة[4]، وساسوا قلوب الرعايا بإبقاء الخطبة لبني العباس، ولم يزالوا على ذلك إلى التاريخ المذكور، والله أعلم.

---

(1) (المفيد): 28.

(2) (المفيد): 28 (الشمالية).

(3) (المفيد): 28 وحول قائمة ملوك بني زياد انظر زامباور (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة 1: 179).

(4) من شعائر الدولة الفاطمية: عبارة عن قبة من حرير على أعلاها طائر من فضة يحمل على رأس السلطان في العيدين ونحوهما (صبح الأعشى 4: 7 – 8).

الفصل الثاني

في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح

قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول: ولما قتل نفيس مولاه كما ذكرنا تملَّكَ وركب بالمظلة وضرب السكة على اسمه، فنما الخبر إلى نجاح بما فَعَلَ نفيس، فاستنفر الأحمر والأسود من الناس، وتجرَّدَ لحرب نفيس وقتاله، وقصده إلى زبيد في جموع عظيمة، وجَمَع نفيس أيضًا جموعًا أخر، وحصلت بينهما عدة وقائع[1].

منها: يوم رِمَع ويوم فَشَال، وهما على نجاح، ومنها: يوم العقدة وهو على نفيس، ومنها: يوم العِرْقِ وفيه قتل نفيس على باب زبيد، وقتل من الفريقين نحو من خمسة آلاف، وفتح نجاح زبيد، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة اثنتي عشرة وأربع مئة.

فلما افتتح نجاح زبيد قَبَضَ على سيّده مرجان، وقال له: ما فعلت بمواليك وموالينا؟ قال: هما في هذا المكان فأخرجهما نجاح وجهَّزهما وصلَّى عليهما، وبنى عليهما في العِرْقِ، وجعل مرجان موضعهما فبنى عليه حيا، وأمر من أحضر جثة نفيس فجعلت عند مرجان، وبنى عليهما ذلك الجدار حتى ختمه.

واستولى على البلاد من التاريخ المذكور، وركب بالمظلَّة، وضربت الدّراهم باسمه، وكاتب أهل العراق وبذل الطاعة لهم، ونُعِت بالمؤيد نصير الدين، وفُوّض إليه النظر العام في الجزيرة اليمنية، وتقليد القضاء لمن يراه أهلًا لذلك. ولم يزل نجاح مالكًا لتهامة وقاهرًا لأكثر أهل الجبل، وخوطب وكوتب بمولانا وبالملك، وكان عبدًا حبشيًا معلوطًا[2] من جنْس يقال لهم: الجزل والنسبة إليهم جزلي فَضَبَطَ تهامة ضبطًا كليا، وهابته الملوك وهادته، وتغلب [عليه ولاة الجبال][3] وأهل الحصون على ما تحت أيديهم من ذلك، فتغلبت هَمْدان على

(1) (المفيد): 29.

(2) العلط: رسم في الوجه من أثر الكي ونحوه يوصف به الأحباش.

(3) سقط من (ع).

صنعاء كما ذكرنا أولًا، وتغلب بنو معن على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت وليسوا من ولد معن بن زائدة الشيباني، وتغلب بنو الكرندي وهم قوم من حِمْير، على السَّمدان وهو حصن عظيم الخطر، وعلى حصن السَّوا وحصن الدملؤة وحصن صَبرَ وحصن ذَخِر، وعلى حصن التَّعْكر، وهو الحاكم على الجَنَد ومخلاف جعفر، ومخلاف عنَّة، ومخلاف المعافر.

قال عمارة[1]: ولبني الكرندي سلطنة ظاهرة ودولة قاهرة، وتغلب أبو عبد الله الحسين بن التبعي على حصن حَبٍّ، وهو نظير التعكر،وعلى عَزّان وخَدَدِ، وبيت عز، وحصن الشِّعْر، وحصن أنور والنقيل، والسحول والشوافي.

وتغلب بنو وائل بن عيسى على وحاظة وحصونها: بريس[2] وزهران[3] ويفوز وشعب وعزان والخضراء.

وبنو وائل هؤلاء من ذي الكلاع ولهم دولة متأثِّلة، وفيهم حماقة يرون أنهم أشرف بني آدم على الإطلاق.

ومن بني وائل هؤلاء: أسعد[4] بن وائل صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض، وكان رجلًا صالحًا، يؤثر مذهب السنة على غيره، ويؤثر القُرَّاء والعبَّاد، ويؤثر عِمَارة المسجد، ويعظّم السَّلف، ويقتدي بأخبارهم، وكان سليمًا من البدعة. وتوفي مقتولًا سنة خمس عشرة وخمس مئة، وقبر في جامع الجعامي.

وتغلَّب على حصن أشيح وهو مقرُّ ملك الداعي سبأ بن أحمد الصليحي وعلى حصن ظَفِر وعلى مخاليف صعدة وحصونها قوم من هَمْدان، ثم من بكيل، وتغلَّب علي بن محمد الصليحي صاحب الدعوة على مسار، وليس في اليمن حصن يماثله إلا التَّعَكر، وحب والسَّمدان، وفي أيام نجاح ثار الصليحي في حصن مسار، وتَغَلَّب على صنعاء وأعمالها، وقد تقدم تاريخ قيامه وانتشار دعوته في الباب السابق قبل هذا.

ولم يزل خائفًا من نجاح لعجزه عن مقاومته، ثم إن الصُّليحي أهدى إلى نجاح جاريةً حسناء وحمَّلها سُمًّا وأمرها أن تضعه له في طعامه، ففعلت فتوفي نجاح بالكدراء في سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة.

---

(1) (المفيد): 30.

(2) (المقحفى): 165 وفيه «بريش» بالشين المعجمة.

(3) (المقحفى): 626 وفيه «دهران» بالدال وهو الصواب.

(4) (المفيد): 31 وابن سمرة: الطبقات: 158 و(السلوك) 1: 332 و(طراز أعلام الزمن): 498.

وكان له من الولد: سعيد وجياش ومعارك والذخيرة ومنصور، فلما توفي نجاح في التاريخ المذكور أقام أولاده بعده سنين والأمر لمولى لهم يقال له: كهلان، وهم في حَدِّ عدم الكمال، وبعضهم دون البلوغ، ولم يلبث الصّليحي أن قَصَدهم إلى زبيد واستولى على تهامة والجبال في سنة خمس وخمسين وأربع مئة، فهرب بنو نجاح إلى جزيرة دَهْلك، فأما معارك الأكبر فقتل نفسه غَبْنًا[1]، وكان سعيد الأحول وجياش رجلي البيت، وما منهما إلا من تأدب وعاشر[2].

ثم إن جياشًا تَنكَّر ودخل زبيد واستخرج وديعةً كانت له عند بعض أصدقائه، وعاد إلى دهلك. وأما سعيد الأحول فكان أكبر من جياش فإنه خرج من دهلك [مغاضبًا لأخيه جياش حين نهاه عن الغدر بصاحب دهلك، ثم كتب][3] إلى أخيه جياش يأمره بالوصول إليه ويعلمه بانقضاء[4] دولة الصليحي وإقبال دولتهم، فلما قدم جياش زبيد ظهر سعيد الأحول من زبيد في سبعين رجلًا لا فرس مع أحد منهم ولا سلاح، إلا مسامير من حديد قد ركَّبُوها في جريد النخل، فوجدوا جنديا على فرس فقتلوه وأخذوا فرسه، وكان قد شاع على ألسنة المنجمين وأهل الملاحم: أن سعيدًا الأحول بن نجاح يقتل علي بن محمد الصليحي، فبلغ العلم بذلك إلى الصليحي فاستشعره، وترقت هِمَّةَ سعيد الأحول في ذلك وتهيأ لأسبابه، وكانت أعلام الصّليحي عنده في كل وقت وحين. [ثم إن الصليحي عزم على الحج واستخلف على الملك ابنه المكرم وتوجه إلى مكة في ألفي فارس من العسكر وخمسين ملكًا من ملوك اليمن ومئة وستين رجلًا من آل الصليحي[5]]، فلما علم به سعيد خرج في إثره، وكان خروجه يوم التاسع من ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وأربع مئة.

[**وقال الجندي**[6]: من سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة][7].

---

(1) في (ع) عبثا.

(2) (المفيد): عاش.

(3) سقط من (ع).

(4) في (و) بإنفاذ.

(5) سقط من (ع).

(6) (السلوك) 2: 487.

(7) زيادة من (و).

قال جياش[1]: وسرنا في طريق الساحل خوفًا من العسكر، فكتب أسعد بن شهاب من زبيد إلى الصليحي يعلمه بخروجنا وعددنا، فلما بلغه العلم سَيَّر من ركابه خمسة آلاف حربة من الحبشة، وأكثرهم مماليكنا وبنو مماليكنا وبنو عَمَّنا. وقال: خذوا رأس الأحول ورأس أخيه، فخالفناهم في الطريق، ولم نزل نجدُّ[2] السّير ليلاً ونهارًا إلى أن دخلنا [طريق][3] المخيم والنَّاس يظنُّون[4] أنا من جملة العسكر وحواشيه، ولم يشعر بأمرنا إلا عبد الله بن محمد الصليحي، فإنه ركب فرسه وقال لأخيه: يا مولانا اركب، فهذا والله الأحول ابن نجاح والعدو[5] الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد، فركب عبد الله، وكان علي بن محمد قد دَخَلَ موضع الخلاء. قال جياش: فكنت أول من طعنه وشركني فيه عبد الملك بن نجاح بطعنة أخرى وحززت رأسه بيدي وركبت فرسه المسمى بالدبال، وحمل فينا عبد الله بن محمد أخوه وكان فارس العرب، فقتل منا رجالًا، ثم اعتنقه رجل منا فسقط إلى الأرض ونادى صاحبنا: اقتلوني أنا والرجل فشكهما الملك سعيد بحربته وحز رأس عبد الله وهو يظنه علي بن محمد، ثم ركب سعيد فرس عبد الله بن محمد ووقف والرأسان أمامه على باب المجلس[6] الذي فيه السَّيدة أسماء بنت شهاب زوجة علي بن محمد الصليحي، وقال لها: اخرجي وصبِّحي على السلطانين، فقالت: لا صَبَّحك الله يا أحول بخير، ثم أنشدت ووجهها مكشوف قول امرئ القيس[7]: [من الطويل]

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

[وكان قتله يوم الثاني من ذي القعدة][8]، قال جياش: وعَزَّت نفس الملك سعيد [الأحول][9]

---

(1) (المفيد): 83.

(2) في (ع) نجد.

(3) سقط من (و).

(4) في (ع) يعتقدون.

(5) في الاصول (العدد) وأثبتاه من (المفيد).

(6) في (ع) و(المفيد): المجلس.

(7) من قصيدة امرؤ القيس: أولها:

خليلي مرَّا بي على أم جندب نُقَضِّ لبانات الفؤاد المعذب

(8) زيادة في (و).

(9) سقط من (و).

من حينئذ، وشمخ بأنفه حتى علي، وأنا ابن أمه وأبيه، وذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السَّيدة أسماء بنت شهاب، ويعفو عمَّن قدر عليه من آل الصليحي وغيرهم من أبناء الملوك، وأن يكتب إلى ولدها المكرم: أنا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك، وحلمنا إليك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك. وقلت له: والله، يا مولانا، لئن فعلت ذلك لا نازعتك قَحْطان في ملك تهامة، ولئن كرهت ذلك لتهيّجن حفائظها ولتطلبن بثأرها، فإنهم أهل نفوس أبية، وهمم عربية، فأجابني بقول الشاعر(1): [من البسيط]

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهمًا فأتبع رأسها الذنبا

فقتل من ظفر به منهم.

قال الجندي: واستبقى ممن ظفر به منهم ثلاثة نفر: وائل بن عيسى صاحب أحاظة، وعلي بن مَعْن صاحب عدن، وابن الكرندي صاحب المعافر، ثم ارتحل إلى زبيد بعد ثلاثة أيام من الوقعة، وقد حاز ملكًا عظيمًا ومَغْنمًا جسيمًا، وغنم في ذلك اليوم ألفي فرس بِعُدَدِهَا، وثلاثة آلاف جمل، وما يتبع ذلك.

ودخل مدينة زبيد يوم السادس عشر من القعدة من السنة المذكورة، ورأس الصليحي وأخيه أمام هودج أسماء، فأنزلها بدار شحار، ونَصَبَ الرأسين قبالة طاقتها، وهرب أسعد بن شهاب من زبيد إلى المكرَّم بصنعاء، وامتلأت صدور العرب هيبةً لسعيد بن نجاح، وكاد أمر المكرم يتضعضع واستوسق الأمر بتهامة لسعيد بن نجاح وبَعَثَ بالأموال إلى الحبشة، فاشترى عشرين ألف عبد.

وانقطعت الأخبار بين المكرم وأمه أسماء، ولم يجد أحدهما رسولًا إلى الآخر حتى إنها احتالت في إيصال كتاب إليه بأن جعلته في رغيف، وجعلت في الرَّغيف ذهبًا ودَسَّتْهُ إلى فقير، وعَرَّفته أن يوصله إلى ولدها المكرم بن علي، وهي تَحَضّه فيه وتحرضه على قتال الأحول، فكان من أمره ما قد ذكرناه من تقدَّم الفقير بالكتاب إلى المكرم وإيصاله إليه، ووصول المكرم في ثلاثة آلاف فارس إلى باب زبيد وقتله للحبوش على باب الشبارق من زبيد، وهم يومئذ نيف وعشرون ألفًا.

---

(1) من قصيدة لأبي أذينة ابن عم الأسود بن النعمان الغسائي، يحرّض فيها ابن عمه المذكور (نهاية الأرب).

وفي تاريخ الجندي(1): أنهم خمسة وعشرون ألفًا أتى القتل على أكثرهم.

وهرب سعيد الأحول إلى دَهْلك، واستولى المكرم على زبيد وتولية أسعد بن شهاب على زبيد ورجوع المكرم إلى صنعاء ظافرًا منصورًا، وقد تقدم ذكر ذلك مفصلًا في أخبار الصليحيين.

ثم وصل سعيد الأحول من دهلك إلى زبيد في سنة تسع وسبعين وأربع مئة، فأخرج ولاة المكرم ولم يزل مالكها إلى أن دبَّرت الحرة السيدة على قتله في سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وقد تقدم ذكر ذلك. فلما قتل سعيد الأحول في التاريخ المذكور هرب جيَّاش بن نجاح إلى الهند، وهرب معه الوزير خلف بن أبي الطاهر الأموي. قال جَيَّاش: فأقمنا في الهند تسعة أشهر، واشتريت جاريةً هنالك، فعلقت منِّي بولد في مدة إقامتي في الهند، ثم رَجَعْنا إلى اليمن في آخر السنة المذكورة والجارية الهندية في خمسة أشهر من حملها. فلما وصلنا عدن قَدَّمت الوزير خلف بن أبي الطاهر إلى زبيد على طريق الساحل، وأمرته أن يشيع أني مُتُّ في الهند، وأن يستأمن لنفسه ويكشف لي حقيقة سعيد الأحول وعَمَّن بقي من بني عمنا من الحبشة، وصعدت إلى ذي جِبْلة فكشفت عن أحوال المكرم وما هو عليه، ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد، فاجتمعت بالوزير خلف بن أبي الطاهر فأخبرني بأحوال طابت بها نفسي من أوليائنا وبني عَمِّنا وعبيدنا، وأنهم في البلاد كثير، وإنما يعدمون رأسًا ويثورون معه.

قال جَيَّاش: وجريت على عادة أهل الهند في تطويل أظفاري وشعري، وسترت على إحدى عيني بخرقة سوداء، وكنت قريبًا من دار السلطان، فإذا افترق الناس قصدت مصطبة علي بن القم، وكان وزير الوالي من قبل المكرم، فسمعته يومًا وهو يقول: والله لو وجدت كلبًا من آل نجاح لمَلَّكْته زبيد، وكان قد وقع بينه وبين الوالي أسعد بن شهاب شرٌّ. ثم خرج ولده الحسين بن علي بن القم وهو الشاعر المشهور، وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشَّطرنج، فقال لي: يا هِنْدي تحسن تلعب بالشطرنج؟ فقلت: نعم. فتلاعبنا فغلبته، فكاد أن يسطو علَيَّ. ثم دخل على أبيه وهو مغتاظ، فقال له: غلبت في الشطرنج! فقال له والده: ما أعلم أحدًا يغلبك إلاَّ جَيَّاش بن نجاح، وقد مات في الهند. ثم خرج إلي والده وكان طبقةً عالية، فلعبت معه، فكرهت أن أغلبه، فخرج الدست مانعًا، فاغتبط بي وخلطني بنفسه، وكان

(1) (السلوك) 2: 488.

في كل يوم وليلة يقول: عَجَّل الله بكم يا آل نجاح. وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرِّقين وآمرهم بالاستعداد، حتى اجتمع في حول المدينة نحو من خمسة آلاف حربة بعضها في المدينة وبعضها في الحازة[1]. فقلت للوزير خلف بن أبي الطاهر: إن لي عند عمر بن سحيم وديعةً فخذ منه عشرة آلاف دينار وفرقها على الرِّجال الذين قد اجتمعوا معنا.

ثم إني رأيت ليلةً في النَّوم القائد أبا عبد الله الحسين بن سلامة وهو يقول لي: سيعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية. ثم التفت إلى رجل كان إلى جانبه، فقال له: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ويبقى الأمر في عقب هذا المولود برهةً من الدهر.

فلما أراد الله رجوع ذلك إلي[2] لعبت أنا والحسين بن القم، وليس معنا إلا أبوه على سرير وهو يُعلِّمُ ولده، فتراخيت له حتى غلبني قصدًا في التقرب إلى قلب أبيه، فطاش الحسين بن علي لما غلبني وسفه بلسانه فاحتملته لأبيه فمَدَّ يده إلى الخرقة التي كانت على عيني فأحفظني[3]، فقام أبوه فقَبَّح عليه فعله، وقمت مغتاظًا فعثرت، فقلت: أنا جياش[4] بن نجاح على جاري عادتي ولم يَسْمعني إلاَّ الشيخ علي بن القم، فوَثَبَ مسرعًا خلفي حافيًا يجر رداءه حتى أدركني، فأمسكني وأخرج المصحف فحَلَف لي بما طابت به نفسي، وحَلَفْت له، وليس معنا أحد. ثم أمر بإخلاء دار الأغر ابن الصّليحي، وفرشت وعلقت ستورها، ونقلت الجارية الهندية إليها، وحمل إليها وصائف ووصفان وماعون وأثاث، وعاقني عنده إلى أن أمسى الليل، ثم أذن لي في الانصراف، فجئت إلى الجارية وقد وضعت، فيما بين المغرب والعشاء، ولدي فاتك. ثم أتاني الشيخ علي بن القم ليلًا. وقال: خَبَرَنا لا يخفى على أسعد بن شهاب، فقلت: فإن معي في المدينة نحوًا من خمسة آلاف حربة، فقال: قد ملكت البلاد بلا شك، فقم وأظهر ما تريد. فقلت: إني أكره قتل أسعد بن شهاب، لأنه طالما قدر على أهلنا وذرارينا، فعفا عنهم، وأحسن إليهم، قال: فافعل ما تريد.

(1) (المفيد): 88: الحارات و(قرة العيون): 244 الحواز.
(2) في (ع) الأمر وفي (المفيد): 89 فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا.
(3) في (ع) فاختطفني وفي (المفيد) فاختطفها.
(4) في (قرة العيون): 244 فقلت: أنا أبو الطامي وكان جياش يكنى بها.

فعند ذلك أمر جياش بضرب الطبول والأبواق، وثارت معه عامة أهل المدينة وخمسة آلاف من الحبشة، فأسروا أسعد بن شهاب، فقال: ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد[1] والأيام سجال، ومثلي لا يسأل العفو، فقال له جياش: ومثلك، يا أبا حسان، لا يقتل، ثم أحسن جَيَّاش إلى أسعد بن شهاب وإلى أولاده وأولاهم خيرًا، وسَيَّره بجميع ما ملك من أهل ومال.

قال جَيَّاش: وتَسَلَّمت دار الإمارة صبيحة الليلة التي وضع فيها ولدي الفاتك، وصحَّ ما كان الحسين بن سلامة أخبرني به في النوم من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي. ثم لم يمض شهر حتى كنت أركب في عشرين ألف حربة من عبيدنا وبني عَمّنا، فسبحان المعز بعد الذلة، المكثِّر بعد القلة.

ولم يكن من المكرم بن علي في ذلك نكاية أكثر من غارات على أعمال [زبيد][2]، ولم يزل جَيَّاش مالكًا لتهامة من سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة إلى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة[3]، ثم توفي في شهر الحجة منها، وترك من الأولاد: فاتك ابن الهندية ومنصورًا وإبراهيم وعبد الواحد والذخيرة ومعاركًا. وقيل: كانت وفاة جياش في شهر رمضان من سنة خمسمائة، وكان يلقب بالعادل، ويكنَّى أبا الطامي، وكان متَّصفًا بالعلم، وله شعر رائق.

قال عمارة[4]: رأيت ديوان شعره مجلدًا ضخمًا، وله ترسل متوسط بعيد من الكلفة، رأيت منه عدة مجلَّدات، وهو الذي صَنَّف كتاب (المفيد في أخبار زبيد) وهو كتاب متسع الإفادة، وقد قلَّت نُسخه في البلاد، وربما عدمت في أكثر الجهات.

قال الجَنَدي[5]: وفي رسالته التي كتبها إلى معلِّم ولده ما يدل على كماله، وهي: الأمانة ديانة تحرَّم فيها الخيانة، والمرء مرتهن لمعاده، فإن راعى فَمَرْعِي، وإن أضاع فمُجْزِي، فكن أيَّدك الله عند ظنِّي بك، والحازم يوصي بالمال من قِبَلِه، وأنا أوصيك بمن أكتسب المال له، واستصفيك فاصف [ذهنك][6] لوصايتي، واستكفيك فيما أمرتك به عن كفايتي،

---

(1) في بغية المستفيد: 50 «أن نواخذ».

(2) سقط من (ع).

(3) سقط من (و).

(4) (المفيد): 128.

(5) (السلوك) 2: 506.

(6) سقط من (و).

فخذه بالتعبيس والابتسام، وعَلِّمه وقار القعود وعدل القيام، ولا تسئمه بطول المكث بين يديك، ولا ترخِّص له في الإبطاء إن استأذنك، ورِضْهُ بالصلوات في أوقاتها ليمرَّنَّ على أداء مفترضاتها، وعَلِّمه إسباغ الوضوء من ابتدائه إلى انتهائه، وإذا أراد الكتب فشق[1] قلمه وصور وَضْع الخط بمثال التَّصوير في مواضعه، وعَلِّمه الفرق بين الواوات والقافات، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح، ولا من أقلامه غير العقد الصحاح، وعَلِّمه كتاب الله، فإنه الحَبْل المتين، ولا ترخص له في نسيانه، فإنه الخسران المبين، وعَلِّمه قراءة أبي عمرو، فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر، واختر له مذهب الشافعي محمد بن إدريس رحمة الله عليه، فإذا بلَّغني فيه الله المأمول جزيتك الحسنى بمشيئة الله، والله يبلغنا وإياك، ويسعد عقبانا وعقباك، والسَّلام الجزيل على المؤدب الجليل، ورحمة الله وبركاته[2].

ومن شعره: [من الطويل]

إذا كان حلم المرء عون عدوِّه … عليه فإن الجَهْل أولى وأروح

وفي الصَّفح ضُعْف والعقوبة قُوَّة … إذا كنت تعفو عن قليل[3] وتصفح

ومما أجاد فيه قوله أيضًا[4]: [من الطويل]

كثيب نقًا من فوقه خوط بانة … بأعلاه بَدْر فوقه ليل ساهر

وأما (مفيده) فعزيز الوجود.

ولم يزل جياش [مؤمن][5] القول والعمل إلى أن قَتَل الحسن بن أبي عقامة، فَنَفَرَ الناس عنه، وحذروا منه[6].

وكان السبب في قتله أن جَيَّاشًا خطب امرأةً من الفرسانيين أهل موزع لما بَلَغَهُ من حسنها وجمالها، فنَدَب الحسن بن أبي عقامة لخطبتها، فتقدم إلى أهلها وأعلمهم بالرِّسالة، فأجابه

(1) في (ع) فسوس.
(2) (المفيد): 129.
(3) (المفيد): كفور.
(4) (المفيد): 129.
(5) سقط من (ع) وفي (السلوك) 2: 507 مرضي القول.
(6) في (ع): فتغير باطنه عليه.

بعضهم إلى ذلك وكَرِهَ آخرون، ثم إن بَعْضهم استشاره فأشار عليهم بالتَّرك خوفًا من السُّبة عليهم، لأنهم يرجعون جميعًا في النسب إلى تَغْلب، فأصرُّوا على الامتناع، فرجع الحسن إلى جيَّاش فأخبره بامتناعهم، فلم يزل جياش يستميلهم بالمال حتى أجابوه وزوَّجوه بها. فلما زُفَّت المرأة إلى جياش، وأقامت عنده فسألها يومًا عن سَبَبِ الامتناع من قومها، فأعلمته بمقالة القاضي فيه فتمالى عليه ثم قتله ظلمًا وعدوانًا وفي قتله يقول ابن القم[1]: [من مشطور الرجز]

أخطأت يا جياش في قتل الحسن | فقأت معتديا به عَيْن الزمن
ولم يكن منطويًا على دخن | مبرؤ من الفسوق والدَّرن
كان جزاه حين وَلَّاك اليمن | قَتْلكه ودفنه بلا كفن

ولما قَتل جَيَّاش الحسن استعظم الناس ذلك لأنه كان موصوفًا بالعدل والحلم، معظِّمًا للعلماء مبجِّلًا لهم، لاسِيَّما الحسن بن أبي عقامة الذي قتله لعلمه ولفضله، ولأنه كان أحد الأسباب لجياش في أخذ الملك بتهامة.

ولما توفي جيَّاش في التاريخ المذكور ولي الملك بعده بتهامة ولده فاتك بن جياش - وهو ولد [الجارية][2] الهندية - فخالف عليه أخوه إبراهيم بن جياش، وكان فارسًا شجاعًا، جوادًا، متأدبًا فاضلًا، وخالف عليه أيضًا أخوه عبد الواحد بن جياش وكان العسكر تحبِّه، فحصل بين بني نجاح عدة وقائع، وافترقت بينهم عبيد أبيهم وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بن جياش بأخيه عبد الواحد فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه.

وأما إبراهيم بن جياش فنزل بأسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي ففعل معه من الإكرام ما لم يسبقه إليه أحد، وكانت عبيد فاتك بن جيَّاش قد عظم شأنها، واشتدت شوكتها. وتوفي فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمس مئة، وترك ولده منصور بن فاتك بن جياش دون الحلم، فملَّكَه عبيد أبيه، وحشد إبراهيم بن جياش بعد موت أخيه فاتك بن جياش وهَبَطَ إلى تهامة، فالتقى هو وعبيد أخيه فاتك وكان وقعتهم بالهويب[3] من وادي زبيد، فلما خَرَجَ عبيد فاتك

(1) (المفيد): 140.

(2) سقط من (و).

(3) الهويب والاهواب: الرستاق المتصل من جبل زبيد إلى البحر (بغية المستفيد: 69) وانظر المستبصر: 247.

من زبيد إلى الهويب لقتال إبراهيم بن جياش، وخلت زبيد منهم ثار عبد الواحد بن جياش في زبيد فملكها، وحاز دار الإمارة، وخرج الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك، وأَدْلَوْه من سور البلد خوفًا عليه من عبد الواحد بن جياش حين ملك زبيد. فلما رأى إبراهيم بن جياش أن أخاه عبد الواحد قد سبقه على الأمر، وأنه قد ملك [زبيد] وكانت العساكر[1] تحبَّه أيس من الملك، وتوجَّه إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحجوري وهو يومئذ بالجريب، وبنو أبي الحفاظ من بني حارث بن شراحيل بطن من هَمْدان.

ولما خرج منصور بن فاتك بن جَيَّاش من زبيد خوفًا من عمه عبد الواحد بن جياش سار في عبيده وعبيد أبيه حتى نزلوا بالمفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التَّعَكر وبالسيدة الملكة الحرة بنت أحمد الصليحية، فأكرما مثواهما، والتزم عبيد فاتك للمفضل بربع البلاد على أن يَنْصرهم على عبد الواحد [بن جَيَّاش][2]، فسار معهم المفضل ناصرًا لهم على عبد الواحد بن جياش فأخرجه من زبيد وملَّكها لهم، وذلك في سنة أربع وخمس مئة. ثم همَّ المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك البلاد [عليهم][3]، فبينا هو يؤامر نفسه في ذلك إذ بلغه أن حصن التعكر قد ملكه جماعة من الفقهاء واستولوا عليه، فخَرَج المفضل من زبيد لا يلوي على شيء يريد التعكر، فكان من أمره ما كان وقد تقدم ذكره في الباب السابق من قتله نفسه بالسّم لما رأى حظاياه بين الرجال في مصبغات الثياب، وهن يغنين بالطارات في أيديهن.

واستقر الملك لمنصور بن فاتك بن جياش و[لعبيد أبيه][4] من التاريخ المذكور. فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء، إلى أن توفي منصور بن فاتك بن جياش، [ولم أقف على تاريخ وفاته.

ولما توفي منصور بن فاتك بن جياش][5] - كما ذكرنا - ولي الأمر بعده ولده فاتك بن منصور، وهو ولد الحرة الصَّالحة عَلَم، فأقام في ملكه من غير منازعة ولا تغيير إلى أن توفي، رحمه الله، وكانت وفاته في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، ولم يكن له عقب. فاتفق رأي

(1) سقط من (و).

(2) زيادة من (ع).

(3) سقط من (و).

(4) سقط من (ع).

(5) سقط من (ع).

الجماعة على إقامة ابن عَمِّه فاتك بن محمد بن فاتك بن جَيَّاش، فأقاموه وهو ضعيف العزم قليل النظر في السياسة، غافلًا عن النَّظر في إصلاح المملكة، منهمكًا في اللهو واللعب والشراب والفساد والفسق، وتَفْريق الأموال في غير مواضعها. فلم يزل هذا دأبه إلى أن قَتَله عبيده في سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، وعند ذلك آلت الدولة[1] إلى علي بن مهدي القائم باليمن في شهر رجب من سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وسأذكر قيامه في موضعه من الكتاب، إن شاء الله تعالى.

قال علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله[2]: ولم يكن لولاة فاتك بن جَيَّاش من الأمر سوى النَّواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس، والسِّكة والركوب بالمظَلَّة في أيام الموسم، وعقد الآراء في مجالسهم. وأما الأمر والنَّهي والتَّدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء، وهم: عبيد فاتك بن جياش، وعبيد أبيه منصور بن فاتك، وهم وإن كانوا حَبَشَة فلم تكن العرب تفوقهم في الحسب إلاَّ بالنَّسب، وإلا فلهم الكَرَمُ الباهر والعزّ الظاهر، والجَمْع بين الوقائع المشهورة والصَّنائع المذكورة، وسنذكر أخبار الوزراء في الفصل التالي بعد هذا إن شاء الله تعالى، وبه التوفيق.

---

(1) في (و) وعنه زالت.

(2) نقلا عن (المفيد): 92.

الفصل الثالث

في ذكر الوزراء آل نجاح

قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول: كان أول من ولي الوزارة من آل نجاح[1]: قسيم الملك أبو سعيد خلف[2] بن أبي الطَّاهر الأموي المَرَواني، وكان من أفراد الدَّهر نبلاً وفضلًا، وصحب جيَّاشًا حين زال ملكه، ودخل معه الهِنْد وعاهده أن الأمر إذا عاد إليه قاسمه في الملك، فلَمَّا عاد الملك إلى جَيَّاش - كما ذكرنا أولًا - استوزره وسَمَّاه قسيم الملك، ولم يزده على هذا الاسم [حياء][3]، ولولاه ما تَمَّ لجياش ما تمَّ، ثم حَصَلَتْ الوحشة بينه وبين جياش، فهَرَب منه فكتب إليه جياش يستعطفه ويَسْتَخْبِره عن أحواله، فأجابه بشعر[4]: [من الطويل]

إذا لم تكن أرضي لنفسي[5] معزةً ... فلست وإن نادت إليَّ أجيبها
ولو أنها أضْحت كرَوْضَة جنَّة ... مع الطِّيب لم يُحْسن مع الذِّلِّ طيبها
وسرت إلى أرض سواها تعزني ... وأن كان لا يعوي من الجَدْب ذيبها

فلما مات جياش بن نجاح في سنة ثمان وتسعين وقيل: في سنة خمس مئة ولي الملك بعده ولده فاتك بن جَيَّاش فلم تطل مدته في الملك، فكانت وفاته سنة ثلاث وخمس مئة، ولم يكن في ولده من بلغ الحلم، فأقام عبيده بأَمْر المملكة، ومَلَّكوا ولده منصور بن فاتك بن جياش، وضَبَطوا مملكته وساسوا دولته. وجعلوا له وزيرًا [منهم][6] وهو أنيس الفاتكي،

---

(1) كذا في الأصل وفي (قرة العيون): 249 (كان أول من ولي الوزارة لآل نجاح).

(2) (المفيد): 186.

(3) كذا في الأصل ولم ترد هذه اللفظة في (المفيد): 186 ولا في (السلوك) 2: 214 ولا في (قرة العيون): 249 (يحقق مصدرها).

(4) (المفيد): 187 وانظرها في الوافي بالوفيات للصفدي 13: 359.

(5) (المفيد) (العرضى).

(6) زيادة من (ع).

وكان جَبَّارًا غشومًا مهيبًا جوادا[1] شجاعًا مشهورًا، وله في العرب عدة وقعات تحاموا تهامة من أَجْله، وهو من بطن من الحبشة يقال لهم: الجزل، ومن هذا البطن الملوك بنو نجاح.

ثم طغى أنيس وبنى دارًا واسعة فيها حُجَرٍ كبار، أَرَضِيَّة[2] واسعة عرض كل قائمة منها ثلاثون ذراعًا، وفيها قصور واسعة وعمل لنفسه مظلَّة للركوب، وضَرَب سكَّة باسمه، وهَمَّ أن يفتك بمولاه منصور بن فاتك، فاشتهر الأمر من شانه[3] لعبيد فاتك، وفطن لذلك مولاه منْصور بن فاتك، وقد بلغ مبالغ الرِّجال، فدَبَّروا عليه الرأي حتى عمل مَنْصور بن فاتك وليمةً في قصر الإمارة، واستدعى إليه وجوه دولته، واستدعى الوزير أنيسًا إليه فلما حصل عنده أَمَرَ به فقتل وقطع رأسه للفور، فاستصفى منصور بن فاتك أمواله وحريمه، فممَّن صار إليه بالابتياع من ورثة أنيس جارية مغنية يقال لها: عَلَم، فاسْتَوْلَدَهَا منصور بن فاتك ولدًا، وهو فاتك بن منصور بن فاتك وهو الذي ورث الملك بعد أبيه.

وكانت الحرة عَلَم[4] من ذوات العقول والأديان، وجَعَلَ الله فيها[5] من الخَيْر والسَّداد والتوفيق والبركة للمسلمين ما يجاوز حَدِّ الوصف، وكانت كثيرة الحجِّ والصدقة، تحجُّ بأهل اليمن بَرًّا وبحرًا في خفارتها من الأخطار والمكوس[6]. وجعل إليها سَيِّدها منصور بن فاتك بن جياش تَدْبير مملكته، فكان لا يقطع أمرًا دونها، وكانت تجلُّ الفقهاء والعُبَّاد وتحترمهم، وهي التي سامحت علي بن مهدي حين بلغها اجتهاده في العِبَادة، وربَّما بَلَغها بنفسه وتَعَرَّض لها[7] وأَلَحَّ وسألها أن تسامحه وأهله فيما تحت أيديهم من الأراضي، فأجابتهم إلى ذلك حتى كسبوا الخيل والأموال، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكانت وفاتها في سنة خمس وأربعين وخمس مئة.

وكان قتْل أنيس في سنة سبع عشرة وخمس مئة، وهو أَوَّل وزير في الحبشة طغى وبغى وتَجَبَّر، وأول وزير قتل جَهْرًا.

---

(1) في الأصل خوافا وأصلحناه من (المفيد): 92.

(2) في (ع) حجار كبيرة رصينة.

(3) في (ع) من ندمائة.

(4) (المفيد): 93.

(5) سقط من (و).

(6) جمع مكس (معروف) ويعني: أنه لا يوخذ منهم ضرائب على أموالهم أثناء مرورهم على الموانىء.

(7) في (ع) ويعرض لها بالحج.

ثم استوزر[1] منصور بن فاتك بعده الشَّيخ أبا منصور مَنَّ الله الفاتكي، وكان من كرام الوزراء وأعيانهم في الشَّجاعة والكرم، وعلوِّ الهمة، وإجازة الشعراء، وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد وقتل من أصحابه مئةً من العرب وثلاث مئة أَرْمَنِي رُمَاة، وخَمْس مئة أَسْود، وذلك في آخر سنة ثماني عشرة وخمس مئة[2]. وله وقعة أخرى مع أسعد[3] بن أبي الفتوح قُتِل فيها من العرب ما ينيف على ألف رجل، وهو الذي تَصدَّق على فقهاء الشافعية والحنفية بما أغناهم من الأراضي والرِّباع[4] والمرافق، وكان يثيب على المدح ثوابًا جزيلًا.

قال الفقيه[5] أبو عبد الله محمد بن علي التهامي[6]، رحمه الله وكان يؤدِّب أولاد المذكور قال: أذكر أني جَلَّدْتُ مِمَّا مدح به الوزير عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء وهو الذي أخرج ابن مسعود[7] الجزلي ومفلحًا الفاتكي وكانا كَبْشي الكتيبة وصاحبي الحَلِّ والعقد بزبيد فشَرَّدهما خوفه إلى الجبال [كل مشرد][8] وبخروجهما دانت له الدنيا، وعَلَتْ كلمته، وهو الذي سَوَّرَ مدينة زبيد بعد الحسين بن سلامة، وقد تَقَدَّم ذكر الحسين بن سلامة فيما مضى من الكتاب. وكانت وزارته في سنة تسع عشرة وخمس مئة بعد قَتْل منصور بن فاتك [أنيسًا][9]، فشمخت أنفه على الوزارة، وسمت نفسه إلى الملك، فلم يُقَدِّم شيئًا على قتل سيده منصور بن فاتك إلّا بالسُّم، وجَعَل الملك لولده فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش، وهو ولد الحُرَّة الصَّالحة علم، وكان يومئذ طفلًا صغيرًا، ليس له أمر ولا نهي، فتَوَلَّى الوزير مَنَّ الله كفالته

(1) (المفيد): 93.

(2) انظر خبر معركة ابن نجيب الدولة مع الوزير من الله في (المفيد): 64 و(قرة العيون): 250.

(3) (غاية الأماني): 290.

(4) الرُّباع جمع رُبُع وهو الدَّار، يعني الدُّور انظر هذه اللفظة بنصِّها في (المفيد): 93 و(غاية الأماني): 290.

(5) (المفيد): 93.

(6) (المفيد): السهامي وهو الصواب.

(7) في (المفيد): أحمد بن مسعود الجزلي.

(8) زيادة من (المفيد).

(9) زيادة لا توجد في (ع).

وتدبير مملكته والقيام بدولته، ولم يكن في الوقت من [يساميه][1] ولا يساويه، فامتدت يده وطالت عينه، وعبث بالنساء من بنات الملوك وغيرهن.

قال عمارة[2]: ومات منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن جَيَّاش وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سَرِيَّة، فما سَلِمَ مِنْهُنَّ أحد من الوزير إلاَّ عَشْر نساء من حظايا منصور بن فاتك، منهن: الحرة الصالحة عَلَمُ أم فاتك بن منصور فإنها اعتزلت القصر وسكنت خارج المدينة وبنت لها دارًا لا يتطرق الوزير إليها بعذر ولا سبب، هذا والمَلك يومئذ ولدها إلا أَنَّه طفل صغير، فجعلت كفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين[3].

ومنهن: الحرة أم أبي الجيش، وهي مُوَلَّدة وكان لها بنت من منصور بن فاتك، فلهذا قيل لها: الحُرَّة بسبب هذه البنت[4]، وكانت فائقةً في الحسن والغناء، وتَزَوَّج بنتها السلطان عبد الله بن أسعد بن وائل الوحاظي التي رزقتها من منصور بن فاتك.

ومنهن: الحرة رياض.

ومنهن: الحرة أم أبيها[5]، ومنهن: جنان الكبرى.

ومنهن: تمنى[6]، وما أدراك ما تُمْنى جمالاً وإجمالاً! ولم يكن للحُرَّة علم أم فاتك بن منصور [ضرة][7] سواها.

ولما أراد الله هلاك الوزير مَنَّ الله حاول بنت معارك بن جياش وراودها، وكانت موصوفةً بالحسن والجمال، فافتدت نفسها منه بأربعين بكرًا من جواريها، فأبى عليها، فكشفت أمرها إلى عَمِّها فاتك بن جَيَّاش وعَبِيْدِ ابن عَمِّها منصور بن فاتك.

---

(1) سقط من (ع).

(2) (المفيد): 93.

(3) (المفيد): 94. ولقب الأستاذين جمع أستاذ يطلق غالبًا على الخصيان والغلمان والطواشية وللتوسع انظر (الألقاب الإسلامية لحسن الباشا 1: 139).

(4) أي أنها أصبحت أم ولد وحكمها حكم الحرة.

(5) في (و) أم البهاء خطأ وفي (ع) أم ابنها وأصلحناه من (المفيد): 94.

(6) في (ع) يمنى.

(7) زيادة من (المفيد): 210.

فلم يغنوا في أمرها شيئًا، ولم يقدر أحد على دفعه[1] فيما يريد، وكان مهيبًا. فقالت الحرة أم أبي الجيش: أنا أكفيكم أمره وأحتال لكم في قتله، وإن لم نقتله فَضَحَنَا في أنفسنا وأولادنا، ثم استخرجت معارك بن جياش من قصر الإمارة إلى عندها، ثم أرسلت إلى الوزير مَنَّ الله تقول له: إنك أسأت السُّمعة عليك وعلينا فيما تقدم، ولو أنك أعلمتني خَدَمَتْك خدمة أتم خدمة، ولم يعلم بأمرك أحد، ففرح بذلك وتواترت الرَّسائل بينها وبينه حتى قال لها: إني عازم الليلة هذه على زيارتك متنكرًا، فقالت لرسوله: إن الله قد أَجَلَّ قدر الوزير عن ذلك، بل أنا أزوره في داره، فلما كان بعد العشاء الآخرة خرجت إليه فأمست عنده ومَكَّنَتْهُ من نفسها، فلما فرغ منها مَسَحت مذاكيره بِخِرْقَة فيها سُمّ قاتل، وخرجت مسرعةً إلى منزلها، فمات من ساعته فدفنه ولده منصور في إصطبله وسوى به الأرض، وغيب قبره، فلم يعرف له قبر.

قال علي بن الحسن: وسمعت غير واحد من الناس يحكي: أن قَبْره في المَسْجد الذي هو في الناحية المعروفة بالحَدِّ من مدينة زبيد المعروف في وقتنا هذا بمسجد ابن الرداد[2]، وكان يعرف قبل ذلك بمسجد ابن مَنَّ الله عند كافة الناس، لا يعرف بغير ذلك، فلما تَشَعَّثَ المسجد سعى في عمارته الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن أبي بكر الرداد[3] عرف به ونسب إليه، وإنما هو [لعله] مسجد[4] ابن مَنَّ الله. وأخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد قال: سمعت أبي[5] يقول: إن في المسجد المذكور قبرًا في الناحية الشرقية منه فيما بين المقدم والمؤخر، وإنه قبر الوزير من الله الفاتكي. وكانت وفاته ليلة السبت الخامس من شهر جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وخمس مئة، وكان له ولد من الأخيار، وأظُنُّه الذي بنى المسجد المذكور، والله أعلم.

قال عمارة[6]: ولم يكن في الوزير مَنَّ الله الفاتكي خَصْلة يذمّ بها غير فسقه بالنساء. ولما

(1) في (ع) يوقفه.
(2) لم يرد ذكره في (الدر النضيد) عند ذكر مساجد زبيد: 503 - 603.
(3) ترجم له المؤلف في (طراز أعلام الزمن): 260 وعاش صاحب الترجمة بعد المؤلف نحو عشر سنوات توفي سنة 821هـ.
(4) زيادة من (ع).
(5) كذا في (و) وفي (ع) قال: سمعت أن في المسجد - (بحذف لفظة أبي).
(6) (المفيد): 55.

توفي الوزير المذكور في التاريخ المذكور جعلت الحرة علم أَمْر الوزارة إلى القائد زريق الفاتكي، وكان شجاعًا كريمًا.

قال محمد بن عبد الله اليافعي[1]: وكان كاتب زريق رأيت زريقًا يوم الخشعة وكان يومًا مشهورًا بينه وبين القائد أبي محمد مفلح الفاتكي، وقد استخرجت منه تسعة أرماح، وهو مضاعف بين درعين، فحَصَدَ[2] أكثرها بسيفه، واندق منها فيه رمحان وهو ثابت في سرجه ومفلح ينادي: اعقروا به الفرس ليسقط إلى الأرض، فحمل على مفلح فضربه ضربةً وقعت على مقعد الردف من الفرس فقسمت الفرس نصفين، وسقط مفلح إلى الأرض، فلولا بنو مشعل ردَّتْ عليه لما قام من سقطته.

وأما كرمه فكان أكثره على الشعراء، ولم يكن في زمانه من يَقْدرُ على ما يقدر عليه من الأكل، حتى كان يضرب به المثل في الأكل، ولم يكن له نفاذ[3] في سياسة العسكر ولا خِبْرة بإقامة نواميس السَّلطنة، فلم يلبث في الوزارة إلا مدةً يسيرةً حتى استقال منها، واستدعى لها الوزير أبا منصور مفلح الفاتكي، وكان غائبًا في الجَبَل. فلمَّا وصل تولَّى الوزارة[4].

وكان للوزير زريق من الولد ثلاثون ولدًا ذكورًا وإناثًا، فلمَّا توفي تناسخت فريضته وفريضة من مات من أولاده وأولادهم قَبْل القسمة، فانتشرت واتَّسعت حتى عَجِزَ كثير من العلماء عن قسمتها. وكان الوزير مفلح والقائد إقبال والقائد مسعود الفاتكيون قد أراد كل واحد منهم أن يبتاع من ورثة الوزير زريق أراضي ورباعًا، فلم يقدروا على ذلك لعدم القُدْرة على سِهَام كل وارث منهم، وتناسخت تركتهم على إحدى وخمسين بطنًا.

قال عمارة[5]: فقدم رَجَل من أهل حضرموت يقال له أحمد بن محمد الحاسب فقَسَّم فريضتهم وصحَّحَها في بعض يوم واحد، وقد اجتمع عليها عدة من العلماء أيامًا متطاولة، فما أغنوا فيها شيئًا.

---

(1) في (و) الشافعي وأثبتاه من (ع) و(المفيد): 95.

(2) الأصل: حصل وأثبتاه من (المفيد).

(3) في (و) يعاد وانظر (قرة العيون): 251.

(4) (المفيد): 94.

(5) (المفيد): 95.

ولما ولي الوزارة القائد أبو منصور مفلح الفاتكي كما ذَكَرْنا وكان حازمًا شجاعًا كريمًا عفيفًا، وكان سحرتيا يكنَّى بأبي منصور بابن له وكان من أعيان الرجال وأهل الفضل والأدب والصباحة والسَّماحة والشَّجاعة والرياسة، كان الناس يقولون: لو كان له نسب في قريش كملت فيه شروط الخلافة، وكان عَبِيد فاتك وهم صغار يَنْبزون مفلحًا بالبَغْل، فكان يقال له: مفلح البغل، وكان لا يغضب من ذلك. ويروى عن كاتبه حِمْير بن أسعد قال: إنما كان يسمى البغل، لأنه كان يدلي آلةً مثل آلة البغل، وكان عفيفًا لم تعلم له صَبْوة في صِغَره ولا كِبَرِه.

قال حِمْير بن أسعد: ولقد أذكر يومًا أنه دعاني وهو وزير فقال: قد تنكَّد عليّ العيش بسبب ما أسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان الغَزِّي وما يوصف [لي][1] من جمالها، ولقد انسدت عليّ أبواب الحيل[2] في حصولها عندي. قال: فقلت إن كنت تريدها سفاحًا بذلت وسعي في خدمة الوزير. فقال: والله ما عصيْتُ الله بفرجي قَطُّ منذ خلقت إلى الآن؟ فقلت: فبكم يشتريها الوزير؟ قال: بكل ما يَقْترح مولاها، وكان مولاها أميرًا جليلًا كبيرًا، وكان يومئذ مقدم العسكر الغز الذين استدعاهم جَيَّاش بن نجاح لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحي، وهم أربع مئة فارس رماة، وبهم امتنعت دولة الحبشة من العرب. وكان جيَّاش قد استدعى منهم ثلاثة آلاف فارس، فلما وصلوا مكة يريدون زبيد ندم جياش على وصولهم، وعلم أنهم يخرجونه من البلاد ويستولون على الملك، فأمر على عُمَّاله فيما بين مكة وزبيد أن يطرحوا لهم السُّم فيما يأكلون ويشربون فمات أكثرهم، وخلص منهم إلى زبيد ألف فارس أو دونها، فجَهَّز منهم خمس مئة [فارس][3] إلى الجبال، فلما حَصَروا[4] في بون صنعاء دَسَّ عليهم من قتلهم بالسُّم أيضًا، وفرَّق كلمتهم، فبقي عنده بزبيد أربعمائة فارس وخمسون فارسًا، فأقطعهم ذؤال[5] وهو واد شمالي رمع، ورمع واد شمالي زبيد فلم يزل الغز يستغلون خراج هذا الوادي من سنة. [إحدى][6] وثمانين وأربع مئة إلى سنة أربع وعشرين وخمس مئة، فأثرت

(1) زيادة من (ع).

(2) في (و) الحيراء.

(3) سقط من (و).

(4) في (و) حصلوا وفي (ع) حصلوا وأثبتاه من (المفيد): 99.

(5) في (ع) ذيال.

(6) سقط من (ع).

الغز وحسنت حالتهم، وكانت رياستهم تنتهي إلى ثلاثة نفر، وهم: سولي، وطيطاس(1) وعثمان هذا المذكور، ثم مات سولي وطيطاس وعِدَّة من أصحابهم، ولم يبق من مقدَّميهم إلَّا عثمان المذكور، [وبقي](2) من أصحابهم نحو من مئة فارس. وأما أولادهم المولودون بزبيد فلم يفلحوا ولا أتى منهم بأس يتقى ولا معروف يرتجى.

قال حِمْير بن أسعد: ففكرت في حِيْلة أَتوَصَّل بها إلى غرض الوزير، فلم أجد إلاَّ أني قلت للوزير: أرى أن يأمر بِنَقْض قسمة الأعمال القديمة، فإن الرجال التي كانت تَنْفع قد ماتت، وصارت الإقطاعات في أيدي أولادهم الذين لا ينفعون شيئًا، وتَتصَلَّبُ(3) في ذلك، وتأمر الناس بالحشور(4) من الأعمال إلى زبيد وتنقل كل قوم إلى عمل آخر غير عملهم الأول.

قال حِمْير: فلما فَعَل ذلك الوزير ضاق عثمان ضِيْقًا شديدًا وضاق الأمر على كثير من أكابر [الناس وأكابر](5) الدولة، ولا كضيقة عثمان، فإن إقطاعات الغز الذين كانوا معه وماتوا صارت إليه. فلمَّا كاد عثمان أن يخرج من زبيد فيمن معه من قومه، وشَقَّ العصا دخلت عليه وشربت معه، وغَنَّتْ لي جاريته وردة وغيرها ممن كان عنده، ولم يكن أحد من أهل تهامة يحتجب عن حِمْير بن أسعد لا مغَنِّية ولا أم ولد، لأن أكثر سراريهم ومغانيهم من تربية داره وتعليمه الغناء والطَّبيخ وخياطة الثياب وعمل الطِّيب. ونادم جماعةً من ملوك الجبال، ثم نزل تهامة فاختَصَّ بصحبة وزرائها وكبرائها، وكان حلو المحاضرة، كثير المحفوظات، حسن البادرة، كثير البَذْل في ذات الله، وكان يترسل بين الملوك من الحَبَشة، ثم سكن الكدراء عند القائد إسحاق بن مروان السَّحرتي فأكرمه وخلطه بنفسه، وتوفّي بالكدراء سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة.

قال حِمْيَرُ بن أسعد: فلما دخلت على عثمان داره، وغَنَّى له جواريه وشربت عنده وأخذت النشوة منه مأخذها، قال لي: كنت حريصًا على لقائك طَمَعًا في إصلاح أحوالنا مع هذا العبد الطَّاغي، وتَرْكنا على إقطاعنا وأملاكنا التي لم نستفدها في أيامه ولا من إنعامه. فقلت له: إنه

(1) في (ع) كيطاس.
(2) سقط من (ع).
(3) تتصلب الأرض: أي أصبحت غير صالحة للزراعة.
(4) في (و) الحسود.
(5) سقط من (و).

مع ما فيه من الإعجاب والتَّكبر حسن الباطن، قريب الرُّجوع، وأنا أجتهد إن شاء الله في غَدٍ إذا عاد من الصباح على مولانا أن يظل ضيفًا لك[1]، وأنا أعلم أنه إذا أكل طعامك وشَرِب شرابك وغنَّى له جواريك، استحيى منك وخجل وعاد عَمَّا في نفسه. فكاد عثمان أن يطير فَرحًا ولم يصدق أن الوزير يزوره، وأشرت على عثمان أن يتطفل في الليل على الوزير ويركب إلى داره ويقول: ضيف، يشتهي أن يتشرَّف بالسَّماع والشَّراب. قال: فلما أمسينا ووَصَل عثمان إلينا أشرت على الوزير أن [يخرج][2] المغاني والوصائف الساقيات علينا، ففعل ذلك ووعده الوزير يكون ضيفه في غد، فحَمَل إليَّ عثمان في تلك الليلة مالًا جزيلًا. ولمَّا عدنا من الرّكوب إلى دار السلطان سِرْنا إلى دار عثمان فوجدنا أسمطةً واسعة عَدَدْت في واحد منها ثلاثين خروفًا مشويةً وثلاثين جامًا من الحلْوَى. وأما السماط الذي جلس عليه الوزير فكان في طول قاعة البستان الذي لعثمان، وهو خمسون ذراعًا، فلما رأى الوزير ذلك امتعض حَسَدًا على عثمان من همَّته وسرعة ما تأتى له من تلك الأسمطة، وكانت أربعةً، ثم فرَّق على حواشي الوزير خمس مئة خرف، وانهب العسكر تلك [الأسمطة][3]، وفرَّق على حواشي الوزير ثلاثة أبهرة[4] سُكَّر، وهي تسعة قناطير، ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب وكنا سبعةً أنا ثامنهم، وكنت السَّاقي فأسكرت الخمسة الذين حضروا، فلما سكروا انصرفوا. فقلت لعثمان إنك بهيمة لا عَقْل لك، أترى إنما زارك لأجل أكلة أو شربة، فما أقصر هِمَّتك وأعمى بصيرتك! فقال: دَبِّرني. فقلت له: اعرض ما عندك فذكر الخيل والعدد والمال والألطاف والذَّخائر، فأظهرت له في كل شيء بغضًا وقبَّحته عليه. قال: فما ترى؟ قلت: انظر هدية لا تخبّأ في الخزائن، ولا تغيب عن عينه، فإن المقصود أن يذكرك بهديتك كلما نظر إليها؟ قال: ما عندي سوى وردة وهي روحي، فإن كانت تصلح له نزلت عنها، ولو أني أموت، قلت: إن قبلها فهي مما يَصْلح. قال: فتحدَّث معه فيها، فإن قبلها فلك عندي ألف دينار، ثم أمر بإحضارها عاشرة عشر، فقبلن يد الوزير، ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه، وأوصيت الوزير أن يعرض

(1) في (ع) يصل و(المفيد): 101 أن يطيب.

(2) سقط من (و).

(3) سقط من (ع).

(4) جمع بهار: مقدار من الوزن يساوي ثلاثة قناطير، أو ثلثمائة رطل (معرَّب) وقال ابن جنى: عربي (شفاء الغليل: 66).

عن وردة، ويستحسن غيرها ففعَلَ، فكان ذلك مما قَوَّى عزيمة مولاها في قبولها. فلما سكر عثمان ونام، وسكرت النسوة، فإني كنت أريد صحوها، فقمت إلى المستراح واستدعيت وردة وأعلمتها القصة، فقالت: لا أرغب إلا في مولاي. فاستدعيت [الوزير] إلى مجلسي[1] ودخلت أنا ووردة إليه فوعدها ومنَّاها، وهَمَمْت بالخروج عنهما، فأمسكني، وقال: والله لا يكون هذا أبدًا. ثم عدنا [جميعا][2] إلى المجلس، ووالله ما ملأ عينه منها، ولا مَكَّنها من تقبيل يده عند السَّلام، فلما صحا مولاها استأذنَّاه في الخروج، وكان ذلك عند العشاء الآخرة فلم نخرج إلا ووردة بين أيدينا. فلما أصبح الصَّباح عدت إلى عثمان فأعدت إليه الألف الدينار الذي كان دفعه إلي، وسألته في ضيعة من ذؤال فوقع لي بها. وأمَّا الوزير فأحضرني ليلةً وخلع عليَّ، وقال: إن ابنتك وردة أقسمت علي لا دنوت منها حتى ترضي حِمْيرًا، فما الذي يرضيك؟ قلت: ضيعة العَبَّادي بما فيها من زروع وما فيها من أبقار، فوقع لي بها، وهي الضيعة التي لا ضيعة على من ملكها.

وكان الوزير مفلح كريمًا جوادًا، وفي أيامه قدم أبو المعالي الحباب[3] من الديار المصرية، فابتاع وصيفًا حبشيا برسم الخدمة، فهرب الوصيف وتعلَّق ببعض غلمان الوزير مفلح، فكتب أبو المعالي إلى الوزير بسبب غلامه ببيتين من الشعر وهما[4]: [من الطويل]

وأنت سحاب طَبَّق الأرض صَوْبه وعاقته عن سُقْياي إحدى العوائق[5]

فإن لم تَجِرْني هاطلات غمامه فلا تَدْن مني محرقات الصواعق[6]

فلما وقف مفلح[7] على البيتين تَنَبَّه على فضل أبي المعالي، فاستدعى الغلام فردَّه خامس خمسة من جِنْسه، ثم استدعى أبا المعالي المذكور، وأمره أن يمدح الوزير بقصيدة ففعل، ثم

(1) سقط من (و).

(2) سقط من (و).

(3) في الأصل: الخباز وأثبتاه من (المفيد): 103 وهو أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالقاضي الجليس، توفي سنة 561هـ (الأعلام4: 6).

(4) انظرهما في (المفيد) ط الإرشاد: 311.

(5) (المفيد): عوائقه.

(6) (المفيد): صواعقه.

(7) الأصل منصور بن مفلح (خطأ) صوابه أبو منصور مفلح.

أحضره إليه حين أنشده القصيدة، ووَصَله بخمس مئة دينار ووصله مَنْصور بن أفلح بثلاث مئة دينار من عنده ثوابًا على قصيدة أخرى مدحه بها، وحمله إلى مكة حرسها الله تعالى.

ولم يزل الوزير مفلح المذكور قائمًا بأمر الدولة حتى نشأ رجال من عبيد الحرة الملكة عَلَم أم فاتك بن منصور، وهم: صواب، ويمين، وريحان، وعنبر، وريحان الأكبر، فكانوا أزِمَّة[1] الدولة وأعيان الأكابر، ونشأ أيضًا من عبيدها الفحول: إقبال وبرهان وسرور وتارة[2]، وكان سرور أمير الفريقين، فكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلَّمون على لسان السُّلطان. وصار الوزير أمير السلطنة أجنبيا معهم، فعظم بهم جناب الحُرَّة واستمالوا كثيرًا من الفارس والراجل، ثم حصلت وحشة بين القائد سرور والوزير مفلح، فاحتال سرور على إخراج الوزير من زبيد فلم يجد حيلةً أحسن من مخاطبته على حَجِّ الحرة أم فاتك وتَجْهيزها بثلاثين ألف دينار. فلما خاطبوه بذلك امتنع، وقال: صَرْف المال في محاربة أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات، ولمولاتنا بالمغزل ولزمها كسر بيتها شغل شاغل عن الحج، ولم يزالوا يخاطبونه في ذلك إلى أن قال لهم: إن مولاتنا إلى غير الحج محتاجة، فانظروا فيها فإنه يسليها عن هذا. قالوا: وما هو؟ قال: شيء في طول هذا، وقبض كفه ومد ذراعه. فحدث في النفوس من هذه الكلمة شيء لم يستدركه الوزير إلاَّ بالإذن لها في الحج [وتجهيزها][3] بثلاثين ألف دينار، ويسير ولدها منصور معها إلى مكة.

ثم كان من تدبير سرور على الوزير مفلح مسيره إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات الزريعيين، فلما خرج مفلح من زبيد على ليلة منها ثار محمد بن فاتك بن جياش في زبيد على الحرة وولدها فقضى ذلك رجوع مفلح إلى زبيد. ثم دَبَّر سرور على خروج مفلح إلى عرب الزعلاء[4] والعمراني اتفقا على أعمال المهجم، وفيها يومئذ القائد مسعود[5] الكرندي، فقضى ذلك بخروج مفلح إلى المَهْجم، وهي من زبيد على ثلاثة أيام من

(1) الأزمة هنا: جمع زمام لقب يطلق على رئيس الخدام أو الخصيان في قصر السلطان (التعريف بمصطلح صبح الأعشى: 173).

(2) في (المفيد): 103 وبارة.

(3) سقط من (و).

(4) الزعلاء والزعلية: من قبائل وادي مور وأعمال اللحية من تهامة (المقحفي: 291).

(5) في (و) سرور وأصلحناه من (ع) و(المفيد): 104 وفيه: مسعود الزبيدي (يحقق).

الناحية الشمالية. فلما صار مفلح من زبيد على مسيرة يوم تَسَلَّلَ[1] الناس عنه، ورجعوا إلى زبيد وبقي في خاصته، فتَوَجَّه إلى جبال برع، وملك حصن الكرش[2] وراوح تهامة وغاداها بالغارات، وعبيد فاتك تقاتله بالمراكزة [والأموال][3]، ثم انتقل من الحصن وبقي فيه حريمه، وسار إلى عرب المَهْجم وهم بنو مشعل وبنو عمران والزعلاء، وهم يومئذ الفرسان الأنجاد، فأسكنوه حصنًا لهم يقال له: دبسان[4] على نصف يوم أو دونه من المهجم. ثم كتب إلى الأمير الشريف غانم بن يحيى[5] السليماني الحسني، وهو يومئذ صاحب مخلاف [سليمان][6] بن طرف، واشترط[7] الوزير مفلح للشريف وبني عمه إسقاط الإتاوة المستقرة عليهم لصاحب زبيد في كل سنة، ومبلغها ستّون ألف دينار. وشرط لهم مفلح أن يضيف لهم أعمال الواديين، وهي أعمال متّسعة، فصار[8] الشَّريف في ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصرًا لمفلح على أهل زبيد، فلقيهم القائد سرور، فكسر مفلحًا والأشراف الذين معه، وكَسَر العرب على المهجم. [فلما كسرهم قلده فاتك بن منصور][9] المهجم وما يليها من الأعمال الشمالية، وهو مور والواديان.

واستقر سرور بالمهجم، وعاد مفلح إلى حصن الكرش فمات به سنة تسع وعشرين وخمس مئة[10]، فخلفه ابنه منصور بن مفلح، وقام بحرب القائد سرور مدةً، والقائم بالوزارة [يومئذ][11] إقبال الفاتكي. فلما طال الأمر على منصور بن مفلح خَذَلَهُ أصحابه وتَسَلَّلُوا عنه

(1) كذا عبارة الأصل و(المفيد) وهي بمعنى انسل الناس.

(2) قصر في أعلى جبل برع من عزلة بني سليمان (المقحفي: 536).

(3) زيادة من (المفيد).

(4) بفتح الدال والباء الموحدة ثم سين مهملة وآخره نون حصن في الشرق الشمالي من المهجم (المقحفي: 245).

(5) انظر أخباره في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 135 وذكره ابن خلدون في تاريخه4: 140 وانظر تحقيق اسم المذكور بتوسع في تعاليق كاي على (المفيد): 312 ط الإرشاد.

(6) سقط من (ع).

(7) في (ع) واشترى.

(8) في (ع) فسار.

(9) سقط من (ع).

(10) (المفيد): 105.

(11) زيادة في (و).

وسئم عض الحديد(1)، وفراق الأوطان، فاستأمن منصور بن مفلح على يد القائد سرور، ودخل معه زبيد، والوزير يومئذ إقبال الفاتكي، فخَلَع على منصور وأنزله دار أبيه، فلما كان من الغد قبض عليه وقتله ليلًا بيد الوزير إقبال، فغضب الملك فاتك بن منصور على القائد سرور، وهَمَّ الملك [فاتك بن منصور](2) بالوزير إقبال، ثم أبقاه على دخن، وهَمَّ الوزير إقبال [بالملك](3)، فلم يزل يتلطف به حتى سقاه سُمًّا فمات. وكانت وفاة السلطان فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش في شعبان من سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة.

ولم يقم للوزير إقبال بعد قتل سيده فاتك بن منصور حال ترتضى، وكان قد نشأ رجال وأستاذون في دار السلطان فاتك وأمه الحرة عَلَم، فلما تحقَّقوا أن الوزير إقبال هو الذي قتل سَيِّده وسيدهم جعلوا الوزارة والتَّدبير بيد القائد أبي محمد سرور [الفاتكي](4)، فهو في الذكر ختامهم، وفي الفكر إمامهم.

قال عمارة في كتابه (المفيد)(5): وأما القائد سرور أبو محمد الفاتكي فجنسه من الحبشة أمحرة، وكل ما أوردته عنه فهو نقطة من بحر فضله ونبله. فمن مبادئ أمره: أن منصور بن فاتك لما قتل الوزير أنيسًا وابتاع من ورثته الحرة علم، واستولدها فاتك بن منصور ابتاعت لولدها من الحبشة وصفانًا صغارًا، كان سرور هذا أحدهم، فلم يَلْبث أن تَرَعْرَعَ وبرع، فولته زمام المماليك وجعلت إليه الرياسة على كل من في القصر من صغير وكبير، فساد وسَدَّد وليَّن وشدَّد، ثم ولي العرافة على طائفة من الجُنْد فملكهم بالإحسان والصَّفح عنهم، ثم ترقَّت به الحال إلى أن ولي الخطابة(6) بين السلطان وبين الوزراء الأكابر، واستغني به عن الأزمّة. وكان الزِّمام الناظر يومئذ هو الشيخ صواب، وكان يميل إلى الدين والتَّخلي للعبادة،

(1) كذا في (و) و(المفيد): 105 وفي (ع) حصن الحديد، وقد ورد هذا في شعر النابغة الذبياني ط الطاهر بن عاشور: 54

تدعو قعينا وقد عَضَّ الحديد بها ... عض الثقاف على صُمّ الأنابيب

(2) سقط من (ع).

(3) زيادة لا توجد في (ع).

(4) زيادة من (ع).

(5) (المفيد): 107.

(6) في (ع) الخلافة وفي (المفيد): الترسل.

فإذا عوتب على ذلك قال: إن القائد أبا محمد سرور هو صاحب الأمر والنهي علَيَّ وعليكم وعلى مولانا، وليس شيء يخرج عن أمره، وهو أهل أن يَتَقَلَّدَّ أمور الناس في الثواب والعقاب والحل والعقد[1].

ولم يزل القائد أبو محمد سرور يترقى به الأحوال حتى أخرج الوزير مفلحًا من زبيد كما ذكرنا آنفًا، وسببه الوحشة التي حصلت بينهما حتى مات مفلح في الجبال بعد عدة وقائع يموت في كل وقعة منهما العدد الكثير من الفريقين، حتى كانت العاقبة لسرور، ثم تَرَقَّت به الحال إلى أن أخرج إقبالًا من الوزارة وصار مكانه لأمور يطول شرحها، وكان شجاعًا مقدامًا، لا تهوله الرجال، قال [الشيخ][2] عبد المحسن بن إسماعيل وكان [كاتب][3] القائد أبي محمد سرور: أذكر وقد سار الشريف غانم بن يحيى السليماني في نصرة الوزير مفلح على سرور، وكان مع الشَّريف غانم ألف فارس وعشرة آلاف راجل، وانضم إليهم الوزير ومن معه من العساكر، فانضاف إليهما من العرب بنو مشعل، وهم أحلاس الخيل وفرسان الليل، وبنو عَمْران وبنو زعل وبنو حرام والحكميون في جموع كثيرة وَزَحَفُوا إلينا ونحن في عدد يسير، وكان القائد [سرور][4] قد كتب إلى زبيد يستنفر الناس، وكانت الوقعة بالمَهْجم وبينها وبين زبيد ثلاثة أيام، فقلت للقائد سرور: إن هذا تهور، وإنما نحن كقطرة في اليم أو لقمة في الفَمْ. فقال: أمسك عليك، فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة، ثم التقى القوم فكانت الهزيمة على الوزير مفلح والشريف غانم ومن معهما، وتضاعف خطر القائد أبي محمد سرور في نَفْس المؤالف والمخالف.

وكان قبل ذلك قد خرج الوزير مفلح والقائد سرور إلى عدن لقتال الدَّاعي سبأ بن أبي السعود، فلما صارا على نِصْف مرحلة من زبيد ثار محمد بن فاتك بن جَيَّاش بن نجاح على الحرة وعلى ولدها فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش في زبيد حين خلت من العسكر، فحاز محمد بن فاتك دار الإمارة ليلًا ووقف القراء بين يديه، وفاضت البلد عليه بالتهنئة. واستوزر حينئذ منصور بن مَنَّ الله الفاتكي، فاستعصمت الحرة هي وولدها بعلو الدار، فلما

(1) في (و) الأمر.

(2) في (ع) ذيال.

(3) سقط من (ع).

(4) زيادة لا توجد في (ع).

اتصل العلم بالقائد سرور وكان في ساقة العسكر السائرين إلى عدن اثنى راجعًا، ودخل المدينة ونادى مولاه من خلف الدار، وقال: ارموا لي الحبال، فأنا سرور فرفعه الأستاذون والنِّساء بالحبال حتى وصل إلى مولاته ومولاه فسلم عليهما، وسَكَّن روعهما، وقال: هذه العساكر خلفي متواصلة، ثم أخذ مئةً وخمسين أستاذًا فألبسهم زي الرِّجال من الدروع والسلاح وفتح الطيقان، وصاح الجميع صيحةً واحدة. هذا ومحمد بن فاتك بن جَيَّاش على سرير تحت طيقان الدار، ثم رماه بحجر فلم تخطئ وجه محمد بن فاتك، فهشمت أنفه عند تلك الصيحة [العظيمة][1]، فانهزم محمد بن فاتك هو ووزيره ومن معهم في تلك الساعة، وخرجوا من باب البلد ليلًا، ولم يصل العسكر إلا في الظّهر من صبيحة تلك الليلة.

فهذه بعض المقدِّمات الموجبات لتقدم سرور على جميع أهل الدولة، وكان كريمًا جوادًا ولي المهجم وهي كرسي ملك كبير، وكان يقيم في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان، ثم يخرج من زبيد فيصوم في المهجم شهر رمضان، ويصلح أحوال تلك البلاد، وتتَّسع نفقاته وصلاته في شهر رمضان اتساعًا يخرج عن حد الوصف.

وقال الشيخ[2] **عبيد بن بحر وزير القائد سرور**: كانت وظيفة مطبخه في شهر رمضان كل يوم ألف دينار. قال: وكنت أشاهده مدة سنين إذا جاء من المَهْجم يريد زبيد وذلك في آخر شوال، فإذا صار على قرب من المدينة انتقل[3] الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم، ويقفون له على تل عال هنالك فأول طائفة تسلم عليه الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية، فكان حين يراهم يَتَرَجَّل لهم ويسلِّم عليهم راجلًا، ولا يترجَّل لغيرهم، ثم يجيء بعدهم التجار، فإذا انصرفوا جاءت العسكرية أفواجًا، فإذا دخل المدينة وقضى حقَّ السلام على السلطان مضى على الفور إلى دار مولاته الحرة الصَّالحة علم [فإذا دخل عليها انفض من كان عندها فلا يبقى عندها أحد صغير ولا كبير إلا جاريتها غزال وهي أخت زوجته وجارية مولاها منصور وكان هؤلاء النسوة يمشون على منوال الحرة ويتشبهن في أفعالها وأقوالها][4]. فإذا وصل إلى مولاته الحرة نزلت عن سريرها إلى الأرض إكرامًا له وتبجيلًا لقدره، وتقول: أنت أبا محمد

(1) زيادة في (ع).

(2) (المفيد): 109.

(3) في (ع) اشتغل الناس بالخروج.

(4) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

وزيرنا، بل مولانا، بل رجلنا الذي لا يحُلَّ لنا أن نخرج عن طاعته في شيء. فيصيح بالبكاء بين يديها ويعفِّر خده بالأرض إلى أن تتولى رفعه بيدها عن الأرض، ثم يستأخرن النسوة الثلاث إلى طرف المجلس، بحيث لا يسمعن ما يقول، فيُضْغِي حينئذ إليها بما يريد أن يفعله من التدبير في تلك السنة من ولاية وعَزْل وإنعام وقتل. ثم لا يزال واقفًا بين يديها والثلاث النسوة واقفات حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يخرج إلى مسْجِد وهو على باب داره فيجده لا يتسع من كثرة الناس الذين لا يستطيعون الخروج إلى لقائه، فيسلّم عليهم ثم يصلّي الظهر ويدخل بيته.

قال عمارة في (مفيده)[1]: رأيت بخَطِّ كاتبه جريدة الصدقة المعتادة التي كان يدْفَعُها عند وصوله إلى زبيد للفقهاء والقضاة والمتصدِّرين في الحديث، واللغة، وعلم الكلام، والفروع اثني، عشر ألف دينار كل سنة خارجًا عن صلة العسكرية مع كثرتهم.

وحكى عبيد بن بحر وغيره: أن الهدايا التي كان يفعلها في كل سنة بِرَسْم حواشي السلطنة من الجهات[2] والأزمّة[3] ووصفان الخاص عشرون ألف دينار هديةً وصلةً خارجًا عن أرزاقهم المستقرة.

وحكى غيرهم: أن المَحْمول من أعماله إلى بيت مولاه في كل سَنَة سِتُّون ألف دينار، وأن المحمول إلى بيت مال مولاته الحُرَّة عَلَم وحواشيها وترائبها ومن يلوذ بها على وجه الهدية عشر ألف دينار، وكان يخرج إلى مسجده بعد نِصْف الليل أو ثلثه، ويقول: إنما أخرج في هذا الوقت لعَلِّي أجد أحدًا من أهل البيوتات وأرباب السِّتر الذين لا يقدرون على الوصول إليَّ بالنهار، إمَّا لكثرة الناس أو لفرط الحياء. ثم إذا صَلَّى الصُّبح ركب إمَّا إلى فقير يزوره أو إلى مريض يعوده، أو مَيِّت يحضر دفنه، أو وليمة أو عقد نكاح يحضره، ثم لا يخصُّ بذلك أحدًا دون أحد، بل يفعله لكل من يعرفه وكل من دعاه أجابه صغيرًا كان أو كبيرًا. وكان المتظلِّم من الرعية يجفو عليه ويفحش له[4] في القول وهو آمن من غرته [وعقوبته] وغضبه

(1) (المفيد): 110.

(2) جمع جهة زوجات الأمراء ونساء الحاشية. للتوسع في الموضوع انظر الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: 248 – 250).

(3) جمع زمام سبق شرحه.

(4) في (ع) يحقق.

وسورته[1]، وكان إذا دُعِي إلى مَحْضَر[2] الشرع حضر ولا يوكِّل كما يفعله بعض الجبابرة بل من دونهم من أهل عصرنا، ثم كان إذا حضر قَعَدَ بين يدي الحاكم تواضعًا ودخولًا تحت أوامر الشرع ليقتدي به غيره.

وكان مُحِباًّ للعلماء والفضلاء، وكان إذا رجع بعد الرّكوب للزيارة والعيادة - كما ذكرنا - يَصِل إلى دار السلطان فيدخل ويسلِّم، ثم يقف بباب السلطان فيقضي حوائج النَّاس على أكمل الأحوال، فإذا كان وقت الغداء رَكب إلى بيته فقال[3] فيه إلى وقت الزَّوال. ثم يخرج إلى المسجد في أول زوال الظل فلا يشتغل بعد الفريضة بشيء سوى المسندات[4] الصَّحيحة عن رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر، فإذا صَلَّى العَصْر دخل بيته فقعد فيه إلى الغروب، فإذا جاء وقت الغروب خرج قبل غروب الشمس إلى المسجد، فإذا صَلَّى تناظر الفقهاء بين يديه إلى وقت صلاة العشاء فيصلِّيه، وربما تَرَكَ المناظرة في بعض الليالي، فيركب حمارًا ويأخذ وصيفًا بين يديه حتى يجتمع بالحرة الملكة عَلَم للمشورة في بعض المهام.

ولم يزل هذا حاله من سنة تسع وعشرين وخمس مئة إلى أن قتل في مسجده بزبيد في الرَّكعة الثالثة من صلاة العصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب من سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وكان الذي قَتَله رجل يقال له: محرَّم[5] من أصحاب علي بن مهدي، ثم قتل قاتله في تلك العشية بعد أن قتل جماعةً من النَّاس.

قال الجَنَدي[6]: ومسجده في زبيد يعرف إلى الآن يعرف بمسجد سرور، وهو غربي المِرْباع[7]، قال: ولا يعرف من هو سرور إلا آحاد النَّاس وأمَّا عامة زبيد فيعرفون أنه من المساجد المنسوبة إلى الحبشة.

(1) في (ع) قوله و(المفيد): 110.

(2) في (ع) مجلس.

(3) قال: من القيلولة نومة نصف النهار.

(4) يعني كتب الحديث المسنده إلى رسول الله ﷺ.

(5) (المفيد): مجرم.

(6) (السلوك) 2: 513.

(7) (السلوك) (مرباع العجور) وانظر (الدر النضيد): 588 يقول ما زال عامرا ويسمى الآن مسجد المحمرية الشرقية.

قال عمارة[1]: ولم تقم الدَّولة بعده إلاَّ قليلاً حتى أزالها ابن مهدي وملك زبيد وأعمالها.

وذلك أنه لما قتل القائد سرور في التاريخ المذكور تَنَافس القواد[2] وأعوان الدولة على موضعه واشتغلوا عن تَدْبير المملكة وتحصين البلاد. وكان ابن مهدي قد طَلَع عن بلاده (العنبرة) إلى الجبل، وذلك بعد أن ماتت الحرة عَلَم، وكانت وفاتها في سنة خمس وأربعين وخمس مئة، فتحَصَّن ابن مهدي بحصن يقال له: الشَّرف، وهو أحد حصون (وصاب) المطلة على وادي زبيد من بلاد اليمن. فلم يزل يكرِّر الغزو ويضعف البلاد وأخرب القرى التي حول المدينة حتى أخلاها عن أهلها، ولم يبق إلَّا المدينة فأخذها وذلك بعد أن لاذ الحبشة بالإمام أحمد[3] بن سليمان صاحب المَشْرِق، وسألوه أن ينصرهم على ابن مهدي، فقال: لا أفعل حتى تقتلوا مولاكم فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش. وكان فاسقًا في نفسه، وبَلَغ من فسقه أنه كان يجعل في بطنه بِرِّيمًا[4] كالنّساء، فقتله عبيده في سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة[5]. ثم وَصَل الإمام أحمد بن سليمان إلى زبيد بعد قتل فاتك بن محمد بن فاتك المذكور لينصر أهل زبيد، فعجز عن نصرهم ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

فلما تيقَّن ابن مهدي ضعف الحبشة عن مقاومته تقَرَّب إلى زبيد فحاصرهم حصارًا شديدًا وضَيَّق على أهل زبيد حتى قيل: إنهم أكلوا الميتة في مدة حصاره لهم.

وروي: أنه زاحفهم سبعين زحفًا حتى افتتح المدينة قَهْرًا في التاريخ الذي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

---

(1) (المفيد): 111.

(2) في (ع) الغواد.

(3) انظر (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 232. ط مصر عين للدراسات سنة 2002م.

(4) البريم: قال في نور المعارف: 161 البريم حلية ذهبية وربما حزام نسائي يوضع على البطن.

(5) (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 233.

الفصل الرابع

في ذكر قيام السيد علي بن مهدي باليمن
وزوال مُلْك الحَبَشة وانقضاء دولتهم

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه: كان[1] زَوَال ملك الحبشة وانقضاء دولتهم على يد السَّيد أبي الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الجماهر بن عبد الله الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميري الرّعيني، وكان يسكن هو وأبوه (العنبرة) من وادي زبيد في أسفل الوادي قرية قريبة من البَحْر وكان أبوه رجلًا صالحًا سليم الصدر، ونشأ ولده على هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالعبادة، ولم يَزَلْ من سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة كُلَّما دخلت أشهر الحَجّ يخرج حاجًّا على نجيب له إلى سنة ست وثلاثين وخمس مئة، وكان يَلْقى علماء العراق ووُعَّاظهم فيباحثهم في علومهم ويتضَلَّع من معارفهم، فأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صُحْبة الملوك وحواشيهم، وكان رجلًا طويلًا أخضر اللون، فصيحًا صبيحًا ملوح الخَدَّين، طويل القامة مخروط الجسم، حَسَن الصوت، طيِّب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، بين عينيه سَجْدة، قائمًا بالوعظ والتَّفسير وطريقة التصوف أَتَمَّ قيام، وظهر أمره في سواحل الوادي زبيد، وكان يتحدث في أحوال المستقبلات فيصْدُقُ، فكان ذلك من أقوى عُدَدِهِ في استمالة قلوب الرجال.

ولما ظَهَر أمره في سواحل وادي زبيد: وهي (العنبرة) و(واسط) و(القضيب) و(الأهواب)، وكان له بها ذكر وشهرة بالصلاح والعبادة والمكاشفة والوعظ، وكان يتنقل في هذه الأماكن ويكثر الوعظ، ولا يقبل هديةً ولا صَدَقة، وكان رقيق القلب، سريع الدَّمعة غزيرها لا ترقأ عبرته على مَرِّ الأوقات، وكان أول ظهوره في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، فلم يزل على ما

(1) (المفيد): 111.

هو عليه من العبادة والعزلة والوعظ، وتنفير الناس عن الملوك وحواشيهم وأتباعهم، فثَبَتَتْ له بذلك عند الحرّة الملكة عَلَم أم فاتك بن منصور مكانةً، فأطلقت له خراج أرضه وأراضي من يلوذ به من قريب أو صاحب، وذلك في سنة ست وثلاثين وخمس مئة، فلم يَمْض له هنيهة حتى أثروا واتَّسعت بهم الحال وركبوا الخيل، فكانوا كما قال أبو الطيب: [من الكامل]

فكأنما نتجت قيامًا تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها

ثم أتاه قوم من أهل الجبال فَحَالفوه على النُّصرة له، وكانت بيعته بالقضيب من وادي زبيد، فخرج من تهامة إليهم سنة ثماني وثلاثين وخمس مئة، فاجتمع معه من الرِّجال نحو من أربعين ألفًا، فقصد بهم الكَدْراء فلقيهم القائد إسحاق بن مرزق السَّحرتي بمن معه من أصحابه فهَزَمْوا ابن مهدي وأصحابه وقتلوا منهم طائفةً وعفوا عن أكثرهم، فعَاد ابن مهدي إلى الجبال، فأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين، ثم كاتب الحُرَّة علم وسألها ذِمةً له ولمن يلوذ به، ففعلت له الحرة ذلك على كَرْه[1] من أهل دولتها وفقهاء عصرها ليَقْضي الله أمرًا كان مفعولاً، فعاد إلى وطنه وأقام يشتغل بأملاكه عِدَّة سنين وهي مُطْلَقة الخراج، حتى اجتمع عنده مال جزيل، وكان يقول في وَعْظِهِ: أيها الناس أَزِف الأمر ودَنا الوقت، كأنكم بما أقول لكم وقد شاهدتموه عيانًا.

فلما ماتت الحرة في سنة خمس وأربعين وخمس مئة - كما ذكرنا أولًا - بايعه أصحابه في سنة ست وأربعين وكانت بيعْته الثانية بالقضيب أيضًا، فبايعوه على الجهاد بين يديه لأهل المنكر وهم الحَبَشَة، ومن عاضدهم من العرب وأكثرهم[2] الأشاعر، وأمرهم بقتل من خالفه، وإن كان من قومه أو قومهم، ولما انتظمت البيعة له قام فيهم خطيبًا فقال في أثناء خطبته[3]: والله ما جعل الله فناء الحبشة إلاَّ بِي وبكم، وعَمَّا قليل - إن شاء الله - سوف تعلمون، والله العظيم رَبّ موسى وهارون إني عليهم ريح عاد وصيحة ثمود، وإني أحدثكم فلا أَكْذِبكم وأوعدكم فلا أَخْلِفكم، ولئن كنتم أصبحتم قليلًا لتكثرن أو وضعاء لتشرفن، أو أذلاء لتعزَّن حتى تصيروا مثلًا في العرب والعجم ﴿ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ

(1) في (و) كثره.

(2) في (و) وهم.

(3) نقل المؤلف هذه الخطبة عن (السلوك) 2: 517 ولم يرد في (المفيد) منها سوى فقره واحدة انظر (المفيد): 113.

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]، فالأناة الأناة، فوحَقّ الله العظيم على كل مؤمن موحد لأخدمنكم بنات الحبشة وأخواتهم ولأخولنكم أموالهم وأولادهم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ثم ارتفع[1] إلى الجبال فأصبح في موضع يقال له: الداشر من بلاد خولان، ثم ارتفع إلى حصن يقال له الشَّرف، وهو لبطن من خولان يقال لهم: بنو خيوان، فسَمَّاهم الأنصار، وسَمَّى من صَعَد معه من تهامة المهاجرين، ثم ساء ظنه بكل أحد ممن هو في صُحْبته [خوفاً منهم][2] على نَفْسه، فاحتجب منهم، فأقام في الأنصار رجلاً من خولان يقال له: سبأ بن محمد، ولقبه شيخ الإسلام، وأقام في المهاجرين رجلًا من العمرانيين يسمى: التويتي ولَقَّبَه بشيخ الإسلام، وجعلهما نقيبين على الطائفتين، فلا يخاطبه ولا يصل إليه أحد سواهما، ورُبَّما احتجب فلا يرونه وهم يتصرَّفون في الغزو، ولم يزل يغادي الغارات على تهامة ويراوحها حتى أخرب الحواز[3] المصاقبة للجبال والحبشة يومئذ تبعث الأبدال في المراكز فلا يغنون شيئًا لوجوه كثيرة منها: أن الحصن الذي يقال له: حصن الشرف، حصن منيع بِنَفْسه، وبكَثْرة خولان، وأن الإنسان إذا أراد أن يَصِلَ إلى حصن الشرف مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل أو بعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل الذي فيه الحصن احتاج في طلوع النقيل إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة، ومنها: أن الوادي يتَّصِل مسيله من تهامة بشعاب عظيمة إذا كمنت فيها الجيوش العظيمة والعساكر الجرارة شهرًا لم يعلم بها أحد، وكانت عسكر ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة ونهبت وأخربت وأدركها الفجر قبل أن تصل جيوش[4] الحصن كمنت في تلك الشعاب فلا يوصل إليها ولا يقدر عليها.

---

(1) (المفيد): 113.

(2) سقط من (و).

(3) كذا في الأصل وفي (المفيد): 113: الأموال.

(4) في (و) حبل.

ولم يزل ذلك من فعله مع أهل البوادي حتى أَخْرب جميع الوادي وبطل الحرث والعمارة في مدته، وانقطعت القوافل وبطلت الأسفار، وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا ما وجدوه من الدَّواب والمواشي ومن الرَّقيق أو غيره، فما عجز عن المسير عقروه، ففعلوا من ذلك ما أرغب وأرهب.

قال عمارة في (مفيده)[1]: ولقيت ابن مهدي عند الدَّاعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وقد قصد الداعي مستنجدًا على أهل زبيد فلم يجبه الداعي وعَرَض عليَّ صحبته، وعقد لي أن يقدمني على جميع أصحابه.

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله بجوده وكرمه ومزيده: وفي هذه المذكورة – أعني سنة تسع وأربعين وخمس مئة[2] – كانت قضية أهل قرية المغلف[3] فيما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أبي بكر بن فضيل[4] قال: وهي قرية فيما بين الكدراء والمَهْجم في أرض تهامة قرية من قرى الجُثَةِ، أرسل الله عليهم سحابةً سوداء من قبل اليمن فيها رَجْف شديد وبَرْق وشعل نار تلتهب، فلما رأوا ذلك زالت عقولهم من هَوْل ما رأوا فالتجأ بعضهم إلى المساجد فغشيهم الأمر، فاحتملت الريح أكثر أهل تلك القرية من تَحْت الثرى بمساكنهم، وما فيها من النَّاس والدواب والنساء والأطفال وألقتهم الريح في مكان بعيد عن قريتهم بقدر خمسة أميال، فَوَجَدُوْا حيث ألقتهم الرِّيح صرعى وبقي بعضهم له أنين وهم صُمٌّ وعُمْيٌ وخُرْسٌ حتى ماتوا، وقيل: حملتهم الريح فألقتهم في البحر.

وفي كتاب (المستبصر)[5] **قال**: هما قريتان من أعمال الجُثَةَ[6] تسمَّى إحداهما: المغلف

(1) (المفيد): 114.

(2) نقل هذه الحادثة صاحبا كتابي (قرة العيون): 257 و(غاية الأماني): 308.

(3) (غاية الأماني) (المطبوعة) المغلق وفي (قرة العيون) الهامش: هي اليوم تسمى المغلافة على وادي سردد على طريق المسافر من الجبال الشمالية وتبعد عن الحديدة بيوم كامل.

(4) هو المعروف بالعرشاني توفي سنة 557هـ له كتاب في أشراط الساعة يسمَّى (المواعظ والعبر) فيه ذكر الزلازل والظواهر الطبيعية التي وقعت في اليمن، ينقل عنه المؤلف هنا وهو من الكتب المفقودة، انظر (مصادر الفكر الإسلامي: 274).

(5) المستبصر لابن المجاور (طبعة مكتبة الثقافة الدينية: 107).

(6) الجثة: قرية من تهامه بين الكدرا والمهجم (المقحفي: 11).

وتسمى الأخرى: الأسخلة[1] قال: فبينما القوم في مصالح أمورهم، الرِّجال تحرث، والنِّساء تغزل، والحمير تَتَنَاهق، والكلاب تتنابح، إذ ارتفعوا عن الأرض بكلابهم ورجالهم ونسائهم، فغابوا عن أعين الخلق فلم يدر أحد ما فعل الله بهم، ولا ما كان من أمورهم، قال: وكان ذلك في سنة تسع وأربعين وخمس مئة[2]، والله أعلم.

قال علي بن الحسن الخزرجي: وفي سنة[3] تسع وأربعين وخمس مئة سَقَطَت من السِّماء حجرة فوقعت في الصلاحفة، وهو موضع قريب من مدينة ذي جبلة، ووقعت رَجْفة شديدة وتزلزلت منها الأرض بأهلها، وذلك في يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وانشقت السماء وسط النهار، وظَهَر نجم وبعده دخان في المخلاف الأخضر[4]، وحَصَلت بعد ذلك زلزلة شديدة في اليمن من صنعاء إلى عدن هلك فيها عدد كثير من الناس وانهدم كثير من الحصون والقرى والمساكن، من ذلك حصن حَبِّ انهدم بعضه وهلك فيه ثمانية أنفس، وانهدم من حصن عَزَّان بعضه، ومن القرى قريتا حقلة العليا والسفلى انهدمتا جميعًا ومساجدهما، وهلك فيها نفر كثير، وانهدمت قرية ضلاعة وهلك فيها أربعة عشر إنسانًا، وانهدم بريمان[5] منزل مسلم[6] بن حسين وهلك فيه خمسة نفر، وانهدم منزل عيسى بن أحمد بريمان أيضًا على ثلاثة نفر، ومنزل أخيه علي بن أحمد على ثلاثة أيضًا، وانهدم منزل يعفر وهلك فيه خمسة وغارت مياهه، وانهدم قصر محمد بن مسلم وهلك فيه هو، وانهدم دار [ابن][7] عبد السميع وهلك فيه اثنان، وانهدم في (بَعْدان) إلى رأس وادي مرار عدة مساكن ومنازل، ولم يهلك فيها أحد، وانهدم في السحول دار ابن العرب وهلك فيه سبعة، وانهدمت قرية العقار[8] وهلك فيها ثمانية، وانهدمت قرية المحصن وهلك فيها تسعة، وانهدمت قرية

---

(1) في المستبصر: الأسيخلة بالتصغير.

(2) المستبصر سنة أربع وستين وخمسمائة.

(3) (قرة العيون): 257 (نقلا عن كتابنا هذا).

(4) يعني مدينة إب ونواحيها.

(5) ريمان: حصن وعزلة في بعدان تقع في سفحها الغربي مدينة إب (المقحفي: 281).

(6) ينظر سميه مسلم بن الحسين (سيرة الإمام أحمد بن سليمان: 209) قال: أنه من بني عوير أهل سحار وأنه قتل سنة 552هـ (يحقق) والمذكور هنا ومن يليه هم أعيان بلد ريمان في عصر العرشاني السابق ذكره.

(7) سقط من (و).

(8) في (ع) العقاير.

ذي الملكي وهلك فيها أربعة عشر، وانهدم فيها منزل ذي قيفان على أربعة، وانهدمت أكمة الربيضة وهلك فيها خمسة عشر، وانهدم منزل[1] معمر عليه وهلك فيه سبعة، وانهدمت بعض دار ابن عباس وهلك فيها خمسة، وانهدم قصر بني معمر بالمحلة [وهلك فيه خمسة وخمسون إنسانًا، وانْهَدَمَ قصرهم الأعلى وهلك فيه سبعة، وانهدم بعض المحلة][2] وهلك فيه ثلاثة عشر، وانهدمت أكمة الحدة تحت مغرى وهلك فيها سبعة وستون، وانهدم حصن شواحط وهَلَكَ فيه سبعة وثلاثون، وانهدم حصن ذي المحرسة وهلك فيه ستة وأربعون، وانهدمت أكمة سمارة وهلك فيها إحدى عشر، وانهدم في الشوافي [حصن الظفر وهلك فيه ثمانية نفر][3]، وانهدم حصن المجمعة وهلك فيه خمسة وثلاثون، وانهدم معقاب الأمير وبيته وهلك فيه ثمانية عشر، وانهدم المسجد على أربعة، وانهدمت رحاب وهلك فيها ستة وعشرون، وانهدم المنقل بالسَّماري وهلك فيه ثلاثة نفر، وانهدم منزل الماحر[4] بعلاس وهلك فيه سبعة، وانهدمت أكمة الصحافي وهلك فيها سبعة، وانهدم دار ابن مصباح بعلاس وهلك فيه ثمانية عشر من أهله وثمانية عشر من غير أهله، وانهدم قصر بحيران بخدد، وانهدم دار على أكمة بالمسبوق[5] وهلك أهله فيه أربعة عشر، وانهدم قصر ابن صابر وهلك فيه خمسة عشر، وانهدم في أحاظة حصن الخضراء وهلك فيه خمسة وسبعون، وانهدم حصن يفوز وهلك فيه ستة نفر، وانهدم حصن شعيب[6] وهلك فيه ثلاثون، وانهدم منزلان بالرسِّيغة وهلك فيهما اثنان، وانهدم [بعض][7] حصن تريس[8]، وانهدمت قرية التغادي ولم يهلك بهما أحد، وانهدم دار بالأرماد تحت حصن الجدة وهلك فيه خمسة، وانهدم من عَنَّة حصن حياز والبقعة والمقرعة تزلزلت وانهدم بعضها ولم يهلك فيها أحد، وانهدم حصن مسار وهلك فيه اثنان وعشرون رجلًا وانهدمت أكمة الماء وهلك فيها ثمانية عشر وانهدمت أكمة منفذة

(1) في (ع) قصر.
(2) سقط من (ع).
(3) سقط من (ع).
(4) في (ع) المآخذ.
(5) في (ع) بالمشيرق.
(6) في (ع) شبيب.
(7) زيادة في (ع).
(8) في (ع) بريس.

وهلك فيها اثنان وعشرون وبقي منهم واحد، وانهدمت سموع دورها ومساجدها وهلك فيها ثلاثة وعشرون، وانهدم بعض قرية ورالى وهلك فيها ثلاثة، وانهدمت مدينة إب وهلك[1] فيها ثلاث مئة، وقيل: ثلاث مئة وسبعون، وانهدم منزل الرديني تحت إب وهلك فيه ثمانية، وانهدم منزل الظهر وهلك فيه اثنان وثلاثون، وانهدم منزل الكربة وهلك فيه تسعة عشر، وانهدم منزل الحليف وهلك فيه اثنا عشر [وانهدم بعض الرضمه وهلك فيه ثمانية عشر وانهدم منزل مواثن وهلك فيه اثنا عشر][2]، وانهدمت قرية ذي حوال وهلك فيها سبعون، وانهدم أكثر أنامر وهلك فيه ثلاثة، وتزلزلت مدينة ذي جبلة فتَشَعَّث بعض قصورها ودورها وهلك فيها اثنان، وانهدم منزل التبعي وهلك فيه ثمانية، وانهدم على مراد داره وهلك فيه أربعة، وانهدمت أكمة الحمراء على أهلها وهلك فيها اثنا عشر، وانهدم منزل مفلح بالمندم[3] وهلك فيه ستة، وانهدمت قرية السمراء وهلك فيها ثلاثون، وانهدم في نعيمة منزل ابن عبد السلام وهلك فيه خمسة [عشر][4]، وانهدمت حصون المسواد وهلك فيها ثلاثة نفر، وانهدم في قتاب دار على صاحبه، وانهدمت قرية المقطع[5] جميعها وهلك فيها عشرة، وانهدم بعض قرية عتاب وقصر التبعي ولم يهلك فيه أحد، وانهدم بالثوابي[6] دار ياسين عليه وهلك فيه اثنا عشر، وتهدمت دور ومنازل كثيرة وتشعث كثير من القرى والدور والمساكن ما لا يحصى عدده إلا الله، وهلك من المواشي والأنعام شيء كثير، وكان قد حصل قبل ذلك زلزلة شديدة في يوم السَّبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة أربعين وخمس مئة فسقط كثير من الدور والقصور والحصون ومادت الأرض بأهلها ميدًا شديدًا، ولم يهلك فيها أحد من الناس[7]، والله أعلم.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بما هو أهله[8]: ولما رجع علي بن مهدي من

(1) في (ع) دهلك.

(2) سقط من (و).

(3) زيادة في (و).

(4) زيادة في (ع).

(5) في (و) المنطح.

(6) في (و) بالتواني.

(7) نقل المؤلف هذا النص الفريد من كتاب (أشراط الساعة) للعرشاني السابق الذكر وهو من الكتب النادرة المفقودة.

(8) نقلا عن (المفيد): 114.

مدينة ذي جبلة من عند الدَّاعي محمد بن سبأ إلى حصن الشَّرف وذلك في سنة تسع وأربعين وخمس مئة دَبَّر على قتل القائد سرور الفاتكي، فلم يزل يرصده حتى قتل في التَّاريخ المذكور وهو سنة إحدى وخمسين، فاشتغل رؤساء الحبشة بالتَّنافس والتحاسد على مَرْتبته، وكانت الحُرَّة علم قد توفِّيت في سنة خمس وأربعين كما ذكرنا أولًا، فانفتح على أهل الدولة بعد القائد سرور باب الشر المسدود، وانحل عِقْدها المشدود، ففارق ابن مهدي حصن الشرف وهبط إلى الداشر وبينه وبين مدينة زبيد أقل من نصف يوم، فتقرَّبت الرعايا إليه وعرب البلاد، وهم الذين كانوا رعايا الحبشة، فكان الرجل من أصحاب ابن مهدي يلقى أخوه أو قريبه أو [معروفه](1) ممن هو مع الحبشة إمَّا مزارع أو راعي ماشية أو حارس ضيعة فيفسده.

ولم يزل الأمر على ذلك، ثم إن ابن مهدي زَحَف بجموعه إلى باب المدينة في جيوش لا تحصى كثرةً، وحدَّث غير واحد من أهل زبيد ممن أدرك الحصار بزبيد قالوا: لم تَصْبر أمة على الحصار والقتال ما صبر عليه أهل زبيد، وذلك أنهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وسبعين زحفًا يقتل في كل زحف من عسكره مثلما يقتل منهم، وصبَروا على الضُّر والجوع، حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء.

ثم إنهم استنجدوا(2) بالإمام أحمد بن سليمان الهدوي صاحب صعدة، فأنجدهم طَمَعًا في ملك زبيد، وكانوا شَرَطُوا له أن يملِّكوه عليهم، فقال لهم الإمام أحمد بن سليمان: إذا قتلتم مولاكم فاتك نصرتكم على عدوِّكم، فوثَبَ عبيد فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش عليه، فقتلوه في آخر شهور سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة(3)، [ثم عَجِز الشريف عن نصرتهم، واشتد الحصار وطال الأمر حتى دُخِلَت المدينة قهرًا في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب من سنة أربع وخمسين، فأقام فيها بقية شهر رجب وشعبان وشهر رمضان، وتوفي يوم السادس من شوال من السَّنة المذكورة سنة أربع وخمسين وخمس مئة](4)، فكانت مدة

---

(1) زيادة لا توجد في (المفيد).

(2) في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 234 الذي استنجد هو ابن الحطر الذي قتل ابن مهدي أهله وسبا نساءه.

(3) انظر خبر قتل فاتك المذكور بتوسع في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 236.

(4) سقط من (ع).

ولايته في زبيد شهرين وأحد وعشرين يومًا، والله أعلم، ودفن في الموضع المعروف بالمشهد بزبيد[1]، وكان قد عيَّنه لولده وأمر أن يجعل جامعًا يصلَّى فيه الجمعة نظيرًا لما فعلته الحرة بذي جبلة، ففعل ابنه جميع ما أوصاه به أبوه من ذلك، وكان المسجد مسجدًا كبيرًا يصلَّى فيه الجمعة، وهو قبالة المدرسة المعروفة في وقتنا هذا بمدرسة الميلين، وقد خرب بعد ذلك، وجعل إصطبلًا لبعض ملوك الغز.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي: وأخبرني والدي، رحمه الله، قال: أدركته وقد خرب بعضه وبعضه قائم العمارة يجعل فيه الفرشخانة[2] والمحامل التي للسلطان، وكانوا يسمونه: معقاب عاتكة، ثم إن السُّلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل أراد أن يجعل موضعه مدرسةً، وشرع البناة في تأسيسه، وشاهدتهم في مدة استمرار القاضي سراج الدين عبد اللطيف[3] بن محمد بن سالم مشدًّا بزبيد يبنون في أسواسه بالآجر والطين، وقد قسَّمه المعمار علي بن زيد مقدّمًا ومؤخرًا، والسلطان: في أشد ما يكون من الاهتمام بذلك، ثم انثنى عَزْم السلطان عن ذلك الأمر، ثم بعد ذلك جعله مناخًا للجمال، فهو اليوم مناخ لِجَمال السلطان الملك الناصر [4] من مدة سنين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما توفي علي بن مهدي في تاريخه المذكور قام بالأمر بعده ولده مهدي بن علي بن مهدي، فغزا البلاد ودَوَّخ الملوك، وصالحه الدَّاعي[5] عمران بن محمد بن سبأ عن مدينة عدن والدملؤة بمال معلوم، هذه رواية الجَنَدي[6].

وقال صاحب (العقد الثمين)[7]: لما توفي علي بن مهدي في التاريخ المذكور بمدينة زبيد ودفن بها، وعمل أولاده على قبره مشهدًا وصاروا يحجّون إليه، ثم وَلِيَ الأمر بعده ولده عبد النبي وأخوه مهدي أبناء علي بن مهدي، فكان عبد النبي متوليًا أمور المملكة وتدبيرها،

---

(1) (السلوك) 2: 518 و(بغية المستفيد): 62.

(2) مصطلح إداري ذكر في نور المعارف: 102 و(العقود اللؤلؤية): 97وهو بمعنى السرير الذي يصنع من الحبال والليف.

(3) سبق ذكره.

(4) أي في عصر السلطان الذي خلف الملك الأشرف وهو ابنه الناصر الذي تولى الحكم سنة 803هـ.

(5) توسع في هذا الخبر صاحب (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 296 – 297.

(6) (السلوك) 2: 518.

(7) كتاب العقد الثمين لمؤلف مجهول، ينقل المؤلف في العقود اللؤلؤية: 97، 131، 132.

وأخوه المهدي متوليًا أمور الجيوش والسرايا. فاستباح بلادًا كثيرة، وقتل قتلات عظيمة[1]، وأغار إلى لَحْج غارتين، إحداهما في شعبان من سنة ست وخمسين والثانية في رمضان من سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، فقتل من أهل لحج في الغارتين عددًا كثيرًا، وسبى الحريم، ونَهَبَ أموالًا جَمَّة، وقيل في ذلك أشعار كثيرة، منها قول الهبيني[2] الشاعر[3]: [من المنسرح]

أتشرب الخمر في ربى عدن ... والبيض والسّمر في الحصيب ظما؟

كلا ومهدي فارس بطل ... وصَدْر حيزوم يملأ الحزما

وقال آخر[4]: [من الطويل]

لمن عسكر كالليل يعدو بدهمة ... ويزهو بميمون الزَّمان وشهمه

بأبلج اما جادلوا فمحمد ... بيانًا وإما جالدوا فابن عمه

قال: ثم غارا في شوال من السنة المذكورة فحصرا أهل مدينة الجَنَد أربعة عشر يومًا، ثم دَخَلها يوم الإثنين غُرّة ذي القعدة من سنة ثماني وخمسين وخمس مئة، فَقَتل أكثر من وجد فيها من صغير وكبير ورماهم في البئر التي في المسجد، وحرق أكثر دورها وحرق المسجد على من فيه من الصغار والعجائز والعواكف، وما كان من أموال الناس والسُّرج والودائع، وحَرَق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد، وقتل أهل المغربة[5] والذنبتين، وقد كان أهل الذَّنبتين هربوا إلى قِبْلِيِّها واختفوا بأكمة ذي عراكض فنَبَّه عليهم صوت حمار لهم نهَق، فطلع إليهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً.

قال الجَنَدي[6]: ثم عاد إلى مدينة زبيد وقد أصابته طائرة تفطَّر جسمه منها بعد أن ظهر به شِبْه إحراق النار، فلم ينزل إلاَّ في محفة، وقد فرشت له بالقطن المندوف، فلما صار في زبيد

(1) في (ع) وقتل عدة عالم، وانظر خبر اجتياح ابن مهدي لِلَحْجٍ ونواحيها في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 296.

(2) (خريدة القصر) 3: 67.

(3) انظرهما ضمن قصيدة طويلة في الخريدة 3: 65 – 67 و(قرة العيون): 259.

(4) انظرهما في (قرة العيون): 260.

(5) في (ع) القرية.

(6) (السلوك) 2: 519.

توفي في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة.

وقال صاحب (العقد): لما رجع علي مهدي إلى زبيد أقام بها أيامًا، ثم مرض في المحرَّم أول سنة تسع وخمسين، ولم يزل إلى أن توفي يوم الأحد الثامن عشر من الشهر المذكور، وقبر في المشهد مع والده، فاستقل بالأمر بعده أخوه عبد النبي، وأمر أصحابه بالخروج إلى وادي أبين، فخرجوا إليه وحَرَقوا القرية المعروفة بالطرية، وأحرقوا أبين يوم السَّبت الخامس عشر من صفر من سنة تسع وخمسين وخمس مئة.

ثم وقع في تهامة حطمة[1] عظيمة في سنة ستين وخمس مئة، فلم يتحَرَّك عبد النبي إلى جهة من الجهات، فلما وقع المَطَر وأخصبت البلاد أغار على شامي تهامة على الشُّرفاء بني سليمان فبلغهم النذير، فاهتزموا فلحق منهم طائفةً فقتلهم، ومن جُمْلة من قتله منهم الأمير الأجل الكبير الشريف[2] وَهَّاس بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليماني، وأخذ أموالهم وسبى حريمهم، وفي ذلك يقول عبد النبي بن علي بن مهدي في قصيدته المشهورة التي أولها[3]:

لمن طلول بالحمى ... كأنْ كُسِين مَعْلَما
يلقى بها المصلَّما ... والأحقب المكدّما

ثم قال بعد ذلك:

لوت بوهاس ضحى ... فابتدرته مرحا
فظلَّ من تحت الرحى ... مضرَّجًا مرغَّما

ثم خرج أخوه أحمد بن علي بن مهدي من زبيد لعمارة الجَنَد، وكان خروجه يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وخمس مئة، وخَرَج في عسكر جَرَّار وابتدأ في عمارتها يوم السبت الخامس من الشهر المذكور، وأقام يعمرها إلى آخر الشهر المذكور، ثم أغار على الجوّة، وكان بها عسكر الدَّاعي عمران بن محمد بن سبأ، فوقع بين العسكرين قتال شديد فقتل من كل طائفة طائفة وانهزم عسكر الداعي عمران بن محمد بن سبأ، ودخل

(1) حُطَمة: مجاعة.

(2) انظر خبر قتل ابن مهدي للشريف ابن غانم في السمط الغالي الثمن: 16.

(3) (طراز أعلام الزمن): 1298 وسيأتي ذكرها كاملا في آخر الباب.

عسكر بن مهدي الجؤة وَحَرَقَها وكانت تقدمت له غارة على الجؤة أيضًا في بعض الأعياد، وظفر بأهلها يومئذ، فقال في ذلك الشاعر الهبيني[1]: [من الكامل]

بكرت تقل من الكماة ضراغمًا ... وسرت تهز ذوابلا وصوارما

عَلَويّة مهديَّة قلّدتها ... من آل مهدي همامًا حازما

وكذاك ليس تروق أبنية العلى ... إلّا إذا كنتم لهُنَّ دعائما

صبَّحت أكناف الجواة بغارة ... شعواء طَبّقت الحماة جماجما

في يَوْم عيد صَبَّحوا لولائم ... فيها فأضحوا للحِمَام ولائما

وحرمتهم فيه مطاعم عِيْدِهم ... وتَرَكْتهم للمرهفات مطاعما

ثم طلع عبد النبي إلى الجَنَد في جمادى الآخرة من هذه السنة فأخذ شرياف[2] وتالبة[3] وتعز وصَبِر في رجب من هذه السنة، ثم عاد إلى زبيد، ثم خرج إلى مخلاف جعفر في أول ذي القعدة وحصر حصن المَجْمعة[4]، فأخذها يوم الإثنين الثاني من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وخمس مئة، وفي ذلك يقول الشاعر: [من المديد]

قل لذات الأشنب الرّيل ... تحت ذاك الفاحم الرَّجل

وفيها يقول:

إن في غربَيِّ مجمعة ... لفخارًا غَيْر مُنْفصَلِ

ومليكًا كلَّما سألوا ... سال سَيْل العارض الهطل

ثم أخذ مدينة إب يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة، وأخذ الشماحي يوم الأحد من الشهر المذكور، واستولى على البلاد، وبَثَّ السَّرايا والجنود في كل وجه ومكان، وسار إلى عدن فحاصر أهلها، فوَصَل السلطان حاتم بن علي بن الداعي سبأ بن أبي السعود الزريعي يوم الإثنين السادس من ذي القعدة من سنة ثماني وستين وخمس مئة

---

(1) انظرها في (طراز أعلام الزمن): 1299.

(2) حصن يقع في عزلة بني عيسى من جبل ذخر في الشمال الشرقي من يفرس (هامش قرة العيون: 261).

(3) من العزلة المذكورة (هامش قرة العيون: 261).

(4) قلة في أعلى عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافي (هامش قرة العيون: 261).

إلى صَنْعاء مستنصرًا[1]، فخرج إلى لقائه السلطان الحميد علي بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامي، وقابله بالإتحاف والإسعاف وأجابه إلى ما طلَبه من النُّصرة، ثم نهَض السلطان حاتم بن علي الزريعي إلى بلاد جَنْب بعد أن استوثق من السّلطان علي بن حاتم [على أنه ينهض معه عند أن ينهض معه جَنْب ومذحج، فوصل السلطان حاتم بن علي الزريعي إلى ذَمَار وقَصَد السّلطان عبد الله بن يحيى والشيخ زيد بن عمرو واستنصرهما جميعًا، فأجاباه إلى ما طَلَب، فكتب إلى السّلطان علي بن حاتم][2] يخبره بما قد أجمع عليه القوم من نصرته، فخرج السلطان علي بن حاتم من صنعاء بمن معه من هَمْدان وسنحان وبني شهاب ونهد وغيرهم، وكان خروجه من صَنْعاء يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر من سنة تسع وستين، فوصَلَ ذمار وأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار من ذمار قبل خروج السلطان عبد الله بن يحيى والشيخ زيد بن عمرو [وتقدم إلى الصَّيَد فأقام هناك إلى أن وصله الشيخ زيد بن عمرو][3] والسلطان عبد الله بن يحيى ومن معهما، ثم تقدم السلطان علي بن حاتم في عسكره حتى حطَّ في السَّحول في موضع يقال له: التباشع، فأقام هنالك إلى أن وصله السلطان عبد الله بن يحيى والشيخ زيد بن عمرو، واجتمع الكل من القبائل هنالك، ولم يزالوا إلى اليوم السابع والعشرين، ونهضوا مجتمعين فحَطُّوا في عقبة إب، ما بين إب والمعاين، وكان ابن مهدي قد قَسَّمَ عسكره أثلاثًا، فجعل ثلثهم في قرية ذي جبلة، والثلث الثاني في أكمة الخبالي[4]، وجعل الثلث الثالث ما بين حصن المسواد وحول لالا[5].

فلما كان يوم الأربعاء الثاني من شهر ربيع الأول: نهض السُّلطان علي بن حاتم ومن معه من سائر القبائل وقصدوا أصحاب الخبالي، وكانوا أجود عَسْكر ابن مهدي، فلما التقى القوم انهزم أصحاب ابن مهدي وقتل منهم عدد كثير، وأسر من عبيد الخزانة[6] نحوًا من

---

(1) انظر هذا الخبر بتوسع في (سيرة الإمام أحمد بن سليمان): 184 – 187.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من (ع).

(3) سقط من (و).

(4) (قرة العيون): 262: الجبابي.

(5) كذا في الأصل وفي (قرة العيون): 262 حول زلال قرية معروفة إلى الآن في قرية الحرف من ضواحي مدينة ذي جبلة.

(6) عبيد الخزانة انظرهم في نور المعارف، 2: 41 وفي التعريف لمصطلح صبح الأعشى: 241 قال: عبيد المخزن هم عبيد سود بأيديهم حراب يمشون في موكب السلطان لصلاة العيد أو السفر.

المئة، وغنموا نحوًا من ستين فرسًا وما كان معهم من سلاح وغيره، وأمسى السلطان علي بن حاتم ومن معه في الخبالي، وأصبح يوم الخميس فقصَدَ مدينة ذي جِبْلة، فلم يجد بها أحدًا من عسكر ابن مهدي، وكانوا قد هربوا من اللَّيل، وانحاز بعضهم إلى دار الحرة أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصُّليحي، فدخل السلطان علي بن حاتم مدينة ذي جبلة واستولى عليها وأجار الحرة وجميع من معها من عسكر ابن مهدي وغيرهم، وما معهم من أموال وخيول وسلاح، وأقام السلطان علي بن حاتم ومن معه [من القبائل][1] بذي جبلة إلى يوم الأحد السادس من شهر ربيع الأول، ونهضوا مجتمعين سائرين على توئدة حتى وصلوا الجَنَد يوم الإثنين السابع من الشهر المذكور، فوجدوها خاليةً من العساكر والرعايا، فدخلها بعض العسكر، وأقام السلطان علي بن حاتم خارج المدينة إلى يوم الأربعاء السادس عشر من الشهر المذكور، وبَلَغه أن ابن مهدي في حصن تعز وقد اجتمع إليه أصحابه، فنهض السلطان علي بن حاتم ومن معه من جميع القبائل حتى وصلوا تعز فوجدوا عسكر ابن مهدي مجتمعين في ذي عدينة فوقع القتال الشديد بين الفريقين، فكانت الدائرة على أصحاب ابن مهدي فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعقر[2] من خيلهم شيئًا كثيرًا، وأخذ منها نحوًا من مئة فرس، ونَهَب من سلاحهم وعددهم شيئًا كثيرًا، ونهب عدينة يومئذ نهبًا عظيمًا، وكان عبد النبي بن مهدي في أعلى حصن تعز على سطح من سطوح الحصن ورأى كتيبةً تبرق، فقال: إن صدقني ظني إن هذا علي بن حاتم. فقيل له: نعم، هذه الكتيبة الدحوانة[3] كتيبة همدان. فأنشأ متمثلاً عند ذلك بقول أسعد الكامل[4]: [من الكامل]

واعلم بُنَيَّ بأن كل قبيلة ... ستذل إن نهضت لها قحطان

ثم رجع السلطان علي بن حاتم إلى الجَنَد في أصحابه.

---

(1) سقط من (و).

(2) في (ع) وقتل.

(3) في (ع) الرحوانية.

(4) من أبيات أولها:

فانظر لنفسك فالزمان زمان ... حضرت وفاة أبيك يا حسان

انظرها في خلاصة السيرة لنشوان الحميري: 135.

فلما كان[1] **يوم الخميس السابع عشر من الشهر المذكور**: أمر السلطان علي بن حاتم بخراب دار المملكة في الجَنَد، وهو ما كان بناه الدَّاعي المتوج المكين محمد بن سبأ بن أبي السعود، واستأصل في خرابها، ثم وصلت البُرُدُ من عدن يخبرون أن عسكر علي بن مهدي الذين كانوا بالرعارع محاصرين لعدن وقد هربوا، ثم إن السلطان علي بن حاتم عزم على قصد تهامة، فاستشار هَمْدان وسائر القبائل الذين معه فأجابوه إلى ذلك، ثم شاور السلطان عبد الله بن يحيى والشيخ زيد بن عمرو فقالا: حتى نشاور جَنْب على ذلك، فشاوراهم فامتنعت، قال: ومن عادة جنب أن تشتهي ما يكره رؤساؤها وتقول عند مسيرها[2]: يا راشد أين مروح[3]، فلما رأى السلطان علي بن حاتم ذلك من فعلهم استخار الله تعالى، ورجع يريد صنعاء، فنهض من الجَنَد يوم السبت التاسع عشر من شهر ربيع الأول فأمسى بذي أشرق ودخل جِبْلة يوم الأحد فأقام بها ستة أيام، وأمر بإخراب الدار الكبيرة بعدما انتقلت منها الحرة أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصليحي إلى حصن قيظان، ثم نهض يوم السبت من ذي جِبْلة فدخل صنعاء يوم الخميس غُرَّة شهر ربيع الآخر، ولما عاد السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء عاد السيد عبد النبي بن علي بن مهدي إلى زبيد فأقام بها إلى أن بلغه العلم أن الغُزَّ والملك المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب في محل أبي تراب[4] عند الأمير الأجل الشريف قاسم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليماني، وأنهم واصلون معه منجدون له، قال: ونهض الشريف قاسم بن غانم بالملك المعظم ومن معه إلى زبيد في سلخ شهر رمضان من السنة المذكورة، فوصلوا زبيد يوم السبت السابع من شوال، وكان القتال يوم الأحد الثامن من شوال، وافتتحت المدينة عند طلوع الشمس من يوم الإثنين التاسع من شوال، فنهبت المدينة نهبًا شديدًا، وقبض على السيد عبد النبي وإخوته جميعًا، ورجع الشَّريف قاسم بن غانم إلى بلده يوم الجمعة الثالث عشر من شوال المذكورة، وقال:

مــــن عـــــاش بـعـــد عـــدوه يـــومًـــا فـقـــد نـــال الـمـنـى

(1) (قرة العيون): 264.

(2) في (ع) عند عرضها على المسير.

(3) كذا في الأصل.

(4) في (قرة العيون) (هامش): 264 يقال أن موضع أبي تراب: هو بلد حرض نفسه.

فعاش بعد ذلك شهرًا، وقيل: كان موته في أول سنة سبعين وخمس مئة[1].

وكان ابن مهدي حنفي المذهب في الفروع، خارجي الأصول، يكفِّر بالمعاصي، ويوجب القتل بها، وكان يقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة ويستبيح وطىء نسائهم واسترقاق ذراريهم، وجعل دارهم دار حرب يحكم فيها حكمه في أهل دار الحرب.

ويروى: أنه كان لا يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح ولده أو أخاه أو أباه أو أمه ويقرأ عليهم: قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

وكان اعتقاد أصحابه فيه فَوْق ما يعتقده النَّاس في الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وكان الواحد من آل مهدي يحسن عنده أن يقتل جماعةً من عسكره، ثم إذا قدروا عليه لم يقتلوه دينًا وعقيدة، وإذا غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم حَبَسَ نَفْسه في الشمس ولم يطعم ولم يشرب ولم يَصِلْ إليه ولد ولا زوجة، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه ابتداءً من نفسه.

وكان من طاعتهم له أن كل واحد يحمل [ما تغزله][2] زوجته وبناته إلى بيته ويكون ابن مهدي هو الذي يكسو أهله من عنده، وليس لأحد من العسكرية فرس يرتبطه في داره ولا عدة من سلاح ولا غيرها، بل الخيل في إصطبلاته والسلاح في خزانته، وإذا عنَّ له أمر أخرج لهم من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه.

وكان من سيرته: أنه يقتل المنهزم من عسكره ولا سبيل إلى حياته أبدًا، وكان يقتل من يشرب الخمر ومن يستمع الغناء، ويقتل من يَزْني، ويقتل من تَأَخَّرَ عن صلاة [الجمعة و][3] الجماعة وعن مجلسي وعظه، وهما يوم الإثنين والخميس، ويقتل من تأخر فيهما عن زيارة

(1) هذا النص منقول من مفيد عمارة: 117 (تحقيقنا).

(2) سقط من (و).

(3) زيادة في (ع).

قبر أبيه، وهذه الرُّسوم، فإنما هي على العسكرية، وأما الرعايا فالأمر فيهم ألطف.

قال عمارة[1]: وكان السيد عبد النبي بن علي بن مهدي شاعرًا فصيحًا بليغًا، مع الملك والشجاعة والإقدام، وكرم النفس، وله ديوان شعر جَيّد، ومن مستحسنات شعره القصيدة المسمطة، احتوت على معان كثيرة، ورثى فيها والده، وشهدت بمعرفته التَّامة وفَضْله الكامل وقد أثبتها بأسرها وهي هذه[2]:

لمن طلول بالحمى   كأن كسين معلما[3]   يلقى بها المصلّما[4]   والأحقب المكدَّما
وكلما جئت الربى   وجدت فيه الشنبا   يتلو الغرير والابا[5]   في نعجات[6] المكدَّما
وصادحات البلبل   يصدحن في تبلبل   وهاتفًا يجلجل   يرهقها ترنما
يحثها إذا دعا   حَثّ الكماة الوزَّعا   فإن خنس ذا[7] سمعا   فجئنه تيمما
يحجلن مهما حجلا   قازلة وأقزلا   كأنّهنّ مُثَّلا   فريق زنج بهما[8]
والخيط[9] والمساحلا[10]   تمشي بها الأصائلا   مشي المها موائلا   سوارحًا وسُوَّمَا
منبعثات بالرجا   يعافرًا وهدّجا   وتولبا[11] ومعلجا   وأخطبا وأغثما
وهن يتبعن اللأى   وكل ممسود وأى   تظنه إذا شأى   أقب داني أطما

---

(1) (المفيد): 115.

(2) قال ناسخ (ع) في الهامش: اعلم هداك الله أن هذا الشعر منقول من الأم على هذه الصورة مثله ولم نقدر نفهم معناه فليعذر الناسخ والمطلع عليه إن شاء الله.

(3) الثوب المعلم (من الأصل) وجميع هذه الشروح منقولة عن مخطوطة (ع).

(4) مقطوع الأذنين.

(5) الأم أو أب الأب.

(6) في (ع) نعجات قال: إناث الظبا.

(7) في (ع) حسن.

(8) البهمة: الشجاع الذي لا يهتدى من أين أتى.

(9) الخيط: بفتح المعجمة: البقر أو النعام.

(10) المساحل: جمع مسحل فحل الحمر الوحشية.

(11) التولب: ولد الحمار الوحشي.

وتحسب الخفيد دا[12] همرجلا[13] عمردا[14] والعين غيدا مُيّدا مكتنفات بالإما
كأنما رغالها راتعة افالها وإنما مثالها كالشول[15] يقفومقرما[16]
وقد غبرت مذ زمن أبكي الديار والدّمن فما وجدت من قمن يبكي لوجدي مغرما
وما عسى يرد لي من الطلا[17] والطلل وشادن ومطفل وتنبل وأعظما
وكيف خلت خلتي بين اللتيا والتي أبايَنَتْكَ ملّتي أم ضقت عنها محزما
وما جريت في أمد إلاً وكنت المعتمد فاجمل بذاك لي ممد وانهض بها أن تسأما
والله لو عرفتني حقيقة أنصفتني وإنما علمتني بالاسم لَمَّا أن سما
جهلت أمر قصتي وجئت شَرَّ جيئة فعد بتلك الزَّلة فقد أتيت مأثما
واعلم بأن الصيلما[18] يشرق عن جمر وما فإن ربتك فاعلما أنك مطلوب دما
لا تحسب الضراغما تروح منها سالما إني أراك واهما لا تستفيق من عمى
شَرَّ الرجال الهدره لا ترض إلا حيدره وعامرًا وعنترة والأيهم المهرثما
أولئك الفوارس والجلّة الدهارس[19] والبطل الممارس من لابس العرمرما
أين السها من القمر والشوذنيق من نغر[20] إن الهزبر إن زأر لف الرعا والنَّعَمَا
ولو علمت[21] منصبي ومن أنا ومن أبي لطفت حول مذهبي مصليًا مسلما
أنا ابن من جَرَّ القنا والخيل تجري سَنَنَا يلقى الخميس الأرعنا والقيروان الأدهما

(12) بالخاء المعجمة: ذكر النعام.
(13) الهمرجل: الناقة السريعة والجواد وكل خفيف.
(14) العمرد: الطويل.
(15) الناقة.
(16) فحل الإبل.
(17) الطلا: ولد الظبية.
(18) السيف.
(19) الدهارس: الدهاة.
(20) النغر: طائر معروف كالعصفور.
(21) في (ع) عرفت.

إمامها المرجَّبا ودرّها المحجبا الحُوّلي القلبا المصقع المعظَّما
فاسأل ولا تَرَيَّبَا قونس[1] أو حليبّا وذا شرى وحوّبا واشف صداك منهما
وعد لشاهد رِمَعا فالأمر فيه مشرعا واشرب هنيًا جرعا مزجن قدمًا علقما
وعد إلى أم القرى[2] حيث توافي العسكرا فكم بها الشُّرُّ طرا حتى أراع القشعما[3]
ودون لَحْجٍ والرما[4] وحيث ما البحر طما ضرب يروع الضيغما ويستقيد الشلثما[5]
جياد أقوام خَلَتْ قدع غالها ريب الفلَت فاعجب لما قد فعلت تأخراً ومقدما
وهاك فاسمع خبرا أتت به الحبوكرِي[6] من ساعد[7] وتعشرا[8] وعارض فيها همى
لوت بوهاس ضحى فابتدرته مرحا فظل من تحت الرحى مضرجًا مرغَّما
أتته شعثًا ضُمّرا وهي تجر العِثْيرا جر العريضى وقرا وفوقها الصيد الكما
وكم غدون نُزَّعا وجئن قومًا شرعا يحملن كل أشجعا يغشى الوغى مصمما
لا ينثني عن الرَّدى حتى يوافيه غدا فاعجب له ما أنجدا ما المرء إلَّا حيثما
ولو عمدت قيصرا وابن قباذ الأكبرا لهلَّلا وكبرا ومن شباها[9] أحجما
وبات أزد شيرها وهو لها أسيرها يقوده صغيرها قود الوليد الغيهما[10]
يا حبذا ارغالها[11] مصلتةً نصالها تؤمّه رجالها كأن فيه عَنْدما

---

(1) قونس: جبل شرقي رمع.
(2) أي إلى زبيد (من الهامش).
(3) المسن من النسور.
(4) اسم بلد.
(5) الشلثم: الغول والداهية.
(6) الداهية.
(7) اسم وادٍ.
(8) اسم وادٍ.
(9) الشبا: حد السيف.
(10) الحنش الكبير.
(11) جمع رغيل: القطعة من الخيل.

تشل خيطان[1] الفلا   شَلّ الكماة الجحفلا   والذئب يمشي الدألا[2]   ويستحث السمسما[3]
والعير تقفو السمحجا[4]   وهي تعاطيه النجا   والرند يتلو الأخرجا   متّسقات رُسَّمَا
فها أنا والأربا[5]   مسطحبين في الربى   حتى نقضي الأربا[6]   ونبلغ الموسَّما
ومن حُمَاة دولتي   أهل الكفا والصولة   ومن رجال حولتي   في عصر من تقدّما
أنت المجلي[7] يا علي   وصاحب التبتُّل   لله أنت من ولي   وقائد عَرَمْرَمَا
أعززْ عَليَّ أن ترى   مغيّبًا تحت الثرى   فلو نبذت بالعرا   ملأت قطريها دما
تبدَّلت أحوالُكا   وافترقت رجالُكا   وما مضى فعالُكا   لكنَّه باق كما
أين أبوك آدم   وآزر وغيلم   وأيمن وإرم   والبالغون الظلما[8]
دَهَتْهم الدَّوائر   وسارت السوائر   والموت لا يجاور   ولا يراعى رَحِمَا
فيا لها من فِتْنة   لو أنَّها لم تُفْلت   سبحان باري الأُمَّةِ   ومجتبي أهل السما

قال عمارة[9]: واجتمع لعبد النبي بن علي بن مهدي ملك التَّهائم والجبال، وانتقلت إليه أموال جميع ملوك اليمن وذخائرها.

قال: وحَدَّثني محمد بن علي من أهل ذي جبلة: أنه قال حَصُل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولةً من دول أهل اليمن، فمن ذلك أموال ملوك الحبشة[10] ووزرائها، وما مِنْ عبيد فاتك وجهاته[11] وأعيان دولته إلَّا من مات عن أموال من العين الجزيل صار جميع

(1) الخيطان: النعام.
(2) المشى الضعيف.
(3) الثعلب.
(4) الأتان الطويلة الظهر.
(5) الداهية.
(6) جع ربوة.
(7) المجلَّى: الأول في السباق من الخيل.
(8) أي أين من أجداده الذين بلغوا بحر الظلمات كما يقال في أساطير حمير.
(9) (المفيد): 115.
(10) (المفيد): زبيد.
(11) الجهات هنا: جمع جهة الأميرة أو السيدة من أهل الملك.

ذلك إليه، لأنه ملك الذَّراري والنساء، فأظهروا له كنوز أموالهم[1] من المصاغ واليواقيت واللؤلؤ والملابس الجليلة على اختلاف ألوانها، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: 25 – 28]. وانتقل إليه ملك بني سليمان الشُّرفاء، وانتقل إليه ملك بني وائل أصحاب وحاظة[2] وهم أهل دولة متأثلة، وكذلك [من بقي من][3] معاقل بني الصليحي وبكل معقل منها أعمال واسعة، وارتفاعات جليلة، وانتقلت إليهم ذخائر الدَّاعي علي بن محمد الصّليحي وذخائر ولده المكرم أحمد بن علي وذخائر زَوْجته الحرة السيدة الملكة بنت أحمد، وذلك أن الجميع انتقل إلى السيدة بنت أحمد الصليحي فأودعته التعكر فتغَلَّب المفضل بن أبي البركات على الحصن وما فيه، فلما مات المفضل انتقل التَّعكر وما فيه إلى ولده المنصور بن المفضل، ثم انتقل ذلك كله إلى ابن مهدي، وانتقل إليه حصن (المجمعة) وأمواله على ما قيل ومدينة ذي جبلة، وهي مقرّ[4] الدعوة الفاطمية باليمن وكرسي ملك بني الصليحي، وكذلك مدينة الجَنَد وأعمالها، وكذلك تالبة وشرياف [وذخر وأعماله وهو مخلاف واسع][5]، ومدينة ذي أشرق ومدينة إب وحصون خولان وحصون بني ربيعة، وهي عَزَّان وحَبٍّ والشماحي وحصن السَّواء لابن الشيباني[6] الخولاني، ومعاقل الداعي عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود، وهي سامع ومطران ويمين وهي حصون إقليم المعافر، وانتقل إليه معقل اليمن الذي ليس بعد التعكر وحب سواه، وهو حصن (السَّمدان)، وبه يضرب المثل، وهو الحصن الذي ليس لمخلوق عليه اقتدار ما لم تعنه ماضيات الأقدار.

قال عمارة[7]: وهذا الذي سَمَّيته نقطة من بحر ما ملك ابن مهدي، فإني لم أذكر بلاد المظفر بن سبأ بن أحمد الصليحي ولا إقليم حراز ولا بُرَع ولا بكيل ولا حاشد ولا جِبْلة

(1) (المفيد): مواليهم.
(2) بلدة خربة من أعلى جبل حبيش في عزلة شبع شمالي إب (المقحفي: 692).
(3) زيادة من (المفيد).
(4) في (ع) نهر.
(5) سقط من (و).
(6) في (ع) السبائي.
(7) (المفيد): 116.

ولا وادي نخلة ولا وادي عنَّة ولا وادي زبيد ولا وادي رِمَع ولا غير ذلك من جبال وادي رمع وريمة الأشاعر[1] وحصونها، ولا وحاظة وأعمالها وهو مسيرة أيام، ودَمْت وأعمالها، ولا غير ذلك مما يكثر تعداده، وكانت دولة بني مهدي في اليمن خمس عشرة سنةً وشهرين وأربعة عشر يومًا، والله سبحانه أعلم [وأحكم][2].

(1) كذا في الأصل لعل صوابه (ريمه الأشابط) وفي (المفيد): ريمة والأشاعر.

(2) زيادة من (ع).

الفصل الخامس

في ذكر دولة بني أيوب

قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول: كان أول من دَخَلَ اليمن من بني أيوب السلطان الملك المعظّم شمس الدولة تُوْران شاه بن أيوب، واختلف المؤرِّخون في السبب الموجب لمسيره إلى اليمن، فقال ابن خلكان[1]: كان السَّبب في ذلك أنه لما استولى السُّلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة الديار المصرية، وأطاعه أهلها وتمَهَّدت قواعد الملك فيها، بلغه أن في اليمن إنسانًا يسمى عبد النبي بن مهدي قد استولى على ملك اليمن، ويَزْعم أنه ينتشر ملكه حتى يملك الأرض كلها، وكان قد ملك اليمن واستولى على حصونه، وخطب لنفسه، وتثبتت قواعده واستفحل أمره، وانتشر في أقطار اليمن عَسْكره، فجهَّز الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم شمس الدَّولة توران شاه بن أيوب في جَيْش جَرَّار إلى اليمن، فكان مسيره من الديار المصرية في أثناء شهر رجب من سنة تسع وستين وخمس مئة.

وقال الجَنَدي في (تاريخه)[2]: السبب في ذلك أن رجلاً من أهل اليمن يقال له: ابن النساخ كان فقيهًا فاضلًا، كتب رسالةً بليغةً إلى الخليفة ببغداد يشكو فيها من ابن مهدي، ويذكر قُبْح سيرته وسوء عقيدته، وكتب مع الرسالة قصيدةً طويلةً يقول فيها[3]: [من الطويل]

فيا غاديًا نحو العراق محثحثًا ... رحيل زكاة والحياة نصاب

إلى أن ترى بغداد والمنزل الذي ... به نَسَب للهاشمي قراب

---

(1) ابن خلكان 1: 306.

(2) (السلوك) 2: 525 وللتوسع في أسباب دخول الأيوبيين اليمن انظر كتاب (الأيوبيون في اليمن) للدكتور محمد عبد العال أحمد: 70 – 81 و(كتاب الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي) 55 – 70.

(3) انظرها في (السلوك) 2: 525.

أَلِـمَّ بـأبـراج[1] الخليفة لاثـمًا عِـراصًـا ومـا كـلِّ الـتُّـراب تـراب
ثـرى مَـسَّـه الـعَـبَّـاس ثُـمّ رِجَـالـه هو المِسْك والكافور طاب وطابوا
مقـام بنـي العبـاس كرسيُّ ملكهـم فـلـلـه بــرح في الــعــراق وغــاب
إمــام بـنـي الـعـبـاس مـشـتـق نبعة وعـن شيبة الحمد انتضاه نصاب
وقـل لإمـام العَصْر يا بن خلائف هُـمُ حُـجُـجٍ محجوجة وكعاب
غدت مِلَّة الإسلام مقصومة العُرَى وعــامــر ديــن الله وهــو خَــرَاب
تــذبَّــح أبــنــاء وتــسـبـى عـقـائـل ضــلال يُــرَى في أرضـنـا وتَـبَـابُ
بـنـات رســول الله بـيـن بيوتهم سبايا من السِّتر الجميل سِلاب
فدَع عَنْك ملك الرُّوم وانهض لمكَّة فـسـيـفـك فـيـهـا مـضـرب وذبــاب
فـمـا في قـتـال الــروم فـخـر وهـذه بـأظـهـركـم مـا في الـكـلام كِـذَاب
يـغـيـر ريــب الـدهـر ديــن محمد ومــا راب أديــان الـيـهـود مـراب

قال: فلما بلغت الرسالة إلى الخليفة كتب الخليفة إلى السُّلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأمره أن يجهِّز عسكرًا إلى اليمن لقتال هذا الخارجي بها، فوجَّهَ أخاه الملك المعظم توران شاه بن أيوب في التاريخ المذكور.

قال الشريف إدريس بن علي بن الحسن بن حمزة في تاريخه (كنز الأخيار)[2]: كان السبب في دخول بني أيوب وتملُّكهم بها على أهل اليمن أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استولى على ملك مصر وامتنع من إتيان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام خشي من السلطان نور الدين، وعلم السلطان صلاح الدين أنه لا طاقة له به، وكان نور الدين قد هَمَّ به، فشغله عنه الفرنج مرةً بعد أخرى لما قد أراده الله تعالى من تملّك بني أيوب، وكان بنو أيوب جميعًا وأبوهم أيوب بن شادي من غلمان السُّلطان نور الدين بن

(1) (السلوك) (المطبوعة) بـأبارج.
(2) (كنز الأخيار): 91 وحول دخول توران شاه اليمن انظر «سناء البرق الشامي: 97».

محمود بن زنكي[1] صاحب الشام، وهو الذي أرسلهم إلى مصر نجدةً لهم على الفرنج، فلما طردوا الفرنج عن مصر ملكوها وخرجوا عن طاعة نور الدين، وقد تقدَّمَ ذكر ذلك في موضعه من كتابنا هذا[2]، فلم يزل صلاح الدين يتَوَقَّع هجوم نور الدين، فَأَحَبَّ السلطان صلاح الدين أن يرتاد موضعًا يلجأ إليه إن قصده نور الدين، فَبَعَثَ أخاه شمس الدولة توران شاه إلى بلد النُّوبة في سنة ثماني وستين وخمس مئة، فوجده بلدًا ضنكًا ضيق العيش، عظيم المشقة، فرَجَع عنها وقد غنم منها شيئًا كثيرًا من الرَّقيق، ثم بعثه إلى اليمن في سنة تسع وستين وخمس مئة كما تقدم من تاريخه، وكان دخوله زبيد يوم التَّاسع من شوال وحاربه عبد النبي فقتل في الحرب، وقيل: أخذ أسيرًا ولم يزل في الأسر إلى أن مات في الأسر، [وافتتحت المدينة بعد قتله][3]، وقيل: بعد أسره، وقد قيل: إنه قتل بعد أسره، والله أعلم.

وقال صاحب (العقد الثمين[4]) وغيره: إنما دَخَل الملك المعظم نجدةً للشَّريف قاسم بن غانم السليماني، وذلك أنه لما قتل أخوه وهاس بن غانم، وكان الذي قتله بنو مهدي، فقام أخوه قاسم بن غانم بحربهم، فأَلَحُّوا عليه بالغارات حتى عجز عن مقاومتهم، فخرج إلى الديار المصرية مستنجدًا بالملك النَّاصر صلاح الدين على ابن مهدي، وقيل: كان خروجه إلى الخليفة بالعراق، فكتب له الخليفة إلى الملك الناصر وأمره بإنجاده على ابن مهدي، فأنجده الملك الناصر بأخيه شَمْس الدولة توران شاه بن أيوب في ألف فارس، وقيل: في ثلاثة آلاف فارس، وكان خروجه من مصر في رجب من السنة المذكورة.

وكان دخوله زبيد يوم التَّاسع من شوال بعد أن قاتله عبد النبي بن مهدي قتالًا شديدًا، فقتل في الحرب، وقيل: أسر ثم قتل بعد الأسر، وقيل: لم يزل في الأسر إلى أن مات.

ولما دَخَل شمس الدولة مدينة زبيد واستولى عليها أقام بها إلى ذي القعدة، ثم نهض إلى الجَنَد وأخذ حصن[5] تعز وقاتل أهل صَبِرَ، وأهل ذَخِر، فلم ينل منهم منالاً، ثم نهض[6] لعدن

(1) في (ع) ارتكى.
(2) يعني في القسم الخاص بملوك دول الإسلام (تحقيق شاكر محمود عبد المنعم): 181.
(3) سقط من (ع).
(4) هو نفس الكتاب المسمى ب (السمط الغالي الثمن) مع اختلاف يسيرانظر: 16ط (ركس سميث).
(5) في (ع) بعض.
(6) للتوسع في دخول توران شاه عدن انظر (الأيوبيون في اليمن): 87 - 89.

فأخذها يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة ونهبها العسكر، وقَبَضَ على أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود، وعلى الشيخ ياسر بن بلال، ولما دخل عدن في التاريخ المذكور أنشده الأديب أبو بكر بن أحمد العندي، فقال[1]: [من الكامل]

أعساكرًا أسريتها[2] وجنودا ... أم أنجم أطلعتهن وسعودا
أم تلك ماضية العزائم أرهفت ... بالرأي منك وجُرِّدت تجريدا
أم تلك أقدار الإله ونَصْره ... رفعت عليك لواءها المعقودا
فسموت تطوي البِيْدَ معستفا بها ... حَتَّى لكادت أن تبيد البيدا
ونهضت لا الصَّعْبُ المرام رأيته ... صَعْبًا ولا المرمى البعيد بعيدا
واقتدتها قُبَّ الأياطل[3] غادرت ... متن الفلاة بركضها معقودا
شُعْثًا يطيّرها المراح كأنها الـ ... ـعقبان تحمل في الحديد أسودا
فاضت على البَرِّ الفضاء بنقعها ... كالبَحْر فاض عوارفًا ممدودا
وسددت منفتح الفضاء بنقعها ... وفتحت باب فتوحها المسدودا
وشهرت نصرك[4] والعزائم فالتظُّت ... منها البلاد تلهُّبًا ووقودا
بسيوف بأس لا تفل مضاربًا ... وجِيَاد رَكْضٍ ما تَجِفُّ لبودا
جَرَّدتها من أرض مصر ما ارتضت ... إلا رُبَى يَمَن لهنَّ غمودا
حتى صَدَمْتَ بها زبيدًا صدمةً ... كادت تزيل عن الوجود زبيدا
لاقتك باستعدادها وعديدها ... فرأتك أقوى عدةً وعديدا
وفتحتها باللحظ حين لمحتها ... قبل ارتدادك لحظها المردودا

---

(1) انفرد المؤلف بذكرها ولم ترد في مصدر غيره، ونقلها عنه ابن الديبع في (قرة العيون): 267 و(هدية الزمن) للعبدلي: 65 وانظرها أيضا في (طراز أعلام الزمن) للمؤلف: 599.
(2) في (ع) سيرتها وفي (قرة العيون): أرسلتها.
(3) في (ع) البطول والأياطل مفرد أيطل: الخاصرة.
(4) الطراز: بيضك.

نصر سما الإسلام[5] منه بناصر[6] ... مستغرقًا في نَصْره المجهودا
فليملأن الأرض من أنبائه ... ما تَقْشَعِرُّ الأرض منه جلودا
وسَمَتْ إلى عدن عزائمك التي ... صدقت وعيدًا في الورى ووعودا
فضربت سامية[7] الخيام فما انتهى ... عنها الجميع مطنَّبًا معمودا
حتى دككت جبالها ودروبها ... وجعلت تربًا صخرها الصيخودا[8]
وأبحت مغنمها العساكر مالئًا ... منها الصُّدور مكاسبًا ونقودا
ومددت فيها أمن ظلٍّ لم يزل ... بك في البَرْية صافيًا ممدودا
وأعدت[9] ريعان الشباب لعصرها ... فالنَّاس شاب له الزمان وليدا
فليأت أرض الشام عَنْك ومصرها ... أَنْ قد أَسَرْتَ بها الملوك عبيدا
وطلعت شمسًا إذ طلعت فكَشَّفت ... أنوار طلعتك اللَّيالي السُّودا
ولو أن أملاك البسيطة أَنْصَفَتْ ... خَرَّتْ لعزِّك رُكَّعًا وسجودا
ولو انها أوفت مقامك حقه ... فَرَشَتْ لمقدمك البقاع خدودا
ولو أن نجم الدين[10] كان مشاهدًا ... لرأى مقامك في العلا مشهودا

(5) يلاحظ هنا أن هذا الشاعر السني الذي عاش حياته يمدح حكام اليمن من أهل الضلال والمروق عن الإسلام من أتباع الدولة الفاطمية مضطرا إلى ذلك وخشية من بطشهم، نجده ما يكاد يسمع بدخول بني أيوب اليمن وهم أهل الدولة السّنية التي أبادت الصليبيين والشيعة الغلاة نجده يبادر بمدحهم بهذه القصيدة الغراء على كبر سنه وتقدمه في العمر لا خوفا منهم ولا رغبة في هباتهم وإنما كان ترحيبا بهم واستبشارا لإنقاذهم أهل اليمن من ظلمات الكفر والبدعة، والحق يقال أنه لولا قيام الدولة الأيوبية ومن بعدهم من بني رسول لكان اليمن اليوم من ضمن بلدان الشيعة.

(6) يعني ناصر الدين صلاح الدين الأيوبي.

(7) في (و) ماشية.

(8) صخر الصيحود: لا تعمل فيه المعاول.

(9) في (و) وعددت.

(10) يعني به والد توران شاه، نجم الدين أيوب بن شادي، انظر ترجمته في (وفيات الأعيان) 1: 255.

ولكان يعلم أنّك الملك الذي بالنَّصر أيَّد عزمه تأييدا[1]
ملأ[2] النَّواظر والخواطر هيبةً وعزائمًا وصوارمًا وجنودا
متردِّدًا كالشَّمس في أفلاكها والشَّمس ما إن تسأم الترديدا
يا أوحد الدنيا وواحدها الذي نَصَرَ الهدى والدين والتأييدا
يا من تَفَرَّدَ في الوجود مكارمًا ونَدًى يفيض على الأنام وجودا
لجلال شمس[3] الدين شمس أخجلت شمس النهار إنارةً وربودا[4]
[لله منك[5] مواقف مشهورة فاتت بها التكييف والتحديدا][6]
ووقائع أضرمت عن يَمَنٍ بها في كل أرض بالسِّماع وقيدا
هَزَّت بك البيض الرِّقاق معاطفًا فكأنما سَقَّيْتَهَا القنديدا[7]
وجريت عنها الملك منفردًا به مستخدمًا فيه الملوك عبيدا[8]
ونثرت سَعْيك في الزَّمان مكارمًا نظمت على جِيْدِ الفَخَار عقودا
وَحَبَيْتَهَا بقيام بأس غَادَر الأفـ ـلاك في ذُلِّ الخضوع قعودا
ونشرتها في الخافقين مآثرًا ملء العيون بوارقًا ورعودا
فاستفتح الدنيا بِسَيْفِكَ إنَّه حُكْم القَضاء مسدَّدًا تَسْديدا
فلقد تطاولت البلاد ومَهَّدَتْ للعزِّ منك دسوتها[9] تمهيدا

---

(1) في (الطراز): سدد عزمه تسديدا.
(2) (الطراز): ملء.
(3) يعني به الممدوح شمس الدين توران شاه.
(4) كذا في (و) وفي (ع) زنودا وفي الطراز: وقودا.
(5) قرة العيون (المطبوعة) ملك.
(6) سقط من (ع) وهو في (و) و(الطراز).
(7) الخمر.
(8) الطراز: العبيدا.
(9) (قرة العيون): واستوتها.

وتنافست فيك البقاع مشارقًا ومغاربًا وتهائمًا ونجودا
وتلا مدائحك الزَّمان وغَرَّدت وُرْقُ الحَمَام بِوَصْفها تغريدا
وبقيت مَنْصور اللِّواء مظفَّرًا وغَدَا الزَّمان لما أردت مريدا
ثم الصَّلاة على النَّبي محمد الـ ـمختار ما افْتَرَّ الصَّباح جديدا

ولما دخل[1] السلطان الملك المعظم عدن أقام بها إلى النِّصف من ذي الحجة، ثم نَهَضَ قاصدًا لمخلاف جعفر فأخذ التَّعكر يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة، ثم سار نَحْوَ نقيل صَيْد يوم الإثنين سلخ ذي الحجة، ثم قصد ذَرَوَان يوم الثلاثاء أول المحرم سنة سبعين وخمس مئة، فقاتله الشيخ عبد الله بن يحيى الجَنْبي[2] قتالاً، ثم صالحه يوم الأربعاء ثاني الشَّهر المذكور، ثم نهَض وأخذ المصنعة من الشيخ محمد بن زيد بن عمر[3] الجنبي، ثم نهض يريد ذمار فسار، فاعترضته جَنْب في موضع يسمى رُخَمة شرقي ذمار يوم الخميس العاشر[4] من المحرم فقتل من الغز خمسة وستون رجلاً [وأخذت خيلهم وسلاحهم[5]]، ثم دخل شمس الدولة إلى ذمار، فأقام أيامًا ثم نهض يريد صنعاء فاعترضته جَنْب ومن معهم من في الطريق فذم[6] شمس الدولة عسكره وقال لهم: أين أنتم من ديار مصر، قاتلوا عن أنفسكم، وإلا أكلتكم العَرَب، فقاتلوا قتالًا شديدًا فاهتزمت جَنْب ومن معهم، وقتل منهم نحو سبع مئة رجل، وتَبِعَهم العَسْكر إلى أن دخلوا حصن هِرَّان وأخذوا من خيلهم قلائع[7] كثيرة، وفي ذلك يقول الشاعر الشوكي:[8] [الوافر]

وقال لجنده موتوا كرامًا فأين ديار مصر من ذمار؟

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 17 و(كنز الأخيار): 90 و(السلوك) 2: 520.
(2) انظره في (السمط الغالي الثمن): 17.
(3) في (ع) عمرو وفي (السمط الغالي الثمن): 17: محمد بن زيد اليعبري الجنبي (يحقق).
(4) السمط (التاسع).
(5) سقط من (و).
(6) في (و) مدبر وفي السمط (ذمر).
(7) السمط: 18 ومعناه: أخذها أو انتزعها.
(8) في السمط: 18: شاعر ذمار.

ثم سار نحو صنعاء فوصلها نصف النهار من يوم الجمعة السابع عشر من الشَّهر المذكور، فَحَطَّ في الجنوب[1] الشرقي منها، وكان في الجنوب يومئذ ثمانية[2] أفراس من همدان فأحاطت بهم الخيل فقتل منهم ثلاثة ونجا خمسة، وأقام الملك المعظَّم في محطَّته بالجنوب إلى يوم الإثنين الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وخرج إليه مشايخ صنعاء ووجوه أهلها في زَيٍّ حسن [لا يخرج فيه إلا أهل الإسكندرية][3]، فأعجبه زَيَّهم، فاستحضر جماعةً من رؤسائهم وحاورهم وحدثهم، ثم دخل صنعاء وملكها[4].

وكان السلطان علي بن حاتم في براش وأخوه بشر بن حاتم في عَزَّان[5].

ثم نهض شمس الدولة من صنعاء يريد تهامة صبح يوم الإثنين وقَصَدَ طريق نقيل السُّود، وهو من بلاد بني شهاب وبلاد سَنْحان [مطل على حَقْلِ سَنْحَان وسهام][6]، فلحقه قوم من بني شهاب، وقوم من سنحان فأخذوا أواخر عسكره، فلَم يلتفت إليهم وسار قاصدًا تهامة، فلما صار في حدود بُرَع أخذ أهل برع له جمالًا كثيرةً عليها أموال جمة من الذهب والفضة والسلاح والآلة، وأَجْزل ما كان عليها من آلة مصر[7]، ومال زبيد، ومال عدن الذي نُهِبَ منهما يوم أخذهما[8].

وكان السلطان علي بن حاتم قد شرع في خراب درب[9] صنعاء من يوم الإثنين السَّابع من المحرم إلى يوم الأربعاء السادس عشر منه، فلما وصل شمس الدولة إلى صَنْعاء أشار عليه

(1) السمط: المطبوعة الجبوب، والجبوب موضع بالشرق من صنعاء أسفل جبل نقم (المقحفي: 110).

(2) عبارة السمط: وقد كانوا حين جاءت المحطة صادفوا ثمانية أفراس.

(3) زيادة من (كنز الأخيار): 91.

(4) كذا عبارة (كنز الأخيار) وكتابنا هذا وينفي مؤلف (السمط الغالي الثمن): 18 وهو حفيد علي بن حاتم المذكور، دخول توران صنعاء يقول: إن الإجماع على أن الملك المعظم لم يكن له إقامة في الجهات الصنعانية ولم يصله أحد من أهلها وانظر الأيوبيون في اليمن لمحمد عبد العال أحمد: 92.

(5) لم يتوسع صاحبا كتابي (كنز الأخيار) و(السلوك) في أخبار توران شاه باليمن، فنقل المؤلف أخباره عن (السمط الغالي الثمن).

(6) زيادة من السمط: 19.

(7) عبارة السمط: وكثيرا مما استصحبوه من البلاد المصرية.

(8) (السمط الغالي الثمن): 19.

(9) الدرب: هنا الطريق.

قوم من أهل صنعاء بعمارة الدرب وإصلاح ما تشعث منه، وما قد تَهَدَّمَ، فلما نزل شمس الدولة من صنعاء يريد تهامة - كما ذكرنا - خَشَي السلطان علي بن حاتم من عَوْده مرة أخرى فأمر بإتمام خرابه وكسر خنادقه، وهدم سوره، واستئصال مآثره[1].

ولمَّا وصل شمس الدولة زبيد أقام بها إلى شهر جمادى الأولى من السَّنة المذكورة، ثم نهض إلى الجَنَد فوصله الوالي الذي على جَبَل صَبِر، وكان من قِبَل عبد النبي ابن مهدي، فَسَلَّم إليه الحصن، ثم نهض لحصن ذُخَر فأخذه وأخذ حصن تالبة وشرياف، ثم حَطَّ على عَزَّان ذخر، وفيه يومئذ علي[2] بن حجاج من أهل تهامة فَسَلَّمَ الحصن وسَلَّم معه عشرة آلاف دينار ملكية[3] كانت وداعة عنده لعبد النبي ابن مهدي.

ثم سار[4] شمس الدولة إلى أرض المعافر، فحارب حُصَن يُمَين وفيه يومئذ منصور بن الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود، فهرب[5] منه الديوانيون، فسَلَّم الحصن، ثم سَلّم حصن منيف [وكان لأبي الغيث بن سامر][6]، ثم سلم حصن السَّمدان من النائب الذي فيه يومئذ، ثم نهض إلى الدملؤة وفيها يومئذ الأميران ولدا[7] الدَّاعي عمران بن محمد بن سبأ وكان الوالي فيه يومئذ جوهر المعظمي[8]، فلم ينل من الدملؤة شيئًا، فعاد وتركها.

ثم عاد إلى جبلة فأقام بها إلى يوم الرابع من شعبان من السنة المذكورة، وبَلَغه ظهور خلاف في تهامة فأمر بقتل عبد النبي ابن مهدي وأخويه أحمد ويحيى فقتلوا في زبيد، ثم نزل شَمْس الدولة من جِبْلة إلى زبيد فدخلها يوم الثالث عشر من شعبان المذكور، فأقام فيها.

ولما أقام شمس الدين في اليمن سنةً كاملةً اشتاق إلى الشام، وضاقت عليه اليمن، ولم تعجبه، لكونه تَرْبِيَة الشام، وهي كثيرة الخيرات، واليمن أرض مجدبة بالنُّسبة إلى الشام،

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 19.

(2) انظره في (السمط الغالي الثمن): 19.

(3) السمط (دينار ذهب) وحول الدينار الملكي الذي ضربه أحمد بن علي الصليحي انظر (عدن: دراسة في أحوالها السياسية) لمحمد كريم الشمري: 278.

(4) (السمط الغالي الثمن): 19.

(5) (السمط الغالي الثمن): 20 (وذلك بتخاذل الديوان والرتبة هربوا من الحصن).

(6) زيادة من السمط.

(7) السمط: ولد.

(8) السمط: جوهر العمراني.

وكان قد بلغه خَبَر وفاة نور الدين محمود بن زنكي واستيلاء أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة الشام، فاشتاق إلى الشام، فكتَب إلى أخيه الملك الناصر يسأله أن يأذن له في القفول إلى الشام، وأرسل إليه بهذه القصيدة(1): [من البسيط]

لـولا محلك في قلبي وأفكـاري ... ما رنَّح الشَّوق أعطافي وتذكاري
ولا التَـفَـتُّ إلـى مِصْـر وساكنها ... وقـد تعوَّضت عن مِصْرٍ بأمصار
ولا حَثَثْتُ لأرض الشام راحلتي ... وإن تكن تلك أوطـاني وأوطـاري
ولا شَجَتْنِي كُـتْـبٌ منك واردة ... يجلُّ أخطارها في عِظْمِ أخطاري
سَحَّارة اللفظ والمَعْنَى وما نَشَأَتْ ... بِسِحْر بابل عن إنشاء أَسْحار
[ولا ترنمت والأشـواق تَمْرح بي ... لبارق من نواحي أرضكم شار](2)
ما الـدَّار إلا دِمَشْـقٌ والمُنَى حلب ... والشَّوق مصر وفي الزورا مِذْ راري
تلك المـنازل لا لَـحْج ولا عَـدَن ... ولا زَبـيـد ولا أكـنـاف تِـعْـشـار
هـذا على أن قَـدْر الملك في يمن ... عـال ولـكـنَّـه مـن دون مـقـداري
وقـد أَبَـدْتُ الملوك المنتمين به ... واقـتـدتـهـم قَـوْدَ إذلال وإصـغـار
لكنه مُـذْ أتتني الـكُـتْـبُ تُخْبرني ... إضمار شوقك ما يخفيه إضماري
ومخبرات بِفَتْح الـشـام هَـيَّج لي ... ما أعربت عنه من شـوق وأَخْـبَـار
وزادني أسـفًـا جَـرُّ الجيوش ولم ... أَجْـرر بها ذَيْـل عالي النقع جَـرَّار
وفَتْحُ سيفك حِمْصًا مَعْ حَمَاة وَكَمْ ... حامى على الغاب منها لَيْثُها الضاري
وما رأت حلب في الحصر إذ شرقت ... أنفاسها بمجاري رَبْعها الجاري

(1) انفرد بذكرها كتابنا هذا ونقلها عنه ابن الديبع في (قرة العيون): 69) و(هدية الزمن): 67 منسوبة لأحمد بن أبي بكر العندي على لسان توران شاه، وانظرها أيضا في (طراز أعلام الزمن): 602 و(الأيوبيون في اليمن): 100.
(2) سقط من (ع).

فَكِدْتُ من فرط شوقي أن أطير إلى سامي مقامك في جَيْشي وأنصاري
وأطرق الشَّام لا هَمِّي بمنصرف عن الشآم ولا عَزْمي بِخَوَّارِ
حتى أُرِي حلبًا والرِّقتين وأكـ ناف العراقين تأثيري وآثاري
وتَعْلم الموصل الممنوع جانبها أن ليس تَمْنع عن عزمي وعن ثاري
وأن سَطْوة بأسي حين يَقْصدها بِسَطْوة منك تُرْدي كل جَبَّار
في حيث ألبس ليل النقع متَّضحًا في جبجب صبح إقدامي وإسفاري
والتقى دونك الأفراس مُعَلمة لقاء مفترس للأُسْدِ كَرَّار
وأصحب الجَيْش جيش النَّصر ساقية فيه خِيَامي خضيبًا فيه بَتَّاري
وأغتدي سائرًا نحو اللواء إلى حَيث اتّجهت بِعَزْمٍ منك سَيَّار
[فأُصْبِحُ القدس والإفرنج في لجب بزاخر بِعُبَاب المَوْج تَيَّار][1]
حتى أرى مِلَّة الإسلام قامعةً بالقُدْس صَوْلة صلبان وكُفَّار
هذا اقتراحي فَمَنْ لي أن أَفُوز به محكِّمًا فيه إيرادي وإصداري
وإن أعظم قصدي[2] أن أراك على الـ ـمألوف باهر إشراق وأنوار
فكيف لي باجتماع منك صافيةً منه الموارد عن شوب وأكدار

فأرسل إليه صلاح الدين رسالةً مضمونها تَرْغيبه في الإقامة في اليمن، وأن اليمن بلد مباركة، وهي كثيرة الأموال ومَمْلكتها واسعة. فلما قرأ الرسالة قال شمس الدولة لمتولِّي خزانته: أحضر لنا ألف دينار. فأحضرها، فقال لأستاذ داره والرسول حاضر: أرسل لنا بهذا الكيس إلى من يشتري به [لنا به قطعة ثلج فقال: وأين يُوجد هذا هذه بلاد اليمن من أين يكون بها الثلج فقال: مر من يشترى به] طبق مشمس لوزي[3]، قال: وأين يوجد هذا حفظك الله تعالى؟ فجعل يعدد عليه من الأشياء التي لا توجد في اليمن ذلك الزمن، وقد خصَّ الله تعالى

(1) سقط من (طراز أعلام الزمن).

(2) الطراز: سولي.

(3) سقط من (و).

كل أرض بفضيلة، وإنما أراد شمس الدولة إظهار عدم راحته في اليمن، فلما استوفى الكلام إلى آخره، قال: ليت شعري ماذا أَصْنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها فيما أريد؟ فإن المال بعينه لا يَنْفع، وإنما الفائدة فيه أن الإنسان يَتَوَصَّل به إلى ما يريد، فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بذلك، فأذن له في القفول(1).

وفي رواية أخرى قال: لما اشتاق شمس الدولة إلى أخيه صلاح الدين كتب إليه كتابًا وفي الكتاب شعر يقول فيه(2): [من الكامل]

الشوق أولع في القلوب وأوجع ... فعلام أَدْفَعُ فيه ما لا يُدْفَعُ
لاَ تستَقِرّ بي النَّوى في موضع ... إلا تقاضاني التَّرَحُّلُ موضع
وحَمَلْت من وجد الأحبَّة والنَّوى ... ما ليس يَحْمله الأحبَّةُ أجمع
وإلى صلاح الدين أشكو أنني ... مضنًّى كئيب مُسْتهام مُوْجَع
جَزَعًا لبُعْد الدار مِنْه ولم أكن ... لولا هواه لبُعْد دار أَجْزَعُ
فلأركبن إليه مَتْن عزائمي ... ويخبّ في رَكْب الغرام ويوضع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة ... من أفقها صُبْح السَّعادة يطلع

ثم بعث بالكتاب رجلًا من أعيان أهل اليمن، فلما قَدَم على صلاح الدين أكرمه وبَجَّله، وقد كان شمس الدولة قال له: متى وَجَدْتَ مجلس أنس من أخي فأنشده هذه الأبيات، فلما وَجَدَ الرَّجل ذلك، أنشد الأبيات، فلما أنشدها وفرغ من إنشادها، قال له صلاح الدين: القعود والقفول إليه إن أَحَبَّ أن يقف فليقف، وإن أَحَبّ أن يصل فليصل، ثم إنه جَهَّز الرسول جهازًا حسنًا، وكَتَبَ معه كتابًا، وضَمَّنه هذه الأبيات(3): [من الكامل]

مولاي شمس الدولة الملك الذي ... شَمْس السَّعادة منه أَضْحت تَطْلع

---

(1) نقل المؤلف هذا النص من وفيات الأعيان لابن خلكان 1: 308.

(2) لابن أبي المنجم المصري على لسان توران شاه انظر (الأيوبيون في اليمن: 99).

(3) هذه الأبيات نظمها على لسان صلاح الدين الأيوبي الأديب العماد الاصفهاني ضمن رسالة بعثها إلى المذكور. انظر (مفرج الكروب) لابن واصل 2: 49. و(الروضتين) لأبي شامة: 262 و(الأيوبيون في اليمن): 101.

ما لِي سواك من الحَوادِثِ ملجأ ... ما لِي سواك من النّوائب مفزِع
ولأنت شمس الدين فخري في الورى ... وملاذ آمالي ورُكْن أمنع
النَّصر إن أقبلت نَحْوي مُقْبل ... واليُمْن إن أَشْرعت نحوي مسرع

ثم سار الرسول بالأبيات والكتاب إلى شَمْس الدولة فلما قرأه وعزم على السفر إلى البلاد والعود إليها، أمر بِشَنْق بني مهدي، وكانوا ثلاثةً في الأسر، عبد النَّبي وأحمد ويحيى فشُنِقُوا حينئذ على باب الخان بزبيد، وأمر بِتَوْسِيط ياسر ابن بلال وعبده مفتاح السُّداسي، وكان ذلك في شهر رجب من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة[1].

وكان مع شمس الدولة من أعيان الأمراء: [درباس][2] وسيف الدولة مبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نَصر بن منقذ وأخواه: محمد بن مُنْقِذ وخطاب بن منقذ، وعثمان الزَّنجبيلي[3] وياقوت[4] التِّعزي ومظفر[5] الدين قانماز وغيرهم، وكان المبارك[6] بن منقذ يكنى أبا الميمون، وتلَقَّب بمجد الدين، ويعرف بسيف الدولة، وهو من أمراء الدولة الصَّلاحية وشاد[7] الدواوين بديار مصر، وهم أهل بَيْت كبير، ويقال: إنهم من بني حَمْدان[8]، وكان أديبًا شاعرًا فصيحًا، ومن شعره قوله[9]: [من الكامل]

وإذا أراد الله أن يشقى امرؤ ... وأراد أن يحييه غير سعيد
أَغْراه بالتِّرحال من مِصْر بلا ... سَبَبٍ وسَكَّنه بأرض زبيد

(1) (السمط الغالي الثمن): 20.
(2) لم يرد ذكره في السمط.
(3) في السمط: السنجاري أو الزنجاري.
(4) السمط: 20.
(5) السمط: 20.
(6) انظر ترجمته في تاريخ ابن خلكان4: 144.
(7) شاد الدواوين: منصب يقوم صاحبه بتفتيش الدَّواوين وضَبْط حساباتها (معجم الألفاظ التاريخية: 95).
(8) كذا في الأصل نقله عن (السمط)، اختلط عليه بحكام حلب، صوابه أنهم من بني كلب أصحاب قلعة شيزر ويقال لهم بنو منقذ (ابن خلكان1: 196).
(9) انظرهما في (السمط الغالي الثمن): 21.

ومن شعره قوله في البراغيث[1]: [من البسيط]

ومعشر يَسْتَحِلُّ الناس قتلهم ... كما اسْتُحِلَّ دم الحُجَّاج في الحرم

إذا سَفَكْت دَمًا منهم فما سفكت ... يداه من دَمِه المسفوح غَيْرَ دَمِي

وهو الذي بنى مسجد المناخ، وهو المسجد الذي يلاصق درب المناخ الكبير من الناحية الشمالية عند باب شخار[2].

قال علي بن الحسن الخزرجي: وقد انهدم باب شخار[3] في سنة سبع وتسعين وسبع مئة، وكان بابًا كبيرًا غربي المسجد المذكور، يده الشرقية على جدار المسجد ويده الغربية على جدار الإصطبل، وأوقف الأمير المذكور على المَسْجد وقفًا جليلًا في زبيد، وكان الأمير رجلًا فاضلًا ويحب أهل الفضل، ومَدَحه جماعة من الشعراء فأثابهم وأحسن إليهم.

ولما عَزَم شمس الدولة على التَّوجُّه إلى الشام، جعل أبا المبارك ابن منقذ على زبيد وما يليها من التهائم، وجعل عثمان الزنجبيلي في عدن، وياقوت التعزي وهو مملوكه في تعز وأعمالها، ومظفر قانماز في ذي جبلة وأعمالها.

قال صاحب (العقد الثمين)[4]: وكان نهوض شمس الدولة توران شاه بن أيوب من مدينة الجَنَد إلى مصر في شهر رجب من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

قال الجَنَدي[5]: وكان طريقه على صنعاء، ثم سار من صنعاء على طريق المدارة إلى أن صار بالقرب من أشيح، فخرجت عليه جيوش[6] كثيرة فنهبوا خزانته وهو متقَدِّم إلى الشَّام فَقَدم على أخيه وهو محاصر لحلب في شهر رمضان، وقيل: في ذي الحجة من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، فلما رجع [السلطان][7] صلاح الدين عن حِصَار حلب، وتوَجَّه إلى

(1) انظرهما في (وفيات الأعيان) 4: 146.

(2) (المستبصر): 94 دار شخار وفي (الدر النضيد): 487 باب شحار بالشين المعجمة والحاء المهملة.

(3) (المستبصر) لابن المجاور: 94 وفيه: وبقى على حاله إلى أن هَدَمَه المسعود بن يوسف بن أبي بكر سنة ثماني عشرة وستمائة (يحقق ما ذكره الخزرجي في تاريخ هدم دار شخار).

(4) (السمط الغالي الثمن): 20.

(5) (السلوك) 2: 272.

(6) في (ع) عرب كثيرة.

(7) زيادة من (و).

الديار المصرية في سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة ترك أخاه شمس الدولة تُوران شاه بن أيوب نائبًا بدمشق، فأقام مدةً، ثم انتقل إلى الدِّيار المصرية في سنة أربع وسبعين، ثم توجه إلى الإسكندرية فمات بها في سنة ست وسبعين وخمس مئة، ودفن بها، ثم نَقَلته أخته سِتَّ الشام بنت أيوب إلى دمشق فدفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق فَقَبْره بها، وكان كريمًا جوادًا، توفي وعليه مئتا ألف دينار، فقضاها عنه أخوه صلاح الدين[1].

ويروى[2] عن الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلبي نزيل مصر، قال: رأيت شَمْس الدولة توران شاه بن أيوب في المنام، وهو ميت فمدحته بأبيات من الشعر [وهو في القبر][3]، فلف كفنه ورَمَى به إليّ وأنشدني[4]: [من البسيط]

لا تستقلن معروفًا سمحت به — مَيْتًا فأمسيت منه عاري البدن
ولا تظنَّن جُودي شابه بُخُلٌ — من بعد تركي[5] ملك الشام واليمن
إني خَرَجْت من الدنيا وليس معي — من كل ما ملكت كَفِّي سوى كفني

قال ابن خلكان[6]: ومعنى توران شاه: ملك الشرق[7].

قال المصنف أيده الله تعالى: ولم يزل[8] نُوَّاب شمس الدولة على اليمن وأمواله ترتفع إليه إلى الشَّام إلى أن توفِّي في التاريخ المذكور، فلَمَّا علموا بوفاته أظهروا الخلاف والخروج عن الطاعة، وضرب كل منهم لنفسه سكةً، وحَرَّم على أهل بلده أن يتعاملوا بغيرها إلاَّ ما كان من مظفر الدين قانماز فإنه عَجِز عن ضبط المخلاف، وكان من جملة أعماله الجَنَد[9]، فلما علم عثمان الزنجبيلي صاحب عدن ضعفه نهض إليه وطمع في البلاد فصعد إلى الجند فلبث

(1) وفيات الأعيان 1: 309.
(2) ابن خلكان 1: 309.
(3) زيادة من ابن خلكان.
(4) انظرها في ابن خلكان 1: 309، وانظر ديوان ابن الخيمي: 79 (جمع ميسم عدنان الصواف ط دمشق سنة 1436هـ).
(5) ابن خلكان: بذلي.
(6) ابن خلكان 1: 309.
(7) ابن خلكان: المشرق.
(8) (السمط الغالي الثمن): 22 وللتوسع في أخبار نُوَّاب توران انظر (الأيوبيون في اليمن): 106 – 124.
(9) في السمط: 22 إنها من جملة أعمال ياقوت التعزي.

فيها ثمانية أيام وطلع المخلاف فتَسَلَّمَ المخلاف سنة ثماني وسبعين وخمس مئة، واستفحل أمره، ثم غَزَا حضرموت[1] ونهبها وقتل خلقًا كثيرًا من أهلها من الفُقَهاء والقراء وغيرهم، قالوا: وكان ممن سعى في الأرض فسادًا، ولم يَزَل في عدن إلى أن قَدِمَ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب فهَرَب في البحر إلى الشام وسكن دمشق وبنى فيها مدرسة ظاهر دمشق[2]، ودفن فيها يوم وفاته، وكانت وفاته في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، ذكره ابن شاكر في تاريخه المسمى بـ (عيون التواريخ)[3].

ومن مآثر الزنجبيلي مسجد بعدن[4] جعل خان البر وقفًا عليه يصرف على المسجد منه ما يحتاج إليه المسجد، وما زاد من ذلك صرف على حرم مكة، واشترى كثيرًا من العقار والدكاكين والدور بعدن ووقفها على المسجد الحرام بمكة، والله أعلم.

وأما أبو الميمون[5] المبارك بن منقد فإنه ضبط التهائم، وكان يومئذ في زبيد رجل صوفي يقال له: مبارك بن خلف، وكان الناس قد مالوا إليه وأقبلوا عليه، فخشي منه المبارك ابن منقذ فعل ابن مهدي، فقتله فحيل بينه وبين النوم، فأشرف من ذلك على الهلاك، فشكا ما يجد من ذلك على بعض الفقهاء فقال له: إن أعدت الخطبة إلى الجامع القديم رجوت لك الشفاء - وكان الجامع القديم من عمارة الحبشة [وهم سنيون][6] - ففعل ذلك فعاوده النوم، فأمر بإخراب جامع ابن مهدي، وهو الذي يسمى المشهد، فبادر الناس إلى ذلك بغضًا لبني مهدي، فبنى المقدم من جامع زبيد فجميع مقدم جامع زبيد اليوم من عمارة المبارك ابن منقد، واسمه مكتوب فيه في حجر على الباب الذي يدخل منه الخطيب[7]، وكان تاريخ عمارته في

---

(1) حول دخول الزنجبيلي إلى حضرموت يراجع: (السمط الغالي الثمن) 23 يقول: ثم سار إلى حضرموت آخذًا على طريق أحور وقتل أهل الدوفتين من بلاد حضرموت واستولى عليها أجمع، وانظر (قلائد النحر) 4: 307 و(تاريخ شنبل): 65 و(تاريخ حضرموت) للحامد 2: 430 و(جواهر تاريخ الأحقاف) 2: 94 و(البهاء في تاريخ حضرموت): 71 (تحقيقنا).

(2) ذكرها العليمي في «الدارس في تاريخ المدارس»1: 404 - 406.

(3) طبع من تاريخ ابن شاكر (عيون التاريخ) الجزء 21 وتبتدىء حوادثه من سنة 671 حتى سنة 687هـ وليس فيه حوادث هذه السنة.

(4) (السلوك) 2: 524 و(تاريخ ثغر عدن) 2: 134.

(5) (السلوك) 2: 273 و(الكامل لابن الأثير) 11: 213. وللتوسع انظر «سنا البرق الشامي: 186 - 190».

(6) زيادة من (السلوك).

(7) (السلوك): في حجر مكتوب بين المحراب والمنبر.

سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة، ثم إنه كتب إلى السلطان صلاح الدين يستأذنه في الوصول إلى مصر، وقيل: إنما استأذن شمس[1] الدولة فأذن له في ذلك، فاستناب أخاه خطاب[2] بن منقذ على عمله، وتقدم إلى مصر فقبض عليه صلاح الدين وصادره واحتج عليه بمصادرة بني مهدي، وتوفي المبارك ابن منقذ في الثامن من شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمس مئة[3].

وأما خطاب بن منقذ فإن صلاح الدين لما صادر أخاه في الديار المصرية بعث مملوكه سيف الدين خطلبًا إلى اليمن[4] وكتب له إلى الأمراء بها أن يسيروا معه لحرب خطاب ابن منقذ وإخراجه من زبيد وأن يكون خطلبا مكانه، فلما وَصَل خطلبا إلى عدن التقاه الزّنجبيلي بالطاعة والإجلال، وسار معه إلى خَطَّاب فلما بلغا الجَنَد وصلهما ياقوت التعزي وقانماز من التَّعكر وساروا بأجمعهم إلى زبيد، فهرب خطاب إلى حصن قوارير[5]، ودخل خطلبا زبيد وملكها وعاد كل أمير من الأمراء إلى بلده، وكان ذلك في سنة أربع وسبعين وخمس مئة[6].

ثم إن خطاب بن منقذ راسل الأمير خطلبا وهاداه حتى حَصَلت بينهما أُلفة، ثم مرض خطلبا وأشرف على الموت، فاستدعى خطاب ابن منقذ إليه فوصله ليلًا وسلَّم إليه البلد[7]، ومات خطلبا من ليلته، واستولى خطاب على زبيد وأعمالها، فلما سمع عثمان الزنجبيلي بموت خطلبا واستيلاء خطاب على زبيد وأعمالها جمع جموعه[8] وسار إلى زبيد فحاصرها سنة ست وسبعين وخمس مئة، فلم ينل منها منالًا، فعاد إلى بلاده ولم يَزَل خطاب على حذر من عثمان الزنجبيلي وكلما أَحَسَّ به متحركًا في بلده طلع حصن قوارير يمتنع به ممن أراده

(1) يعني توران شاه.

(2) (السمط الغالي الثمن): 24 (حطان) وكذا في«الأيوبيون في اليمن: 108».

(3) في (السلوك) 2: 274 تسع. و(السمط الغالي الثمن): 21 ويقال عن سبب مصادرة صلاح الدين لابن منقذ أنه لما حصلت له أموال حقد عليه بعض وزرائه ودَبّروا له مكيدة انظر (الكامل) لابن الأثير 11: 213.

(4) أشار المقريزي في (السلوك) 1: 174 إلى التجهيزات التي تزود بها في مصر يقول: وأنشأت حراريق (سفن حربية) من صناعة مصر برسم تجرده إلى البلاد اليمنية وجردت أمراء العسكر السائرين معه إلى اليمن وذلك في جمادى الآخر سنة 574هـ.

(5) (السمط الغالي الثمن): 220.

(6) (السمط الغالي الثمن) 23.

(7) السمط بزيادة: وعزم على المسير إلى الديار المصرية.

(8) عبارة السمط: وقصد إلى زبيد هو والجماعة ياقوت وقانماز.

إلى سنة سبع وسبعين، فلَمَّا علم الملك الناصر صلاح الدين بذلك من أمره أرسل أخاه الملك العزيز أبا الفوارس سَيْف الإسلام طغتكين بن أيوب وجَهَّزه إلى اليمن في ألف فارس وخمس مئة راجل، فيما قاله ابن عبد المجيد[1]، فدخل مكة في شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وخمس مئة، فلقيه الشريف فليتة بن مطاعن الهاشمي صاحب مكة يومئذ فطاف به الشَّريف وسعى به، فخَلَعَ عليه سيف الإسلام خلعةً لم ير أحسن منها، ثم تَوَجَّه إلى اليمن ولم يحج في ذلك العام، فوصَلَ زبيد في أواخر سنة وسبع[2] وسبعين، فخرج خطاب بن منقذ في لقائه إلى مدينة الكدراء فترَجَّلَ له سيف الإسلام وفرح به، إذ كان أول من التقاه من نُوَّاب أخيه فخلع سيف الإسلام عليه وعلى عسكره، وقال له: أنت أخي بعد أخي، ثم دخلا جميعًا زبيد.

قال الجَنَدي[3]: وكان دخول سيف الإسلام زبيد يوم السبت الثالث عشر من شهر شوال من سنة تسع وسبعين وخمس مئة فأقاما بها أيامًا، ثم إن خطاب[4] بن منقذ استأذن سيف الإسلام في المسير إلى مصر فأذن له في ذلك، فأخرج جميع أمواله وثقله وما كان في حوزته إلى الجنابذ، وهي الثلاث القبب اللواتي هن قبالة باب سهام على جانب الغرب، يقال: إن في إحداهن رأس علي بن محمد الصليحي ورأس أخيه، وفي الأخرى قَبْر ابن زياد وعَمّته اللذين بنى عليهما نفيس جدارًا، فاستخرجهما نجاح وقبرهما في هذا الموضع، وفي الثالثة قَبْر جياش بن نجاح، حكى ذلك الجَنَدي[5] ممن رواه له من علماء عصره.

فلما[6] خرج خطاب بأمواله إلى الجنابذ - كما ذكرنا - ولم يبق له في المدينة شيء دخل

(1) بهجة الزمن: 151 (تحقيقنا) 25 ونهاية الأرب للنّويري 31: 40 نقلا عن بهجة الزمن.

(2) بهجة الزمن (المطبوعة): تسع.

(3) (السلوك) 2: 527 وللتوسع في دخول طغتكين اليمن انظر الأيوبيون في اليمن: 119 - 147. وسنا البرق الشامي: 191 - 197 وللتوسع انظر التاريخ المنصوري: 26 - 37.

(4) يرد ذكره في (السمط الغالي الثمن): 24 (حطان) يحقق.

(5) (السلوك) 2: 527 وفي المستبصر: 90 وفيه: الجنابذ: هُنَّ ثلاث قبات مبنيات بالآجر المحكوك والجص قريب بعضها من بعض يكون ما بين كل واحد إلى الآخر مقدار أربعة أذرع بناه الأمير علي بن محمد الصليحي وأراد أن يبنى من زبيد إلى مكة في كل مرحلة من المراحل مسجدا ورباطا يذكر بعد موته.

(6) للتوسع انظر (السمط الغالي الثمن): 24 وانظر أيضا (الروضتين لأبي شامة: 216 ومفرج الكروب لابن واصل2: 105 والأيوبيون في اليمن: 122.

لتوديع سيف الإسلام فأمر بالقبض عليه وعلى أمواله، ثم سجنه، فيقال: إنه أخذ منه سبعين غلاف زردية[1] مملوءة ذهبًا.

وأما ياقوت التَّعزي[2]: فإنه بادر ونزل من حصن تعز إلى مدينة زبيد وسَلَّم مفاتيح الحصن إلى سيف الإسلام فأعجبه وأكرمه، ثم أعاده على ولايته، وبعث معه بخطاب ابن منقذ وألزمه أن يسجنه في حصن تعز، ثم بعد أيام أمر بقتله فقتله سِرًّا.

وهذا ياقوت[3] التَّعزِّي جَدَّ الأمراء المعروفين ببني التعزي في اليمن، وله ذرية في اليمن يَدَّعون أن أمهم من بنات علي بن رسول[4].

ثم طلع سَيْف الإسلام تعز كما ذكرنا، ثم تقَدَّمَ إلى الجَنَدِ فعَيَّد فيها عِيد النَّحر من سنة سبع وسبعين وخمس مئة، فهو أول عِيد عَيَّده، وقد صار مالكًا لليمن ثُمَّ قبض حصن التَّعكر على يد مملوكه إيليا من الأمير عمر بن علي أخي عثمان الزَّنجبيلي.

وأما عثمان الزنجبيلي صاحب عدن: فإنه لمَّا سمع بما جرى لخَطَّاب ابن منقذ حَمَلَ نفسه وأمواله في البَحْر وخرج من عدن يوم الأحد السادس من ذي القعدة من السنة المذكورة، وأمر سيف الإسلام[5] من قطع عليه البحر فأخذ عليه شيئًا من قماشه ونجا بنفسه.

قال ابن عبد المجيد[6]: وتوَجَّه إلى العراق[7].

فلما علم سيف الإسلام أن عدن ليس فيها أحد بَعَثَ ابن عين الزَّمان، وملك سيف الإسلام اليمن جميعه طَوْعًا وكرهًا، واستولى على الحصون التي قد ملكها أخوه شمس الدولة توران شاه بن أيوب وزاد عليها حصن السَّواء[8]، وذلك أنه حَصَرَهُ مدةً طويلةً فأصاب

---

(1) انظر الكلام على الزردية أو الدرع في (الملابس المملوكية) لماير: 67 وذكر هذا الخبر ابن الأثير في الكامل11: 217 وابن واصل في مفرج الكروب2: 105 وأبو الفداء في«المختصر» 2: 26.

(2) (السلوك) 2: 527.

(3) (السلوك) 2: 528.

(4) (السلوك) 2: 527.

(5) يعني طغتكين.

(6) بهجة الزمن: 153.

(7) (السلوك) 2: 528 وبهجة الزمن: 153 و(السمط الغالي الثمن): 24.

(8) (السمط الغالي الثمن): 24.

أهله مرض عظيم فسلَّمُوا الحصن له [من غير قلة ولا ذلة][1]، بل مما أصابهم[2] من المرض الشَّديد، ثم حَصَر[3] حصن خدَدَ مدةً ثم أخذه، ثم تسلَّم حصن (شواحط) من أهله بعد أن لقيه شيخهم في مكة حرسها الله تعالى وبَايَعه عند الكعبة، ثم تسلَّمَ ريمة الحدباء، ثم نَهَض لبيت عز وحصن نَعَمْ فأخذهما وسَلم من فيهما من القتل، وكانا للسلاطين بني أبي النور بن أبي الفتح، ثم أخذ حصن بحرانة،[4] ثم أخذ حصن سماة وكان لخولان، ثم أخذ حصن عُتَمة أيضًا وكان لخولان، ثم تَسَلَّم حصن قرعة[5]، ثم حصن شار.

ثم حَطَّ على حصن حَبْ وفيه يومئذ السلطان الأجل زياد بن حاتم بن علي بن سبأ بن أبي السعود الزريعي[6] فحَصَره نحوًا من سنة فاستنجد السلطان زياد بن حاتم بالسلطان الوحيد علي بن حاتم وبالسلطان عبد الله بن يحيى الجَنْبي والشيخ عمران بن زيد بن عمرو الجَنْبي وسائر الحجاز[7]، فوجه السلطان علي بن حاتم أخاه بشر بن حاتم وولديه عمرًا والفضل ابني علي بن حاتم في عساكر جَمَّة آخر ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين وخمس مئة، فلما وصلوا ذمار خَرَج إليهم السلطان عبد الله بن يحيى والشيخ عمْران بن زيد الجَنْبي ولقيهم السلطان الأسعد بن علي بن عبد الله بن مهدي الصليحي إلى الصنمية[8] وتقَدَّمَ بِهَمْدان فحَطَّ بهم على حصن في جبل الشِّعْر يقال له: نعم قد كان أخذه سيف الإسلام، وهو قريب من قيظان، وأمر قبائل مذحج عن يَدٍ إلى السحول، فلما وصلت جَنْب قريبًا من السحول أفسدها الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم، فلما علم بِشْر بن حاتم بذلك وقد أشرف على حصن نعم فأشار على هَمْدان بالرَّحيل فارتحلوا عن نعم، وصاروا إلى حقل يَحْصُبِ فلقيهم الشيخ عمران بن زيد بن عمرو الجنبي، وأخبرهم بما كان من جنب من الخُذْلان له والفساد عليه،

---

(1) هذه الجملة مما زاده المؤلف على السمط ولم ترد عند الجَنَدي.

(2) في (ع) مربا (كذا).

(3) السمط: 24.

(4) السمط: 25.

(5) في السمط قزعة بالزاي المعجمة.

(6) السمط: 25 (المطبوعة) الزريقي وانظر للتوسع الأيوبيون في اليمن: 125.

(7) كذا في الأصل ولم ترد هذه اللفظة في السمط ولعله تصحف بمذحج كما يرد في المصادر انظر: الأيوبيون في اليمن: 125.

(8) في الأصل الضمية وأثبتاه من السمط.

فعادت القبائل من همدان وجنب إلى مواضعها بعد نحو من عشرين يومًا، فكان غَرَض السُّلطان بشر بن حاتم جَمْع العساكر إلى جهة واحدة فعاقه عن ذلك السُّلطان أسعد بن علي ورَغَّبه في أخذ حصن نعم على الفور، وكان سبب ذلك الخُذُلان من الشيخ عبد الله بن يحيى، أحقاد متقدمة بينه وبين الشيخ عمران بن زيد، وعَزَم الملك العزيز في هذه السنة على التَّقدم إلى مكة، حرسها الله تعالى، فأمر الأمير هُمَام الدين أبو زبا[1] أن يرتب المحاط على حصن حب.

ثم تقدم إلى مكة، حرسها الله تعالى، فلما رجع من مكة حَطَّ بنفسه على حصن حَبٍّ حتى افتتحه صبح يوم الأربعاء في جمادى الأخرى من سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة، وقَتَل جميع من كان فيه، وما سَلِمَ منهم إلاَّ من لم يعرف[2]، وتزلزلت جميع اليمن لذلك اليوم، ثم نَزَلَ السُّلطان عبد الله بن يحيى وأولاده إلى السلطان سيف الإسلام فخلع عليهم وجَمَّل أحوالهم، ثم تتابعت إليه جَنْب فلم يَبْق منهم أحد عز أو ذَلَّ[3] إلاَّ ما وصله واستوثق، ثم نزل السلطان منصور بن أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي بأمر والده أسعد، وهو صاحب حصن قيظان، فَفَعَل كما فعلت جَنْب ولم يبق من هو خارج عن طاعة السلطان الملك العزيز إلاَّ الشيخ عمران[4] بن زيد بن عمرو وإخوته، ثم طَلَع[5] الملك العزيز فاستولى على بلاد جَنْب وسار الشيخ عمران بن زيد إلى شرق بلاد جَنْب وأقام الملك العزيز في محطته تحت حصن هِرَّان، وقد ملكه واستولى عليه حتى أطاعت البلاد ودانت له، ووصله من لم يكن وصله من مشايخ جَنْب، فكساهم ووِفْدَهم وحَلَفُوا له.

فلما دانت له البلاد وملك ذمار أمر السلطان علي بن حاتم بخراب قصر غمدان[6] في شعبان من سنة ثلاث وثمانين، وخرب سور صنعاء، ووقف هو وأخوه[7] في حصن براش،

---

(1) انظره في السمط: 25.

(2) زاد في السمط: 26: أو دخل في زي الجُنْد الذين له أو طرح نفسه بين القتلى.

(3) في (و) غير أولاد.

(4) السمط: 26.

(5) عبارة السمط: طَلَب البلاد العليا واستولى على بلاد جَنْب.

(6) انظر السمط: 27.

(7) في السمط: أخوه بشر.

وحَرَقَ جميع ما كان لهما من غَلَّة وعلف، وأمر الرَّعايا بالخروج إلى حيث يمتنعون من وطأة الجيش، فخرج ابن عمه القاضي الأجل حاتم[1] بن أسعد إلى سَيْف الإسلام، وهو في مَشْرق ذمار فأصلحه بثمانين ألف دينار حاتمية ومئة حصان في سنة واحدة [فقبل الملك العزيز المصالحة][2]، وعاد الملك العزيز إلى اليمن[3] وولى في ذمار الأمير مظفر الدين قانماز[4] مملوك أخيه شمس الدولة، فجمع الشّيخ زيد بن عمران الجَنْبي جموعًا كثيرةً من بلاد جَنْب وبلاد عنس وغيرها، وقصد بهم ذمار فأخذها ونَهَبَهَا، وتحصَّنت الرّتبة منه، وأرسلوا رسولًا[5] إلى الملك العزيز وكان في ذي جبلة، فَرَكب على الفور وسار في يومه وليلته وأصبح عندهم. فلما رأته جَنْب انهزمت فقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وأخذ خَيْلًا كثيرة، وأفلت الشيخ عمران بن زيد في باقي جَنْب، ولولا ما فعله من الصَّبْر[6] والكَرِّ والفَرِّ ما أفلت من جَنْب أحد، ثم غزا سيف الإسلام موضعًا يسمى بشار[7]، فقتل منهم نحوًا من ست مئة رجل ولم يسلم منهم إلا نفر يسير، وكانوا قد حالفوا جَنْبًا[8] وآووهم وعاد بعد ذلك إلى اليمن.

ثم صالحه[9] السّلطان علي بن حاتم عن سنة أخرى بما تَقَدَّم من القطعة[10] المذكورة[11].

ثم جَرَّد لحصار ذروان جيشًا مقدمهم الأمير مظفر الدين قانماز، وكان فيه السلاطين الأجلاء عبد الله بن يحيى وأولاده، فأقام الحصار عليهم خَمْسة أشهر إلى أن قَلَّ عليهم

---

(1) انظره في السمط: 27.

(2) زيادة من السمط.

(3) زيادة من السمط وهذا تأكيد لقوله السابق أن توران شاه لم يدخل صنعاء.

(4) كذا يرد هذا الاسم في السّمط وغيره وهو في المصادر الإسلامية الأخرى يرد بالهمزة موضع النون وهو اسم لأحد أجداد مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز الذهبي.

(5) عبارة السمط: وبرّدو البرد إلى الملك العزيز يخبرونه بما جرى.

(6) في (و) ابن بصير وأصلحناه من (ع).

(7) في (و) منال وفي (ع) بشارات وأثبتناه من السمط: 28 و(قرة العيون): 276 قال: موضع في الشرق من ذمار.

(8) عبارة السمط: وأدّى أنهم حالفوا عليه جَنْبا.

(9) عبارة السمط: وجدّدَ الصلح بينه وبين السلطان علي بن حاتم.

(10) عبارة السمط: على قطعة السنة الثانية التي كانت عقدت بينهم.

(11) (السمط الغالي الثمن): 28.

الماء وأخلفت عليهم السماء، فسَلَّموه، فلما خرجوا منه وصاروا في المحطَّة هطلت السماء وامتلأت المناهل، فكان هذا من سعادة[1] الملك العزيز المذكور[2].

ثم أمر طائفةً من الأمراء والعرب لحصار حصن قيظان [ورماهم بالمجانيق][3]، وكان فيه السلاطين الأجلاء أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي وأولاده[4]، فحاصروهم نحوًا من تسعة أشهر فسَلَّموه بالأمان، وشرطوا أن يكون خروجهم إلى صنعاء إلى السُّلطان علي بن حاتم، ورَهَنُوا على ذلك رهائن منهم، ورهائن من الملك العزيز على يد السَّلطان بشر بن حاتم.

ثم تقدم[5] السلطان الملك العزيز بِنَفْسه إلى الدملؤة وحصرها وذلك في سنة أربع وثمانين، وكان فيها يومئذ جوهر المعظمي مولى الدُّعاة بني زريع، وولد الداعي عمْران بن محمد بن سَبَأ، فلما طال الحصار، ورأى جوهر أن سيف الإسلام غير مقصِّر[6]، باع عليه الدّملؤة بعشرة آلاف دينار ملكية، واشترط على سَيْف الإسلام ألا يطلع إليه نائب، ولا ينزل هو من الحصن حتى يكون عيال سيده وأموالهم قد جاوزوا البحر[7]، وأنهم يركبون البَحْر من أي موضع شاؤوا وأرادوا، فأجابهم سيف الإسلام إلى جميع ما طلب، فلما تَوَثَّق جوهر من سَيْف الإسلام وقبض المال جهز أولاد سيده من البنين والبنات إلى شاطىء[8] المخا، وتَجَهَّز هو معهم في زَيِّ امرأة، وأخذ نفيس[9] أمواله، ثم نزل إلى السَّاحل فركب البحر في سفن قد أعَدَّها وسافر إلى أرض الحبشة، وترك كاتبه في الحصن وترك عنده أوراقًا كثيرةً تجاوز الحد، قد كتب علامته عليها كلها، وكان النائب يكتب ما يحتاج على تلك العلامات

(1) عبارة السمط: فاستدل بذلك على سعادة الملك العزيز.

(2) (السمط الغالي الثمن): 28.

(3) زيادة في السمط.

(4) زيادة لا توجد في السمط فلعل الخزرجي ينقل عن الأصل الآخر للسمط الغالي الثمن المسمى بالعقد الثمين.

(5) السمط: الغالي الثمن: 29.

(6) عبارة السمط: وعلم ان لا بقاء له ولا للحصن.

(7) السمط: حتى يصل علمه من الحبشة.

(8) في (و) حال.

(9) في (ع) ثقيل.

إلى سَيْف الإسلام وإلى غيره، ولا يظنّون إلاَّ أن جوهرًا هو الذي يكتب، فلما فرغ ما في الحصن من قماش وأثاث وغيره، وقد صار الطَّواشي جوهر ومن معه من وراء البحر كَتَبَ إلى سيف الإسلام كتابًا، وفي طَيِّه كتاب إلى النَّائب في الدملؤة بِتَسْليم الحصن إلى السُّلطان الملك العزيز سيف الإسلام من الحَبَشة وهو بخط جوهر، فقال للرسول: أليس جوهر في الدملؤة؟ فقال: إنه أول من نزل من الدملؤة، فَتَعَجَّب سيف الإسلام من ذلك.

ولما وصل كتاب الطَّواشي جوهر المعظّمي إلى نائبه بالدملؤة، وهو يأمره بتسليمها إلى الملك العزيز سيف الإسلام، امتنع النائب عليها لنفسه، فعظم ذلك على سيف الإسلام وعاود المحطة عليها والحصار، ووصله السُّلطان الأجل بشر بن حاتم، فلما عَلَم بوصوله إليه أمر على سائر نوابه بضيافته وكرامته، فلقيه الأمير مظفر الدين قانماز إلى جَهْران، وكان قانماز صاحب ذمار يومئذ فأقام في ضيافته ثلاثة أيام، ثم سار من عِنْده فلقيه والي الحَقْل، وهو عِزّ الدين ياقوت التَّعزي[1]، وكثير من حاشية سيف الإسلام[2]، فأقام عنده يومًا، ثم تقدم إلى جِبْلة فلقيه واليها إلى قرية إب فأقام بذي جبلة يومين، ثم تَقَدَّم من ذي جبلة فأمسى عند الشيخ الموفق محمد بن المعلم بذي أشرق ولقيه رتبة[3] الجَنَد إلى هنالك، ثم سار إلى تعز فدَخَلها في موكب عظيم، ولقيه الملك العزيز إلى جانب من الحصن، ورحَّب به وأكرمه وأعطاه خلعة الخليفة وسيفه وسَرْجًا من ذهب وطوقًا من ذهب[4] غير ما أعطاه من الخلع السنية، وسمَحَ له من القطيعة عشرين ألف دينار وعشرين حصانًا وجَدَّدَ الصلح لتلك السنة المقبلة، وخلع على كل من كان معه من هَمْدان ومن سائر العرب، ووفدهم دنانير صالحية[5]، ثم إن النَّائب بالدملؤة بَذَلَ تسليمها بعشرة آلاف دينار ملكية، وأن يكون ذلك على يد السلطان

(1) في السمط: 31 ياقوت الشمسي (سبق ذكره).

(2) يعني طغتكين.

(3) الرتبة هنا: العسكر.

(4) عبارة السمط: ومن جملته أنه خلع عليه خلعة الخليفة وسيفه وطوق ذهب وكز نضار وغير ذلك اهـ قلت: قوله كز نضار لعله مختصر اللفظة المملوكية كزغند جمعها كزاغنديات قال: ماير في (الملابس المملوكية): 72 ديباجا مكوكب بكواكب فضة.

(5) نسبة إلى صلاح الدين وفي (و) صالحة وأغلب الظن أنه محرف عن صليحية نسبة إلى علي بن محمد الصليحي وكانت له عملة متداولة في ذلك الوقت انظر: عدن وأحوالها السياسية والإقتصادية لمحمد كريم الشمري: 277.

بشر بن حاتم، فبقي الملك العزيز متحيِّرًا في أمره إن سَلَّم عشرة آلاف دينار ملكية مرة ثانية[1] وإلا فاتته المصلحة، فلم ير إلاَّ أن يسلِّم المال على يد السلطان بشر بن حاتم فأمر من أعلم السلطان بشرًا بذلك، وأنه يعوّل عليه في تمام الأمر ولقاء النائب إلى الجوّة والاجتهاد معه في ذلك، وأرسل إليه بعشرة آلاف دينار[2] أخرى مع جماعة من خواصه، وقالوا له: يقول لك مولانا الملك العزيز: قد صار يَعُدّ تسليم الدملؤة منك وتعويقها منك، وما يعذرك من السَّعي في تمام ذلك الأمر[3]، فتَرَكَ الدراهم في الجَنَد وتقدَّم إلى الدملؤة في جماعة من خَيْله ورِجْله، ومعه جماعة من حاشية العزيز فلما التقى بالنَّائب حادثه في ذلك، فاشترط تَسْليم عشرة آلاف دينار ملكية، وحَمْله وحمل أولاده ومن كان معه إلى صَنْعاء سالمًا من كل رَيْب، فصَدَّر السلطان بشر بن حاتم إلى أخيه علي بن حاتم، وتجَهّز النائب وصار إلى صنعاء فيمن يثق به من أصحاب بشر بن حاتم، ثم وقف بشر بن حاتم في الجَنَد حتى أتاه كتاب أخيه بوصول الدراهم ووصول النائب.

ثم تقدم الملك العزيز بنفسه إلى الدملؤة فطلعها ونزل منها غلمان[4] السلطان بشر ابن حاتم[5].

ولما رجع السلطان بشر بن حاتم من عند الملك العزيز لم يزل هو وأخوه علي بن حاتم في عمارة حصونهما وشَحْنها، وخراب ما عَلِما أنه لا يَمْتنع، ورتَّبا في ذمرمر وكوكبان والظفر والعروس وبراش وفدة والفص وحصن أشيح، وكان لبني الصليحي.

---

(1) عبارة السمط: كان هذا ثمنا آخر وإن توقف عن التَّسليم خشى فوات الدملوة بعد أن يصدر السلطان بشر.

(2) يقول ابن حاتم في السمط: 31 ثمن الدينار الواحد (يعني صرفه) أربعة دنانيرسبئية نسبة إلى سبا بن أبي السعود الزيريعي صاحب عدن، انظر المصدرالسابق: 279.

(3) هنا نقف على دقيقه ذكرها ابن حاتم في السمط: 30 تدل على ترفع العرب القحطانيين من موالات الغز من الأعجام يقول: فتوانى السلطان بشر وكاسر في الأمر استبقاء للدملؤة في أيدي العرب خشية من لوائم العربان له على انتزاعه الدملؤة للغز فلم يتحدث في شيء من ذلك وسار قاصدا بلاده فلما صار بالجَنَد وافته رسل الملك العزيز بالمال الخ.

(4) (السمط العالي الثمن): 31.

(5) (السمط الغالي الثمن): 32.

فلما انقضى زَمَن الصّلح سار الملك العزيز يريد صَنْعاء، فلما بلغ جَهْران لقيه القاضي حاتم بن أسعد، وطلب منه ذمةً، وتقلد[1] على السلطان علي بن حاتم بثلاثين ألفًا وثلاثين حصانًا، ورَهَن في ذلك رهائن عند الملك العزيز، ورَجَع إلى السلطان علي بن حاتم لتسليم المال، فلم يسلمه ولا دخل في شيء من ذلك، فعاد القاضي إلى الملك العزيز متغيِّر الخاطر، وقد كان تقلَّد للملك العزيز إنه إن لم يرجع بالمال شَنَقَ الملك العزيز الرهائن، فلما وصل وأعلم الملك العزيز بما كان من الأمر قال له الملك العزيز: احلف لنا وكن مِنَّا، ونحن نطلق عليك الرهائن، فحلف له، وكَسَاه السُّلطان سيف الإسلام وأطلق رهائنه، وسار الملك العزيز إلى حصن أشيح، فقاتل أصحابه يومًا فامتنعوا، فلما كان اليوم الثاني قاتلهم، وقد هَرَب من الدِّيوان جملة فأخذ عليهم موضعًا يسمى ظفارًا[2]، وفيه قتل السلطان يحيى بن سليمان بن المظفر وجماعة، وخاطب أهل الحصن الأعلى فسلَّموه وسَلَّمهم من القتل ورَفَّقهم إلى جِبْلة، ثم تقدَّم الملك العزيز إلى آنس[3] فاستولى عليه وعلى جبل الشِّرق وعاد إلى جهران، ثم نهَضَ من هنالك إلى صنعاء فوصلها في العشرين[4] من شوال سنة خمس وثمانين وأقام بها أيامًا، وسيَّرَ[5] إلى ذَمَرْمَرَ وإلى فدة وإلى الفص[6]، وتقدم بعد ذلك إلى بلاد حِمْير، فحَطَّ في سواد عَزَّان، وأرسل حاتم بن سعيد الشهابي إلى المشايخ أولاد مفرح يطلب خطابًا[7] في عِزَّان، وكان الشيخ عامر بن مفرح غائبًا فأمر من قاتلهم فأخذ عليهم الحصن قهرًا، وقتل فيه من غلمانهم[8] أربعون رجلاً، وأجاروا الشيخين عامرًا وعبد الله [أولاد مفرح][9]، وقدموا بهم إلى المحطة فخوطبوا بثلاثة آلاف دينار، ثم تقدم إلى العروس فقاتل أصحابه، فضَيَّق عليهم [فنزلت منه امرأة واستأذنت على السُّلطان سيف الإسلام وتحت ثيابها مولود ولم

(1) تقلَّد: في كلام أهل اليمن بمعنى: التزم.

(2) السمط: 33 وهو ظفار الواديين.

(3) في (و) براش خطأ أصلحناه من (ع) والسمط.

(4) في السمط: لعشر بقين من شوال.

(5) السمط: تم خرج فطاف إلى ذمرمر.

(6) في (و) القصر: خطأ.

(7) كذا في الأصل والسمط: ومعناه (يستفتحهم بتسليم حصن عزان).

(8) السمط: خدمهم.

(9) زيادة من السمط.

يره أحد فلما دخلت على السلطان سيف الإسلام فقالت له: إنا سَمَّينا هذا المولود باسمك، ونحبّ أن تهب له هذا الحصن. فأمر أن يكتب لهم بالحصن ويَلْعن من يغيِّر عليهم فيه شيء أو من عمله][1]، وارتحل عنهم مسرعًا وسار إلى حصن الظَّفر فامتنعوا منه، ونزلت خيل من كوكبان مغيرة، فلقيها خيل من الغز فقتل من أهل الخيل المغيرة من كوكبان ثلاثة نفر من خدم السلطان علي بن حاتم، ولزم سنان بن علي الحارثي[2] وقدموا به إلى الملك العزيز، فأمر بقتله، فقتل.

وعاد الملك العزيز إلى صَنْعاء فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم نهض إلى الفَصِّ فطلع جبل الظلمة، وحط فيه وأمر باقي عسكره أن يحطوا على الحصن، فلما كان في اليوم الثاني نصب المَنْجنيق وقاتلهم فامتنعوا منه، وقتل من أصحابه[3] جماعة، وكان اليوم الثالث أخذ الفص الصغير قَهْرًا، ثم تسلَّم الفص الكبير، وكان فيه السلطان عمرو وعلوان أبناء بشر بن حاتم فأجارهم السّلطان الملك العزيز وأجار من كان معهم في الحصن من الخدم والحرم، وقبض الحصن واستولى عليه، وأخرج حريم السلطان بشر بن حاتم إلى ذَمَرْمَرَ، ولزم ولديه عمرًا وعلوان.

فكتب السلطان عمرو بن بشر إلى والده بشر بن حاتم يقول[4]: [من الطويل]

أمولاي ما أَسْرِي ببدع فلم يزل ... كذا الناس مأسور وآخر آسر
وإن ظفر المولى بنا وبحصننا ... فلله مظفور ولله ظافر
مليك عزيز لا تغيّر بابه[5] ... لسان مذلٍّ للجبابر قاهر
ولا غَـرْوَ كم مَنْع قهرنا وسيدًا ... أسرنا وأعطتنا المقاد العشائر
على ذَا مَمَرّ الدهر عسر مبدل ... بيسر قضته حِكْمة ومقادر
فلا تَحْسَبَنْ أني جزوع لما جرى ... وحَقّك إني صادق العزم صابر

(1) هذه الزيادة لا توجد في السمط المطبوعة، لعله نقلها من النّسخة الموسعة من (السمط الغالي الثمن) المسمى بالعقد الثمين فيحقق.

(2) كذا في (و) وفي (ع) الجرمي وفي السِّمط: الحربي.

(3) السمط: من الغز.

(4) انظر الأبيات في (السمط الغالي الثمن): 35 ونقلها عنه صاحب كتاب (الأيوبيون في اليمن: 141).

(5) السمط: لايغير نابه.

ومـا أنـا أخشـى غيـر قـول أراذل　　　أوالـدُهـم[1] عن فَكِّهم متقاصر؟

ومـا شـعروا أن العظائـم كلهـا الـ　　　ـكبار وإن هالـت لديـك صغائـر

لسعد علي[2] مُلْكُ هَمْدان يرتجى　　　وسعدك أن تنجاب عَنَّا الدياجر[3]

ثم إن السلطان الملك العزيز حارب أهل الظفر، وهو مقيم[4] في سواد عَزَّان، فأخذه قهرًا، وكان فيه من أولاد السلطان علي بن حاتم سالم بن علي فرفقه إلى كوكبان، ثم حَطَّ على كوكبان، وكان في ذلك الوقت ما بين كوكبان والظفر بساتين مشتبكة[5] من أنواع الجوز والمشمش والإجاص والكمثرى والتُّفاح وسائر أنواع الفاكهة. فأمر الملك العزيز بقطع تلك الأشجار، وكبسوا بها قطع كوكبان، ونصب عليه أربعة مجانيق يرمون في الليل باثنين، وفي النَّهار باثنين، وكان سور الحصن مبنيا من الطين، فأثرت فيه المجانيق وأخربته، وكان فيه مئة فارس وألف وخمس مئة راجل، فقتل من رجالة الحصن خمس مئة في مدة الحرب، وقتل من عَسْكر سيف الإسلام أكثر من ألف، وكان في الحصن السلطان عمرو بن علي بن حاتم فوقع الخطاب على تَسْليم الحصن، وعلى بقاء السلطان عمرو بن علي في العروس، فكتب له الملك العزيز خَطَّه بذلك وأعطاه بلادًا معينة للعروس، وأطلق عليه أمواله[6] أينما كانت.

فلما تَسَلَّم الملك العزيز كوكبان[7] عمل له السلطان عمرو بن علي ضيفةً عظيمةً، فلما دخل الحصن وقد مَدَّ السماط [في مجلس يقال له مجلس الخراطيم][8]، قال الملك العزيز: ما رأينا مثل هؤلاء القوم نأخذ حصونهم وبلادهم ويلقوننا بالإنصاف. فانتقل السُّلطان عمرو بن علي بأولاده ومن كان معه إلى العروس[9].

---

(1) يعني: أولادهم.

(2) يعني عَمَّه علي بن حاتم.

(3) الأصل: الذخائر وأثبتاه من السمط.

(4) السمط: حاط.

(5) السمط: متصلة.

(6) السمط: وبخيرية أمواله حيثما كانت.

(7) في السمط: 36 بزيادة ذلك في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

(8) زيادة من السمط.

(9) (السمط الغالي الثمن): 37.

ثم نهض الملك العزيز إلى فدة ورماها بالمَنْجنيق فأضر بمن فيه وتسَلَّمها، ثم حَطَّ على ذَمَرْمَرْ، وفيه السلطان علي بن حاتم فضيَّق عليه وحصَرَه من كل مكان، وكانت المحاط عليه من كل جانب، محطّة في الظلمة ومحطَّة في الحصن[1]، ومحطة في أكمة ابن سنينه، ومحطة في أكمة الهامة، ومحطة في الحصن الأبيض ومحطة في قهال ومحطة في أكمة ابن الداية، وثلاث محاط في قاع النقاضي[2] ومحطة في الحصن الأحمر، فلما تقاربت المحاط والتوت[3] به من جميع جهاته لم يخرج منه أحد ولا دخله أحد، ثم أقامت هذه المحاط أربع سنين، فتعب الجميع من داخل ومن خارج.

فأما السُّلطان الملك العزيز فإنه تعب من كَثْرة الإنفاق، وأما أهل الحصن فتعبوا من الحصار وما قَلَّ عليهم إلا الحطب، فأمر السلطان علي بن حاتم أن يوقد في داره خشب كل يوم مرتين لجميع من في الحصن، فلما طالت المدَّة أمر سيف الإسلام على مملوكه أبا زبا أن يُصَالح علي بن حاتم على أنا نعطيه في كل شهر خمس مئة دينار وخمس مئة كيلجة[4]، ولا تكون له بلد، فأجاب إلى ذلك وصالحه وحلف له على التَّمام بذلك، فوفَّى له بالمبلغ المذكور، وكان من شيمته الوفاء بما عقد به، وخلص له أمواله في كل ظهر وفي كل وجهة، فلما تم ذلك شحن علي بن حاتم ذَمَرْمَرًا شحنةً أعظم من الأولى[5].

وتوفِّي[6] السلطان الملك العزيز في شوال من سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وكان ملكًا شجاعًا كريمًا جوادًا، حسن السيرة، جيِّد السياسة، مقصودًا من البلاد الشاسعة لإحسانه وبِرّه، وكان إذا تعرض له متعرض، وهو في موكبه، أمسك رأس حصانه حتى يسمع شكواه،

(1) السمط: الحصنين.

(2) في السمط: 37 (البياضي).

(3) السمط: ألوت.

(4) الكيلجة: مكيال لأهل العراق يسع منا وسبعة أثمان منا، والكيلجة العشاري مكيال أهل صنعاء انظر (نور المعارف: 243).

(5) هنا يحذف المؤلف كلاما طويلا لصاحب (السمط) يصف فيه مآثر السلطان العزيز وتولية السلطان أبا زبا حكم اليمن وفتحه لحضرموت واستيلائه على شبام وتريم وغير ذلك انظر (السمط الغالي الثمن) ص: 38 – 40.

(6) (السمط الغالي الثمن): 40 وقد أنصفه صاحب السمط المؤرخ محمد بن حاتم اليامي – وهو من خصومه – فقال: فتوفي سعيدا حميدا حسن السيرة صالح العلانية والسريرة عادلا في حكمه جاريا في العدل على أحسن رسمه الخ.

ويكشف ظلامته، ودان له اليمن كله، ودان له بنو حاتم بصنعاء، ودخل الجوف وصعدة وزبيد وسَوَّر زبيد سورًا جديدًا[1]، وسور صنعاء بعد أن خَرُب سورها، وعَمَر عدة حصون في اليمن، ومعظم عمارته حصن تعز، ودَوَّخ العرب وأذلَّ جبابرتهم، وسلطن مملوكه أبوزبا في رجب من سنة تسع وثمانين وخمس مئة، قاله الشريف إدريس[2] وقتل عدةً ممن ناوأه، وكان ينشد متمثلًا[3]:

بسفك الدما يا جارتي تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

وقدم عليه شرف الدين[4] ابن عنين الشَّاعر المشهور ومدحه بغرر من القصائد، فأجازه ببدر من الفرائد، ولما رَجَع ابن عنين إلى الشَّام وقد توفِّي السلطان صلاح الدين بن أيوب، وتولَّى بعده الملك ولده الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، طولب ابن عنين بزكاة مَتْجره كسائر التُّجار، وكان هذا أسلوب أهل مصر والشام، وإنما أبطل ذلك الملك المنصور قلاوون الصَّالحي، فلما طولب ابن عنين بالزكاة كما ذكرنا ساءه ذلك فقال[5]:

ما كُلُّ من يتسَمَّى بالعزيز لها أهل ولا كل بَرْق سُحْبه غَدِقَهْ

بين العزيزين بون في فعالهما هذاك يعطي وهذا يأخذ الصَّدقه

وكان سيف الإسلام فقيهًا، له مقروءات ومسموعات، بحيث أخذ عن القاضي أحمد[6] بن علي العرشاني (موطأ مالك)[7].

---

(1) توسع ابن الديبع في (بغية المستفيد): 34 في ذكر هذا السور وإن له أربعة أبواب باب الشبارق وباب سهام وباب النخل وباب القرتب.

(2) انظر (كنز الأخيار): 92.

(3) ورد هذا البيت في (الفخري في الآداب السلطانية) لابن الطقطقي غير منسوب انظر: 43 ط دارصادر.

(4) هو شرف الدين محمد بن نصر الدين بن عنين المتوفى سنة 563هـ انظر ترجمته في ابن خلكان 5: 14 – 19).

(5) انظرهما في ديوانه: 223 وابن خلكان2: 524.

(6) هو أحد حفاظ اليمن توفي سنة 607هـ انظر ترجمته في طبقات ابن سمرة: 236 و(السلوك) 1: 422 و(طراز أعلام الزمن): 360.

(7) وفي ترجمة طغتكين في (العقد الثمين) 5: 63: ذكر المنذري أنه سَمِع من الحافظ السَّلفي بالإسكندرية، وانظر (تكملة وفيات النقلة) للمنذري 1: 289ط بشار عواد.

وهو الذي[1] بنى المؤخر في جامع زبيد، وبنى الجَنَاحين والمنارة، واخْتَطَّ في اليمن مدينة سَمَّاها المنصورة، وهي قِبْلي مدينة الجَنَدِ على أميال منها، وذلك في القعدة من سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، وابتنى في المنصورة قصرًا كبيرًا وحّمَّامًا، وابتنى للعسكر فيها بيوتًا، وكان واديها المعروف بخنوة مسكنًا للوحوش فأحياه وأحيا وادي الدارة والقاعدة، وابتنى في قرية خنوة دار مضيف لم يزل مستمرًّا إلى أيام الملك المنصور عمر بن علي بن رسول[2]، فأخربه ابن أخيه فخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي بن رسول، ونقل أحجاره فابتنى بها دارًا بِعَكَّار، وهو الذي قَرَّر قواعد الملك باليمن ووضع الضَّرائب للسلطان، وقَنَّن القوانين، وهو أول من جار على أهل النخل وظلم فيه حتى هرب طائفة من أهل النخل عن أملاكهم.

قال في كتاب (المستبصر[3]**)**: كان خراج النَّخل أيام الحبشة وأيام بني مهدي سبعين ألف درهم[4]، وليس يسلمون نقدًا وإنما يسلمون تمرًا وحوالات، فلما ولي سيف الإسلام جار عليهم وأوصى بأهل الزرع ألاَّ يغير عليهم، فهرب طائفة من أهل النَّخل وعجزوا عَمَّا قرّر عليهم، وكان كل من هرب أخذ نخله ويسمَّى صافيةً، أي صفا لبيت المال، ثم لمَّا كان أمر البلاد إلى سيف الإسلام سنقر الأتابك أراد أن يَشْتري نخلًا من بعض الرَّعية فامتنع صاحبه من البيع، وكان ذلك لأخوين قد غَرَساه وسَقَياه وقاما عليه حتى كان من أحسن النَّخل، فامتنعا من بيعه عليه، فأمر سنقر على العمال أن يحيفوا على أهل النخل في العدد، ويعنفوا عليهم في الخراج، فضاعفوا الخراج أو قريبًا من ذلك، فهَرَب معظم أهل النخل، وباعوه بأبخس الأثمان، وبعضهم وَهَبه ووهب عليه شيئًا من المال، واشترى سيف الدين الأتابك سنقر النخل الذي كان يريد [أن يشتريه][5] كل نخلة بدرهم لما عَجِز أهل النخل عن أداء الخراج، قالوا: ولا يعرف [لسنقر مظلمةً][6] إلا لأهل المملاح بعدن ولأهل النخل بوادي زبيد وغيره.

(1) (السلوك) 2: 530.
(2) انظر (العقود اللؤلؤية): 329 (تحقيقنا).
(3) المستبصر لابن المجاور: 96.
(4) المستبصر (دينار).
(5) سقط من (و).
(6) سقط من (ع).

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بإحسانه: وكان أول من عَطَفَ عليهم وتلافاهم بعد التَّلف الشديد السلطان الملك الأشرف الكبير [القديم][1] عمر بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، فإنه لما ولي السلطنة بعد أبيه الملك المظفر أمر[2] بعديد النخل، وندب[3] جماعةً من فقهاء الرعية العدول، وأمرهم أن يزيلوا عن الرَّعية ما تجب إزالته، ثم لما وُلِيَ السلطنة أخوه السلطان الملك المؤيد أمر بعديد النخل، وأمر الفقهاء العدول أن يتولَّوا أمر النخل، وقال: إذا بقيت لنا نخلة واحدة رضينا بها. فانتعشت الرعية، وغرسوا النخل واستكثروا منه، ورغب إلى ملك النخل من لم يملكه أبدًا، ثم لمَّا ولي السلطنة بعده ولده الملك المجاهد أَحَبَّ النخل ورغب إليه ورغَّب الناس فيه، وابتنى في النَّخل قصورًا رائقة، وملك منه شيئًا كثيرًا، وقرَّرَ قواعد العدل فيه وفي غيره، وأمر بعديد النخل مرارًا كثيرةً كلها على قانون العدل، ثم أمر الملك الأفضل في أيامه بعديد النخل، وكذا ولده السُّلطان الملك الأشرف أمر بعديد النخل في أيامه ثلاث مَرَّات كلها بالفقهاء العدول على قوانين العدل والرفق بالرعية، مرة في سنة تسع وسبعين[4]، ومرة في سنة سبع وثمانين[5]، والثالثة في سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين وسبع مئة، والله أعلم.

ومما يروى[6] عن سيف الإسلام: أنه لمَّا استولى على ملك اليمن وأطاعه أهله جميعًا دعته نفسه إلى شراء أراضيهم حيث كانت، فنَدَبَ المثمِّنين إلى سائر البلاد وأمرهم أن يثمِّنُوا البلاد بأسرها، وأراد أن يكون أرض اليمن كلها ملكًا للديوان، ويكون من أراد حرث شيء منها وصل إلى أهل الديوان واستأجر منهم كما هو في ديار مصر، فشَقَّ ذلك على أهل اليمن غاية المشقَّة، واجتمع جماعة من الصالحين[7]، واتفق رأيهم على أنهم يَدْخلون مسجدًا ولا

(1) زيادة في (ع).

(2) انظر (العقود اللؤلؤية): 351 (تحقيقنا).

(3) في (ع) وأمر.

(4) (العقود اللؤلؤية): 679.

(5) (العقود اللؤلؤية): 752 يقول: وفي هذا التاريخ أمر السلطان بعديد النخل من وادي زبيد على يد القاضي سراج عبد اللطيف بن محمد بن سالم الخ.

(6) (السلوك) 2: 530.

(7) هم الفقيه علي بن سالم من وادي عميد والشيخ أحمد الصهباني ((السلوك) 2: 530) وتحفة الزمن 2: 574.

يخرجون منه حتى تنقضي الحاجة، فدخَلُوا المسجد فأقاموا فيه ثلاثًا صيامًا بالنَّهار وقيامًا بالليل، فلما كان في اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم في السحر، ونادى بصوت عال: (يا سلطان السماء اكف المسلمين سلطان الأرض)، فقال له أصحابه: قليلًا قليلًا، فقال: قضيت الحاجة، وحق المعبود، قالوا: وكيف ذالك؟ قال: سمعت قارئًا يقرأ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41].

ويقال: إن أحد الجماعة قام سحر اليوم الثالث، فذكر الله تعالى، وقال لأصحابه: أبشروا، فقد قضيت الحاجة، فقال له أصحابه: وبم علمت؟ قال: رأيت سيف الإسلام بارزًا وسهام تأتيه من نواح شتى، فأصابه شيء منها فوقع ميتًا، فلا تَشِكُّوا في موته، فلما كان وقت الظهر من ذلك اليوم، وهو يوم السادس والعشرين من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة توفي، وقد شرع المثمِّنون في تَثْمين الأراضي، فلما توفي سيف الإسلام في التاريخ المذكور بطل ذلك الأمر كله، ولم يعتمد أحد من الملوك قبله ولا بعده ذلك.

ويقال: إنه لما أحس بالموت جعل يتقلقل، ويقول: لا إله إلا الله، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: 28 - 29]، وكان مدة ملكه في اليمن أربع عشرة سنةً وأربعة عشر يومًا.

ويقال[1]: إنه مات مسمومًا من الشَّيخ علي بن محمد المعلم، وكانت له منه مكانة، وكان قد ضَمِن جميع المخلاف بمال معلوم فعجز عن أدائه فصادره سيف الإسلام مصادرةً منكرة، فهَرَب، فقبض سيف الإسلام غالب أملاكه ودوره في المقرعة وذي جبلة وضراس وذي أشرق، وكانت أملاكه جليلةً في أماكن كثيرة، فلما توفي سيف الإسلام وَوَلي ابنه المعز أعاده على عمالة المخلاف، فأقام يسيرًا ثم أسره وهَدَم دوره في المقرعة وغيرها، فأقام في الاعتقال ستة أشهر ثم شنقه في عاشر المحرم أول سنة ست وتسعين وخمس مئة، وكان ابن المعلم رجلًا كريمًا شريف الهمة.

قال الجَنَدي[2]: أخبرني الثقة عن المقري حميد المؤذن بذي جِبْلة وكان المقري حميد من أعيان البلد قال: دخل علينا شهر ذي الحجة ونحن على فراغ من النَّفقة، فَضِقْتُ ذرعًا، وقلت:

(1) (السلوك) 2: 532.

(2) (السلوك) 2: 532.

الناس يصفون ابن المعلم بالكرم والسَّخاء، وأنا محتاج في هذا العيد لما لا بُدَّ لي منه. فكتبت إليه ورقةً أسأله فيها عشرة أذهاب[1] ذرةً وخمسة أذهاب برا، وقلت: إذا حصل منه الطعام فالأضحية تحصل من وجه آخر، إن شاء الله تعالى، فلما جئته بالورقة وجدته قاعدًا في دهليز داره فناولته الورقة. فلما قرأها عبس وأعرض عَنِّي، فخرجت وأنا ألوم نفسي على الوصول، وأقول: ما أَكْذَبَ الناس. فأمر من لحقني فَرَدَّني، فلما جئت إليه أدناني منه، وقال سِرًّا: سبحان الله العظيم، المقري حميد! المقري حميد: اسم كبير وهِمَّة ضعيفة، تَصِلَ إليَّ وتسألني قَدْرًا حقيرًا؟ فاعتذرت منه. فناولني رقعةً بيضاء، وقال: اكتب بجميع ما تحتاجه للعيد، فكتبت بمئتي ذهب ذرة ومئة ذهب برا، وبرأس بقر ورأسي غنم وكسوة لي ولأولادي. فحين نَظَرَ فيها أسفر وجهه، وكتب إلى نائبه بجبلة بإطلاق جميع ما سألته معجَّلًا. فلما وصلت إلى النائب بالورقة بادر بتسليم جميع ما ذكرته.

ولما توفي سيف الإسلام كما ذكرنا كان بالمَنْصورة وأخفوا موته حَتَّى طلعوا به حصن تعز فقبر في الحصن المذكور، وأقام هناك سنةً، ثم لم تطب نفس المعز بطلوع القُرَّاء كل يوم إلى الحصن، فاشترى دار سنقر الأتابك وجعلها مدرسةً ونقل والده إليها، ووقف على تربته وادي الضباب، وجعل عليه من القراء سبعة، وهم إلى الآن مستمرُّون، وقد يزيد بعض النظار فيهم افتراءً منه ويبيت على قبره كل ليلة شَمْعة كبيرة توقد من أول الليل إلى آخره، وتعرف المدرسة التي هو مقبور فيها الآن بالسيفية[2] نسبةً إليه، رحمه الله.

ثم ولي اليمن بأسره ولده الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، وكان قد غضب[3] من أبيه وأراد اللحوق بأعمامه بمصر، وقيل: بل طَرَدَهُ أبوه لما ظَهَر منه الخروج عن مذهب أهل السُّنة إلى مذهب الشيعة، فقلاه، فخرج يريد العراق فتوفِّي والده وهو غائب، فأرسل أعيان الدولة بعده[4] النجب فأدركته الرُّسل، وهو على ساعد[5] حرض وقيل[6]: في

(1) جمع ذهب: بفتح الهاء مكيال معروف لأهل اليمن (المعجم اليمني: 332). (سبق).
(2) المدرسة السيفية من مدارس تعز انظرها في (المدارس الإسلامية في اليمن): 12.
(3) للتوسع في خلاف المعز مع والده انظر الأيوبيون في اليمن: 149.
(4) في (ع) خلفه).
(5) في (ع) ساحل حرض.
(6) (السمط الغالي الثمن): 44.

المخلاف السليماني فرجع، فلما دخل حرض طلب ناظرها القاضي الأسعد، وكان حين قدم إليه متوجهًا إلى الشام لم يكرمه، فقتله، واسْتَصَفى أمواله، ومن جملتها جارية فتخة[1]، فحظيت عنده، وخرج من حرض وقد جز شعره، ولبس السواد حزنًا على أبيه، فدخل زبيد يوم الخميس التاسع عشر من ذي القعدة فأمسى فيها ليلةً واحدة، ثم خرج يريد تعز فدخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من الشهر المذكور، فأقام فيها شهرًا أو نحوه، ثم سار إلى جبلة فدخلها يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة.

وفي شهر ذي الحجة المذكور[2]: كان قيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن علي بن حمزة، وقد تقدم فيما مضى من الكتاب[3].

وفي أثناء هذه المدة المذكورة: اشترى[4] السلطان علي بن حاتم كوكبان وبكرًا وثلا والظفر من الولاة الذين كانوا فيها.

وطلع[5] الإمام عبد الله بن حمزة إلى ثلا ودعا إلى نفسه، فأجابته العرب من كل ناحية ومكان، وانضم إليه جماعة من عسكر سيف الإسلام.

وفي شهر المحرم من سنة أربع وتسعين وخمس مئة[6]: سار السلطان الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب إلى صَنْعاء وقبض على الأمير أبوزبا وقتله في المحرم المذكور.

ثم عاد إلى اليمن وراسل[7] السلطان علي بن حاتم، واتفق الأمر بينهما على أن يكون السلطان علي بن حاتم في طاعته ويعطيه صنعاء، وحَلَفَ له الأيمان على ذلك، فنزل إليه السلطان بشر بن حاتم وولده عمرو بعد وصول الذِّمة الأكيدة فأمسكهما وطلع إلى الحَقْل وقصد كوكبان، فصادف الإمام عبد الله بن حمزة ومعه الأمير حكو[8] في مئتي فارس، فلما

(1) في السمط: زهرة أم الأمير عز الدين محمد بن نجاح وفي (ع) قبيحه وسيأتي ذكرها مرة أخرى في السمط: 85 باسم الست زهرة ولعله الصواب.

(2) مآثر الأبرار للزحيف 810 وفيه دعوته من دار معين بصعده سنة 593هـ.

(3) لم يرد ذكره في كتابنا هذا وإنما نقل عبارة صاحب (كنز الأخيار) انظر ص: 92.

(4) (السمط الغالي الثمن): 41.

(5) (السمط الغالي الثمن): 70 (غاية الأماني): 341.

(6) (السمط الغالي الثمن): 45.

(7) هذا الخبر كسابقه لم يرد في مطبوعة (السمط) وورد في (غاية الأماني): 341.

(8) (السمط الغالي الثمن): 45 وفيه: حكو بن محمد من الأكراد.

تراءى الجمعان دخل الأمير حكوا في صف الملك المعز، وثبت الأمير حكوا في ذلك اليوم ثباتًا حسنًا إلى أن قتل، وانكسر الإمام، ودخل المعز صَنْعاء ثم خرج منها إلى ذي جبلة فابتدأ بخراب دار العز يوم الإثنين منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[1]، وكان الملك المعز شجاعًا مشهورًا مقدامًا كريمًا متلافًا، لا يمسك شيئًا.

حكى الشيخ مسلم[2] الشيزري في كتاب (عجائب الأخبار وغرائب الأشعار[3]) الذي صنفه برسم الملك المعز: أن الملك المعز اصطبح ثلاثة أسابيع فأعطى فيها ووهب وذَهَب في الجود كل مذهب، فحسب ما وهب فيها، فكان ستة عشر لَكًّا، وهذا غاية الجود، وكان شاعرًا فصيحًا بليغًا، قال: رأيت شعره في مجلد ضخم، وشعره جيد بالنسبة إلى شعر الملوك، ومن شعره[4]: [من الطويل]

وإني أنا الهادي الخليفة والذي — يقود رقاب الغلب بالضُّمّر الجُرْد

ولا بد من بَغْداد أطوي ربوعها — وأنشرها نشر السماسرة البرد

ويخطب[5] لي فيها على كل منبر — وأظهر دين الله في الغور والنَّجْد

وأنشر دين الله بعد خموله — وأعلن ما قد كان أَسَّسه جدي

ثم أظهر[6] مذهبه القبيح[7]، واستنصر به أهل مذهبه وتقوَّوا به قوةً عظيمة، وطمعوا في سقوط مذهب أهل السنة، وَلَوْ بذي جبلة[8]، وسألوه أن يأمر الخطباء فامتنع، فَسَألوه أن يأمر

(1) للتوسع في أخبار المعز مع حكو وغيره من أمراء الدولة الأيوبية يراجع (السمط الغالي الثمن) 45 – 54 والأيوبيون في اليمن: 160 – 166.

(2) هو أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة الشيزري المتوفى بعد سنة 612هـ (موسوعة أعلام العلماء 15: 423).

(3) ذكر هذا الكتاب ابن خلكان في وفيات الأعيان 2: 529 وهو المطبوع بعنوان «عجائب الأشعار وغرائب الأخبار» طبع منه القسم الأول.

(4) انظر الأبيات في الوافي بالوفيات للصفدي9: 76 ط دار إحياء التراث العربي.

(5) الوافي:

وانصب أعلا من على شرفاتها — وأحيي بها ما كان أسسه جدِّي

(6) للتوسع في هذا الموضوع يراجع: (السمط الغالي الثمن): 71 و(تاريخ الإسلام) للذهبي 12: 135 و(غاية الأماني): 356.

(7) أي التمذهب بمذهب الإسماعيلية الباطنية.

(8) أي مقر الإسماعيلية ومركز سلطانهم.

بإسقاط ذكر الشيخين، فقال: لا طاقة لي بالسَّواد الأعظم؟ فقالوا له: افعل لنا هذا، ولو في جبلة وحدها[1]، فأبى عليهم، وغلب على المعز الشُّح على الجُنْد، والكَرَم على الشعراء والمتَمْسخرين، ثم تولَّع المعز بذبح بني آدم وأكلهم.

ويحكى[2]: أن الأتابك دَخَلَ عليه يومًا فلم يزل قائمًا بين يديه حتى قال له المعز: ما أحسن أضلاعك هذا شواءً[3]، أو كما قال، فخدم له، ثم قال: حاشاك يا خوند[4]، ثم لم يشك في أنه يريد ذبحه، فلما خرج من عنده هرب ولم يعد إليه بعدها، وهو الذي بَنَى[5] في زبيد المدرسة المعزية، وهي المعروفة بمدرسة الميلين[6]، وفي تعز المدرسة التي والده مقبور فيها، وهي المدرسة المعروفة بالسيفية[7] في مغربة تعز، وهو أول من بنى من الغز مدرسةً في اليمن[8].

ثم إن المعز ادَّعى الخلافة، وانتمى إلى بني أمية في النَّسب، [[9]وإنما نسب بني أيوب في قيس عيلان من مضر من (العقد[10] الفريد)] وخطب له بأمير المؤمنين، وذلك في شهر جمادى الأخرى من سنة سبع وتسعين وخمس مئة، ووصلت إليه كتب أعمامه من مصر ينكرون عليه غاية الإنكار[11].

---

(1) كذا تكررت هذه العبارة في الاصل.

(2) (السمط الغالي الثمن): 80 و(السلوك) 2: 539. و(التاريخ المنصوري لابن نظيف: 30).

(3) عبارة (السلوك) (مصوص) و(السمط): (ما أحسن بطنك تبالة)، قال: والتبالة هي مقدمات الطعام لفتح الشهية.

(4) خوند: في الفارسية: السيد استعملت في العربية: (معجم الألفاظ التاريخية: 70).

(5) يعني المعز إسماعيل.

(6) من مدارس زبيد أول مدرسة بنيت في اليمن انظر (المدارس الإسلامية): 12.

(7) المدارس الإسلامية: 12.

(8) (السمط الغالي الثمن): 71.

(9) زيادة في (و) ونقلها ابن الديبع في (قرة العيون): 286 وقد نقل رواية نسب بني أيوب إلى قيس عيلان ابن خلكان7: 140 والمحقق عند الجميع أنهم أكراد ولا صلة لهم بالعرب.

(10) لا يتوهَّم أن العقد الفريد المذكور هنا هو كتاب ابن عبد ربه الشهير وإنما هو كتاب آخر لأن وفاة أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي كانت سنة 328هـ وهو متقدم على المذكور بقرون عدة قلت: لعله سبق قلم من المؤلف أراد أن يقول العقد الثمين وهو الإسم الآخر لكتاب (السمط الغالي الثمن) فسبق قلمه انظر هذا النص في (السمط): ص: 71.

(11) منهم عَمَّه الملك العادل أبو بكر: أنكر عليه دعواه الخلافة وانتسابه إلى بني أمية انظر (مفرج الكروب) لابن واصل3: 137 وتاريخ ابن الفرات 8: 92 و(السلوك) للمقريزي1: 160 والكامل لابن الأثير 12: 61 والأيوبيون في اليمن: 157.

وفي سنة سبع وتسعين المذكورة: توفي السلطان[1] علي بن حاتم وقبر في حصن ذَمَرْمَرَ، وقد كان الإمام عبد الله بن حمزة عاضد[2] السلطان علي بن حاتم وصافاه، وجرت بينهما عقود عهود وذمم، على أن الإمام إذا تَمَكَّن من البلاد وملك صَنْعاء ترك حصون السلطان علي بن حاتم جميعها له، وتكون صنعاء بينهما نصفين، فلما ملك الإمام صَنْعاء صَدَّه أصحابه عن الوفاء للسلطان علي بن حاتم وتكلموا عليه، وصَرَفوا الإمام عَمَّا عقد له به، فلما رأى ذلك السلطان علي بن حاتم لزم حصنه ذمرمر ووقف فيه إلى أن توفي في التاريخ المذكور، والله أعلم.

وظَلَم المعز الجُنْد والرَّعايا وأخاف[3] مماليك أبيه، وهرب منهم طائفة عظيمة، وكان معظم جنده الأكراد، وكان رئيسهم رجلًا يقال له: هندوه[4]، فاتفقوا على قتله، وكان يومئذ في زبيد، وكان يلبس لباس الخلفاء: القمصان ذو[5] الأكمام الطوال الواسعة التي تسمَّى الثمانية والعشارية[6]، يكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانية أذرع، بحيث يكون الملك قاعدًا في روشنه[7] فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريد تقبيل يده، فيرسل الملك كمه من الروشن إلى الأرض، فيقبل الغلمان كمه نيابةً عن يده، قال المتنبي في مدائح سيف الإسلام[8]: [من الطويل]

تقبل أفواه الملوك بساطه ... ويكبر عنها كُمّه وبراجمه

فخرج[9] المعزُّ يومًا من الأيام من زبيد جهة القَوْز راكبًا على بَغْلة وعليه جُبَّة وأكمامها مُسَبَّلَةٌ على يده، وفي يده الأخرى مقرعة، وخلفه حصان جنيب، فهَجَمَ الأكراد عليه عند

---

(1) (قرة العيون) (8) و(غاية الأماني): 355.

(2) للإمام المنصور المذكور ميل كبير إلى الباطنية بقدر كراهيته لأهل السنة، وقد تزوج منهم وصاحبهم وأكثر زوجاته من الباطنية كما يذكر أهل السير انظر (سيرة المنصور: 82) والعواصم والقواصم لمحمد بن إبراهيم الوزير 8: 208.

(3) (السمط): 81 وفيه ولم يكن منهم إلا من هو مريض القلب عليه لسوء سيرته فيهم وتضييعه لهم.

(4) (السمط الغالي الثمن): 82.

(5) في (و) دو وأصلحها في (ع).

(6) ذكر هذا النوع من الملابس في العصر الرسولي صاحب كتاب نور المعارف انظر ص: 573.

(7) الروشن: النافذة أو المشربة (معجم الألفاظ التاريخية: 84).

(8) كذا في الأصل صوابه سيف الدولة.

(9) (السمط الغالي الثمن): 81.

مسجد شاشة، وهو مسجد قبلي مدينة زبيد على طريق القاصد إلى الجهات الشامية على نحو ميلين أو ثلاثة أميال من المدينة، فقاتلهم ساعةً من النَّهار بالمَقْرعة التي في يده، فدعا بالجنيب فحالوا بينه وبين الجنيب واحتوشته الخَيْل من كل مكان فاستَلَّ سيفه، فكان كلما أراد أن يَضْرب بالسَّيف انسدل عليه الكُمّ، فلم يزل على البَغْلة حتى قُتِل، وقتل معه مَمْلوكه شرف الدين الحبشي، وكان قتلهما يوم الأحد الثامن عشر من رجب من سنة ثماني وتسعين وخمس مئة، قاله الشَّريف إدريس بن علي[1]، وصاحب (العقد)[2] وغيرهما.

وقال الجَنَدي[3]: في سنة تسع وتسعين وخمس مئة، والله أعلم.

وكان مدة ملكه خمس سنين[4] تقريبًا، وقبر شَرْقي زبيد في قبة هنالك تعرف بقبة الخليفة[5]، وقيل: قبر في الدار السلطاني بزبيد.

قال علي بن الحسن الخزرجي: وقد رأيت مجلسًا في الدار السلطاني[6] بزبيد فيه محراب كهيئة محراب المسجد، وفي المَسْجد المذكور قبر ظاهر، يقال: إنه قبر الملك المعز، ولما كان في أيام السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل، أمر بخراب الدورات القديمة فخربت وخرب المسجد[7] الذي فيه القبر المذكور واندرس القبر، ولم يبق له أثر ظاهر، والله أعلم.

ولما قتل الملك المعز في التاريخ المذكور وكان الذي قتله الأكراد احتووا على زَبِيْد ونهبوا[8] أهلها نهبًا شديدًا.

---

(1) (كنز الأخيار) للشريف عماد الدين إدريس: 92.

(2) يعني كتاب العقد الثمين لمحمد بن حاتم وهو نفس كتاب (السمط الغالي الثمن) انظر هذا النص في الكتاب المذكور: 82 وذكر من جملة القاتلين له القرابلي وهندوه والدقيقي.

(3) (السلوك) 2: 536.

(4) (السلوك): ست سنين.

(5) (السلوك) 2: 536.

(6) الدار السلطاني من دور زبيد الكبيرة وهو يشتمل على عدة دور منها دار الذهب أمر الملك الأشرف ببنائه سنة 797هـ انظر (العقود اللؤلؤية) 795 و(الدر النضيد): 490.

(7) (و) المجلس.

(8) (السلوك) 2: 536 و(قرة العيون): 286 و(غاية الأماني) 357.

وكان أخوه الملك النَّاصر[1] أيوب بن الملك العزيز سيف الإسلام يومئذ في حصن تعز، وكان الأتابك سنقر يومئذ هاربًا من المعز في حصون حجَّة، فلما قتل المعز في التاريخ المذكور أعيدت الخطبة لبني العباس في يوم الجُمْعة الثالث والعشرين من رجب المذكور، وأعيدت في صنعاء يوم الجُمْعة غرة شعبان من السنة المذكورة، وكانت الخطبة قبل قتل المعز للمعز نفسه [دون][2] بني العباس وغيرهم، لأنه تَسَمَّى بالخلافة، وخوطب بأمير المؤمنين.

ووصل الأمير سيف الدين سنقر الأتابك إلى مولاه النَّاصر بن الملك العزيز، وهو يومئذ في سن الطفولة، وكان هو الذي رَبَّاه، ولذلك قيل له: الأتابك، وهذه الكلمة إنما توضع لمن يربِّي أولاد الملوك خاصة، قاله ابن خلكان[3].

وكان الأمير سيف الدين الأتابك شجاعًا شَهْمًا حسن السياسة، فكاتب الأكراد وصالحهم[4]، وأقطع الأمير علم الدين وَرْدسار صَنْعاء فسار إليها فَدَخَلها يوم الإثنين الثالث عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة، وأقطع الأمير حسام الدين بكتمر اليمني[5] تهامة ما خَلَا زبيد والكَدْراء، وكان عَسْكر الناصر ذلك الوقت ثلاث مئة مملوك وأربع مئة جُنْدي، وكان قتل سعيد[6] الكردي وأصحابه في نقم[7] يوم الخامس من صفر من سنة تسع وتسعين وخمس مئة، ثم خالف أهل صنعاء على الأمير علم الدين وردسار، ولزموا من كان فيها من الغز يوم العشرين من جمادى الأخرى من السنة المذكورة، وأذن المؤذن فيها بـ (حي على خير العمل) يوم الجمعة الثاني والعشرين من الشهر المذكور[8] وحَطَّ الأمير علم الدين

(1) (السمط الغالي الثمن): 84 وكان الناصر في ذلك الوقت صغير السن وفي حجر الأتابك سنقر الآتي ذكره.

(2) سقط من (و).

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان1: 365..

(4) (السمط): فراسله الأكراد على أن يصل إليهم.

(5) في (و) التميمي وفي (ع) يكتم النهي وأثبتناه من (السمط الغالي الثمن): 85.

(6) (السمط الغالي الثمن): 98 وفيه: سعيد الشنيكي وكذا ورد في (سيرة المنصور): 149.

(7) في (و) تنعم.

(8) هنا بياض في (و) فلعله موضع الاحداث التي لخصها من كتاب (السمط) حول هذه الفترة: ثم أسقطها نساخ المخطوطة بعده أوانه كتبها ولم يلحقها بتاريخه هذا أو أنه ثالثا ترك هذا البياض ليلحقه بعد ذلك والله أعلم.

وردسار على صنعاء من شرقها يوم الجمعة المذكور، ووصل الأمير سيف الدين الأتابك إلى صنعاء يوم الخميس السادس في رجب في جيش عظيم فنودي إليه فدخلها يوم الجمعة من الشهر المذكور، ولزم والي براش يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر شعبان، وقبض منه براشًا، وقَبَض حصن فدة من واليها أيضًا، وعاد الأمير سيف الدين سنقر الأتابك إلى المخلاف يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الشهر المذكور[1].

وفي هذا التاريخ: نَقَض[2] الأكراد الصُّلح، واستبدوا بملك زبيد وما وراءها من التهائم، فأمر الأمير سيف الدين الأتابك نائبه الأمير علم الدين وردسار[3] بمصالحة الإمام ونزوله إليه، لقصد الأكراد، فَفَعَل وخرج من صنعاء في جيش كثيف، وجَمَع الأتابك جموعه ونزلا معًا يريدان الأكراد في زبيد، فخرجت الأكراد إلى القُرْتُبَ وصَفُّوا هنالك، فلما التقى الناس قصد فرسانهم القلب فتضعضع عسكر الأتابك، وانهزم جُلَّ أصحابه، وثبت الأمير علم الدين وردسار عند الأعلام ثباتًا حسنًا، حتى أعاد الأكراد إلى مصافهم، ثم كانت الهزيمة على الأكراد، فقتل منهم مقتلةً عظيمة، وحيل بين الباقين وبين زبيد، وكانت الوقعة يوم الأحد العاشر من ذي القعدة من سنة تسع وتسعين وخمس مئة، واستولى الأتابك يومئذ على مدينة زبيد وعلى التَّهائم بأسرها، هكذا قاله صاحب (العقد الثمين)[4].

وقال الجَنَدي[5]: كانت الوقعة في قرية الزريبة، وكانت في سنة إحدى وست مئة، فدخل المدينة عليهم قهرًا ونهبها نهبًا شديدًا، وأمر بإغلاق مدرسة المعز المعروفة بالميلين، وإخراج الفقهاء الشافعية منها، وأبطل وقفها، ويقال: إنه وَقَفَه على إمام مقام أبي حنيفة بالحرم الشريف.

---

(1) هنا حذف المؤلف أحداثًا كثيرة وواسعة وردت في (السمط الغالي) انظرها بالتفصيل والاستقصاء ص: 85 – 110 وفيما أورده المؤلف هنا اضطرابا واختلاطا لا يؤخذ به (انظر الهامش قبله) وكذا سبقه الجندي في سلوكه حيث اقتضب هذه الأحداث في نصف صفحة انظر2: 536.

(2) (السمط الغالي الثمن): 100.

(3) يرد اسم هذا المذكور في (السمط الغالي الثمن): 86 وغيره بوردشار.

(4) انظر (السمط الغالي الثمن): 103.

(5) الجندي: السلوك 2: 536.

قال الجَنَدي[1]: وفي سنة ست مئة نزل من السماء رماد أبيض في زبيد ونواحيها يومًا وليلة وأظلمت الدنيا، وخاف الناس الهلاك، ثم نزل بعد ذلك رماد أسود، وحَصَلَت أراجيف وزلازل، ومن عجيب ما جرى في ذلك الوقت لما أظلمت الدنيا واشْتَدَّت الظلمة، كان قد خرج جماعة من أهل زبيد إلى المجرى[2] من خارج باب الشبارق، فلم يمكنهم الرجوع إلى بيوتهم ولا اهتدوا إليها من شدة الظلمة، وكان فيهم رجل أعمى، فقال لهم ذلك الأعمى: من أعطاني منكم زبديًا من طعام قدته إلى بيته أينما كان من زبيد، فالتزموا له بذلك، فقاد كل واحد منهم إلى بيته.

وفي سنة خمس وست مئة: قتل الأمير سيف الدين سنقر الأتابك أهل براقش[3]، وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة، وتصاول الإمام عبد الله بن حمزة والأمير علم الدين وردسار على اليمن مصاولةً عظيمة، فكانت لهم أيام شديد، ووقعات عديدة، منها يوم نصف[4]، وهو في مشرق بلادهم، وقتل في ذلك اليوم إبراهيم[5] بن حمزة أخو الإمام عبد الله بن حمزة، وفي ذلك اليوم يقول الإمام[6]: [من السريع]

روعـــنـــي الـــدهـــر بـــأحـــداثـــه ... ولـيـس مـثـلـي مـن شـبـاهـا يـراع

يـــروم إنـــزالـــي عـــلـى حكـمـه ... وإنـــمـــا يـفـعـل ذاك الـيَـــراع

تـــعـــدَّ عـــنـــا والـــتـــمـــس غـيـرنـا ... وخـصّ بـالـرعـب قـلـوب الـرعـاع

فـنـحـن مــن قــوم إذا أغـضـبـوا ... تليَّثوا واستـلأمـوا[7] الـمـصـاع[8]

---

(1) (السلوك) 2: 536 وهذا الخبر ورد بالتفصيل والتوسع في (السمط الغالي الثمن): 110 نقلا عن كتاب الجواهر المعدنية للعماد ابن الشيزري (مفقود).

(2) هو المجرى الذي أجراه من عين تحت زبيد القاضي الرشيد (بغية المستفيد: 34).

(3) السيرة المنصور2: 611 و(السمط الغالي الثمن): 143.

(4) كذا في (و) و(ع) لصف وفي السيرة المنصورية: 723 وإليها أشار الإمام عبد الله بن حمزة في رثائه لأخيه المذكور كتبها لابنه سليمان بن إبراهيم بن حمزة:

سل الخيلين في لصف جميعا ... وقـل لـعـن الإلــه بـهـا الـكـذوبـا

وفي هامش ص: 417 من السيرة لمحققها: وادي لصف في عزلة الحنشات ناحية نهم.

(5) انظر خبر مقتله بتوسع في السيرة المنصورية: 420 وفيه مقتله كان سنة: 600هـ.

(6) انظرها في السيرة المنصورية: 458 وديوان عبد الله بن حمزة (مخطوطة المتحف البريطاني).

(7) استلام: استذم.

(8) الهرب.

كم موقف خضنا بحار الردى ... قُدْمًا ولم ينصب علينا شراع
ومعرك كِلْنَا لأعدائنا ... فيه ذعاف الموت صاع بصاع
ونحن مثل النصف أو دونه ... منهم وقد سَلُّوا سيوف القِراع
نَصْبر للموت وروعاته ... إذا نفوس الصِّيد طارت شعاع
سل عن أبي إسحاق[9] أعداءه ... وغيرهم فالحرب فاش مذاع
يوم تَوَلَّى جيشه معذرًا ... وإنما يدفع ما يستطاع
ألم يصمم[10] غير مستسلم ... تصميم سامي الطَّرف عَبْل الذراع
نحن بنو الحرب إذا شَمَّرت ... ولاح عنوان شباها وشاع
وإنما أوقفنا موجب ... باد وقد يطرق قبل الشجاع[11]

ومنها يوم عقار[12] وهو موضع بالبون الأعلى، ويوم في بلاد ردمان، وهو الذي قاد الغز فيه عيسى[13] بن ذعفان صاحب شوابة وساعدته على ذلك نهم، وفي ذلك اليوم يقول الإمام عبد الله بن حمزة في قصيدته التي مطلعها[14]: [من الطويل]

قفا فانظرا فالعين تغني عن الأثر ... ولا تسألا بعد العيان عن الخبر
وقولا لأرباب الضَّلالة ما الذي ... حداكم على سوق النفوس إلى سقر
ألم تعلموا أن المحكّم عقله ... عليم بما يأتي عليم بما يذر

ومنها:

بعثنا إلى رَدْمَان سيفين للوغى ... فقالا لهم عند التصادم لا وزر
فطاروا وبيض الهند تأخذ منهم ... وبيض العوالي في الخواصر والثغر

(9) يعني أخاه إبراهيم بن حمزة المذكور هنا.
(10) في الأصل: يسلم.
(11) انظر بقية المراثى التي قيلت في الأمير إبراهيم بن حمزة في (السيرة المنصورية): 437 – 463.
(12) السيرة المنصورية: 954.
(13) السيرة المنصورية: 632.
(14) انظرها في ديوانه مخطوطة المتحف البريطاني.

وأحجم عنهم وردسار ولم يكن ليحجم إلا عن مقام له خطر

ولم تزل الحرب سجالًا بين الإمام عبد الله بن حمزة وبين الأمير وردسار حتى انعقد الصلح[1] على أن الإمام عبد الله بن حمزة يعطي الأمير علم الدين في كل سنة مئة جمل موقرة حديدًا من صعدة وعشرة أفراس من الخيل، ووقعت المحاددة بينهما على البلاد، فكان البونان الأعلى والأسفل للأمير علم الدين وردسار، وكان الظاهران والجوفان وصعدة إلى الإمام، واستمر الأمر على ذلك إلى أن توفي الأمير علم الدين في التَّاريخ الذي يأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - ولم يزل الناصر[2] في ملكه إلى أن توفي الأمير سنقر الأتابك، وكانت وفاته في سنة ثمان وست مئة، وقيل: في سنة تسع، قاله الحاتمي في كتاب (العقد[3])، وقال الجندي[4]: في جمادى الأولى من سنة سبع، والصحيح الأول، والله أعلم.

وهو والد بنت جوزة[5]، وكانت وفاته في حصن تعز ودفن في المَدْرسة التي أنشأها بذي هزيم - ناحية من نواحي تعز - وهو الذي بنى جامع المغربة بمدينة تعز وعمل المنبر الذي فيه، وبنى مدرستين في زبيد تعرف إحداهما بالعاصمية نسبةً إلى مدرسها الفقيه عمر بن عاصم، وكان أحد فقهاء الشافعية يومئذ بزبيد، وتعرف الأخرى بالدَّحمانية نسبةً إلى مدرسها وهو الفقيه محمد بن إبراهيم بن دحمان، وكان أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة، وبنى الجامع الذي بِخَنْفَر من أعمال أبين، وبنى الصَّفين والجناحين والمؤخر من مسجد الجَنَد[6]، [وبنى مدرسةً بذي هزيم - ناحية من نواحي مدينة تعز - وهي المدرسة التي قبره فيها، وبنى في الدملؤة مباني عجيبةً وعِدَّة مناظر كتب اسمه على أبوابها، وهو الذي ينسب إليه الزَّبدي السنقري[7] في

(1) وذلك في المحرم سنة: 605هـ (السمط الغالي الثمن): 143 وللتوسع في ذلك انظر السيرة المنصورية: 730 - 733.

(2) يعني الناصر أيوب بن طغتكين.

(3) (السمط الغالي الثمن): 147 وفيه: وكانت وفاته في تعز في ربيع الآخر سنة تسع وستمائة وقد كبر الناصر أيوب بن طغتكين، وانظر الأيوبيون في اليمن: 220.

(4) (السلوك) 2: 537.

(5) هي زوج الملك المنصور عمر بن علي بن رسول (معجم النساء اليمنيات: 38).

(6) من هنا زيادة المؤلف على (السلوك).

(7) حول الزبدي السنقرى في العصر الرسولي انظر نور المعارف: 53 و(العقود اللؤلؤية) للمؤلف: 696 (تحقيقنا).

مدينة زبيد وأعمالها، وكان عبَرْته[1] يوم قُرّر مئتين وأربعين درهمًا، وما برح الحكّام يزيدون فيه حتى [استقر][2] على ثلاث مئة وعشرين درهمًا برهة من الزمان، ثم حصلت فيه الزيادة مرةً بعد أخرى حتى قَرَّرَه السلطان الملك الأفضل: على أربع مئة درهم، ثم زاد فيه السُّلطان الملك الأشرف فجَعَله خَمْس مئة وسَمَّاه الأشرفي، واستقَرَّ الأمر على هذا: الأفضلي أربع مئة قفلة، والأشرفي خمس مئة قفلة، والله الموفق].

وتوفي الأمير[3] عَلَمَ الدين وردسار في سنة عشر وست مئة، وكانت وفاته في حصن السَّمدان، وحمل من السمدان إلى الجَنَد، فقبر هنالك، والله أعلم.

وقال الشريف إدريس[4]: دفن في مَسْجده بجبل صَرْب وبُنِي على قبره قُبَّة.

ولما توفي الأمير الأتابك والأمير علم الدين وردسار،استوزر السلطان الملك الناصر أيوب بن الملك العزيز طغتكين بن أيوب، بدر الدين غازي بن جبريل، وجَعَله قائمًا بالملك، فحمل الملك النَّاصر أيوب على طلوع صنعاء لقتال الإمام عبد الله بن حمزة، فطَلَعَ في جيوش عظيمة، وطلع بأموال جَمَّة، وكان خروجه من تعز إلى صنعاء يوم السبت مستهل ذي الحجة من سنة عشر وست مئة، فلما استقر في صنعاء سَمَّه وزيره المذكور، فتوفي هنالك، فكانت وفاته في الليلة المسفرة عن غُرَّة يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم أول سنة إحدى عشرة وست مئة، فتوَلَّى غازي بن جبريل أمر البلاد والعسكر، وحَلَف له الجُنْد في ذلك النهار وتسمى بالملك وضربت السكة باسم وخطب له في ذلك النهار، وخرج من صنعاء يريد تعز، وحمل الناصر معه بعد أن طلاه بالممسكات[5]، فلما صار في ناحية السحول وَثَبَ عليه مماليك الملك الناصر فَقَتَلُوه[6]، فكان قتله يوم الأربعاء الرابع عشر من المحرم المذكور في السنة المذكورة، قاله الحاتمي في (العقد الثمين[7]).

---

(1) أي معياره أو تقديره.

(2) سقط من (و).

(3) (السمط الغالي الثمن): 152وفيه مات مسموما سقاه السم (غازي بن جبريل، يقال أنه طمع في الملك) وانظر (الأيوبيون في اليمن): 225.

(4) لم نجد هذا الخبر في مطبوعة (كنز الأخيار) لعماد الدين إدريس انظر ص: 93.

(5) في (السمط): 153 أنه دفنه بصنعاء وفي (السلوك) 2: 537 موافقا لما ذكر هنا.

(6) في (السمط) كان قتل غازي بن جبريل بإب.

(7) انظر (السمط الغالي الثمن) 153 – 154.

وقال الجندي[1]: بل خرج عليه العرب فنهبوه وقتلوه وتشَتَّت عسكره، فوصل غازي إلى إب في جماعة من خواصه، وكانت أم الناصر، وغالب الخواتين[2] مقيمين في حصن حب فطلع مماليك الناصر إلى حصن حب – كما ذكرنا – فشَتَمْتَهم ولعنتهم وحملتهم على قتل غازي بن جبريل، فنزلوا إلى إب فقتلوه بها، واحتزُّوا رأسه وحملوه معهم إلى حصن حب، وقبره في إب جثةً بلا رأس، ولما وصلوا بالنَّاصر إلى تعز ميتًا – كما ذكرنا – قُبِر في القُبَّة التي هي في قبلي ميدان تعز، وهي باقية إلى عصرنا هذا على يمين السائر إلى تهامة من تعز[3].

ثم إن أم الناصر نزلت من حَبْ إلى تعز وأقامت نحوًا من ستة أشهر.

ولما توفي النَّاصر في التاريخ المذكور: استولى آل حاتم بن أحمد على حصن بيت نعم وحصن فدة وحصن الظفر وحصن الفَصِّ والمصنعة في يوم الثلاثاء الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة[4]، وسار الإمام المنصور عبد الله بن حمزة إلى صنعاء فدخلها يوم الأحد ثاني شهر صفر من السنة المذكورة[5].

وخرج الغز منها إلى حصن براش، وسار[6] سليمان بن موسى الحمزي من ذمار في عسكر جَرَّار، ثم قصد لحجًا فأخذها وأقام بالرَّعَارِعِ أيامًا، ثم عاد إلى بلده.

وقدم الملك المعظم سليمان[7] بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالصوفي هو وجماعة معه في زَيِّ الصوفية، فاستدعته أم النَّاصر إليها، وكانت في حصن تعز، فقالت له: إنا نخشى أن تَطْمع فينا العرب ونحن نساء لا حيلة لنا، وقد ساقك الله إلينا، فقم بملك ابن عمك واستولى على ملك اليمن، فأجاب إلى ذلك وأَطْلعوه الحصن، وأجلسوه على سرير الملك، وحَلَفَ له الجُنْد بأسرهم، فكان ذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من

(1) (السلوك) 2: 537.

(2) جمع خاتون: لقب يطلق على نساء الملوك والمرأة الشريفة.

(3) في (السمط): 154 وكان للملك الناصر أخوات فاجمعوا على أن يكون الملك لهن وأن يقيموا أتابكا فأقاموا رجلا من المماليك يعرف بالمجاهد.

(4) لم يرد هذا الخبر في (السمط) فلعله في المطول منه.

(5) (السمط الغالي الثمن): 155.

(6) (كنز الأخيار): 93 و(السمط الغالي الثمن): 165.

(7) للتوسع في خبر سليمان المذكور والروايات التي قيلت حوله ينظر (السمط الغالي الثمن): 158 – 167 والأيوبيون في اليمن: 234 – 237.

شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، فقام بالملك قيامًا ضعيفًا، واشتغل باللهو واللعب واللذات والنساء، حتى تضعضع الملك، وكان إذا سكر يرقص ويقول[1]:

أنـــا مـشـغـول بـأيـري   انـظـروا للملك غـيـري[2]

وفي أيامه[3] قتل من الغز نحو من مئة فارس عند أكمة تعرف بجمعة[4]، واستولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء[5] وذمار، ودخل الشرفاء حصن كوكبان يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة من سنة إحدى عشرة وست مئة بعد أن حَصَرُوه مدة طويلة.

ولما بَلَغ الملك العادل[6] أبا بكر بن أيوب ما جرى في اليمن من قَتْل المعز وسَمِّ أخيه[7] الناصر جَهَّز[8] ابن ابنه الملك المسعود[9] صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جُيُوش عظيمة وأموال جليلة وحالة كبيرة، وكان يومئذ في سِنِّ البلوغ، وجعل أتابكه ومدبِّر ملكه جمال الدين فليت.

وكان وصوله إلى زبيد الثاني من المحرم[10] من سنة اثنتي عشرة وست مئة، فلمَّا استقر في الدار السلطاني بزبيد وقد ضعف عسكره وكَلَّت دوابهم، أرسل إلى ابن تقي الدين وكان يومئذ

---

(1) قلت لعل هذا الشعر مما دس عليه وإلا فالرجل حسب رواية ابن حاتم (السمط الغالي الثمن: 160) أنه كان من أهل الحزم والعزم وله شعر جيد منه قوله:

إذا قصد الأعداء أخذ بلادكم   فما أنتم للجرد والبيض إخلال

ألا أيها الأجناد والعسكر الذي   بهم ضربت في تعكر أمس أمثال

(2) نقل المؤلف هذا البيت عن الجندي في (السلوك) 2: 538.

(3) (السلوك) 2: 538.

(4) كذا في الأصل وفي (السلوك) 3: 672 و(قرة العيون): 291 «جعمة».

(5) (السمط الغالي الثمن): 165 ومآثر الأبرار للزحيف2: 113 والأيوبيون في اليمن: 232.

(6) هو أبو بكر محمد بن أيوب الملقب بالملك العادل أخو السلطان صلا ح الدين الأيوبي تولي عدة ولايات وتوفي بعالقين من حلب سنة 615هـ (وفيات الأعيان5: 74).

(7) كذا صوابه ابن أخيه طغتكين وفي (ع) وسجن الناصر (كذا).

(8) للتوسع انظر: النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي 6: 234.

(9) هو المنصور يوسف بن الكامل حكمه من سنة 612هـ إلى سنة 62هـ ذكر خروجه إلى اليمن ابن الأثير في الكامل12: 413 ومفرج الكروب3: 2494 وكنز الدرر للداوداری7: 297 وتاريخ ابن الفدا: 123 والعبر للذهبي5: 39 والعقد الثمين7: 492.

(10) (السمط الغالي الثمن): 167.

في حصن تعز يخاطبه في الصُّلح على أن تكون الجبال لسليمان والتهائم للملك المسعود، فلما سمع بذلك الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول نزل إلى الملك المسعود وحَثَّه على الطلوع إلى تعز فطلع وحط على تعز ولقيته عساكر اليمن بأسرها، ثم قال الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول للملك المسعود: أرى أن تكتب إلى الخدام الذين في حصن تعز كتابًا تقول فيه: (أقسم بالله تعالى، لئن لم تمسكوا[1] سليمان بن تقي الدين لا أصبتم مني عافية) فكتب كما أشار إليه الأمير بدر الدين، فلما وصل الكتاب إلى الخدم نَهَضُوا بأجمعهم فأغلقوا[2] باب المجلس الذي فيه سليمان بن تقي الدين عليه، وأمروا إلى والي الملك المسعود فطلع وأمسك سليمان وقيده، ثم طلع الملك المسعود حصن تعز، وكان طلوعه يوم الأحد غُرَّة شهر صفر من السنة المذكورة، ثم تَزَوَّج الملك المسعود بالملكة بنت الأمير سيف الدين سنقر الأتابك المعروفة ببنت جوزة، وشَغُف بها شغفًا شديدًا، وصدَّر سليمان بن تقي الدين إلى مصر مقيدًا.

فلما كان شهر ربيع الآخر[3]: خرج الإمام عبد الله بن حمزة من صنعاء إلى كوكبان هو وجميع أصحابه، وكان ذلك يوم الأحد الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة بعد أن أخرب صنعاء والدار السلطاني[4]، فتعطَّلَت صنعاء، ثم رجع بعض أهلها إليها، فأغار عليهم أخوه الإمام يحيى بن حمزة فدخلها وفيها جماعة من العرب والغز، وسبى جميع من فيها من النساء والأولاد من العرب والعجم[5]، وذلك يوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وطلع الأمير جمال الدين فليت[6] إلى صنعاء يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وقامت الفتنة بينهما مدة طويلة، وجهز الإمام ولده عزِّ الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة إلى كنن، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنةً، وقد اجتمعت سَنْحان على الخلاف معه، فمال لحربه طائفة من العسكر الذين هم مع فليت، فكانت بينهم عدة

(1) (السمط): تفعلوا.

(2) هذه الزيادات التي ينقلها لا يوجد في (السمط) المطبوعة.

(3) (السمط الغالي الثمن): 168.

(4) عبارة (السمط): بعد أن خرب الدور التي بصنعاء دار السلطنة ودور الغز.

(5) وذلك لاستحلال هذا الإمام الجائر دماء أهل السنة كما هو مذكور في سيرته.

(6) في (و) فلت خطأ.

وقائع تارةً له وتارةً عليه، إلى أن توفي عبد الله بن حمزة، في حصن كوكبان، وكانت وفاته يوم الخميس الثاني عشر من المحرم[1] أول سنة أربع عشرة وست مئة، فدفن هنالك، ثم نقل إلى بكر[2] في تابوته، ثم نقل إلى مشهده بظفار، وكان عمره يوم توفي اثنتين وخمسين سنة وثمانية أشهر واثنين وعشرين يومًا.

ثم خرج الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة ومولاه جابر[3] بن مقبل في عَسْكر من الأشراف إلى جبل كنن من بلاد سنحان، وأجابهم الشيخ راشد بن مظفر، والأمير الأتابك جمال الدولة في عسكر إلى صنعاء، فوقف بها وحط الأتابك فليت في بئر الخولاني مقابلًا للأشراف، وهم يومئذ في جبل كَنَن، ثم توفي الأتابك جمال الدين فليت، وهو في محطته المذكورة، وقبر في صَنْعاء يوم الجمعة غرة شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ولما علم الملك المَسْعود بوفاة الأتابك فليت خرج يريد صنعاء، فوصل محطة بئر الخولاني[4] يوم السَّبت مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم دخل الملك المسعود صنعاء يوم السبت الثامن من جمادى المذكور، ونَهَضَ الشرفاء من جبل كَنَن في ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من الشهر المذكور، واستولى الغز على جبل كنن في ذلك اليوم، وتسَلَّمَ الملك مسعود حصن كوكبان يوم الخميس من جمادى الأخرى، واصطلح السلطان والأشراف في ذلك اليوم، ولحق الشريف عز الدين ببلاده، وتسَلَّمَ الملك المسعود حصن براش من الهروش[5] في الشهر المذكور، ورجع الملك المسعود من صنعاء إلى اليمن في شهر رجب من السنة المذكورة، ثم طلع الملك المسعود صنعاء مرةً ثانية في شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وست مئة، وعاد إلى اليمن في ربيع الآخر من السنة المذكورة، فتسَلَّمَ حصن الشوافي في جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم طلع صنعاء[6] مرة ثالثة في شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم طلع إلى الظاهر في أواخر شهر رمضان من السنة المذكور، فوصل حوث

(1) (السمط الغالي الثمن): 171.

(2) بكر من بلاد ظفار (السمط الغالي الثمن): 171.

(3) ذكره في (السمط): 182 وذكر قتله في وقعة مع جند الأيوبيين عند باب السَّبحة بصنعاء سنة 614هـ كما سيأتي.

(4) (السمط الغالي الثمن): 172.

(5) يعني راشد بن مظفر الهرش (سبق).

(6) (السمط الغالي الثمن): 173.

وأخربها، ثم نزل الجَوْف[1] من حوث فوقف في الجوف الأعلى ثمانية أيام، ثم نهض إلى غيل مراد[2] ووقف أربعة أيام، ثم نهض من الغيل إلى شوابة[3]، فأقام بها خمسة أيام، ثم نهض إلى ريدة وكانت طريقه[4] تحت حصن ظفار فاعترضته الأشراف وقاتلوه، ثم نهض من ريدة فوصل صنعاء ثالث القعدة من السنة المذكورة، ثم رجع اليمن فأقام بها وصالح الأشراف في رجب من سنة ست عشرة وست مئة[5]، ثم نهض[6] عليهم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع عشرة وست مئة.

وطلع من اليمن إلى صنعاء مرة رابعة، فدخلها يوم الثلاثاء التاسع من رجب في سنة سبع عشرة وست مئة، وحط على [حصن][7] بكر يوم الخميس الثاني[8] عشر من الشهر المذكور، وبنى عليه سورًا وحَصَره من جميع نواحيه، وأقام محاصرًا له ثمانية أشهر واثني عشر يومًا، [وكان فيه من أولاد الإمام وأمهات أولاده طائفة، فجَمَعَ عز الدين محمد بن الإمام جموعًا كثيرة وأراد قصد تهامة لينفِّس على أهل بكر، فخالف عليه عَلَمَ الدين سليمان بن موسى، ووصل إلى محطة بكر فتلَقَّاه المسعود بالإنصاف والصِّلات الجزيلة، وجهَّز معه جيشًا لحرب عز الدين، فكانت بينهما بالجوف حروب عظيمة][9]، ثم إن الملك المسعود اشترى الحصن منهم بعشرة آلاف دينار[10] مصرية [من الأمير يحيى بن حمزة]،[11] وطَلَعه والشمس منكسفة، وذلك في الساعة الثانية من يوم الإثنين[12] أول شهر ربيع الأول من سنة ثماني عشرة

(1) عبارة (السمط): ثم نزل منها إلى الجوف.
(2) غيل مراد: انظره في (السمط): 173.
(3) (السمط): 174.
(4) (السمط): 174 وكانت طريقه على المولَّدة تحت حصن ظفار.
(5) (السمط): 174.
(6) يعني المسعود انظر (السمط): 174.
(7) زيادة من (السمط).
(8) (السمط): الثامن عشر وانظر الأيوبيون في اليمن: 258.
(9) ما بين المعقوفتين زيادة على (السمط) نقله المؤلف من أصله المطول.
(10) (السمط): مثقال يعادل 72 حبة من الشعير انظر الكلام عليه في المكاييل والاوزان والنقود: لمحمد الجليلي 138 دار الغرب الإسلامي.
(11) زيادة من (السمط الغالي الثمن): 174.
(12) (السمط الغالي الثمن): 175.

وست مئة في طالع الكسوف، ثم رجع من حصن بكر إلى صنعاء[1].

وعاد إلى اليمن، ثم نزل زبيد[2].

ثم سار منها إلى مكة المشرفة قاصدًا لقتال حسن بن قتادة يوم الثلاثاء السابع عشر من المحرم سنة تسع عشرة وست مئة، فلما وصل مَكَّة حرسها الله تعالى أخذها قهرًا بالسَّيف وحَرَّم سفك الدماء بها بعد فتحها، وحرم النهب وصاحت الصوائح بالأمان لمن كان فيها من التُّجار والمجاورين، وكان دخوله مكة في شهر ربيع من السنة المذكورة، وهو في آلة الحرب.

ثم رجع من مكة إلى زبيد فدخلها في جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم سار إلى صنعاء في جمادى الآخرة، ثم رجع منها إلى زبيد.

ثم تقَدَّم إلى مصر في النصف من شهر رمضان من سنة عشرين وست مئة، وترك في اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول، وكان يومئذ أتابكه وصاحب بابه، والأمور كلها بيده، فقام مرغم الصوفي[3] في الحقل[4] وبلاد زُبَيْد[5] ودعا الناس إلى نَفْسه، وأخبرهم أنه داع لإمام حق، فانضاف إليه من غوغاء الناس وطماعهم الجم الغفير، وأجزلهم أهل المغارب، وكثير من قبائل جَنْبٍ وعَنْسٍ، فسار إليه الأمير نور الدين ومعه راشد بن مظفر الهرش، فقال مرغم الصوفي[6] لمن معه: إن قاتلونا في غدٍ هَزَمْنَاهم، وقتلنا راشد بن مظفر، فوقع القتال وكان كما قال اتفاقًا، فازداد الناس له مَحَبَّة وتصديقًا، وكانت الواقعة في سنة اثنتين وعشرين وست مئة، ثم تلاشت أموره وظهر للنَّاس كثير من كذبه، وفساد مذهبه فتنقل من بلد إلى بلد هاربًا[7].

ثم كانت وقعة بين الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول وبين الأمير عِزِّ الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، فجمع الشَّريف عز الدين جموعه من الفارس والراجل، وكانت خيله سبع مئة فارس ورِجْله ألفي راجل، فقَصَد صنعاء بعد خروج الأمير بدر الدين

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 175.

(2) (السمط): 175 والأيوبيون في اليمن: 260 ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي 8: 624 و(السلوك) للمقريزي 1: 213 و(اتحاف الورى بأخبار أم القرى) 3: 34.

(3) (السمط الغالي الثمن): 176.

(4) (السمط): بلاد سحمر.

(5) زبيد هنا: بضم الزاي القبيلة المعروفة.

(6) (السمط الغالي الثمن): 178.

(7) (السمط): 179.

منها إلى ذَرَوَان مُمِدًّا لأخيه نور الدين بعد الهزيمة، وكان خروج الأمير بدر الدين من صنعاء إلى ذَرَوَان يوم الأحد السادس عشر من رجب سنة ثلاث وعشرين وست مئة، فوصل ذَرَوَان يوم الإثنين السابع عشر من الشهر المذكور.

فلما بلغه العلم بخروج الأمير عز الدين إلى صنعاء انقلب الأميران نور الدين وبدر الدين على الفور إلى صنعاء، فوصلا وقد دخل الأمير سالم[1] بن علي بن حاتم والأمير علوان بن بشر بن حاتم إلى صنعاء في خيل ورجل من ذَمَرْمَر والعروس وحفظوا المدينة، وقد حَطَّ الأمير عز الدين في عَصُر وتَجَهَّزَ للقتال، ونزل قاصدًا صنعاء، فخرجت الرتبة ومن معها لقتاله ووقع بينهم الطراد يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب من السنة المذكورة، فاقتتلوا إلى وقت الغداء، ووصل الأمير نور الدين وأخوه بدر الدين إلى صنعاء، والناس متلازمون في القتال، وقد وقع القتل في الفريقين، وكل حافظ لأصحابه، فدَخَلَ الأميران القصر وتغدَّى الناس على السِّماط، وقال الأمير بدر الدين: نحب نستريح أولًا ثم ندخل الحمام - إن شاء الله تعالى - ثم نخرج فوقفوا في القَصْر قليلًا، ثم دخلوا الحَمَّام، فلما خرجوا حَرَّكَ الرِّياح[2]، واجتمع العساكر الذين وصلوا معهما وهم مئة فارس يزيدون قليلًا أو ينقصون قليلًا، فلما خرجوا من باب صنعاء وقف نور الدين في بعض الخيل مركزًا وفيئة يرجع الناس إليه إن انهزموا، وتقدم بدر الدين في الباقين والناس متلازمون في القتال، فرتَّبَ أصحابه وحرَّضَهم على صِدْق القتال، والتفت فيهم يمينًا وشمالًا، وقال: هي هي فقالوا: هي هي وكان هذا شعاره في عَسْكره، وصمَّمَ في حملته، وصمَّمُوا معه ومنحهم الله النصر والظفر، فانهزم جيش الأشراف، ولم يقم منهم أحد ووَلَّوا مدبرين، وقتلوا منهم قتلًا ذريعًا حتى قيل: إنه كسر ثلاثة أرماح، وانقطع السيف الذي كان في يده وأطار خيارة الدَّبوس، ولم يرجع من المعركة إلا وفي يده عَرَقة الرِّكاب بركابها،

ويروى: أنه قتل يومئذ فارسًا بفارس صرع أحدهما بالآخر، ولم يزل القتل والأسر فيهم إلى أن دَخَل الليل وغَشِيَهُم الظلام، وقتل الشيخ مخلص الدين جابر[3] بن مقبل بعد أن أبلى

(1) (السمط): 180 وفيه: السلطان سالم بن علي.

(2) في (السمط): 182 (النقارة) والرياح والنقارة هي طبول الحرب.

(3) (السمط): 182.

بلاءً حسنًا، وقتل الزنجي أيضًا بعد البلاء العظيم، وقتل من وجوه العرب جماعة، ووَقَع في الأمير عز الدين نشاب في عينه بعد أن قاتل هو ومن حضر من إخوته فأبلى الكل بلاءً حسنًا، وباتوا ليلتهم سائرين قاصدين ثلا، ولم ينزلوا عن ظهور خيلهم حتى وصلوا ثلا، وقد تفرَّقَ جَمْعهم، ولم يبق منهم غير أربعين فارسًا، وهم الأشراف وعبيدهم، وفي هذه الوقعة يقول العماد الشيزري، وكان شاعر الملك المسعود[1]: [من الطويل]

ألا هكذا للملك تعلو المراتب ... وتسمو على رغم العداة المناقب

فتوح سَرَتْ في الأرض حتى تضوعت ... مشارقها من طِيْبَها والمغارب

بسيف الجواد ابن الرسول تَوَطَّدَتْ ... قواعد ملك رَبُّه عنه غائب

فولَّوا ومن طَعْن القنا في ظهورهم ... عيون ومن ضرب السُّيوف حواجب

وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم[2] إلى الشريف عز الدين محمد بن الإمام يقول[3]: [من الوافر]

أسادات الورى من كل حي ... وأسمى في المعالي من يسامي

وأربطها لدى الهَيْجاء بأسًا ... وأحماها إذا عَدُم المحامي

أهنِّيكم قدوم العِيْد فَرْضًا ... عَلَّيَّ فَعُدْتُمُ[4] في كل عام

وأهدي نَحْوكم أزكى سلامًا ... إلى المأموم منكم والإمام

وأسمعكم أحَقُّا ما سمعنا ... فما يشفي سوى صِدْق الكلام

بِأَنَّ جموعكم طارت شعاعًا ... ولما تَخْشَ عاقبة الملام

وولَّتْ غير كاسبة ثناءً ... فِرَارًا لم تكرَّ ولم تحامِ

---

(1) انظرها في (العقود اللؤلؤية) للمؤلف: 69 (تحقيقنا) ولعله نقلها من الأصل المطول للسمط وانظر وصف معركة عصر بتوسع في (الأيوبيون وبنو طاهر) لمحمد عبد العال أحمد: 81 – 82.

(2) في (و) حازم.

(3) انظرها في (العقود اللؤلؤية): 70 و(قرة العيون): 296.

(4) (قرة العيون): قدمتم.

سوى عشر[5] فحَيًّا الله عشرًا　　　تحامت من بني سام وحام
ولم يحضر من الأمراء إلا　　　شهاب الدين محمود المقام
ونور الدين[6] والبَدْر[7] المُرَجَّى　　　ليوث الحرب في يوم الصِّدام
وخيلهم إلى مئة وعشر　　　وهم ما بين رَمَّاح ورام
فماذا تَصْنعون إذا ألَمَّتْ　　　جنود الملك من يَمَنٍ وشام
ولاحت راية المسعود فيها　　　كلائحة على أرجاء طام
هنالك تَنْدمون ولا محيصٌ　　　إذا حَمَّ القضاء لدى الحمام
فإن تقبل نصيحة ذي وداد　　　فإن النُّصح من شِيَمِ الكرام
أتيتم طائعين إلى مليك　　　شريف النفس ذي منن جسام
فتى هزَّت بنو أيوب منه　　　حسامًا قد يفِلُّ شبا الحسام
وقَلَّدت الأمور إليه لما　　　غدا لا بالددان[8] ولا الكهام[9]
وقالت عند ذلك قول فذ　　　أديب شاعر حسن النظام
فأعط القوس باريها ودعها　　　فقد أودعتها في كَفِّ رامي
فذَبَّ برأيه والسَّيف عَنْهم　　　وقام بِمَلْكِهِمْ أوفى قيام

فأجابه الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة يقول: [من الوافر]

أمن بَرْق تألق بابتسام　　　أرقت فلم أذق طعم المنام
لذكر الوصل أم لفراق غِيْدٍ　　　تضيء وجوهها جَنْحَ الظَّلام

(5) عشر من نواحي صنعاء (صفة: 116 ط بريل).
(6) يعني عمر بن علي الرسولي.
(7) يعني أخاه الحسن بن علي الرسولي.
(8) الددن: اللهو اللعب.
(9) كهم: الرجل بطؤ عن النصرة.

رعى الله الديار وساكنيها ... ورَوَّى رَبْعها صوب الغمام
فلا تَعْجَبِ لتِذْكاري فإنِّي ... ذكرت منازل الحَيِّ الكرام
وأعجب من تذَكِّر وَصْلَ هند ... كتاب جاءنا من مَلْكِ يام
سليلهم المتوَّج أرضعوه ... لبان المَجْدِ من قَبْل الفطام
وأودعه السَّلام فلا عَدِمنا ... أنامل نَمْنَمَتْ أزكى السَّلام
ويخبر عن طِرَاد قول صِدْق ... أَحَقًّا ما يقال من الكلام
بأن جموعنا طارت شعاعًا ... وَوَلَّتْ لم تكرُّ ولم تحامي
سوى عَشْر أغارت غير نَكْس ... فعادت أجنحًا مثل السهام
فلو كان الأمير النَّدب فيها ... عُمَاد الدين محمود المقام
لدارت بيننا عصب عصاب ... بكلِّ مُهَنَّد عَضْب حسام
ولكن عاقه الرَّحمن عَنّا ... فلم يَحْضر ويوم الرُّوع حام
وكيف تعدُّ هذا القول نصحًا ... وقد صدعت له صُم السلام
فوا عجبًا ندافع عن حمانا ... وتنسبنا إلى فِعْل اللئام
فليس لنطح صخرتهم سوانا ... بني حسن فَكُفَّ عن الملام
[وإن كانوا لعمر أبيك أسدًا ... تشبّ لدى الوقائع بالضِّرام][1]

قال السلطان مدرك بن حاتم بن بشر بن حاتم على لسان الأمير نور الدين والأمير بدر الدين عمر وحسن ابني علي بن رسول وأرسلا بها إلى الديار المصرية[2]: [من الطويل]

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقنى ... لدى عَصُرٍ[3] من أصْدَقَ الضَّرب والطعنا

(1) هذا البيت سقط من (ع) ومن (قرة العيون).

(2) انظرها في (السمط الغالي الثمن): 187 ونقلها عنه صاحب كتاب (بنو رسول وبنو طاهر في اليمن): 268.

(3) عَصُرَ البلد المعروف من صَنْعاء سبق ذكرها.

ومـن شـهـدت صنـعـاء لـولا بـلاؤه | لما فـارقـت رُعْبًـا ولا وافـقـت[1] أمنا
وقد كانت البِيضُ الخرائد خيفَة السـ | ـبا مـن أعـاديـنـا أسـاءت بِنَـا الظَّنَّا
فـلـمـا تـدانـى الـفَـيْـلَـقَـان عـشِـيَّـةً | غـدا الـهـام فيها منهم والـظَّبَـا مِنَّـا
ورحنا إلى قصر القليس[2] نصافح الـ | ـكـؤوس ويُغْنينـا الـنَّـديـم وقـد غَنَّـا
وخـيـل حـشـونـاهـا الأسـنـة بـعـدمـا | تـكـدَّسْـن مـن هَـنَّـا علينا ومـن هَـنَّـا
ضـربـن إلـيـنـا بـالـسِّـيـاط جـهـالـةً | فـلـمـا تـعـارفـنـا ضُـرِبْـنَ بـهـا عـنَّـا
وشيمتنا وصـل الـسُّـيـوف لـخَطْوِنَا | إذا قصـرت حتـى نعيـد العـدا طحنـا[3]
ونـحـن متى شئنا دَسَـرْنـا[4] عـدوَّنـا | ولا نحتمـل حِقْـدًا دفينًـا ولا ضغنـا
فـمـا زالــت الأخـبـار مـنـكـم تـسرّنـا | كـمـا سَـرّكـم في مصـر مُخْبركـم عَنَّـا

ولما اتصل علم هذه الواقعة بالملك المسعود إلى الدِّيار المصرية رَجَع سريعًا إلى اليمن[5]، فدخل حصن تعز يوم الإثنين السابع عشر من صفر سنة أربع وعشرين وست مئة.

فلما كان يوم الإثنين الخامس عشر من رجب من السنة المذكورة: وَثَبَ الملك المسعود على بني رسول، فقبضهم في مدينة الجَنَد: قَبَضَ الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، والأمير فخر الدين أبو بكر بن علي بن رسول، والأمير شرف الدين موسى بن علي ابن رسول[6].

قال صاحب (العقد[7]): وكان السَّبب في قَبْضهم أنه لمَّا وصلهم العِلْم والكتب بما كان من وقعة عَصْر بين الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة وبين بني رسول، وما كان

---

(1) (السمط): رافقت.

(2) القليس: بلد في جبل شعيبب ناحية بني مطر (المقحفي: 522).

(3) ورد هذا البيت مختلا فأصلحناه من السمط.

(4) دسر غريمه بالرمح: طعنه.

(5) (السمط الغالي الثمن): 192 وبنو رسول وبنو طاهر في اليمن: 269.

(6) للتوسع في خبر القبض على أولاد الرسولي، يراجع (الأيوبيون وبنو طاهر): 83 – 87.

(7) (السمط الغالي الثمن): 89.

من هزيمة الأشراف مع كَثْرة جمعهم اشْتَدَّ خوف بني أيوب على ملك اليمن من بني رسول، ولم يخافوا أحدًا لا من العرب ولا من العجم كخوفهم منهم، وذلك لمَّا عرفوا فيهم من الشَّجاعة والإقدام وعَلُوَّ الهمة وبعد الصِّيت وحسن سياسة الأمر وتمام مكارم الأخلاق وحيازة السيادة وابتناء المجد واكتساب الحمد، ولأجل ذلك[1] نَمَّ عليهم منهم ما كان الكسر فيه مجبورًا والخَصْم فيه مقهورًا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

ولما قبَضَ الملك المسعود على بني رسول، وكان الملك المسعود قد أرسل الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بخزانة عدن يريد توديره[2] حال لَزْم إخوته، لأنه كان يشق[3] عليه كثيرًا، ولما تقدم الملك المَسْعود واستنابه في اليمن حَسُنَتْ سيرته وحمدت أفعاله في مغيبه كما ذكرنا، طلع إلى الحقل وأخرب بلد بني سيف خصوصًا، وذلك في ذي الحجة[4] من سنة أربع وعشرين وست مئة، [وأقام في الحقل نحوًا من ثلاثة أشهر، ثم عاد إلى حصن تعز في نحو من مئة فارس، ثم دار في أقطار اليمن إلى أن خرج من مدينة زبيد يريد مصر][5]، فتوفي في مكة حرسها الله تعالى مسمومًا في شهر رجب وقيل في شعبان من سنة خمس وعشرين وست مئة، قاله الجَنَدي[6].

وقال ابن عبد المجيد[7]: توفي الملك المسعود في شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين، وهكذا قال الشريف إدريس بن علي في كتابه (كنز الأخيار[8]).

وقال الحاتمي في كتابه (العقد الثمين[9]**)**: كان خروج الملك المسعود من زبيد يريد مصر في بواقي أيام من شَهْر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وست مئة، وتوفِّي بمكة يوم الإثنين

---

(1) عبارة السمط: فلأجل ذلك احتملوا لهم الضغن حتى جرى ما جرى.

(2) كذا في الأصل لعل صوابه: توزيره أي جعله وزيرا.

(3) كذا في الأصل لعل صوابه: يشفق عليه.

(4) (السمط الغالي الثمن): 194.

(5) زيادة لا توجد في السمط وهنا خلط المؤلف بين نور الدين والملك المسعود.

(6) (السلوك) للجندي2: 539.

(7) بهجة الزمن لابن عبد المجيد اليماني: 159.

(8) (كنز الأخيار): 95.

(9) السمط الغالي الثمن: 194.

الرابع عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة، قال: وأوصى أن لا تهَلَّب[1] عليه الخَيْل ولا تقلب عليه السروج [ولا يسوّد أحد من المماليك ثوبا][2]، وأن يقبر بين الغرباء في مقبرة مكة، قال[3]: ويروى أنه اشترى ثوبين برَسْمِ الكفن من بعض الناس.

وكان قد حمل معه جميع خَرَاج ملك اليمن من الصَّفراء والبَيْضاء والجواهر الغالية والطُّرف والغلمان والجَوَاري، وكان قد جعل في صنعاء الأمير تميم[4] [الدين بن أحمد بن زكريا][5]، وكان قد استناب على اليمن الأمير قليم[6]، وكان فيه جَبَرُوت المصريين، فصادر رَجُلًا من أصحاب الشيخ والفقيه[7] من أهل عواجة مصادرة شديدة، فأشار الشِّيخ إلى ناحية قليم بإصبعه، وقال طعنته في أنثييه، فأصابه فيهما داء فمات منه. فاستناب المَسْعود على اليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على اليمن كله سهله ووعره وبحره وبره، فكان من ذلك ما أراده الله تعالى وقَدَّره من إظهار كلمة المُلْكِ الرَّسولي، وتَمْكين بَسْطَتِه ونشر جناح عَدْله على الخَلْق ونفاذ صولته وتقليص ظل الملك الأيوبي، وزوال دولته.

فلما توفي الملك المسعود في التاريخ المذكور - كما ذكرنا - تقَدَّمَ الأمير[8] حسام الدين لؤلؤ بمن كان معه من أولاد الملك المسعود إلى مصر.

قال الجَنَدي[9]: ولم يكن الملك المسعود له من الآثار إلاَّ تجديده لمدرسة الميلين[10] بزبيد، ثم إنه أخرب جامع الجَنَد، فأرسل الله عليه في يوم من الأيام مطرًا شديدًا، وكان فيه

---

(1) هَلَب الخيل: نتف شعره.

(2) زيادة من السمط الغالي الثمن.

(3) (السمط الغالي الثمن): 195.

(4) كذا في الأصل: صوابه نجم الدين بن زكري (السمط الغالي الثمن: 198 والأيوبيون في اليمن: 281).

(5) ما بين المعقوفتين لم يرد في السِّمط ونقله المؤلف عن (السلوك) للجَنَدي2: 538.

(6) في (السلوك) 2: 528 و(قرة العيون) فليم بالفاء الموحدة.

(7) يعني بهما محمد بن أبي بكر الحكمي، ومحمد بن حسين البجلي من الصوفية انظرهما في (طبقات الخواص): 264.

(8) (السمط الغالي الثمن): 195 و(العقود اللؤلؤية): 75.

(9) (السلوك) 2: 539.

(10) سبق ذكرها.

برد عظيم، فانتخم[1] ولم ينحسم، فأَنْذَرَ لله إنه إن انكشف عنه ذلك الأمر أن يَعْمُرُ المسجد، فكشف الله ذلك، فأرسل بمال إلى الشيخ ظهير الدين علي بن عمر، وأمره أن يعمر المسجد عمارةً جيدة، وأن يزخرفه ويذهبه كما جَرَت العادة بذلك في عمائر الملوك، وأمره أن يبني على بابه خلوةً لتكون إذا جاء سكنها، فلم يعد إلى اليمن بعد ذلك، بل اخترمته المنيَّة في تاريخه المذكور، والله أعلم[2].

(1) كذا في الأصل وفي (السلوك): وندم.

(2) للتَّوسع في أخبار الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر محمد بن أيوب ينظر (العقد الثمين في تاريخ البد الأمين) 7: 492 و(غاية المرام في أخبار سلطنة البلد الحرام1): 519 – 585.

الفصل السادس

في ذكر الدولة الغراء الرسولية الزهراء
وذكر قيام السُّلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني

قال المصنِّف[1] **رحمه الله**[2]: وكان اسم رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح[3] يوحى بن رستم، وهو من ولد جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة من مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف[4] بن امرئ القيس الغطريف بن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع ويقال: زاد السفر بن الأزد بن الغوث بن نَبْتِ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان.

وإنما نسبوا إلى التركمان، لأن أولاد جبلة بن الأيهم ومن انضم إليهم من غسَّان سكنوا بلاد التركمان مع قبيلة منهم يقال لها: بيجك[5]، هي أشرف قبائل التركمان، فاختلطوا بهم وتكلموا بلغتهم، وبعدوا عن العرب، وانقطعت أخبارهم عن أكثر الناس، فكان من لا يعرفهم حقيقةً ينسبهم إلى التركمان وإلى بيجك وكانوا بيت شجاعة ورياسة[6].

---

(1) من هنا يوافق الكتاب ما جاء في (العقود اللؤلؤية)، وسنعود إليه في طبعته الأخيرة التي قمنا بتحقيقها سنة 1430 هـ ونشرتها مكتبة الإرشاد بصنعاء ولله الحمد.

(2) (العقود اللؤلؤية): 61.

(3) يقول الأشرف في (طرفة الأصحاب): 89 عند ذكر هارون بن أبي الفتح الجفني الغساني: من نسل جبلة بن الأيهم ثم يتوقف ولم يسلسل النسب من أبي الفتح إلى جبلة.

(4) العقود: البطريق وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم: 331 وفيه الحارثة الغطريف، وأمراء غسان لتيو دور نو لدكه: 22 ط الوراق: الحارث البطريق وفي (طرفة الأصحاب في معرفة الانساب): 20 يرد نسب هكذا (: ابن حارثه الغطريف بن امرىء القيس البهلول بن ثعلبة.

(5) في كتاب (بنو رسول وبنو طاهر) للدكتور محمد عبد العال أحمد: 44 (منجك).

(6) للتوسع في نسب بني رسول ينظر: (طرفة الأصحاب) للملك الأشرف: 89 وقد أثبت نسبهم إلى الغساسنة في أكثر من موضع، انظر ص: 19 و25 وسير أعلام النبلاء 23: 173 والعقد الثمين 6: 85.

وكان محمد[1] بن هارون جليل القدر فيهم وفي أهل بيته عظيم الشأن فيهم، له وجاهة عند الملوك، فقَرَّبَه الخليفة العباسي صاحب بغداد وأدناه منه واخْتَصَّ به، ورفع عنه الحِجَابَ، فكان الخليفة يرسله إلى من يحب من الملوك بما يريد من الأمور السِّرية على لسانه من غير كتاب، ويرجع بالجواب على لسانه من غير كتاب ثقةً به، ولأن الكتب ربما وقف عليها من يقف ولو بعد حين، فينشر بما يقف عليه، وقد يكون فيه ما يسوء الخليفة نشره.

فلما كان محمد بن هارون المذكور بهذه المنزلة عرف بها، فاطلق عليه اسم رسول الخليفة، وخفي على كثير من الناس اسمه، فأقام مدةً في العراق، ثم انتقل إلى مصر بأولاده واستوطنها.

قال صاحب (السيرة المظفرية)[2]: ولما استوسق الملك لبني أيوب في الدِّيار المصرية لم يزل معهم عصبة من بني رسول، وذلك لعلمهم بتَقَدُّمِ منصبهم في الملك وعلُوِّ همتهم، وشدة بسالتهم، وثبوت رأيهم، فأجمع رأي بني أيوب على أنهم يتركوا لهم اليمن، فقال ذو رأيهم: إذًا يستقوون عليكم بها وينازعونكم في الشَّام، فأجمع رأيهم على تَسْيِيرهم صحبة الملك العزيز[3] طغتكين بن أيوب، فدخلوا اليمن معه فجَعلَ الأمير شمس الدين[4] علي بن رسول أمير الجيش، وكان على طريقة عظيمة من الدين والصلاح وسلامة الصدر.

وكان للأمير شمس الدين أربعة أولاد: أكبرهم الأمير بدر الدين الحسن بن علي، والأمير شرف الدين موسى بن علي، والأمير فَخْر الدين أبو بكر بن علي، والأمير نور الدين عمر بن علي، وهو أصغرهم، وكانوا غايةً في السخاء والرِّياسة، والكرم والجود، وكان الأمير بدر الدين الحسن بن علي شجاعًا مقدامًا، لا يقوم له في الحرب عدد وإن كثر، وكان الأمير

(1) توسع في تمحيص حقيقة نسب بني رسول إلى الغساسة الدكتور المرحوم محمد عبد العال أحمد في كتابه القيم: (بنو رسول وبنو طاهر): 39 – 52 وانتهى فيه إلى أن بني رسول لا يمتون إلى أصل عربي وأنهم يرجعون إلى أصل تركماني.

(2) (العقود اللؤلؤية): 62.

(3) في (العقود اللؤلؤية): توران شاه بن أيوب وفيه زيادة (بعد أن استحلفهم له أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب) وانظر الأيوبيون وبنو رسول: 65 يقول يستبعد أن يكونوا وصلوا مع توران ويرجح الرواية الأخرى الواردة في كتابنا هذا ويقول: وعلى هذا ما أورده الخزرجي في (العقود اللؤلؤية) قد حرفه النساخ.

(4) أشار إليه ابن حاتم في (السمط الغالي الثمن): 105 ولم يرد ذكره مرة أخرى إلَّا هنا.

شرف الدين شجاعًا كريمًا شاعرًا، فصيحًا، وهو القائل(1) [في أيام الملك المسعود](2):

نـكـون حـمـاتـهـا ونَـــذُبُّ عنها ويـأكـل فَـضْـلـهـا الـقـوم الـلـئـام

مــعــاذ الله حــتــى نـنـتـضـيـهـا عـقـائـر(3) في الـعِـجَـاج لها ابتسام

فسَمِعها بعض الأمراء من عسكر الملك المسعود، فقال: خرجت اليمن من بني أيوب، [ورب الكعبة](4).

وكان السُّلطان نور الدين مع شجاعته حسن السياسة ثاقب الآراء عاقلًا وادعًا، وكان ذلك من أقوى الأسباب في اتّصاله بالملك، وكان من ولاية السلطنة في اليمن على بشارات وإشارات(5).

فمن ذلك ما يروى عنه أنه قال(6): أمسيت ليلةً من الليالي مَهْمومًا لعارض عَرَض، فلما أخذت مضجعي ومضى نحوٌ من شطر الليل سمعت دويًا في الهواء، فرفعت رأسي وإذا عفريت يهرب من الشواظ حتى حط نفسه عندي وهو يلهث، وكأنه معصرة(7) من عِظَمِهِ، فقمت من مضجعي فأخذت إداوةً فسكبتها في فيه، فلما اطمأن قال:

أسـفـر وأبـشـر يـا أبـا الـخـطـاب بـالـمـلـك مـن عـدن إلـى عـيـذاب

ثم ذهب عني.

وروي(8): أن ثلاثة أقوام من الصَّالحين وصلوا إليه، فقال الأول: السَّلام عليك يا أتابك. قال: فقلت له: - الأتابك(9) أخي - وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال الثاني: أنت

---

(1) انظرهما في (العقود اللؤلؤية): 63.

(2) زيادة لا توجد في العقود اللؤلؤية.

(3) العقود (عقائق).

(4) زيادة على العقود.

(5) ناقش مؤلف كتاب (الأيوبيون وبنو رسول) هذه الحكايات التي تروى عن الصُّوفية في التنبؤ لدولة بني رسول يقول ص: 56 وهذه الروايات شأنها شأن موضوع النسب قد وُضِعت في عَصْر متأخر على يد الخزرجي، من أجل إسباغ نوع من الشَّرعية على حكم بني رسول، وتأكيده وتدعيم دولتهم فيها.

(6) (العقود اللؤلؤية): 77.

(7) المِعْصَرَة: آلة كبيرة معروفة عند أهل اليمن يدور حولها الجمل الضَّخم ويستخرج منها الزيت.

(8) (العقود اللؤلؤية): 78.

(9) يعني بالأتابك هنا: سنقر السابق ذكره والد زوجة نور الدين المذكور هنا والمسماه بنت جوزة.

الأتابك وغير ذلك، فقلت: وما هو غير ذلك؟ قال: سلطان اليمن، وملوكها من نَسْلك[1] إلى آخر الزمان.

وكان الملك المسعود يحبّه ويأنس به، ويميل إليه من بَيْن إخوته، وكان يقلِّده كثيرًا من الأمور، ويثق به لِعَقْلِهِ ورئاسته، ولا يطمئن إلى أحد من إخوانه - وإن كان أصغرهم - خوفًا منهم على البلاد، ولما يرى منهم ويسمع.

ولما سافر الملك المسعود إلى الدِّيار المصرية في سنة عشرين وست مئة استنابه في اليمن، وكان جَيِّد السيرة محبوبًا عند الناس، حافظًا للبلاد إلى أن رَجَعَ الملك المسعود إلى اليمن في أول سنة أربع وعشرين وست مئة، كما ذكرنا أولًا.

قال صاحب (السيرة المظفرية)[2]: أخبرني الشِّيخ الصالح سليمان بن منصور بن جرينة قال: لما وصل الملك المسعود من مصر وعَبَرَ طريق خَبْت القَحْرية، وكان على قارعة الطريق شَيْخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدهما المغيث والآخر الهدش، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء ترى؟ قال: أرى شخصًا إن سار سار العسكر جميعه وإن وقف وقف العسكر جميعه، فقال: لعله الملك المسعود. فقال: لا، بل هو الملك المَنْصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر.

قال [صاحب السيرة][3]: وسمعت الحكاية عَيْنها من جَدِّي:.

وحكي[4] أن رجلاً كان على جَبَل الموسَّم - وهو جبل صغير منفرد في خَبْت العَسْلقية من نواحي سهام - وكان الرّجل هنالك يحرس شجر [عطب][5] عظيمًا له هنالك، وقد أقبل الملك المسعود في عسكره وطبلخاناته فَمَرَّ هنالك ليلًا، فلما سمع الرجل لَجَبَ الطبلخانة وضجيج العسكر قعد متعجِّبًا، فسمع قائلًا يقول قريبًا منه في الجبل[6]:

---

(1) العقود: ذريتك.

(2) (العقود اللؤلؤية): 78.

(3) زيادة من العقود.

(4) العقود: 78.

(5) سقط من (و) والعطب بضم العين والطاء القطن عند أهل اليمن. (القاموس: 1106) و(المعجم اليمني: 934).

(6) العقود: 79.

أقبل مثل السهم يزجيه الوتر ليس له من ملكه غير السفر[1]

هيهات في الأيَّام طَيَّات أخر

قال: فقصدت الموضع الذي سمعت فيه الصَّوت فلم أر أحدًا، وكان قريبًا مِنِّي، فعلمت أنه من الجِنِّ، وعلمت أن الملك منتقل من الملك المسعود إلى غيره.

ويروى: أن الشيخ الصالح المشهور محمد بن أبي بكر الحكمي رأى راية الملك المسعود يوم وصوله من مصر إلى اليمن، فقال: هذه آخر راية تدخل من مصر إلى اليمن، وكان الأمر كما قال.

فلما كان [سنة ست وعشرين وستمائة][2]: تقدم الملك المسعود إلى الديار المصرية، واستناب في اليمن مولانا السلطان الملك المنصور، وجعل في صنعاء الأمير نجم الدين أحمد بن زكري، فلما وصل إلى مكة المشرفة توفي بها[3] في التاريخ المقدم ذكره.

فلما بلغ[4] علم موته إلى اليمن قام السلطان نور الدين باليمن قيامًا كليًّا وأضمر في نفسه الاستقلال بالملك وأظهر أنه نائب للملك المسعود ولم يغيِّر سكةً ولا خطبة، وجَعَلَ يولِّي في الحصون والمدن من يَرْتضيه ويَثِقَ به، ويعزل من يخشى منه خلافًا، وكلُّ من ظهر منه عصيان عمل في قتله أو أسره.

وكان السُّلطان نور الدين من أهل العزم والحَزْم جوادًا كريمًا سريع النهضة، وكان محرابًا لا يملُّ الحرب، وكان صاحب حلم ودهاء، وكان يومئذ مقيمًا في مدينة زبيد، فاستولى على البلاد التهامية وقرَّر قواعدها، وسار[5] من محروس زبيد قاصدًا تعز في شوال من سنة ست وعشرين فحَطَّ على حصن تعز وحاصره حصارًا شديدًا، وضيَّقَ على أهله حتى أجهدهم، حتى قيل: إنهم ابتاعوا من الحِنْطة فقط بثلاثين ألف دينار[6].

---

(1) في (ع): الأثر.

(2) السمط الغالي الثمن: 194.

(3) الضمير في قوله توفي بها يعود إلى الملك المسعود.

(4) العقود: 79 وحول استيلا بني رسول على الملك بعد وفاة الملك المسعود يراجع للتوسع كتاب (الأيوبيون والرسوليون): 57 – 59.

(5) السمط الغالي الثمن: 201 العقود: 80 بنو رسول وبنو طاهر: 92.

(6) السمط: 201، وفيه بزيادة: وإن الغراب بلغ معهم دينارا وهذا الإسم ورد ذكره في (نور المعارف): 293 قال محققه: الغراب محفر خاص يحفر به القبور يشبه منقار الطائر.

وتسلم[1] حصن التعكر في سنة سبع وعشرين، ثم تسلم حصن خَدَدِ، وتسلَّم صنعاء وأعمالها وأقطعها ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول.

فطلع[2] الأمير نجم الدين أحمد بن زكريا][3] حصن براش خائفًا من السُّلطان نور الدين.

وفي سنة ثمان وعشرين[4]: تَسَلَّمَ حصن حب وبيت عِزْ، وحَطَّ على حصن تعز مرةً ثانية فأخذه صلحًا على يد القاضي المكين - [وهو رجل من أهل مصر كان صاحب الدواوين في الدولة المسعودية][5] - وكان القاضي المكين رجلاً عاقلاً معروفًا بحسن السياسة.

وفي هذه السنة[6]: تَزَوَّج ببنت جوزة بنت الأمير سيف الدين سنقر الأتابك، وكان زمامها[7] الطواشي نظام الدين مختص، وكان مُخْتَصٌّ المذكور لبيبًا عاقلًا كاملًا في خدمة الملوك.

[ولما انتظم عقد النكاح ولم يَبْقَ إلا الدَّخول، استدعى بالطواشي نظام الدين مختص، فقال له: أي رأي ترى، فإن هذه امرأة لا أعلم ما في ضميرها ولا ما هي منطويةً عليه من حَسَنٍ أو قبيح من خفيات الأمور؟ فقال له الطواشي: قد أدركت ما حدست، ولكني قد خبرت ما لم تخبر، فتقدم وادخل عليها على اسم الله تعالى.

فلما دخل عليها لم ير إلا خَيْرًا، ورأى من القبول والإقبال ما لم يكن في ظَنِّه][8]، ثم طلع إلى صنعاء[9] وأمر بالمحطة على براش وفيه الأمير نَجْم الدين أحمد بن زَكَريا، وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة.

---

(1) السمط الغالي الثمن: 201 و(العقود اللؤلؤية): 80 وبنو رسول وبنو طاهر: 92.

(2) السمط الغالي الثمن: 203.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(4) السمط الغالي الثمن: 202.

(5) ما بين المعقوفتين زيادة على السمط وانظر (العقود اللؤلؤية): 80.

(6) السمط الغالي الثمن: 202 وورد اسم هذه المرأة عنده بـ(الست أم قطب الدين) وقد أجمعت المصادر اليمنية على تسميتها ببنت جوزة ولا ندري ما سبب هذه التسمية انظر (العقود اللؤلؤية): 80 وفي (السلوك) 2: 541: ثم خطب زوجة الملك المسعود ابنة الأتابك فأجابته حين علمت أنه غلب على الملك وكان ابنه المظفر موجودا...

(7) في السمط: الزمام على بابها والزمام، في مصطلح ذلك الوقت لقب للقائد العسكري، (معجم الألفاظ التاريخية: 87).

(8) ما بين المعقوفتين لا يوجد في (العقود اللؤلؤية).

(9) السمط الغالي الثمن: 203.

وفي خلال[1] ذلك وصل إليه الأشراف إلى حصن ذمرمر وهم: الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وأولاده، والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وجميع إخوته، ووهاس بن أبي قاسم[2]، فتحالفوا وتعاضدوا وعقدوا صُلْحًا على ما بينهم، فتَمَّ على أكمل الوجوه، ولم يَجْر بينهم خلف ولا حرب إلى أيام الإمام أحمد بن الحسين سنة ست وأربعين وست مئة إلا مَرَّةً واحدة، وسأذكر سبب ذلك في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى، ووصلهم السلطان نور الدين بمال جزيل وخِلَعٍ سنية، وأقَرَّهم على بلادهم جميعها[3].

فلما افترقوا على الصُّلح والسداد، اضطرب الأمير نجم الدين أحمد بن زكريا وعلم حينئذ أن أسبابه انقطعت، فراسل السلطان نور الدين ونَزَ ل من حصن براش إلى أن لقيه وتَرَجّلَ بين يديه وحمل الغاشية[4]، فخلع عليه خلعًا سنية، وأنعم عليه إنعامًا جزيلاً، وعقد له بكريمته[5] [الدار النجمي][6]، ونزل صحبته إلى اليمن[7]، ونزل صحبته أيضًا الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، فلما استقر السلطان في دار ملكه رجع أسد الدين إلى صنعاء.

وفي [هذه السنة: وقع غلاء عظيم في صنعاء ومخالفيها وتسمى سنة شذا بة][8] **وفي سنة تسع وعشرين**: طلع السلطان نور الدين إلى صنعاء مرة ثانية، وتسلَّمَ حصن بُكْر وكوكبان وحصن براش.

وبعث[9] إلى مكة المشرفة أميرًا يقال له: ابن عبدان[10] مع الشَّريف راجح بن قتادة، وبعث معهما خزانةً كبيرة، وهو أول جيش جَهَّزه إلى الحجاز، فنزلوا الأبطح وحاصروا الأمير الذي

---

(1) السمط: 203 بنو رسول والطاهريون: 95.

(2) في السمط (هاشم).

(3) السمط الغالي الثمن: 203 و(العقود اللؤلؤية): 81.

(4) الغاشية: سَرْج من جِلْد مخروز بالذهب يحمل بين يدي السلطان في المواكب الحافلة (معجم الألفاظ التاريخية: 115).

(5) السمط الغالي الثمن: 205 وفيه: وفيها كان دخول الأمير نجم ابن أبي زكريا بالدار النجمي.

(6) زيادة من السمط: 204 وهذه الدار النجمي كانت من المحسنات الصالحات (معجم النساء اليمنيات: 73).

(7) أي إلى اليمن الأسفل: إب وتعز ونواحيهما.

(8) هذا الخبر سقط من الأصل وأثبتاه من السمط: 204.

(9) السمط الغالي الثمن: 204 وانظر (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) 3: 49.

(10) السمط (من بني عبدان قريبا للشهاب ابن عبدان).

فيها من قبل الملك الكامل، فكان يسمى الدغدكيني، وكان معه مئتا فارس، فأنفق الدغدكيني على أهل مكة نفقةً جَيِّدة وحَلَّفهم وتوثق منهم. فراسلهم الشريف راجح بن قتادة، وذَكَّرهم بإحسان السلطان نور الدين إليهم أيام كان أميرًا من قبل الملك المسعود، وكانت ولاية السلطان نور الدين في مكة سنة تسع عشرة وست مئة.

وفي هذه السنة: كانت ولادة السلطان الملك المظفر بمكة المشرفة.

فلما راسلهم الشريف راجح بن قتادة مال رؤساؤهم إلى جَيْش المنصور فأَحَسَّ بذلك الدغدكيني، فخاف على نَفْسه فخرج هاربًا هو ومن معه إلى يَنْبع، وكان في ينبع رُتْبة للملك الكامل وزردخانه[1] وغلة، فأقاموا هنالك وأرسلوا إلى الملك رسلاً إلى مصر وعَرَّفوه بوصول العسكر من اليمن، وما كان من أهل مكة، فجهَّزَ الملك الكامل عسكرًا كثيفًا، وقَدَّمَ عليهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وأرسل إلى الشريف شيحة[2] أمير المدينة، وإلى الشَّريف أبي سعد[3] أن يكونا معه، وكانا في خدمة الملك الكامل، فوَصَلوا إلى مكة وحاصروا ابن عَبْدان والشَّريف راجح بن قتادة وقاتلوهما، فقتل ابن عبدان[4] وانكسر أهل مكة، وقتل من أهل مكة مقتلة عظيمة، وأَظْهر حِقْده عليهم، ونَهَب مكة ثلاثة أيام، وأخاف أهلها خوفًا شديدًا، فلما علم الملك الكامل بما فعل غَضِب عليه وعَزَله واستدعاه إلى مصر وأرسل بدله أميرًا يقال له: ابن مجلِّي[5]، فوصل إلى مكة في سنة ثلاثين[6].

وفي سنة ثلاثين: تسلم[7] السلطان نور الدين بلاد علوان الجَحْدري وحصونه، وبلاد الهدش[8] بن الرياحي وحصونه.

---

(1) الزردخانة: هو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي (معجم الألفاظ التاريخية: 86).

(2) من أمراء مكة انظر (العقد الثمين) 5: 22 – 24 و(غاية المرام) لابن فهد1: 621.

(3) يعني أبا سعد حسن بن علي بن قتادة انظر (غاية المرام) 1: 605 – 638 و(السمط الغالي الثمن): 206.

(4) يرد ذكره في (السمط) و(العقود) بابن عيدان بعين وياء مثناه من تحت.

(5) انظر ترجمته في (غاية المرام) 1: 625 ولم يذكر اسمه كاملا.

(6) للتوسع في ذكر حملة نور الدين على مكة انظر (السمط الغالي الثمن): 204 و(العقد الثمين) للفاسي6: 344 و(السلوك) للمقريزي1: 366 ط دار الكتب العلمية.

(7) السمط الغالي الثمن: 205.

(8) السمط الغالي الثمن: 205 وفيه: الرياحي بن الهرش ولم يرد هذا الخبر في (العقود اللؤلؤية).

وفي هذه السنة المذكورة: أمر[1] بضرب السكة على اسمه، وأمر الخطباء أن يخطبوا له، فخطبوا في سائر أقطار اليمن.

وفي سنة إحدى وثلاثين[2]: جهَّز الملك المنصور خزانةً عظيمةً وعَسْكرًا جَرَّارًا إلى مكة إلى الشريف راجح بن قتادة، فأخرج العسكر المِصْري من مكة وأرسل بهدية كبيرة إلى الخليفة ببغداد، وكان الخليفة يومئذ المستنصر بن الظاهر، وهو والد المستعصم بالله، وطلب منه تَشْريفة السلطنة والنِّيابة كما جَرَتْ العادة من الملوك، فعاد الجواب بأن التشريف يصلك إلى عرفة، فخرج من اليمن يريد الحج على النُّجب[3]، فحَجَّ حجة هنية، وهَرَب منه الشَّريف راجح بن قتادة ولم يحج معه فضاق صدره فلما قضى نسكه رجع إلى اليمن ورجع الشريف راجح بن قتادة إلى مكة ولم يكن معه عسكر، فأرسل الخليفة بالنِّيابة والتشريفة إليه صُحْبة حاج العراق، فخَرَجَ حاج العراق إلى نصف الطريق[4] فقطعت العرب عليهم الطريق ودَفَنوا عليهم المناهل، فاعتاق الحاج في الطريق إلى أن فاتهم الحج، ورجعوا إلى بغداد ولم يصل منهم أحد ذلك العام.

وفي سنة اثنتين وثلاثين[5]: وصلت كسوة الكعبة من بغداد ومعها رسول[6] إلى السُّلطان نور الدين، فعَلَّق الكسوة ودخل اليمن، وأعلم السلطان نور الدين أن الكسوة والنِّيابة تصله في البحر على طريق البصرة، فوصلت النيابة والتشريفة في السنة المذكورة.

وفي هذه السنة[7]: أرسل السلطان نور الدين بقناديل إلى الكعبة من ذَهَبٍ وفضة، وأرسل بخزانة كبيرة على يد ابن النصيري[8] إلى الشريف راجح بن قتادة، وأمره باستخدام الخَيْل والرِّجْل، وأعلمه أن عسكرًا واصلًا من مصر إلى مكة، فلما دخل ابن النُّصيري مكة وعَلَّق القناديل، وصل العسكر المصري إلى مكة قبل أن يستخدم الشريف أحدًا، فخرج الشريف

(1) (العقود اللؤلؤية): 84 ولم يرد في السمط.

(2) السمط الغالي الثمن: 206 والعقد الثمين6: 342.

(3) انظر ذكر حج الملك المنصور في الذهب المسبوك للمقريزي: 109.

(4) السمط: إلى موضع يسمى لبنة.

(5) السمط الغالي الثمن: 207: العقد الثمين 6: 343.

(6) يقال له (معالي) (العقد الثمين) 6: 343.

(7) السمط الغالي الثمن: 207 و(العقود اللؤلؤية): 89 والعقد الثمين6: 347.

(8) في السمط والعقود: البصري.

راجح وابن النُّصيري إلى اليمن، وكان العسكر المصري خمس مئة فارس فيهم خمسة أمراء يقال لأحدهم: [**وجه**][1] السبع، والثاني: البندقي[2]، والثالث: ابن أبي زكريا[3]، والرابع: ابن برطاس[4]، والخامس هو المقدم الكبير أمير يقال له: حقريل[5]، فدخلوا مكة وأقاموا بها.

فلما كان سنة ثلاث وثلاثين[6]: جهز لهم السلطان نور الدين عسكرًا من اليمن، وقدم عليهم الأمير شهاب الدين عَبْدان، وبعث بخزانة إلى الشريف راجح بن قتادة وأمره أن يستخدم العسكر، ففعل، فلما صاروًا قريبًا من مكة خرج إليهم العسكر المصري فالتقوا في موضع يقال له: الخريقين[7] بين مكة والسرين، فانهزمت العرب، وأسر الأمير الشهاب بن عبدان[8]، فقيده الأمير حقريل وأرسله إلى مصر.

وفي سنة أربع وثلاثين[9]: تسلم السلطان نور الدين حصون حَجَّة والمِخْلافة ومخلافيهما، وكان سبب ذلك لما وصل الأمير تاج الدين محمد بن الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إلى السلطان نور الدين فأكرمه وأنصفه وأقطعه المحالب وطلع إلى بلاده مسرورًا فسولت له نفسه أخذ كوكبان، ولقد باع غاليًا برخيص، فعامل أصحابه فيه ودخله، ولم يبق من أمره شيء، وكان في الحصن رتبة جَيّدة من الخيل والرجل، ومن عادتهم في كوكبان أن يتركوا عشرًا من الخيل لابسةً، وخمسين رجلًا بسلاحهم على الاستمرار[10]، فلما طلع أصحاب الشريف

(1) سقط من (و) وفي السمط (وجه الفرس).

(2) في (و) البند.

(3) في السمط: أسد الدين بن زكري.

(4) في (و) مرطاس ووفي (ع) قرطاس وأثبتاه من العقود.

(5) في (العقود اللؤلؤية) «جبرائيل»، وبهجة الزمن: 164 والعقد الثمين: 345 «جفريل» وفي (السلوك) للمقريزي1: 37 ط دار الكتب العلمية «جغريل» وكذا في (اتحاف الورى) 1: 5.

(6) السمط الغالي الثمن: 214 (في حوادث سنة 634هـ والعقد الثمين 6: 345 وغاية المرام لابن فهد 1: 621 و(السلوك) للمقريزي 1: 375 و(العقود اللؤلؤية): 89).

(7) كذا في الأصل وغاية المرام لابن فهد1: 621 وفي السمط: الخريفين بالفاء الموحد قال: بينه وبين مكة نحو ثلاث ليال.

(8) يرد ذكره في السمط: 215 بابن عيدان بالياء. من تحت بعد العين.

(9) السمط الغالي الثمن: 209 و(العقود اللؤلؤية): 63.

(10) عبارة السمط: 209 (وذلك أن جاري العادة أن يترك موضع بالحصن يعرف بمجلس الخراطيم رتبة عشر من الخيل وخمسون راجلا).

الحصن خرجت عليهم تلك الخيل ومن معها من الرجل فقتلوا منهم جماعةً وطرح أكثرهم نفسه إلى الحيد[1] ترديًا.

وقد[2] كان الأمير يحيى بن حمزة عمر حصن منابر، وهو في بلاد السُّلطان مِمَّا يلي تهامة، فلما علم السلطان بما فعل الشَّريف يحيى بن حمزة وولده غَضِبَ من ذلك غضبًا شديدًا، وكان معه يومئذ الأمير محمد بن حاتم العباسي صاحب حصن عزَّان المصانع، وكان عزيزًا كريمًا عنده، فلما رأى اهتمام السلطان بأخذ منابر، قال للسلطان: أنا أعطيك حصن عزَّان، وأنا أعلم أن الشريف يحيى بن حمزة يرغب إليه ويسلم حصن منابر، قال السلطان: وأنا أزيده عشرة آلاف دينار، فأرسل السلطان وزيره وهو الشيخ ناجي بن أسعد إلى الشريف يحيى بن حمزة، وعرض عليه ذلك، فلم يقبل، وقال: قد صِرْتُ شريكًا لكم في المهجم، فعاد الوزير بغير شيء، فَغَضب السلطان نور الدين وازداد غضبًا، وكتب إلى الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة متمثلًا بقول الشاعر[3]: [من الطويل]

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبًا   فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وكان الأمير شمس الدين متغيِّر الخاطر على عمّه الأمير عماد الدين في نقضه الذمم والصُّلح الذي جرى في ذَمَرْمَرْ بين السلطان نور الدين وبين الأشراف، ولم يمكنه التّخلي عن عَمِّه، فخرج السلطان من محروس زبيد، وقدم أمامه الأمير نجم الدين أحمد بن زكري، ولقيه المشايخ بنو بطين[4] وغيرهم، واستخدم العساكر، وأنفق الخزائن وأتلف الأموال، وكانت بالأكياس تصبّ بين يديه صبًا كما تصبّ أعدال الطعام، وسار نحو حَجَّة والمخلافة في ستين ألف رجال، واستولى على حَجّة والمخلافة وحصونهما في يوم واحد اتفاقًا، لا يتفق لأحد قبله ولا بعده. وأنتجت هذه الفعلات على الأمير يحيى بن حمزة أخذ منابر والحصون، وحصون جُبَع جميعها والمِخْلافة وحصونها ولاعتين وحصونهما، وكان ابنه الأمير تاج الدين محمد بن يحيى بن حمزة في حصن الجاهلي بحجَّة مقابلًا للأمير نجم

(1) الحيد: الجبل.

(2) السمط الغالي الثمن: 209.

(3) للكميت بن زيد.

(4) السمط الغالي الثمن: 211.

الدين أحمد بن زكري، فخاف على نفسه لما تفاقم الأمر، فباع حصون المخلافة جميعها بقيمة هينة.

ثم[1] أخذ السلطان نور الدين جميع ما قد صالحهم عليه من البلاد العليا، وهي البون والأحساد[2] والخشب والخارد ومطرة.

ولما[3] رجع السلطان نور الدين من غزوته مظفرًا مَنْصورًا وصل إليه الأمير فخر الدين جعفر بن أبي هاشم، والشيخ حسام الدين حاتم بن علي الحيد[4] من جهة الأشراف وأصلحوه على البلاد التي كان قد استفتحها لا معارض له فيها، وعاد إلى تهامة، وقد كان السلطان نور الدين عند مسيره إلى حَجَّة والمخلافة أمر الأمير أسد الدين بالخروج لمنع الأمير شمس الدين [أحمد][5] ابن الإمام إن أراد نصر عمه، فخرج أسد الدين فحط في الجنات، وكان شمس الدين بالطرف، فكان بينهما يوم قارن، وهو من الأيام العظام[6].

ولما رجع السلطان نور الدين من حَجّة قال الأديب جمال الدين محمد بن حمير يهنئه بالنّصر[7]: [من البسيط]

هنيت بالنصر لما جئت في لَجَبٍ ... مظللًا بالرّدينيّات والقُضُبِ

ومرْحبًا يا رسوليَّ الملوك وإن ... غاب السماكان والجوزا فلا تغب

غَزَوت مَبْيَنَ إذ هاجت شقاشقها ... وفي الرتينيِّ ألفاف من العرب

فاليوم قلحاح لا يرغو بها جَمَلٌ ... والذئب لو نطحته الشاة لم يَثِبِ

وهي قصيدة طويلة[8].

(1) (العقود اللؤلؤية): 95.

(2) العقود: الأسناد.

(3) السمط الغالي الثمن: 212.

(4) السمط: 170 (الجندي).

(5) زيادة من العقود.

(6) انظر (العقود اللؤلؤية): 95.

(7) السمط الغالي الثمن: 212.

(8) انظرها بتمامها في السمط: 212 – 214 ولم ترد في ديوان ابن حمير المطبوع وأوردها محققه نقلا عن السمط الغالي الثمن.

ثم إن الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وأولاده اعترفوا بالخطأ، فاعتذروا إلى السلطان نور الدين فأعاد عليهم حَجَّة والمخلافة وحصونهما، وهكذا يكون الملوك: يأخذون قهرًا ويعيدون عفوًا.

وفي سنة خمس وثلاثين[1]: خرج السلطان بنفسه قاصدًا مَكَّة المشرفة في ألف فارس، وأطلق لكل جُنْدي يصل إليه من مصر - المقيمين في مكة - ألف دينار وحصانًا وكسوةً، فمال إليه كثير منهم، ثم أمر للشَّريف راجح بن قتادة فواجهه في أثناء الطريق فحمل إليه النقارات[2] والكوسات[3] واستخدم من أصحابه ثلاث مئة فارس، وكان يسايره على السَّاحل، ثم تقدم إلى مكة، فلما تحقق الأسد جبريل[4] خروج الملك المنصور بنفسه، وأتته عيونه بصحَّة ذلك، وقاربه الشريف راجح بن قتادة، أخرج ما كان معه من الحوائج[5] والفرشخانة والأثقال، وتقدم يريد ديار مصر، وكان السُّلطان يومئذ في السرين[6]، فلم يشعر حتى وافاه نجَّاب من الشريف راجح ومعه كتاب من الشريف راجح يحقِّق له في الكتاب هزيمة الأسد جفريل ومسيره إلى مصر على أقبح الأحوال، فقال النَّجاب: البشارة يا مولانا السلطان بهزيمة الأسد جفريل، فقال السلطان للنجاب: من أين خرجت؟ قال: من مكة وقت العصر فاستبعد السلطان ذلك، وقال: ما أمارة ذلك؟ قال: هذا كتاب من الشريف، فعجب السلطان من هذا السير العظيم، وأمر السلطان على الأمراء والمماليك الذين عنده أن يَرْموا على البَشِير ما عليهم، فألقوا عليه ما أثقله، وسار السلطان إلى مَكَّة حرسها الله، فدَخَلَها معتمرًا وكان دخوله في رَجَبٍ من السنة المذكورة.

قال صاحب (العقد الثمين)[7]: أخبرني من أثق به أن السلطان نور الدين دخل مكة معتمرًا ثماني سنين، وكان ذلك الحج في أيام الحج، ولما وصل الأمير حقريل[8] إلى مدينة

---

(1) السمط الغالي الثمن: 215 والعقد الثمين6: 345 وإتحاف الورى4: 53 و(العقود اللؤلؤية) 96 وغاية المرام 1: 602.

(2) النقارات: الطبول العسكرية انظرها في (نور المعارف): 106.

(3) الكوسات: الطبول (معجم الألفاظ التاريخية: 132).

(4) في السمط: 215 حقرين وفي إتحاف الورى4: 53 جغريل.

(5) العقود: الحوائج خانه وفي السمط: الحوائجخانات.

(6) غاية المرام1: 622 وفيه: السرين هو المعروف اليوم بالواديين قريب من مكة المكرمة.

(7) السمط الغالي الثمن: 217.

(8) في (ع) خضربك وفي السمط «حقرين».

الرسول ﷺ واجهه خبر وفاة السلطان الملك الكامل، فندم من كان معه من الجند الذي لم يميلوا إلى السلطان نور الدين، وكان الأمير جفريل أشجع أمراء مصر في وقته، وفي هذه الوقعة يقول الفقيه جمال الدين محمد بن حمير[1]: [من البسيط]

ما ضر جيران نجد حيثما بعدوا — لو أنهم وجدوا مثل الذي أجد
ومن أباح لأهل الذنبتين[2] دمي — ما فيه لا دِيَة منهم ولا قَوَدُ
قل للقصائد حثّي وارملي وخذى — مثل النّجائب في القفر الذي تحد
قُصّي الحديث عن المنصور ما فعلت — جنوده وعن القوم الذي حشدوا
لقيتهم بجنود لا عديد لها — وهم كذاك جنود ما لها عدد
فزَلْزَلَ الرَّعب أيديهم وأرجلهم — حتى السماء رأوها غير ما عهدوا
ولُّوا وكان الذي يلقى بهم أسدًا — فصار ثعلب قَفْرٍ ذلك الأسد
ومن يلوم أميرا فَرَّ من مَلَكٍ — لا ذا كذاك ولا كالخنصر العضد

ولما دخل السلطان نور الدين مكة في هذه السنة المذكورة أنفق وتصَدَّق بأموال جزيلة، وجَعَلَ رتبته في مكة مئةً وخمسين فارسًا، وجعل عليهم ابن الوليد[3] وابن التعزي فأقاموا في مكة إلى سنة ست وثلاثين.

وفي سنة سبع وثلاثين نزل[4] عليهم الأمير شيحة صاحب المدينة في ألف فارس فخرجوا[5] عنه وأخلوا له مكة.

وفي هذه السنة:[6] تسلَّمَ السلطان نور الدين حصن الكميم، وطلع صنعاء فأتاه خبر قتل الأمير نجم الدين أحمد بن زكريا وأتاه الخبر بهزيمة أهل مكة.

---

(1) ديوان ابن حمير: 92.
(2) الديوان (الدمنتين).
(3) السمط الغالي الثمن: 217 (ناصر الدين الوليدي).
(4) السمط الغالي الثمن: 218 وغاية المرام1: 621.
(5) يعني عسكر السلطان نور الدين ((العقود اللؤلؤية): 100).
(6) السمط الغالي الثمن: 218 و(العقود اللؤلؤية): 100.

قال صاحب (العقد)[1]: حَدَّثني من أثق به عمن شاهد الحال، قال: ما رأيت أربط جأشًا ولا أطلق وجهًا من السلطان نور الدين، وقد أقبل إليه العسكر مغلوبين مهزومين، فلم يتلعثم، ولم يتوقَّف عن جَبْر كسرهم وإصلاح أمورهم بالخيل والعدد والملابس والنفقات حتى عادوا أحسن حالًا، وأجمل مسرة[2] مما كانوا عليه.

ثم[3] إن السلطان نور الدين، رحمة الله عليه، جَهَّز ابن النصيري[4] والشريف راجح بن قتادة إلى مكة في عسكر جَرَّار، فلما علم بهم الشريف شيحة وأصحابه خرجوا من مكة هاربين فتقدم شيحة إلى مصر.

وكان[5] سلطانها يومئذ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، فجهَّزَ معه عسكرًا وفيهم علم الدين الكبير، وعلم الدين الصغير[6] فوصلوا مكة في سنة ثماني وثلاثين فأخذوها، وحَجُّوا بالناس.

وفي سنة تسع وثلاثين: استولى السلطان نور الدين على يمين و[7] منيف[8] والسواء بعد أن قتل عمار بن الشيباني، وكان مطيعًا، متمنعًا على حصونه، فوفد إليه الأديب جمال الدين محمد بن حِمْير الشاعر المشهور، وأقام على باب داره ساعةً من نهار ولم يأذن، فكتب إليه رقعة يقول فيها: [من البسيط]

بالباب أصلحك الله امرؤ لسن ... أمضَّه السير والإدلاج والسَّفر
وافى إلى أرض خَوْلان فصادفها ... مثل القتادة لا ظِلٌّ ولا ثمر

فلما وقف على البيتين المذكورين وقَّع على كتابه بل: مثل الغمامة فيها الظل والمطر.

(1) السمط الغالي الثمن: 217.
(2) العقود: قشرة.
(3) السمط الغالي الثمن: 218.
(4) السمط الغالي الثمن (ابن البصري).
(5) السمط الغالي الثمن: 219 في حوادث سنة 638هـ.
(6) مطبوعة السمط الغالي الثمن: علم الدين الكر وعلم الدين الصقر.
(7) السمط الغالي الثمن: 219.
(8) من هنا إلى آخر السنة لا يوجد في (السمط).

ثم أذن له فأكرمه وأنصفه، فأقام عنده أيامًا ثم انصرف عنه، فلقيه جماعة من عبيده فنَهَبُوه فاتَّهم عمارًا أنه أمرهم بذلك، فقدم على السلطان نور الدين فأنشده في مجلس الشراب[1]: [من البسيط]

ما شاق قلبي أحداج وأكوار	ولا شجتني أعلام وآثار
سررت باليمن الخضراء حين صَفَتْ	لابن الرسول فما في تلك أكدار
وكان فيها عضاريط زعانفة	فما بقي من بني البظراء دَيَّار
لكن بقي فرد ثولول يعاب به	والنَّار تسهل مركوبًا ولا العار
إن قلت ما ثَمَّ سلطان سوى عمر	قالوا بلى قد بقي السلطان عَمَّار
أو قلت لا قصر إلا قصر دملؤة	قالوا براس يمين القَصْر والدار
أو قلت ما أحسن المعشار من جؤة	قالوا وليس إلى ذُبْحان معشار
فخذ يمينًا ولا تقبل معاذرة	فالكلب حيث خلا في العظم جبَّار

فأمر السلطان نور الدين حينئذ بابن السبائي فجعل في سلة ثم ألقي من رأس الحصن، قالوا: ولم يكن ذلك بسبب ابن حمير، بل كان في قلبه منه شيء كثير.

وفي هذه السنة المذكورة[2] س: جَهَّز السلطان نور الدين جيشًا كثيفًا إلى مكة المشرفة مع الشريف علي بن قتادة، فلما علم العسكر الذي في مكة من قبل صاحب مصر طلبوا من صاحب مصر نجدةً فوصل إليهم مبارز الدين[3] علي بن الحسين بن برطاس وابن التركماني ومعهم مئة وخمسون فارسًا، فلما علم الشَّريف علي بن قتادة بوصولهم أقام بالسِّرِّين، وأرسل إلى السلطان نور الدين يعرفه [صورة][4] الحال، فتجهَّزَ السلطان نور الدين بنفسه إلى مكة، فلما علم أهل مصر بوصوله ولَّوا هاربين وأحرقوا[5] دار المملكة وما فيها من عدَّة وسلاح، ودخل

(1) ديوان ابن حمير: 94.

(2) السمط الغالي الثمن: 220 وإتحاف الورى1: 57 والعقد الثمين6: 345.

(3) انظر ترجمة في العقد الثمين للفاسي5: 497.

(4) السمط الغالي الثمن: 217.

(5) العقود: وأخربوا.

السلطان نور الدين مكة وصام رمضان بها، وَوَصَله الأمير عماد الدين[1] علي بن الحسين بن برطاس في عدة من بني عمه وأصحابه راغبين في خدمته، فأنعم عليهم السُّلطان جميعًا، وأرسل السلطان نور الدين إلى الشريف أبي سعد[2] صاحب يَنْبُعْ، فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشترى منه [قلعة][3] ينبع وأمر بخرابها حتى لا يبْقَى قرار للمصريين، وأبطل السلطان نور الدين [عن مكة][4] المكوسات والجبايات والمظالم، وكتب بذلك رقعة[5] وجعلت قبالة الحجر الأسود، ورتَّب في مكة الأمير فخر الدين إياس الشلاح وابن فيروز، وجعل الشَّريف أبا سعد بالوادي.

وفي سنة أربعين وست مئة: توجه السلطان نور الدين من مكة إلى اليمن، وفيها[6] مات الخليفة المستنصر بالله وتولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله أبو أحمد.

ووصل[7] حُجَّاج العراق إلى مكة، وكان قد انقطع حاج العراق عن مكة تسع[8] سنين لم يحج فيهن أحد من العراق من سنة اثنتين وثلاثين إلى سنة أربعين، فلما وصل أمير[9] حاج العراق إلى مكة كسا الكعبة ونَثَر عليها الذَّهب والفضة وتصدَّقَ بصدقة كثيرة.

[وفي هذه السنة أيضا أخذ مولانا الشهيد حصن عتمة وولى فيها نزال عم مسعود بن طاهر][10] وفي سنة إحدى وأربعين: عمرت المدرسة المنصورية[11] على يد الأمير فخر الدين

---

(1) العقود: مبارز الدين.

(2) في إتحاف الورى1: 58 هو أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة.

(3) سقط من الأصل وأثبتاه من العقود.

(4) زيادة من (العقود اللؤلؤية).

(5) العقود: مربعة وهي كذا في السمط: 221.

(6) العسجد المسبوك (ط) شاكر محمود: 508، وانظر: الحوادث الجامعة: 155 ومرآة الزمان8: 739 والبداية والنهاية لابن كثير13: 159.

(7) شفاء الغرام2: 237 و(السلوك) للمقريزي2/ 1: 312وإتحاف الورى 3: 59 والسمط الغالي الثمن: 221.

(8) في العقود وإتحاف الورى: سبع سنين.

(9) في السمط: 221 اسمه (كلنجدى).

(10) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و(العقود اللؤلؤية) وأثبتاه من السمط الغالي الثمن: 221.

(11) يعني المدرسة المنصورية بمكة المكرمة وليست المنصورية التي باليمن الآتي ذكرها انظر العقد الثمين: 1: 117 وإتحاف الورى3: 600.

الشلاح، وعمر رباط الشرابي[1] على يد خادم يقال له: الشهابي، وحَجَّ[2] في تلك السنة والدة الخليفة المستعصم بالله، ومعها أمير الحاج الدويدار[3]، فَجَهَّزَ لهم السلطان نور الدين هديةً عظيمة، وأمر الشلاح[4] بخدمتهم وإقامة حرمتهم، ففعل بهم.

وكانت[5] سنة كثيرة الصَّدقات والخلع على الأمراء وأهل الدولة المقيمين بمكة، وأقام الشلاح في مكة أميرًا سبع سنين، لم ير أكثر منها خيرًا، وكسب أهل مكة الأملاك وعمروا القصور، وحَلُّوا نساءهم بالذهب والفضة، وتظاهروا بالنعم، وكان السلطان نور الدين يرسل كل سنة بصدقة عظيمة من اليمن إلى مكة على يد خيلخان[6] يَصِلُ بها من كان في مكة من المجاورين ومن أهل مكة، وكان الملك المظفر[7] في أيام والده يتاجر[8] بالطعام إلى مكة على يد المجد بن أبي القاسم، وكان هذا من فعله يقع موقعًا عظيمًا عند أهل مكة يرونه أعظم من موقع الصدقة، وبلغ الطعام عندهم - بسبب هذا المتجر - كل ستة أمداد بدينار.

وفي هذه السنة المذكورة[9]: تسلَّم السلطان نور الدين حصن[10] حفاش، وهو من معاقل اليمن المذكورة في الجاهلية والإسلام.

---

(1) السمط الغالي الثمن: 221 ورباط الشرابي نسبة إلى الأمير إقبال الشرابي المستنصر العباسي تحت منارة باب بني شيبة (العقد الثمين1: 118).

(2) للتوسع في أخبار حَجّ أم السلطان المذكورة، انظر (العسجد المسبوك) ط شاكر محمود: 520 وانظر: إتحاف الورى3: 60.

(3) الأصل: الدويدان وفي السمط: الدويدار، وفي العسجد المسبوك ط شاكر محمود أستاذ دار، وفي إتحاف الورى: الداودار.

(4) يرد ذكره في الأصول بالسلاح بالسين المهملة وأثبتاه من المصادر الأخرى، وفي السمط الغالي الثمن: 105: وإنما سمى الشلاح لأنه انهزم في بعض المصاف التي كانت بين برغش وبين الاتابك فقيل له اين درعك فقال: شلحتها فسمى الشلاح بذلك.

(5) هذه هي عبارة صاحب (السمط الغالي الثمن): 222.

(6) في السمط: الأمير شمس الدين علي بن خليجان (بالجيم المعجمة بعد الياء).

(7) ابن المنصور نور الدين علي بن رسول (سيأتي ذكره).

(8) السمط: متاجر.

(9) (العقود اللؤلؤية): 109 ولم يرد في السمط.

(10) العقود: جبل.

وفي سنة اثنتين وأربعين: تسَلَّم[1] السلطان نور الدين حصن سماوة وبلاد خولان، [وفي ذلك يقول التاج بن العطار: [من الخفيف]

مـا سـمـا الـدنـيـا عـلـى ابــن علي ... ببـعـيـد فـكـيـف حـصـن سـمـاوه

مـلـك يـومـه لـفـتـح مُـبِـيْـنٍ ... لــلأعــادي ولـيـلـه لـلـتـلاوه

وكان ابن العطار شاعره، وهو من أهل مصر][2].

واستولى السلطان نور الدين على بلاد عَلْوان الجَحْدَري، وطرده إلى بلاد خولان الشامية، واستولى على جميع اليمن الأعلى والأسفل ما خلا ذمرمر، وبيت رُدم وثُلَا.

[وفي سنة ثلاث وأربعين: أقطع مولانا الشهيد الامير أسد الدين بن أبي زكريا القحمة. وفي سنة أربع وأربعين: نقله عنها إلى أبين وفي سنة خمس وأربعين: حَجَّت السِّت أم قطب الدين رحمة الله عليها وعادت وخرج مولانا السلطان الملك المظفر في لقائها وهو يومئذ مقطع المحالب والجُثَّة فأكرمها الإكرام والمتناهى][3]:

وفيها: استولى[4] على جبل العوادر وحصونهم، وبَلَغَهُ عن الأمير أسد الدين ابن أخيه أمور غير مستحسنة، فاستدعاه إليه فأتاه إلى الجوة فتخَوَّف الأمير أسد الدين من عمِّه فرجع هاربًا، فلما بلغ السحول وجد الأمر قد بلغ إلى الأمير ناجي صاحب السحول أن يمنع الأمير أسد الدين من طلوع النَّقيل، فأشرف عليه الأمير ناجي من طاقة بيته، وقال: ارجع إلى عَمِّك فلا سبيل لك إلى النَّقيل، فكان ناجي المذكور من نصحاء الدولة المنصورية فَتَحَيَّرَ الأمير أسد الدين، وضاق ذرعه وخشي من غائلة عمِّه، وكان الأمير أسد الدين المذكور يصحب الورد بن ناجي وطلبه وأعلمه بما هو فيه، وأنه خائف من عَمِّه، فسار الورد بن ناجي طريق القفر، ووصل به إلى ذمار من طريق وصاب فصار حتى دخل ذمار في أول سنة ست وأربعين.

وفي سنة ست وأربعين المذكورة[5]: قام الإمام أحمد بن الحسين القاسمي، وكان قيامه في

(1) السمط الغالي الثمن: 222.

(2) هذه الزيادة لا توجد في السمط.

(3) زيادة من السمط الغالي الثمن: 222.

(4) السمط الغالي الثمن: 222.

(5) انظر للتوسع في قيام الإمام المهدي (سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين ليحيى بن أبي القاسم لوحة: 32 – 44 (مخطوطة جامع صنعاء) والسمط الغالي الثمن: 225.

ثلا في النصف من شهر صفر من السنة المذكورة، وَبَثَّ الدعوة في جميع الأقطار فأجابه خلق كثير من كل ناحية، فأمر بالمحطَّة على حصون المخلافة، وكان واليها يومئذ القاضي شهاب الدين[1] عمارة بن علي الأصبهاني من قبل السلطان نور الدين، وكانت حصون حجة بأيدي الشرفاء أولاد يحيى[2] بن حمزة.

فلما قام الإمام أحمد بن الحسين في التاريخ المذكور راسله الأمير أسد الدين على نصرته والقيام معه، فأجابه إلى ذلك وأقام الفتنة على عمِّه[3]، فاقتضى الحال طلوع السلطان نور الدين لحربهما، وكان لا يملّ الحرب، فتجهَّز وطلع إلى صنعاء[4] فلقيه ابن أخيه الأمير أسد الدين إلى ذمار[5] فاستعطفه واعتذر إليه، فرضي عنه وسار بين يديه إلى صنعاء فدخلها يوم الحادي والعشرين[6] من شهر ربيع الأول، فأقام بها إلى يوم الأحد الثاني من شهر جمادى الأولى، وخرج من صنعاء فحط تحت حصن كوكبان في موضع يقال له: الهدادي، ثم طلع الضلع وحط في الرِّجام وتوسم المادة والتنفيس على حصون المخلافة، فحال دون ذلك الشواظ[7] الأعظم من أهل المغارب، فعاد من الرجام إلى حوشان، وكان الإمام في ثلا فكان القتال العقار[8] تحت ثلا، وفي بعض الأيام يكون القتال تحت حصن حضور المصانع[9]، فوقع بينهم حروب كثيرة، منها اليوم المعروف بيوم العقاب قتل فيه من عسكر الإمام سبعون

(1) ورد ذكره في سيرة الإمام المهدي انظر لوحة: 43 وقال أنه كان من المتهتكين الخ وهو عند الحاتمي صاحب السمط الغالي الثمن: 225 (القاضي عمارة).

(2) في الأصل محمد بن يحيى وأثبتاه من السمط و(العقود اللؤلؤية).

(3) يعني الملك المنصور عمر بن علي بن رسول.

(4) عقد صاحب سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين فصلا لدخول السلطان نور الدين صنعا بعنوان (قصة دخول السلطان عمر بن علي بن رسول مدينة صنعاء) انظر (السيرة) لوحة: 45.

(5) بالغ صاحب السمط: 226 في ذكر الحفاوة والإهتمام الذي قابله بها أسد وكان في صحبة السلطان عمر وولده المظفر، والمبارز بن برطاس وغيرهما.

(6) السمط: الحادي عشر.

(7) عبارة السمط: 227 فتعذَّر ذلك لقيام أهل تلك النواحي كافة مع الإمام اهـ والشواظ هنا لعله مصحَّف من السواد الأعظم.

(8) كذا في (و) وسقط من (ع) وعبارة السمط: فكان القتال يقع في العقاب التي تحت ثلا.

(9) في (ع) حضور الشيخ.

رجلًا بالنشاب، وكان أمير القتال ابن برطاس، ثم تولى القتال بعد ذلك الأمير أسد الدين والسلطان في محطته بحوشان.

ثم جهَّز الإمام إلى بلد بني شهاب [عسكرًا مُقَدَّمَه الأمير عبد الله بن الحسن بن حمزة، فحَطَّ في حدة وسناع، وخالف الناس معه بنو شهاب][1] وبنو الراعي وأهل حضور، فنهض السلطان نور الدين إلى ناحية بني الراعي، وكانوا قد عمروا موضعًا يقال له: حجر الجراد[2] في جبل حضور فأخربه ورتب في جبل حضور عسكرًا من الرجل، ومال إليه جماعة من بني الراعي، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، وسار إلى جهة بني شهاب فأخرب زرعهم ووقع هنالك حروب كثيرة.

ورجع السلطان إلى صنعاء يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم جَهَّز الأمير أسد الدين إلى بلاد هَدَاد في السابع والعشرين من رمضان، فاستولى على مصنعة بني حوال فقتلهم في شوال، وقتل أهل علاثة[3] في ذي القعدة.

وأخرب سيارة[4] في آخر ذي القعدة، وخرج العسكر المنصوري إلى غيمان من صنعاء فقتلوا أهلها في شهر ذي القعدة أيضًا، ورجع الأمير أسد الدين إلى صنعاء وقد كان وصل جماعة من الأشراف إلى تنعم فخرج الأمير أسد الدين إليهم فحاربهم في تنعم، وقتل من عسكرهم جماعة[5].

وخرج السلطان نور الدين إلى بلد بني شهاب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ذي الحجة فَحَطَّ في الحقل غربي صنعاء، وأمر العسكر فأخربوا زَرْعَ حدّة وسناع ووقع الحرب هنالك[6].

وفي هذه السنة المذكورة[7]: عزل السلطان نور الدين فخر الدين الشلاح عن مكة، وأَمَّر ابن المسيب[8] عوضه بعد أن ألزم[9] نفسه مالًا يؤدِّيه من الحجاز بعد كفاية الجند، وقَوْد مئة

(1) سقط من (ع).

(2) السمط الغالي الثمن: 229.

(3) في (و) علامة وفي السمط: علانة.

(4) السمط: بشار.

(5) السمط الغالي الثمن: 229.

(6) توسع كثيرا في وصف هذه المعارك، صاحب (سيرة المهدي أحمد بن الحسين) انظر لوحة: 50 – 56.

(7) السمط الغالي الثمن: 227 وإتحاف الورى3: 67 وغاية المرام 1: 631.

(8) في إتحاف الورى (محمد بن أحمد بن المسيب اليمني).

(9) السمط الغالي الثمن: 234.

فرس في كل سنة، فقدم إلى مكة وخَرَج الأمير فخر الدين بن الشلاح فأقام ابن المسيب بمكة سنة ست وأربعين وسنة سبع وأربعين إلى ذي القعدة منها، فغَيَّر في هذه المدة جميع الخير الذي كان وضعه السلطان نور الدين، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وقلع المربَّعة التي كان السلطان نور الدين كتبها وجعلها على زمزم[1]، واستولى على الصدقة التي كانت تصل من اليمن، وأخذ من المجد بن أبي القاسم المال الذي كان تحت يده للسلطان الملك المظفر، وبنى حصنًا بنخلة يسمي العطشان، واستحلف هذيلًا لنفسه، وَمَنَعَ الجُنْد النفقة فتفرقوا عنه، ومكر مكرًا فمكر الله به.

ولما[2] تَحَقَّقَ الشريف أبو سعد منه الخلاف على السلطان وثَبَ عليه فأخذ ما كان معه من خيل وعدد ومماليك وقَيَّده وأحضر أعيان الحرم، وقال: ما لزمته إلا لتحقّقي منه الخلاف على السلطان، وعلمت أنه يريد أن يهرب بالمال الذي معه إلى العراق، وأنا غلام السلطان، والمال عندي محفوظ والخيل والعدد إلى أن يصل مرسوم السلطان فيه، فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان.

وفي سنة سبع وأربعين[3]: ارتفع من مَحَطَّته إلى مخلاف صدا[4] وأخرب زرعه، وتقدم إلى بيت نعامة وفيه الشرفاء وعسكرهم وبنو شهاب وبنو الراعي وأهل حضور إلى قرية داعر فحاربهم السلطان هنالك، وقتل منهم جماعةً وأخرب القرية، وذلك في المحرم من سنة سبع وأربعين.

ولما كان في السابع عشر من الشهر المذكور[5]: طلع عسكر الإمام أحمد بن الحسين حصن كوكبان على حين غفلة من أهله، فلَمَّا استقلوا في رأسه خرج عليهم المرتَّبون فقتلوهم أبرح القتل[6]، وكان الإمام قد أغار بكرة ذلك اليوم إلى كوكبان، ووقف تحت الحصن، فلما قتل عسكره عاد إلى حصن ثلا من فوره[7].

---

(1) السمط: التي كانت معلقة على الحجر الأسود.

(2) السمط الغالي الثمن: 234.

(3) السمط الغالي الثمن: 229. والمؤلف حذف جزءا كبيرا من خبر طويل فيه تفصيل أورده صاحب السمط عن معركة حدة وما جاورها.

(4) كذا في الأصل وفي السمط (حدة).

(5) السمط الغالي الثمن: 229.

(6) عبارة السمط: وقتلوهم قتلة شنيعة، وأبرح القتل أي أَشَدُّ القتل.

(7) السمط الغالي الثمن: 231.

وعاد السلطان نور الدين إلى صنعاء، فأقام بها إلى اليوم الثاني عشر من صفر، ووصل إليه الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة، فخرج إلى لقائه وأكرمه، ودخل به صنعاء، وأنعم عليه بحصن بُكْر[1].

ثم تَقَدَّمَ السلطان نور الدين إلى جهة اليمن فحط في قرية العين في يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، وجعل طريقه على تَنْعُم لحرب من فيها، وكان فيها الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، والأمير أبو هاشم بن صفي الدين فحاربهم العسكر المنصوري، وقتل من عسكرهم جماعة.

ثم تقدم السلطان إلى جَهْران ومعه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن مشيعًا له، فاجتمع أهل بكيل وأهل عاثين، وأهل الصَّيَح وأهل تلك النواحي، وعسكر الإمام ومقدمهم الشريف[2] أيضًا، وكانوا أكثر من عشرة آلاف راجل، وأرادوا أن يمنعوا السلطان من التقدم إلى بكيل ورَكَزوا في نَجْد النوبة، فهزمهم العسكر المنصوري وقتل منهم قَتْلى كثيرة، وأخرب عاثين والصَّيَحَ، وذلك في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وفي شهر ربيع الآخر: وصل[3] الأميران موسى وداود أبناء عبد الله بن حمزة إلى ظهر في جمال[4] وخيل ورجل، وكان في صنعاء أستاذ دار الأمير أسد الدين وهو عز الدين المهندس رتبة، فحارب السلطان الشريفين وطردهما من ظهر، وعاد الأمير أسد الدين إلى صنعاء من ذمار بعد نزول السلطان إلى اليمن، فلزم أهل البلاد [الذين هم][5] عسكر الإمام نقيل الغابرة ومنعوه من الطلوع إلى صنعاء، فطلع عليهم قهرًا بالسيف وهزمهم، ودخل صنعاء، ثم خرج بعد ذلك إلى الكميم في لقاء الخزائن، فاجتمعت سنحان كافة، وعسكر الإمام وهَمُّوا بأخذ الخزائن[6]، وكانوا نحوًا من أربعة آلاف راجل ومئة وخمسين فارسًا، فقاتلهم وهزمهم جميعًا.

---

(1) السمط الغالي الثمن: 231.
(2) السمط: الشريف الضياء.
(3) السمط الغالي الثمن: 232.
(4) السمط: جماعة.
(5) زيادة من عندنا ليتضح المعنى.
(6) السمط (الخزانة).

ثم خالفت عليه البلاد، وافترق عسكره من الغز والعرب وهَرَبُوا إلى الإمام ولم يَبْقَ معه إلا مماليكه، فما اكترث بشيء من ذلك ولا خطر له على بال، وكانت الحرب بينه وبين الشرفاء سجالًا على قِلَّة عسكره وإقبال الناس على الإمام.

ثم كانت وقعة قارن[1] بين الإمام أحمد بن الحسين وبني حمزة، فقتل من بني حمزة طائفةً وأسر طائفة أخرى، وكان يومًا مشهورًا، وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة[2].

واستشهد[3] مولانا السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، في قصر الجَنَدِ ليلة السبت التاسع من ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وست مئة[4]، وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه في التاريخ المذكور.

(1) حول تفصيل وقعة قارن وما وقع فيها من معارك وقتلى، يراجع (سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين) لوحة: 60.

(2) هنا فائدة جليلة يذكرها صاحب السمط الغالي الثمن في تعداد ولاة اليمن عشية قتل المنصور بن علي الرسولي يقول ص، 232: فلما عيد السلطان عيد الفطر استأذن الأمراء كلهم بالتقدم إلى أحيازهم فتقدموا. وكان مولانا الملك المظفر صاحب المهجم وكان للملك المفضل المحالب لكنه لم يكن يتقدم لها بل نوَّابه وكان فخر الدين ابن الرسول صاحب رِمَع وكانت القَحْمة قد أضيفت إلى أخيه زيادة على صنعاء وشمس الدين علي بن يحيى إليه السهلة وبلاد صهبان وشهمه وبحرانه وريمة وأحاظه وبدرالدين محمد بن أحمد بن خضر إليه الحيمة وبدر الدين ابن فتح الدين إليه خبائر ووالدته إليها إب، والبندقي في لحج، والخوارزمي في ذبحان وجبا وبدر الدين ابن فيروز في بلاد الأشعوب وجهة اخرى شذت معرفتها، وناصر الدين يونس بن التعزي في قفاعة وشرعب، والمبازر بن برطاس إليه حيس وموزع والجازيين والشريحان والقرتب، وعلم الدين سنجر استاذ دار إليه القحرية والشريف علي بن قتادة إليه العارضة، وابن البصري إليه حرض والهلية، والمعز إليه الراحة وابن المسيب إليه مكة اهـ فهولاء هم ولاة اليمن ونوابها في ذلك الوقت.

(3) السمط الغالي الثمن: 434 و(السلوك) 1: 544.

(4) يذكر صاحب سيرة المهدي أحمد بن الحسين خبر قتل المنصور عمر بن علي بن رسول في تشف وكيد فيقول لوحة: 61: لما كان في الليلة الثالثة أو الرابعة من محطة ذروة يعني معركة ذروة، وصلت البشرى إلى أمير المؤمنين إلى محطَّة ذروة يحكون أن السلطان قد كان أزمع على النهوض والطلوع بالخزائن والأموال لحرب الإمام فشرب الخمر في بعض لياليه في الدار السلطانية فلما أثمله الخمر وثب عليه مملوك تركي فوجأه بسكين في بطنه ثم ذَبَحه ذَبْحا فكان ذلك من أعظم الفتوح.

وكان قد أكثر من المماليك حتى بلغت مماليكه البحرية[1] ألف فارس - وقيل: ثماني مئة فارس - وكانوا يحسنون من الفروسية والرَّمي ما لا يحسنه مماليك مصر، وكان معه من المماليك الصغار قريبًا منهم في العدد خارجًا عن حلقته وعساكر أمرائه، وكان الذي شَجَّعهم على ذلك وآنسهم ووعدهم بما طابت به نفوسهم الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، وذلك أنه كان مقطع صنعاء من قبل عمِّه الملك المنصور وأقطعه إياها، وأراد أن يعزله ويجعلها لولده المظفر يوسف، فعَزَّ ذلك على أسد الدين فعامل المماليك على قَتْل عَمِّه فقتلوه في التاريخ المذكور، فلم ير أسد الدين بعد قتل عَمِّه يومًا سعيدًا أبدًا، وتجري المقادير بخلاف التقادير.

ويروى: أنه لما رجع السلطان نور الدين من حرب الإمام إلى مدينة الجَنَد، ووصل إليه رسول من ملك الهند قبل وفاته بيومين، فحضر في مقامه الشَّريف وأدى رسالة مرسله، وأكرمه السلطان وأنعم عليه، فلما خرج قال لترجمانه: قد قَرَبَ أمده، إلا أنه أبو ملك وَجَدّ ملك ومن ذريته ملوك، ثم قال قولًا بالعجمية فوجده[2] ترجمانه شعرًا:

يأخذها ذو شامة في خدّه ... ويلتقيها مسعر من بَعْدِهِ

لا ينقضي عن نسله وَوَلَدِهِ

وكان السلطان نور الدين ملكًا كريمًا حازمًا حسن السِّياسة سريع النهضة عند الحادثة، وأعظم الدلائل على ذلك طَرْده العساكر المِصْرية مرَّة بعد أخرى عن مكَّة وطردهم عن الحجاز، واستمال عِدَّة من عساكرهم، وممن استماله من الأمراء الأمير فيروز والمبارز بن برطاس، وكان أميرًا كبيرًا له طبلخانه، ومن ولد الأمير فيروز الأمراء بنو فيروز أصحاب إب.

قال الجَنَدي[3]: ويقال: إن الأمراء بني فيروز تديَّروا إب من زمن طويل[4].

ولما قُتِلَ السلطان نور الدين بقصر الجَنَدِ لم يكن معه يومئذ أحد من أولاده، بل كان

(1) المماليك البحرية: طائفة من الأجناد السّلطانية، كان عملهم المبيت بالقلعة وحول دهاليز السلطان في السفر كالحرس، وأول من رَتّب هذه الطائفة وسمَّاها بهذا الاسم الملك الصالح نجم الدين أيوب (التعريف بمصطلح صبح الأعشى: 61).

(2) طراز أعلام الزمن 2: 1109 (تحقيقنا).

(3) (السلوك) 2: 544.

(4) السمط الغالي الثمن: 240.

المظفر في المهجم وإخوته ووالدتهم في حصن تعز بسبب جهاز السِّت غازية ابنة السلطان نور الدين عروسًا على شريف من أهل مكة، فانتقلت بهم إلى الدملؤة.

فاجتمع بنو فيروز وحَمَلُوا السلطان نور الدين في مَحْمل وقصدوا به تعز حتى دَفَنُوه في المدرسة[1] الأتابكية بذي هزيم، لكونه مزوَّجًا على بنت الأتابك المعروفة ببنت جوزة، فكان السلطان الملك المظفر، رحمه الله، يعرف ذلك لهم ويَشْكرهم على ما فعلوا وأقطعهم إقطاعات جليلة، وحمل لشمس الدين طبلخانه ولأخيه فخر الدين أخرى، وكانت لهم عنده حظوة عظيمة.

وكان للسُّلطان نور الدين آثار حسنة، فمن ذلك المدرسة التي بمكة، بحيث يغبطه عليها سائر الملوك، وابتنى في تعز مدرستين، يقال لأحدهما: الوزيرية نسبة إلى مدرسها الوزيري، وتسمى الأخرى: الغرابية نسبة إلى مؤذن فيها كان اسمه غرابًا، وكان رجلًا صالحًا. وابتنى مدرسة في عدن، وثلاث مدارس في زبيد يعرفن بالمَنْصوريات[2]: مدرسة للشافعية، ومدرسة للحنفية، ومدرسة للحديث النَّبوي. وابتنى مدرسة في المَنْسكية[3]، ورتَّب في كل مدرسة مدرسًا ومعيدًا ودرسة وإمامًا ومؤذنًا ومعلمًا، وأيتامًا يتعلمون القرآن، ووقف على الجميع أوقافًا تقوم بكفاية الجميع.

قال الجَنَدي[4]: وابتنى في كل قرية من التَّهائم مسجدًا ووقف عليها أوقافًا جَيَّدة، وكان النوري[5] إذاك مفازة عظيمة بين زبيد وحيس يهلك الناس فيها، فابتنى فيها مسجدًا وجعل فيه إمامًا ومؤذنًا، وشرط لمن سكن معهما مسامحة فيما يَزْرعه، فسَكَن الناس معهما حتى صارت قرية جَيِّدة، وانتفع الناس بها نفعًا عظيمًا.

قال المصنف رحمه الله تعالى[6]: وأظنها إنما سميت النّوري نسبة إليه لكونه يلقب نور الدين، وابتنى بين المدينتين حصونًا كثيرة ومصانع، ورَتَّب فيها الرِّجال، وآثارها هنالك باقية إلى عصرنا هذا.

---

(1) العقد الثمين 2: 348 والسمط الغالي الثمن: 240.

(2) انظرهن في (الدر النضيد): 647.

(3) المنسكية: قرية من وادي سهام فيما بين المنصورية والمراوعة (المقحفي: 633).

(4) (السلوك) 2: 543.

(5) مطبوعة (السلوك) (النويري) خطا وانظر تحفة الزمن2: 484.

(6) (العقود اللؤلؤية): 124.

وأمر بعمارة البرك[1]، وهو جبل متّصل بساحل البحر فيما بين مكة واليمن، ورَتَّب فيه العساكر الجَيِّدة لمحاربة بني أيوب، وأرسل معيبد بن عبد الله الأشعري إلى الشيخ موسى بن علي الكناني صاحب حلي بن يعقوب بأن يتصَدَّى لمحاربة عسكر بني أيوب، وكان موسى بن علي الكناني ممن يضرب به المثل في الكرم، فلما وصل إليه معيبد برسالة السلطان نور الدين سمع وأطاع، وقال: أي شيء يحملني من ضيافة هذا الرجل - يعني معيبداً - فقاد إليه خمسين فرسًا، فقادها معيبد بأسرها إلى السلطان نور الدين وأثنى عليه عنده، وقال: صاحب هذا النفس يصلح أن يجرى عليه اسم الأمير. فأجرى عليه اسم الأمير من ذلك الوقت.

وكان السلطان نور الدين حنفي المذهب، ثم انتقل منه إلى مذهب الشافعي.

قال الجَنَدي في (تاريخه)[2]: أخبرني شيخي أحمد[3] بن علي الحرازي بإسناده عن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفشلي الفقيه المحدث بزبيد - وكان أحد شيوخ المنصور - قال: أخبرني المنصور نور الدين من لفظه: أنه كان حنفي المذهب فرأى النَّبي ﷺ في منامه، وهو يقول: يا عمر، صِرْ إلى مذهب الشافعي. أو كما قال، فأصبح ينظر بكتب الشافعي ويعتمد مذهبه، وكان يصحب الشيخ والفقيه أهل عواجة[4]، وهما ممن بَشَّره بالملك، وصحب الفقيه محمد بن إبراهيم الفشلي[5] وقرأ عليه كما ذكرنا، وصحب الفقيه محمد[6] بن مضمون من أهل الجبل[7].

وكان له من الولد ثلاثة رجال: المظفر والمفضل والفائز، وكان المظفر أكبرهم[8]، ظهر في أيام آمرية أبيه في مكة سنة تسع عشرة وخمس مئة، وقيل: سنة عشرين، وهو الذي وَلِيَ الملك بعد أبيه، وسأذكره في الفصل التالي، إن شاء الله تعالى، وكان أبوه قد أقصاه وقلاه،

---

(1) ذكره ابن ماجد في الفوائد: 258 ط راس الخيمة.

(2) (السلوك) 2: 542.

(3) انظر ترجمتة في (طراز أعلام الزمن): 867 وتاريخ ثغر عدن 2: 38.

(4) سبق ذكرهما وهما: محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسين البجلي.

(5) ترجمته بتوسع في (طراز أعلام الزمن): 774 والعطايا السنية: 390 (تحقيقنا).

(6) ترجمته في العطايا السنية: 381 و(طراز أعلام الزمن): 2036.

(7) يعني أن أولئك السابق ذكرهم من أهل تهامة، والأخير من أهل الجبل ويعني بهم أهل تعز وإب .

(8) أي أكبر أولاد نورالدين.

وقدَّمَ أخويه عليه موافقة لأمهما بنت جوزة، وكانت غلبت عليه كثيرًا حتى إنه استحلف العسكر لابنه المفضل وهو أصغر من المظفر.

وكان شاعره التاج[1] بن العطار أحد فضلاء أهل مصر، والأديب محمد بن حِمْيَر أحد فضلاء أهل اليمن، فاجتمعا يومًا في مجلس الشَّراب، فقال ابن العطار للسُّلطان نور الدين: يا مولانا أنا شاعرك من الدِّيار المصرية، وأراك تفضِّل ابن حِمْير عليَّ وتنعم عليه أكثر مني؟ فقال له السلطان نور الدين: اعلم أن ابن حمير حاضر القريحة، سريع البديهة، وأنتم يا أهل مصر، وإن كنتم أهل فضل، فإنكم تبطؤون، ثم التفت إلى ابن حمير وقال له: ما تقول؟ فالتفت إلى ابن العطار وقال ارتجالًا: [من الكامل]

متبعثر بعمامة معقودة ... لو بعثرت ملت الفضاء خميرا

وأبوك عطَّار فما بال ابنه ... يهدي الصِّنان إلى الرجال بخورا

قال: وكان به شيء من ذلك، فضَحِكَ السلطان نور الدين ومن حضر معه، وقال: أجبه، [فأعقد][2]، وحَضَرَ في مجلس الشُّرب يومًا عند السلطان نور الدين ومعه ابن أخيه أسد الدين، وكان للأمير أسد الدين شاعر من أهل المشرق يقال له: علي بن أحمد، فجعل أسد الدين يثني على شاعره علي بن أحمد، فقال السلطان نور الدين لابن حِمْيَر: ما تقول؟ فقال ارتجالًا: [من الطويل]

أنا البحر فَيَّاض بكل غريبة ... أحلِّي بها المنصور درًّا وجوهرا

وما إن أبالي من علي بن أحمد ... وعن شعره دقن ابن أحمد في المسك

فقال السلطان: وما منعك من قافية الراء؟فقال: خوف ابن أخيك هذا[3].

وكان ابن حِمْيَر شاعرًا فصيحًا جَيّد القريحة حسن البديهة، وهو القائل في مَدْح السلطان

(1) سبق ذكره ويحقق مع الآتي تاج الدين موسى الموصلي وهذا المذكور –أعني تاج الدين الموصلي – كان في زمن الملك المظفر ومن الأعيان الذين ترد إليهم أطباق المآكل من المطبخ السلطاني، انظر (نور المعارف2: 121).

(2) سقط من (ع) وفي العقود: 625: فأفحم.

(3) يعني أسد الدين بن محمد بن بدر الدين حسن الرسولي سبق ذكره مرارا.

نور الدين[1]: [من البسيط]

قد قيل جاور لتُغْنَى البحر أو ملكًا   أَنْتَ المليك وأنت البحر يا عمر

وقال فيه قصيدة أخرى من مدائحه[2]:

قل للقوافي قفي على عمر   إيَّاك أن تخدعي فتنخدعي
حُلِّي المكان الرفيع ترتفعي   ولا تحلِّي الوضيع تَتَّضعي
من خمدت نيرانه فإن أبا   أحمد نيرانه على اليفع

وله فيه عدة من القصائد الطنانات[3].

ولما توفي مولانا السلطان نور الدين في التَّاريخ المذكور، سار المماليك بأسرهم إلى زبيد، ثم ساروا منها إلى فشال[4] وكان فيها يومئذ الأمير فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول مقطعًا، فلَقَّبوه المعظم[5] وحَلَفوا له وقصدوا مدينة زبيد وحاصروها حصارًا شديدًا، وكان فيها يومئذ السِّتر الرفيع الدار الشمسي[6] كريمة[7] مولانا السلطان الملك المظفر ووالدته والطَّواشي بدر الدين الملقب بالصغير، وكان مسجونًا في سِجْن زبيد سجنته بنت جوزة لكونه لا يحبُّ إلا المظفر، فأخرجته الدار الشمسي من الحَبْس وأعطته مالًا جزيلًا، وقالت له: استخدم به. فاستخدم الرِّجال وأمرته بإغلاق أبواب المدينة وحفظها وحراسة أسوارها، فرتَّبَ المقاتلين على الدَّرْب وحارب المماليك والأمير فخر الدين على كره من

(1) انظرها مع بقيتها في (العقود اللؤلؤية): 126.
(2) (العقود اللؤلؤية): 126.
(3) (العقود اللؤلؤية): 128.
(4) من مدن وادي رمع (الحجري: 634).
(5) (كنز الأخيار): 100 وبهجة الزمن: 165 وللتوسع انظرالسمط الغالي الثمن: 241 – 254.
(6) نسبة إلى أخيها شمس الدين الملك المظفر وهي ابنه الملك المَنْصور من النِّساء الحازمات حفظت اليمن أثناء غياب أخيها المظفر وتولت حكم البلاد فترة من الزمن انظر (طراز أعلام الزمن): 2497 و(السلوك) 2: 219 و(معجم النساء اليمنيات): 72.
(7) الكريمة هنا عند أهل اليمن تعني الشقيقة أو الأخت وعند المتأخِرين من أهل مصر وغيرهم: الكريمة ابنة الرجل انظر (معجم اللغة العربية المعاصرة: 1923).

الأمير والناظر[1]، وكان الأمير في زبيد يومئذ مملوك اسمه: قانماز، والناظر يومئذ غريب يعرف بالتعزِّي[2]، ولم تزل المحطة والحصار على زبيد حتى سمعوا أن المظفر قد صار في الطريق قاصدًا زبيد، فارتفعوا حينئذ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) (العقود اللؤلؤية): 128 وعبارته (على كره من أمير المدينة وناظرها).

(2) في (و) الشرف وأصلحناه من (ع) والسمط الغالي الثمن: 244 وفيه: ابن التعزي ناصر الدين.

الفصل السابع

في ذكر التبع الأكبر مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول

قال علماء التاريخ[1]: لما استشهد مولانا السلطان الملك المنصور بمدينة الجَنَد في التاريخ المذكور، وكان ابنه السلطان الملك المظفر يومئذ غائبًا في إقطاعه بالمَهْجم، وكان غير طَيِّب النفس من والده لما قَدَّم عليه إخوته المفضل والفائز، وكانت أمهما قد استمالته وغَلَبَتْ عليه، وأقصت ولده الكبير السلطان الملك المظفر وكريمته الدَّار الشمسي عن أبيهما حتى حَلَفَ العسكر لولده الملك المفضل أحد ابني بنت جوزة، فَهَمَّ مولانا السلطان الملك المظفر تلك السنة بالخروج من اليمن والمسير إلى الخليفة المستعصم بالعراق، فلما بَلَغَه العلم بوفاة أبيه شَقَّ عليه الأمر وانثنى عَزْمه عن الخروج من اليمن، وتحَيَّر في أمره وضاق ذرعًا لما عرض له من الحوادث العظيمة والخطوب الجسيمة من فقد والده وانحياز المماليك بأسرهم إلى الأمير فخر الدين[2] وحصارهم لزبيد واستيلاء الأمير أسد الدين محمد بن الحسن على صنعاء وأعمالها، وقيام الإمام أحمد بن الحسين في البلاد العليا وانتشار صيته واستيلائه على مُعْظم البلاد العليا وحصونها، واستيلاء إخوته المفضل والفائز على الحصون والمدائن والمعاقل والخزائن، ولم يَكُن في يد السلطان الملك المظفر إلاَّ قائم سيفه، إلا أن القلوب مملوءة بمحبَّته.

فقام مشمِّرًا وجمع من معه من العسكر[3] واستخدم من العرب خيلاً ورِجْلاً، ولما خرج من المَهْجم بإشارة الشيخ أبي الغيث بن جميل سار إلى زبيد بجِدٍّ وَوَجْد، وتوفيق وسعد، فكان من دلائل سعده أنه لَمَّا عزم على المسير وأمر بتحميل آلته وخزانته، فلما شرعوا في التحميل أخرجوا صندوقًا مملوءًا ذهبًا فوضعوه ورجعوا للآخر فَمَرَّ رجلان من العرب

(1) السمط الغالي الثمن: 241 و(كنز الأخيار): 100 وبهجة الزمن: 125.

(2) سيتكرر ذكره وهو فخر الدين أبوبكر بن علي بن رسول عَمّ الملك المظفر.

(3) في (و): العرب.

فاحتملا ذلك الصندوق وذهبا به، فافتقده الخزانون فلم يجدوه، فانتهى العلم به إليه بذلك، فطلب مشايخ العرب وأمرهم بافتقاد الأثر، فخرجوا من فورهم فما برحوا يقصُّون الأثر حتى وجدوا أثر مبرك الجمل الذي حمل عليه الصندوق، فوقفوا ينظرون يمينًا وشمالًا فرأوا موضعًا على غير هيئته، فنبشوه فوجدوا الصندوق ما فُضَّ له ختم، فحملوه فرجعوا به، فكان هذا من أعظم دلائل الفتح والسعادة.

وكان[1] خروج السلطان الملك المظفر من المَهْجم في عساكره يوم الثَّامن والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وست مئة، فلما خرج السلطان من المَهْجم يريد زبيد كان كلما مَرَّ بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها، وسار في خدمته من رؤساء العرب الشيخ علي بن عمران القرابلي[2] والشيخ محمد بن زكري الحدقي[3]، والشيخ أحمد بن أبي القاسم، وكان شيخ مشايخ سُرْدَدْ، وحَضَرَ الفقيه يحيى بن العمك[4]، وكان مقدَّم الرُّماة[5]، وخرج الشيخ زكري بن القرابلي راكبًا على هجين، فقال له الشيخ علي[6] بن أبي بكر السَّوادي[7] وكان يلقب مخلص الدين، وهو وزير مولانا السلطان الملك المظفر [وهو يسمع][8] تكون من أكبر الجند، وتَرْكب على هجين؟ فقال: وحق رأس مولانا السلطان لأركبن بغلة فخر الدين إن أنعم بها عَلَيَّ مولانا السلطان، قال: قد أنعم بها عليك. قال: فسوف نرى.

وسار مولانا السلطان الملك المظفر في مئة وخمسين فارسًا وألفي راجل، وكان الأمير فخر الدين في ست مئة من المماليك وألف راجل، فَلَمَّا سار السلطان في أثناء الطريق لقيه بذؤال من قال له: هذا فخر الدين في الجم الغفير على عدوة الوادي، قال: فتنهنه[9] العسكر، فركب السلطان حصانًا حذيقًا أشقر، وأخذ قناة في يده وكان فارسًا حسنًا، فعطف برأس

(1) السمط الغالي الثمن: 247.

(2) في (و) علي بن عمر الغزالي (خطأ) وفي السمط يرد ذكره بالقراتلي بتاء موضع الباء خطا (يحقق).

(3) في (و) الحد من وأصلحناه من (ع) والعقود: 130.

(4) السمط الغالي الثمن: 250 وفيه (المطبوعة) العما (خطأ).

(5) في (ع) الرايات (خطأ) والرماة بطن من غافق انظر (طرفة الأصحاب): 64.

(6) السمط الغالي الثمن: 2.

(7) (السلوك) للجندي 1: 680 (تحقيقنا).

(8) سقط من (العقود اللؤلؤية).

(9) نهنه: كَفَّه وزجره.

حصانه، وقال: يا عرب إلى أين تفرون، أما ترضون أنفسنا بأنفسكم، ثم جعل يقول: أنا يوسف أنا يوسف، قال: فوالله لقد رأيت العسكر يتزايد إلى الإقدام كما يتزايد البحر.

ولما علم الأمير فخر الدين ومن معه من المماليك بمسير السلطان نحوهم اضطربوا في محطتهم اضطرابًا شديدًا، وعزم فخر الدين على طلوع الجبل واللحوق بأخيه أسد الدين إلى صنعاء، فاجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم الذين لا ذنب لهم وهم الأكثر، وكَتَبوا إلى السُّلطان الملك المظفر كتابًا يطلبون الذمة، فأذَمَّ عليهم على أن يلزموا فَخْر الدين والجماعة الذين قتلوا السلطان، فأجابوه إلى ذلك، ولزموا الأمير فخر الدين وهو في خيمته وقطعوا طنبًا من أطنابها وكتفوه به، وساروا بأجمعهم إلى السلطان بعد أن لزموا الجماعة الذين قتلوا السلطان نور الدين، هذه رواية الجندي[1].

وقال صاحب (العقد)[2]: كان السَّبب في لزومه أنه لمَّا علم بمسير مولانا السلطان نحوه كاتبه وراسله وبذل له الطاعة وتسليم المماليك الذين قتلوا السلطان نور الدين، قال: وسمعت من مولانا السلطان الملك المظفر في سبب لزم المماليك الأمير فخر الدين أنهم خرجوا من المحطة يتطلعون الأخبار فوافاهم علي بن يحيى يريد الأمير فخر الدين ومعه[3] كتب منّا إليه فيها ما يسؤوهم، فعادوا إلى المحطة فلزموه ووصلوا به إليه فقبض عليه، فكان علي بن يحيى ظاهره مع السُّلطان وباطنه مع الأمير أسد الدين وأخيه، وكان شاعرًا فصيحًا كريمًا، وأصله [من عنس قبيلة][4] من مَذْحج فكتب إلى الأمير أسد الدين يحثه على القيام ويحرضه على فكاك أخيه، كتابًا يقول فيه[5]: [من الكامل]

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى ... لشننتها شعث النواصي ضمَّرا

ترمي بها دربي زبيد على الوحى ... لتنال مجدًا أو تشيد مَفْخرا

لا بد أن تنجي أخاك حقيقة ... حتما وإلا أن تموت فتعذرا

---

(1) (السلوك): 681 (تحقيقنا).

(2) السمط الغالي الثمن: 258.

(3) كذا في الأصل، وفي السمط (وصحبته كتب منه إلينا).

(4) سقط من (ع).

(5) السمط الغالي الثمن: 262.

إن ابــن بــرطـاس تَـمَـكَّـن فرصة　　آه عـلـى مــوت يـبـاع فـيشـترى
صِحْ يا لحمزة تأت واخْصُصْ أحمدًا　　لتخُصّ من بين النجوم الأزهـرا[1]

يعني الإمام أحمد بن الحسين وقيل: الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، فاتصل علمه بمولانا السلطان، فلم يؤاخذه بشيء من ذلك.

وسار مولانا السلطان الملك المظفر فيمن معه من العساكر من العرب والمماليك يريد مدينة زبيد فدخلها في غُرَّة ذي الحجة من سنة سبع وأربعين في موكب عظيم، وعليه جلالة الملك وأبهة السلطنة، فلما قعد على السِّماط واستقر في دار الملك قامت الشُّعراء بالمدائح، وأنشده يومئذ الفقيه أبو بكر بن دعاس فقال[2]: [من الكامل]

إن غاب نور الملك عن أفق العلا　　فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
أو كان جَفْن الدهر أضحى أرمدًا　　فـالـيوم أَصْـبـح بالمُظفَّر أكحلا
لا تَـجْـزَع الـدنـيا لفقد مليكها　　رزئت برضوى[3] فاستعاضت يَذْبلا
مـا كـان رزء الـمـلـك إلا غيهبًا　　غَـمَّ الـورى وافـاه صبح فانجلى
بالملك عـاد الكَسْر جَبْرًا فانثنى　　جِـيْـد الـعُـلَا حـالٍ وكـان معطَّلا
هــي دولـــة غَـــرًّا وهـــذا مـالـك　　أَضْحى الزَّمان به أَغَـرَّ مُحَجَّلَا
لـم تـرض غـيـرك يـا أبـا عـمر لها　　فاستجلها إن العرائس تجتلى
مـا زلـت معـترفًا بنِعْـمة رَبّـهـا　　مـتـضـرِّعًـا لـقـدومـهـا متبتِّلا
أو مـا تــراهــا في زبـيـد تـزدهـي　　وتَمِيْسَ في حلل المفاخر والحُلَى
أَمْـهَـرْتَـهَـا وافي الـصِّـداق فما لها　　كِـفْـؤ سـواك ولا تـريـد تَـبَـدُّلَا[4]
جـاءتـك طـائـعـة ولـم تـهـزز لها　　رُمْـحًـا ولـم تشهر عليها مِنْصلا

(1) انظر بقية القصيدة في السمط الغالي الثمن263 – 365.
(2) انظرها في السمط الغالي الثمن: 260 و(العقود اللؤلؤية): 133.
(3) يذبل ورضوى أسماء جبال مشهورة.
(4) في (ع) تبتلا.

قل للذي رام التَّملك جاهلًا ... وسعى فَضَلَّ عن الطريق وضَلَّلا
ما أنت والمُلْكَ الذي لا سِرّه ... باد عليك ولست فيه مؤهلا
ارجع إلى كأس الطِّلا ودع العلى ... للمغمد الأسياف في هام الطِّلا[1]
ولصاحب الجيش الذي سَدَّ[2] الفضا ... وفلى بحدِّ السيف ناصية الفَلَا
وأعاد ريحك حين هبت أزيبًا[3] ... نَكْبا بريح منه هَبَّت شمألا
أولى الورى بالملك والده الذي ... ما انفك في نسب المفاخر أولا
هي دولتي وأنا الذي أَمَّلْتها ... والله يعطي سؤله من أَمَّلا

ولما قبض السلطان الملك المظفر على الأمير فخر الدين ودخل محروس زبيد واستقر ملكه، واجتمع له عسكر أبيه، وحملت إليه حواصل التَّهائم، وانشرح صدره وطابت نفسه، استأذنه مشايخ العرب بالرُّجوع إلى بلادهم، فقعد لوداعهم في قاعة سيف الإسلام، ودخلوا عليه للوداع، فوهب لزكري بن القرابلي بَغْلًا من دواب فخر الدين يسمَّى الرياح، وكتب للشيخ علي بن عمر القرابلي بالمقصرية[4]، وللشيخ محمد بن زكري بلعسان[5]، وأحسن جوائزهم، فعادوا إلى أوطانهم فرحين مسرورين.

ولما استولى على التَّهائم بأسرها وأطاعه أهلها وحملت إليه حواصلها، خرج من زبيد يريد عدن فسار على طريق السَّاحل، فاستولى عليها وعلى لَحْج وأَبْيَنَ في شهر صفر سنة ثمان وأربعين، وتسلم حصن يُمَيْن ومُنِيف وحصون بلاد المعافر جميعها في شَهْر صفر أيضًا من السنة المذكورة.

وكان أول بلد دخله من البلاد جُبَأ فلقيه القاضي محمد بن أسعد الملقب بالبهاء، فاختطب له فيها وهي أول بلد خطب له فيها من الجبال.

---

(1) الطلا: الأعناق.

(2) في (ع) ملأ.

(3) ريح الجنوب.

(4) المقصرية: بلد هناك، نسبة إلى المقاصرة بطن من عك (طرفة الأصحاب: 17).

(5) هي المواطن الواقعة ما بين باجل وسهام وبرع وحراز (المقحفي: 1274).

وحَطَّ[1] على تعز في شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة، وكانت محطته في الموضع المعروف بدار السعيدة[2]، وهو بالجبل بين المدرسة الأفضلية وقرية عسيق، وكتب إلى الشيخ علوان الجَحْدري فطلب منه رجالًا من مَذْحج فوصله بجيش جَرَّار، فأقام محاصرًا للحصن إلى أن تَسَلَّمه في جمادى الأولى من السنة المذكورة بخديعة منه، وذلك أنه قبض يومًا من الأيام بريدًا جاء بكتب من المفضل ووالدته من الدملؤة إلى أمير الحصن وزمامه[3]، وكان أمير حصن تعز يومئذ علم الدين الشعبي، والزمام أستاذ يقال له: عنبر[4]. فلما قَبَضَ البريد أخذ ما معه من الكتب وقبضها وأمر من زَوَّر على الخط حتى أتقنه، ثم كتب إلى الأمير علم الدين الشَّعْبي على لسان المفضل ووالدته أن يقبض الزِّمام ويسجنه، وكتب إلى الزمام بمثل ذلك، وجعلت بين كتب البريد[5] ووهب للبريد[6] ما أرضاه ووعده بالخير، وتَقَدَّم البريد بالكتب إلى الحصن، فلما وقف كل واحد منهم على ما كتب إليه هَمَّ كل واحد منهما بالآخر، ثم اجتمعا وأطلع كل واحد منهما صاحبه على ما عنده، فاتفقا على أن يكتبا إلى المظفر ويتوثَّقا لأنفسهما منه، ففعلا وسَلَّما إليه الحصن في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، فجعل الخادم[7] زمامًا لبنت أسد الدين، وكان خادمًا فيه الخير، وكان للشعبي[8] عنده حظوة عظيمة، ثم إنه أقطعه صنعاء، فلم يزل بها إلى توفي في التاريخ الآتي ذكره.

وقيل: أقام السلطان محاصرًا للحصن[9] ستة أشهر، فلما طال عليه الأمر كَتَب إلى خالته بنت جوزة يسألها أن تسلم إليه حصن تعز، ويكون ولده الأشرف وأخته وأمهما رهائن

---

(1) السمط الغالي الثمن: 273.

(2) السمط (الدار السعيدة).

(3) الزمام أو الزمام دار، هو المُوَكَّل بحفظ الحريم وما فيه من الخدم والخصيان (معجم مصطلحات التاريخ: 201).

(4) في السمط: 273 (عنتر الطواشي) (لعله تصحف على محقق الكتاب).

(5) في (ع) وجعلت بين الكتب حق البريد.

(6) يعني صاحب البريد.

(7) يعني الطواشي: عنبر أو عنتر.

(8) هو علم الدين سنجر بن عبد الله الشعبي أحد أمراء الدولة المظفرية توفي في هدم قصر صنعاء سنة 682هـ وسبق ذكره مرارا (انظر العطايا السنية: 256).

(9) يعني حصن تعز انظر السمط الغالي الثمن: 276.

عندها، وأرسل بهم إليها، فكتبت إلى الأمير علم الدين الشَّعبي بتسليم الحصن إليه فسَلَّمه إليه في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم تسَلَّم السلطان حصن حب في شهر رجب من السنة المذكورة، وفي ذلك يقول الأديب محمد بن حِمْيَر[1]: [من الطويل]

وإن ملك ولى [فذى][2] دولة ... وفي يوسف نعم المعوّضة[3] من عمر

أغار بها من بَطْن ملحاء غافق ... محجّلة الأرساغ واضحة الغُرَر

ونادت زبيد يا مظفر مِرْحبًا ... أضاء بك النَّادي وقَرَّ بك المقر

وسار إلى حَبٍّ وحب يحبَّه ... وما حَبٌّ يعصيه ولو شاء ما قَدَرْ

حصون أبيه وهي بالشَّرع إرثه ... وبالسَّيف ليس السيف إلا لمن قَهَرْ

وفي أثناء[4] هذه المدة المذكورة اتفق الإمام أحمد بن حسين والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، وقصدا الأمير أسد الدين إلى صَنْعاء، فخرج منها وطَلَع حصن براش، وكان خروجه من صنعاء يوم الثاني من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، ودَخَلَ الإمام صنعاء يوم السابع من الشهر المذكور، ودخل معه كافة الأشراف، وأجابته القبائل، فاستولى على صنعاء وأعمالها، ثم على ذمار وجهاتها، وكان الأمراء الحمزيون معه، وهو غير واثق بهم، وهم كذلك.

قال صاحب (العقد)[5]: وأقام في صَنْعاء قريبا من سنة والأمير أسد الدين [في براش][6] يغاديهم ويراوحهم، وقد اجتمعت عليه العرب كافة مع الإمام، فلما طال الأمر واشتد راسل الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام على أن يصلح بينه وبين الإمام، فأشار عليه الأمير شمس الدين بالرجوع[7] إلى مولانا السلطان وأنه لا ينفعه إلا ملازمته والارتسام تحت أمره، ثم

---

(1) ديوان ابن حمير: 98 و(العقود اللؤلؤية): 136.

(2) سقط من (و).

(3) العقود (الخليفة).

(4) السمط الغالي الثمن: 276 وانظر سيرة المهدي أحمد بن الحسين لوحة: 77.

(5) السمط الغالي الثمن: 237.

(6) سقط من (و).

(7) في (ع) أن يكتب.

التقى الأمير شمس الدين والأمير أسد الدين إلى الجبوب[1]، واتفقوا على أنهم يسعون في الصُّلح بين الأمير أسد الدين وبين الإمام، وأن الإمام يجهِّز الأمير أسد الدين إلى اليمن لحرب ابن عمه مولانا السلطان الملك المظفر، فإذا قد صار قريبًا من السلطان أصلح بنو حاتم بينه وبين السلطان ابن عمه، فاتفق الأمر على ذلك، وسعى من سعى في الصلح بينه وبين الإمام، فاصطلحوا واتفقوا وانتظم الأمر.

وتجهَّز[2] الأمير أسد الدين وسار في صحبته الأمير أحمد بن علوان وغيره من بني حاتم، وجهَّز الإمام معه أيضًا الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى في مائة فارس، وخرج الأمير أسد الدين في عسكر عظيم، ولم يزل سائرًا حتى حَطَّ في الشوافي.

فلما علم به السلطان الملك المظفر خرج في عسكره حتى حَطَّ مقابلًا لهم، فسعى بينهم بالصلح بنو حاتم وغيرهم حتى انتظم أمر الصلح، وكان اللقاء في الموسعة[3]، فركب السلطان فرسه المشمر[4] وأقبل في جلال ملكه واحتفال جُنْده، وكَثْرة عسكره، وأقبل الأمير أسد الدين يمشي راجلًا، فلما قرب من السلطان ترجل له السلطان وتسالما وهما راجلان، ثم ركب السلطان حصانه، وسار الأمير أسد الدين قدامه، وحمل الغاشية[5] بين يديه حتى دخل على الخوان، فلما بلغوا المرتبة الشريفة، قال السُّلطان للأمير أسد الدين: بسم الله يا أمير، قال: حاشاك يا مولانا، هذاك موضعك وموضع أبيك، وهذا موضعي وموضع أبي، ثم انتظم الأمر على ما شَرَعُوه، وخَرَجَ له من الإنعام العظيم ما هاله، حتى قال: ليت شعري هل أبقى مولانا السلطان في خزانته شيئًا.

ثم إن السُّلطان جَهَّز مئة فارس إلى صنعاء وجعل مقدَّمهم الناشف النجمي[6] ثم ورد أمره على الأمير أسد الدين بالعود إلى صنعاء، فسار مبادرًا في عسكره وأصحابه، ولما بَلَغَ الإمام العلم بذلك جَهَّز عسكره إلى نقيل الغابرة، وظنَّ أنه يمنعهم من طلوع النَّقيل، فلم يقم

---

(1) انظرها في السمط: 277.

(2) السمط الغالي الثمن: 277.

(3) انظرها في (العقود اللؤلؤية): 138.

(4) انظره في السمط الغالي الثمن: 279.

(5) الغاشية قبة من أديم مغروزه بالذَّهب تحمل بين يدي السلطان عند الرّكوب في المواكب في الأعياد يحملها الركبدارية (معجم المصطلحات التاريخية للخطيب: 329). (سبق ذكرها).

(6) السمط: 280 الناسف اليحيي.

عسكره في وجه العسكر المظفري ساعة واحدة، فلما علم الإمام بوصول الأمير أسد الدين في العساكر المظفرية خرج من صنعاء إلى سناع بعد أن أخرب قَصْر الأمير أسد الدين وقصر أخيه الأمير فخر الدين، وترك السيد الحسن بن وهاس الحمزي وأخاه محمدًا وغيرهما من الأشراف والعرب رتبة في ظبوة[1]، فقصدهم الأمير أسد الدين في العساكر السلطانية فأخذهم برقابهم وأطلعهم حصن براش، ثم طلع السلطان إلى صنعاء في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة، ولما رجع السلطان من سفره هذا تَسَلَّم حصن التَّعْكر في أول شهر محرم من سنة تسع وأربعين.

وفي آخر المحرم المذكور[2]: وصل العلم بوصول الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول من مصر، وقدوم أخيه فخر الدين أبي بكر بن علي بن رسول، فأوجب ذلك الصلح بين السلطان الملك المظفر وبين الإمام فاصطلحا.

ثم إن مولانا السلطان الملك المظفر كَتَبَ إلى كافة النُّواب بالتهائم، فأمرهم بإكرام عَمَّيْه والقيام بحالهما أتم قيام، وكتب إلى عَمَّته المعروفة بالنجمية[3] نسبة إلى زوجها الأمير نجم الدين بن زكري الذي كان نائبًا للمسعود على صنعاء والجبل الأعلى كافة وهي يومئذ بالتعكر يقول لها: إن رأيت أن تلقي أخويك فافعلي، ففرحت بوصولهما فرحًا شديدًا، لأنها كانت تَبُرُّ أهلها خاصة والناس عامة، وكان محمد بن خضر قد صار من حلف السلطان وأمه زهراء بنت الأمير بدر الدين، وكانت من أعيان الخواتين حازمة لبيبة، وهي التي ابتنت المدرسة المنسوبة إلى ابن خضر بقرية الخبالي، وفيها قَبْرها وقبورهم، وكان محمد بن خضر قد أساء إلى السلطان وخالف خلافًا ظاهرًا، ثم عاد عن ذلك، فقال له السلطان: يا محمد أنزل مع جِدَّتك والقَ جِدَّيك، فنزل مع الدار النجمي وجَهَّزهما السلطان أتم جهاز، فلما ساروا نزل السلطان بعدهم، ولما صار الأمير بدر الدين الحسن بن علي وأخوه فخر الدين أبو بكر بن علي في مدينة زبيد على الإعزاز والإكرام أقاما أيامًا، ثم سارا يريدان تعز، فلما دخلا حيس واجههما العلم بنزول السلطان وأنه في الطريق فانتظراه، فلما وصل أول العسكر إلى حيس خرج الأمير بدر الدين وأخوه الأمير فخر الدين في لقاء السُّلطان، فلما قَرَبَا منه تَرَجَّل لهما

(1) السمط: 280.

(2) السمط: 280 و(كنز الأخيار): 102 وبهجة الزمن: 168.

(3) انظر ترجمتها بتوسع: في (طراز أعلام الزمن): 2508.

وترجَّلَا وتسالموا جميعًا، ثم ركبوا دوابهم، وسار السلطان في آلته وجلالته، فنزل في القصر السلطاني بحيس، وترَجَّل عَمَّاه في جانب من الدار، فلما اطمأنوا واطمأن السلطان أرسل جماعة من المماليك وجماعة من الخدام فامسكوهما ولزم معهم محمد بن خضر، وأمر بِتَقْييدهم وطلوعهم إلى حصن تعز تحت الحفظ، فساروا بهم من يومهم ذلك، فلما دخلوا من باب الحصن، قال الأمير بدر الدين: قبحك الله من قلعة، خرجنا منك مقيدين ورجعنا إليك مقيدين، ثم تمثل بقول الأول[1]: [من الوافر]

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملًا لا يطيق

سأصبر والأمور لها اتساع ... كما أن الأمور لها مضيق

فإما أن أموت أو المكاري ... وإما تنقضي عَنِّي الطريق

فأودعهم دار الأدب، وقد كان هناك الأمير فخر الدين أبو بكر بن الأمير بَدْر الدين الحسن ابن علي بن رسول، وكان أول من حبس منهم، فكتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى الأمير أسد الدين ما تحقق له ما كان من الأمر، وفي أثناء الكتاب شعر يقول فيه: [من الوافر]

ودادي ذلك الود المصفى[2] ... وعَهْدي ذلك العهد القديم

وبين جوانحي مما أراه ... جحيم منه تحترق الجحيم

وقلت قدوم بدر الدين فيه ... لنا فرح فما نَفَع القدوم

فبلغ خبره[3] إلى السلطان فأغضى عنه، وكان يكرمه ويقطعه الإقطاعات الواسعة، ولا يظهر له شيئًا مما ينقل عنه.

وفي هذه السنة: تقدم المجد[4] بن أبي القاسم بالرسالة الشريفة المظفرية إلى المواقف المطهرة[5] ببغداد، وقيل: كان الرسول إلى بغداد الأمير عز الدين جعفر بن أبي الفهم، فسار

(1) انظرها في المخلاة للعاملي: 381.

(2) في (ع) القديم.

(3) السمط الغالي الثمن: 298 وغاية الأماني: 437.

(4) هو القادم من الحجاز بصحبة فخر الدين الرسولي، وكان من المدبِّرين لاعتقال المذكور بإشارة من الملك المظفر انظر السمط الغالي الثمن: 280.

(5) في (ع) المطهرية.

على طريق براقش، واتخذ الأدلة من البادية، وسلك طريق الرمل على السواحل البحرية، فحكى ابن أخيه: أنهم ساروا من براقش إلى بَغْداد أربعة عشر يومًا، فلما حضر مقام الخليفة عَرَضَ الكتاب فقرأه الخليفة، ودعا لمولانا الملك المظفر وأمر بأن يكتب له منشور وولاه العهد، ثم قال الخليفة: انظروا كم جائزة صاحب اليمن؟ فقالوا: عشرة آلاف دينار وخلعة، فقال عز الدين بن أبي الفهم: وكم جائزة صاحب مصر؟ فقيل له: أربعون ألفًا، فقال: لا أرضى لمَخْدومي دونها، فقال له الوزير: إن إقليم مصر أكبر من إقليم اليمن، فقال عِزّ الدين: ما كان من ضعف وعجز فأوصاف مخدومي تجبره، فقال الخليفة: لقد سررتنا بمقالتك، ثم التفت إلى الوزير وقال: أجيزه[1] بجائزة صاحب مصر، ففعلوا، وكتب الخليفة إلى السلطان الملك المظفر يأمره باستئصال أحمد بن الحسين، وأكَّدَ الوصية على الأمير عز الدين بذلك، ثم سار الأمير عز الدين راجعًا، وسار معه رسول الخليفة، فلما وصل إلى السلطان ألبسه الخلعة وقرأ له المنشور، وولاَّه العهد بوكالة الخليفة المستعصم له في ذلك، وسلم له الجائزة في دار المضيف[2]، فحمل له السلطان ما يستغرق الجائزة وغيرها.

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين كما سيأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - كَتَب مولانا السلطان الملك المظفر إلى الخليفة المستعصم كتابًا يعلمه فيه بذلك، فلما بلغ الرسول براقش لقيه الخبر بقتل الخليفة المستعصم بالله ودخول التتر[3] بغداد.

وفي هذه السنة[4]: اصطلح مولانا السلطان الملك المظفر هو وأخوه المفضل والفائز وأقطعهما لحجًا وأبين[5].

(1) في (ع) أجيزه والعقود: أخبروه.

(2) العقود: دار الضيافة.

(3) كان سقوط بغداد بيد التتار يوم 9 صفر سنة 656هـ.

(4) توسع في هذا الخبر صاحب السمط الغالي الثمن: 295.

(5) وذلك بعد اتفاقه مع أم المفضل والفائز وهي المعروف بنت جوزة وتلقب بأم قطب يقول صاحب السمط: 295: (خرجت وحدها من حصن الدملؤة راكبة بغلة ولابسة جوخة وطرطورا ومتجلببة بملاءة واستصحبت من المفردين عصابة وافرة يمشون في خدمتها ووَصَلت إلى مخيَّم مولانا السلطان بالمحطة وحصلت بينها وبينه معاتبات، فكان مما قالت له سبحان الله أما هؤلاء إخوتك فكيف تحصرهم فقال لها: أنت التي أردت هذا الأمر وطلبت الإستيلاء على المال ولم يخلِّفه الوالد لنقتتل عليه بل لنستعين به على خارجي يخرج علينا وننفقه على من يحمي عَنَّا فقالت: قد جَرَى ما جرى ونعود إلى ما يعاد إليه فقال ذلك إليك ولا خلاف منِّي قالت تقطع ولدي قطب الدين أبين وابني أحمد حيس وموزع وترهن عندي وتوثق لي وتحلف لنا جميعا فقال: أفعل إلخ.

وفيها وصل رسول الخليفة إلى مكة المشرفة بكسوة الكعبة وتشريفه للملك المظفر كما سيأتي والنيابة له، وكسوة البيت وتقدم إلى اليمن[1].

وفي سنة خمسين: اصطلح[2] الإمام والأمير أسد الدين محمد بن الحسن ودخل الأمير أسد الدين[3] في طاعة الإمام، وباع عليه حصن براش بمئتي[4] ألف درهم، وانتقض ما بين الإمام والسلطان من الصلح، وذلك في شهر رجب من السنة المذكورة[5]، وسيره[6] في عساكره إلى ذمار، وجهز معه عسكرًا من قبله، وجعل عليهم الشريف[7] هبة بن الفضل العلوي، فلما اتصل العلم بمولانا السلطان جَرَّد لهم الطواشي[8] تاج الدين بدر، والأمير شمس الدين

(1) لم يرد هذا الخبر في تواريخ مكة المكرمة ولا في السمط الغالي الثمن في حوادث هذه السنة فيحقق.

(2) السمط الغالي الثمن: 301.

(3) يعلل المؤرخ يحيى بن الحسين في (غاية الأماني): 437: الخلاف بين أسد الدين والمظفر بسبب ما جرى من المظفر من القبض على أبيه وأقاربه.

(4) السمط301: بمائة ألف دينار، وفي (سيرة المهدي) لوحة: 95: والثَّمن الذي استقر عليه البيع والشراء ما مبلغه خمسمائة ألف درهم من الدراهم المهدية التي وَزْن كل درهم منها ثلثا قفله بقفلة الإسلام وعشرون ألفا غير الخلع والخيل التي أنعم بها أمير المؤمنين في مقابلة المتوسطين من خدام الأسد (يعني أسد الدين) وقيض الله سبحانه وتعالى جملة من هذا المبلغ في الحال ثم أمر أمير المؤمنين إلى بلاد المسلمين من صعدة إلى مقرا وبلاد خولان والهان وغير ذلك من النواحي ففرَّقَ هذا الثمن المذكور في البلاد قسَّطه على الناس فجعل على كل بالغ متمكن أربعة دراهم مهدية وخمسة دراهم منصورية... وكان تسليم براش يوم الإثنين السابع عشر من شهر رجب سنة خمسين وستمائة.

(5) يذكر صاحب (سيرة المهدي) من أسباب نقض الصلح (لوحة) 101: لما استولى أمير المومنين على حصن براش اضطرت أمور سلطان اليمن الأسفل يوسف بن عمر بن علي وقد كان صالح أمير المومنين على شروط كثيرة... وقد كان السلطان أمر رسولا إلى الإمام ويسأله عن الصلح هل هو ثابت أم لا فإن كان ثابتا فيأمر الإمام برفع المحاط عن حصن هداد فأجابه الإمام أن صاحب حصن هداد حاربنا وبالغ في الفساد... فإن خرج منا بما يجب فعلنا ما يحب السلطان في ذلك... فكان جواب السلطان أن جَهَّز عساكره وقدم فيهم عبدا له خصيا يقال له بدر حتى وصلوا ذمار فتجهَّز أسد الدين وأزمع على المسير وضمَّر إليه الإمام جملة من الخيل وأمر نائبه في الجهات الذمارية بحشد العساكر وامتثال أوامره إلخ.

(6) الضمير في قوله (وسيرة) يعود إلى الإمام المهدي وتسييره لأسد الدين بحرب الملك المظفر.

(7) (العقود اللؤلؤية) 142: (الشريف عز الدين هبة الله بن الفضل) وانظر هذا الخبر في السمط الغالي الثمن: 302.

(8) هو المشار إليه سابقا في نَصّ صاحب (سيرة المهدي) بالعبد الخصي.

علي بن يحيى، فوقع بين الأمير شمس الدين والطواشي تاج الدين مشاجرة، فرجع الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى الأبواب الشريفة، وسار الطواشي تاج وحده في العساكر المظفرية، فلما رأى الأمير أسد الدين والشريف هبة الله ما هالهم من العَسَاكر المظفرية هَرَبُوا إلى السواد[1]، ولزموا الجبل، فأرسلوا إلى الإمام يطلبون منه الإمداد، فأمدَّهم بالأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وجميع العرب من بني شهاب وسنحان وغيرهم، فحَصَلَ بينهم وبين العساكر المظفرية عدة وقائع مشهورة، ظهرت فيها بسالة المماليك البحرية وحماستهم، ثم إن الإمام أحمد بن الحسين تابع الإمداد إليهم حتى إنه لم يَبْق أحد من القبائل إلا صَدَّرَه إليهم، فلما رأى أسد الدين تكاثف عساكر الإمام وتواتر الإمداد إليه أدركته الحمية وعطفته الأواصر الرَّسولية فأنذر الطواشي تاج الدين وصَوَّب له الرجعة[2] إلى باب السلطان، وقال له: إنك إذا رجعت بهذا العسكر وافرًا طلع به مولانا السلطان فلا يقوم في وجهه واحد، فعاد الطواشي إلى ذمار ثم سار إلى اليمن.

وفي هذه السنة[3]: استولى السلطان على حصن الدملؤة وذلك أن مولانا السلطان الملك المظفر كان قد أرسل بولده الأشرف وكريمته وأمها وبالطواشي ياقوت إلى بنت جوزة، وحَطَّهم عندها رهائن، فساسوا الأمر وعاملوا الرتبة، وأتقنوا القضية.

وقيل: بل طلعت الدار الشمسي كريمة مولانا السلطان مغاضبة لأخيها وشاكية منه، وطلعت الدملؤة إلى إخوتها وإلى خالتها بنت جوزة، وأظهرت الشَّكوى من أخيها السلطان الملك المظفر، وطلع معها الطواشي ياقوت، فأقامت عندهم أيامًا، وهي تستميل الخَدَم وتصلح أحوالهم، وتستحلف الرتبة إلى أن أحكمت الأمر.

ثم قيل لبنت جوزة: إن البقرة الفلانية في الجؤة[4] ولدت عجلاً له رأسان، فأرادت النزول إلى الجؤة لتنظر البقرة وولدها[5]، فأشعرت على الدار الشمسي بالنزول فاعتذرت بمرض

(1) السواد في سيرة المهدي لوحة: 101 (موضع ضمن هداد).

(2) السمط الغالي الثمن: 303 (وصَوَّب له العودة ويقول: أنت إذا رجعت بهذا العسكر وافرًا طلع به مولانا السلطان، فعاد إلى ذمار).

(3) السمط الغالي الثمن: 303.

(4) قرية تحت حصن الدملؤة (الحجري: 201).

(5) ذكر ابن حاتم في السمط: 297 أنها نزلت من الحصن بسبب فرجة ولم يذكر البقرة.

حدث عليها ببطنها تلك الليلة، فلم تنزل معهم، ونزلت بنت جوزة وأولادها، فلما نزلوا أوقد الطواشي نارًا في رأس الحصن وكانت الأمارة بينه وبين السلطان الملك المظفر أن توقد نارًا في رأس الحصن، فلما رآها الملك المظفر نزل من فوره، وكان في رأس [حصن[1]] حب، وقيل: في التعكر، فركب في ساعته في مئة من الشفاليت[2]، وسار فَقُطِعَ[3] أكثرهم في الطريق، وثبت معه جماعة، منهم النَّقيب منصور، فلما صار قريبًا من باب الحصن نزل، والنقيب قائم بين يديه، فقال: من هذا؟ فقال: عبدك منصور، فتفاءل به فكَسَاه وأنعم عليه، ورفع منصبه بعد ذلك ووَلَّاه بعض الجهات، وارتفعت مراتب أولاده من بعده.

ومن ذريته الأمير الكبير المعروف بالركن[4] بن العنقاء، وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن يوسف بن منصور، والأمير نجم[5] الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن منصور وغيرهم، ولما وصل إلى باب الحصن وجد أخاه الفائز[6] قائمًا على باب الحصن، ولم يفتح له أحد، فقال له: هكذا تضيعون الحصون لا معكم ولا معنا؟ وساق عنه ففتحوا له الباب، فدخل فيمن وصل معه من غلمانه وخدمه، وذلك في يوم التاسع عشر من ذي القعدة، وقيل: في الخامس والعشرين منه، من السنة المذكورة.

ولما رجع الطواشي تاج الدين من ذمار، ورجع الأمير أسد الدين إلى البلاد العليا[7] فسد ما بينه وبين الإمام، وذلك أنه لم يحصل له من قيمة براش إلا التافه اليسير[8]، ولم يف

---

(1) زيادة في العقود.

(2) طائفة من العسكر العرب غير النظاميين.

(3) قطع هنا بمعنى انقطع: تخلف عن المسير.

(4) هو المتولى على زبيد سنة 726هـ وهو الأمير عز الدين هبة بن أبي بكر الفخر بن يوسف بن منصور توفي سنة 796 (العقود اللؤلؤية): 55 و78).

(5) تولى زبيد بعد وفاة المذكور وكان من المعاصرين للمؤلف انظر أخباره في (العقود اللؤلؤية) (في عدة مواضيع) توفي سنة 799هـ (طراز أعلام الزمن: 1768) وفي المطبوعة من الطراز وفاته سنة 779 خطأ.

(6) هو الفائز ابن الملك المنصور عمر بن علي الرسولي، وابن بنت جوزة المذكورة سابقا.

(7) يقصد بالبلاد العليا غالبا مناطق الجبال الشمالية صنعاء وما يليها حتى صعدة.

(8) السمط الغالي الثمن: 303 وعبارته (وكان السبب في النقض قيمة حصن براش وذلك أنه لم يحصل منها إلا على الهين).

له الإمام بما عاهده عليه من أمر البلاد، فسار[1] نحو رداع، ثم توجَّه طريق المشرق، وكان في صحبته الأمير[2] علي بن وهاس في جماعة حتى بلغ عمقين وعمدان[3] وجردان، وهي أودية بالمشرق، فضاقت عليهم المسالك وقصدتهم العساكر المظفرية[4]، فلم يروا بدًا من قَصْد الشيخ علوان[5] الجحدري الكردي[6] على ما بين الأمير أسد الدين والشيخ علوان من العداوة والبغضاء في أيام الدولة المنصورية، فلما نزلوا عليه لقيهم بالرَّحب والسعة، وأنزلهم في العروسين[7]، وحمل إليهم الضيافات وأجازهم.

---

(1) الضمير في قوله فسار يعود إلى الملك المظفر.

(2) السمط الغالي الثمن: 303 (علم الدين علي بن وطاس).

(3) في (و) عدان.

(4) في (و): العرب.

(5) يذكر صاحب سيرة المهدي (مخطوط) عدة أسباب لطلوع الملك المظفر إلى البلاد العليا. صنعا وما يليها فيجملها بما يلي:

اختلفت الروايات في طلوع سلطان اليمن بنفسه فأخبرني بعض الناس أن عمَّه الحسن بن علي أشار عليه بذلك وأمر عليه وعنفه بكلام وكان في حبسه غِيْرة منه على مُلْكهم أن يُسلب.

1 - وأخبرني من أثق به أن الأمير المتوكل على الله لما استقرت المحطَّة بمنكث جرت المكاتبات سرا بينه وبين السلطان المظفر على يدي الأمير علي بن وهاس على حَرْبِ الإمام وعلى تسليم أموال جليلة للأمير شمس الدين فانصرم الكلام بينهم على ذلك وإن الأميرَ شمس الدين أمر إلى السلطان بخاتمه ذمّه على إتمام ما جرى به الحديث من الشروط والمواثيق وأرسل إليه السلطان شيئا من المال على وجه خفي وقد ذكر ذلك الإمام في رسالته الموسومة بحليفة القرآن فقال: هذا أميرهم الذي جعلناه زعيم جيوش المسلمين وقلدناه سر الشعر المنفتح علينا من اليمن باع ذلك بعرض من الدنيا وقدم إليهم خاتمه ذمه في كونه منهم وذلك أمر ظاهر.

2 - وأخبرني بعض الناس أن هذا السلطان لما استولى على حصن الدملؤة في ذلك الأوان وجد فيها أموالا جليلة فدعاه ذلك إلى حرب الإمام وعلم أن أهل الزمان عبيد الدرهم والدينار وأن أكثر الناس ممن يريد الفساد في اليمن الأعلى من مخلاف صنعاء كالامراء الحمزيين والسلاطين آل حاتم أهل ذمرمر وسنحان وغيرهم من ثالقبائل وأنهم قد صاروا يدا واحدة... وكان طلوع السلطان من اليمن ثامن شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وستمائة انظر (سيرة الإمام المهدي لوحة: 103).

(6) في (و) الكدوي خطأ.

(7) العروسين حصنان لعلوان منيعان في بلاد العود من أعمال مديرية النادرة بالشرق الشمالي من إب (المقحفي: 1055).

ثم قصدهم مولانا السلطان الملك المظفر وحَطَّ في بلاد علوان وأخرب منها عدة مواضع وأحرق مواضع أخر، ثم إن الشيخ علوان لم يزل يلاطف مولانا السلطان ويراجعه ويسأله الذِّمة للأمير أسد الدين حتى أذم له على يده، فقال الشيخ علوان في ذلك، وكان من فصحاء العرب[1]: [من الطويل]

سلام على الدار التي في عراصها ... معاهد قوم لا يذمّ لهم عهد
أناخوا علينا نازلين وفيهم ... طُوَال القنا والمَشْرَفِيَّةِ، والجُرْدُ
ليوث شَرَا خاضوا[2] البلاد فذَلَّلوا ... مقاولها فارْتَاع من خوفهم نَجْدُ
رموا مَطْلع الشمس احتسابًا لأَنْفُسٍ ... أمانيَّها موت على العزِّ أو حَمْد
إلى أن شرى البرق اليمانيُّ لامعًا ... بدملؤة العَزِّ الذي ما لها نَدُّ
فزَمُّوا[3] له بزل الركاب على الوحى ... وقادوا إليها الخيل من فوقها الزرد[4]
يقودهم الملك الذي في يمينه ... عوارف مِنْهُنَّ المنيّة والرِّفد
يحفّ به القوم الذين سيوفهم ... عقائق جَمْر لا يلائمها غِمْد
رأوا موردًا عَذْبًا فلما دنوا له ... وقد أشرعوا، قلن المقادير لا ورُدُّ
وجاش عليهم للمظفر عارض ... له البِيْض بَرْق والطبول له رَعْدُ
همام أبى أن يسلم الملك فانبرى ... وحَوْلَيْه أرباب الزعامة والجند
يسوقهم سوق السَّحاب يحثّها ... نسيم الصبا حتى أَلَمّ بنا الوُفْد
أكارم كانوا لي عدوًّا فأصبحوا ... ينادون يا علوان هل ذَهَب الحِقْدُ
فقلت لهم في فَرْع تيما فانزلوا ... ألا مِرْحبًا هذا السُّمؤل[5] والفرد

---

(1) انظرها في السمط الغالي الثمن: 288 وعنه نقلها من أتى من بعده.

(2) إشارة إلى استيلاء أسد الدين علي بلاد علوان وطرده منها سنة 644هـ انظر (العقود اللؤلؤية): 111.

(3) الأصل: فراموا.

(4) الاصل الرد و(العقود) الأسد وأثبتناه من (السمط).

(5) شاعر في الجاهلية يضرب به المثل في الوفاء، والفرد اسم قصره ويسمى الأبلق الفرد.

مــدَدْتُ لهم ظـلّ العـروسيـن دانـيًا بَسَطت به أيدي الرجاء الذي مَدّوا
فشكرًا لمن أدنى ركـاب محمد[6] إلــيَّ وأهـــداه لـي الفـلـك السَّعد
وأصبـح أربــاب الـزعـامـة[7] حولنا وما رابني منها الوعيد ولا الوَعْدُ
مـلوك دنـا بعض لبعض فأصبحت كتائب عَـزْمي وَهْــيَ بينهم سَـدّ
وأســد إلــى أسـد تـدانـت فـصَـدَّها على حَنَقٍ ما بينها الأُسْـدُ الـوُرْد
فمن لفخار العـرب مِثْلي ومَــنْ لها كمثل مقامي في المكارم أن عَدُّوا
فـحسبي[8] أني العـز مـن آل يعرب وأني لمن يـأوي إلـى كنفي عَـبْدُ

ثم نزل الأمير أسد الدين ومن معه إلى السلطان فلقيه بالموسعة فأكرمه وأنصفه، وسار أسد الدين بين يديه ماشيًا بسيفه، فلما دخلوا وقف وخَدَمَ، ثم إن مولانا السلطان حمل إليه أموالًا جليلة، وأمده بعسكر كثيف وأمره بالمسير إلى صنعاء، فسار أسد الدين إلى صنعاء، فلما علم به الإمام خرج من صنعاء، ثم طلع السلطان صنعاء في شهر رجب من سنة إحدى وخمسين، وكان في ركابه الأمير علم الدين علي بن وهاس، فحَطَّ في درب عبد الله، وكان الإمام في سناع فخرج من سناع فأخرب السلطان سناع وشيئًا من بساتينها، وعاد إلى اليمن، فتسلم حصن ذروان من الشيخ الورد بن محمد بن ناجي[9].

وفي هذه السنة: قتل[10] الشريف أبو سعد بمكة [وكانت مدة ولايته عليها أربع سنين إلا شهرا فدخل عليه بنوعَمَّه][11] إلى داره فقتلوه في وسط النهار، وكان الذي قتله جماز بن حسن، وحَجَّ بالناس في ذلك العام، وأقام بمكة.

---

(6) يعني به أسد الدين واسمه: محمد بن الحسن بن علي بن رسول.
(7) السمط: المماليك.
(8) السمط: فحي أبي الحي.
(9) السمط الغالي الثمن: 148.
(10) إتحاف الورى 3: 74 وغاية المرام 1: 636.
(11) سقط من (و).

وفي هذه السنة: اختلف[1] الإمام والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة وبنو عَمِّه فاستنصروا بالسُّلطان فأمر السلطان على الأمير أسد الدين بمناصرتهم فخرج الأمير أسد الدين يوم الخامس من ذي الحجة، وقد وصلت الخزائن السَّعيدة إليه، والتقى بالأمير شمس الدين في براقش بعد أن رجع الأمير شمس الدين من مارب[2].

ثم ساروا جميعًا فحَطُّوا على الزاهر فأخذوه وأخربوه، ثم ساروا إلى صعدة، وكان الإمام يومئذ في صعدة، فخرج بعساكره وحَطَّ مقابلتهم فلم يكن بأسرع من أن دخل الأميران شمس الدين وأسد الدين بالعساكر المظفرية إلى مخلاف صعدة، وهَرَبَ الإمام إلى علاف، وجَعَل الشريف السيد الحسن بن وهاس رتبةً في صَعْدة في نصف العسكر والنِّصف الثاني مع الإمام في عَلَّاف، فأقامت المحطة على صعدة نحوًا من شهر والشريف شمس الدين والأمير أسد الدين يغاديانهم ويراوحانهم القتال حتى انقطعت عليهم المادة[3].

وفي أثناء هذه المدة فقئت عين الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، ثم فتحت صَعْدة وأسر الشريف الحسن بن وهاس ومن معه، وكانت المدينة محشوةً بأهلها وأموالهم، فنهبا منها أموالًا كثيرة، وأخذت غنائم عظيمة، وأخذوا سبعين فرسًا، وأجار الأمير أسد الدين أجزل[4] الناس، وستر الحرائم وشحن براش صعدة شحنة عظيمة، ورَتَّبَا في صعدة الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام، وهبة بن الفضل، وعاد الأميران إلى صنعاء.

وفي ذلك يقول الأمير عز الدين عزان[5] بن سعيد بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة ممتدحًا للسلطان الملك المظفر شاكرًا ومثنيًا[6]: [من الطويل]

سلام مشوق ودّه ما تَصَرَّما ... يزورك من نَجْد وإن كنت مُتْهما

(1) كنز الأخيار: 103 و(العقود اللؤلؤية): 149.
(2) السمط الغالي الثمن: 306 و(العقود اللؤلؤية): 153.
(3) السمط الغالي الثمن: 307.
(4) السمط (أكثر).
(5) السمط: 307علوان بن بشير بن محمد بن حاتم.
(6) انظرها بكما لها في السمط الغالي الثمن: 307.

سلام كَنَشْر الروض باكره الحيا ... فأضحى أنيقًا مشرقًا متبسِّما
يخصّك من قُرْب وإن كنت نائيا ... ويهدي تَحِيَّاتي فرادى وتوأما
فيا أيها المَلْكُ المظفر والذي ... حمى قَصَبَات الملك أن تتهضَّما
ويا دافع الجَلَّاء والخَطْب عنهم ... وقد جُنَّ ليل الحادثات وأَظْلما
ويا مُخْجل الأنوار والبَرْق خُلَّب ... إذا جاد برق من نوال وأَسْجَمَا
ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل ... وجُدْتَ فلم تَتْرك على الأرض مُعْدَمَا
وصُلْتَ فلم تترك عليها معاندًا ... ولو أنه يَرْقَى إلى الجَوِّ سُلَّما
إليك أبا المنصور أهديت أحرفًا ... أبثُّك أخبارًا وإن كنت أَعْلما
وإني بما أوليتني من صَنَائِع ... لأستنجد الأخبار كَيْ أشفي الظَّما
وأستنهض العَزْم السَّعيد فطالما ... حَلَلْتَ به عقدًا من الهَمِّ مُبْهما
لأنقم ثأرًا أو لأكبت حاسدًا ... وأقضي لبانات النفوس وأَنْعما
فشَمِّر تشيد المَجْد إذ أنت أهله ... وتَمِّمْ على اسم الله تُدْعَ متمما[1]
فلم يبق في الأقوام إلا حُثَالة ... يهبُّ بها ريح الصَّبا إن تنسما
نهضنا[2] بِجَيْش منك يطمو عبابه ... يضيق به رحب الفضا حين يَمَّما
يجوب بقاع الأرض شَرْقًا ومغربًا ... ويَطْوي رباها مُحرِمًا بعد محرما
ويغشى لظى الحرب العوان كأنه ... طنين ذباب عنده إن ترنَّما
نزلنا بوادي الجَوْف نَرْعى خميله ... ونذكر عهدًا كان فيه تَقَدَّما
فلما قضينا نحوه كل حاجة ... وجبنا المواشي[3] وهو كان مُحَرَّما

---

(1) يعني الصحابي الفارس متمم بن نويره له شعر في رثاء أخيه مالك.
(2) الأصل: نهضت.
(3) السمط (المراشي) وهو الصواب.

صعدن بنا أعمال صعدة سنَّحًا … تُبَارى كأمثال السراحين[1] سُهَّمَا
ولاحت من الأقطار أعلام يوسف … كأن شعاع الشَّمس منها تَبَسَّما
وصاحت طيور السّعد من كل وُجْهة … تبادر بالترحاب إذ كُنَّ وُجَّما
فلا مَلِكٌ إلا وأرخى قياده … ولا قائم إلا تَوَلَّى وأحجما
ولا حَيَّ إلا استيقظوا بعد هَجْعه … وكانوا سكارى قبل ذاك ونُوَّمَا
ولله در الأريحي محمد[2] … شقيقك محمود الثنا مانع الحمى
فوالله[3] ما جَشَّمْته لِمُلِمَّة … على مِثْل حَدّ السيف إلا تَجَشَّما
ولا قلت مهلًا يا خليلي وقد بدا … له الشَّرُّ إلا كَفَّ ثم تَبَسَّما
فيا ابن الملوك الغُرِّ من آل جفنة … غدا مجدهم فوق السماك مُخَيِّمَا
لأنت صَفِيُّ الود إذ أنت أهله … ولا أرتضي إلاَّك رُكْنًا ومغنما
ولا يقطعن بيني وبينك قاطع … إلى أن نزورا جَنّة الخلد فاعلما
حَلَفْت بِرَبِّ الناس حِلْفَة صادق … مؤكَّدةً لم أخش في ذاك مأثما
وبالمصطفى جَدِّي وبالمرتضى أبي … ومن بات[4] بالبَيْت العتيق وأحرما
لو أني رأيت الدِّين لله خالصًا … وأعطيت ملكًا يملأ الأرض والسَّما
لما سمحت نفسي بدين محمد … ولو لم أذق من بارد الماء مطعما
فلما رأيت الحَقّ ملقى زمامه … وليس سِوَى الدنيا مرادًا ومَغْنمًا[5]
تَنَكَّبْتُ عن تلك السَّبيل ولم أعج … عليها ولا في رَفْضِها مُتَنَدِّما
وعدت لشِيْد المجد أرعى سَوَامه … ولم أدّكر نجدًا ولا أَبْرُقَ الحمى

---

(1) جمع سرحان: الذئب.

(2) يعني به أسد الدين محمد بن الحسن الرسولي، وقوله: شقيقك من باب التجوز وإلا فهو ابن عمه.

(3) السمط: فتالله.

(4) السمط: طاف.

(5) السمط: ومشتما.

ويَمَّمْت محمود الطرائق يوسفًا ... فلله ملكًا ما أَعَزُّ وأكرما
لقد فخرت غَسَّان منه بماجد ... حَمَاها وأعلاها سماكًا ومرزما
مجيبًا إلى داعي التَّكرم والنَّدا ... وإن هو لم يَدْع ابتداءً تَكَرّما
فدام قرير العين في خَفْضِ عيشة ... ولا زال مأوى للوفود ومنتمى

ولما عاد الأمير شمس الدين والأمير أَسَد الدين إلى مدينة صَنْعاء بمن معهم من الأمراء كان دخولهم صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[1].

وفي شهر رمضان[2] من السنة المذكورة[3]: طلعت الخزائن السعيدة، ووَرَدَتْ الأوامر الشريفة المظفرية بخروج الأمير أسد الدين صحبة الأمير شمس الدين أحمد أيضًا إلى الظاهر، فتجَهَّزَ الأميران وخرجا بالعساكر المنصورة وقصدوا بلاد حاشد، وهي مخلاف ابن وهاس فخَرَبوا فيها مواضع، ثم نهضوا إلى مَصْنعة بني القديم فأخذوها ونهضوا إلى البون، ثم إلى الظاهر فأخذوا موضعًا يسمى الأبرق، ثم قصدوا الإمام أحمد بن الحسين إلى موضع من بلاد حِمْيَر يسمى الهَجْر، وكان قد جمع جموعًا كثيرة إلى نقيل الحصَبَات وأمرهم بحفظ ذلك النقيل، ففرق الأميران عساكرهما في جوانب النقيل فقطعوا على عساكر الإمام وهَزَموهم هزيمة شنيعة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وكان في جملة من قتل الفقيه حميد بن أحمد المحلي، وكان من علماء الزيدية وفضلائها، وله من التصانيف الجامعة والرسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ما ليس لأحد[4]، وقتل من معه من الفقهاء والشيعة، واستأسروا شمس الدين أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان محالفًا للإمام على بني عَمِّه الحمزيين، وهرب الإمام بعد أن أشفى على الهلاك، ثم تحَصَّن في خلب بالمصانع[5]، ثم رجع الأميران إلى الظاهر، وأرادا التقدم إلى حوث فاختلف عليهما العسكر فوصلوا إلى صنعاء، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة.

(1) يعني سنة652هـ.
(2) (العقود اللؤلؤية): 156 (شهر شعبان).
(3) السمط الغالي الثمن: 311.
(4) للتوسع في مقتل المذكور يراجع سيرة المهدي لوحة: 111 وترجمته في (طراز أعلام الزمن): 782 ومآثر الأبرار: 874 ومطلع البدور2: 245 و(غاية الأماني): 440.
(5) السمط الغالي الثمن: 312.

وفي هذه السنة: خرج[1] الشريف جَمَّاز بن حسن من مكة أخرجه الشريف راجح بن قتادة وأبو نمي وإدريس، فأقام بها راجح ثلاثة أيام، ثم أخرجه ولده غانم، وأقام بها إلى شوال، فأخرجه أبو نمي وإدريس فأقاما بها شهر شوال.

وفي شهر شوال[2]: جهَّز السلطان الملك المظفر الأمير مبارز الدين الحسين بن علي بن برطاس في مئتي[3] فارس فلقيه الأشراف على باب[4] مكة فكَسَرهم، وقتل منهم جماعة، ودخل مكة وحَجَّ بالناس.

وفي شهر شوال أيضًا[5]: تجَهَّز الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة إلى الأبواب السلطانية المظفّرية هو وأخوه داود وجماعة من بني حمزة، وكان السلطان يومئذ في محروسة زبيد، فلما وصلوا خَرَجَ السلطان في لقائهم فأكرمهم وأنصفهم، وكان له من المقابلة والإتحاف ما لم يسمع بمثله، وضربت لهم الخيام والمطابخ على باب الشبارق من زبيد مدة إقامتهم، واجتمعوا بالسلطان ثلاثة أيام، وكانت إقامتهم شهرًا، وأطل عيد الأضحى وهم بالباب الشريف، وقال الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام ممتدحًا للسلطان الملك المظفر[6]: [من الطويل]

لعل الليالي الماضيات تعود ... فتبدو نجوم الدَّهر وهي سعود
عفا منزل ما بَيْن نعمان واللِّوى ... وجَرّت بها للراسيات[7] برود
وكانت به العِيْن الغواني أوانسًا ... فَأَضْحت به العين الوحوش ترود
مجرّ أنابيب الرماح ومبتني ... قباب ظباء ريقهن برود

(1) إتحاف الورى1: 67 وغاية المرام 1: 638.
(2) اتحاف الورى3: 76 والسمط الغالي الثمن: 316.
(3) السمط (ثلثمائة فارس).
(4) السمط: 317 (في درب المسفلة سفل مكة).
(5) السمط الغالي الثمن: 312 وسيرة المهدي أحمد بن الحسين لوحة: 118.
(6) القصيدة في السمط الغالي الثمن: 312 - 316 وأوردها أيضا كامله صاحب (سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين) لوحة: 118.
(7) في السمط: الرامسات.

فيا دارنـــا بين العُيَيْنَةَ والحِمَى ... هل الرَّوض روض والزَّرود زرود
[فكيـف بمـن أمسـى ظفـار مَحَلَّـه ... ومن بات قد حالت عليه زَبيد][1]
هــواي بـنجـد والـمـنى بتهامة ... مَتَى تلتقي بالمُتهمين نجود
وإن فتى دامت مواثيق عَهْده ... على مثل ما لاقيته لَجَليدُ
ولما شرى البرق الشَّآمِي[2] هاج لي ... جوًى واشتياقًا ليس فيه مزيد
فهل لجنوب الرِّيح أن يلثم الثَّرى ... بِنَشْر تحيّات لهن صعود
على أَرْبُعٍ بين الصَّعيد وصَعْدة ... وبين بَراش لي بهنّ عهود
مشاعر حَجّ الطَّالبين فلا الأذى ... قريب ولا نَجْح الرَّجاء بعيد
كرمن فلا يخشى الغوائل عندها ... منيب ولا يَخْشى الهوان طريد
ملاعب أمهار الجياد وملتقى ... مجامع لا تشقى بهنٌّ وفود
وأبراج أشباه المها[3] في كناسها ... عليهن من نَسْج العفاف برود
أقمت[4] بها أيام لا البغي نافث[5] ... بنار ولا بين الرِّجال حقود
ظِلالي فيها للورى غير قالص ... وبِرِّي حوض لست عنه أذود
وقومي يوم الرَّوع جِنٌّ وفي النَّدى ... بحور وحلمًا كالجبال ركود
فنَحْن طوال الناس عِزًّا وتنتهي ... إلى الأفق أيدينا ونحن قعود
إلى أن دعى داع إلى البَغْي للورى ... وأعلن فيها كاشح وحسود
ودلَّ عليَّ الحلم قومي وألبست ... ممالك لم ينظم لهنَّ عقود

---

(1) هذا البيت سقط من السمط.

(2) السمط: اليماني.

(3) في (و) المنى.

(4) السمط: نعمنا بها.

(5) سيرة الإمام المهدي: ثاقب.

وأنكر إحساني الذين جلودهم ... عليهم إذا استشهدتهن شهود
فكم مات من قَوْم فحيَّوا بحلمنا ... وكم أخلفت سحب ونحن نجود
بسطنا على العرب المكارم بَسْطة ... لنا أَبطْرتهم والضَّلول جحود
ولما صَبَرْنا ظَنَّت النَّاس أننا ... على كل خسف سادرون هُجُود
فما سَنَّ فينا النَّاس إلا ظلامة ... كما سَنَّ في قتل الحسين يزيد
لقد أجحدتنا الناس كل فضيلة ... كأنا نصارى ملَّة ويهود
ولما قَصَدْت الملك ذا التاج يوسفًا ... عَلِمْتُ بأن الهَمَّ ليس يعود
دعوت فلَبَّاني فتى لا مزِيّد ... ملول ولا واهي اليَدَيْن بليد
وما لي لا أرخي الرِّكاب إلى ذرى ... به الشهب[1] شهب والصَّعيد صعيد
وألفيت كَفِّي في أنامل لم تخن ... عهودًا ولم تُخْلف لَهُنَّ وعود
وما ابن أبي حفص[2] بدون الذي دعا ... له الحِمْيري[3] المَلْك وهو فريد
أعاد إليه ملك غمدان وابتنى ... مكارم[4] في الدنيا لَهُنَّ خلود
مكارم سَنَّتْها الملوك ويوسف ... لآثار ما سَنَّ الملوك يُشِيْدُ
فسوحك مَقْصود وكَفّك قاهر ... وجَدُّك منصور وأنت حميد
صَبَرْت على حَمْل العظائم فانتهت ... إليك العلا إن الصَّبور سعيد
وفي كلِّ يوم أنت تبدو على العِدَى ... بخطب وتبدي في النَّدى وتعيد
سبيل فتى لا الموت[5] يطرق همه ... ولا الموت فيما يَتَّقي فيحيد
ويعلم أن الدهر ليس بدائم ... وأن خلود المكرمات مُفيد

---

(1) سيرة المهدي: (الشهب).
(2) أبو حفص هنا هو الممدوح يوسف بن عمر.
(3) يعني سيف بن ذي يزن الحميري.
(4) السيرة (مفاخر).
(5) السيرة (العيش).

أَنَخْنا بك الآمال وهي ركائب ... لأرسانها لطف الإله يقود
وقد كنت عَرَّيت الرَّواحل برهة ... وأطرقت حتى لا يقال مزيد
وداويت لابن العم[1] داءً وجدته ... على الصَّبر ينمو خَطْبه ويزيد
فأدنيت من أمواج بحرك غمرة[2] ... أصول بها فيمن بغى فيبيد
وحف بِسَرْجى التُّرك والعرب فاغتدي ... بعزِّك ركني اليوم وهو شديد
كذا يَسْتعين الحر بالحُرِّ واثقًا ... بِرَبِّ له كل الملوك عبيد
بِمَن بَشَّر المظلوم في كلماته ... بِنَصْر له أهل السَّماء جنود
فدم في ظلال الملك ما هَبَّت الصَّبا ... وما جَنَّ في جَنْح الظلام رعود

ولما عزم[3] الأمير شمس الدين على الرّجوع حَمَل إليه السلطان من الأموال والخيول والكساوي والطُّرف ما لا يعلمه إلا الله، وأقطعه مدينة القَحْمة وجهز معه مئة فارس من المماليك البحرية والحلبة، فَتَقَدَّم الأمير شمس الدين إلى الجوف فاستباحه، وكانت له فيها وقعات عظيمة.

وفي سنة ثلاث وخمسين[4]: جمع أشراف مكة جمعًا عظيمًا، وقصدوا المبارزبن برطاس وحاصروه بمكة، ودخلوا عليه من رؤوس الجبال وقاتلهم في وسط مكة، فكثروه[5] وكسروه وقتلوا جماعة من أصحابه ولزموه، فاشترى[6] نفسه منهم وعاد إلى اليمن هو والجُنْد الذين

(1) يعني به الإمام المهدي أحمد بن الحسين.

(2) السيرة (لجة).

(3) السمط الغالي الثمن: 316 و(كنز الأخيار): 102 وسيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين لوحة: 188 يقول: أقام الامراء عنده ينقل إليهم الكرامات المختلفة ولم تمض إلَّا ليال حتى عرضت لهم الحُمَّى الوبائية فلم يبق منهم إلا القليل ولما رأى السلطان ما نزل بهم خَلَا بالأمير شمس الدين ثم أمر له بنيف وأربعين ألف دينار من الدنانير الملكية وأمر لهم جميعا بالكساوي فصدروا عنه شاكرين لإحسانه.

(4) السمط الغالي الثمن (بتوسع): 317 وإتحاف الورى3: 76.

(5) كذا في الأصل.

(6) السمط: 320 واشترى ابن برطاس نفسه بخمسة آلاف دينار.

كانوا معه هنالك، ووقعت[1] الحرب بين أشراف مكة وبين أهل العراق، فأصلح بينهم أمير حاج الشام[2].

وفي سنة أربع وخمسين: خرجت[3] نار بالحجاز بالقُرْب من مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، فكانت تأكل الحجر ولا تضرّ الشجر، فأقامت مدة يعلو لهبها ودخانها ليلًا ونهارًا، وكانت ترى على مسافة أيام، ثم طفئت بعد مدة، وهي التي ذكرها رسول الله ﷺ فقال: «تظهر في آخر الزمان نار شر قي المدينة تضيء لها أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام»، فكان كذلك[4].

وفي شهر رمضان من هذه السنة[5]: احترق مَسْجد رسول الله ﷺ ولم يبق إلا الضَّريح الشريف فإنه لم تصله النار ببركة رسول الله ﷺ، فأرسل الخليفة بعمارته وآلاته من بغداد إلى قاضي الشرع، فلم يتمَكّنوا من عمل الستارة، فاشتروا من بني شيبة ستارة الكعبة وعَلَّقوها على الضريح الشريف.

وفي سنة خمس وخمسين[6]: حصل قحط عظيم، وارتفع سعر الطعام ارتفاعًا كليا في صنعاء وصعدة والظاهر، ومات كثير من الناس جوعًا، وأقام ستة أشهر، ولما اشتد أكل الناس الكلاب والسباع[7].

وفيها[8] اجتمع علماء الزيدية، وفيهم الشّيخ أحمد بن محمد الرصاص فعابوا على الإمام أحمد بن الحسين أشياء من سيرته وطعنوا عليه وأنكروا أفعاله إنكارًا عظيمًا، وأمر بإخافتهم

---

(1) إتحاف الورى 3: 78.

(2) في إتحاف الورى (بسعى الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل صاحب الكرك).

(3) انظر هذا الخبر في البداية والنهاية13: 187 ط مكتبة المعارف بيروت ونقل المؤلف هذا الخبر عن السمط الغالي الثمن: 321.

(4) قال ابن كثير: في البداية والنهاية13: 191 هذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.

(5) البداية والنهاية 13: 193.

(6) (العقود اللؤلؤية): 164.

(7) في مآثر الأبرار 2: 876 وكان زمان شدة وقحط بلغ فيه الصاع النبوي عشرة دراهم قفلة حتى أكل بعض الناس بعضهم بعضا بعد أن أكلوا الدواب والحمير والأشجار وانقطعت المناهل وعدم الطعام ومات الناس في الشوارع جوعى تا كلهم السباع والكلاب.

(8) السمط الغالي الثمن323.

فلحقوا بالمغرب، وقيل: خرجوا من حوث على وجه الغضب إلى بلاد بني صفي الدين[1]، فأرسل إليهم السيد الحسن بن وهاس ليسمع ما عابوا عليه، فقال له خواصه: لا ترسله إليهم فإنهم يستميلونه إليهم، فخالفهم وأرسله، فلما وصل إليهم ناظروه فاستمالوه وصار واحدًا منهم، فاجتمعت كلمتهم وصار رأسهم، فكاتبهم الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام [عبد الله بن حمزة][2] يطلب منهم الاتفاق على حرب الإمام فأجابوه إلى ذلك، فسر بذلك سرورًا عظيمًا، فخرج من صنعاء وطلعوا إليه من المغرب، فالتقوا بالبون وصارت كلمتهم واحدة، واجتمعوا على قتاله بعد أن سألوه المناظرة فيما عابوه من سيرته [فأبى][3]، فكتب الأمير شمس الدين إلى الملك المظفر يعلمه بميل الشيعة عن الإمام ويستمده المال، فأرسل إليه بمئة ألف درهم مع الشريف [علم الدين][4] حمزة بن الحسن فوافاهم قبل الوقعة بساعة، فكانت الكاسات[5] مطروحة بين الخيام حتى كان ما كان[6].

ولما اجتمع الأشراف والشيعة على قتال الإمام وكان اجتماعهم بشوابة خَرَجَ الإمام بعسكره من حصن مدع نحوهم، وكان ظاهر الأمر من الفريقين اللقاء للمناظرة لا للحرب، فحط الإمام قريبًا منهم في موضع يقال له: المنظر فوق قرية شوابة، ثم نهض من المنظر إلى موضع في غيل شوابة فاعترضته طلائع الأشراف دونها ووقع القتال وتذامرت عليه الأشراف من كل جانب، وفشل عسكره ولم يثبتوا وكانوا ثلاث مئة فارس ونحوًا من ألفي راجل، وكان بنو حمزة ثمانين فارسًا وأربع مئة راجل، فلما رأى انهزام عسكره عدل إلى موضع قريب

(1) في (كنز الأخيار): 104 بلاد بني صفي الدين بالمغرب، (ويعني مغارب صنعاء وحصن براش ونواحيه).
(2) زيادة من (ع).
(3) سقط من (ع).
(4) زيادة في (و).
(5) في (ع) الكاشات: والكاسات هنا أكياس النقود أو الصُّرر، وعبارة (غاية الأماني): 445 فطرحت الدراهم بين الخيام قال: ولقد رأيت الدرهم المظفري وإذا هو فضة خالصة وزنه نصف قفلة أو زيادة مكتوب في الدائرة الوسطى بسم الله الرحمان الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق وفي الدائرة الخارجية ليظهره على الدين كله أبو بكر عمر عثمان علي ﷺ وفي الدائرة الوسطى من ظاهره عَمَّر السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور وفي الخارجية الإمام المستعصم بالله أمير المومنين ضرب بزبيد سنة 650هـ انظر (غاية الأماني): 445.
(6) توسع في ذكر قتل المهدي أحمد بن الحسين صاحب كتاب (مآثر الأبرار) نقلا عن سيرة المهدي 2: 876 - 881.

منه، فاستقام فيه وظن أن الناس يقاتلون عنه فهربوا عنه وأسلموه فريدًا فعقرت فرسه حينئذ، وتولى قتله رجالة ظفار، ولم يباشر شمس الدين له لا ضربة ولا طعنة.

ولما قتل رحمة الله عليه قطعوا رأسه وجاؤوا به إلى شمس الدين وإلى ابن الرصاص وسائر فقهاء الشيعة، وحَمَل بعد ذلك إلى ظفار ووكّب[1] به في مدينة ظفار وطيف به في الحصون والأسواق، ولما داروا[2] به في الحصون والأسواق وغيرها، أمر الأمير علي بن موسى بن عبد الله بتكفينه ودفنه في المشهد فصدّه عن ذلك أهل المشهد، وقالوا: لا يحل قبره في المشهد، فقبر تحت حصن القاهر في موضع الكنف والأزبال حتى أمر الأمير شمس الدين بإنزاله إلى شوابة وقبره مع جثته فقبر في موضع يقال له: الشرعة من غيل شوابة، فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين، ثم نقل إلى ذيبين، فهو هنالك إلى عصرنا هذا يزار.

قال الجَنَدي[3]: وأخبر الثقة أن موضع قبره الأول بشوابة توجد عنده رائحة المسك، وكان قتله[4] يوم الأربعاء سلخ شهر صفر من سنة ست وخمسين وست مئة.

وقال الجَنَدي[5]: قتل في اليوم[6] الذي قتل فيه الخليفة ببغداد، وكان الخليفة المستعصم قد كَتَب إلى السلطان الملك المظفر يأمره بأحمد بن الحسين حين بلغه ظهوره وإقبال الناس عليه ووعده على ذلك إقطاع مصر، وكان الإمام أحمد بن الحسين أمثل أئمة الزيدية المتأخرة علمًا وعملًا وجودًا وكرمًا، وللقاسم بن هتيمل فيه غرر المدائح موجودة في ديوانه.

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين في التَّاريخ المذكور كتب الأمير شمس الدين إلى السلطان الملك المظفر وأرسل رسولًا على الفور معجلًا، وكانت نسخة الكتاب[7]: بسم الله

---

(1) أي رقصوا برأسه في موكب حافل.

(2) في (ع) أراد الله.

(3) (السلوك) 2: 548.

(4) في هامش سيرة المهدي لوحة 154: وكان استشهاده صبح انتهاء يوم الأربعاء لليلة أو ليلتان بقيتا من شهر صفر سنة 656هـ.

(5) الجَنَدي: (السلوك): 458.

(6) في البداية والنهاية لابن كثير 13: 204 كان قتل المستعصم يوم الأربعاء أربع عشر صفر من السنة فيكون قد تقدم قبله على المهد بنحو اثني عشر يوما.

(7) السمط الغالي الثمن: 231.

الرحمن الرحيم، نجدد السعادة ونشكر النِّعمة لله تعالى، ثم للمقام المعالي خَلَّد الله ملكه، وننهي صدورها من المصاف بشوابة ورأس أحمد بن الحسين بين يدي[1]: [من الطويل]

وأبلج ذي تاج أشاطت رماحنا ... بمعترك بين الفوارس أقتما

هوى بين أيدي الخيل إذ فَتَكَتْ به ... صدور العوالي تنضح المسك والدَّما

وعلى إثر الوقعة تقَدَّم الأمير شمس الدين إلى الجوف، ثم إلى صعدة وكافة أصحابه.

وفي يوم ثالث قتل الإمام: كانت دعوة الشريف الحسن بن وهاس إلى نفسه بالإمامة فبايعه الشيعة والأشراف، ونهض عامة الزيدية وتأَخَّر الباقون، ولما بويع الحسن بن وهاس سار إلى صعدة واقتسم هو والأمير شمس الدين الحصون والبلاد نصفين، ولما علم السلطان الملك المظفر ببيعة الحسن بن وهاس خرج [بنفسه][2] في عساكره المنصورة إلى الموسعة، ثم أرسل الأمير أحمد بن علوان إلى الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام إلى صعدة، وقد ظَنَّ به الظنون، فرجع أحمد بن علوان بما أرضاه من العلم فعاد ركبانه[3] إلى تعز المحروسة[4].

ثم جهز العساكر المنصورة صحبة الأمير مبارز الدين الحسين ابن برطاس إلى حَجَّة، فاستولى على بعض حصونها.

واشتد القحط والغلاء بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين ومات كثير من الناس، ولاسيما فقهاء [المدينة[5]] الزيدية والحمزيين، وأول من مات منهم: الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، توفي في شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة بصعدة، وقيل: كانت وفاته في الثالث عشر من جمادى الأولى [فقام بالأمر بعده أخوه الأمير نجم الدين موسى بن الإمام فلم يلبث أن مات][6]، ثم مات أخوه الحسن بن الإمام، ومات طائفة من أولاد [الحسن بن][7]

---

(1) انظرهما في السمط: 231 و(غاية الأماني): 446.

(2) سقط من (و).

(3) في (ع) كتائبه.

(4) السمط الغالي الثمن: 232.

(5) في (و): العرب.

(6) سقط من (و).

(7) زيادة في (ع) وانظر مآثر الأبرار: 884.

وهاس[1]: سليمان وعبد الله والمؤيد وإبراهيم[2].

ثم قام[3] من بني حَمْزة الإمام صارم الدين داود بن الإمام، فاتفق هذا هو والإمام الحسن بن وهاس، وخالف عليهما محمد بن سليمان بن موسى بن داود بن علي بن حمزة بن سليمان بن حمزة، فمال إلى خدمة السلطان[4].

ولما رجع الأمير مبارز الدين الحسين ابن برطاس من مَخْرج حَجَّة إلى الأبواب السلطانية، جَهَّزه السلطان أيضًا إلى حَجَّة إلى شمس الدين علي بن يحيى في جَيْش كثيف، وكان فيها الأمير أبو الحسن أحمد بن قاسم ابن عَمّ الإمام أحمد بن الحسين، فلما وصل الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى مفرق - وهو واد بين المخلافة وحجة - كتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم بيتًا وهو[5]: [من الطويل]

أبا حسن ما جئت مفرق طالبًا ... لمفرق لكن غير مفرق أطلب

فأجابه الفقيه نظام الدين القاسم بن أحمد الشاكري على لسان الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم ببيت واحد أيضًا، وهو:

أبا حسن قد يجلب اليوم ما ترى ... وقد ربّما احتكت بالأفعاء عقرب

ولم يلبث[6] الأمير علي بن يحيى أن عاد إلى الأبواب السُّلطانية وتسلم السلطان حصن أشيَح في ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم كانت المحَطَّة على حصن الكميم، حَطَّ عليه الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى، والأمير شمس الدين علي بن يحيى فتَسَلَّموه في سنة سبع وخمسين.

وفي سنة سبع وخمسين[7]: تَسَلَّم السلطان حجة وحصونها وحصن الربعة، وتسلم هداد، وكان الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى بن داود بن علي بن حمزة قد مال إلى

(1) في السمط (وهاس بن سليمان).

(2) كذا في الأصل وفيه سقط واضطراب، انظر (العقود اللؤلؤية): 168.

(3) (كنز الأخيار): 104.

(4) السمط الغالي الثمن: 332.

(5) السمط: 333.

(6) (كنز الأخيار): 105.

(7) (غاية الأماني): 448 و(قرة العيون): 325.

خدمة السلطان كما ذكرنا، وبنى موضعًا يسمى الروق[1] في بلاد بني صرار فضاق الأمير أسد الدين محمد بن الحسن وأمر مملوكه الأمير جمال الدين أقوس الألفي فحَطَّ على الروق حتى كاد يأخذه، ثم طلع مولانا السلطان إلى مخلاف ذمار فأخذ براش العرش قَهْرًا بالسيف فأخربه واستأسر منه ولد الأمير أسد الدين في جماعة كثيرة، ثم أخذ الروق[2] وأخربه أيضًا.

ولما خالف الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى على الإمام الحسن بن وهاس استولى على الجوف، فسار إليه الأمير صارم بن داود بن الإمام، والأمير نجم الدين علي بن وهاس في عسكر عظيم من عسكر أخيه، وكان محمد بن سليمان في سوق دعام، فلما وَصَلَه العسكر قابلهم فكسروا ودخلوا عليه الدرب قهرًا، فالتجأ إلى دار فيها [فدخلها][3]، فدخل عليه الحسن[4] بن محمد الجحافي فقتله، وتثور بأبيه محمد بن جحاف، وكان سليمان بن موسى قد أسر محمد بن جحاف في جماعة من أصحابه، ثم ضَرَبَ أعناقهم صبرًا، فظفر ابنه في هذا اليوم بمحمد بن سليمان فقتله بأبيه، وكان جملة القتلى في هذه الوقعة مئة رجل، ثم لم يَلْبث الأمير صارم الدين داود بن الإمام والإمام الحسن بن وهاس أن افترقا وصار ما بينهما متباعدًا أشد التباعد[5].

وفي هذه السنة[6]: وقعت الزلزلة بصنعاء في الرابع من ذي الحجة، ولم تخرب شيئًا، ثم وقعت زلزلة أخرى بالمغرب[7] أخذت جبالاً وهدمت مواضع كثيرة، وكانت في الثاني والعشرين من الحجة أيضًا.

وفيها[8]: تولى السلطان[أيضا][9] أمر الحرم وعمارته وإقامة مناره وخدمته، وجوامك خدامه.

(1) السمط الغالي الثمن: 337.

(2) السمط الغالي الثمن: 337.

(3) سقط من (و).

(4) كذا في الأصل والعقود وفي السمط الغالي الثمن وفي(كنز الأخيار): 105. الحصن بن محمد بن جحاف وهو الصواب وفي (قرة العيون): 325 (الخضر بن محمد) خطأ. والله أعلم.

(5) (كنز الأخيار): 105 و(غاية الأماني): 448.

(6) (العقود اللؤلؤية): 170.

(7) يعني مغارب صنعاء (سبق ذكرها).

(8) إتحاف الورى3: 81.

(9) سقط من (و).

وفي سنة ثماني وخمسين[1]: طلع السلطان صنعاء فدخلها في المحرم أول السنة المذكورة، وكان الأمير أسد الدين محمد بن الحسن في ذَمَرْمَرَ فطلب من مولانا السلطان أن يجهِّزه إلى حضرموت فساعده إلى ذلك وزَوَّده، فخرج إلى الجوف فلقيه خضر[2] بن محمد بن جحاف وعبد الله بن منصور بن ضيغم فطلبوا منه النصرة على آل راشد بن ضيغم[3] فأجابهم إلى ذلك، وكانوا حلف[4] مولانا السلطان فوقعت الحرب بينهم فقتل طوق بن حميدان في جماعة من آل راشد، فلما علم السلطان بذلك ضاق صَدْره على الأمير أسد الدين وتعذَّر على الأمير أسد الدين المسير[5] إلى حضرموت، فتوجه نحو ظفار[6] الأشراف فأقام فيه أيامًا.

ثم خرج[7] الأمير صارم الدين داود ابن الإمام في عسكره، والأمير أسد الدين فيمن بقي معه من مماليكه، وقد كان لحق أكثرهم بالسلطان وتأَهَّبُوا لحرب الإمام الحسن بن وهاس فالتقوا بعصافر[8] فانهزم عسكر الإمام، وثبت ثباتًا حسنًا، وقاتل قتالاً شديدًا، وكان فارسًا شجاعًا من الشجعان المشهورين فانهزم أصحابه، ولم ينهزم وكان لا ينهزم أبدًا، ولذلك أسر ثلاث مرات، هذه المرة الثالثة، وفي كلها يأسره الأمير أسد الدين، وهذا من عجيب الاتفاق، ولم يزل مسجونًا عند الأمير صارم الدين عشر سنين، ثم أخرجه على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفي شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة[9]: تقدم الركاب العالي إلى اليمن[10] المحروس، وترك الأمير شمس الدين علي بن يحيى[11] في صنعاء مقطعًا، فلم يقم إلَّا قليلًا حتى وصل

(1) السمط الغالي الثمن: 337 و(كنز الأخيار): 105 و(غاية الأماني): 448.

(2) كذا في الأصل و(قرة العيون): 325 و(غاية الأماني) وفي السمط: 339 (حصن بن محمد بن جحاف) وكذا في (العقود اللؤلؤية): 172 (طبعتنا).

(3) في (و) منيف وأثبتاه من (ع) والسمط والعقود و(قرة العيون) و(غاية الأماني): 448.

(4) السمط (محلف).

(5) عبارة السمط (الرواح إلى المشرق).

(6) في (و) ذمار.

(7) السمط الغالي الثمن: 239.

(8) (كنز الأخيار): 105 و(قرة العيون): 326.

(9) السمط الغالي الثمن: 342 و(كنز الأخيار): 105.

(10) يعني اليمن الأسفل أو الجهات الجنوبية وقد سبق ذكر اليمن الأعلى.

(11) يعني العنسي سيأتي ذكر اعتقاله مع أسد الدين.

الأمير أسد الدين فحَطَّ في المدورة فوق الحمراء، وكان يغير إلى صنعاء فأغارت خيله عشية إلى صنعاء، فخرج العسكر لقتالهم، فقتل مملوكه جمال الدين أقوس[1] الألفي فأصيب بسهم، وكان الذي رماه الأشقر أحد مماليك أسد الدين أيضًا، ولكنه قد صار في جملة العسكر السلطاني، وكان الألفي أحد المماليك المشهورين بالشجاعة والكرم، ولما بلغ السلطان ما كان من أسد الدين جَهَّز الأمير علم الدين سنجر الشعبي مغيرًا إلى صنعاء فارتفع الأمير أسد الدين من محطَّتَه ولحق ببلاد الشرف، ولم تقم له راية بعد ذلك، وأعاد الأمير علم الدين المحاط على براش، وبقي الأمير أسد الدين يتردَّد من ظفار[2] إلى ظفر[3]، ثم لحقته مضرة شديدة حتى باع ثيابه، فكَتَبَ إلى السلطان كتابًا يقول فيه[4]: [من الطويل]

فـإن كنت مـأكـولًا فكن لـي آكلا وإلا فـأدركـنـي ولـمـا أمـزق

فأمر السلطان الأمير علي بن يحيى والأمير [عبد الله بن العباس][5] إلى الأمير أسد الدين فما زالا به حتى نَزَلَ معهما إلى السلطان، وإنما أرسل إليه السلطان الأمير علي بن يحيى لما يعلم بينهما من المحبَّة والصداقة، فلما وصل الأمير شمس الدين إلى الأمير أسد الدين بكى عنده وتألم من القَبْض على أبيه وأخيه، وقال له: لعلك في القرب أنفع لهم من البعد، ولعلَّنا ننتظر فرصة من الدهر فنفعل كذا وكذا. فنقل ذلك إلى السُّلطان، وكان السلطان يومئذ في محروس زبيد فلما وصلوا زبيد أمر السلطان بالقبض عليه وعلى علي بن يحيى فَقَيَّدَهما وأرسل بهما إلى حصن تعز، فقال في ذلك القاضي سراج الدين أبو بكر بن دعاس[6]: [من البسيط]

مـا دار في فـلـك الأيــام ذا أبـدًا كَـلَّا ولا دار لـلأقـوام في خَـلَـد

(1) (الكنز): أقوش بالشين آخره وأقوس من أسماء المماليك في ذلك الوقت، انظر السلوك للمقريزي 3: 17، 45 وبهجة الزمن: 174 أفوس بالفاء.

(2) يعني ظفار داود من بلد حاشد (سبق).

(3) بلدة من حجه.

(4) من أبيات مشهورة تنسب للممزق العبدي، وبه لقب انظر (خزانة الأدب) 7: 280.

(5) زيادة لا توجد في السمط ولا في (الكنز) و(قرة العيون): 326 والمذكور من الكتاب كان من أتباع أخيه قطب الدين ثم رجع إليه انظر السمط الغالي الثمن276 وهو مترجم له في (السلوك) 2: 62 والعطايا السنيَّة: 239 و(طراز أعلام الزمن): 122 وكان صاحب مكتبة كبيرة.

(6) البيتان في (العقود اللؤلؤية): 174 و(قرة العيون): 326 (نقلا عن كتابنا هذا).

إن الكسوف جميعًا والخسوف معًا   في ساعة في نزول الشمس في الأسد[1]

فلما وصلوا بهما إلى [حصن][2] تعز ودخل الأمير أسد الدين على أبيه وأخيه وعمِّه وابن أخيه محمد بن خضر جعلوا يعاتبونه ويخاصمونه، فقال لهم: يا هؤلاء لا نكن مثل أهل جهنم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38]. فلم يزالوا في السجن إلى أن توفوا.

فأما الأمير بدر الدين الحسن[3] بن علي بن رسول فتوفي في سنة اثنتين وستين وست مئة، وهو الذي بنى المسجد بعكار[4] عند تربة أبيه علي بن رسول ووقف وقفًا جيدًا للدرسة ومدرس وإمام ومؤذن وضيف إن نزل بالمسجد.

وأما الأمير أسد الدين[5] محمد بن الحسن بن علي بن رسول فإنه مات في السجن وحسنت سيرته، ونسخ كتبًا كثيرة ومصاحف ومقدَّمات ووقف شيئًا منها في ذي عقيب وشيئًا في مدرسته التي أنشأها.

[**ومن المآثر التي أنشأها**][6] **الأمير أسد الدين:** مدرسة[7] بقرية الخبالي[8]، حيث كان يسكن فيها، وفيها تربته وتربة ذريته، وله مدرسة في مدينة إب وبنى سَدًّا في قرية قرفة ووقف على الجميع وقفًا يقوم بما يليق من حاله، وكان يَسْتدعي الفقيه أحمد بن علي السرددي وغيره من الفقهاء إلى السِّجن ويسمع عليهم هو وعلي بن يحيى ومحمد بن خضر كتب الحديث، وكان كثير الإحسان إليهم، وكان من أكمل بني رسول في [الدين][9] والشجاعة والكرم وعُلُوّ

(1) إشارة إلى ما عرف عند المنجمين من أن الشمس تمر من برج الأسد من يوم 22 يوليو إلى 22 أغسطس وهو حسب زعمهم تدل على الشخص القوي والراحة التامة انظر (الموسوعة الحرة).

(2) زيادة من (ع).

(3) انظر ترجمته بتوسع في (طراز أعلام الزمن): 702 - 707.

(4) قال الجندي في (السلوك) 2: 549 (وقد دَرَّست به أشهرا).

(5) انظر ترجمته بتوسع في (طراز أعلام الزمن): 1851 - 1855 و(العقود اللؤلؤية): 253.

(6) سقط من (ع).

(7) علَّق في (ع): هذه المدرسة في سنة 1088هـ خراب لا يُؤَذَّنُ ويقيم فيها إلاَّ البوم.

(8) في مطبوعة (السلوك) (الجبابي) ومطبوعة الطراز ط مكتبة الجيل الجديد (الحبالى) وما أثبتاه من المدارس الإسلامية: 126 قال: قرية الخبالي من عزله وراف من أعمال ذي جبلة.

(9) زيادة من (و) وهي كذا في (السلوك).

الهمة، وكان [أيدًا][1] قويًا شديدًا وبقوته يضرب المثل، فكان يقبض على الركاب الحديد ويضم بعضه إلى بعض، ورمى الهلال الذي على رأس منارة صنعاء بِدَبُّوس من حديد فأماله عن مستقره، وكان وفاته على الطريق المرضي في السِّجن يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة من سنة ست وسبعين وست مئة، وله ذرية[2] مشتغلون بالعلم والعمل إلى يومنا هذا.

واجتمعت ذرية بني رسول بقرية الخبالي وعَكَّار، وكان فيهم من يسطو على الناس بإدلال قرابة السلطنة، فشق ذلك على كثير من الناس، فكتب منصور[3] بن حسن - وكان يومئذ ملتزم المخلاف - إلى مولانا السلطان الملك المظفر يعلمه بالحال، فعاد جوابه: أنفك[4] منك وإن جدعت.

[وتمثل بقول الأول][5] [من الطويل]

وإن كنت أكالًا لحوم بني أبي ... فلست بمهديها إلى كل جازر

فلله دره ما أكرمه.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه[6]: وقد جرى مثل هذه القصة في أيام السلطان الملك المجاهد، وذلك أن بعض بني رسول هو والأمير شرف الدين محمد بن الأمير صلاح الدين أبي بكر ابن السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وكان قد استوطن قرية النويدرة بزبيد وتَدَيَّرَهَا وكان رجلًا لبيبًا عاقلًا أديبًا، فاحتاج إلى معاشرة الناس على اختلاف حالاتهم، وكان يعامل كل أحد بما يليق به، ويعامل السوقة والسفلة ومن لا إنسانية فيه بما يليق بهم من إظهار الجبروت والبطش، فيشكونه إلى الوالي بزبيد - وهو محمد[7] بن أحمد بن الخرتبرتي - فلا يجد مقدمًا عليه، وكان لشرف الدين

---

(1) زيادة من (و).

(2) توسع في ذكر أحفاده من العلماء المؤرخ عبد الوهاب البريهي في تاريخه الكبير 270 - 274 (تحقيقنا) نشر دار المقتبس سنة 1436هـ قال: ومنهم العلامة محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن وأولاده بدر الدين وصلاح الدين وشمس الدين وغيرهم.

(3) هو منصور بن حسن بن إبراهيم الفرسي أحد أعيان الكتاب توفي سنة: 700هـ ((السلوك): 2: 28).

(4) كذا في الأصل وأصل المثل (أنفك منك وإن كان أجدع) انظره في جمهرة الأمثال للعسكري2: 198.

(5) زيادة من (السلوك) 2: 550ولا يوجد في الأصل.

(6) من زيادات المؤلف على (السلوك).

(7) ذكره المؤلف في (العقود اللؤلؤية): 458.

المذكور غلام يجلب الحناء من وادي زبيد[1] ويبيعه تحت بيت سيده في النويدرة، فشكاه ضامن[2] الحناء أيضًا إلى الوالي المذكور، فكتب الأمير ابن الخرتبرتي إلى السلطان الملك المجاهد، رحمة الله عليه، يشكو حاله ويعدد أفعاله ويذكر بيع الحناء وأنه كسر الضامن، فكتب السلطان الملك المجاهد إلى الأمير المذكور يقول: يا محمد، أما رضيتم ببعض بني رسول أن يبيع عندكم الحناء، فلا وسعه الموضع؟ إذا قدرت أن تقصره فأقصره، وأما نحن فلا نمنعه عن شيء من ذلك، فامتنع الأمير وغيره عن معارضته.

وأما محمد بن خضر فإنه أطلق من السجن بعد وفاة الأمير علي بن يحيى وأقام في مسكنه بالمنظر غربي الخبالي وكان خَيِّرًا فاضلًا عالمًا بأخبار الناس، ذاكرًا للتواريخ، كثير المطالعة في الكتب، ولم يزل السلطان الملك المظفر ومن بعده من الملوك يَجْرون عليه ما يقوم بحاله إلى أن توفي في النِّصف من شعبان سنة سبع وسبع مئة[3].

ولما قَبَضَ الأمير شمس الدين علي بن يحيى وكان مقطعًا بصنعاء طلع عقيب ذلك الطواشي نظام الدين مختص نائبًا في صنعاء، ورجعت المحاط على فدة وبراش والظَّفر فأقام مدة، ثم طلع بعده فيروز فأقام أيامًا قلائل، ثم طلع الأمير عِزّ الدين هبة بن الفضل مستخلصًا للأموال، فاستخلصها على أتم ما يكون، ثم تَسَلَّم السلطان حصن خيرة في شهر رجب، وكان بناه بنو وهاس فأخرب بعد ذلك التسليم، ثم تسَلَّم حصن فدة في ذي الحجة من السنة المذكورة [ثم تسلم السلطان حصن براش][4].

وفي سنة تسع وخمسين[5]: تسلم السلطان حصن عضدان في المحرم أول السنة المذكورة، ثم تسلم السلطان حصن براش في رجب من السنة المذكورة من الشَّريف أحمد بن محمد العلوي وعَوّضه عنه المصنعة وعَزَّان من بلاد حِمْيَر ومالًا أعطاه إياه[6].

---

(1) في (ع) وادي الحناء.

(2) في (ع) والى الحناء.

(3) السمط الغالي الثمن: 345.

(4) زيادة من (ع) وفي السمط: 346 (ثم تسَلَّمَ خضر حص براش بالمشرق وأخرب أيضًا) كذا في مطبوعة (السمط).

(5) السمط الغالي الثمن: 346.

(6) (كنز الأخيار): 106.

وفي شهر رمضان من هذه السنة المذكورة: طلع[1] الأمير علم الدين سنجر الشعبي صنعاء مقطعًا لها ولأعمالها.

وقد تَأَهَّبَ[2] السلطان لأداء فريضة الحج، فخَرَجَ من حصن تعز في شوال من السنة المذكورة، وكان له من الصَّدقات في البر والبحر ما لا يعلمه إلا الله، وكان يسير في البر والمراكب تسير في البحر مسايرة له بالعلوفات والأطعمة، فلما قارب مكة، حرسها الله تعالى، خرج عنها الشريفان إدريس بن قتادة وأبو نمي بن أبي سعيد بن علي بن قتادة خوفًا منه، ثم دَخَلَ مكة في عساكره وجنوده داعيًا ملبيًا خاشعًا متضرِّعًا، عاري الرأس والجَنْب حتى قضى حَقّ الطواف، ثم تَقَدَّمت العساكر والجيوش فحَطَّتْ في الحُجُون ولم تزل إلى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف بعرفة، فوقف بالصَّخرات، وطلعت أعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر[3] مضمومة، فقال الأمير عز الدين[4]: هلا أطلعت أعلامك يا مولانا قبل أعلام المصريين، فقال: أتراني أؤخِّر أعلام ملك كَسَر عساكر التتر بالأمس[5] أو أقدم أعلامي لأجل حضوري ومغيبه؟ لا أفعل هذا أبدًا، ثم مَضَى في حَجِّه حتى أَتَمَّه، ثم قصد البيت الشريف وحَلّ له ما حرم عليه، ولم يزل مدة إقامته بمكة يصلِّي المغرب على قبة زمزم، ثم يطوف واردًا وصادرًا، ثم خَدَمَ البيت الشريف، وأخذ المكسحة فكَسَحُهُ، وتأبطَّ للقربة وغَسَله، ثم ضَمَّخه بالغوالي الفاخرة: [من المتقارب]

مقام يحق لذي الكبريا	به أن يبدِّلَّهْ بالخضوع
رأينا به الملك رَبِّ الفخار	أبا عمر ذو النَّوال الهموع[6]
خشوعًا مروعا لتقوى الإله	وما كان من قبله بالمروع

(1) السمط الغالي الثمن: 346 و(كنز الأخيار): 106.

(2) انظر صفة حج الملك المظفر في هذه السنة بتوسع وتفصيل في (السمط الغالي الثمن): 346 و(الذهب المسبوك) للمقريزي: 114.

(3) في السمط الغالي الثمن: 348 صاحب مصر هو قطز المعزي وكان قبله في السنة التي قبلها فيكون صاحب مصر هنا هذا الظاهر بيرس الذي تولى الحكم بعد قطز.

(4) هو الأمير عز الدين بن الإمام المنصور (السمط الغالي الثمن: 348).

(5) إشارة إلى معركة عين جالوت سنة 658هـ التي نصر الله فيها الإسلام على التتار انظر (السلوك للمقريزي 1: 417 – 439).

(6) هذا البيت سقط من (و).

ثم أقام في مكة عشرة أيام يُفَرِّق الصَّدقات المبرورة حتى وصلت صدقاته إلى كل منزل بمكة، وعَمَّت جميع الحاج على اختلاف ألوانهم، وجَهَّز حاج مصر بالإنعام والمراكب والأزواد وكسا البيت المعظم وكسا رؤساء الحَرَم الشريف، ونَثَرَ على البيت الذَّهب والفضة، ولما أَزْمع الرحيل تقدمت الأسياق[1] المباركة إلى البئر المعروفة بالبيضاء، ثم وَدَّع البيت باكيًا مستعبرًا، وعاد إلى مُلْكه باليمن سعيدًا مقبولًا، ولم يَزَلْ يوالي السَّير وينشر العرف في كل محطَّة حَطَّ فيها حتى بلغ فشالًا، ثم دخل زَبيد في أحسن زَيٍّ وأكمل آلة في شهر صفر من سنة ستين وست مئة[2].

وقد كان الشريف يحيى بن محمد السِّراجي دعا إلى نفسه في ناحية مِسْور وما والاها في آخر سنة تسع وخمسين وست مئة، فأجابه أهل تلك النَّاحية، فخرج الأمير علم الدين سنجر الشعبي من صَنْعاء مواثبًا له، فانهزم إلى المغرب وعاد الأمير إلى صَنْعاء، فسار الشريف يحيى إلى بلاد بني فاهم فأمسكوه وسلَّموه إلى الأمير علم الدين فكحَّله في ذي الحجة من سنة ستين وست مئة.

وفي سنة إحدى وستين[3]: تَسَلَّم السلطان حصن الجاهلي، اشتراه من الشريف أحمد بن قاسم القاسمي في شهر ربيع الأول، ثم تسلم حصن الشَّوافي في شهر رجب من السنة المذكورة، ثم سارت العساكر إلى ذَمَرْمَر في شَوَّال، فكانت محطَّة في الحصن الأبيض، ومحطة في الحصن الأحمر، ومحطة في أكمة ابن سنينة، ومحطة في الهامة، ووَصَلَ الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام والأمير عز الدين هبة بن الفضل وبَذَلوا لأهل ذَمَرْمَرْ مئة ألف دينار وحصن براش[4] وحصن فدة ووادي ظهر وغير ذلك من الكساوي والإنعامات ولم يقبلوا، فأصابهم مَرَضٌ لم يُسْمِع بمثله، كان إذا أصاب أحدهم سقطت أضراسه جميعًا، فيقيم بعد ذلك نحو خمسة عشر يومًا ثم يموت، فهَلَكَ طائفة في مدة يسيرة[5].

---

(1) الأسياق كذا في السمط، جمع سياق (معروف).

(2) السمط الغالي الثمن: 179 و(كنز الأخيار): 106 و(غاية الأماني): 451.

(3) السمط الغالي الثمن: 354 و(كنز الأخيار): 106.

(4) السمط: 356 (حصن بريش) وفي العقود: 184: بريس.

(5) انظ هذا المرض في (السمط): 356.

وفي هذه السنة: أرسل[1] مولانا السلطان بِكَسْوَة البيت المعظم، وكَسْوَة الحُجْرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وفي سنة اثنتين وستين وست مئة[2]: تَسَلَّمَ السلطان الراحبة[3] والحصون الحمزية، وتَسَلَّم حصن مدع من بني وهب وعَوَّضهم حصن بيت نعم وما اشترطوه، فطلع الأمير علم الدين إلى مُدَعٍ بعد أن دخلت العساكر المنصورة، وفيها من المقدَّمين حسن بن بهرام ومحمد بن زريع وغيرهما، وقد كان الأمير صارم الدين داود بن الإمام أقام الشَّريف الحسن بن محمد النظايري[4] [واستمد به][5] رجاء أن ينفِّس على أهل ذَمَرْمَر وعلى أهل مُدَع، فلم يكن إلا ما عَوَّد الله من النصر والظفر، فلما قبض الأمير علم الدين حصن مدع وقَبَض الوهبيون حصنهم والمال الذي اشترطوه وهو ستون ألف دينار سقط في أيدي الأشراف ورأوا أنهم قد ضلوا، ثم وردت الأوامر الشريفة على الأمير علم الدين الشَّعْبي بالتَّقدم إلى براقش [ووصلت الخزائن السعيدة والعساكر المنصورة من اليمن المحروس فلم يكن بعد ذلك إلا تَسْليم][6] براقش والزاهر[7] وأخذهما، وكان تسليمهما في شهر ذي القعدة من العسكر المنصور، ودخل العسكر المنصور صعدة في ذي الحجة منها.

وفي سنة ثلاث وستين: قبض[8] محمد بن الوشاح الشهابي.

وفي شهر شعبان منها: تسلَّمَ[9] السلطان ذَمَرْمَر، سَلَّمه أهله لِمَا أصابهم من الجُهْد والمشقَّة، وطلبوا الذِّمة والرفاقة، ونزلوا إلى الأبواب السلطانية فأعطاهم السُّلطان ستة وعشرين ألفًا، وتصَدَّق عليهم بفدة.

---

(1) السمط الغالي الثمن: 354 والعقد الثمين1: 59 قال: وأول من كساها بعد إنقضاء الخلافة العباسية الملك المظفر سنة 659 وسنة 661 مع الملك الظاهر بيبرس، وانظر إتحاف الورى 3: 87.

(2) السمط الغالي الثمن: 358.

(3) كذا في الأصل وفي (ع) الزاحبة.

(4) في (ع) الظفاري وفي السمط: 359 (القطابري).

(5) زيادة من (و).

(6) سقط من (ع).

(7) في (و) الدها وأصلحناه من السمط: 363.

(8) السمط: 363.

(9) السمط: 363.

وفي شهر رمضان: تسلم السلطان الفص الكبير، ثم تسلم براقش الباقر من محمد بن مفضل الوهيبي في شهر ذي الحجة.

وفي سنة أربع وستين[1]: تقدم الأمير[2] فخر الدين بكتمر القَلَّاب في العساكر المنصورة فحطَّ على المصنعة وعزَّان، فاستنجد الأمير فخر الدين عبد الله بن يحيى بن حمزة والأمير شجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم بالشريف مطهر، واستنجد به أيضًا أهل بيت رُدَم لما قُبِض محمد بن الوشاح، فطلع الشريف إلى حصن الطَّويلة، وخرج الأمير علم الدين سنجر الشعبي، فحط في الرِّجام[3]، وجهَّز العساكر إلى المَغْرب وجبل تِيْس فاستفتحهما، وعَمَر موضعًا فوق الطويلة يسمى: غراب واكن[4]، وأقام الحرب على الطويلة نحوًا من سبعة أشهر.

وفي شهر جمادى الأولى[5]: تسلَّمَ السلطان حصن المصنعة وحصن عزان، وأنعم على الأميرين عبد الله بن يحيى بن حمزة وأحمد بن محمد بن حاتم بثلاثين ألف دينار، فسَلَّموا الحصنين، وأي حصنين هما! منكبا الشوامخ اليمنية وروقى المصانع الحِمْيَرِيَّة، لم يقمع أهلهما قامع، ولا طمع فيهما من الملوك طامع، وقد كان الأمير جمال[6] الدين فليت حَطَّ عليهما في عساكر مصر واليمن، ثم لم يكد ينجو بنفسه إلَّا بعد أن نهبت المحطة وما فيها من المنجنيقات والزردخانة[7] والسروج والحوائج[8] خاناة بعد أن أنفق عليهما مئتي ألف مثقال ذهبًا، وكان تسليمهما وتسليم ذيفان[9] أيضًا في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم

---

(1) السمط: 363.

(2) في (ع) الإمام خطأ.

(3) في (ع) والسمط (الرخام).

(4) انظره في السمط: 364.

(5) السمط: 364.

(6) إشارة إلى تَجْهيز الملك المسعود الأيوبي المذكور إلى جهات صنعاء سنة 612هـ لمحاربة الإمام عبد الله بن حمزة انظر السمط الغالي الثمن: 169.

(7) الزردخانة: بيت السِّلاح وما فيها من السيوف والقسي والنشاب وغيرها (معجم المصطلحات التاريخية: 196).

(8) الحوائج خاناه معناها بيت الحوائج، وهي الجهة التي يصرف منها ما يحتاجه المطبخ السلطاني من لحم وما يتبعه من راتب يومي للعسكر والمتعلقين بالسلطان (معجم المصطلحات التاريخية: 130).

(9) السمط المطبوعة (زهان).

تسلم السلطان بعدها الفص الصغير في شهر رمضان، ثم تسلم حصن بيت ردم في ذي القعدة، ثم تسلم القفل وشمسان من بني شهاب، ثم تسلم حصن اللجام في ذي الحجة اشتراه من أولاد الأمير سليمان بن موسى بن داود بن محمد بن علي بن حمزة.

وفي سنة خمس وستين في شهر شعبان منه[1]: قتل الأمير فخر الدين بكتمر[2] القلاب، وكان السُّلطان قد أمر بعمارة الزَّاهر وجرَّد معه مئة فارس وخمس مئة راجل، فقصده الأشراف بنو حمزة فقتلوه وقتل معه جماعة من أصحابه، وانحاز الباقون إلى براقش.

وقد كان[3] الركاب العالي تقدَّم إلى دثينة، فلما رجع منها مؤيَّدًا منصورًا بَرَزَ أمره الشريف على الأمير علم الدين سنجر الشَّعبي بالتقدم إلى جهة الظاهر في عساكره، ثم طلعت العساكر المنصورة إلى حَجَّة ووقعت هنالك حروب عظيمة، وتفاقم الأمر فاقتضى الرَّأي السديد طلوع الملك الأشرف [عمر بن يوسف][4] إلى حَجَّة لإطفاء نار الفتنة هنالك، فخرج في عساكره المنصورة حتى حَطَّ في محطة جَدِّه [الملك السلطان المنصور ثم وجه المقدَّمين في العساكر إلى حَجَّة فحصروا حصن[5]] مبين، وكان فيه الشريف مطهر، فلما اشتد عليه الحصار خرج مترفقًا، واسْتَوْلَى العسكر المنصور على الحصن، فأمر الملك الأشرف حينئذ بخرابه فخُرِّب خرابًا، ثم صَرَفَ همته بعد خراب مبين وفتحه إلى حصن المخلافة، وكان فيها الأمير أحمد بن قاسم القاسمي فجَمَعَ جموعًا عظيمة وقَصَدَ المحطة، فثبت له العسكر حتى كانت الدائرة عليه وعلى من معه، واستولى العسكر السلطاني على جميع الحصون بالمخلافة وهي: الموقر وقراضة والعكار[6] وكَحْلان والغرانيق الثلاثة، وكان فَتْحًا عظيمًا له في حَجَّة والمخلافة، لم يكن لأحد قبله من الملوك إلا لجَدِّه الملك المنصور، وكان فتح حَجَّة في شهر رمضان من السنة المذكورة، وفتح المخلافة في ذي الحجة من السنة المذكورة أيضًا.

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 365 و(كنز الأخيار): 107.

(2) في (ع) بكتم.

(3) (السمط الغالي الثمن): 368.

(4) زيادة من (العقود اللؤلؤية): 202.

(5) سقط من (و).

(6) في (ع) العكاب وفي العقود: العكاد وانظر (السمط الغالي الثمن): 373 وفيه العكاد.

وفي سنة ست وستين: تَسَلَّم[1] السلطان حصون الشيخ علوان بن عبد الله الجَحْدري وهي العرائس.

وفي شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة[2]: وَرَدَ أمر السلطان على الأمير علم الدين الشَّعبي بالتقدم إلى صَعْدة، فخرج إليها في خمس مئة فارس وثلاثة آلاف راجل فحَطَّ في الجُوْف، ثم تقدم نحو صَعْدة وجمع الأمير صارم الدين أحمد بن داود كافة بني حمزة وعسْكَرًا عظيمًا من القبلة، فيهم عسكر بن مفتخر، وفيهم من الرِّجل ما لا يحصى، قد ركزو في نقيل العجلة وهو موضع وعر ما فيه إلاَّ طريق واحدة، فحفظوا تلك الطريق بالخَيْل والرِّجْل، فلما بلغ الأمير علم الدين إلى النقيل المذكور حَطَّ في أسفله ضَحْوة نهار وتَغَدَّى وغَدَّى الناس جميعهم، ثم وقف إلى الظهيرة، ورَتَّب الأمير ابن بوز في مئتي فارس وألف راجل في المَحَطَّة، ثم لُبِّست الخيل وطلعت النقيل فلم يجد أحد فيه مَسْلكًا لضيقه ووعره وكَثْرة العساكر فيه، فلَمَّا رأى الأمير علم الدين [سنجر الشعبي][3] ذلك تقدم في كتيبة عظيمة من الخَيْل وأجواد الرجال، فطَلَع من موضع آخر فما شعروا به حتى صار معهم مستدبرًا لهم، فلقيه الأمير علم الدين حمزة بن الحسن بن حمزة، وكان فارسًا في بني حمزة غير مدافع فكان أول من [كسر][4] وانكسر عسكر الأشراف، ثم قتل عسكر بن مفتخر[5] وكان فارسًا شجاعًا، فَوَلَّوْا مدبرين، وأخذت طبلخاناتهم، وسار العَسْكر المنصور في إثرهم، فمال الأمير داود ابن الإمام إلى براش صَعْدة، ودخل الأمير علم الدين إلى صعدة وقُدَّامه رأس الشريف حَمْزة بن الحسن، ورأس عسكر بن مفتخر وأخرب في صَعْدة عدة مواضع، وخرج إلى مخاليفها، وأخرب فيها أيضًا ما أخرب، ونَهَب العسكر[6] من وَجَده في مخلاف صعدة، ثم عاد إلى صعدة فأقام فيها أيامًا، وقفل إلى صنعاء ظافرًا منصورًا.

(1) (كنز الأخيار): 108.
(2) (السمط الغالي الثمن): 373 و(كنز الأخيار): 108.
(3) زيادة من (العقود اللؤلؤية): 213.
(4) سقط من (و) وانظر نصَّ العبارة في (السمط الغالي الثمن): 376.
(5) السمط: 377 (ابن منجز).
(6) العقود: 213 (الناس).

وفي هذه السنة: أمر[1] السُّلطان بتحلية باب الكعبة بالذَّهب والفِضَّة على يد ابن التِّعزِّي[2].

ووصل[3] رسول صاحب مصر إلى اليمن بالهدايا والمكاتبات، فتوفي الرسول باليمن في آخر السنة.

وفي سنة سبع وستين[4]: تسَلَّمَ السلطان حصن براش صعدة من الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين بعد أن رَهَنَ الأمير عِزِّ الدين ابنه وابنته، ثم وَرَدَ الأمر على الأمير عَلَم الدين بالمحطَّة على ثِلَا، فَحَطَّ عليها محاط كثيرة، وذلك في شهر ربيع الآخر، وأخذ التَّعبرة قَهْرًا بالسيف، ورتب فيها من يحفظها.

وفي هذه السنة[5]: سار موسى[6] بن الرسول والأمير سيف الدين مغلطاي أحد المماليك البحرية في عسكر من الباب الشريف مع الأمير عِزِّ الدين محمد بن أحمد بن الإمام للمحطَّة على تَلُمُّص، فلما اشتد الحصار على ثِلَا وتلمص اجتمع الأشراف والعلماء من الزَّيدية على الأمير صارم الدين داود بن الإمام وسألوه أن يخرج الإمام الحسن بن وهاس للنَّصرة على رفع هاتين المَحَطَّتين فأخرجه على كره منه، فخرج به الشَّريف علي بن عبد الله من ظَفَار إلى حُصنه المِيقَاع، فلما اجتمعت عساكرهم قصدوا صعدة، فَبَيَّتوا المحطة التي على تلمص، فانهزم مغلطاي بالمماليك إلى فللة، فأجارتهم خولان وساروا بهم إلى طريق تهامة.

وأما موسى بن الرسول فتَخفَّر بقوم من العرب يريدون نجران فعلم به الأشراف فلحقوه وأدركوه معهم فقتلوه[7] وعَمَّه تحت تلمص في نِصْفِ جمادى الأولى.

ورجع[8] الأشراف من صعدة وجمعوا جموعًا كثيرة عظيمة، وقَصَدوا عَلَم الدين الشَّعْبِي إلى ثِلَا فنزل من المحطَّة، وكان سبب نزوله أن المكان وعر والخيل لا تنفع فيه، فخاف

---

(1) إتحاف الورى3: 91 و(السمط الغالي الثمن): 377.

(2) في (ع) بكتم.

(3) (السمط الغالي الثمن): 377.

(4) (السمط الغالي الثمن): 378.

(5) (السمط الغالي الثمن): 380 و(كنز الأخيار): 108.

(6) هو موسى بن محمد بن الحسن بن علي بن رسول انظر (طرفة الأصحاب): 90.

(7) (السمط الغالي الثمن): 387 قال: وقتل وهو أسير عندهم.

(8) (السمط الغالي الثمن): 388 و(كنز الأخيار): 108.

على الرُّتب فنزل وأنزلهم، فدخل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله ثِلَا في رِجْلٍ كثير، وانحاز الأمير علم الدين إلى شبام، وسار منها إلى صنعاء فَدَخَلَهَا في شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم خرج الأمير علم الدين إلى الظَّاهر الأعلى والأسفل فأخربهما خرابًا عظيمًا، وعاد إلى صنعاء[1].

وفي هذه السنة[2]: حج الملك الظاهر[3] ركن الدين صاحب مصر إلى مكة المشرفة، حرسها الله تعالى.

وفي سنة ثماني وستين: تَجَهَّز[4] الأمير عَلَم الدين سنجر الشعبي إلى صَعْدة، فدخلها يوم الثالث من صفر من السنة المذكورة.

وفي شعبان من السنة المذكورة[5]: وقع الصُّلح بين السلطان والأشراف بني حمزة.

وفي سنة تسع وستين[6]: قتل الشريف إدريس بن قتادة صاحب مكة، وتَرَتَّب بعده الشَّريف أبو نمي بن أبي سعيد بن علي بن قتادة في مَكَّة واليًا، فأقام بها إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر من سنة سبع مئة.

وفي سنة سبعين وست مئة[7]: وَرَدَ الأمر العالي بإعادة المحاط على ثِلاَ مَرَّة ثانية، فكانت المحطَّة على الجَنَّات فَحَصرُوا أهل ثلا وضَيَّقوا عليهم وأَجْهَدُوهم حتى أيقنوا بالهلاك، وتَسَلَّم السلطان حصون المصانع باعه عَبْد من عبيدهم يسمى: محمد[8] بن قفل.

وفي هذه السنة: قام[9] الإمام إبراهيم بن أحمد بن تاج الدين الهدوي، وكان قيامه في ذي الحجة منها ودعا إلى نفسه فأجابه أهل حضور وبنو الرَّاعي وبنو شهاب وغيرهم من بلاد

(1) انظر هذا الخبر بتوسع وتفصيل في السمط االغالي الثمن: 391 وقد اختصر المؤلف عبارة الكتاب اختصار ا مخلا وحذف وفيه أخطاء كثيرة فيحقق.

(2) إتحاف الورى3: 94والذهب المسبوك للمقريزي: 113.

(3) هو المعروف بالظاهر بيبرس.

(4) (السمط الغالي الثمن): 394 و(كنز الأخيار): 109.

(5) (السمط الغالي الثمن): 399.

(6) إتحاف الورى3: 99وغاية المرام1: 641.

(7) (السمط الغالي الثمن): 404 ومآثر الأبرار: 902 و(كنز الأخيار): 109.

(8) محمد بن قفل انظره في (السمط الغالي الثمن): 406.

(9) (السمط الغالي الثمن): 406و (كنز الأخيار): 109وأخباره في أئمة اليمن لزبارة: 97.

عنس وزُبيد، ونَهَضَ الشَّرفاء والإمام إلى جبل يسمى: ظِيْنًا بالخشب، وكان الأمير علم الدين في الجَنَّات، فنهض بمحطته، وحَطَّ تحت حصن كوكبان، ونهض الشُّرفاء من محطتهم إلى حازة بني شهاب.

وفي سنة إحدى وسبعين: سَيَّر[1] الإمام إبراهيم بن أحمد بن تاج الدين الشريف جمال الدين[2] علي بن عبد الله إلى حَضُور وبلد بني شهاب وبلد بني الراعي فتلقوه بالطَّاعة، وكان وصوله إليهم في سبعة نفر، فَصَلَّى بالناس في أول جمعة في سبعة آلاف.

وفي هذه السنة: خالف[3] الأشراف آل سليمان بن موسى بن داود بن محمد بن علي بن حمزة مع الإمام، وهم أهل جَهْرَان، وكان السلطان قد أقطعهم نواحي ذمار، ثم تَسَلَّم منهم اللِّجام وأقامت معهم علماء الزيدية بتلك الناحية، فساروا في جموع عظيمة إلى ذمار فدخلوها قهرًا وقتلوا جماعة وخفروا[4] الباقين وأخربوها، وذلك في شهر جمادى الأولى من السَّنة المذكورة.

وسار[5] الإمام إبراهيم والأمير صارم الدين داود ابن الإمام والأمير عِزّ الدين محمد بن شمس الدين وسائر الأشراف يريدون حَدَّة وسناع، فمرُّوا على السَّبحة ولم يكن في صنعاء، إلا ابن نجاح في مئة فارس من عَسْكر اليمن، وكان الشّعبي وعسكره في محطته بالجَنَّات خوفًا على رتب ثلا، فانصرف الأشراف من صنعاء، فلما كان آخر الليل دخلها الأسدية الذين كانوا في محطة الشعبي، وكانوا سبعين فارسًا نقاوة[6] عسكر صنعاء وفرسانهم، وطلع الشعبي في بقية عسكره، فَمَرَّ على المحاط بثلا فَقَوَّاها وسار إلى شبام، ومنها إلى صنعاء وحصل بينه وبين الأشراف قتالات عظيمة، وجمع الأشراف جمعًا عظيمًا، وسار بهم الشريف[7] علي بن عبد الله فرفع المحاط بِثِلَا، وسار بعسكره قاصدًا الذروة وبها الوَرْد بن ناجي، ولم يُكْمل

(1) (السمط الغالي الثمن): 408 (كنز الأخيار): 109.

(2) (كنز الأخيار) يقول: وسير والدي الأمير جمال الدين علي بن عبد الله اهـ لأن المذكور هو والد مؤلف (كنز الأخيار).

(3) (كنز الأخيار): 109.

(4) في (ع) وهرب، وفي (الكنز) (وأخذوا).

(5) (كنز الأخيار): 109.

(6) في (ع) تقويه وفي (و) يغامره وأصلحناه من العقود.

(7) عبارة صاحب (الكنز): 10 وسار فيهم والدي الناصر للحق.

عمارتها، فَهَجَم عليهم آخر الليل فأخربها وعاد إلى أصحابه بسناع، فاقتضى الحال طلوع السلطان إلى ناحية ذمار، فلما وصلها أقبل إليه أهل تلك الناحية رَغْبَة ورَهْبَة، وكان ذلك في شعبان من السنة المذكورة، فأقام في ذمار أيامًا وأمر بعمارة دربها[1]، ثم سار يريد صنعاء فَحَطَّ في درب عبد الله، وانحاز الأشراف إلى بيت حَنْبَص، فطلع عليهم الأمير علم الدين الشعبي، فكانت وقعة [بيت][2] الناهم قتل فيها بنو صفي الدين من عسكر الأشراف، وذلك في القعدة من السنة المذكورة[3].

ثم تقدم[4] السلطان إلى صنعاء فَحَطَّ في الميدان في ذي الحجة.

وفي هذه السنة[5]: بعث بكسوة البيت المعظم على يد قاسم بن محفوظ.

وفي سنة اثنتين وسبعين[6]: دَخَلَ السلطان صنعاء يوم الثاني عشر من المحرم، فأقام بها، ونَهَضَ الأشراف إلى حَضُور وجاءت[7] معهم أهل حضور كافة، وحَطُّوا على عَزَّان، فكانت محاطهم في القاهر - وهو يومئذ [خراب][8] - فَحَصَروا عزان وأجهدوا من فيه، فوقع الخِطَاب على تَسْليم عَزَّان وسلامة من فيه من العسكر، وقبض الأشراف الحصن، ووصل[9] عقيب ذلك أحمد بن جابر وشَرَع صُلْحًا بين الأشراف وبين السلطان خاصة، ثم للإمام وكَافَّة الناس عمومًا، ثم تَقَدَّم الرِّكاب العالي إلى اليمن في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، ثم جَرَّد[10] عساكره المنصورة لعدى بيت حنبص فأخذه قهرًا، ووجد العسكر فيها خمرًا كثيرًا فكسروا أوعيتها وأراقوها، فقال غازي[11] بن المعمار[12]: [من الطويل]

---

(1) دربها: سورها.

(2) زيادة من العقود وانظر (السمط الغالي الثمن): 420.

(3) (السمط الغالي الثمن): 420 - 425 في آخر ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

(4) (السمط الغالي الثمن): 425.

(5) إتحاف الورى3: 102.

(6) (السمط الغالي الثمن): 431.

(7) في (و) وأخلف، والعقود وأجلب.

(8) بياض في (ع).

(9) (السمط الغالي الثمن): 427.

(10) (السمط الغالي الثمن): 429.

(11) ترجمته في (طراز أعلام الزمن): 1289.

(12) انظرها في (طراز أعلام الزمن): 1690.

ولـما فَتَحْنَا بيت حَنْبَصَ عنوة وَجَدْنا به الأدواح ملأى من الخمر

وعـنـد أمـيـر الـمؤمـنـيـن عصابة يقولون بالبيض الحسان وبالسّمر

فـإن تكن الأشـراف تشرب خفية وتظهر للنَّاس التنسك في الجَهْر

وتـأخذ مـن خَـلْـع الـعِـذَار نصيبها فـإنِّـي أمـيـر المؤمنين ولا أدري

وكان فتح بيت حَنْبص يوم الجمعة سَلْخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، ولَمَّا دَخَل العسكر السلطاني بيت حنبص - كما ذكرنا - انهزمت الأشراف من حَدَّة وسناع فأخربها السلطان خرابًا شنيعًا، وقَطَع أشجارهما، وكانت فيها أشجار قديمة لها مقدار مئتي سنة، فما تَرَكَ فيها شيئًا، ويقال: إن شجرة لوز عقرت فوجد فيها لوح من رخام مكتوب فيه: غرست سنة أربعين للهجرة النبوية، وأمر[1] بعمارة الجبل المسمى قَرْن عنتر وسماه ظفارًا وشَحَنه من أصناف الشَّحن، ونهض بمحطته إلى الصَّافية، ثم نهض من محطة الصافية قافلًا إلى اليمن في شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة، وسار الأمير علم الدين صحبة ركابه العالي إلى ذمار، وتَقَدَّم السلطان إلى اليمن.

وفي هذه السنة[2]: خالف الأمير الحسام بن البدلي[3] في براقش وتغلب عليها، وكان واليًا فيها فجَرَّدَ له السلطان علم الدين[4]، وأمر الأمير شمس الدين أزدمر بالوقوف في صنعاء، وتقدم الأمير علي بن حاتم صحبة الأمير علم الدين إلى براقش فراسل الحسام بن البدلي وقَبَّحَ فعله، ووَعَدَهُ بعطف السلطان، وما زال به حتى أخذ له شيئًا من صَدَقات السلطان وحصنًا من بني الرَّاعي يسمى المصنعة، وتسَلَّم الأمير علم الدين براقش، وعاد إلى صنعاء، ثم اصطلح السلطان والإمام وسائر الأشراف، وكان المشرف على السلطان الأمير محمد[5] بن حاتم بن عمرو بن علي بن حاتم الهَمْدَاني، واتفق للأشراف مخرج إلى نجران عُقَيب الصُّلح فقتل فيه الأمير علم الدين علي بن وهاس قتلته يام.

(1) (السمط الغالي الثمن): 431.

(2) (السمط الغالي الثمن) 448 بتوسع.

(3) (السمط الغالي الثمن): النَّدي.

(4) يعني الشعبي السابق ذكره.

(5) هو مؤلف (السمط الغالي الثمن) وقد حَدَّثنا عن هذا الصلح في الكتاب المذكور ص: 452.

وفي سنة ثلاث وسبعين[1]: حَصَلَ قحط عظيم في البلاد، ومات عالم لا يحصون وأكل [الناس][2] الميتة.

وفي شهر ربيع الأول[3]: أخذ حصن كوكبان جماعة من الحواليين واستولوا عليه، فارتفع رأس كل مفسد وهاج النَّاس للخلاف.

وفي سنة أربع وسبعين[4]: خَرَجَ الأمير علم الدين الشعبي إلى مِخْلاف ذَمَار لقبض الواجبات السُّلطانية، وَتَرَكَ المماليك الأسدية جميعهم في صنعاء رتبة مع ابن القلاب وسار مع الأمير منهم رجل فوقع بينه وبين الداوي[5] - أحد مماليك الأمير - خصمة على شراب فَقَتَله الداوي في مسير الأمير علم الدين إلى ذمار وهَرَب القاتل، فلما علم الأسدية بقتل صاحبهم قاموا وقَعَدوا، وكانوا قد أعجبتهم أنفسهم فخالفوا على السُّلطان واستولوا على صنعاء وقَبَضُوا موجود الشِّعبي، وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكاتبوا الأشراف بالوصول إليهم، فوصلهم الشريف[6] علي بن عبد الله يوم السابع والعشرين من الشهر المذكور في سبْعة آلاف رجل، وكان في جبل حَضُور، ثم جاء الإمام والأمير صارم الدين داود ابن الإمام والأمير عِزّ الدين محمد بن شمس الدين وسائر الأشراف، فدخلوا صنعاء يوم الخامس من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة فأقاموا بصنعاء، وركب الإمام يوم الجمعة إلى جامع صنعاء ورقى منبره، وأذن المؤذن في منارته بحي على خير العمل وخالطهم من العُجب والجَذَل أمر عظيم[7]: **[من الطويل]**

ولـو علموا عقبى الأمـور لقابلوا ... أوائلها بالحَزْمَ واطَّرحوا العُجْبَا
ولكنه المقدور يلوي بذي الحِجَى ... فيَسْلبه إن حُمَّ آراءه سَلْبا

(1) (كنز الأخيار): 110.
(2) زيادة من (العقود اللؤلؤية): 235.
(3) (السمط الغالي الثمن): 467 و(كنز الأخيار): 110.
(4) (السمط الغالي الثمن): 458.
(5) الداوي كذا في السمط: 459.
(6) عبارة صاحب (الكنز) (فوصلهم والدي الناصر) والمذكور هو والد مؤلف (كنز الأخيار).
(7) انظرهما في (السمط الغالي الثمن): 484.

وكانوا جميعًا على عَزْم الخروج من صنعاء إلى ذَمَار ورُبَّما طمعوا فيما خَلْف ذمار، ثم إن الأمير علي بن عبد الله ركب في بعض الأيام إلى الأمير صارم الدين داود ابن الإمام فتراجعوا في أمورهم، فقال الأمير صارم الدين: إني رأيتكم يا هؤلاء الشُّرفاء مذ دخلتم إلى هذه البلدة ملتم إلى الراحة والدعة، وأنفسكم تحدثكم بالخروج إلى ذمار، ثم إلى اليمن ومناصبة السُّلطان، وهذا رأي فاسد، فلو نظرتم أولًا في أموركم خاصة، ثم نظرتم بعد ذلك في الخروج من صنعاء إلى ذمار لكان أصوب، فلا تَغُرَّكم أحاديث هؤلاء الغز الذين صاروا في جنبتكم، فوالله لقد شمّوا ريح الملك المظفر وشاموا برقه، لقد بان لكم دخيلة أمورهم، ثم إني أستفهمكم: هل رأيتم أحدًا وصلنا من هَمْدَان، وهم إلينا [وهم الجزء الوافر وهل أحد يردهم عن صنعاء بعد إجلائنا عنها ألم نأمر إليهم أن يوكِّبوا[1]] فقالوا: نحن لا نوكِّب حتى تجوزوا ببلادنا، فجزناها وما أتانا منهم أحد، وكذلك سَنْحان، هل هذا إلا تَرَبَّص وترقّب واستطلاع لما يأتي من ناحية اليمن والملك المظفر لا يترك مدينته ولا بلاده، وما الذي قد يشغله عن المبادرة والطُّلوع؟ فانظروا في أموركم، فقال له الأمير علي بن عبد الله: النَّظر في أمورنا كلها إليك، ونحن بين يديك، فقال: والله لترمون عن قوس واحدة، الإمام منكم والمأموم منكم والغزِّي والعربي منكم، قال: فما الذي تأمرنا به، وما هو الأصوب؟ فقال: الصَّواب إن قبلتموه أحد وجهين: أما الأول: فنقف في صنعاء فنحن ثلاث مئة فارس، نَصَبِّح كل يوم قرية من قرى همدان وسنحان حتى يدخلوا في طاعتنا أذلة وهم صاغرون، وأما الوَجْه الثاني: فنخرج إلى حافد ونخلِّي صنعاء ونخربها، ونحن ثلاث مئة فارس وخمسة آلاف راجل، أي قبيلة ملنا عليها أخذناها، ونحن نعود إلى معقل وحرز حريز، ومع ذلك لا يتقدم علينا أحد، ولا يدخل أحد إلى صنعاء ونحن على هذه الصفة، ثم قاما وخرجا إلى الإمام، فلم يكن عقيب ذلك إلا الخروج إلى ناحية جَهْران وتبطيل آراء الأمير صارم الدين، فَبَرَز الإمام إلى الميدان، ثم نهض الجميع إلى بئر الخولاني، ثم نَهَض إلى العَمْري تحت الكميم، فلما خَيَّموا بالعَمْري أمر الإمام على الأمير [علي بن][2] راشد بن حاتم بن عطوة أن يَتَقَدَّم إلى خِدَار[3] ويستنهض خاله الشيخ الحسام ابن الفضل في كَافَّة أصحابه من سنحان،

(1) سقط من (ع).

(2) زيادة من العقود: 238.

(3) خدار: بلدة على ربوة أمام الصاعد من نقيل يسلح (المقحفى: 211).

فلما وصل إليه وأخبره رسالة الإمام، قال: ما لنا تَأَخُّر عن الوصول إلى الإمام. فأمسى عنده، فلما كان بعد مضي شطر من الليل، وَصَلَ رسول من السلطان إلى الشيخ الحسام ابن الفضل بكتاب وإذا فيه: صدورها من الحقل، ونَحْن على المسير إلى صنعاء - إن شاء الله تعالى - ونحن نشعركم الوصول إلينا ونحذِّركم الاغترار بهؤلاء الشرفاء، فاسقط في يد الشيخ الحسام بن الفضل، ودَخَل على علي بن راشد فأيقظه، وأوقفه على كتاب السلطان إليه، وقال له: قم وتَقَدَّم إلى الإمام وأعلمه بهذا، فما بقي لنا إليه وصول، فلما وصل علي بن راشد إلى الإمام أخبره، فطلب الإمام كافَّة الشرفاء وأخبرهم الخبر، واضطربوا وقالوا للأمير صارم الدين: ما ترى؟ قال: قد أشرت عليكم في صنعاء فلم تقبلوا، وأنا اليوم[1] واحد منكم، لا آمركم بالإقدام ولا آمركم بالإحجام، إن أقدمتم لم تأمنوا الكسرة، وإن أحجمتم فهي كَسْرة الإقدام، ولكن ارحلوا هذه الساعة قبل أن يشيع الخبر بطلوع السُّلطان، فَنَهَضَ الجميع منهم من العَمْري، وانحدروا في نقيل الغابرة، وشاع الخبر بطلوع السلطان وقد صاروا سائرين، فاضطربوا وتحَيَّرُوا، فعاد الغز[2] إلى صَنْعاء، ثم تقَدَّم الشرفاء فحطُّوا في مَعْبر ونهضوا إلى أُفُقْ بكرة يوم الخميس، وكان غرضهم النُّهُوض إلى الجَبْجب، فخرج الأمير عِزّ الدين في ستِّين فارسًا يستطلع الخبر، فجاؤوا وقد حَطَّ الركاب العالي في ذمار، فأغارت خيلهم على أطراف المحطة، فأمر السلطان ألا يخرج إليهم أحد، وحرم على الناس بالركوب، فعاد الشرفاء إلى محَطّتهم بأفق، وقالوا: وصلنا إلى محطة السلطان، وما خرج إلينا أحد، والغالب أن المحطة ضعيفة فأمسوا لَيْلتهم مسرورين، فلما كان صبح يوم الجمعة لم يشعروا حتى أَطَلَّ عليهم فارس من الخيل، فركب الأشراف وما شَكُّوا أنها غارة لأجل غارة الشرفاء بالأمس، وركب الأمير صارم الدين في نحو من أربعين فارسًا، وأمر الناس بالوقوف حتى يعود، فما كان بأسرع من عودته، فاجتمعوا إليه وقالوا له: ما الخبر؟ فقال: هذا الملك المظفر في عساكره وكتائبه بعدي. فقالوا: ما ترى؟ فقال: ما أرى إلا الصَّبر والحرب، فإنه يوم عصيب، ثم طلب أهل أفق، وقال: أخبروني أين عورة بلدكم؟ فقالوا: إذا لزمت الأكمة لم تخش حالًا، فقال: أنا ألزم الأكمة، وأمر الإمام أن يقف في الحصن، فإن وقعت كسرة كان بعيدًا من القتال.

(1) في (ع) وأما اليوم.

(2) في العقود المماليك.

وأما ما كان من السلطان فإنه لما حَطَّ في ذمار، وصل إليه الأمير عَلَم الدين الشعبي، فقال له: يا مولانا اليوم يوم الجمعة وهؤلاء العرب لا يستجيزون صلاة الجمعة إلا بعد الإمام، فإن تأخرنا عنهم إلى وقت صلاة الجمعة اجتمع معهم من العسكر ما لم يحصر، وكانت حربهم أشد؟ فقال السلطان: دعهم فإنه لا نحب سفك الدماء في يوم الجمعة، وفي أي حالة كانوا فهم مهزومون، فلم يقبل منه الشعبي، وقام من عنده وجَمَعَ عسكره وأخذ عدّتهم، وجعل طريقه على باب قبة[1] مولانا السلطان، فأرسل إليه السلطان بأن يقف، فلم يقف، ونَهَضَ حينئذ مولانا السلطان وأمر العسكر بالركوب وسار نحو أفق، فأقبل علم الدين الشعبي فقصد الأكمة، ثم أقبلت العساكر يتلو بعضها بعضًا، ثم أطل السلطان فوق الجبل الأسود في شِرْذمة من عساكره وجنوده، فكأنما اشتمل الجبل بثوب أبيض غطى جوانبه كلها، ولما قَصَدَ علم الدين بعسكره الأكمة انهزمت الأشراف وحصلت العساكر على الغنيمة العظيمة، وما نجا الأمير صارم الدين وكافة الحمزيين إلا بعد الجهد العظيم، ثم أحاطت العساكر المنصورة بالحصن والإمام فأسروه وقتلوا طائفة ممن كان معه، منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم وزير الإمام، والقاضي ابن أبي النجم[2]، وتَمَزَّق الشرفاء في تلك الأودية، وخلوا محطتهم بما فيها، ونزلوا عن خيولهم وتركوها قيامًا تضطرب أرسانها، ووصلوا بالإمام وسائر الأسارى إلى السلطان، فلما وصل الإمام إلى السُّلطان وهو مكشوف والراس سلم وهنأه بالظفر، فهنأه السلطان بالسَّلامة وأكرمه وآنسه، وأمر بستره وكان قد هَمَّ به جماعة من المماليك فزجرهم وزبرهم وشَتَمهم وأركبه بغلة، فكان يسير بينه وبين الصاحب بهاء الدين[3] حتى دخل به حصن تعز فأودعه دار الأدب، فلم يَزَلْ هنالك معززًا مكرمًا يحمل إليه في كل يوم أربعين درهمًا، والطَّعام بكرة وعشية، والكسوة له ولمن معه بقدر حاجتهم وكفايتهم، فقال:

---

(1) العقود (خيمة السلطان).

(2) هو إسماعيل بن عبد الله بن أبي النجم رثاه الإمام ابن تاج الدين بقصيدة أولها:

خطب ألم فأنساني الخطوب معا   وصَيَّر القلب في أشغافه قطعا

انظر مآثر الأبرار 2: 909.

(3) هو القاضي محمد بن أسعد بن محمد بن موسى الملقب بهاء الدين، وزير الدولة المظفرية توفي سنة 690هـ (السلوك) 1: 468 العطايا السنية: 384 (طراز أعلام الزمن): 1820.

لقد كان لنا في سِلْمِ السلطان غِنَى عن حَرْبه، وكتب الإمام على باب مجلسه بدار الضيف[1]: [من الكامل]

هــذي مــنــازل ســادة أجــواد ... ومــحــلِّ جــود شــامــل وأيــاد

قَصْر الخورنق والسّدير مقصِّر ... عنه ذوو الشرفات من سِنْداد

ولم يزل الإمام على الإعزاز والإكرام إلى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

ولما أسر الإمام إبراهيم - كما ذكرنا - أراد الأشراف أن يقيموا ابن وهاس بعده إمامًا، فقال الجبائي الكاتب في ذلك ويمدح السلطان: [من الكامل]

أقبلت في لُجَبٍ تسدّ فضاءهم ... من خَلْفهم وإمامهم يتجَلْجَلُ

وإلى ابن وهاس أتوا من فَوْرهم ... مستبهمين[2] قيامه واستعجلوا

فأجابهم وإذا تكون عظيمة ... ادعى لها أين الإمام الأول

[فقال ابن الموصلي: في السجن][3]، وفي هذه القصة يقول القاسم بن هتيمل في قصيدة يمدح بها السلطان[4]: [من الكامل]

قصدوا ذمار فَرَدَّ سعدك ذالها ... دالًا فأي هزيمة ودمار

صَبُّوا السِّياط إلى قوارح خَيْلهم ... هَرَبًا عن المُهَرات والأمهار

فمضوا وإبراهيم يأمر نفسه ... بالكَرّ لا بالفَرِّ خوف العار

ولما رجع[5] السلطان من ذمار أَمُدَّ علم الدين سنجر الشعبي بمال جزيل، وسار إلى صنعاء، وكانت طريق الأشراف المغارب فلحقتهم مَضَرَّة ومشقة عظيمة، وساروا إلى حصن رَدْمَان المعروف بالحواليين، وكان في يد الشريف علي بن عبد الله فأقاموا فيه مدة والأمير[6]

---

(1) انظرهما في (طراز أعلام الزمن): 185.

(2) العقود (مستنهضين).

(3) هذه الجملة مقحمة في الأصليين ولم أجدها في (العقود اللؤلؤية).

(4) من قصيدة طويل وردت في (العقود اللؤلؤية): 241 - 243 وانظر ديوان ابن هتيمل1: 404.

(5) (كنز الأخيار): 11.

(6) (السمط الغالي الثمن): 497.

صارم الدين يراسل الشريف مطهر بن يحيى ويستدعيه للإمامة، فلما وصله ألزمه القيام للإمامة، فدعا إلى نفسه فأجابه كافة الزيدية، وأقام الأشراف مُدَّة في بلد بني شهاب على غير قاعدة، ثم حَصَل عقيب ذلك مراسلات بين السلطان والأمير صارم الدين أفضت إلى الصُّلح فيما بينهما، وأخرج الأمير صارم الدين والإمام مطهّرًا والأمير جمال الدين علي بن عبد الله، وتَصَوَّب رأيهم أنهم يحفظون الحصون ويحاربون منها، وكان الأمير علي بن عبد الله يختلف فيما بين الحصون، فَمَرَّة في كَوْكبان وتارة في رَدْمان وأخرى في القاهر وعَزَّان[1].

وفي سنة خمس وسبعين: تسلم السلطان حصن الريشة، وذلك في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة.

وفي سنة ست وسبعين: حط[2] الأمير علم الدين على الحصون الحضورية، وهي القاهر وعَزَّان، فاستمد الشريف علي بن عبد الله بالأشراف فلم يمدَّه أحد منهم إلا الإمام المطهر بن يحيى فإنه جمع جمعًا عظيمًا، وقصد الشعبي إلى محطته، وكان بالزعلاء، فوصلت عساكره القاهر، وعجزوا عن قصد الأمير علم الدين إلى محطته، فلما رأوا أن أمورهم إلى نقصان طلب الأمير جمال الدين علي بن عبد الله لقاء الأمير شمس الدين علي بن حاتم، فلما وصل إليه وتواجهوا تَحَدَّثوا في أمر الصلح، فقال الأمير جمال الدين علي بن عبد الله: خذوا لي من مولانا السلطان مئة ألف دينار وأعطوني رهينة منكم في تسليم المال، ولم يزل به إلى أن اتفقوا على تسليم ألفي دينار ويخرجون من الحصن ويسلِّمونها، فانعقد الأمر على ذلك، وصاحت الصوائح لهم بالذِّمة وسَلَّموا كافة الحصون الحضورية.

وفي شهر رمضان: تَسَلَّم السلطان حصن ردمان[3] وخرج من فيه من الأشراف بمال يسير، وعاد الشريف علي بن عبد الله إلى الظاهر والإمام إلى المغارب.

وفي سنة سبع وسبعين: توفي[4] الأمير الأجل الخطير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، وكانت وفاته يوم الثالث عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

---

(1) انظر تفصيل ذلك في (السمط الغالي الثمن): 499.

(2) (السمط الغالي الثمن): 247.

(3) في (و) ذمار.

(4) (السلوك) 2: 545 وتحفة الزمن2: 487.

وفي سنة ثمان وسبعين: كان فتح[1] مدينة ظفار الحبوضي، وقتل صاحبها سالم بن إدريس، وقتل معه يومئذ نحو من ثلاث مئة رجل، وأسر خلق كثير، وكان السبب في ذلك حدوث مجاعة عظيمة وقحط شامل لأهل حضرموت، فأقبل أهلها إلى سالم بن إدريس وطلبوا منه ما يدفعون كَلَب تلك السنة عنهم، وأسلموا إليه مصانع حَضْرَمَوت وحَسَّنوا له ذلك ورَغَّبوه فيه، فأجابهم إلى ما طلبوا، وخرج معهم إلى حضرموت لتمام ما قد شرعوا فيه، وهذا أمر لم يسبقه إليه أحد من آبائه، ولم يعلم دهاءهم ومكرهم، فلما أخذوا منه جميع ما طلبوا سَلَّموا إليه المصانع[2] فقبضها وعاد إلى ظفار، ورأى أنه قد أنجح وأفلح وأن حَضْرَمَوت قد صارت تحت يده، فلما رجع إلى ظفار مالوا ميلة واحدة على مصانعهم، فأخذوها طوعًا وكرهًا، ولم يكن دونها حائل يحول، فأصبح لا مال ولا بلاد، فكاد يهلك أسفًا على تضييع أمواله في غير موضعها، واتفق في ذلك الوقت أن السلطان[3] ندب سفيرًا إلى ملوك فارس بهدية جَيِّدة صحبة جماعة من التُّجار، فَصَرَفْتهم الرِّيح عن طريقهم وَرَمَتْ بهم إلى ساحل ظَفَارِ، فقبضهم سالم بن إدريس، وقبض ما معهم من الهدية والأموال والبضائع، وسَوَّلت له نفسه أن هذا جُبْران ما فات عليه في حضرموت، فراسله السلطان بسبب ذلك وكاتبه، وقال: لم تَجْرِ بهذا عادة من أهلك، ونحن نحاشيك من قطع السبيل وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك ثم بيننا وبينك والمكافأة[4] تمكننا غير أنا نتأدب بأدب القرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]. فازداد غلظة وجَهْلًا، وَرَجَع جوابه يقول: هذا الرسول فأين العذاب؟، وغير ذلك من الجَهْل والعجب، ولم يكن بعد ذلك إلا أنه أفسد صاحب الشِّحر أيضًا راشد بن شجيعة[5] [وحمله على العِصْيان[6]] فمال إليه هَرَبًا من الخراج الذي كان عليه من قبل السلطان، وكان عليه خراج معلوم في كل سنة يحمله إلى الخزانة المعمورة، فكان حتفه في سوء رأيه[7]: [من المنسرح]

(1) (السمط الغالي الثمن): 505.

(2) جمع مَصْنَعة: القلعةالحربية على رأس الجبل.

(3) (العقود اللؤلؤية): 257 (الملك المظفر).

(4) العقود (والمكانة بيتا).

(5) (السمط الغالي الثمن): 507.

(6) زيادة من العقود.

(7) للمتنبي.

والأمـــــر لله رُبَّ مجتهد ما خـــاب إلا لأنـــه جاهـد

ومـــتَّـق والـســهـام مرسلة يحيص عـن حايص إلـى صارد

فخرج الأمر عقيب ذلك على والي عدن وهو الشهاب علي بن غازي بن المعمار بالتقدَّم إلى ساحل ظفار بالشواني[1] والرِّجال، فوصل ظفار ولم يكن ثَمَّ حرب طائل ولا حادث، ثم عاد إلى عدن المحروسة، ولما رَجَع ابن المعمار من ظفار نَهَضَ سالم بن إدريس وسَوَّلَت له نفسه الغارة إلى ساحل عدن المحروسة، وكان السلطان يومئذ في الجَنَد فاستكثر النَّاس ذلك الأمر من سالم بن إدريس، إذ لم يقدم على مثله صاحب الهند ولا الصين ولا ملوك فارس، فاستشاط السلطان غَضَبًا وخرج أمره بعمارة الشواني والمراكب والطرايد وأنواع مطايا البحر، وتَقَدَّم ركابه العالي إلى ثَغْر عدن المحروس، فأنفق من الذَّهب والفضة ما يزيد على الحصى، وجَهَّز الأمراء والمقدمين والعساكر المنصورة من الخَيْل والرجل، وملأ البر والبحر خيلًا ورجلًا وأزوادًا، وسارت العساكر ثلاث فرق: فِرقة في البحر وهم معظم الرِّجل فيهم الشيخ فارس بن أبي المعالي الحرازي، والشيخ محمد بن ناجي، والشيخ الهمام بن علي بن عواض المليكي، وشمس الدين الكبوس، والشيخ بدر الدين حسين بن علي المذحجي وهو أكثرهم جَيْشًا، وكان المقدم على أهل البحر الأمير سيف الدين سنقر البرنجيلي[2] نقيب المماليك البحرية، وسارت الفرقة الثانية مع الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد[3] وهم العرب كانوا ثلاث مئة فارس، ساروا على طريق حضرموت قَهْرًا على رقاب أهلها، وهي مشحونة بقلاع بني الحبوضي وأحلافهم، ولم يكن في تلك الجهة من أحلاف مولانا السلطان إلا أبناء شماخ، والشيخ عمر[4] بن علي بن مسعود، وفيهم أيضًا ميل إلى جانب بني الحبوضي.

---

(1) الأصل: الشوافي وأصلحناه من العقود، والشواني جمع شونة سفينة مسطّحة تسير بالمجاديف غالبا وفي بعض المعاجم أنها سفينة معدة للحروب البحرية (مصطلح السفينة): 55.

(2) في (و) الترنجيلي وفي السمط البرنجلي.

(3) الأصول: الجند وأثبتناه من عندنا.

(4) يرد ذكره في تاريخ حضرموت لشنبل: 93 بعمر بن مسعود.

قال صاحب (العقد[1]): وبلغني أن الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد وأصحابه ما فارقوا الحرب ليلة حتى عَبَروا حَضْرَمَوت، وما زال أصحابه يتخلفون عنه حتى وصل ظفار في مئة فارس وثلاثة عشر رجلًا بعد خمسة أشهر من يوم خرجوا من صَنْعاء، وسارت الفرقة الثالثة طريق السَّاحل، وهم أربع مئة فارس من المَمَاليك البحرية[2]، وحلقة[3] السلطان، وكان مقدَّم المماليك الأمير حسام الدين لؤلؤ البوري[4] وهو أمير العلم المنصور، ومقدم الحلقة الأمراء بنو فيروز، وكان مقدم الجميع الأمير شمس الدين أزدمر أستاذ دار السُّلطان، وقال له السلطان: أنت تقتل سالمًا - إن شاء الله تعالى - فإنِّي رأيت فيما يرى النائم أن حَيَّةً عظيمة خرجت إليَّ من كوة، فقلت لك: يا أزدمر اقتلها، فقتلتها وعدت إلى مقامك، وكانت طريق الأمير شمس الدين صعبة وعرة في شواهق من الجبال وكثبان من الرَّمل، فكانوا يسيرون أضعف السَّير والمراكب في البحر تسير معارضة لهم، فإذا بعدت بهم الطريق عن الساحل تعبوا وضاقت أحوالهم حتى تدور بهم إلى الساحل فيستريحوا[5]، وكانت المراكب مشحونة من كل شيء من أَصْناف الأزواد من الطَّعام والتَّمر وسائر الحبوب والحوائج[6] خانات، ثم أنواع السِّلاح من القنا والسيوف والزَّرد والخُوذِ والبَيْض والخفاتين[7] والقسي والسهام والتراس والأوضاف ومن نِعَال الخيل واللُّجم وسائر العدد على اختلاف أنواعها، ثم المنجنيقات ستة وغلمانها وحجارتها وآلتها، وبلغني: أنه رسب عليهم في البحر ألف قطعة، والقطعة عبارة عن الجوالق[8] العظيمة من أنواع الشحن فما فقدت، ثم كانت الأسواق

(1) (السمط الغالي الثمن): 513.

(2) المماليك البحرية: مصطلح مصري مملوكي، وهم حراس السلطان في الليل والنهار وقد سُمُّوا بالبحرية نسبة إلى إقامتهم في بحر النيل بمصر، وهم من أجناس شتى وكانوا ينامون في الدهاليز أو يبقون مستيقظين للحراسة (معجم مصطلحات التاريخ: 380). (سبق ذكره).

(3) ويقال لهم: أجناد الحَلَقة وهم الجنود المرتزقة من غير مماليك السُّلطان ولكل أربعين جنديا مقدم واحد ليس له حكم إلا إذا أخرجوا للحرب أو السفر فحينئذ يقودهم مقدمهم (معجم الألفاظ التاريخية: 12).

(4) بَيَّض له في (و) وفي (العقود اللؤلؤية) (التوريزي) وكذا في السمط: 512 وهو الصواب.

(5) زاد في العقود: لأنهم يتناولون من المراكب ما أرادوا.

(6) الحوائج خانات: سبق شرحها.

(7) الخفتان: ضرب من الأكسية واللفظة فارسية (محيط المحيط: 242).

(8) الجوالق: أوعية من صوف أو شعر وغيرهما كالغرار وتحرف عند العامة فيقال له شوال (معجم).

قائمة كأعظم ما يكون من أسواق المدن، وفيها من أصناف الطباخين والخَبَّازِين والحَلْوانيين وأرباب الصِّناعات، ولم تزل كل فرقة تسير على حَسَب ما يمكنهم من المسير حتى جَمَعَ الله بينهم في يوم واحد على بندر رَيْسُوت، هكذا حكاه صاحب (العقد)[1].

فأقبلت مطايا البحر من الشواني تقدمها الحواسك[2] والسنابيق كأنها العقبان، ثم أقبلت الطريدة، وهي المركب الأعظم، وقُدَّامها السفن كأنها بعض الملوك، والسُّيوف مسلولة والأعلام منصوبة والطبلخانات راجفة، وفي هذه الطَّريدة الخزانة السَّعيدة ومبلغها أربع مئة ألف دينار ملكية، وأما القماش من البندقي والسوسي والموصلي والزَّبيدي فشيء لا يحيط به الحَصْر، فلله دَرَّه من ملك ملأت البر والبحر كتائبه، ووَسِعَت العرب والعجم مواهبه ورغائبه، فكان كما قال عمرو بن كلثوم: [من الوافر]

ملأنا البر حتى ضاق خيلًا ... كذاك البحر نملؤه سفينا

ولما اجتمعت العساكر المنصورة في بَنْدر رَيْسُوت كانت الخيل خمس مئة فارس، والرِّجل سبعة آلاف راجل، فقال بعضهم لبعض: قد رأيتم ما نحن فيه من انفاق الأموال وركوب الأهوال والتواني مِنَّا حينئذ عَجْز وخَوَرٌ، ولم يبْقَ إلا الحَزْم والعزم، فساروا حتى بلغوا عَوْقَدَ وهي مَحَلَّة من محال ظفار، فأرجف عليهم: بأَنَّ خيل حضرموت وصلت إلى ظفار، وكذلك خيل البَحْرين، فتدبّروا بينهم، وقالوا: إنما جئنا للقتال لا لغيره وأين تَعِزّ مِنَّا؟ ولم يكن في ظَنِّهم أن سالم بن إدريس يبرز إليهم فبيناهم كذلك إذ أَقْبَلت عساكر ظفار يقدمها سالم بن إدريس، فلما رآه العسكر المنصور تَأَهَّبُوا للقائه، فَصَفَّ على بعد من المدينة وصَفُّوا له، وكان الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد وأصحابه في الميسرة وكانت الحلقة في الميمنة، وكان الأمير شمس الدين أزدمر في القلب، فلم يكن بأسرع من أن التقوا واصطدموا صَدْمة واحدة، فجالت العَسْكر المظفرية جَوْلَة اقتلعت فيها نحوًا من خمس مئة فرس[3]، ثم كانت الهزيمة، فما نجا من أهل ظفار إلا من استأسر، فكانت القَتْلى ثلاث مئة

---

(1) انظر (السمط الغالي الثمن): 513.

(2) كذا في الأصل ولعله يعني الخواسك بالخاء المعجمة وهم الأمراء المقدَّمون (معجم المصطلحات التاريخية: 135).

(3) العقود: 262 خمسين فارسا.

قتيل والأسارى نحوًا من ثماني مئة أسير، وأخذ من العبيد ما شاء الله، وقُتِل سالم بن إدريس فيمن قتل، ولم يكن له قاتل معروف، واستبق الناس إلى باب ظفار، وضُرِبَتْ الخيام على باب المدينة، وكان الأمير شهاب الدين أحمد بن أزدمر قد تركه أبوه في المَحَطَّة، فجاء العلم منه ليلًا إلى أبيه والأمراء، وهم مجتمعون على باب المدينة بأن رأس سالم بن إدريس قد صار عنده، وقيل: بل عرف أخوه موسى مصحفه وملوطته[1]، فقال: هذا مصحف أخي، وما أظن أخي إلاَّ مقتولًا، ثم طلبوه بين القتلى فوجدوه قتيلًا، فقبر جسده وأخذ رأسه، وكانت الوقعة يوم السبت السابع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، وطلب أهل ظفار الذِّمة فأذم عليهم الأمير شمس الدين أزدمر، ودخلت الأعلام السعيدة المظفرية يومئذ ظَفَار يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور، ووقع العفو عن الناس كلهم، ولم يؤخذ لأحد شيء، واختطب الخطباء على منابر ظَفَار بالألقاب الشريفة المظَفَّرية يوم الجمعة الثالث عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة، وتسلم العسكر السلطاني مدينة شبام في حضرموت يوم الثامن من شهر رمضان، وقَبَضَ الأمير شمس الدين أزدمر قصر ظفار يوم السادس والعشرين من شهر رمضان، وقبض كافة بني الحبوضي وحملوا إلى زبيد وما برحوا تحت الصدقات السلطانية حتى انقرضوا في أثناء الدولة المجاهدية، وانقرض عقبهم، ولم يبق في عصرنا هذا أحد نعرفه.

ولما افتتح السُّلطان مدينة ظفار – كما ذكرنا – امتلأت من هيبته قلوب ملوك فارس وملوك الهند والصين، لما رأوا من عظم هيبته وعظيم نقمته، ولما قتل سالم بن إدريس ارتعدت الأقطار القصيَّة هيبة له، وأرسل صاحب عُمَان بهديته فرسين ورُمْحين إلى الأمير شمس الدين أزدمر، وهو يومئذ في ظَفَار، ووصلت هدايا صاحب الصِّين، ووصل صاحب البَحْرين إلى زبيد، ورَتَّب الأمير شمس الدين أزدمر في ظفار الأمير سيف الدين سنقر البرنجلي[2] نائبًا والحسام التوريزي معه وعدة من مشايخ العرب ومقدَّمي الرِّجل، وعاد إلى اليمن.

وقال صاحب (السيرة[3]) في مدح مولانا السلطان الملك المظفر، وهي من قصيدة طويلة[4]: [من الكامل]

(1) الملوطة: قباء واسع الكمين يلبس فوق الفرجية (معجم المصطلحات التاريخية: 379).

(2) في (و) الزنجلي.

(3) يعني صاحب كتاب السيرة المظفرية الذي ينقل عنه المؤلف، والكتاب مفقود ومؤلفه مجهول.

(4) انظرها في (العقود اللؤلؤية): 264.

فاسأل به الأعلام فهو عقيدها ... والعلم فهو مصنِّف ومؤلِّف
واسأل شبام وحضرموت ومن بها ... أوعيد يوسف صادقًا أم مخلف
أم راضها بالسَّيف أغلب لم يزل ... للحَقِّ يَنْصف والأعادي ينسف
إذ أصبحت بِبِقاع جَرْثُم خَيْله ... كالطَّير للمهُجِ الكرائم تخطف
تَرْمِي العدى بشواظ كل مثقَّف ... فيه لِمِعْوَجِّ الطغاة مُثقَّفُ
فهناك ما بَقِيَتْ لِغَيٍّ هامة ... إلا بِسَيْفِ أبي المُهَنَّدِ يَقْطف
من لا يفوت عليه نَيْل رامه ... لو أنه خَلْف الكواكب يقذف
هو في الأباعد كالأقارب حاضر ... كالشَّمس من كل المطالع تُشْرف
ومن الملوك الصِّيد تحت لوائه ... فِرَقٌ وأخرى في حديد تَرْسُفُ
ليست ظفار بمعظم في ملكه ... بل في مواهبه تهون وتَضْعف
كالبحْر ليس يزيد في أمواجه ... نَهْر وليس يضرّه من يَغْرف
أَظَفارِ بِدْع من مدائن حازها ... بالسَّيف لا تُحْصى ولا هِيَّ تحصف
أم تلك بدع من حصون شواهق ... تبدو فتنكر في النُّجوم وتعرف
أَلْقَتْ بساحتك الرِّجال ملوكها ... فَبِظِلِّ بابك شَمْلهم يتألَّفُ
أدنيت قاصيهم فككت أسيرهم ... آنستهم أَمَّنْتَ من يتخَوَّفُ
هي عادة لك من قديم لم تزل ... تَعْفو وتغفر والشدائد تكشف
كَمْ من ملوك قد أضعت دماءهم ... لما عَصَوْك ولم تُضِعْ من خَلَّفوا

قال صاحب (العقد): وقال أخو كندة[1] مهنئًا لمولانا السلطان: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47] مطالع سعد سطع بالنَّصر نورها، وتباشير صِدْق تضاعف على المؤمنين[2] سرورها، وسَطَوَات ملك دَمَغَ من

(1) في السمط: 564: رجل من كندة.
(2) العقود (العالمين).

البِدْعَةِ باطلها، وجُيُوش نَصْر عَقَدَتْ بمشارق الأرض قَساطِلَها، وَهَدَمت من ربوع البَغْي باطلها، حتى حَلَّت صفقات الخسار، ونزلت بوائق البوار بمن نهض فلم يقدر، وزاحم فلم يَصْبر، والحَمْدُ لله الذي حَبَا لمولانا المقام الأعظم السلطاني العاملي الجوادي الرَّحيمي المَلَكي المظفَّري، خَلَّد الله ملكه في عصور الأزمان، ومعاطف الملوان هذا الفتح المبين، وأخمد بسيفه نار المبطلين: [من الطويل]

وليست ببكر لم يَرَ النَّاس مثلها ... ولكن عَوَانٍ كان من قَبْلها مثل

وحينَ وَرَدَتْ البشارة وَضَحَ الحقُّ للمرتابين، وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنين [والحمد لله رب العالمين](1): [من البسيط]

وعاين النَّاس هامات مُفَلَّقَة ... جاءت من البَحْر تسري بين أمواج
تَؤُمَّها هامة كانت مُتَوَّجَةً ... أودى بها الملك الصِّنديد ذو التاج
ساق المظفر جَيْش النصر من عَدَنٍ ... يَأْتَمُّ في البحر أفواج بأفواج
وأفعم البر حتى ضاق واسعه ... بِجَحْفَل لُجُبُ الأصوات عَجَّاج
من كُلِّ مَعَّاجة تعدو بشكمتها ... وكل نَهْد جموم السَّيْر مَعَّاج
كتائب لأبي المنصور ما فترت ... لفرط أين وتهجير وإدلاج
تشق في فلوات البيد سائحة ... صخرًا(2) من الرمل إلا أنه ساجي
يا طول ذلك من حِلٍّ ومرتحل ... وكُثْرَ شَدٍّ وإلجام وإسراج
حتى وردن ظفارًا بعد ما نبذت ... ما في البطون من افلاذ وأمشاج
وبعد أن عقدت في عَوْقَدٍ قبيا(3) ... ما كان سالمها بالسَّالم الناجي
ما أنعلت ثَمَّ حتى منهم انتلعت ... نصالكم من دم الأجواف ثَجَّاج
تَعْسًا لسالم من غَاوٍ لقد سَلَكَتْ ... به الغواية نَهْجًا شَرِّ منهاج

(1) زيادة من (ع).
(2) الغعقود (بحرا).
(3) العقود: قنبا.

فصار مورد أمر غير مُصْدِرِهِ ... وصار وَلَّاج حَرْب غير خَرَّاج

أضحت بِعَوْقَد منه جُثَّة طرحت ... والرَّأس في كل أرض فوق معراج

رام المضاهاة جَهْلًا فاغتدى سَفَهًا ... ولا مضاهاة بين الدُّر والعاج

لا زالت الثغور معمورة، والجيوش مؤيَّدة منصورة، وعقود التَّهاني منتظمة السُّلوك، والجنود المظفرية قافلة بِجَمَاجِمِ الملوك، ما هَمَرَ رُكَام، وسَجَعَ على فروع الأيك حَمَام.

ولما افتتحت ظفار انقادت حضرموت، فجعل السلطان أميرها محمد[1] بن محمد بن ناجي، فأقام فيها مدة، ثم رَجَع إلى تعز فقيل له: كيف عاملت أهل حضرموت؟ قال: لما دخلت شبام راغمني رجل منهم [يقال له][2] يماني، أعظمهم حالاً، فجَمَعَ عسكرًا لِحَرْبي، وجمعت عسكرًا وطاولته في الحرب حتى أنفق ما كان عِنْده من صامت وناطق، ولم يَبْق معه شيء، وأنا استمد من مولانا السُّلطان، فلما لم يجد شيئًا ينفقه على عسكره وَصَلَني بنفسه حتى أناخ بَعِيره على باب داري، ودخل الحاجب يستأذن له، فقلت: يحضر فلَمَّا دخل علي قال: اعلم أني لما أردت الخروج إليك أشهدت أهل بيتي أني على ذِمَّة ابن الرَّسول وذِمَّتِكَ، قال: فقلت له: وهما عليك، ثم أكرمته وأحسنت إليه، وجَعَلْت له موضعًا[3] يكفيه، وعاد إلى أهله على أحسن الأحوال، فجرى على ذلك النمط أربعة أقوام أحاربهم حتى يؤدوا أنفسهم إلي، وبعد ذلك لم يرفع رأسه إليّ أحد من أهل حضرموت.

وفي سنة تسع وسبعين[4]: استعاد السلطان حصن كوكبان من الحواليين بِحُصْن رَدْمان واثنين وعشرين ألفًا.

وفي هذه السَّنة[5]: كانت الفَرْحة السعيدة، فاستدعى مولانا السلطان، رحَمَهُ الله تعالى، الأمير علم الدين سنجر الشعبي إلى محروس زبيد، واسْتَدْعى كافة الأشراف الحَمْزيين إلى

(1) (السمط الغالي الثمن): 512 ذكره ضمن قواد الحملة البحرية.

(2) سقط من الأصل وأثبتناه من العقود: 266 ويماني المذكور، هو يماني بن أحمد مَلَكَ حضرموت بعد وفاة والده سنة 674 هـ انظر تاريخ حضرموت لشنبل: 101.

(3) يعني بلدا معينا من حضرموت يَتَوَلَّى حكمه.

(4) (العقود اللؤلؤية): 269.

(5) (السمط الغالي الثمن): 268.

أبوابه الشَّريفة، فلم يَصِلَهُ منهم إلاَّ الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، والأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، واعتذر الأمير صارم الدين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة وسائر الشُّرفاء، فلما نَزَلَ الأمير عز الدين والأمير جمال الدين إلى الأبواب السلطانية بسبب الفرحة - كما ذكرنا - قَبَضَ الإمام صارم الدين داود بن الإمام حُصْنَيْهما، وكان لعز الدين تعز صعدة، فطلع الصَّاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني محاكمًا للأمير صارم الدين داود بن الأمام فحط بالجَنَّات بالبون، والأمير صارم الدين بالمَصْنعة الجبل بالمُطِلِّ عليها، فكانا يلتقيان على الثالث والرابع، والأمير عَلَم الدين في صنعاء، فلم يتُمّ بينهم أَمْر، فرأى الصاحب من تَعَجْرُفَهُمْ وإدلالهم بكثرة عساكرهم وسوء مقالتهم ما أغاظه، فكتب إلى السُّلطان يعلمه بذلك فوَرَدَ جوابه يقول: إن لم يدخلوا فيما شرعوه[1] فانبذ إليهم على سواء، وأشعرهم النَّقض، فتوَقَّف الصاحب عن النقض رجاء أن يعودوا، ورَجَعَ إلى اليمن.

وفي سنة ثمانين وست مئة: وقع[2] النقض، فنزل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله والأمير عز الدين محمد بن أحمد إلى الأبواب الشَّريفة السلطانية، فلم يزالا هنالك حَتَّى انفصل أمرهما على تَسْليم حصنيهما الميقاع وتعز صعدة، فَقَبَضَهُمَا نُوَّاب السلطان في المحَرَّم أول سنة إحدى وثمانين.

وفي سنة إحدى وثمانين: طلع الأمير[3] جمال الدين علي بن عبد الله، وخرج إليه الأمير علم الدين الشّعبي بعساكره وساروا جميعًا إلى الظَّاهر، فحَطَّ الأمير علم الدين الشعبي على الكولة وشرع في عمارتها ومعه الأمير عز الدين، وحَطَّ الأمير جمال الدين علي بن عبد الله على حُصَنَيْ كُحْل وأَشْيح بالظاهر الأعلى فَأَخَذَهُمَا في أقرب مدة، وعاد الأمير عَلَمُ الدين إلى محطته وقد رتب في الدحضة والحيسين[4] وذروة، نقباء[5] في عساكر جَيِّدة، ثم رَتَّب الشريف علي بن عبد الله بالكولة في مئة فارس وألف راجل، وأضاف إليه سائر الرُّتب، ونزل

---

(1) العقود (شرطوه).

(2) (السمط الغالي الثمن): 532.

(3) (السمط الغالي الثمن): 537.

(4) في (السمط الغالي الثمن): 538 (الحبسين).

(5) العقود: 872 والذروة بعض النقباء.

هو والأمير عز الدين نحو شُوَابَة ولم ينقل الأمير علم الدين محطته من الكولة إلاَّ بعد سنة حتى استقامت أمور الرُّتب على ظَفَار من الناحية العليا، ثم نَهَض إلى الناحية السفلى – كما ذكرنا – فَحَطَّ في شوابة هو والأمير عز الدين فعمر درب شوابة وشَحَنَهُ ورَتَّبَ الأمير عز الدين، ثم عاد إلى صَنْعاء واستقامت المحاط والحِصَار على ظَفَار: والأمير جمال الدين في الناحية العليا أو الأمير عز الدين في الناحية السفلى.

وفي سنة اثنتين وثمانين: توفي الأمير عَلَمَ الدين سنجر الشَّعبي بصنعاء، انهدم عليه القَصْرِ فمات هو وجماعة مِمَّنْ كان معه حينئذ.

حكى صاحب (العقد)[1] في كتابه قال: كنت ممن كان يومئذ في مَجْلس الأمير عَلَمَ الدين الشعبي دخلت عليه ومجلسه يغصُّ بالناس فَحَضَرَ غداؤه وتغدَّى الناس وانقضت حوائجهم وخرجوا، ولم يَبْقَ في المجلس إلا الأمير علم الدين وصِهْره محمد بن بدر ومملوكان للأمير صغيران، وأبو بكر بن عمارة، وكاتب الأمير وقاضي الشَّرع عمر بن سعيد وأنا وأخي علي بن حاتم، فوقفنا إلى أن أَذَّنَ المؤذن للظُّهر، فقام الأمير فَتَطَهَّرَ وصَلَّى وعاد إلينا، ثم قال لمملوكه: إِحْمل الماء للجَمَاعة يصلُّون، ثم عدنا إلى ما كُنَّا فيه من الحديث، فلم نشعر إلَّا وقد دخل علينا غُبَار من قرب الشبابيك، فقام الأمير وسأل غلامًا له ما سَبَبَ الغبار؟ فانتثر علينا غبار وتراب من السقف، فَهَمَمْنا بالخروج فانحطم السَّقف الأسفل من تحتنا قبل الأعلى، وذلك آخر عهد بعضنا ببعض، وكان الهَدْمُ في أول وقت الظهر فوقفنا تحت الهدم إلى المغرب، وكنت أتلو ما أحفظه من القرآن وأدعو بما تَيَسَّر من الدعاء، وأتضرَّع إلى الله، ولم يبق في خاطري إلا الموت، فما شعرت إلا بالمَسَاحي فوق رأسي، فكان [حِسَّها][2] يقرب قليلاً قليلا، حتى فتشوا على رأسي ووجهي، فَذَكَرْتُ الله تعالى، فاستخبروني عن نَفْسي، فقلت: أنا بخير إن شاء الله، فسألوني عن الأمير، فقلت: هو قريب مني، فأخرجوني وحَفَرُوا عن الأمير فوجدوه مَيِّتًا قد وقعت على رأسه خشبة عظيمة، واسْتَمَرَّ الحفر عن الجماعة فأخرجوا القاضي عمر بن سعيد وهلك الباقون، ولم يَصِلُوا إلى آخرهم إلاَّ آخر الليل.

ولما وقع في صنعاء هذا الحادث العظيم اضطرب الناس في صَنْعَاء وأعمالها، وبلغ الأمير صارم الدين فَجَمَعَ عسكره والمماليك الأسدية وتَوَسَّموا قَصْد الأمير جمال الدين [علي بن

(1) (السمط الغالي الثمن): 538 و(كنز الأخيار): 114.

(2) زيادة من العقود.

عبد الله][1] ورفع المحاط، فخرج الأمير عِزّ الدين دويدار الأمير عَلَم الدين من صنعاء في مئة فارس وخمس مئة راجل إلى البون، وجاءت عيون الأمير صارم الدين بالعلم إليه، فَخَرَجَ بعسكره إلى الظاهر الأسفل وتَجَرَّدَ وعَرَّج عن الظاهر الأعلى، ثم صار إلى حُوْثٍ، ثم عاد إلى ظفار، وطلع الأمير فخر الدين فيروز في عَسْكره من اليمن إلى صنعاء، واستقرت المحاط على ظفار بعد ذلك نحوًا من سنة[2].

وانتقل الشريف علي بن عبد الله من الكولة فعمر المنقل وأقام فيه مدة، ثم طلع المنارة فعمرها وأقام بها مدة، وهجم عليه الأمير صارم الدين ليلة في أول عمارتها فلم يظفر بشيء، ثم نزل الأمير عز الدين إلى السلطان وعاد إلى صعدة، ولم يلبث أن مات.

وفي سنة ثلاث وثمانين: طلع[3] الملك الواثق إبراهيم بن السلطان الملك المظفر إلى صنعاء مقطعًا لها، فدَخَلها يوم الثَّاني والعشرين من شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة، وتَسلَّم حصن براش وقبض على الأمير سيف الدين بلبان العلمي الديدار، وكان قد ظَهَرَ منه ما يوجب ذلك[4].

ولما تضايقت الأحوال بالأمير صارم الدين داود بن الإمام عرض على الإمام الحسن بن وهاس القيام معه فأبى عليه، وعَرَضَ على الإمام المطهر بن يحيى فأبى عليه أيضًا لما يعلمون من سيرته مع الأئمة ومخالفته لهم، فعمد إلى ابن أخيه وهو يوسف[5] بن إبراهيم بن الإمام، وكان قد قرأ شيئًا يسيرًا في العلم، ولم يكن بكامل للإمامة ولا لغيرها، فأقامه إمامًا وأخرجه إلى ثِلَا ولَبَّس به على العامة واجتمع معه عسكر كثير، ثم خرج به إلى الظَّاهر فانحاز منهم الشريف علي بن عبد الله إلى جبل الميقاع، إذ لم يكن مَعَه من العَسْكر ما يقابلهم به، فقاتلوا على الكولة والحيسين[6]، فلم يظفروا منها بشيء، فقصدوا المنقل والمنارة فأخذوهما قَهْرًا، ثم ساروا نحو صعدة فطلب[7] الأمير علي بن عبد الله المادة من السُّلطان فجهَّز إليه الملك

(1) زيادة من العقود.

(2) (كنز الأخيار): 114.

(3) (كنز الأخيار): 114 و(السمط الغالي الثمن): 543.

(4) (كنز الأخيار): 115 و(السمط الغالي الثمن): 543.

(5) العقود: إبراهيم بن أحمد، وكذا في (كنز الأخيار): 115.

(6) في (ع) الحيشين، وفي (كنز الأخيار) (الخيسين).

(7) (السمط الغالي الثمن): 545.

الواثق الفهد بن حاتم في سَبْعين فارسًا من هَمْدان، والأمير شمس الدين أحمد بن أزدمر في ثلاثين فارسًا وخمس مئة راجل، فلما وصلوا الكولة إلى الأمير جمال الدين علي بن عبد الله جعل إخوته [وعيال](1) يحيى بن الحسن في الكولة، وسار في العَسْكر المنصور نحو صعدة، وكان العسكر يومئذ أربع مئة فارس وألف راجل، فساروا حتى دخلوا صعدة، وكانت الأشراف تحت تُلُمُّصْ، فتراكزوا نحوًا من شهرين، ووقعت حروب شديدة، وعُقِرت خيول كثيرة من الفريقين، وكان الأمير جمال الدين يغرم(2) الخيل ويطعم الجمال ويتولَّى الأمور بنفسه وسائر المحطة ليلًا ونهارًا، وكان السُّلطان يجهِّز إليه الخزائن والنَّفَقات للعساكر قبل استحقاقها، فَعَجِزَ الأمير صارم الدين عن مقاومته فخَرَجَ هاربًا على جبل بني عوير، ثم على سواد عزَّان، ثم على شَظَب حتى دخل ثِلَا، والشَّريف علي بن عبد الله معارض له إلى أن حَطَّ في الجَنَّات.

وفي هذه السنة: توفي(3) الإمام إبراهيم ابن تاج الدين في حصن تعز معتقلاً، وكانت وفاته في شهر ربيع، رحمه الله رحمة واسعة.

وفي شهر ذي الحجة: توفي الإمام(4) الحسن بن وهاس، وكانت وفاته بصعدة.

وفي سنة أربع وثمانين: جَهَّز(5) مولانا الملك الواثق عسكرًا إلى المنقب، وخشي أن يخرج الأمير صارم الدين من ثِلَا إلى البلاد الشهابية، فحصروه في ثلا، فتداركه الشَّيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد، وسَعَى بالصُّلح فيما بينه وبين السلطان، وارتفعت المحاط وعاد الكُلُّ إلى صنعاء، وكان الصُّلح على خلاص رَهِينَة الأمير صارم الدين، وهو ولده محمد بن داود، وكان في حصن الدملؤة وعلى تَعْديل(6) حصن القفل بظفار، فانعقد الصلح على ذلك، واستمرت الذِّمَّة والصلح برهة من الزمان.

وفي سنة خمس وثمانين: ضُرِب(7) الدّرهم السعيد المظَفَّري في مدينة صعدة، ونزل الأمير

---

(1) سقط من (و).

(2) يغرم الخيل (عبارة السمط: 545).

(3) مآثر الأبرار2: 902 و(غاية الأماني): 469.

(4) مآثر الأبرار2: 899.

(5) (العقود اللؤلؤية): 291.

(6) أي جعله كضمان لانعقاد الصلح يكون بيد الملك الواثق الرسولي.

(7) (العقود اللؤلؤية): 294و (غاية الأماني): 469.

جمال الدين علي بن عبد الله إلى الباب الشَّريف السلطاني، فَتَلَقَّاه الملك المسعود [حسن بن الملك المظفر][1] والقاضي بهاء الدين الصاحب إلى الحوبان، وحَضَرَ المقام السلطاني للفور[2]، وأقام أيامًا، ثم حُمِلت له الطَّبْلخانة خمسة أحمال وخمسة أعلام، وزاده مع البونين الخَشَبِ والخارد ومَطْرة وحصن ذيفان، فأنشأ قصيدة يمدح بها السلطان الملك المظفر، وفيها يقول[3]: [من الطويل]

وأعلمت بالأعلام يوسف أنني ... صَفَيٌّ[4] وأني عند حادثة ذخر

وحَرَّكت[5] بالكوسات[6] ما كان ساكنًا ... ولكن به عن سَمْع تحريكها وَقْر

وفي هذه السنة المذكورة: احتال[7] الأمير صارم الدين في فكاك حُصْنه القفل، [وخشي عليه الفوات][8]، فتَقَدَّم إلى جهة صعدة وأصلح أموره فيما بينه وبين ابن أخيه الأمير نجم الدين موسى بن أحمد بن الإمام، فاستنجدوا بالإمام مُطَهَّر وحَمَلُوه على الخروج إلى ناحية صعدة، فخرج من ذروان حجة وجمع جموعًا وسار نحو صعدة، وجاءته خولان فقاتل على الدَّرب فأخذه قهرًا، وقتل الرتبة الذين كانوا فيه، وهم نحو من ثمانين رجلًا، وأسروا الوالي غلاب[9]، وقتل من عسكر الإمام خمسة وثلاثون بالنشاب، ثم سار الإمام ومعه الأمير موسى بن أحمد إلى الجَوْف فأخذوا القحرة وسراقة[10]، وطلعوا الظاهر وخربة الكولة........[11]

(1) زيادة لا توجد في العقود، والمذكور انظره في (طرفة لأصحاب) لأخيه الملك الأشرف: 91.

(2) (كنز الأخيار): 116 يقول محدثا عن والده (وأقام والدي إلى السلطان سنة خمس وثمانين وأنا يومئذ غلام ابن اثني عشرة سنة فتلقاه الملك المسعود).

(3) انظرها في (كنز الأخيار): 116.

(4) في (ع) ملاذ.

(5) في (ع) وحرست.

(6) الكوسات: هي صنوج نحاسية يدق بأحدهما على الآخر (معجم المصطلحات التاريخية: 343).

(7) (السمط الغالي الثمن): 548.

(8) زيادة من (ع).

(9) في (ع) عذاب والسمط (غلاب بن احمد) وأضاف لنا معلومة اجتماعية هامة يقول: وفي غرض ذلك طلع البدو لزرع سدال، فأعطانا معلومة هامة عن مواسم البذور في اليمن واسم الشجرة سدال.

(10) (كنز الأخيار): 116 (الفجرة وشرافة).

(11) بياض في (و).

والدحضة، وحَطُّوا على الزَّاهر ووثب الأمير صارم الدين داود بن الإمام على حصنه القفل فَحَطّ عليه، وأرسل إلى الملك الواثق بالنَّقْض، فَجَهَّز الملك الواثق مئتي فارس من الغز والعرب، ومقدمهم الشريف جمال الدين علي بن عبد الله وأمرهما بطلوع الظاهر، فلم يَتَهَيَّأ لهم الطلوع، ثم جهز السلطان أستاذ داره الأمير شمس الدين علي بن الهمام في خيل من اليمن وأمره بالغارة على الزاهر، فلما وصل صنعاء خَرَّج إليه الملك الواثق شحنة إلى ذروة[1]، وجهَّزَ الأمير علي بن عبد الله والأمير أستاذ دار لرفع المحطَّة عن الزاهر، فلما علم بهم الأشراف ارتفعوا عن الزاهر، وطلع الإمام إلى الظاهر واشتدت محطَّة الأمير صارم الدين على القفل، وعاد الملك الواثق إلى صنعاء، فكثرت الأراجيف والغوائر في البلاد، واضطربت البلاد اضطرابًا شديدًا، وتفاقم الأمر واشتد، وخالف أهل المشرق وأهل المغرب، وفسدت البلاد من نقيل صَيْد إلى صعدة[2].

فلما حدثت هذه الحوادث أرسل السلطان ولده الأشرف إلى صنعاء مقطعًا لها، واستدعى ابنه الواثق، فدَخَلَ الملك الأشرف صنعاء يوم الثامن من جمادى الأخرى من السنة المذكورة، ثم خرج منها إلى مَحَطَّة ذيفان، ثم سار نحو الظاهر، ووطئ البلاد وطأة شديدة وأخرب أجزل الظاهر الأعلى وأجزل الظاهر الأسفل، ووَصَلَتْ عساكره المنصورة عِيَان[3] وخَيْوان، ولم يمتنع منه شيء، ولا بلغ أحد حيث بلغ، وقاتل على القُبَّة مرارًا، وأمر بعمارة الكولة، ورَتَّب الشريف علي بن عبد الله بها، وأطل عيد رمضان وهو مخيم بالكولة، فكان أحسن عيد وأبهجه.

ولما أخرب[4] الظاهر - كما ذكرنا - وحصر الأمير صارم الدين في القبة، وقَوَّى الرتب على ظفار وعَمَرها، ورتَّبَ الأمير جمال الدين علي بن عبد الله في مئة فارس وألف راجل في الكولة،نهض من الظاهر إلى بلاد الأمير عبد الله بن علي بن وهاس فأخربها وقطع أشجارها وكرمها وأخرب دروبا[5] من زمان الجاهلية.

---

(1) في (ع) داره.

(2) (كنز الأخيار): 117 و(السمط الغالي الثمن): 550.

(3) (السمط الغالي الثمن): 552 (عيان وخيران).

(4) (السمط الغالي الثمن): 552.

(5) جمع درب (طرق).

ثم قفل[1] من بلاد ابن وهاس إلى مدينة صنعاء، فخرجت العساكر من صنعاء لدخوله وحشدت الجنود، فلم ير يوم أعجب ولا أبهج ولا أكثر جموعًا من ذلك اليوم، فدَخَلَ من باب النصر، فلما حاذى القصر السعيد فرش لحصانه ثياب الحرير المُعْلَمة بالذَّهب، ونَثَرَ على الناس من البيضاء والصفراء ما لا يحصر، وأقام في صنعاء والأمور منتظمة والثُّغور مُنْسَدَّة، والحرب على القبة والحصار على ظفار والإمام مطهَّر في جبل تنعم لا يصل إليه أحد من العرب، والأمير صارم الدين محصور في القبة.

وفي سنة سبع وثمانين: جرى[2] حديث الصلح، فأصلح الأمير صارم الدين بعد استيلائه على القفل فصاحت الصوائح في محروس صنعاء يوم السَّبت الثاني عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم وقع الصّلح بين الإمام والملك الأشرف، فصاحت الصوائح بذلك يوم العاشر من جمادى الأخرى، ولم يصلحه على شيء من البلاد ولا الرَّعايا[3] إلاَّ على بعض القبائل الأجبار[4] كبني حي وبني سحام والأعروش وبني مطعم، ثم قَفَلَ إلى اليمن وكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة غرة شهر رجب من السنة المذكورة، ثم طلع مولانا السلطان الملك المؤَيَّد صنعاء مقطعًا لها، فدَخَلَها في الرابع عشر من ذي القعدة من السَّنَة المذكورة، ولما دخل صنعاء وَصَلَهُ جميع الناس من العرب، ووَصَلَ الأمير جمال الدين علي بن عبد الله، ووصلت رُسُلُ الشرفاء كافة بالخيل ضِيْفة، فأقام مدة في صنعاء، وخَرَجَ إلى جهات ذمار، ونَفَذَ الصُّلح بينه وبين الإمام مطهر.

وفي سنة ثمان وثمانين[5]: دغم المرتبون بحصن بريش في شهر رجب فسار إليهم الملك المؤيد فقتل منهم طائفة وأخذه منهم قهرًا.

وفي هذه السنة[6]: وَثَبَ جماعة من جشم على حصن بيت نعم، وكان الإمام مصلحًا [عليه] وكان في شروط الصلح: أن أي قبيلة تَعَدَّتْ من إحدى الجنبين وامتنعت بحصن

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 554.

(2) (العقود اللؤلؤية): 300 و(كنز الأخيار): 117 و(السمط الغالي الثمن): 555.

(3) أي لم يتم الصلح على شيء مما تدفعه الرَّعايا من الجبايات للإمام المذكور.

(4) أي القبائل المعفوة عن دفع الجبايات جمع جبر انظر (المعجم اليمني) لمطهر بن علي الارياني: 119).

(5) (كنز الأخيار): 117.

(6) (العقود اللؤلؤية): 302 و(السمط الغالي الثمن): 556.

أو جَبَل، فإنهم غرماء لمولانا السلطان وللإمام، وأن مولانا السلطان والإمام بعده متفقان على أن من أحدث حدثًا [يعتضدان][1] عليه، فلما حدث من هؤلاء ما حدث أمر السلطان بالمحطة عليهم فلم يفعل الإمام ولا ساعد إلى شيء من ذلك.

وفي سنة تسع وثمانين: توفي[2] الأمير صارم الدين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة، وكانت وفاته في التاسع عشر من صفر.

وفي هذه السنة: نزل[3] السلطان إلى زبيد بسبب الفرحة التي أنشأها لتَطْهير أولاد أولاده، ونزل بسببها مولانا الملك المؤيد، ونَزَل الشريف جمال الدين علي بن عبد الله، والأمير نَجْم الدين موسى بن أحمد بن الإمام، فكان ذلك إمارة سَببًا لقوة الأمير همام الدين سليمان بن القاسم بعد موت عَمِّه الأمير صارم الدين فتَمَلَّك حصون ظفار وسار إلى تَلَمُّص صعدة فقَبَضَه، ولما رجع الملك المؤيد إلى صنعاء وقد انتقض الصلح بين السلطان والإمام - كما ذكرنا - تظاهر الأمر[4] بنقض الصلح، فلما نقض الإمام الذمة جاءت كتب أهل المشرق بالطاعة لمولانا السلطان فطلع الملك المؤيد بجيوشه وعساكره فلم يبق أحد من قبائل المشرق والمغرب إلاَّ وصله ودخل في طاعته رَغَبًا ورَهَبًا، ومنهم من امتنع فقاتله الملك المؤيد وأخرب بلادهم ودخلوا في طاعته قهرًا، واستولى الملك المؤيد على كافة المشرق فأخربه وقاتل عسكر الإمام، ثم قصد[5] الإمام إلى جبل اللوز وكان الإمام مطهَّر بن يحيى يومئذ فيه، وكان قد رتَّبَ ابن عمَّه الشريف أسعد بتنعم، وفيه حريمه وأولاده، فقاتله الملك المؤيد أيامًا ثم طلعه عليه قهرًا في خامس المحرم أول سنة تسعين.

وفي سنة تسعين وست مئة[6]: قتل طائفة من عسكر الإمام، وخرج الإمام هاربًا من الملك المؤيد في طريق متوعِّرة وشعوب لم تسلك قبل ذلك على بلد بني وهاس، ثم على الظاهر إلى أن صار إلى ذروان، وعاد الملك المؤيد من جبل اللوز إلى تنعم فحَطَّ عليها يومين

(1) سقط من (و).

(2) (كنز الأخيار): 117 و(السمط الغالي الثمن): 557.

(3) (كنز الأخيار): 117.

(4) العقود (الإمام).

(5) (كنز الأخيار): 117.

(6) (كنز الأخيار): 118 و(العقود اللؤلؤية): 316.

وتَسَلَّمها ورفق حريم الإمام فلحقوا به، وأخرب تُنْعم خرابًا عظيمًا، وعاد إلى صنعاء ظافرًا مسرورًا، فأقام بها مدة برهة من الزمان.

وفي سنة اثنتين وتسعين[1]: أقطع السلطان الملك المظفر ولده الواثق [نور الدين][2] إبراهيم ظفار الحبوضي، فركب البَحْر من عدن في شهر رمضان وسار إليها ولم يَزَلْ بها إلى أن توفي فيها، وكان وفاته يوم العاشر من المحرم أول شهور سنة إحدى عشرة وسبع مئة[3]، واستقل أولاده بالملك بعده هنالك، فهم ملوك ظفار إلى يومنا هذا، والله أعلم، وكان الملك الواثق من خير أولاد أبيه، لم تعلم له صَبْوة، وكان له مشاركة في الفقه والنحو واللغة، وكان شاعرًا فصيحًا، حسن الشعر، ومن شعره قوله في أبيه من جملة قصيدة يمدحه بها[4]: [من الطويل]

وما أنت إلا دوحة أنا غصنها وأفضل ما في الدَّوح غصن ومثمر

وفي هذه السنة[5]: حصلت وحشة بين الأمير جمال الدين علي بن عبد الله وبين الملك المؤيد فتخَوَّف الشريف جمال الدين من الملك المؤيد فترك الوصول إليه، وأخرج حريمه من صنعاء ليلًا[6]، فنمى الخبر إلى الخليفة، فكَتَبَ إلى الشريف علي بن عبد الله بسبب تخلفه عن الوصول، فكتب إليه الشريف جوابًا يقول فيه: يا مولانا ابنك ملك شاب قادر وأخشى منه بادرة، وأكثر ما تقول: أخطأ داود، فعاد جوابه يقول: معاذ الله، أن يَفْعَلَ ذلك، وأن يخالف أباه، فلم تطمئن نَفْس الشَّريف، واستمر على الامتناع وتأكَّدَت الوحشة، وتظاهر الأمير جمال الدين بالخلاف ومراسلة الإمام مطهر، وطلع إليه بعسكر عظيم، وحشد الأمير جمال الدين من معه من أهل شظب وأهل الظاهر، والتقى بالإمام وقصد الجميع منهم الكولة وحطوا عليها أيامًا، فلم يتَّصِلوا منها بشيء، وبعد ذلك اتفق الأشراف واحتلفوا، وهدموا ما بينهم من القتول والذحول، وأقبلوا على حرب السلطان، فطلعت العساكر المنصورة

(1) (كنز الأخيار): 118.

(2) زيادة لا توجد في العقود.

(3) انظر ترجمة الواثق بتوسع في (طراز أعلام الزمن): 240.

(4) (طراز أعلام الزمن) 1: 240.

(5) (كنز الأخيار) لابن صاحب هذه الحادثة: 118 يقول: ثم إن والدي استوحش من المؤيد وتخوف منه وكان يظن فيه الميل إلى الملك الأشرف اهـ و(السمط الغالي الثمن): 558.

(6) عبارة (الكنز): وأخرج قاسم بن محمد الأبرش الرهينة من صنعاء اهـ ولم يذكر بقية أهله.

والخزائن المعمورة من اليمن، فكانت الخيل نحوًا من ألف فارس والرجل نحوًا من عشرة آلاف رجال[1].

وخَرَج الملك المؤيد في عساكره وعساكر أبيه وطلع الظَّاهر فحَطَّ في الماجلين، فحصل بينه وبين الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن علي بن وهاس خطاب [ومراسلات][2] ثم التقوا واصطلحوا ومال بعسكره إليه بعد أن حَلَفَ له على الوفاء، فأقام الملك المؤيد هنالك شهرًا، ثم طلع الظاهر وأقام في الظاهر الأعلى أيامًا، ثم نَهَضَ إلى الظاهر الأسفل، ثم قصدهم إلى ماجل الصَّعدي، فوقع قتال عظيم، ووَلَّت خيل الأشراف ورِجْلها حتى صاروا بالأكمة الحمراء، فخالف عليه بنو شهاب، وأهل حضور وانحازوا من عَسْكر السلطان إلى عسكر الأشراف وردُّوا على الناس ردة صادقة، فقتل خمسة أنفار، ثم عاد الملك المؤيد إلى محطَّتِه، ثم نهض إلى الكولة ولم يقف غير ليلة واحدة، ونهض إلى البُون وطلب منه الأمير علي بن عبد الله بن علي بن وهاس عسكرًا لتقف معه، فأعطاه خيلًا ورجلًا ورجع إلى صنعاء.

وفي سنة ثلاث وتسعين: تَجَهَّز[3] الملك المؤيد للحرب والطلوع إلى ناحية حضور والبلاد الشّهابية، فخَرَج من صنعاء فحَطَّ في القبة[4]، فوقع بينه وبين الأمير جمال الدين علي بن عبد الله مراسلة في مَعْنى الصلح على يد الفقيه شَرَفَ الدين أحمد بن علي بن الجنيد وزير مولانا الملك المؤيد فلقيه الفقيه وثبتوا على كلام الصلح على أن مولانا المؤيد يرجع إلى صنعاء، وأن تمام الصلح يكون في ذمار، ولم يَرِدِ الأمير جمال الدين إلا الخديعة، لأنه على غير أهبة الحرب، فرجَعَ الملك المؤيد إلى صنعاء وتجَهَّز الشريف جمال الدين للمراح[5] إلى ظفار، واستصحب مشايخ البلاد وكبارهم معه، وجَهَّز الملك المؤيد وزيره الفقيه شهاب الدين[6] في خمسين فارسًا من المماليك البحرية ومئتي راجل[7]، وما تحتاج إليه من الخيام

---

(1) (السمط الغالي الثمن): 558.

(2) سقط من (و).

(3) (كنز الأخيار): 119 و(السمط الغالي الثمن): 559.

(4) السمط (القفة).

(5) العقود (المسير).

(6) العقود (شرف الدين أحمد بن علي الجنيد).

(7) السمط (ومثنى مفرد).

والمطابخ والآلة وجماعة من الجندارية[1] والبردارية[2]، فخَرَج من صنعاء وحَطَّ تحت ظفار في وَرْوَرْ، ثم طلع إلى ظفار بجماعة من الخيل وجماعة من الرِّجْل وخاضوا في حديث الصُّلح وأوهموا الوزير[3] أن الأشياء تامة وما قَصْدهم إلا إصلاح نفوسهم، واستلحاق من تأخر عنهم من أصحابهم مثل: الأمير موسى بن أحمد بن الإمام، والأمير جمال الدين عبد الله بن علي بن وهاس فكاتبوهما واستمالوهما فخالفا على السلطان أيضًا، ودَخَلا ظفارًا موِّكبين، فاتفقوا جميعًا، وحَلَفَ الكلُّ منهم للأمير همام الدين سليمان بن القاسم، فلما اتفقت كلمتهم اجتمعوا بالفقيه شرف الدين وقد كتبوا كتابًا بالصُّلح وشرطوا فيه أشياء لم تجر بها عادة، وقالوا: نحن لا نُصَالحُ إلاَّ على ما قد ضَمَّنَّاه هذا الكتاب، فأرسل به إلى مخدومك، فأرسل الوزير بكتابهم إلى الملك المؤيد، فلما وقف على مضمونه أرسل إلى والده الخليفة، فلما قرأه الخليفة استنكره، ولم يكن له جواب إلا خروج الأمر العالي إلى الملك المؤيد بخروجه في عساكره إلى البلاد الشهابية والحضورية، وتَجْهيز الأمير بدر الدين حسن بن بهرام والفهد بن حاتم[4] إلى ناحية صعدة، فلما وصل جواب السلطان الملك المظفر إلى ولده الملك المؤيد تَجَهَّزَ وخرج إلى البلاد الشهابية، فأخرب فيها عدة مواضع، ونَهَضَ إلى ناحية حضور فأخرب فيها مواضع أيضًا في حازة الجبل، ووصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بِعَسْكر جَرَّار نحو من ألفي راجل مادة للأمير جمال الدين علي بن عبد الله، وخَرَج الأمير همام الدين سليمان بن القاسم من ظفار فحَطَّ في موضع أقسط[5] من بلاد ابن وهاس قريب من الرحبة، فكان الملك المؤيد يحاربهما تارة في رهقة وتارة في جبل حضور، وصَبَّحَ بيت شعيب فأخذه قهرًا بالسيف وقتل أهله، ثم عاد إلى بلد ابن وهاس فأخذ مَصْنعة بني القديم وأخرب البلاد، وعاد إلى صنعاء في شهر شعبان من السنة المذكورة، ثم عَقَدَ ذمة في الباب السلطاني بينه وبين الأشراف، ولذلك عاد إلى صنعاء[6].

(1) السمط (الجنادير).

(2) السمط (البردادرية) وهو الصواب انظر شروح هذه المصطلحات في تحقيقنا السابق للعقود اللؤلؤية.
والكتاب المذكور هو عبارة عن القسم الثاني من كتابنا هذا وإن اختلفت العبارات والجمل في مواضع يسيرة.

(3) السمط (وأوجدوا الفقيه).

(4) عبارة صاحب السمط: 560 (وصِنْوى الفهد) لأنه أخ مؤلف الكتاب محمد بن حاتم.

(5) كذا في (و) والسمط: 561 وفي (ع): اقط وفي العقود اللؤلؤية: 323 (قشط).

(6) السمط: 561.

وأما جريدة صَعْدة فكان في مقاتلتهم الأمير نجم الدين موسى بن أحمد بن الإمام في نحو من ثلاث مئة فارس ما خلا الرِّجل، فوقعت بينهم حروب شديدة حصل القتل في الفريقين، ثم حصلت ذمة ثلاثة أشهر، فنزل الملك المؤيد في الأبواب السلطانية، ونزلت رسل الأشراف لتمام الصلح، وخرج الأمير علي بن عبد الله إلى ناحية المَشْرق فابتنى مصنعة تنعم، فأجابه أهل المشرق قاطبة، واتصل بالأمير سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى، وكان في ناحية ذمار، وركن الناس إليهم، ووقع[1] الفساد في البلاد، فبرز أمر السلطان بطلوع ولده الملك الأشرف إلى البلاد العليا بسبب الصلح، فدخل مدينة صنعاء يوم الإثنين العشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، فوصل إليه أهل المشرق قاطبة والكافة من أهل حضور والأمراء الشهابيون، وجاء بنو الراعي أرسالًا، ثم خرج الأمير علي بن عبد الله من ظفار إلى رَدْمان، فخرج أمر مولانا الملك الأشرف على الأمير بدر الدين محمد بن حاتم[2] بالمضي إلى رَدْمان والمسير مع الأمير علي بن عبد الله إلى صنعاء، قال: وكان الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة، وصل إلى الشريف علي بن عبد الله وأقام عنده في ردمان فنزلا معًا صحبة الأمير بدر الدين محمد بن حاتم إلى مولانا الملك الأشرف بصنعاء، فلما وصلوا إلى القلعة لقيهم الأمير صلاح الدين ابن مولانا الملك الأشرف [مؤنسا ومشرفا فلما صاروا قريبا من المدينة لقيهم الملك الأشرف][3] بنفسه في عساكره وجنوده فسَلَّموا عليه، ودخل الجميع تحت ركابه حتى وصلوا القصر السعيد، فأكرمهم وقابلهم بالقبول، ولم يبق أحد ممن شهر نفسه بالخلاف إلاَّ وصل إليه رَغْبَة ورَهْبة، وفي ذلك قال أخو كندة[4] ممتدحًا لمولانا الملك الأشرف من قصيدة مطلعها[5]: [من الكامل]

هو في انتقاد البيض طِبٌّ صيرف ... فَتَنَّح عنه فربما هو أعرف
يرتاح من كل الملاح إلى التي ... في ثَغْرِهَا بَرَد يَرِفُّ وقَرْقَفُ

---

(1) عبارة السمط (ورفع كل مفسد رأسه من نقيل صيد إلى صعدة).

(2) السمط – محدثا عن نفسه – وورد أمر السلطان إليَّ بالمثول إلي الأبواب الشريفة ونَزَلْت صحبة الملك المؤيد اهـ، والمذكور هو مؤلف السمط الغالي الثمن.

(3) سقط من (و).

(4) في السمط (رجل من كندة).

(5) وردت نبذة منها في (السمط الغالي الثمن): 564 وانظرها في (العقود اللؤلؤية): 324.

واسأله عمَّا شئت من ألم الهوى ... يُخْبِرْكَ فهو المستهام المُذْنِفِ
ما فارق العلمين حتى عَلَّما ... أجفانه كيف المدامع تذرف
أبدًا ولا عَنَّت[1] بعَسْفان المها ... إلا وعَنَّ له هوى متعسِّف
ولطالما سارت غرائب نظمه ... وَسَمَت فكان لها اليفاع المُشْرِفُ
مِدَحٌ إذا رويت أشاد بذكرها ... عمر[2] وشَرَّفها المليك الأشرف
غفل به وُسِمَتْ ومن تنكيرها ... أضحت بطيب ثنائه تتعرف
وبضاعة جُلِبَتْ فشَتَّى ربحها ... فيما لديه محصَّب ومعرَّف
ملك بيُمْنِ قدومه باب الرَّجا ... فَتْح وسُحْب الجود جُوْد وُكَّفُ
قرم تشَذَّرَ فالوغى مشبوبة[3] ... والخَيْل تعدو والركائب توجُفُ
ومعوَّد للنَّصر مشهور[4] به ... راياته بِدَمِ الفوارس تَرْعُفُ
وافى[5] وليَّ العهد جاد عهادنا ... وأماننا من كل ما نَتَخَوَّف
[وافى الخليفة بعد نَصٍّ نَصَّه ... في عنفوان حياته المُسْتخلف][6]
بُرْدٌ تقمصه الممهَّد خَصَّه ... بلباسه الملك المظفَّر يوسف
قل للأولى زَعَموا بأن عنادهم ... ما كان حَتَّى كلّفوا فتكلَّفوا
ليَعُدْ إلى المحبوب كل مكلَّف ... فلديه مَلْك بالرِّضا متعطِّف
أو فليثق إن لَجَّ في طغيانه ... بِعِقَاب يوم ليس فيه مُنْصِفُ
هذا ملاذ الخائفين وهذه ... عَيْن الحياة فمن أَحَبَّ فيغرف

(1) الأصل عينان وأثبتاه من العقود.
(2) يعني عمر بن أبي ربيعة الشاعر المعروف.
(3) الأصل: مسنونة.
(4) في (و) موسوم.
(5) من هنا يبتدىء النقل من السمط: 564.
(6) هذا البيت سقط من العقود.

هـذا ابـن سَـيِّـد يـعـرب ومليكها — هـذا الـجـواد السيد المتعطِّف[1]
حَــرَمُ الـخـلافـة مـا عـداه فخائف — مـن حـولـه يتخطّف المتَخطف
سَـنَّ الـوفـاء فما الـسَّـمّـوْءَلَ قبله — في الـصِّـيـت إلا آخـر متخلِّف
وتَـأَلَّـفـت فـيـه قـلـوب لـم تكن — إلا بِـسِـيـرَةِ عَـدْلـه تَـتَـألَّـف
ودَعَـــا مـناديـه الأنـــام فـلـم يكن — لـلـخَـلْـقِ عـنـد نـدائـه مـتـوقِّـف
يـغـشـون بـاب مـتـوِّج مـا إن لهم — عـنـه وعـــن عَـتَـبَـاتـه مـتـصـرِّف
ويروعهم خَلْف الحجاب مملَّك — يَمْضي وينجز ما يقول ويسعف
سَـهْـلٌ لمن والاه عَـدْل منصفٌ — وَعْــر لـمـن عــاداه حَـتْـف مُتْلف
عَـمَّـت مـراحـمـه وطَـــمَّ عـقـابـه — فهو النَّسيم يهبُّ فيه الحرجف[2]

قال صاحب (العقد)[3]: ثم أقبل مولانا الملك الأشرف على حديث الصلح فيما بينه وبين الأشراف كافة على يد الأمير جمال الدين علي بن عبد الله وتمَّت الأمور وصاحت الصوائح وأطَلَّ عيد النحر، والخلق كلهم على بابه من الشَّرق والغرب والغز، فخرج إلى الميدان في عساكره المحشودة، ثم انقلب [إلى المصلَّى] على[4] أنعم حال وأعلى شأن، ووقف في صنعاء باقي ذي الحجة والمحرم.

وفي سنة أربع وتسعين: تَوَجَّه[5] الملك الأشرف إلى اليمن وكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر صفر، فلما وصل إلى تعز المحروسة وأقام واستقر فيها خَصَّه والده بالملك العقيم ومَكَّنه أزمة الأمر القويم، وخَرَجَ التَّقْليد الكريم بِمَشْهد الملوك العظماء والجحاجح[6] الكرماء، ناطقًا من فصل الخطاب وآثارة التحقيق والصَّواب، بما يربي

(1) السمط (المتغطرف).
(2) الحرجف: الريح الباردة.
(3) (السمط الغالي الثمن): 565.
(4) سقط من (و).
(5) (السمط الغالي الثمن): 566.
(6) السمط (الجحافل).

على الروض غِبُّ السحاب، ويزري بفريد الدر في عنق الكعاب، قائلًا بعد الحمد والثناء والصلاة والدعاء[1]:

أما بعد: فقد مَلَّكنا عليكم من لم نؤثر فيه والله، داعي التقريب على باعث التجريب، ولا عاجل التَّخصيص على آجل التمحيص، ولا ملازمة الهوى والإيثار على مقاحمة[2] البلْوَى والاختبار، وهو سليلنا الخطير وشهابنا المنير، وذخرنا الذي وَقَفَ على المراد، ونصيرنا الذي نَرْجُو به صلاح البلاد والعباد، ونؤمِّل فيه من الله الفوز والنَّجاة في المعاد، وقد رَسَمْنَا له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما قد التزم بوفاء عهده ومَضَى عليه بجدِّه وجهده، والمسؤول في إعانته من لا عون إلاَّ من عنده، ولَنْ نعرفكم من حميد خصاله وسديد أفعاله إلاَّ ما قد بدا للعيان وزَكَا مع الامتحان، وفشا من قبلكم على كل لسان. [من الخفيف]

وشهدتم به وشاهدتموه ... وحمدتم عقبا في كل أمر
من حناديس ظلمة شملتكم ... كان في كشفها لكم ضوء فجر
سيفه مغمد عليكم ومسلول ... على كل من رماكم بِنُكْر
لم يزل منذ حلَّ من جيده الطو ... ق خليقًا لكل حمد وشكر
هَمَّه ما ترون من شِيْد مُلْك ... عدملي[3] يبنيه أو سَدّ ثغر

وقد حددنا له أن يكون بكم رؤوفًا رحيمًا جوادًا كريمًا ما أطعتموه على المُرَاد مطاوعة الانقياد، فأما من شَقَّ العصا وبان عن الطاعة وعصى فهو يقص منه ولو متَّ إليه [بالرحم][4]، الدنيا فكونوا له خير رَعِيَّة بالسمع والطاعة في كل حال يكن لكم بالبِرِّ والرأفة خير ملك ووال، وانضافت إليه الأوامر والنَّواهي والحل والعقد والبسط والقبض في البر والبحر والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور وتَدْبير الحرب والسِّلم وتَجْهيز العساكر والجنود إلى السلطان الملك الأشرف، ولم يفزع إلى أبيه إلَّا في جلائل الأمور من غير وَهَن منه ولا عَجْز ولا خَوَرٍ، ولما تولَّى أمر المملكة - كما ذكرنا - سكن حصن تعز وسكن الخليفة

(1) (السمط الغالي الثمن): 566 و(العقود اللؤلؤية): 326.
(2) العقود (مداومة).
(3) الأصل: غير ما يبتنيه.
(4) سقط من الأصل وأثبتاه من (العقود اللؤلؤية).

ثعبات وحينئذ توجَّه الملك المؤيد نحو الشِّحر وحضرموت، ونفسه غير طَيِّبة لما خَصَّ به أخوه الملك الأشرف دونه من المملكة وسارت معه عَمَّته الشَّمْسية، وكانت تحبُّه كثيرًا.

وفي هذه السنة: توفي الخليفة مولانا السُّلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن مولانا الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة، وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يومًا وعشر ساعات، وكان ملكه سِتًّا وأربعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يومًا، وهو الذي عنى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كَرَّم الله وَجْهه في الجنة، بقوله في ملحمته يخصُّ أهل اليمن: ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين سنة وسبعة أشهر[1]، وكان الخليفة ملكًا جوادًا بذالًا للأموال خاصة في الحروب وأعطي من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك، ولما توفي قال الإمام مطهر بن يحيى حين أتاه خبر وفاته: مات التبع الأكبر، مات معاوية الزمان، مات من كانت أقلامه تكسر أرماحنا وسيوفنا.

[قال المصنف][2] **أيده الله تعالى**: وكان للسلطان الملك المظفر من المآثر الحَسَنَة ما هو مشاهد إلى الآن، فمن ذلك المدرسة التي أنشأها بمغربة تعز المعروفة بالمظفرية، رَتَّب فيها مدرِّسًا ومعيدًا وعشرة من الطلبة، ورتَّب فيها إمامًا ومؤذنًا ومعلِّمًا وعشرة أيتام يتعلَّمون القرآن وقيِّمًا، وأوقف عليهم من العقار ما يقوم بكفايتهم الجميع، وبنى الجامع بذي عدينة ودار المضيف بها.

ومن مآثره: الخانقة التي في مدينة حيس، طُعْمها في كل يوم مُدّ من طعام خارجًا عن التَّمر واللَّحْم، وخارجًا أيضًا عن نفقات المُرَتِّبين بها.

ومن مآثره: جامع مدينة المَهْجم، وهو جامع عظيم وفيه مدرِّس ودَرَسَة وأيتام ومعلم وإمام ومؤذن وقَيِّم وخطيب، ووَقَفَ عليهم ما يقوم بكفايتهم، بل أَضْعَاف أضعاف الكفاية، وله جامع في واسط المحالب فيه مدَرِّس ودرسة وإمام ومؤذن وخطيب وقَيِّم، وأوقف عليهم ما يقوم بكفايتهم.

(1) قلت مثل هذه الملاحم التي تنسب لعلي بن أبي طالب وأولاده مما يروِّجُه: الشيعة والمنجمون وينسبونه إليهم كذبا وزورا.

(2) سقط من (ع).

ومن مآثره: مدرسة في مدينة ظفار، وله من الوَقْف هنالك ما يقوم بكفاية المُرَتِّبِينَ بها، وبَنَى خادمه بَدْر الدين المظفري في مدينة زبيد مدرسة للشافعي تعرف بالتَّاجية، ومدرسة للقراءات السَّبع، ومُدرسة للحديث النبوي ودار مضيف أيضًا وله هنالك أوقاف جيِّدة تقوم بكفاية الجميع من المرتبين في المواضع المَذْكورة، وبنى خادمه نظام الدين مختص أيضًا مسجدًا بزبيد غَرْبي الدَّار السلطاني، ويعرف في وقتنا هذا بمسجد الطواشي، وبنى أيضًا مَدْرسة في مدينة زبيد تعرف بالنظامية ووقف عليها وقفًا جليلًا يقوم بكفاية المرتبين فيها وزيادة، وكانت دولة الخليفة أقرب إلى العدل والرأفة، وكان يُجِلَّ العلماء والصالحين، وكان مشتغلًا بالعلم لاَ يَفْتَرُّعن، قراءة الشريعة قرأ على الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي وغيره، وقرأ الحديث على الفقيه محمد بن إبراهيم الفشلي، والفقيه محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، والنحو واللغة على الشيخ يحيى بن إبراهيم العمك، والمنطق على الفقيه أحمد بن عبد المجيد السُّرددي، وصَنَّف أربعين حديثًا: عشرين في الترغيب وعشرين في الترهيب، وسَمِعْتُ الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الرَّيمي يقول: طالعت في أمهات الحديث من كتب الخليفة فوَجَدْتُهَا مضبوطة بخط يده حتى من رآها يقول: لم يكن له شغل غيرها طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شَتَّى، واشتغاله بأمور المملكة.

وقال معلمه الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي: كان مولانا الملك المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها ويحفظها ويحفظ تفسيرها ويدرسها عَلَيَّ غيبًا، وكان محبًّا للرعية ومحسنا إليهم.

وروي: أنه كان له خمس مئة فارس في مِصْر تجاهد الإفرنج، وتحمل جوامكها من اليَمَنِ مع ما كان يحمله إليهم من أصناف الهدايا والتحف.

ويروى: أن ملك الصين حَرَّم على المسلمين الختان في سائر مملكته، فَتَعِبُوا من ذلك وضاقوا، فَكَتَبَ إليه الخليفة شفاعات يسأله الإذن لهم، [وأرسل بهدية توافق مراده وغرضه، فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك](1).

وكان يأمر المقطعين(2) بالعدل في الرِّعايا وتَبْجيل العلماء والمتعلمين.

(1) سقط من (ع).

(2) أي أصحاب الإقطاعات الذين يَتَكَفَّلُون للدولة بأموال معينة مقابل توليِّهم مناطق معينة يتولَّون شؤونها.

وكان له من الولد سبعة عشر ذكرًا مات أكثرهم في سِنِّ الطفولة، وعاش منهم بعد وفاته خمسة رجال: عمر الأشرف، وداود المؤيد، وإبراهيم الواثق، وحسن المسعود، وأيوب المنصور، وكلهم ولي ملكًا وخطب له على المنابر وضُرِبَتْ السكة باسمه إلاَّ حسن المسعود فإنه لم يَتَّصل بشيء من ذلك، وكان وزيره القاضي بها الدين محمد بن أسعد العمراني، وكان له عِدَّة من الشعراء منهم: محمد بن حِمْير، كان أوحد شعراء عصره، أدرك صدرًا من دولة الخليفة، وله فيه غُرَرٌ المدائح في أيام إمارته وأيام خلافته، وهو القائل يهَنّئه أيام إمارته وقد أقطعه والده رمع، وظهر له ولده الملك الأشرف، فقال[1]: [من البسيط]

هنيت بالولد الميمون والبلد ... ولا برحت سعيدًا مدة الأبد

في غُرَّة البدر في عزّ الشوامخ في ... سعادة المشتري في جَبْهة الأسد

أعيذه بعد أسماء الإله بقل ... وقل وقل[2] وبحمد الواحد الصَّمد

من العيون ومن رَيْب المنون ومن ... رُقْش المتون[3] ومن نَفَّاثة العقد

ومنهم: القاسم بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني، وكان فصيحًا عالمًا عارفا مَدَّاحًا[4]، وله فيه عدة من القصائد الطَّنَانات، والمدائح المشهورة، ومن مدائحه فيه قصيدة أولها[5]: [من الطويل]

أعد لي أحاديث الفريق وكَرِّر ... وهات لنا عن حاجر ومَحَجِّر

وفيها يقول:

قل الحق واعجب من مليك مُمَلَّكٌ ... رقاب الرعايا لا أمير مؤمَّر

أغرٌّ رسولي يَزِرُّ قميصه ... على القمر التم الخِضَمِّ الغَضَنْفَر

محاط ثغور الملك منه بقادر ... على كون ما لم يقض أو لم يقدِّر

(1) ديوان ابن حِمْير: 97.

(2) يعني بسورة الإخلاص والمعوذتين.

(3) يعني كتابة السحر.

(4) في (ع) مداخلا.

(5) ديوان ابن هتيمل 1: 398.

أَعَـمُّ سمـاحًـا مـن سماحة حاتم وأعـظـم بـأسًـا مـن بـسالـة عنتر

ومنهم: الفقيه سراج الدين أبو بكر بن دعاس، وكان شاعرًا ماهرًا، فقيهًا نحويا لغويا، وكان جليسًا للخليفة وخصِّيصًا به، وكان الخليفة يثني عليه ويفضِّله على ابن حمير، ويقول: إنما ابن حمير صاحب خلاعة، وكان ابن دعاس متوسِّعًا في العلم، وكان أهل زبيد يَنْسبونه إلى سِرْقة الشعر، ويقولون: إذا حوسب الشعراء يوم القيامة يؤتى بابن دعاس للحساب على شعره، فيقول: هذا البَيْت لفلان، وهذا الصدر لفلان، وهذا العجز لفلان، فيخرج بريئًا، ولما حَجَّ الخليفة، رحمه الله، ورجع إلى اليمن استأذنه ابن دعاس في المَهْجم للتَّقدم إلى زبيد، قبل السّلطان، فقال: تريد أن تتقدم لتَجْمع شعرًا من الدواوين وتلقانا به؟ ثم أذن له، وقال: إياك تفعل ذلك، وكان كثيرًا ما يمازجه ويمارحه فتقدم إلى زبيد، فلما وصل الخليفة زبيد أنشده ابن دعاس قصيدة أولها: [من الخفيف]

لـيـس في قـــدرة ولا إمـكـان نـيـل مـا نـلـت يـا مـلـيك الـزمـان

وفيها يقول:

هــاك درًّا مـنـضـدًا لـم أغـر فيه عـلـى مـصـحـف ولا ديـــوان

فقال: نهيناك عن الديوان فتعديت إلى المصحف!

ولما قدم العماد الأعمش من الديار المصرية بجماعة من كتَّاب الدرج، قال فيهم ابن دعاس: [من مجزوء الرجز]

أهـــدى الـعـمـاد نـحـونـا مـن مـصـر كـتـابًـا غـرر

سُـفْـرًا نـفـائـسـا لـكـنـهـا عـلـى بـقـر[1]

ولم يكن كما قال، بل كان عندهم كل فضل وفضيلة، ولكن كان النَّاس يقولون عن ابن دعاس: إنه كان حسودًا، والله أعلم بحاله.

ويروى: أنه لما قدم أبو الطاهر البيلقاني[2] الأنصاري إلى عدن، وكان عالمًا متقنًا، أُعْلم السلطان الملك المظفر بقدومه فأمر بتجهيزه إلى حضرته، فلما حضر أراد السلطان، أن يقرأ

(1) هذا البيت أصلحناه من عندنا.

(2) انظر ترجمته في السلوك 2: 540 (تحقيقنا).

عليه شيئًا في المنطق، فاستشار ابن دعاس، فقال له: أما علمت إن رسول الله ﷺ قال[1]: «البلاء موكل بالمنطق»، فتطيَّر السلطان من قوله، وقال: لقد حِلْت بيننا وبين الانتفاع به، يا شيطان.

ومن شعراء الخليفة: شاعر من أهل الشام، كان أحد شعراء الشام، وهو القائل في الخليفة: [من الطويل]

لكم كيمياء الملك صَحَّت وغيركم ... يعالج في تحصيلها الزَّاجَ والمِلْحَا

وتصبح أقلام الوقائع في الوغى ... شراعًا على أعلامكم تَكْتُبُ الفَتْحَا

وقال[2] في مدح مولانا الخليفة يصف الرَّكب والسفر [وغير ذلك][3]: [من الطويل]

وقد كتبوا وحي المطي فأسوق الـ ... ـمطي يـراع والـفـلاة مـهـارق

إذا أدلجوا خَوْف البيات تسَلَّقُوا ... سراها وقالوا للونى أنت طالق

فيا جِيرَتي بالشَّام بيني وبينكم ... مهالك منها أبحر وشواهق

ودَوْحة سلطان به تنبذ العصا ... ويرجى به دون الرجوع المسابق

---

(1) رواه العقيلي في الضعفاء (438) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 13: 379 وأبو نعيم في أخبار أصفهان: 161 عن نصر بن باب عن الحجاج عن أبي إسحاق بن عاصم بن ضمرة عن ابن مسعود مرفوعا.

(2) زيادة لا توجد في (العقود اللؤلؤية).

(3) سقط من (و).

الفصل الثامن

في ذكر دولة مولانا السلطان الملك الأشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول

[**قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي**][1] **عامله الله بإحسانه**: لما توفِّي السلطان الملك المظفر قام بأمر الملك بعده ولده السلطان الملك الأشرف فاستولى على الحصون والمدن وسائر المخاليف في البلاد كلها بحرًا وبرًا وسهلًا ووعرًا، وكان ملكًا سعيدًا عاقلًا فاضلًا أديبًا لبيبًا، وكان حسن السيرة وادعًا، واشتغل بالعلم في أول بدايته[2] حتى برع في عِدَّة من الفنون وشارك فيما سواها، وله عدة مصنَّفَات أكثرها في الطِّب، وله كتاب[3] (التفاحة في معرفة الفلاحة) وكتاب[4] (الاصطباح) وكتاب (الدلائل[5] في معرفة الأوقات والمنازل)، وكان محبوبًا عند الناس على اختلاف حالاتهم وسائر طبقاتهم.

ولما علم[6] الملك المؤيد بموت والده وكان يومئذ بالشِّحر - كما ذكرنا - خرج من الشحر يريد اليمن [طالبا للملك][7] قاصدًا لأخيه الملك الأشرف [قال ابن عبد الحميد فلما قرب من اليمن][8]، ووصل إليه كتاب من أخيه الملك المَنْصُورِ يحذِّره من التقدم إلى جِهَة اليمن وعَرَض عليه حصن السَّمدان وكان يومئذ بيده، فشكر له هذا الصَّنيع، وبقي متردِّدًا في الإقدام والإحجام، فبينا هو كذلك إذ وصله كتاب من القاضي موفق الدين علي بن محمد

(1) زيادة في (و).

(2) في (ع) إمارته.

(3) انظره في مصادر الفكر الإسلامي: 761.

(4) مصادر الفكر الإسلامي: 763.

(5) مصادر الفكر الإسلامي: 763.

(6) (كنز الأخيار): 121 وبهجة الزمن: 198 ط ثانية.

(7) سقط من (و).

(8) سقط من (و).

اليحيوي ويقول فيه: قد شاع الخبر أنك واصل إلى اليمن، وقد بلغني من المحقَّق أن أخاك مولانا الملك الأشرف أرسل نفرين من الفداوية إليك، فالحزم الحزم، واحترز في نفسك، فبقي الملك المؤيد في أشد من ذلك من التردد، فلما وصل إلى أبين، وكان فيها عسكر من جهة السلطان الملك الأشرف هَرَبَ المقدم إلى جهة اليمن في طائفة من العسكر ومالت طائفة أخرى إلى الملك المؤيد فجَهَّز أثقاله وحرمه إلى حصن السمدان وجهز معهم عسكرًا فوصلوا على السلامة، وعزم على حصار عدن وأخذها لينظر أين يبلغ مع أخيه، فتوَجَّهَ إلى عدن وتأملها[1] فرأى في بعض نواحها دَرْبًا ركيكًا متشعثًا، وطلب صَيَّادًا من الصيادين الذين يصطادون حول الجبل وسأله عن الجبل وعن طرقه وهل هو سهل أو ممتنع، وهل فيه طريق يفضي إلى باب عدن أم لا؟ فقال الصيَّاد: إن فيه طريقًا يصل الإنسان منها إلى باب البلد، فقال له: تقدر أن تأخذ معك عسكرًا وتسير بهم إلى الموضع الذي ذكرت؟ قال: نعم. فكَتَمَ السلطان أمره واستوثقه عنده، فلما كان بعد المغرب أرسل معه[2] من أجواد الرِّجل ثلاث مئة راجل وأمرهم ألا يظهروا حتى يروا السلطان بالقرب منهم، ولما أصبح الملك المؤيد جمع عسكره وتوجَّه نحو الباب، وقد جمع الوالي عسكره من داخل المدينة يحفظ الباب، فلما قرب منهم مولانا الملك المؤيد وتأهبوا لقتاله ثار عليهم ذلك الرجل[3] وصاحوا الأمان فأذم عليهم الملك المؤيد واستدعاهم إلى عنده، فخرج الوالي والناظر وأعيان البلد وصدور أهل البلاد وعيون التُّجار إليه رغبة ورهبة، فاستولى على عدن ولم ينلها من الطُّماع أحد، بل ساسها سياسة جَيِّدة ورجع إلى الأخبَّه[4] وهو في تردد عظيم وجعل يتمثل بقول الشاعر[5]: [من الطويل]

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبًا فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

(1) في (ع) وناضلها.

(2) العقود: قنبا.

(3) هنا سقط في الاصل وفي بهجة الزمن (فلما قرب السُّلطان من الباب خرج المفردون وصاحوا من رأس الجبل ونزلوا فملكوا الباب فهرب الوالي والتجار إلى البلد وصاحوا بالأمان إلخ.

(4) بهجة الزمن (اللخبة) وهو الصواب، بلد في لحج سبق ذكره.

(5) من أبيات مشهورة للكميت بن زيد.

ثم تقدم إلى لَحْج وأبين فاستولى عليهما وامتلأ اليمن هيبة منه، وقلوب النَّاس محبَّة له، فلما سمع الملك الأشرف بذلك وأن النَّاس مالوا إليه كما يميل الحديد إلى المغناطيس، جَهَّز ولده الناصر فأقام في الراحة في ثلاث مئة فارس، ووصل[1] الشريف جمال الدين علي بن عبد الله من البلاد العليا فجَهَّزه في خيل وألحقه بولده، ثم طلب الجيوش من صنعاء وغيرها وجَهَّز ولدي أزدمر نجم الدين وبدر الدين، فكثرت الجموع وتألبت الفرسان، ولم يكن مع الملك المؤيد يومئذ إلا عَسْكَرَهُ الذي وصل به من الشِّحر وجماعة من الجَحَافِلِ مقدمهم عمرو بن سهيل[2].

وفي سنة خمس وتسعين[3]: سارت العساكر الأشرفية من الرَّاحة إلى الجؤة، ثم إلى كثيب القشيب، فالتقى الناس بعضهم ببعض في آخر المحرم من السنة المذكورة، فبرز الملك المؤيد بين ابنيه الظافر والمظفر، وهو كما قال الشاعر[4]: [من البسيط]

تــراه مــن نـفسـه في جَـحْـفَـل لجب

فلما اصطدم الجيش هزمهم حتى أعلقهم بالكثيب، فنزل الشَّريف علي بن عبد الله ووجوه العسكر فتملَّكوا بعض العرصة، واصطدموا [صدمة][5] أخرى فانهزمت الجَحَافل وهم معظم عسكره، فرجع إلى الدَّرب على حامية وقد نهبت خزانته وآلته، وأحاطت العسكر بالدرب، درب الدعيس من كل ناحية، فدخل إليه ابن أخيه فوقف معه مليًّا[6] ثم خرجوا جميعًا إلى خيمة قد ضربت لهم، فلم يزالوا به حتى تقيد هو وولداه، وأقاموا بقية يومهم هنالك وأصبحوا سائرين إلى الجؤة، وكان الملك الأشرف واقفًا بها منتظرًا لما يحدث من أخبارهم، فلما علم بتقييدهم بَكَى بكاءً شديدًا، وأمر بإكرامهم وأرسل بهم إلى حصن تعز

(1) في (كنز الأخيار): 121 وهولولد المذكور هنا يقول: فجهَّزَ الملك الأشرف ولده الملك الناصر فأقام بالراحة حتى وصله والدي والمؤيد يومئذ بالدعيس.

(2) بهجة الزمن: 202 بتوسع وزيادة.

(3) بياض في (ع).

(4) كذا في الأصل وهو شطر من قصيدة أبي تمام في فتح عمورية والبيت هكذا:

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب

(5) سقط من (ع).

(6) زيادة من العقود: 341.

فوصلوا يوم الأحد التاسع عشر من المحرم من السنة المذكورة، فأسكنوا دار الأدب وأمر لهم بترتيب الأطعمة والأشربة وجعل عليهم خادمًا اسمه كافور البتولي وكان إذ ذاك معظمًا مقدمًا على المماليك، فكان – فيما يقال – : يفتش عليه الزبادي ويكسر الخبز.

وكتب إليه الفقيه محمد اليحيوي رقعة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: 1 – 5].

وهَنَّأَ الملك الأشرف جماعة من الشعراء بإمساك أخيه، ولقد أحسن القاضي تاج الدين موسى[1] بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن الحسين الموصلي، حيث يقول[2]: [من الوافر]

ولولا أن ضدك منك قلنا مقالًا منه تنفلق الصُّخور

ولكنَّا نرجِّي السخط منكم يعود رضًا وتنجبر الأمور

ولما أراد الشريف علي بن عبد الله الطلوع إلى البلاد العليا أعطاه العظيمة والميقاع[3] وأكرمه وأنعم عليه.

ولما سجن الملك المؤيد – كما ذكرنا – وصلت عَمَّته الدار الشمسي إلى تربة أخيها الخليفة فأقامت هنالك أيامًا، ثم تَوَجَّعت[4] فانتقلت إلى دار الملك المؤيد بالميهال فسكنت فيه إلى أن توفيت به في مستهل رجب من السنة المذكورة.

فلما بلغ علم موتها إلى الإمام المطهر بن يحيى قال: ماتت بلقيس الصغرى.

وفي هذه السنة: توفي[5] الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني، وكانت وفاته يوم الحادي عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة.

---

(1) هو مؤلف كتاب البرد الموشي في صناعة الإنشاء المطبوع سنة 1410هـ وهو أحد القادمين إلى اليمن انظر (السلوك) 2: 566.

(2) انظرهما في بهجة الزمن: 204.

(3) هما حصنان في اليمن انظر (كنز الأخيار): 121 يقول: وأراد والدي الطلوع فأعطاه السلطان الحصنين الميقاع والعظيمة.

(4) العقود: 346 (توجهت) وانظر (السلوك) 2: 553.

(5) الكتاب الظاهري: 67 وسبق ذكره.

وفي شهر جمادى الأولى: وقع[1] في اليمن مطر عظيم عَمَّه، وجاء كتاب إلى الإمام مطهر بن يحيى من والي الراحة - راحة بني شريف - يخبره بهذا المطر، وأنه كان فيه برد عظيم قتل عدة كثيرة من الأغنام، ونزلت يومئذ بردة عظيمة كالجبل الصَّغير لها شناخب يزيد كل واحدة منها على ذراع، فوقعت في مفازة بين بلد سنحان والراحة، فغاب في الأرض أكثرها وبقي بعضها ظاهرًا على الأرض، وكان يدور حولها عشرون رجلًا لا يرى بعضهم بعضًا، ووقعت أخرى مما يلي بلاد عنس حاول قلبها أربعون رجلًا، فما أمكنهم، وهذا من عجيب ملكوت السموات، فسبحان الذي أبدعت ذلك قدرته واخترعته حكمته.

وفي شهر جمادى الأولى[2]: طلع السلطان الملك الأشرف إلى محروس الدملؤة وكان طلوعه يوم الرابع من الشهر المذكور، ثم نزل إلى زبيد فدخلها في جمادى الأخرى وكان دخوله من باب القرتب وبين يديه الفقهاء يحملون المصاحف والمقدمات، وكان يومًا مشهودًا.

قال علي بن الحسن الخزرجي: وحدثني من أثق به من حفاظ الأخبار، قال: سَبَتَ الملك الأشرف في أيام السبوت[3] من زبيد إلى النَّخل في أيام سلطنته سبتًا، فنزل معه ثلاث مئة محمل، في كل محمل سرية وجارية، ولم يزل بتهامة إلى شهر شعبان.

وفي ذي الحجة آخر سنة خمس وتسعين: وَثَبَ[4] والي ذمار على حصن مثوة واستقر فيه بعسكره، وكان من المماليك المظفرية يقال له: الفارس، فالْتَفَّتْ عليه قبائل مذحج وطلعوا عليه من مكان يعرفونه ليلًا فحصروه بعض يوم، ثم طلعوا عليه فقتلوه وقتلوا من أصحابه سبعين رجلًا.

وفي سنة ست وتسعين: توفي[5] السلطان الملك الأشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم من أول سنة ست وتسعين وست مئة، وكان ولده الملك الناصر يومئذ في القحمة والعادل في صنعاء لأمر أراده

---

(1) (كنز الأخيار): 121.

(2) (العقود اللؤلؤية): 343.

(3) الإحتفال بأيام السبوت في زبيد مما أخذه الرسوليون عن أهل الشام في نزههم، انظر تاريخ حوادث الزمان وأنبائه لابن الجزري.

(4) (العقود اللؤلؤية): 343.

(5) (كنز الأخيار): 122 وبهجة الزمن: 203.

الله، واتفقت آراء أهل الحصن من الخاصة والعامة والسُّتور الكريمة[1] على إبراز بدر الوجود وإطلاع شمس السعود، وأن يزأر الليث في غابه، وأن يستقر الحق في نصابه، وأن يسوس الدولة نعمانها، وأن يتسَلَّم الحكمة لقمانها[2].

فلما كان السحر من تلك الليلة تَقَدَّمت الأكابر من الخدام إلى مولانا السلطان الملك المؤيد وهو في مجلسه فأخبروه بانتقال أخيه الملك الأشرف فلم يُصَدِّق، وظَنَّ أنهم يريدون ينظرون ما عنده، فلما تحقق الأمر [[3] ناله من الأسف ما ناله لفقده، وداخل المسلمين من السرور ما كاد يذهب بالنفوس][4]

ومـــن فـــرح الـنـفـس مـــا يـقـتـل

ولما خرج من مجلسه طلب من والي الحصن سيفًا يكون في يده فأعطاه ثلاثة سيوف له ولولديه، وسار حتى وقف عند رأس أخيه فبكى بكاءً شديدًا وتَأَسَّف عليه تأسفًا عظيمًا[5]، ثم خرج من عنده وقد أمر بتَجْهيزه فقعد في تخت الملك.

فلما لاح ضوء الصباح أمر نُوَّاب الحصن بالترحُّم عليه، فصاحوا بالترحم على الأشرف، وبالصَّباح السعيد على السلطان الملك المؤيد، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه.

وكان السلطان الملك الأشرف ملكًا سعيدًا صالحًا بَرًّا بإخوته وقرابته محبًّا لهم، وكان رؤوفًا بالرعية.

ومن مناقبه: أن رعية النخل بوادي زبيد كانوا قد تلفوا من الجور الشَّديد وغفلات الملوك عنهم حتى بلغ بهم الأمر أن من كان له نخل لا يزوِّجه أحد، وأي امرأة لها نخل لا يتزوّجها

---

(1) (السلوك) 2: 554: فاخرج الخواتين المؤيد، والستور هنا كناية عن النّساء الأميرات في قصور الإمارة، انظر تحقيقنا لبهجة الزمن هامش: 204.

(2) هذه الفقرة هي عبارة ابن عبد المجيد اليماني في بهجة الزمن: 204.

(3) هذه الجملة أسقطها المؤلف من (العقود اللؤلؤية).

(4) شطر بيت للمتنبي أوله:

فلا تنكرن لها صرعة ... فمن فرح النفس ما يقتل

(5) في كتاب حوادث الزمان وأنبائه لشمس الدين الجزيري: إن الأشرف سُمَّ من قبل إحدى جواريه، انظر ملحق (العقود اللؤلؤية): 855 (تحقيقنا).

أحد إلَّا مغرور، وكان الرجل الذي ليس له نخل إذا تزوج امرأة لا نخل لها يقال عند النكاح: ومن سعادتهما ألا نخل لواحد منهما[1].

فلما ولي الملك الأشرف، أَمَرَ من افتقد النَّخل فأزال عن أهله ما نَزَلَ بهم من الظُّلم وهو أول من سن عديد النخل بالفقهاء العدول.

وحصل[2] في سنته جراد عظيم استولى على الزرع والثمار فاشتكت الرعية إليه فأمر بمسامحتهم فتوقف الوزير عليهم وهو القاضي حسام الدين حسان[3] بن أسعد العمراني، ولم يمض المسامحة فاشتكوا به إلى السُّلطان، فكتب إليه: يا فلان اقتصر عنهم، ولا تفرّقهم يصعب علينا جمعهم.

قال الجَنَدي[4]: ومن مناقبه الحَسَنة: أنه أخلص الدَّراهم من الغش إخلاصًا جيدًا.

قال علي بن الحسن الخزرجي: ليس لكلام الجَنَدي هذا معنى، فقد رأى الناس كثيرًا من الدراهم المنصورية[5] والمظفرية فلم يكن في شيء منها شيء من الغش[6]، وربما هي أجود فضة من غيرها.

وكان للملك الأشرف من الولد: محمد الناصر[7]، وأبو بكر[8] العادل، وكان وزيره القاضي بهاء الدين وزير والده، فلما توفي في التاريخ المذكور استوزر أخاه القاضي حسام الدين حسان[9] بن أسعد العمراني إلى أن توفي، رحمة الله تعالى عليه.

---

(1) انظر معاناة أهل زبيد بسبب النخل في المستبصر لابن المحاور: 95 ط مكتبة الثقافة الدينية.

(2) (السلوك) 2: 554 والعقود: 351.

(3) انظر ترجمته في (السلوك) 1: 492 والعطايا السنية: 172 وطرازأعلام الزمن: 669.

(4) (السلوك) 2: 554.

(5) نسبة إلى الملك المنصور عمر بن علي الرسولي (سبق).

(6) نسبة إلى المظفر يوسف بن عمر الرسولي (سبق) كذا عبارة المؤلف ولعله يريد أن يقول: وهي كذلك مثل دراهم الأشرف سليمة من الغش.

(7) ذكره والده في (طرفة الأصحاب): 91.

(8) ذكره والده في (طرفة الأصحاب): 91.

(9) سبق ذكره قبل قليل.

الفصل التاسع

فـي ذكر دولة مولانا الملك المؤيد

هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول

قال علماء الأخبار[1]: لما توفي السلطان الملك الأشرف وأعلن الصائح بالتَّرحم عليه، والصباح السعيد على مولانا الملك المؤيد - كما ذكرنا - ارْتَجَّت المدينة وانزعج الناس وماج بعضهم في بعض، فأمر السلطان بفَتْح أبواب الحصن، فكان أول من طلع إليه الوزير القاضي الأجل حسام الدين حسان بن أسعد العمراني وزير أخيه المرحوم فاجتمع به وحَلَف له الأيمان المغلظة، واستحلف له الجُنْد والأمراء وأعيان الدولة، فلم يختلف عليه اثنان، [ولم يَمْتنع عليه سهل ولا جبل، ولا صاحب بلد ولا صاحب حصن، وخرجت أموره على السعد والتوفيق][2].

وكان تاج الدين ابن الموصلي كاتب الدَّرج، فكتب في ذلك كتبًا كثيرة إلى بلاد التهائم وإلى كافة البلاد بأجمعها وإلى جهة صنعاء والأشراف، فدخل الناس في طاعته[3] أفواجًا، وأمر بتجهيز أخيه وتنفيذ وصيته، فخرجوا به من الحصن في صبيحة الليلة التي توفي فيها وأمامه الظافر والمظفر[4] يمشيان وأعيان الدولة حتَّى دخلوا به مدرسته[5] التي أنشأها في مغربة تعز فدفن فيها، وأقام القراء عليه والقراءة كما جرت العادة سبعة أيام.

فلما انقضت أيام القراءة عليه أنشد شعراء الدولة التَّهاني المعجبة، فقام الأديب سابق الدين

---

(1) (كنز الأخيار): 122 وبهجة الزمن: 172 و(السلوك) 2: 554.

(2) سقط من (ع).

(3) سقط من (ع).

(4) هما أبناء الملك المؤيد.

(5) هي المدرسة الأشرفية بناها الملك الأشرف بمغربة تعز في حي الحمراء (المدارس الإسلامية: 184).

يوسف[1] بن العنسي بقصيدة بديعة الاستهلال بارزة في قالب الكمال، وهي[2]: [من البسيط]

القوس موترة في كَفّ باريها فليعلم الناس قاصيها ودانيها
وَلْيلبس الكل منهم دِرْع مسكنة كَيْ يصبحوا في أمان من مراميها
فكل نعمة قوم من ندى ملك فالبغي سالبها والذل كاسيها
يهنى المؤيد بل يهنا خلافته إني أهنِّيه منها بَلْ أهنِّيها
خليفة الله من بعد الخليفة[3] يا مَلْكَ الملوك جميعًا لا أحاشيها
إن الخلافة ما قَرَّت ولا هدأت حتى رَمَتْ نفسها في سوح حاميها
أَضحت مُحَجَّلة الأيام إذ وقعت في كَفِّ داوود بل غرًّا لياليها
إن الرَّعية في أمن وفي دعة وفي بُلَهْنية[4] إذ أَنْت راعيها
وكم يَدٍ لِهِزَبْرَ الدين[5] قد حَمَلَت لغير طالبها منه وراجيها
أملاك غسان ما انفكت دعائمها لما بَنَت من معاليه معاليها
أما ترى الملك في عرش لوالده سَقَّاه وبل أياديه وهاميها

وهنأه العفيف عبد الله[6] بن جعفر بقصيدة أولها[7]: [من البسيط]

[أملك داود أم ملك ابن داود ما إن أقيس بِكَنْعان ونمرود
أفي الرّواق هزبر تحت غابته أم الهزبر هزبر الدين والجود

(1) أحد شعراء الدولة المظفرية ودولة المؤيد ذكره صاحب (بهجة الزمن): 214 ولم يترجم له الخزرجي في (طراز أعلام الزمن).
(2) بهجة الزمن: 214 ط ثانية. (تحقيقنا).
(3) يعني والده المظفر عمر بن يوسف.
(4) رخاء وسعة.
(5) لقب والد الممدوح، الملك المظفر يوسف بن عمر.
(6) هو شاعر الدولة المؤيديه سيتكرر ذكره انظر ترجمته في (طراز أعلام الزمن): 132.
(7) انظرها في بهجة الزمن: 215.

بيـن السَّـماء وبيـن الأرض مزدحـم ... مـن الظِّبـا والقنـا والشـزَّب القـود
ومـن ذوائـب رايـات إذا خَفَقَت ... حَسِبتها طـاردات بعـد مطـرود
تـدافع الـريح أن تجتاز ساحتها ... طورًا وتكمن طورًا في الأماليد][1]
كـأن أمـواج بحر الهند من زُرُدٍ ... تفيض ما بين موضـون ومسرود
لله من طـود ملك في السماء سما ... وظـل أمـن عـلى الآفـاق ممـدود
ورثــت دولـة غسـان كمـا ورثـت ... آبـاؤك الغُلْبُ من أجـدادك الصِّيدِ
نامت جفون البرايا في حماك وفي ... أجفـان سَـيْفَكَ عنهـا أي تَسْـهيد
فـالأرض مشـرقة والسُّـحب مُغْدِقـة ... والنبت ما بين مَخْضود ومنضود
ولـي مواعيـد مـن نعمـاك صادقـة ... ومنـك يُـعْـرَفُ إنـجاز المواعيد
كم أنعم لـك أيـام الخليفة لـي[2] ... قـد كـان أول مسـقيٌّ بهـا عـودي

ولما علم[3] الناصر جمال الدين محمد بن الملك الأشرف بوفاة أبيه واستيلاء عَمِّهِ على الملك والسلطنة، وكان في إقطاعه القحمة بادر إلى باب عَمِّه ممتثلًا أمره.

فلما وَصَلَ أقبل عليه وأجَلَّه وأَحَلَّه من العز محلّه، ثم وصل أخوه الملك العادل صلاح الدين أبو بكر ابن الملك الأشرف من صنعاء وكانت من إقطاعه فعامله معاملة أخيه من الكرامة والإنصاف، وعَرَض عليهما الاستمرار على إقطاعهما فاستعفيا عن الآمرية، وقالوا: لا نحبّ خدمة بعد الوالد، وتوسَّط الفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي بينهما وبين السلطان وأخذ لهما من السلطان عهدًا أَلَّا يغير عليهما ولا على واحد منهما [وأخذ عليهما عهدا][4]، أن لا ينازعاه أبدًا، وكان بين الملك المؤيد وبين الفقيه أبي بكر بن محمد اليحيوي صحبة أكيدة ومحبة شديدة.

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(2) يعني أيام والد الممدوح الملك المظفر عمر بن يوسف.

(3) بهجة الزمن: 217.

(4) سقط من الأصل وأثبتاه من (العقود اللؤلؤية): أ 355.

وكان السُّلطان الملك المؤيد، يعتمد آراء الفقيه في جميع ما يشير به عليه، وكان الفقيه من علماء عصره وفقهاء زمانه.

فلما حَصَلَ على الملك المؤيد ما ذكرنا من السِّجْن والاعتقال في مُدَّة أخيه الملك الأشرف، اتصل العلم بالملك الأشرف [أن الفقيه أبا بكر قصد المخالفة وإثارة الفتنة فاستوحش منه الملك الأشرف][1] وعلم الفقيه بالمكيدة فكَتَبَ إلى السُّلطان الملك الأشرف قصيدة يقول فيها[2]: [من البسيط]

تبغون قتلي وما لي فيكم غرض ... غير النَّجاة على مجموع أحوالي
أو تزعمون جميع الجَنّ طوع يدي ... هل يُقْهر الجن إلاَّ بالملا العالي
هل يحرق السجن من مولاه أدبه ... إلا أخو الجهل بالآتي وبالحال
أبحت داري وآلي قلت ينصرفوا ... ما الدَّار داري وآلي ما هُمُ آلي
وكلما تَرْتَضَواْ مني وتنتقموا ... ما القول قولي ولا الأفعال أفعالي
فاحكم بما شئت إن صَبْرًا وإن عجلًا ... إن كنت تسمع فانظر صدق أقوالي
فليس شهران فيما ينقضي عجلًا ... فالأمر أقرب من نقل على بالي
عشرين شهراُ توالى لا يجاوزها ... وليس آخرها يفضي بإكمال
ويدخل الدار من لا ترتضيه لها ... بصائح منكم يدعو باثكال
لم تنكروا النَّص والتنزيلَ ويَحْكم ... ووعد رَبِّي ما هذا بإجمال
فاسمع لما قلته وارقبه مصطبرًا ... ولا تعرِّج على قيل ولا قال
وخذه بالجَدِّ لا هزلًا ولا كَذِبًا ... فليس ذا القول من أقوال هزَّال

وهذه الأبيات من وقف عليها علم تمكن الشيخ العارف من علم المعارف، وفي ذلك [كفاية][3] لمن تأمل.

---

(1) سقط من الأصل وأثبتناه من العقود اللؤلؤية: 355 (تحقيقنا).

(2) بهجة الزمن: 211 و(العقود اللؤلؤية): 355.

(3) سقط من الأصل وأثبتاه من العقود.

ثم توجه[1] الفقيه بعد إنشاء هذه القصيدة إلى ناحية وصاب هاربًا من الملك الأشرف، فأقام إلى أن توفّي الملك الأشرف في تاريخه المذكور.

فلما استولى السلطان الملك المؤيد على المملكة رجع الفقيه أبو بكر إلى مدينة تعز واجتمع بالسلطان وفرح به السُّلطان فرحًا شديدًا، واستوزر أخاه [القاضي موفق الدين][2] علي بن محمد اليحيوي المعروف بالصاحب، وكان وزارته في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة من سنة ست وتسعين وست مئة، وصنع له ما صنع للوزراء من رَفْع الدولة وعقد الطيلسان، وفوض إليه قضاء الأقضية، وكان ثابتًا في أموره ليس فيه من الطَّيش والعَجَلة شيء، ونفذ أمره في البلاد، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وتقدَّم عند السلطان تقدمًا كليا، وانطلق عليه اسم الصَّاحب انطلاقًا كليًّا في أقطار اليمن كلها، حتى صار علمًا في حقه كالصاحب ابن عَبَّاد في العراق، فجميع أولاده وأولاد أولاده وإخوته لا يعرفون حتى يتعرفون به [إما بأبوة أو بأخوة][3].

ولما استوزر السلطان موفق الدين - كما ذكرنا - برز أمر السلطان على القاضي حسام الدين حسان بن أسعد العمراني وزير أخيه الملك الأشرف أن يسكنوا سهفنة على الإعزاز والإكرام، ولم يتغير عليه حال من الأحوال، فانتقلوا إليها.

ثم بلغ السلطان الملك المؤيد من النَّاصر ابن أخيه على جهة النصح لعمِّه: أن عبدًا للقاضي حسام الدين طلع إلى جهة عومان[4]، ووجد جارية معتقة من الأشرفية[5]، كانت تحت القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني، فَتَحَدَّثَ العَبْدُ معها [بحديث][6] أَسَرَّهُ إليها: أن معه قارورة مملوءة سُمًّا من عند سيده القاضي حسان بن أسعد، أمره أن يتلطف بمن يَتَّصل بالملك المؤيد، ويسقيه منها، وأن غرض القاضي حَسَّان وبني أبيه[7] هلاك بني رسول

---

(1) بهجة الزمن: 212.

(2) زيادة في (ع).

(3) زيادة في (و).

(4) في (ع) عوصان وسيأتي ذكرها في آخر الكتاب.

(5) أي جارية عتيقة من حاشية الملك الأشرف المتوفى، زاد في (بهجة الزمن): 1213 إنها كانت تحت أخيهم القاضي بهاء الدين.

(6) سقط من (ع).

(7) في (و) أميه.

قاطبة، فحينئذ غضب السلطان عليهم وطلبهم بحسبة الأموال التي كانوا يَتَصَّرفون عليها من الأوقاف وأموال الأيتام في مدة نظرهم عليها، فما أجابوا إلى شيء من ذلك أبدًا، فأمر بهم إلى عدن، وبنى لهم سجنًا على باب دار الولاية استكفافًا[1] لشرهم.

وكان[2] في خاطر السلطان من ولدي أزدمر: نَجْم الدين وبدر الدين، ومن ابن الهكاري[3] إساءات من يوم الدعيس[4]، فأمر بالحوطة عليهم، فقبضوا وأرسل بهم إلى حصن الدملؤة، ثم قبض بعدهم أمير جاندار[5] فجعل معهم في دار الدملؤة.

ثم قدمت[6] الأشراف على السُّلطان للتهنئة بالملك وعقد الصلح، وكانوا عُقَيْب موت السلطان الملك الأشرف قد استولوا على الكولة فأخربوها وأخذوا حصني اللجام ونعمان، وعلى مدينة صعدة فأصلحوا على ذلك.

وكان[7] الإمام المطهر بن يحيى حاطًا على كَحْلاَن الشرف، فطلبه الأشراف للدخول معهم في الصلح ورفع المحطّة [فأبى][8]، وأمر بالصلح وطَيَّبهم، ولم يزل حاطًا على الحصن حتى أخذه.

وفي شهر جمادى الأخرى: نزل[9] السلطان زبيد بعد أن أقطع ولده المظفر صنعاء، وأقطع الظاهر القحرية والحازتين، فَتَوَجَّه الملك المظفر إلى صنعاء في رجب من السنة المذكورة فاستعاد حصن ود من بني الحارث في آخر شعبان بعد أن رماه بالمَنْجنيق.

وفي آخر شعبان: طلع[10] السلطان من زبيد إلى محروس تعز، ونزل الملك المظفر

(1) في (ع) والعقود استكفاءا.

(2) بهجة الزمن: 213.

(3) هو علي بن محمد بن الهكاري، متولي الشَّدِّ في آخر الدولة المظفرية والأشرفية (السلوك) 2: 1575.

(4) يعني المعركة التي وقعت في الدعيس من وادي لحج بين المؤيد والأشرف سنة 696هـ (كنز الأخيار): 121.

(5) هو المأمور بالإستئذان على دخول الامراء للقاء السلطان (معجم مصطلحات التاريخية: 104).

(6) (كنز الأخيار): 122.

(7) (كنز الأخيار): 122.

(8) سقط من الأصل فأضفناه من (الكنز).

(9) (كنز الأخيار): 122 وبهجة الزمن: 188 ط أولى.

(10) بهجة الزمن: 218.

من صنعاء إلى تعز في النصف من رمضان، وكان نزوله بسبب العيد فَعَيَّد في تعز وعاد إلى إقطاعه بصنعاء.

وفي شهر ذي الحجة[1]: استعاد السلطان حصن حَجَّة والمخلافة من الصَّارم إبراهيم بن يوسف بن منصور، وكانت في يده من سنة إحدى وتسعين وست مئة، واشترط الصَّارم شروطًا كثيرة منها: إقطاع موزع ونصف حيس، والذِّمة الأكيدة والعفو عَمَّا جناه.

وفي هذه السنة[2]: أظهر الملك المسعود[3] الخلاف على أخيه السلطان الملك المؤيد، وكان مقطعًا في الأعمال السرددية[4] ومقيمًا بها، فأوقع بأهل المحالب، وسار إلى حرض فاستولى عليها، وكان قد وصل ولده أسد الإسلام[5] إلى السلطان بتعز فأنصفه وأكرمه وأبقى أباه على إقطاعه.

فلما صار الملك المسعود في حرض جمع العساكر وجاءته الأشراف[6] من المخلاف السليماني وسقط إليه من الجبال والجوف خلق كثير، فاجتمع معه عسكر عظيم، فَجَهَّز السلطان لحربه أخاه الملك المنصور[7] وولده الملك الظافر ووزيره الصاحب موفق الدين، وأرسل معهم ثلاثة أفيال فساروا في عسكر من الباب السلطاني.

وفي سنة سبع وتسعين[8]: التقى العسكران فيما بين المحالب وحرض، فلما تراءى الجمعان وتَهَيَّأ للحملة الفريقان رأى الملك المسعود أنه مغلوب لا محالة، فأذعن إلى الصُّلح قبل اصطدام الجيش، فقبض العسكر السلطاني على الملك المسعود وعلى ولده

---

(1) بهجة الزمن: 218 و(كنز الأخيار): 122.

(2) (كنز الأخيار): 122 وبهجة الزمن: 189 ط أولى: 218 ط ثانية.

(3) هو حسن بن يوسف بن عمر الرسولي (طرفة الأصحاب: 91).

(4) يعني أعمال وادي سردد سيأتي ذكره في آخر الكتاب.

(5) هو محمد بن حسن بن يوسف بن عمر الرسولي (أسد الدين الأصغر) والأكبر هو محمد بن الحسن بن علي الرسولي السابق ذكره.

(6) قلت: هكذا تجد الأئمة يتحينون الفرص كلما وجدوا فرصة للا نقضاض على الدولة الرسولية وغيرها من الدول السنية وكانوا سببًا في سقوط تلك الدول التي قامت باليمن، وكان آخرها دولة بني طاهر في القرن العاشر الهجري.

(7) هو زند الدين أيوب بن عمر بن يوسف (العطايا السنية: 152).

(8) (كنز الأخيار): 123.

أسد الإسلام، وذلك في شهر المحرم من السنة المذكورة، فساروا بهما إلى الحرم الشريف السلطاني، فحَنَّ[1] عليهما وأسكنهما دار الأدب من حصن تعز، فأقاما فيه نحوًا من سنة[2]، ثم أطلقهما وأمرهما أن يسكنا حيس وقَرَّر لهما جامكية جَيِّدة حاملة لهما ولمن معهما.

وفي شهر صفر من السنة المذكورة[3]: نزل الملك المظفر حسن ابن السلطان الملك المؤيد متبرئًا من صنعاء، ولم يكن دخلها في المرة الثانية، وإنما كان واقفًا في ذمار.

وفي شهر ربيع الآخر: طلع[4] الأمير سيف الدين طغريل للمحطة على حصن شخب فَرَتَّب عليه، ولزم جماعة من مشايخ مذحج ونزل[5] وفي آخر ليلة من جمادى الآخرة وهي ليلة السبت، وقع مطر عظيم في قطر اليمن، فَعَمَّ اليمن كله، وكان حدوثه على مضي النِّصف من الليلة المذكورة، وكان فيه رَعْدٌ عظيم وريح شديدة، وكان معظمها بتهامة حتى قيل: إن الرِّيح أخرجت سفنًا من ساحل الشرجة والأهواب بما فيها، وطرحتها على السَّاحل، وهدمت حصونًا كثيرةً شامخة في جبال تهامة، واقتلعت أشجارًا عظيمة بأصولها.

قال المصنف أيده الله: وأظُنُّها التي تسمى مطرة السبت، فإنها مشهورة مذكورة، وهي في آخر المئة السابعة[6]، وقل من يعرفها في عصرنا هذا، وأدركت جماعةً مِمَّنْ يعرفها، وقد انقرضوا الآن لتقادم العهد.

وفي شهر شعبان: طلع[7] الأمير جمال الدين علي بن بهرام إلى مارب، فعَمَر الحزمة، وأعاد أمورها كما كانت، على أحسن قاعدة ملوكية.

وفي شهر رمضان: توفي[8] الإمام المطهر بن يحيى، وكانت وفاته بِدَرَوَان حجة، فطلع الملك المظفر إلى صنعاء في النصف الثاني من رمضان، وكان السلطان قد جهز عسكرًا إلى

---

(1) سقط من (ع).

(2) في (ع) ستة وترك بعدها بياضا.

(3) (كنز الأخيار): 123.

(4) (كنز الأخيار): 123 وبهجة الزمن: 221.

(5) (كنز الأخيار): 123 وبهجة الزمن: 221.

(6) في (ع) السادسة (خطأ).

(7) (كنز الأخيار): 123.

(8) (كنز الأخيار): 123 وانظر مآثر الأبرار للزحيف2: 923 - 936.

حجة، فيهم أستاذ داره[1] الأمير بدر الدين محمد[2] بن عمر بن ميكائيل، والفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد للمحطة على ابن الصليحي بمبين وعلى عمر بن يوسف مظفر[3] فَسَلَّما الحصنين، ونزلا على الذمة، ثم تقدم السلطان إلى البلاد العليا وذلك عند امتناع الأشراف من الصلح، وكان دخوله صنعاء لخمسة أيام بقين من ذي الحجة.

ثم طلع الظاهر يوم الرابع عشر من ذي الحجة، وكان طلوعه في اليوم المسفر [صباحه][4] عن ليلة الخسوف القمري.

ولما استقر[5] السلطان بالعسكر يوم الأحد، سار يوم الإثنين نحو الميقاع بعساكره، فقاتل عليه، ثم عاد إلى محطته وأقام السلطان بالعسكر ثمانية عشر يومًا، وفي أثنائها دخلت عساكره صعدة مع الأمير جمال الدين علي بن بهرام والأمير [أسد الدين][6] أحمد بن عز الدين فراكز لهم الأمير نجم الدين موسى بن أحمد، والأمير أحمد بن علي، والشريف محمد بن الهادي، ولما افترقت عساكرهم نزل الأمير موسى إلى حصنه عزان، فخرب العسكر داره وبستانه.

وفي سنة ثمان وتسعين: نهض السلطان أول يوم من المحرم من محطته إلى الجراف[7] بالظاهر فوقف فيها ثمانية أيام، ثم نهض إلى عمران فوقف فيها ثمانية أيام أيضًا، ثم نزل فحَطَّ بالظاهر الأسفل، فكان قد أخرب دار الأمير همام الدين وبستانه، ثم سار نحو جبل ظفار فتأهب الأشراف لقتاله وأخرب ما حوله من الأَعْناب، ووصله الأمير محمد بن داود ابن الإمام فوقف عنده أيامًا ومات في المحطة.

وفي هذا التاريخ[8]: وصل الأشراف والسيد محمد بن الهادي القطابري فراوده الأشراف على القيام فامتنع من ذلك.

---

(1) الاستاذ دار: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولَّى صاحبها شؤون بيوت السلطان من المطابخ والمشارب والحاشية والغلمان (معجم المصطلحات التاريخية: 20) (سبق ذكره).

(2) سيأتي ذكره بتوسع في ثورته على المجاهد وخروجه على ولده الأفضل في حوادث سنة 764هـ.

(3) كذا في الأصلين وفي (الكنز): 123 و(العقود اللؤلؤية): 363 (بالظفر).

(4) زيادة من العقود.

(5) (كنز الأخيار): 363.

(6) زيادة من العقود.

(7) العقود (أطراف).

(8) (كنز الأخيار): 267.

ونهض السلطان يوم الإثنين الثالث من صفر من محطَّته فبات بالكولة وأقام يوم الثلاثاء، ثم صار يوم الأربعاء فَحَطَّ بالقفر عند أشيح، ووقف فيه يوم الخميس، وسار يوم الجمعة السابع من صفر فحط على الميقاع محطته المعروفة فملأت جيوشه تلك الأماكن[1]: [من الطويل]

إذا حـل في أرض بـنـاهـا مـدائـنًـا ... وإن سار عن أرض ثَوْت وهي بَلْقَعُ

فلما أصبح يوم السبت الثامن من الشهر المذكور: نَصَبَ المنجنيق فحاصر الحصن المذكور، وهو يومئذ للأمير جمال الدين علي بن عبد الله، ولم يكن فيه، وإنَّما كان فيه ابنه الشريف عماد الدين[2] إدريس بن علي فرَجَعَتْ العساكر المنصورة على الحصن ثلاثة أيام متوالية، وكتب الأمير علي بن عبد الله إلى كافة الأشراف كتبًا متتابعة يطلب منهم النُّصرة، وهم يغالطونه ويعتذرون، ثم حصل خطاب ومراسلات على معنى الصّلح، فاستقر الحال على أن الأمير علي بن عبد الله يواجه الصاحب موفق الدين، فوصل إليه واتفق حضور الملك المنصور والملك المظفر فاجتمعوا جميعًا وساروا بأجمعهم إلى المقام الشريف السُّلطاني، فلما علم السلطان بوصولهم ركب من مخيمه [للقائه][3] وقد صار بالقرب منه فأكرمه وأنصفه، وانعقد الصلح بينهم، وأخذ الأشراف ذِمَّة سبعة أشهر، وتَسَلَّم لأجلها حصن ذيفان، لأن السلطان برأ[4] الذمة عليهم.

فلما استقر في المحطة طلب من السلطان دخول الأعلام الشريفة الحصن إظهارًا للطاعة والتسليم، فنصبت في أعلى الحصن وكذلك العظيمة، فخفقت ذوائبها في أعلى الحصن، ولقد أحسن الحسن بن هانئ حيث يقول[5]: [من الكامل]

---

(1) لابن هاني الأندلسي.

(2) هو مؤلف (كنز الأخيار) الذي ينقل عنه المؤلف يقول - عن نفسه - : 124، فقمت بأمر الحرب وأرجعت العساكر على الحصن ثلاث ليال متوالية وكتب والدي إلخ.

(3) زيادة من العقود.

(4) العقود (ارجع).

(5) الصواب أنه لابن خطيب سوسة، من قصيدة في مدح الأمير تميم بن المعز لما فتح مدينة قابس بالمغرب أولها:

ضحك الزمان وكان يدعى عابسا ... لما فتحت بحدِّ عزمك قابسا

انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 3: 323.

مـن كان بالسـمر العوالـي خاطبًـا   جليت لـه بيض الحصـون عرائسا

وقال في ذلك العفيف عبد الله بن جعفر يمدح السلطان الملك المؤيد ويذكر أخذه للعظيمة والميقاع[1]: [من الكامل]

إرث الـخـلافـة في يـديـك مشاع   وغَـــرَار سيـفـك شـاهـد قَـطَّـاع
منع النصيب من العدى نَصَبُ القنا   وحَـمَـى الـقـراع مـن الـسِّـيوف قـراع
شـمس رأت غُلْبَ الملوك شعاعها   فـقـلـوبـهـا مـنـهـا تـطـير شـعـاع
تـبع الـتـبـابـع في عـنـاصـر حِـمْـيَـرٍ   وإلـــى الـمـنـاقـب هُـمْ لـه أتـبـاع
عمرو[2] وعمر[3] وذو الجناح[4] ومنذر[5]   والأيـــهـــمـــان[6] وفـائـش وكـلاع
مـاء الـسـمـاء سقى منابت أصله   رَيًّـــا فـــأورق عـرقـه الـنَّـزاع
فلقد أعـاض بيوسف[7] فطن[8] فلا   تَــكِـلٌ ولا كـــلٍّ ولا مِـجْـزاع
أسـرى إلـى الـشـرق الـقـصي بشزّب   خـطـواتـهـا نـحـو الـمـغـار سِـرْاعُ
والـشـمـس مـن لَـمْـع الـحـديـد كليلة   والـحَـرّ مـن سُـمـرٍ الـيـراع يُـراع
وفـيـالـق سـالـت هــواديَ خَيْـلـهـا   سـيـل الأتـــي[9] تـداولـتـه تـلاع
تـسـري فـمـن زرق الأسِـنّـة فوقها   نـار ومـن أسـل الـوشـيـج[10] سماع
غسلت مياه سيوفها ماء الدجى   فـتـشـابـه الإصـبـاح والإهـــزاع[11]
بـنـجـومـهـا مـبـدا الـنـجوم طوالعًا   مـلـك مـطـيـع لـلإلـه مـطـاع

(1) انظرها في بهجة الزمن: 226.

(2) (3) (4) (5) (6) هم ملوك غسان انظرهم في تحقيقنا لبهجة الزمن: 227.

(7) يعني والد الممدوح يوسف بن عمر الرسولي.

(8) بهجة الزمن (يقظان).

(9) الأتي: السيل الغريب.

(10) تشابك الرماح.

(11) جمع هزيع: آخر الليل.

ليس (العظيمة) بالعظيمة عند من ... لسيوفه ميقاعها (ميقاع)
لم يُشْقَ وافدهم إليه وهل يرى ... يشقى امرؤ وجليسه القَعْقَاع[1]
فغنمت أدعيةً بأفواه لهم ... فِيهْن من ثَدْيِ البتول رضاع
وحفظت حَقًّا للنَّبي محمد ... فيهم ولَسْت بما حفظت تُضَاع
أمؤيد الإسلام داود الذي ... للعالمين بِفَضْلِهِ إجماع
ما قام للإسلام سيف قاطع ... إلاَّ ورمحك في الثنا سَطَّاع
ما يلتقي شَرق البلاد وغربها ... إلا إذا ما امتد مِنْك الباع
أهويت بالسَّيف العداة كما هوى ... ودًا بسيف محمد وسُوَاع
الله أعطاك السعادة كلها ... من ذا يضرّ ورَبُّك النَّفَّاع

وهي أطول مما ذكرت، وهذه عيوانها.

وأقبل السلطان على الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بالمحبَّة، وأزال ما في خاطره وجَدَّد له رفع الطبلخانة، وحمل معها من الكساء والأموال شيئًا كثيرًا، ولما كان أول يوم من شهر ربيع الأول[2] سار السلطان من محطته قاصدًا صنْعاء[3]: [من المتقارب]

أمام الكتيبة تزهى به ... مكان السِّنان من العاسل

قال الشريف إدريس: وسرت في خدمته مع والدي إلى البون، وعدت من هنالك، وقد كنت خَرَجْت إليه في مَحَطّة الميقاع، فأنصفني وأكرمني وأمر لي بمال جَيِّد، وكسوة نفيسة، وحصان جواد.

ولما استقر السلطان في صنعاء: وصله أمراء الأشراف، ومشايخ العربان، ووصل جملتهم الأمير نجم الدين أحمد بن علي بن موسى ابن الإمام لتمام صُلْح الأشراف، فَتَمّ على تسليم

---

(1) هو القعقاع بن شور الذهلي يضرب به المثل في حسن الجوار.

(2) (كنز الأخيار): 124 وبهجة الزمن: 197.

(3) من أبيات مشهورة للمتنبي من قصيدة أولها:

إلام طَمَاعِيَةُ العاذل ... ولا رأي في الحب للعاقل

اللجام، ونعمان، وصعدة، وقِسْمَةَ بلاد مدع كما كانت أيام الخليفة[1]، وسارت البشائر بما استولى عليه من الممالك، ثم توجه إلى فئة[2] الغز إلى مدينة تعز، وفي صحبته الأمير جمال الدين علي بن عبد الله، والأمير جمال الدين أحمد بن علي بن موسى بن علي بن الإمام، والأمير عبد الله بن علي بن وَهَّاس وأمراء العرب، وقد دانت له البلاد والعباد، فأقام في تعز أيامًا، ووَلَد ولده الملك السعيد من الجهة المصونة بنت الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، وكانت له فَرْحة عظيمة، ولم يلبث إلا يسيرًا ثم مات، فكان كما قال التَّهامي حيث يقول: [من الكامل]

يا كوكبًا ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمر كواكب الأسحار
وهلال أَيَّام مضى لم يستدر ... بدرًا ولم يمهل لوقت سِرَار
عَجِلَ الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الإبدار

ثم تَوَجَّه السلطان إلى زبيد في شهر جمادى الأخرى وصحبته الأمراء الأشراف ومشايخ العرب، فأقام فيها إلى أن مَضَتْ أيام من شعبان الكريم، ثم طَلَعَ تعز في آخر شهر شعبان الكريم فصام رمضان في تعز وعيد عيد الفطر بها، واسْتودعه الأمير جمال الدين علي بن عبد الله يوم العيد، وهما على السماط، ثم توَجَّه إلى بلاده في شوال من السنة المذكورة.

وحكى الشريف إدريس بن علي بن عبد الله في كتابه قال: تذاكرنا يومًا عند والدي إنصاف السلطان له وما أعطاه من الأموال من يوم خروجه من الميقاع، وذلك في سلخ شهر صفر إلى أن فارقه في مستهل شوال، فحسبناه جُمَلًا لا تدقيقًا، فكان أكثر من سبعين ألف دينار خارجًا عن الكسوات والخيول والعروض[3] والآلات وما أشبهها[4]: [من البسيط]

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(1) يعني الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي.
(2) كذا في الأصل، وفي بهجة الزمن: (طالبا ما فيه العز).
(3) العروض: المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير.
(4) ينسب لعدة شعراء منهم أمية بن الصلت، والجعدي.

وفي شهر ذي القعدة: تقدم[1] السلطان الملك الظافر[2] إلى صنعاء مالكًا لها، وقد كان نزل مع أبيه يوم نزوله، فكان دخوله صنعاء يوم الإثنين الثالث عشر من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي آخر شوال: تقدم[3] السلطان إلى عدن فأقام إلى سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة، فعَيَّد عيد النحر بها، وكان السماط بحُقَّاتِ تحت المنظر[4] السلطاني على شاطئ البحر، وقام الشعراء على السماط بأنواع الممادح، وتعذَّر وصول العفيف عبد الله بن جعفر، فأرسل بقصيدته صحبة الشيخ محمد بن خَطَّاب، فأنشدت على السماط، وهي قصيدة طنانة أولها[5]: [من الكامل]

أعلمت من قاد الخيول[6] خيولا … وأفاض من لُمِع السيوف سيولا
وأماج بحرًا من دلاص[7] سابغ … جَـرَّت أسـود الـغـاب منه ذيـولا
ومـن الـقِـسِـيِّ أهـلـةً مـا ينقضي … منها الخضابُ عن الخضابِ نصولا
وتزاحمت سُمْر القنا فتعانقت … قربًا كما يَلْقى الخليل خليلا
فالغيث لا يلقى الطريق إلى الثرى … والـرِّيـح فيـه لا تطيق دخـولا
سُحُب سرت فيها السُّيوف بوارقًا … وتجاوبت فيها الرُّعـود صهيلا
طلعت أسنتها نجومًا في السَّما … فتبادرت عَنْها النجوم أفولا
تركت ديار الملحدين طلولا … ممـا يـبـيـح بـهـا دمًـا مطلولا

(1) (كنز الأخيار): 125.
(2) كذا في الأصل وفي (الكنز) و(العقود اللؤلؤية) المظفر حسن بن داود.
(3) (كنز الأخيار): 125 وبهجة الزمن: 230.
(4) دار المنظر أو قصر حقات على ساحل حقات من دور عدن الشهيرة انظر: (عدن في عصر الدولة الرسولية: 248).
(5) بهجة الزمن: 23 وأعيان العصر للصفدي2: 672 والوافي 17: 109.
(6) كذا في الأصلين صوابه (الجبال).
(7) دلاص: درع ملساء لينة.

والأرض ترجف تحتها من أفكل[8] ... والجَوُّ يحسب شأوه مأكولا
حطمت جحافلها الجَحافل[9] حَطْمَةً ... تدع الحمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمَدَّ أشطان القنا ... فأعاد معقلهم بها معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكلَّ غَضَنْفر ... في البأس عاد نعامة إجفيلا[10]
أين الفرار ولا فرار وبعدهم ... من ليس يتْرك للفِرَار سبيلا
ملك إذا هاجت لواقح بأسه ... ترك العزيز من الملوك ذليلا
يقفو المظفر والشَّهيد[11] مآثرًا ... وعلًا وفخرًا في الملوك أثيلا
وافى إلى عدن كمقدم جَدِّه ... سيف بن ذي يزن الكريم أصولا
بحر إلى بحر يسير بمثله ... والبحر أحقر أن يكون مثيلا
فتطايرت أمواج لجته إلى ... عِيْذَاب يَنْذر دَجْلة والنِّيلا
واستقبلت عدن جبينك والتقت ... في ملتقاه سعادة وقُبُولا
والشَّمس تحسد تاجك المعقود والـ ... إكليل يحسد ذلك الإكليلا
لو يستطيع الثَّغر كان مقبِّلًا ... بالثَّغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاورت هذي الشَّمائل منكم ... جعلت مذاق الماء منه شمولا[12]
أنت الذي الدنيا مُبَشِّرة به ... والنَّاس ينتظرون جِيْلًا جِيْلا
فاليوم قد وهب الإله لِخَلْقِهِ ... ظِلًّا على الأقطار منه ظليلا
وأتى لهم بَدْر السماء بذِمَّة ... مكتوبة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

(8) أفكل: رعدة.
(9) الجحافل: قبيلة من مَذْحَجْ (طرفة الأصحاب: 140).
(10) الأجفيل: الجبان.
(11) يعني جدَّ الممدوح عمر بن علي الرسولي المقتول سنة 647هـ والمظفر والده.
(12) الشمول: من أسماء الخمر.

أَهِـزَبْـرَ غسـان بـن قحطان الـذي ... يـدعـوه في الـنَّسـب القبيل قبيلا
في حَيْث مَا رَفَعَتْ بنودك نُزِّلت ... آيــات نَـصْـرك فـوقـهـا تـنـزيـلا
لـولا العوائق والعلائق لـم أَغِـبْ ... عـن ظِـلِّ بـابـك بُـكْـرة وأصيـلا
ومـن التَّكـرم والتفضُّل لـم يَـزَلْ ... عُـذْري إلـى صَدَقاتكـم مَقْبولا
لا زال تـوفـيـق الإلــه مـقـارنًـا ... لـك حيث كنت إقامة ورحيلا

وقَدَّمَ التجار المقيمون بالثَّغر المحروس التَّقاديم النفسية على عوائد الملوك، فرَدَّها السلطان وأمر بإفاضة الخلع عليهم والتَّشاريف والمراكيب من البغال المختارة بالعدد الكاملة والسُّروج المذهَّبة، والدنانير[1] المنوعة، وأجرى نواخيذ الهند على جاري عادتهم وأمر بإكرام النواخيذ[2] والتجار المترددة إلى الثغر، وأمر ببطلان ضمان بيت الخل، وأقام بعدله موسم الفضل وشاهد موسم الخيل من دار الطويلة، وسارت النواخيذ والتُّجار الكارمية ناشرين لواء عدله في أمصارهم، وابتسم الثغر عن مقالته[3]، وكانت إقامته في المدينة إلى ثاني يوم من ذي الحجة، وعَيَّد عِيد النحر بالقوز، وقام الشعراء على خوان العيد بالقصائد المختارة على جاري عادتهم كعادة أبيه وجده، وعاد قافلًا إلى مدينة تعز.

وفي سنة تسع وتسعين: توفي[4] الأمير الكبير الشريف جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة، وكان من رؤوس الأشراف ووجوههم وأعيانهم وصدورهم، وقد أناف على سَبْعين سنة، وكانت وفاته يوم الثامن من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وتمثل ابنه عند موته بقول زياد بن الأعجم حيث يقول[5]: [من الكامل]

مـات المغيرة بعد طـول تعرض ... لـلـقَـتْـل بـيـن أسـنـة ورمـــاح

---

(1) كذا في الأصل وفي بهجة الزمن: 232 و(العقود اللؤلؤية): 374 (الزنانير) انظر شرح هذه اللفظة في هامش بهجة الزمن (تحقيقنا).

(2) جمع ناخوذاه: ربان السفينة (فارسي).

(3) كذا في الأصل.

(4) (كنز الأخيار): 125 وبهجة الزمن: 202.

(5) من قصيدة في رثاء المغيرة بن المهلب المتوفي سنة 100هـ (معجم الأدباء4: 221).

ولما مات الشريف - كما ذكرنا - أجمع أهله على تقدم ولده الأمير عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله، وكان الشريف إدريس بن علي من أعيان الرجال، جامعًا لخصال الكمال، فارسًا همامًا، شجاعًا مقدامًا، أديبًا أريبًا، عاقلًا لبيبًا، جوادًا كريمًا، عفيفًا حليمًا، جامعًا لأسْبَاب العلوم من المنثور والمنظوم، وهو مصنف كتاب (كنز الأخيار)[1] وله غيره عدة مصنفات، فكتب إلى السلطان يعرف خاطره الكريم أنه ثمرة شجرة غرسها إنعامه، وغصن دوحة سقاها إكرامه، وتقدم الشريف شكر بن علي القاسمي إلى الباب الشريف فَقَرَّر له عند السلطان وكاتب له أن يصل إلى الأبواب الكريمة، وكتب له بذمة، فتقدم إلى الباب الكريم، فوصل في آخر شهر ذي القعدة، وكان السلطان يومئذ مقيمًا بِثَعَبَات فأحضر إلى دار السلام فتلقاه السلطان بالترحيب التام والإجلال والإكرام، واتفق حضور عيد النحر من السنة المذكورة، فبرز الأمر العالي إلى أتابك[2] العسكر المنصور: ألا يَسْتفتح الميدان غيره، مقدَّمًا على أعيان الأمراء ووجوه الدولة، فكان كذلك، ولما كان بعد العيد جرى الكلام في تسليم الحصون التي تحت يده، وهي العظيمة والميقاع، فرأى أن تسليمها عنوان السلامة، لأنها كانت عنده عدالة، وخشي أن تؤخذ عليه فيتّهم بالمساعدة فسلَّمَها[3].

وفي هذه السنة[4]: أخذ الملك المظفر حصن عراس قَهْرًا بالسيف، وقَبَض حصن إرياب وهما معًا للإسماعيلية، وأقيمت لذلك في صنعاء فرحة عظيمة، وكسا جامِعَهُ بأنواع الملابس، وأمر أمير البلد أن تلبَّس الدكاكين والأسواق وأظهروا سَبَّ الإسماعيلية ولعنهم.

وفي سنة سبع مئة: تسلم[5] نُوَّاب السلطان الحصون التي كانت تحت يد الشريف عماد الدين إدريس بن علي في سادس عشر المحرم، وأمر السلطان أن يَجْرى على عادة أبيه، فحُملت له الطبلخانة والأعلام، وأمر له معها بسبعة آلاف دينار وتحف وملابس وخيل ومماليك، وركب في الأمراء والأجناد في الخِدْمة الشريفة تحت خوافق الأعلام السلطانية واردًا وصادرًا، وانثنى إلى داره فيمن معه من العسكر المنصور، فأقبلوا إلى سماط جليل

---

(1) هو الكتاب الذي يحيل عليه ويرجع إليه المؤلف هناوهو كتاب (كنز الأخيار) المذكور.

(2) انظر شرح هذه اللفظة في العقود: 379 (تحقيقنا).

(3) للتوسع في ذلك انظر (بنو رسول وبنو طاهر) لمحمد عبد العال أحمد: 173.

(4) (كنز الأخيار): 377.

(5) (كنز الأخيار): 126 وبهجة الزمن: 203.

الشأن مختلف الطَّعم والألوان، وقبض المنشور بإقطاع مدينة القحمة[1]. [من الكامل]

وفي هذه السنة: تَقَدَّم الرِّكاب العالي إلى تهامة، فكان دخوله زبيد يوم الثالث من صفر فأقام فيها إلى أيام من شهر ربيع الأول، ثم سار إلى الجهات الشَّمالية يريد الأعمال السردديّة، فدخل مدينة المهجم في ألف فارس من عَسْكره، وهَنَّأه عدة من شعراء دولته، منهم العفيف عبد الله بن جعفر فقال[2]:

لو كان يقدر أن يكون الزائرا ... لك سردد لمشى إليك مبادرا
مَنَع الجماد جُمُوده أن يَعْتري ... عَتَبات بابك واردًا أو صادرا
لو تَفْتُقَ الأرواح من جسم الرُّبى ... لرأيت غائبها ببابك حاضرا
وتَمَرَّغت أيضًا على الأرض التي ... فيها مقامك أوجهًا ومحاجرا
شَرَّفت مَهْجَمَ سُرْدِدٍ فتشَرَّفت ... ورفعتها فوق النُّجوم مفاخرا
أوردتها رَجْراجة جَفْنية[3] ... خضراء طامية تفيض عساكرا
بحر إذا ما الريح سارت فوقه ... جعلت لمسلكها البنود قَناطرا
شرعت صدور الخيل في حافاته ... حتى حسبت الفلك فيه مواخرا
أذكرته مَغْدى أبيك بمكَّة[4] ... وإيابه منها فأصبح ذاكرا
وكفاه فَخْرًا أن يَمَسَّ قساطلًا ... لركابكم ومناسمًا وحوافرا
حَظًّا يُكَنْ فيه تراب بلاده ... مِسْكًا ويَرْمَعَه[5] يعود جواهرا
عجبًا لحكمك في الخلائق عادلًا ... ولحكم كفك في الخزائن جائرا

---

(1) (كنز الأخيار): 126 يقول محدثًا عن نفسه (أمر لي بمال جزيل وملابس نفيسة وخيل ومماليك وأقطعني القحمة بتهامة).

(2) بهجة الزمن: 235.

(3) نسبة إلى جفنة بن عمرو الغساني، والد عمرو أحد ملوك الغساسنة بالشام نحو سنة 265م (طرفة الأصحاب: 6).

(4) إشارة إلى دخول الملك المظفر مكة المكرمة للحج سنة 659هـ (بهجة الزمن: 175).

(5) اليرمع: حجارة بيضاء رخوة.

ولـحـدّ سيفـك أيـن غـايـة حَـدِّه   إذ ليس يَبْرح في الرقاب مسافرا

نـــار بـقَـبْـضـة راحـــة فَـيَّـاضـة   كالبَرْق يصطحب الغَمَام الماطرا

ولـقـد تـعـدَّى في الـطـلا[6] أفعاله   ضَرْبًا فكنَّ لها الفتوح مصادرا

ثبتت أصول الملك بين بيوتكم   فَقَسَمْتموها سؤددًا ومآثرا

فحَكَتْ أواخركم بذاك أوائلًا   وحَكَتْ أوائلكم بذاك أواخرا

أُنْجِبت من جَرْثومة مَلَكيَّة   حسن المظَفَّر ثُمّ عيسى الظافرا[7]

أعجزت ألسنة الخلائق كُلّها   مِدَحًا فكيف أكون وحدي قادرا

فبقيت يا رُكْن الخلافة دائمًا   أبدًا وكان لك المهيمن ناصرا

وفي شهر جمادى الأخرى[8]: قفل السلطان من المهجم إلى زبيد فتقَدّمت العساكر المنصورة إلى بلاد المعازبة لفساد ظهر منهم، فقتل منهم جَمْع كثير، ونهبت لهم أموال كثيرة، وسَلَّموا الرهائن فركب إلى زبيد، وتقدَّم إلى النخل، ثم إلى البحر[9] في أوائل شهر رجب وأقام في النخل، ثم أقطع ولده الملك الظافر صنعاء، فلقيته القبائل إلى نقيل صيد، ثم سار إلى رداع ثم إلى ذمار، وكان دخوله صنعاء في العشر الأواخر من رمضان.

وفي سنة إحدى وسبع مئة[10]: طلع السلطان الدملؤة فأقام فيها عشرين يومًا، وعاد إلى تعز، ثم عزم السلطان على طلوع البلاد العليا، فاستدعى الشَّريف عماد الدين إدريس بن علي من القَحْمة[11]، فلما صار الشريف في تعز اتصل العلم بأن الشرفاء بني علي أصحاب المخلاف السليماني قتلوا المقدم خطلبا وأخذوا من رتبته أربعين فرسًا، وكان مقيمًا بالراحة في مئة فارس، فبَرَزَ مرسوم السلطان إلى الشَّريف إدريس بالتقدم نحوهم وأضاف إليه عسكرًا من

(6) الأصل: العلا وأثبتناه من العقود، والطلا: الأعناق.

(7) حسن وعيسى هما أبناء الممدوح الملك المؤيد.

(8) بهجة الزمن: 382.

(9) يعني بحر الأهواب من موانى زبيد يسمى الآن البقعة وهو الآن قرية عامرة (الدر النضيد: 181).

(10) بهجة الزمن: 206.

(11) انظر بنو رسول وبنو طاهر: 175.

الحلقة المنصورة ومشد زبيد أحمد بن الخرتبرتي[1]، والأمير المتولي بحرض، فسار العسكر المنصور إلى الراحة، فدخلوها قهرًا بالسَّيف في آخر شعبان من السنة المذكورة، وحرقت قرى المفسدين وهربوا، وتبعهم العسكر إلى نحو اللؤلؤة، ثم طلبوا الصلح وأعادوا الخيل التي أخذوها من الرُّتبة، وتسلَّمَ نائب السلطان الراحة وهو الأمير السيد علي بن سليمان بن علي وانثنى العسكر راجعًا إلى باب السلطان.

وفي شهر جمادى الأخرى[2]: أوقع الأمير سيف الدين طغريل بالجَحَافل والعَجَالم[3] وكان يومئذ مقطع لحج، فقتل منهم نحوًا من أربعين رجلًا، ثم اتفق له وقعة أخرى بهم فقتل منهم في ناحية الدعيس نحوًا من سبعين رجلًا.

وفي هذه السنة: توفي[4] الأمير الكبير الشَّريف نجم الدين أبو نمي محمد بن أبي سعد علي بن قتادة الحسني صاحب مكة حرسها الله تعالى، وكان أميرًا كبيرًا له بخت وحظ في الآمرية، راغبًا في الأدب وسماعه، وله الإجازات السنية للشعراء والوافدين،عليه من إطلاق الخيل الأصائل في قبالة القصائد، ولما وافاه أمير المَحْمل السعيد والعلم المنصور السلطاني وهو القائد بن زاكي في السنة التي اتصل فيها السلطان الملك المؤيد بالمُلْكِ وتلقاه الشريف أبو نمي بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة، وأعلن مؤذن قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد، فسمع تلك الأوصاف من ضَمَّه ذلك المقام الشريف، وَحَلَفَ للسلطان الأيمان المغلظة، وكتب على قميصه بمقتضى ما جرت به العادة، ووصل إلى الشريف ما اقتضته المواهب السَّنية بما كان قَرَّره والده الخليفة من العين والغَلَّة والكساوي والطيب من المسك والعود والصَّندل[5] والعنبر والثِّياب الملونة والخلع النفيسة، وكان مبلغ العين ثمانين ألف درهم، ومبلغ الغلّة أربع مئة مُدّ، واستمرت آمريته على

(1) يرد هذا اللقب بعدة صور والصَّواب ما أوردناه هنا كما رَجَّحه الأستاذ مصطفى حجازي محقق بهجة الزمن (نشرة سابقة) 2: 110 يقول نسبة إلى خرتبرت بلد بأقصى ديار بكر.

(2) بهجة الزمن: 207.

(3) الجحافل والعجالم من قبائل مذحج للتوسع في أخبارهم انظر التمردات القبلية في عصر بني رسول للدكتور طه حسين هديل: 295 ط دار الوفاق سنة 1433هـ.

(4) بهجة الزمن: 207 والعقد الثمين للفاسي: 1: 456 وإتحاف الورى1: 134.

(5) الصندل: شجر خشبه. طيب الرائحة يظهر طيبه بالدلك والإحراق (معجم).

مَكَّة ونواحيها أكثر من خمسين سنة، وكان له من الولد عشرون ولدًا، فافترقت أولاده بعده وافترق الأشراف والقُوَّاد مع أولاده، فكان طائفة منهم مع رميثة وحميضة وطائفة أخرى مع أبي الغيث وعطيفة، فاستقوى رميثة وحميضة على أبي الغيث وعطيفة فلزموهما فأقاما في حبسهما مدة، ثم احتالا فخرجا وتجوَّرا[1] في بعض دور الأشراف والقواد فأجاروهما، ولما وصل الحاج المصري تلقاهم أبو الغيث فمالوا إليه، ولما انقضى الموسم قبض أمير الحاج المصري على الشريفين رميثة وحميضة، وكان أمير الحج يومئذ الأمير ركن الدين [بيبرس][2] فسار بهما إلى مصر مقيَّدين وأَمَّرَ في مكة أبا الغيث ومحمد بن إدريس وحَلّفهما لصاحب مصر فأقاما أيامًا، ثم إن الشريف أبا الغيث أخرج محمد بن إدريس من مكة واسْتَبَدَّ بالأمر وجرت بينهما حروب كثيرة، قتل فيها جماعة من الأشراف، وكَتَبَ أبو الغيث إلى السُّلطان الملك المؤيد وبَذَلَ الطاعة والخدمة والنصيحة وأرسل برهينته، فقبل منه ذلك.

وفي آخر شهر رمضان من السنة المذكورة[3]: طَلَع مولانا السلطان إلى البلاد العليا[4]، وكان السبب الذي أوجب طلوعه ما فَعَلَه الأميران موسى وتاج الدين في الصُّلح من خراب تعز[5] والقبة، ثم دعوة محمد[6] بن مطهر إلى نفسه بالإمامة، واجتماعه بالأشراف في حوث وتقَدَّمَ إلى الطرف، ونزول الأمير تاج الدين إلى حَجَّة والمخلافة، وقد خالفت إليه بنو شاور وغيرهم من قبائل العرب، فأحرق العارضة وعاد، فلما طلع السلطان من نقيل عجيب لقيه الأمير موسى بن أحمد إلى هنالك، والأمير عبد الله بن وهاس، وطلع السلطان جبل [مفتح][7] ظفار من جبل منيح[8]، واستولى على القبة يوم الثلاثاء آخر يوم من رمضان، فحط فيها بجميع عساكره، وسار بكرة الأربعاء فأشرف على ظفار من الجهة التي تلي القاهر من

(1) سقط من (و).
(2) سقط من (و).
(3) (كنز الأخيار): 128 وبهجة الزمن: 208.
(4) يعني جهات صنعاء ونواحيها.
(5) يعني تعز ظفار.
(6) انظر قيام المذكور ودعوته في مآثر الأبرار 2: 937 - 945.
(7) سقط من (و) والعقود اللؤلؤية.
(8) في العقود (صبح).

غربيها، ونزل جماعة منهم فقاتلوا في الساقية، فقتل نقيب للملك المنصور، وعاد السلطان إلى القبة فأقام بها ثمانية أيام، وشرع في عمارتها، فلحق العسكر فيها مضَرَّة من عُدْم الماء والزاد، فبلغت القربة عشرة دراهم والزَّبدي الدقيق كذلك، فلما تحقق السلطان مضرة العسكر أمر بانتقال المحطة إلى وَرْوَرْ، ورتَّب في القبة الأمير نجم الدين موسى بن أحمد، ورتَّب في تعز الحسام بن مسعود بن طاهر وهو الحصن القديم الذي أخربه سليمان بن قاسم، وأمر بعمارة الموضعين، ونَصَبَ في تعز منجنيقين، فأضر بهم المنجنيق غاية الضَّرر واسْتَمَرَّ الحصار، وقد يقع في بعض الأوقات قتال تحت باب النصر بين أهل المحطة وأهل ظفار، ثم أصاب الدَّواب بالمحطة آفة فمات كثير من الجِمَال خاصَّة، وكان السعر تارة يرخص فيبلغ الزبدي أربعة دراهم، وقد يغلو فيبلغ سبعة دراهم.

فلما كان ثالث ذي الحجة - أو رابعها - : طلع السلطان تعز وأشعر العسكر [الحملة][1] الزحفة والقتال فبرزت الكوسات[2] الهزبرية[3]، وخفقت السناجق[4] السلطانية، فأشبهت البروق اللوامع، فرأى الأمير علم الدين سليمان بن قاسم أنه إن دام هذا أدَّى إلى خراب بلاده، فأعمل في ذلك فأخرج بني أخيه وجماعة من الأشراف إلى خارج عند باب خيبر، وكان معهم وزيره علي بن دحروج فصاح بأعلى صوته: إن الأمير والأشراف يسألون من السلطان أن يشرف عليهم، فأشرف السلطان عليهم، فخدموا له بأجمعهم وقالوا: نحن غلمان السلطان، وطَلَبَ ابن دحروج ذِمَّة يصل بها إلى المخيم، فأجيب إلى ذلك، فنزل ومَثُلَ بالمقام السلطاني واستقر الأمر على أن الشريف سليمان بن قاسم يبيع على مولانا السلطان حصن تَلَمُّص بخمسين ألف دينار، ويَرْهن بذلك أحد ولدي أخيه: محمدًا أو داودًا، ووزيره علي بن محمد بن دحروج، وأن يخرب السلطان تعز المعمور على ظفار والقبة، وعلى أن الأمير تاج الدين يسلم حصن الحَدّة والحقوب، ويخرب حصن شريب ويناقل بشيء من بلاده إلى بلاد مدع، ويرهن ولده، فقال من حول السلطان: هذه مصلحة عظيمة، فإن السلطان يملك صعدة بغير شك، وهذه الرهائن وثيقة لمن صدق، فأجاب السلطان إلى ذلك، وقَبَضَ الرهائن بعد أن

(1) سقط من (و).

(2) سبق شرحها.

(3) نسبة إلى هزبر الدين لقب الملك المؤيد.

(4) السنجق: لفظ تركي معناه العلم أو الراية أو بمعنى اللواء (معجم الألفاظ التاريخية: 93).

صاح لهم بالطيب، وأطلع لهم المال المشروط، وجَهَّز مولانا السلطان الفقيه شرف الدين أحمد بن علي بن الجنيد في عسكر لقبض تلمص، وأرسل الشريف سليمان بن قاسم رسولًا معهم من أحد ثقاته وتقدموا جميعًا إلى صعدة، وعَيَّد السلطان عيد النحر في وَرْوَرْ، وتخلف الشعراء عن الوصول لبعد المشقة، فلم يحضر منهم إلا الأديب سابق الدين يوسف ابن العنسي، فقام بقصيدة وهي[1]: [من الكامل]

الملك ليس تنام منه عيون ... حتى تسيل من الدماء عيون
لولا إدالتك[2] المصون من العِدَى ... ما بات وَجْه الدهر وهو مصون
وافيته بكتائب أعلامها ... النَّصر والتأييد والتمكين
من كل أرعن[3] مُكْفَهِرٍّ أصبحت ... منه سهول الأرض وهي حزون
لو شئت تورد بعضه جيحون ما ... أرواه جيحون ولا سيحون
كم نَقْع ليل قد دجا من رَكْضه ... فَجَلَاهُ سَرْدُ دلاصه الموضون
ضاقت لكثرته البسيطة كلّها ... فمقامها في الشَّرق أين يكون
فدع الحصون بلاقعًا من أهلها ... فلقد أضلتهم عليك حصون
فاطحنهم طحن الرحى[4] بكتائب ... هي للطغاة جميعهم طاحون
فالأرض إرثك كلها من تُبَّع ... فاعقل حديثي فالحديث شجون
غَمْدَان قصركم القديم وقَصْرَكُم ... صرواح [كان][5] وقصركم بَيْنون
أظهرت بالجيش العِرَمْرَمِ كل ما ... أخفت ظهور مِنْكُمُ وبطون
خَرِّب ظفار ولا تدع كَحْلان تا ... ج الدين فهو لملكهم قانون

(1) بهجة الزمن: 210.
(2) في (ع) أزالتك.
(3) في (و) أرض.
(4) الأصل: النوى.
(5) سقط من (و).

[واقبض ظفار ولا تدعه معجلًا ... يا بن الكرام ففوقه لك دون][6]

أنت المؤيد بالإله فلا تَخَفْ ... مما يكيدك جاهدًا ويخون

هذي الخلافة سُعْدها بك طالع ... في حَيْث كنت وَوَجْهَهَا ميمون

ونهض السلطان من محطته وَرْوَرْ يوم الجمعة الخامس عشر وسار نحو جَرَبَان فزَحَفَ عليه يوم الإثنين الثامن عشر من الشهر المذكور، فقاتل العسكر قتالًا عظيمًا، وبلغ الشفاليت[7] باب الحصن، ووقع عنده الطَّعن والضَّرب، ونزل الشفاليت للكسوة، فأخرب أهل الحصن (المحمولة)، ورجع الشفاليت للقتال فوجدوها قد أخربت، وإلاَّ فما كان دون فتحه شيء، وقتل من الشفاليت[8] جماعة رَمْيًا بالنشاب فيهم الأمير محمد بن الشعبي، فأمر السلطان بالمحَطَّة ونصب المنجنيق فأقام ثمانية أيام، ثم سار إلى صنعاء وترك في المحطة على جرَبَان الأمير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس[9] بن عبد الجليل، [والشريف عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله، والأمير محمد بن حاتم ومحمد بن أحمد بن عمر فوقفوا أيامًا وطلبوا إلى صنعاء، ولما أراد السلطان النهوض إلى صنعاء من محطة وَرْوَرَ قبل أن يسلم الأشراف تلمص رَهَنه الأشراف الأميرين محمدًا وداود ابني الأمير أحمد بن القاسم والشيخ علي بن محمد بن دحروج وولده وولد القاضي أحمد الرمادي فقبض الرهائن][10].

وفي سنة اثنتين وسبع مئة[11]: جَهَّز السلطان الشريف إدريس بن علي فأخرب الجاهلية ورحابة، وجَهَّز الأمير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس إلى جبل جشم فأخرب زروعهم، وكان السلطان عند مسيره من وَرْوَرْ جهَّز الفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد لقبض تلمص، وأرسل معه الأشراف رسولًا منهم، فامتنع أهل الحصن من تسليمه،

(6) سقط من (ع).

(7) الشفاليت: جمع شفلوت طائفة من العسكر العرب غير النظاميين، لفظة محرفة عن الكلمة الفرنسية شافلير أي الفارس والشلفوت رجل شهم يدافع عن الضعيف ويحترم المرأة انظر للتوسع التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية لطه حسين هديل: 123 ط دار الوفاق سنة 1433هـ.

(8) العقود (العسكر).

(9) في (ع) عوض.

(10) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود.

(11) (العقود اللؤلؤية): 392.

وسلَّمُوه إلى الشريف أبي سلطان[1]، فسار الشريف [شكر] إلى الأشراف لتمام ما قد قَيَّدوه من تسليم حصن تلمص، وأقام عندهم أيامًا، ثم وصل كتابه يطلب وصول الأمير محمد بن حاتم فسَيَّره السلطان إليهم[2]، وفي خلال ذلك وصل الأمير سيف الدين طغريل[3] من لحج وكان إقطاعه، فأقطعه السلطان صنعاء، وذلك في النصف الثاني من صفر، وأقام الشريف شكر والأمير محمد بن حاتم أيامًا بظفار، ثم عاد إلى السلطان بذمة ستة أشهر على رهائن أخر بذلها الأشراف، وطال الحديث في ذلك، فغضب السلطان من ذلك غضبًا شديدًا، وجهز الأمير سيف الدين طغريل والأمير ابن وهاس فحطوا في وَرْوَرَ، ومعهم الشيخ محمد بن علي بن دحروج في الترسيم، وقد أظهر الخدمة والنصيحة وتكفَّلَ للسلطان بأخذ ظفار في مدة يسيرة[4]، فلما صار العسكر في وَرْوَرْ صدّروا جيشًا فلزموا القُبَّة وشَرَعوا في عمارتها وأقامت المحطة بورور، ووقع[5] في البلاد قحط شديد، فبلغ الزَّبدي في المحطَّة بأربع دنانير وأكثر من ذلك، وخلا كثير من البلاد من أهلها وماتوا جوعًا، وابتاع الطين بأرخص الأثمان، وعَمَّ القحط اليمن جميعه.

واستمر الشريف أبو سلطان في تلمص، وخالف الأمراء آل عز الدين[6]، وغاروا[7] أهل صَعْدة من فللة، فجهَّز السلطان الأمير نجم الدين موسى بن أحمد إلى صَعْدة لصلاح أمرها، وجَهَّز الأمير عباس بن محمد في عسكر إلى بلاد الأمير تاج الدين لحربه ولزم الأشراف محمد بن الرَّمادي[8] وأخذوا ما وجدوا في بَيْته.

وفي رجب: وقع[9] في مخلاف صنعاء والظَّاهر أمطار عظيمة، وكان السِّعر على حاله،

(1) هو المتولى علي حصن تلمص توفي سنة 703هـ انظر (العقود اللؤلؤية): 407 وسيأتي ذكره.

(2) (العقود اللؤلؤية): 393.

(3) في (ع) طغربك.

(4) العقود (ثمانية أيام).

(5) بهجة الزمن: 316.

(6) في (ع) وخالف الأمير عز الدين.

(7) في (ع) وغادروا وفي العقود: وعاودوا.

(8) الأصل: الردى.

(9) (بهجة الزمن): 216 و(العقود اللؤلؤية): 394).

ودخل ظفار من هذا المطر ما ملأ مواجله[1]، ولم تزل المحطة على ظفار وعلى تلمص، وازداد السعر غلاء حتى بلغ الزبدي الدقيق بالمحطة ثلاثين درهمًا.

وفي بواقي أيام من رجب: تداعى الناس إلى الصُّلح على رَدِّ المال المُسَلَّم في تلمص، فسلموا منه ستة عشر ألفًا وحريرًا وحليًا باثني عشر ألفًا، وامتهلوا في الباقي إلى عشرة أيام في شوال، ورَهَنُوا فيه ولدي الأمير أحمد بن قاسم وحصن الصرارة[2] على يد الأمير ابن وهاس، وأخرج بنو دحروج حريمهم من ظفار وسكنوا صَنْعاء، وسلَّم الأمير تاج الدين الحَدَّة وخرب شريب ورهن ولده مع رهينة الأمير سليمان بن قاسم وانعقد الصلح بين السلطان وأصحاب ظفار وتاج الدين على أن السلطان يحارب تلمصًا ويفعل فيه ما يشاء ولا عتب.

وفي هذه السنة: أقطع[3] السلطان الشريف عماد الدين إدريس بن علي لحجًا حين انفصل منها طغريل[4]، وذلك في شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة، فسار إليها فوصلها يوم الرابع من شهر ربيع الآخر، وكانت الجحافل قد جمعت جموعًا وحَطَّت بالصَّعيد، فلما وصل الشَّريف عماد الدين إلى الدعيس ارتفعوا عن محطتهم فأغار عليهم العَسْكر فأدركوا جماعة فيهم يوسف بن صدقة فقتلوه واحتزوا رأسه، وأقامت الجَحَافل بعد ذلك مدة وهم يغزون إلى السَّاحل وغيره، ثم قَصَدَهُم الشريف عماد الدين، فلقيه الأمير بدر الدين محمد بن حسن بن بوز[5] وكان مقطع أبين فدخلوا عليهم موضعًا يسمى الشعبة، وبلغوا مواضع من بلادهم لم يبلغها أحد من العساكر السلطانية قبل ذلك، ولما رجع الأمير من غزوته جهَّز عسكرًا إلى الساحل، فظفر العسكر بإبراهيم بن سفيان بن عبد العزيز، وكان فارس الجَحَافل يومئذ فقتلوه واحتزوا رأسه، وظفرت خيل الصعيد بخمسة جماعة من العجالم فقتلوهم.

وتوجه السلطان إلى اليمن في شعبان من هذه السنة[6]: فدخل حصن تعز المحروس يوم الجمعة آخر يوم من شعبان، وقيل: أول يوم من رمضان.

---

(1) جمع ماجل: الحفرة الكبيرة يخزن فيها الماء أو الحوض الكبير.

(2) في العقود (الصدارة) والصدارة قرية في جبل عيال يزيد شمالي عمران.

(3) (العقود اللؤلؤية): 494.

(4) في (ع) ظغربك.

(5) في الأصلين بدون أعجام.

(6) (العقود اللؤلؤية): 395.

وفي هذه الليلة[1]: توفي الملك العادل صلاح الدين أبو بكر بن الملك الأشرف، وكانت وفاته في قرية ضراس.

وفي آخر رمضان: طلع الشريف إدريس بن علي إلى تعز المحروس بسبب العيد، وحضر جماعة من الشعراء، وقام العفيف عبد الله بن جعفر بقصيدة من عيون شعره، وهي[2]: [من البسيط]

أثمار هذا القضيب الرطب ألوان — كرم وطلع وتفاح ورمان
[أهكذا الفضة البيضاء قد نبتت — غصن وزهرتها في الخدّ عقيان][3]
ظبي مباسمه دُرّ وريقته — خَمْر وأنفاسه رَوْح ورَيْحان
قد صَحَّ منشور إقطاع القلوب له — ونون حاجبه في الخَدِّ عنوان
وأضرم الحسن في أمواه وجْنته — نارًا لها مُهُج الأكباد قُرْبان
عجبت إذ نَبَت المرجان في فمه — وقَبْلها لم يكن بالعذب مَرْجان
تصوير شخصك في عَيْنَيَّ ممتنع — أن تلتقي لي فوق النَّوم أجفان
هذي دموعي بوجدي منك شاهدة — تنبيك بالشَّان ما يجري به الشان
مَا اخْتَصَّ ناظرك الساجي بأنفسنا — بِفِتنة كلُّ شيء منك فَتَّان
لا تَمْش بالصَّبِّ في طُرْق الهوى مرحًا — (واقصد) كما قال في فحواه لقمان
أيستبيح جبار[4] **قتل أنفسنا — والأرض فيها هِزَبْر الدين**[5] **سلطان**
سَيْفٌ من الله لولا سيفه عُبِدَتْ — كأول الدَّهر أصنام وأوثان
مَلْكٌ مكارمه غَيْث ونَجْدَتَهُ — غَوْثٌ وأيامه أَمْنٌ وإيمان

---

(1) بهجة الزمن: 217 وص: 115ط حجازي.

(2) انظرها في بهجة الزمن: 217 و(العقود اللؤلؤية): 395.

(3) سقط من (و).

(4) الجبار: بضم الجيم وفتح الباء ما لا قَوَدَ عليه.

(5) لقب الممدوح الملك المؤيد.

في حُكْمِهِ لشديد البأس مُدْرَأة ترضي الإله وحَدّ السيف غضبان
مُسْتحسنَات صفات النَّاس قد جُمِعَتْ فيه فَدَعْهم فأهل الأرض إنسان
لم لا ويوسف شمس الدين[6] منبته ومَنْبت الأصل قابوس ونعمان
وتبَّع الأكبر السَّامي وذو يزن عَمٌّ وبيتك صِرْوَاح وغَمْدان
تلك العباهل من قحطان إن عدموا فبالمؤيَّد عادوا مثلما كانوا
ما ضَرَّ داود مال ظَلَّ ينفقه داود بحر به المرجان مَجَّان
أنت المليك الذي في عصره أمنت من عَصْرِهِنَّ عناقيد وقنوان
وطَهَّر الله أرضًا أنت مالكها من أن يكون بها كُفر وعِصْيان
هنئت يا مالك الدنيا ابن مالكها ثلاثة هُنَّ للأفراح صنوان
نصر وحسن قدوم جاء بَعْدَهُمَا عيد بوجهك يا داوود مزدان
وفي الليالي فنون من سعادتكم إن الليالي لما تَهْواه خزَّان
فلا برحت على مَرِّ الزمان كذا ولا خلت منك أوقات وأحيان

وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة[7]: توفي الأمير الكبير نجم الدين موسى بن أحمد بن الإمام، وكانت وفاته يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور في نواحي صَعْدة.

وفي السنة المذكورة[8]: أمر السلطان ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيدية في مغربة تعز ورتَّبَ فيها مدرسًا ودرسة، ومعيدًا وإمامًا ومؤذنًا ومعلمًا، وأيتامًا يتَعَلَّمون القرآن ومقرئًا يُقْرئ القرآن الكريم بالسَّبعة الأحرف، وقيِّمًا، ووقف عليها من الأراضي ما يقوم بكفاية الجميع، ووقف بها خزانة من الكتب النفيسة.

وفي سنة ثلاث وسبع مئة: توفي[9] الملك الظافر [قطب الدين][10] عيسى بن السلطان الملك

(6) يعني به والد الممدوح المظفر يوسف بن عمر الرسولي.
(7) بهجة الزمن: 220 وص: 116 ط حجازي.
(8) بهجة الزمن: 220 وص: 116 ط حجازي.
(9) بهجة الزمن: 221 و(العقود اللؤلؤية): 409.
(10) زيادة من البهجة والعقود.

المؤيد، وكانت وفاته في حصن تعز يوم الرابع والعشرين من المحرم أول السنة المذكورة، وحَضَر دفنه أخوه الملك المظفر وعَمُّه مولانا الملك المنصور أيوب، وكافة أعيان الدولة، وقبر في مدرسة والده التي أنشأها في مغربة تعز، وكان ملكًا ذا همة بارعة، وعزمة لأبكار المعالي فارعة، وأمر والده الملك المؤيد يومئذ بذبح خيله الخواص حين حَمّلوه على الرِّقاب، وما كان أحقه بقول القائل[1]: [من الطويل]

يمـر علـى الـوادي فتبكـي رمالـه　　　عليـه وبالنَّـادي فتبكـي أراملـه

وفي هذه السنة: توفي[2] الأمير الكبير الشريف أبو سلطان المستولي على تلمّص، وكان قد اتفق هو والأمير جمال الدين ابن بهرام على تسليم الحصن إلى السلطان وتراهنا[3] على ذلك، فغلب المرتَّبون بعد موته على تمام الأمر، وباعوه بعد موته على الأمير علي بن موسى بن شمس الدين أحمد بن الإمام فسَيَّر نحوه شحنة من آخر الليل من طعام وغيره، فلما علم ابن بهرام خَرَجَ من صعدة نحوهم فوقع بينهم قتال شديد وتلازم الأميران علي بن موسى وعلي بن بهرام، وقتل فارسان من الفريقين، وكان السلطان قد أرسل الأمير علي بن موسى لصلاح صعدة، ووَصَلَ الأمير عباس بن محمد بن عبد الجليل إلى بلاد كُحْلان تاج الدين لمحاربته، فكان من علي بن موسى ما كان، ولما طلعت الشِّحنة إلى تلمص وصل الأمير المؤيد بن أحمد من بني الهادي وكان من علماء الزيدية وفضلائها وذوي السِّن والرياسة فيها، فأقام في محطة الأشراف أيامًا وكانت محطتهم تحت حصون الأمير موسى[4]، وفي خلال ذلك وصل الإمام محمد بن مطهر من ظليمة قاصدًا صعدة فلقيه الأمير المؤيد بن أحمد إلى جبل بني عوير، ثم لقيهم الأشراف بجمع جَيِّد من الخيل والرِّجل وساروا جميعًا يريدون تلمصًا، فركب الغز من صَعْدة وعارضوهم، فحصل بين العسكر قتال عظيم فانهزمت ميمنة عسكر السلطان وميسرته، وثبت القلب ثباتًا حسنًا، فلما انهزم أصحابهم لم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فساروا بعدهم، وقتل يومئذ أيبك الحجازي الأشرفي، وكان من الشجعان المعدودين، وقتل معه يومئذ ثلاثة فرسان وأربعة من الرِّجْل، وسار الأشراف

(1) للمتنبي.

(2) (كنز الأخيار): 131 وبهجة الزمن: 224 وص: 116ط حجازي.

(3) أي وضعوا رهائن مقابل السمع والطاعة.

(4) انظر (كنز الأخيار): 133.

من فورهم إلى مدينة صعدة أيامًا يكاتبون في الصُّلح، فانعقدت الذِّمة إلى سلخ الحِجَّة على إخلاء صعدة من الفريقين، ونزل الشريف شكر إلى الأبواب السُّلطانية لتمام الصُّلح، وسار معه الأمير داود بن عِزِّ الدين فلم ينصف، فعاد غاضبًا إلى أصحابه فعملوا على تمام الذمة، وجَهَّزَ السلطان جيشًا عليهم الأمير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس بن عبد الجليل في مئتي فارس ومقدَّمين من مذحج فدخلوا صعدة في آخر القعدة، وراسلوا في الصلح على تمام الذمة الأولى.

وفي هذه السنة: وصل[1] الأمير بدر الدين مكنون[2] المرقبي سفيرًا من الديار المصرية يخبر بانتصار المسلمين على عساكر التَّتر بمَرْجِ الصّفر، وكان عدة الذين قتلوا من التتر يوم الوقعة مئة ألف قتيل وعشرين ألف قتيل، فاحتفل السُّلطان بالرسول الوارد إليه بكتاب النَّصر، وزُفَّت البشائر وأعلن السرور، وتَلَقَّى البشير أعيان الدولة الشريفة وأمراؤها، وقال في دخوله الشريف إدريس بن علي بن عبد الله[3]: [من البسيط]

لم تأتك الرُّسل من مصر وساكنها ... إلاَّ مؤدِّية حقًّا لكم يجب
وحين لاحت قصور الحصن لاح لهم ... من نور وجهك ما لا تَسْتُرُ الحجب
واستقبل العَسْكر المنصور فانصدعت ... قلوبهم فهي في أجوافهم تَجِبُ
كتائب مثل ضوء الشمس قَسْطلها ... غَيْم فساروا بليل والظبا لهب
حَفّت بهم فرأوا أسدًا ضراغمةً ... عاداتهم بالوغى إن غولبوا غَلَبوا
فكيف لا والأمين الرُّوح يقدمهم ... في كلِّ رَوْع وحيزوم بهم يثب
وعاينوا منك وَجْهًا طالما سجدت ... له الملوك وقامت باسمه الخُطَبُ

وأمر مولانا السلطان بإكرام السَّفير المذكور، وإنزاله منزلًا يناسب حاله، وأفيض عليه الإنعام التام، وكَتَبَ له جواب في معنى ما أتى به، وعاد إلى مخدومه قافلًا إلى مصر، ثم تواترت الأخبار بوصول عسكر جَرَّار من الديار المصرية إلى مكة المشرفة، فأخذ السلطان

(1) (كنز الأخيار): 131 وبهجة الزمن: 226.
(2) العقود (بكتوت) وكذا في (السلوك) للمقريزي2: 273ط العلمية، وفيه بكتوت الشجاعي.
(3) انظرها في بهجة الزمن: 226.

بالحَزْم وتوجَّه من قصر زبيد في ذي القعدة وصَدَّر جيشًا إلى البرك لعمارته، ولما انقضى الحج اتصلت الأخبار بأن الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة في الديار المصرية حَجَّ في جيش عظيم، وأنه تَصَدَّقَ على أهل الحرمين بصدقة عظيمة.

قال ابن عبد المجيد في كتابه (بهجة الزمن)[1]: سمعت أن صدقته تزيد على ست مئة ألف درهم، ومن الغلة الجيدة المحمولة في البحر من جهة القصير[2] إلى جدة عشرة آلاف إردب، فإنه لم يترك بالحجاز في تلك السنة من عليه دين، قال: وبَلَغَني أن دخل إقطاعه وضماناته ومستأجراته وأجرة عقاره بمصر والشام في كل يوم مئة ألف درهم خاصة لخزانته[3] خارجًا عن كلفته المختصة بحاشيته.

وفي هذه السنة: وصل رجل من التجار من بلاد الخطاء[4] على طريق الصين، يقال له: عبد العزيز بن منصور الحلبي بمال عظيم شانه، وصحبته من الحرير ثلاث مئة بهار، البهار الواحد ثلاث مئة رطل بالبغدادي، ومن المسك المفرغ في أواني النُّحاس أربع مئة رطل وخمسون رطلًا، ومن الفخار الصيني جملة مستكثرة، ومن الأواني اليشم[5] المطعمة بالذهب من الصّحون الكبار [جملة][6] جيدة، ومن الثياب المختلفة الألوان مثل ذلك، ومن المماليك والجواري جملة أخرى، ومن الفضة والماس أرطال جَمَّة، زعم أنها صدقة للحرمين على يديه من تُجَّار تلك الناحية، تقرر عشور ما وصل به إلى ثغر عدن المحروس ثلاث مئة ألف درهم، فلما استقر بعدن توجه إلى الأبواب الشريفة[7] فتلقاه بالكرم الهِزَبْري[8] والإنعام العام، فَقَدَّمَ بين يدي نجواه هدايا عينها وتحفًا استحسنها فبرز المرسوم بقبولها، وأفاض عليه السلطان خلعًا نفيسة وأعطاه المراكب السَّنية، فكتب له بالعوض بما قدمه بأضعاف

(1) بهجة الزمن: 263.

(2) في الأصل: القصر.

(3) في العقود (لحراسة).

(4) الخطأ: قبائل آسيوية موطنها الأصلي شمال الصين (المغول في التاريخ: 29).

(5) انظر وصف هذه الأشياء وشرحها في تحقيقنا لكتاب بهجة الزمن: 264 ط ثانية مكتبة الصميعي بالرياض سنة 1433 هـ.

(6) سقط من (و).

(7) يعني توجّه إلى تعز.

(8) نسبة إلى هزبر الدين لقب الملك المؤيد.

ذلك، وتقدم بالمرسوم الشريف إلى نواب الثغر[1] المحروس بإجلاله واحترامه وخِيْرَتِه بين الظعن والإقامة، فاختار الرحلة إلى صوب مصر ليجدد عهدًا بأهله.

وفي هذه السنة المذكورة[2]: أوقع الشريف عماد الدين إدريس بن علي بالجَحَافل وقعة أنبأت فيها عن هِمَّة علوية وشهامة حسنية، كان جملة من اجتمع فيها من الجحافل أربعون فارسًا وألف ومئتا راجل، وكان الشريف في مئتي راجل وأربعين فارسًا، فقتل من الجحافل مقتلة عظيمة، وقُتِل من العسكر نفر يسير منهم الشريف علي بن محمد الأبرش، وهو ابن عم الشريف، وفي هذه الوقعة يقول الشريف إدريس[3]:

ولو لم تخنَّى عند صنوى كبوة	**من الأحمر الجياش[4] ما فات مطلب**
ولكن خرصان الرماح تشاجرت	**هنالك حتى كاد يؤدي ويعطب**
فإن كان فيمن أدركته رماحهم	**صريع لنا ثار يُعَدّ ويحسب**
فقد صُرِعَتْ حوليه سبعون أغلبًا	**تهاداهم في القفر ذئب وثعلب**

وفي سنة أربع وسبع مئة: توجه الأمير نور الدين[5] حسن بن بوز من حرض إلى صعدة مددًا لعباس بن محمد وابن بهرام فأخرب عباس بن محمد زَرْع الأشراف وصَعْدة ومخاليفها، ودخل علاف ومَجْز، ثم رتب ثلاثين فارسًا في تعز صعدة وثلاث مئة رَجَّال، ونزل الجوف ثم دخول صنعاء، ثم توجه إلى اليمن، فلما خلت صعدة من العساكر جَمَع آل شمس الدين عسكرهم ونزلوا الجوف فأقاموا بسوق دعام ثلاثة أيام، وقد جمعت المخاليف السلطانية في الزَّاهر، وكانت له عمولة في نعمان.

وفي شهر صفر من السنة المذكورة: لزم[6] السلطان الأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين وولد الشريف شكر بن علي القاسمي، وأمر بلزم أولاده حيث كانوا، وذلك لما

---

(1) يعني عدن.

(2) (كنز الأخيار): 406.

(3) (كنز الأخيار): 133 والياقوت المعظم: 88 (تحقيقنا).

(4) الجياش: اسم فرسه.

(5) في العقود: 416 (جمال الدين بوز بن حسن) وهو الصواب.

(6) (كنز الأخيار): 134 وبهجة الزمن: 234.

وقع في الخاطر الكريم من فعلهم في صعدة فأدبهم بآداب مثلهم، وبرز[1] الأمر العالي بتجهيز الأمير أسد الدين محمد بن بوز سفيرًا إلى الديار المصرية، فاتصل العلم بأن الأمراء بمصر عبثوا[2] بالسلطان، وأن البلاد على غير وضع، فأَخَّرَ السلطان ذلك العزم، وحمل للأمير أسد الدين المذكور أربعة أحمال طبلخاناة وأربعة أعلام ورَدَّه إلى إقطاعه.

وفي شهر جمادى من هذه السنة: زالت[3] الشدة وارتفع الغلاء ورخصت الأسعار في جميع نواحي اليمن، ورجع[4] المقدم الذي عَمَرَ البرك وهو موسى بن أبي بكر بن علاء الدين، وكان الشريف طاهر بن أبي نمي قد وصله إلى البرك من مكة، حرسها الله تعالى، قاصدًا إلى الباب الشريف السلطاني فسارا معًا، فلما بلغا قريبًا من اللؤلؤة لقيتهم جهينة فانهزم العسكر وتُعُقِّب[5] الشَّريف الطاهر، فقتل وأخذت أثقالهم ودوابهم.

وفي النصف من رجب[6]: تقدم الرِّكاب العالي من محروسة زبيد قاصدًا تعز فأقام بِثَعَبَات، وحصل عليه توعك، فأرجف الناس بذلك وامتلأ اليمن خوفًا، فَمَنَّ الله بشفائه، وذلك في النصف الأخير من شعبان، ولم يزل في ثَعَبَات إلى يوم العاشر من رمضان، ثم طلع الحصن وكان طلوعه يومًا مشهودًا.

وفي شهر شوال: أقطع[7] السلطان ابن بهرام مدينة أبين وأعمالها، وتجَهَّز ابن بوز نحو الديار المصرية، وقد أقطعه السلطان القحمة، فسار في أوائل الشهر المذكور بأنواع التحف السَّنية من الفضيَّات على اختلاف أنواعها كالطشوت والأباريق والصلاحيات[8] والمجامر والأكر والعربان[9] وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العنبر ونوافج المسك، وما عظم شأنه من فخار الصيني واليشم من الصحون والزَّبادي ما لم يمكن شرحه من الحسن

(1) (كنز الأخيار): 134 وبهجة الزمن: 224.

(2) (السلوك) للمقريزي 2: 381 ط العلمية.

(3) (كنز الأخيار): 134 وبهجة الزمن: 234.

(4) (كنز الأخيار): 134 وبهجة الزمن: 234.

(5) كذا في الأصل، وفي العقود: 418 وتأخر الشريف على أعقاب الناس فقتل.

(6) بهجة الزمن: 235.

(7) بهجة الزمن: 235.

(8) مفرد صلاحية: صحن كبير واسع الأعلى ضيق الأسفل، وفي نور المعارف: 121 (صليحية).

(9) في العقود: القرابات.

ومن الخدام والحبش والقنا الهندي والمراقد الحبشية، ومن المراكب المذهبة والشاشات الرفاع، والبيلقانيات[1] ومن الثياب المذهبة الفضية ما عظم شأنها، ومن الأواني والأطباق والصَّناديق مملوءة بالمسك المفرغ والشاه صيني والكافور التازة جملة أخرى، ومما يتعلق بالحوائج خاناة كالفلفل والقرنفل والزنجبيل واللُّك والبقم، أبهرة، ومن الوحوش: كالسباع والفيل وحمير الوحش والزّرافة، كلها مكسوة بالحرير الأطلس الملمَّع بالذهب، ومن الخيل: المسومة العربية الأصائل اللائقة بحال المُهْدي والمَهْدى إليه، نقل ذلك كله مركبان عظيمان، ومثل هذه الهدية لا يكاد يَتَأَخَّر ما بين كل عامين أو ثلاثة أعوام طلبًا للمحبة والمودَّة، واستمرارًا على ما يعهد من الصحبة.

وفي هذه السنة: توفيت[2] الجهة المصونة بنت الأمير أسد الدين زوج مولانا السُّلطان الملك المؤيد، وكانت عنده عزيزة مكينة، لأنها بنت عَمِّه ابن عم أبيه، وكانت كثيرة المروءة، حسنة الشفاعة، فَعَزَّ عليه فقدها، وأمر بالقراءة عليها في سائر جوامع مملكته، وحملت من رأس حصن تعز تحت البشتخانه[3] الحرير، وأمامها ملوك بني رسول، ودفنت في مدرسته التي أنشاها في مغربة تعز، وكان يوم وفاتها يومًا مشهودًا.

وفي هذه السنة: توجه[4] الأمير سيف الدين طغريل نحو الباب الشريف متبرئًا من صنعاء بسبب معارضة حصلت بينه وبين ياقوت متوَلِّي الأملاك السلطانية فأبرأه السُّلطان منها، وأقطعها ولده المظفر، وسار نائبه لقبضها في ثاني عشر ذي القعدة[5]، ثم إن عيال شمس الدين عادوا إلى عيان مرة أخرى، وجاءهم الإمام محمد بن مطهر إلى هنالك فَجَهَّزَ السلطان لحربهم الأمير سيف الدين طغريل، فقَصَدهم إلى عيان فنزلوا إلى الجوف فقصدهم إليه، فطلعوا صعدة فسار بعدهم وعاد إلى فللة وحصون الأمير علي بن موسى، وأخرب ما قدر عليه من مخلافهم، ووقعت الذِّمة إلى آخر القعدة، وعاد إلى صنعاء فدخلها خامس خروجه من صَعْدة.

---

(1) لعلها منسوبة إلى بيلقان بلد معروف.

(2) بهجة الزمن: 237.

(3) البشتخانة قال في شفاء الغليل: الناموسية.

(4) (كنز الأخيار): 135 وبهجة الزمن: 237.

(5) (كنز الأخيار): 135.

وفي هذه السَّنة: كانت[1] الوقفة يوم الجمعة وحَجَّ خلق كثير من مصر وغيرها، وكان أمير الحاج الأمير الكبير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[2]، وحج معه عدة من الأمراء المصريين، ووصل معه الشريفان رميثة وحميضة ولدا أبي نمي وكانا بمصر معتقلين كما ذكرنا أولًا، فلما انقضى الحج أحضر الأمير الكبير ركن الدين بيبرس الشَّريفين وأخويهما أبا الغيث وعطيفة، فلم يتقابلا بالسمع والطاعة، وحصلت بينهما المنافرة، وكان في مكة والمدينة غلاء عظيم حتى بلغ المد الحنطة عشرين درهمًا والذرة ستة عشر درهمًا واستمر حميضة ورميثة في البَلد، وأظهرا حسن السِّيرَة وأبطلا شيئًا من المكوس.

وفي سنة خمس وسبع مئة: أقطع[3] السلطان الأمير سيف الدين طغريل أبين، فنزل إليها في النصف الثاني من المحرم وانفصل عنها ابن بهرام، فلما وصل إلى الأبواب السلطانية منفصلًا من أبين أمر مولانا السلطان أن يحمل له أربعة أحمال طبلخاناة وأربعة أعلام، وأقطع الأعمال الرحبانية، وقد كان الأشراف آل شمس الدين قد غزوا حرض قبل وصول ابن بهرام إليها، وأفسدوا في نواحيها، وكان فيها مقدم ورتبة من عسكر السلطان فخرجوا لقتال الأشراف وقاتلوهم عند المدينة فانهزموا إلى الدرب، ودخل الأشراف حرض فنهبوا ما أمكنهم ورجعوا من فورهم، وخالف الأشراف بنو حمزة وانضم إليهم ابن وهاس، فجهَّزَ السلطان حينئذ الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل أستاذ داره يومئذ في جيش آخر إلى صنعاء، فوقف هنالك إلى آخر شهر شعبان، ونزل بعد تمام الصلح بين السلطان وبين الأشراف على أن للسلطان ثلث مخلاف تلمص، وقبضت رهائنهم على ذلك، ورجع أهل مدينة صعدة إلى مدينة صعدة وسكنوها.

وفي آخر شعبان من السنة المذكورة: تبرأ[4] الملك المظفر من صنعاء، وتوجَّه إلى حرم أبيه فأقطعها الأمير سيف الدين طغريل فسار إليها، فلما وصل ذمار أقام بها إلى شهر ذي القعدة وقبض في مدة وقوفه حصنًا من حصون بني عبيدة.

---

(1) بهجة الزمن: 237 وإتحاف الورى 3: 140 والسلوك للمقريزي 2: 383.

(2) في (ع) من الحاسكية.

(3) (كنز الأخيار): 135وبهجة الزمن: 243.

(4) (كنز الأخيار): 135 وبهجة الزمن: 244.

وفي الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم: أقطع[1] مولانا السلطان الأمير عماد الدين الشريف إدريس بن علي أبين وما ينضاف إليها.

وفي النصف الأخير من شوال: أمر[2] مولانا السلطان رحمه الله بإعادة الجَحَافل على جَوَامكهم، وكان قد قطعها منهم من مدة خمس سنين تأديبًا لهم.

وفي هذه السنة المذكورة: رجع[3] الأمير أسد الدين بوز من الديار المصرية بعد أن عومل بما يجب من الإكرام، ووصل معه سفير من هنالك يقال له: مبارز الدين الطوري، فأقام في تعز أيامًا وحَضَر المقام السلطاني فقوبل بالإقبال والإكرام، ثم سار إلى زبيد فأقام بها إلى أن تَهَيَّأَ له السفر إلى مخدومه.

وفي هذه السنة المذكورة: حج[4] من مصر ونواحي المغرب وبلاد العراق خلق كثير لا يحصيهم إلا الله، واجتمعت في عَرَفَة ثلاثة ألوية: لصاحب اليمن ولصاحب مصر ولصاحب العراق، خدا بنده[5]، وحصل الحرب بمنى بين المصريين والحجازيين وكان أمير الركب المصري الأمير سيف الدين انغه، وكان فظا غليظًا سَفَّاكًا مقدامًا على الجرائم، فقتل جماعة من السرو وسطهم ولم تدخله عليهم شفقة ولا رحمة.

وفي هذه سنة ست وسبع مئة[6]: ملك مولانا السلطان حصن القرانع وهو مصاقب الطَّويلة، بحيث تختلف بينهما النشاب والحجر، فحط الشريف تاج الدين على القرانع ولزم حصن شريب، فخرج إليه الأمير سيف الدين من صنعاء في شهر ربيع الآخر، والأمير عباس بن محمد فكسروه، وشحن الأمير سيف الدين الحصنين بأنواع الشحن بعد أن عمرهما، ورَجَع إلى صنعاء ظافرًا منصورًا، وكان رجوعه في شعبان.

وفي الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة[7]: كان ميلاد السُّلطان الملك المجاهد، وقيل

---

(1) (كنز الأخيار): 135 وبهجة الزمن: 244.

(2) بهجة الزمن: 244.

(3) بهجة الزمن: 244.

(4) بهجة الزمن: 245 وإتحاف الورى3: 143.

(5) هو حفيد هولاكو حكم العراق وتوفي سنة 716هـ (صبح الأعشى 4: 358) والسلوك: للمقريزي 2: 155 وفيه (خربندا).

(6) (كنز الأخيار): 139 وبهجة الزمن: 245.

(7) بهجة الزمن: 246.

كان ميلاده في العاشر من شهر رمضان من السنة المذكورة بزبيد في مجلس[1] من قاعة الأسد يقال له: مجلس الولادة لولادته فيه، والله أعلم.

وفي النصف الأخير من جمادى الآخرة[2]: أخذ ابن صهيب حصن السانة بوصاب وهو حصن عظيم يناطح النُّجوم وَيُتَلَبَّسْ بالغيوم، من أحرز الحصون وأمنعها وأَضَرَّها وأنفعها، وهو من أحرز معاقل اليمن، والذي ينحط عليه لا تراه، لأنه في رأس جبل عال وليس له إلا طريق واحدة، فأَهَمَّ السلطان بأخذه، فجهز القاضي مُوَفّق الدين الوزير إلى جبلة يجمع الرجل، وسار السلطان إلى زبيد مبادرًا[3]: [من الوافر]

أشد من الرياح الهُوْج بطشًا ... وأسرع في النَّدى منها هبوبا

ثم خرج من زبيد فحَطَّ على السانة فأذعن ابن صهيب بالطَّاعة، ووقف على قدم الاستطاعة، ونزل على الذِّمة الشريفة، وتَسَلَّم السلطان الحصن المذكور وحصونًا أُخَرَ معه هنالك، وانثنى راجعًا، فلما استقر بزبيد عُمِلَتْ الأفراح والبشائر، وهَنَّأه شعراء دولته، فقال العفيف عبد الله بن جعفر[4]: [من الكامل]

ترك الجبال الشم قاعًا صفصفا ... من وَعْده ووَعِيده ما أَخْلفا

متقاضيًا ميراثه مستشهدًا ... سُمْر العوالي والصَّفيح المُرْهِفا

تغفو عيون الصَّابرين نفوسهم ... عن نيل ما طَلَبُوا وكلاًّ ما عفا

جَمَع الجيوش إلى المغار ولو أتى ... للحرب قبل جيوشه فردًا كفى

لا يستقر الدَّارعون أمامه ... حَسْب الرماد لعاصف أن يُنْسَفا

دأب المؤيد أن يَسِلَّ على العدى ... سيفًا ودأب رقابها أن تُقْطَفا

---

(1) العقود: بدار الأسد.

(2) (كنز الأخيار): 136 وبهجة الزمن: 246 (وانظر خبر الإستيلاء على حصن السانة في تاريخ وصاب: 124) (تحقيقنا).

(3) من قصيدة للمتنبي أولها:

ضروب الناس عشاق ضروبا ... فأغدرهم أشفَّهم حبيبا

(4) انظرها في بهجة الزمن: 246.

ترضى ملوك الأرض أَيْسر حقها ... مِـنْـه وتـفـرح مـن وفـاه بـاللفَّا
لا تـقـدر الأيــام تَـرفـو خـرْقَـه ... أبــدًا ولا الأيــام تـخـرق مـا رفـا
العاقد الـرايـات لـم يـك زاجـرًا ... طـيـرًا بـمـسـرحـهـا ولا متعيِّفا
بحبائـس للحـرب ليـس خنائـس ... تمسـي وتصبـح للمراكـز عُكَّفَـا
قامت عـقـاب المنجنيق وراءهـا ... فـأشـار مـولانـا بـأن تتخلـفا
جَمَعَـت جناحيهـا ومَـدَّتْ عُنْقهـا ... للسَّيْر في إثـر الخميس وتَرْجُـفا
نـوء يجلجل مـن زبيـد رَعْـده الـ ... ـساري فصاب وصاب غيثًا واكفا
حتى إذا مـا السَّيـف بالـغ خطوه ... فيها وحَشْحثة السّـيـاق فأوجفا
وجـرت سيـول مـن دم لـو أنها ... مـاء لـكـان ربـيـعـهـم والصَّـيِّـفـا
ورأوا مـن النِّـيران حـول قلاعهم ... عَـدِّ الكـواكـب في السِّـمـاء ونَيِّفا
فـتَـوَجَّـسُـوا أن الطـبـول زلازلًا ... كـادت بهم وبِطَـوْدِهـم أن تخسفا
طـرحـوا نفـوسـهـم عـلـى أبـوابـه ... فعَفَا ومثل أبـي المظفر مـن عفا
هـربـوا إلـيـه مـنـه واعـتـصـموا به ... ولـكـم أجـار الـهـارب المتخوِّفا
مستشفعين بـآل بـيـت محمد ... أهـل الشَّفاعـة للمسيء إذا هفا
فـأقـال عَـثْـرتـهـم وعــاد بـهـم إلـى ... مـا أورثـتـه بنو الـرَّسـول مـن الـوَفَـا
وأتت عقائل في الحجال فجاورت ... مِـنْـه الـكـريـم الـطَّـاهـر المتعفِّفَا
من لم يَـمَـدُّ إلـى الخنا طرفًا ولم ... يسحب إلى طرق الفواحش مِطْرَفا
يـدعـون يـا سلطان عـفـوًا بالرِّضا ... فـأجـابـهـم وأثـابـهـم وتَـعَـطَّـفَـا
ومهلهل الـشـرف[1] استجار بأمنه ... فتسـلَّم الشـرف الرفيـع المشـرفا
نـظـر الـبـوارق مـن بـلاد ربيعة ... برقـت فخـاف بلمعهـا أن يخطفـا

وهي قصيدة طويلة اختصرت منها ما ذكرت.

(1) الشرف: حصن في وصاب.

وفي شهر شوال من هذه السنة[1]: نقض الجحافل الصلح وأغاروا على لحج فقتل منهم عباس بن أبي شقرة [وكان من وجوههم وفرسانهم، وفي ثامن ذلك اليوم أغاروا على الأخبة[2] فقتل أحمد بن شقرة][3] أخو عباس وكان أعظم منه محلاً فيهم.

وفي يوم العشرين من القعدة: جمعوا جموعًا كثيرة وقصدوا الأخبة ولم يستقروا عندها فرجعوا طريق الرعارع[4] فتبعهم العسكر فأدركوهم بعد [العصر][5]، وقد أصابهم سموم[6] وتفرقوا فقتل منهم نحوًا من أربعين رجلًا، فانكف فسادهم.

وفي سنة سبع وسبع مئة[7]: جاشت النجوع إلى ناحية حرض فجَرَّد السلطان إلى ناحية حرض نحوًا من ثلاث مئة فارس من حلقته المَنْصورة فأغاروا عليهم وشَتَّتوا شملهم.

وفي هذه السنة: هرب[8] الشريف محمد بن خالد من زبيد وكان السلطان يومئذ بزبيد ورهينته أمه وأخته.

وفي جمادى: خالف[9] والي شيعان[10] على الأمير تاج الدين وباع الحصن على السلطان، فقصده الأمير تاج الدين وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، فجَرَّد السلطان لحرب الأمير تاج الدين الأمير سيف الدين طغريل وسار معه بالمنجنيق لرمي عزان، فلما صار بالضَّلع التقى بالأمير تاج الدين وأخيه الأمير علم الدين حمزة أسفل عقبة بكيل فاتفقوا على الصُّلح وعلى خِدْمة السلطان، وحَلَّفهما على ذلك وخلع عليهما ورجع إلى محطته ومعه الأمير علم الدين حمزة، فلما أصبحوا من النهار الثاني طلعت الأعلام السُّلطانية حصن بُكْر وخفقت ذوائبها هنالك طاعة للسلطان، ثم نزل الأمير تاج الدين إلى المَحَطَّة فأنصفه الأمير سيف

(1) (كنز الأخيار): 137 وبهجة الزمن: 248.
(2) ويقال لها اللخبة وسيأتي ذكرها.
(3) سقط من (و).
(4) في (ع) الرجع.
(5) سقط من (ع).
(6) يعني ريح السَّموم تكون شديدة وربما قتلت من يواجهها.
(7) (كنز الأخيار): 137.
(8) بهجة الزمن: 248.
(9) (كنز الأخيار): 137 وبهجة الزمن: 248.
(10) الأصل (سبعان) وأثبتناه من (كنز الأخيار) وانظر: مجموع الحجري: 460.

الدين وخَلَعَ عليه وأعطاه حصانًا جيدًا، وكسا أكثر أصحابه وغلمانه، وانعقد الصلح بينهما وبين السلطان خمس سنين، وتوَجَّه الأمير سيف الدين إلى الباب الشريف وصحبته الأمير علم الدين حمزة بن أحمد صنو الأمير تاج الدين ولم يكن وصل الأبواب السلطان قبل ذلك، وكان معه ابن أخيه عبد الله بن تاج الدين وجماعة من العرب.

وفي هذه السنة: وصل[1] الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة في الديار المصرية على أن يجهز الأمير سيف الدين بيبرس في جيش كثيف إلى اليمن، وأمر على الأمير عِزِّ الدين الأشقر شاد الدواوين أن يتقَدَّم إلى جهة قوص لعمارة المراكب فعَمَرَها، وهي نَيْف وخمسون مركبًا، وقَدَّر الله موته وموت أولاده وعائلته وجميع أهل داره في أيام قلائل، ولم يبْقَ منهم أحد، فرجع الأمير سيف الدين سلار عن ذلك الرأي وأشار بأن يحْضُر الفقهاء والقضاة ومشايخ الخوانق والزوايا وأرباب الخير والصلاح إلى مقام السلطان الملك الناصر ويعلموه أن هذا الأمر لا يَحِلُّ الإقدام عليه، لأن اليمن بلد الإيمان وهي بلاد العلم والعلماء والفقهاء والصُّلحاء وأرباب الخير والصلاح، وملكها ثابت الولاية مستقر الحكم، قد انعقد الإجماع عليه، فلا يجوز البَغْيَ عليه، فرجع السلطان عن ذلك الأمر، وجعل هذا سببًا لتأخير المسير[2]، ولما علم السلطان المؤيد بذلك مَنَعَ الكارم تلك السنة حتى وصل الرسول بما وصل واستقرت الأمور على تَسْفير رسول من الديار المصرية ومتعمم، وكان الرسول رجلًا يسمى السعدي من مماليك الملك الظاهر والمتعمم القاضي شمس الدين محمد بن عدلان أحد القضاة، وكان مضمون الرسالة تقرير الحال، وأن السُّلطان قد رجع عَمَّا كان عليه من العزم، وفي خلال ذلك الرغبة إلى الصلح والموادعة، ثم توَجَّه الرسولان إلى بلاد اليمن فحضرا المقام السلطاني، وكان السلطان يومئذ مريضًا لا يستطيع الكلام، واتفق أن حصل على الأمير الواصل مرض أفضى به إلى الموت، فتوفِّي في الثاني والعشرين من جمادى الأخرى من سنة ثمان وسبع مئة، وكان وفاته بزبيد، فقبر في ظاهر المدينة ورجع القاضي شمس الدين إلى الديار المصرية وصحبته جواب ما أتى بسببه، والله أعلم.

وفي سنة ثمان وسبع مئة: اتفق[3] فراغ القَصْر السعيد السُّلطاني المعمور بِثَعَبَات المسمى

---

(1) بهجة الزمن: 249 وللتَّوسع في هذا الخبر، انظر (السلوك) للمقريزي2: 416 ط العلمية.

(2) كذا يبرر المؤلف تَأَخَّر الجنود المصرية إلى اليمن، وعند المقريزي في (السلوك) 2: 416 أنه خشى من أن السلطان يدبر عليه حيلة.

(3) (كنز الأخيار): 138 وبهجة الزمن: 251.

بالمعقلي في النصف من صفر، وهو قصر [قُصِرَتْ][1] المحاسن على نواحيه، وأطلعت الإجادة في أفق معاليه. أجمع أرباب اختراق الآفاق: أنه لا نظير له في شام ولا عراق، وأنهم لم يشاهدوا مثله أبدًا، وهو[2] مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعًا في عَرْض عشرين ذراعًا بسقفين مذهبين بغير أعمدة، له أربع مناظر بأربع رواشن ليس فيه إلاَّ رخام وذهب، وأمامه بِرْكة طولها مئة ذراع في عرض خمسين ذراعًا، على حافاتها صفة طيور ووحوش من صفر أصفر ترمي الماء من أفواهها، وفي وسط البركة فَوَّارة ترمي بالماء إلى السماء فيبلغ أمدًا بعيدًا، وقبالة المجلس شاذروان بعيد المدى، ينصب ماؤه إلى البِرْكة المذكورة كأنه لوح من بِلَّوْر، بل لا يمكن التعبير عنه، وفي المجلس شباك يفضي إلى بستان عجيب المنْظَر حسن المختبر والمخْبَر، وكان إقامة الصناع في عمله سَبْع سنين، وسمعت من يحكي ممن أدرك أيام عمارته قال: كان يطلع إليه أو ينزل منه في كل يوم نَحْو من سبعين بَغْلة من الصُّناع والغُرَباء ما بين نَجَّار ومرُخِّم ودَهَّان ومُزَخْرِف خارجًا عَمَّن يركب الحَمِير، ومن لا يركب من أتباعهم، وهذا ما عدا صُنَّاع البلاد وهم أضعاف ذلك، ولما فرغت عمارته على الصِّفة المذكورة: أمر السلطان بعمل فَرْحَة عظيمة جامعة عميمة حَضَرها أعيان الناس، بل عامتهم على اختلاف حالاتهم وتنوع طبقاتهم، وكان السُّلطان ينظر إليهم من الطَّبقة الثانية، وأمر بإفاضة الخِلَع على أعيان الناس وأجرى للجميع من كَرمِه نوالًا، وبَلَّغهم من جوده آمالًا، وهَنَّأه الشعراء بذلك، وفي ذلك يقول العفيف عبد الله بن جعفر[3]: [من البسيط]

هنئت قصرًا على كل القصور سما … يا حَبَّذا بُرْج سعد فيه قد رُسِما[4]
بَنَيْتَهُ مستجدًّا تستجد به … نَصْر من الله قد أجرى لك القلما
ويلتقي الأمن واليُمْن المقيم به … والخُلْد والعِزُّ والأفراح والنِّعما
هل في الخلافة آيات تشاهدها … وقوف سَقْف ولا شيء به دُعِمَا
بين الحدائق والأعناب قد نشرت … منها ثياب تلف الوهد والأكما
كأنما عاد غَمْدَان كمبدئه … وأظهر الله من أستاره إرما

(1) زيادة من العقود: 436.
(2) كذا في الأصل لعل صوابه (وفيه).
(3) انظرها في بهجة الزمن: 437.
(4) العقود: قد رسما.

كأن أربعة الجوزاء رواشنه | والخركتان[1] كأن الفرقدين هما
بين الشبيهين شاذروان قِبْلته | هما جناحان وهو النَّسر بينهما
تظل منه صفوف الماء ساجدة | مؤدِّيات لسلطان الورى خدَما
إلى سواقي رخام فوق فسقية | فاعجب لجامد ماء فيه ذائب ما

وهي أكثر مما ذكرت.

ولما فرغ من بناء المعقلي المذكور في التاريخ المذكور: أمر السلطان ببناء قَصْر ثان في بستان صالة[2]، وتَوَجَّه إلى محروس زبيد يوم الرابع من جمادى الأولى فأقام فيها نصف شهر، وتقدَّم نحو المَهْجَمِ فأقام بها إلى اليوم التاسع عشر من رجب، ثم سار إلى حَجَّة في جيش أجش[3]: [من الوافر]

يحُفُّ أغر لا قَوَدٌ عليه | ولا دية تساق ولا اعتذار
تريق سيوفه مُهَج الأعادي | فكلِّ دم أراقته جُبَار

وذلك حين طال الحصار على الظهرين ولم يتَّصل المقدمون إلى غرض، فوصل السلطان [إلى الجاهلي][4] يوم الثالث والعشرين من رجب، وتَسَلَّمَ الظهرين يوم الرابع والعشرين من رجب، ونقل المَحَطَّة والمنجنيق إلى شَمْسان وتواتر القِتَال عليه ورَمَاه بالمَنْجنيق، فعمل المنجنيق فيه عَمَلًا عظيمًا، وكان الملك المظفر والصاحب موفق الدين ينزلان لحضور الزَّحفة عليه وتطاول عليه القتال إلى النِّصف من شعبان، ثم سَلَّمه صاحبه، وبعد تسليمه وصل الأمير تاج الدين إلى المَحَطَّة، وقد كان وصل قبله الأمير ابن وهاس وصاحب ثلا وعساكر اليمن الأعلى حتى امتلأت حَجَّة بالعساكر وتوسَّط ابن وهاس في الصلح لصاحب جراف، فعاد إلى الخِدَمِ السلطانية ورَهَنَ ولده وتوسَّط أيضًا في صلح الإمام محمد بن مطهر على تسليم غربان وبراش، ثم عاد السلطان من حجة يوم السبت التاسع عشر من شهر شعبان،

(1) الخركتان: مثناه خركاه الفارسية معناها (القبة) (محيط المحيط): 228.
(2) صالة: واد وبلدة شرقي مدينة تعز (المقحفي: 892).
(3) للمتنبي.
(4) سقط من (و).

فدخل المهجم يوم الثالث والعشرين منه [وخرج من المهجم يوم الخامس والعشرين][1] متوجهًا إلى زبيد وصام شهر رمضان وعَيَّد العيد هنالك.

وفي يوم السادس عشر من شوال: وصل[2] الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الأبواب السلطانية بزبيد بعد الامتناع الشَّديد والمرام البعيد، فأكرمه وأتحفه وعَظَّمه وأنصفه، ولم يكن قبل ذلك وصل إلى السلطان، وكان من أعيان الشرفاء ورؤسائها وهو صاحب الحصون الغربية: كُحْلان والطَّويلة وعدة حصون كثيرة من الحصون الصِّغار، فعامله السلطان بإنعامه وأفاض عليه سيب[3] إكرامه، وتوَجَّه الركاب العالي إلى بحر الأهواب ساحل زبيد فركب الفيل عند دخوله الفازة، وأردف الأمير تاج الدين خلفه فارتاع قلب الشريف من ركوب الفيل، وفي ركوب الفيل يقول عبد الباقي بن عبد المجيد[4]: [من البسيط]

الله أولاك يا داود مكرمة ... ومعجزًا ما أتاها قَبْلُ سُلْطَانُ

ركبت فيلًا فظَلَّ الفيل في رَهَجٍ ... مستبشرًا وهو بالسُّلطان فرحان

لك الإله أَذَلَّ الوحش أجمعه ... هل أنت داود فيها أم سليمان

وأقام السُّلطان أيامًا في البحر، ثم عاد إلى زبيد فأقام فيها أيامًا قلائل، وتوجَّه إلى محروس تعز فدخلها يوم السابع والعشرين من ذي القعدة وأحضر الأمير تاج الدين للنُّزهة والفرحة في قصور ثَعَبَات وقُرَاضة وصَهْلة وصَالة، فرأى مُلْكًا كبيرًا وجَنّة وحريرًا، وفي ذلك يقول الأمير عماد الدين إدريس بن علي يهنِّئ السلطان بقدومه ثَعَبَات، ويذكر دخول العشر من ذي الحجة[5]. [من الطويل]

يهنأ بك العشر الكريمة والشهر ... وتزهو بك الأيام والمُلْك والدَّهر

فباليُمْن والأقبال حَلَّت ركابكم ... بحيث استقر الملك والنهي والأمر

---

(1) سقط من (و).

(2) (كنز الأخيار): 138 وبهجة الزمن: 255.

(3) العقود: صيب.

(4) بهجة الزمن: 255.

(5) بهجة الزمن: 256 ولم ترد في (كنز الأخيار).

سمت ثَعَبات فوق كيوان رُتْبة وطالت على الآفاق وابتهج القصر
وأشرق نور المعقلي فكأنما تَبَدَّى لنا من بين أركانه الفجر
وقد كان ظَنَّ الهجر لَمَّا رحلتم ورام اصطبارًا وهو ليس له صَبْر
فلما أتت منكم بشائر حَجَّة وما فعلت فيها صوارمك البتر
تَسَلَّى عن البعد الملم وسَرَّه لك الفتح والإقبال والعزّ والنَّصْرُ
وحين بدا فيه جبينك مُشْرِقًا ولاح ضياء منه يحسده البَدْر
زها حينما حل ابن جَفْنة صَدْره ولا غَرْو أن يَزْهو بك الدست والصَّدْر
لعمري لقد آنستم عَرَصَاته وما رضيت بُعْدًا تهامة والبحر
ولا يئست منكم أباطحَ مكَّة وما زال مشتاقًا لك البيت والحِجْر
وفي كل أرض من سطاك مخافة وفي كل قلب من مخافتكم ذُعْرُ
وفوق مَحَلّ الشَّمس قدرًا ورفعةً ضربتم رواق المجد فاتضح الفَخْر
وَقَلَّدْتُمْ كل الأنام صنائعًا فما أحد من رقّ إحسانكم حُرُّ
فلا زلت للدنيا وللدِّين بَهْجة لياليكم زُهْر وأَيَّامكم غُرّ
تُجدِّد في كل الأنام مَسَرّة تدوم وتبقى ما لآخرها حصر

وفي هذه السنة(1): أخذ محمد بن عامس، وولده من مشايخ حجة حصن مأذن، وقتل صاحبه علي بن صعصعة، وأخاه إسحاق بن صعصعة.

وفي هذه السنة المذكورة(2): ظهر من الشريفين رميثة وحميضة في مكة المشرفة، من الجور والعسف والطمع في أموال الناس، ما لم يعهد منهما ولا من غيرهما قبل ذلك.

وفي سنة تسع وسبع مئة(3): توجه الشريف عماد الدين إدريس بن علي لافتتاح الشَّرفين، وصحبته العساكر المنصورة السلطانية، واتفق على أن ولد علي بن صعصعة تمت له عمولة

(1) كنز الأخيار: 139.
(2) بهجة الزمن: 258، وانظر إتحاف الورى 3: 146.
(3) كنز الأخيار: 139، وبهجة الزمن: 258.

في حصن مأذن، فدخلته العساكر السلطانية ومُكّنوا منه، ولزموا ابن عامس وولده وتسلم نواب السلطان الحصن، وكذلك حصن الحريوين ببلد الجبر أيضًا تسلمه العسكر السلطاني، ووصل أمر السلطان بتسليم ابن عامس وولده إلى ولد علي بن صعصعة وابن عمه ولد إسحاق بن صعصعة فقتلاهما بأبويهما عند باب الجاهلي، وتقدم الشريف بالعساكر من الظهيرة، نحو الشَّرف الأعلى فاستولى على جبل سعد ببلد الجبر وحصن القاهرة ببلد المحابشة، وأخذ رهائن أهل الشرفين، وتوجه نحو الشَّرف الأسفل يوم الحادي عشر شهر ربيع الأول، وتَسَلَّم ذلك اليوم حصن القفل[1]، فاجتمعت أهل الشرفين مع العساكر السلطانية، فكان الجميع خمسة آلاف، فقصد بهم الأمير عماد الدين جبل الشاهل، وهو من أحرز الجبال وأمنعها، فجعل الشريف ابن عمه[2] في عسكر العرب أول الناس، وسار هو بالعسكر السلطاني آخر الناس، فلم يلقهم دون حصن أقتاب أحد من الناس، فحط عليه وأخذه، واستولى على حصن القاهرة[3]، وسار نحو جبل المسهلة، فداخل الشريف يحيى بن أحمد القاسمي رُعْبٌ عظيم، فطلب الصلح على تسليم حصن العروس، وهو مستقر الشَّريف، حيث أمواله وطعامه، وحصن شمسان وقلعة السمول، ولم يبق بيده إلا المنصورة، فانتقل إليها وسَلَّم ولده رهينة في نزوله إلى الباب الشريف، فلما صفى الشرف الأسفل، ولم يبق فيه إلا حصن الشوكة للأشراف أهل جبل الحرام، ومنهم بالباب الشّريف محمد بن علي، وأخوه يطلبان بيعها على السلطان، فحط عليه الأمير عماد الدين في العسكر المنصور أيامًا فسلمه أصحابه بألفي دينار، وطلوع الشريفين من الباب، فجاءت البشارة إلى السلطان وقد اشتراه الصاحب[4] من

---

(1) وفي أخذ حصن القفل وغيره من حصون حجة يقول شاعر الملك المؤيد الأديب أحمد بن محمد بن فليته:

بشـراك بالـفتح ونيل الـمنى ... يـا خير مـلـك بالمنى بُـشّـرا
حُزْتَ الحصون الشم من حَجَّة ... وذاك مـن عـزمـك لـم ينكرا
مَـلَّـكَـكَ الـقـفـل ومـا حـولـه ... من الحصون الشامخات الذرا
والـمـلـك لـمـا انـتـهـى أمـره ... إلـيـك أضـحـى بـك مستبشرا

ديوان ابن فليته (مخطوط لوحة: 16).

(2) العقود: 444 بني عمه.

(3) العقود الناصرة.

(4) يعني بالصاحب: الموفق علي بن محمد اليحيوي السابق ذكره.

الشريفين بخمسة آلاف دينار، وأفراس وكساوى، فسُرَّ السلطان بأخذه وبطل ما شرع فيه الصاحب، وسار الشريف إدريس إلى الشرف الأعلى.

وفي يوم الإثنين السادس عشر[1]: قتل الأمير سيف الدين طغريل[2] قتله أكراد ذمار، وكان على باب المدينة في قصر السلطان، وكان قد طلب جريدة من الباب، فطلعت إليه جريدة جَيّدة بسبب تسليم القطع من البلاد، فَتَوَهَّم الأكراد أنه يريد النقض[3] عليهم فقصدوه آخر الليل، فأتاه النذير في تلك الليلة مرارًا فضيع الحَزْم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فلما عزموا على قتاله وأجمعوا وخرجوا إليه من المدينة فقصدوا محطة عسكره[4] فعقروا خيلهم، وساروا نحو القصر، وأخذوا ما في الإصطبل، فجاءهم عسكر السلطان من المماليك البحرية وغيرهم، فكسروهم وطردوهم عن القصر إلى باب المدينة، ورجعت المماليك إلى الأمير وهو بالقصر، فسألوه الخروج إليهم فامتنع ولم يحفل بهم، فتوقف العسكر عنه، ثم قصده الأكراد فحاصروه إلى بعد طلوع الشمس، فخرج إليهم على ذمة فقتلوه، وقتلوا معه صهره، وهو أستاذ داره، وكاتبه ووالي ذمار ونقيبه وأربعة من مماليكه، وكان جملة من قتل معه ثمانية نفر وهو تاسعهم، ونهبوا المحطة وما فيها من خيل وعدد، وهرب من هرب سالمًا، ولما وصل العسكر إلى السلطان وقد أخذت خيولهم وعددهم، أثابهم وعوضهم عما فات لهم، وجَهَّز العسكر مع الأمير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد، وهو يومئذ أمير جاندار، وسير الأمير عباس بن محمد نحو صنعاء على طريق تهامة وحَجّة، ومعه مال جيد استخدم به عسكرًا، فأتى ابن العماد في طريقه حتى خرج عباس من صنعاء في العساكر، وفيها الأمير علم الدين حمزة بن أحمد، والأمير ابن وهاس، وصاحب ثلا وهمدان وعيال سريح وغيرهم، فكان دخولهم ذمار، هم وابن العماد في يوم واحد، وقد انحازت الأكراد إلى الوادي الحار، واستولوا على حصن هِرَّان، وشحنوه ورَتَّبوا فيه جماعة فقصدهم العسكر إلى الوادي، فقاتلوهم ثلاثة أيام، قتل في كل يوم منها ثلاثة من الأكراد وأخذت خيلهم، ثم تفرقت

---

(1) كنز الأخيار: 141، وبهجة الزمن: 259، وبنو رسول وبنو طاهر: 180.

(2) يرد ذكره في كتاب ارتفاع الدولة المؤيدية: 32 باسم دغربك، وهو كذا في المخطوطة (ع) فيحقق هذا الاسم.

(3) العقود: القبض.

(4) العقود: عسكر صنعاء.

الأكراد في كل ناحية، وأخرب العسكر السلطاني أموال الفضل بن منصور، وعاد العسكر إلى ذمار، فتوجه الأشراف نحو بلادهم، وأقام الأميران بذمار، وحصلت المكاتبة والمراسلة بين الأكراد والإمام محمد بن مطهر، فأجابهم وسار إلى بلد بني شهاب، وطلب الأكراد إلى هنالك فأجابوه، وسار عباس بعسكر صنعاء إلى صنعاء، وسار الإمام والأكراد وغيرهم إلى قرن عنتر، فأخذوه قهرًا وقتلوا من كان فيه، وكان فيه نحو من مئة رجل، فأخذت العرب بيت برام وبيت ردم، وقاهر حضور وردمان بني حوال، وزحف الإمام على صنعاء، آخر شهر رمضان، وكان الأمير عباس قائمًا في أفراس في السائلة خلف الباب، وقاتل أهل صنعاء على الدوائر، ودخل بعض العسكر من بستان السلطان ورجعوا، وعاد الإمام إلى حدة وسناع فأقام بها، وكان معه من الأكراد وغيرهم، نحو من مئة فارس، وتتابعت الأمداد نحو صنعاء، ثم طلع السلطان بنفسه النفيسة، فلما وصل ذمار، جعل رحلته من ذمار صبحًا، فأمسى على باب صنعاء فلم يطمع الإمام في معاودة القتال عليها.

وفي ليلة الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر[1]: توفي الفقيه العالم أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي، وكان وفاته بزبيد، وهو يومئذ أفضل أهل اليمن علمًا وفضلًا، وقد كان أخوه الصَّاحب موفق الدين نزل لزيارته، فحضر دفنه والقراءة عليه.

وفي العشرين من جمادى الآخرة[2]: توفي الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى، وكان مع السلطان من يوم نزوله إلى زبيد في شهر شوال إلى هذه الغاية.

وفي أول شوال[3]: خالف الأمراء آل شمس الدين بصعدة، وأخرجوا الأمير البهاء الكردي منها وسَيَّروه على طريق حرض، فغضب السلطان، وجَهَّز ولده الملك المظفر إلى قاع بيت الناهم، فحط به يوم السادس من ذي القعدة، ولوقته سار إلى بيت حَنْبَص فاستولى عليه، وظهر على الإمام محمد ابن مطهر بحدة، فانهزم هو ومن معه من الأكراد طريق الحازة إلى حافد، ثم طلعوا إلى سبأ، وكان الميعاد بين السلطان وولده الملك المظفر آخر نهار الإثنين، فكانت عجلته سببًا لسلامة ابن مطهر والأكراد، ولكل أجل كتاب، ونقض الأمير همام الدين

(1) بهجة الزمن: 621، والسلوك: 2: 119.

(2) كنز الأخيار: 141.

(3) كنز الأخيار: 142، وبهجة الزمن: 360.

الذي بينه وبين السلطان في أول ذي القعدة، وكاتب إلى شمس الدين باللقاء والاتفاق، وأقام الإمام محمد بن مطهر بجبل رهقة والأكراد في البرِوَيَّة، والملك المظفر في محطته في قاع بيت الناهم مدة نصف شهر، وعامل محمد بن الذيب الشهابي في الإمام والأكراد، فطلع العسكر الجبل، فانهزم الإمام والأكراد، ثم نزلوا طريق مفحق وافترقوا من هنالك، فسار الأكراد نحو ضَوْران، وسار الإمام نحو ذروان، ثم سار نحو ظليمة، فَعَيَّد بها عيد الأضحى، ووصله الأمير علي بن موسى إلى هنالك في آل الإمام، فقصدوا الشرف لما بلغهم من تأخر النفقة عن العسكر، وافتراقهم من أجل ذلك، فطلعوا من طريق كحلان فركز لهم الأمير عماد الدين، فعادوا خائبين نحو الظاهر، وقصدوا القبة ولقيهم الأمير همام الدين إلى هنالك، فحطوا عليها ثلاثة أيام، ثم افترقوا ورجع الأمير همام الدين إلى ظفار، وسار ابن مطهر وعلي بن موسى إلى صعدة.

وفي غرة ذي الحجة[1]: أمر السلطان بالقبض على الأمير جمال الدين عبد الله بن علي بن وهاس وولده: داود المؤيد بصنعاء، واحتج عليه بأمور أوجبت ذلك، وسَيَّر العساكر مع عباس بن محمد للمحطة على حصن عَزَّان، وسَيَّر معه المنجنيق وعَيَّد السلطان عيد الأضحى بصنعاء.

وفي سنة عشر وسبع مئة[2]: تسلم الأمير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس حصن عَزَّان، ونقل محطته نحو ظفار، وحط بالطفة عند حصن تعز[3] ونصب المنجنيق عليه، فرغب الأشراف في الصلح على يد الشيخ نجم الدين محمد بن عبد الله بن عمر بن الحيد بصعدة، ورهن الأشراف على تمامه، وسار معدًّا نحو السلطان إلى صنعاء، فأتم السلطان ما فعله، وصاح الصائح بالصلح ليلًا على كره من الأمير عَبَّاس، وكان ذلك خديعة من الشيخ ابن الحيد لما علم بمضرة أهل ظفار إن أقام عليهم الحصار، فاستغاثوا به فبادر مسرعًا لرفع المحطَّة عنهم، فَعَدَّها السلطان له من الذنوب، وأتم السلطان ما تقرر من الصّلح.

---

(1) كنز الأخيار: 143.

(2) كنز الأخيار: 143، وبهجة الزمن: 264.

(3) يعني تعز صعدة.

وفي اليوم الخامس والعشرين من صفر[1]: توجه السلطان إلى تعز وترك في البلاد الصنعانية الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن بوز[2] مقطعًا بها.

وفي هذه السنة[3]: تسلم الأمير عماد الدين إدريس بن علي حصن المفتاح مضافًا إلى ما تسلم من حصون الشرفين، وسَلَّم الجميع إلى نائب السلطان، وهو حسن بن الصباح[4] بن ناجي، وقد ولاه السلطان جهات الشرف.

وفي السابع عشر من جمادى الآخرة: تقدم الرِّكاب العالي من محروس تعز إلى محروس زبيد، وفي[5] هذا التاريخ اصطلح الأكراد ودخلوا في الطاعة بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبذلوا الطاعة من أنفسهم، ولجؤوا إلى الحرم الشريف متفيئين ظلاله، مستمطرين نواله، فعادت الشنشنة الرسولية عليهم بالإقبال، واستقر الحال على بقاء هران تحت أيديهم، واستخدام من أراد الخدمة منهم، وتسلم خمس رهائن.

وفي هذه السنة[6]: أقطع السلطان الأمير جمال الدين بوز بن حسن بن بوز الأعمال الصعدية، والجوفية، والجثية بتهامة، وعوض الأمير عماد الدين عن الجثة بالقحمة.

وفي جمادى الآخرة[7]: سار الإمام محمد بن مطهر يريد لقاء الأكراد وقد طلبوه، فوصل [براش][8] الباقر وأقام ينتظرهم، فبدا لهم في الصلح فأصلحوا السلطان على أنفسهم، فرجع الإمام إلى ذروان، وطلع السلطان من زبيد إلى تعز في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة[9]: حج عدة من الأمراء بمصر في عدة كثيرة من العسكر، وكان قصدهم لزم الشريفين رميثة وحميضة، فلما علما بذلك نَفَرَا من مكة ولم يتمَكَّن العسكر من قبضهما، فلما انقضى الحج، ورجعت العساكر المصرية رجعا إلى مكة.

---

(1) كنز الأخيار: 143.

(2) في الأصل بدون نقط.

(3) العقود: 452.

(4) العقود: 452 «الطماح».

(5) بهجة الزمن: 265.

(6) كنز الأخيار: 143، وبهجة الزمن: 265.

(7) بهجة الزمن: 245.

(8) زيادة من العقود: 453.

(9) إتحاف الورى: 3: 147.

وفيها[1]: توفي الفقيه الفاضل عبد الرزاق بن محمد الجبرتي الزيلعي، ويقال: إنه شريف النسب، وكان فقيهًا تقيا، من أهل المروءة والدين، محبًّا في السعي لقضاء حوائج الأصحاب، وكان مدرسًا في مدينة تعز، وتفقه بمحمد بن عباس وعلي ابن الجنيد، وكان وفاته في صفر من السنة المذكورة. **وروي**: أنه لما حمل نعشه وساروا به نحو المقبرة، جاء طائر من الهواء فدخل في أكفانه ولم ير بعد ذلك، والله أعلم.

وفيها[2]: توفي عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ولد صاحب المقداحة، وكان خرج في حياة أبيه للتعبد والسياحة، فطلع مدينة ظفار الحبوضي، وأقام هنالك مدة، فلما توفي والده، أرسلوا له رسولًا قاصدًا وسألوه الوصول إليهم، فوصل وابتنى رباطًا، وقام بالموضع قيامًا مرضيا إلى أن توفي في سلخ جمادى الأولى من السنة المذكورة، رحمه الله.

وفي سنة إحدى عشرة[3]: حصل من الإمام محمد بن مطهر عَزْم عظيم، وتوجه إلى الشرف في جَمْع كثير من العساكر، وكان قد أصاب قبائل الشرف من ولاة السلطان بعض ما يكرهونه، فسار بهم نحو جبل الشاهل، فلم يظفر بشيء، فطلع بلد المحابشة، فقاتل على القاهرة، واستولى عليها، وأخذ حصن هبيب وجبل سعد والشعفة والمفتاح، فأجابه أهل الشرف الأعلى كافة، فنزل السلطان تهامة وجَرَّد الجرائد إلى تلك الجهة، وأمر الشريف عماد الدين إدريس بالتوجه إليها على عادته، فسار نحو جبل أقتاب، وكاتب القبائل فما أجابوا، وسار إلى عكاش في اليوم السابع من شعبان فقاتلهم ثمانية أيام، وكان عسكرهم ألفًا وخمس مئة، فكان كل يوم ينقص من عسكره جماعة، واستمد الإمام بقبائل حجة وشظب والأهنوم وقبائل الشام، فاقبلوا إليه فقصدوا المحطة يوم الخامس عشر من شعبان في ستة آلاف راجل، فانهزم العسكر السلطاني قبل وصول الإمام، ولم يبق إلا الشريف عماد الدين في أربعة أفراس، فأسر[4] الشريف عماد الدين وقتل ابن عمه قاسم الأبرش وأسر خاله، وسلم الرابع بعد أن عقر حصانه، وقتل في الوقعة الأمير جمال الدين غازي بن أبي بكر بن خضر، وكان يومئذ والي المركز والمخلافة والسرددية، وقتل سبعة من الرجل.

---

(1) السلوك 2: 129 وانظر العطايا السنية: 269 (تحقيقنا).

(2) السلوك 2: 218.

(3) كنز الأخيار: 144 وبهجة الزمن: 267 وبنو رسول وبنو طاهر: 182.

(4) يقول الشريف المذكور: «فأقمت في يد الإمام أسيرا إلى سابع رمضان وأمكنني الخروج على المرسمين فخرجت ولحقت بحصن عزان». (كنز الأخيار) لصاحب الحادثة: 144.

وأقام الشريف عماد الدين في الأسر نحوًا من نصف شهر، ثم أفلت، فلحق بحصن عزان[1] الذي لابني شرحبيل، فجمع الإمام جموعه وزحف عليه، فلم يظفر بشيء منه.

وتَسَلَّم الإمام حصن المفتاح يوم الخامس عشر من شهر رمضان، بعد أن أفرغ ابن الطماح جميع ما فيه من شحنة، وصَبَرَ هو ومن معه على أهون القوت، وانتقل الأمير عماد الدين إلى حصن الظفر، حصن الأمراء بني صفي الدين في نصف رمضان، وقد كان السلطان حضر[2] ولده الملك المظفر، والصاحب موفق الدين في الشرف قبل الوقعة، فبلغهما الخبر وهم بالمهجم فسارا وأحَطَّا في قَلْحاح، ثم سارا إلى موضع الشريف عماد الدين فهزمهم عسكر الإمام، وقتل الشيخ الرياحي صاحب جبل تيس، ثم انتقل الشريف عماد الدين من الحصن المذكور، إلى محطة الملك المظفر بقلحاح، وأقام عنده على أحسن حال إلى الرابع عشر من شوال، وأمره بالإقامة في جبل الشاهل، وترك عنده من العسكر ألف راجل، ونزل الملك المظفر والصَّاحب موفق الدين إلى تهامة، وتجهز الأمير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس إلى حجة لحرب إبراهيم بن مظفر بذروان، فحط عباس في سهل شمسان.

ولما تطاولت الفتنة بين السلطان والإمام استقر الحال على ذِمَّة من السلطان مدة سنة كاملة ليستريح الناس من الفتنة، وتضع الحرب أوزارها، ورجع الملك المظفر والصاحب شمس الدين إلى الأبواب السلطانية بزبيد.

وفي هذه السنة[3]: توفي السلطان الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول في ظفار الحبوضي، وكان فريدًا في محاسنه، له معرفة بالأدب، ومشاركة في فنون العلم وكان يجيد الشعر، ويجيز عليه الجوائز السنية: [من الطويل]

ومن يك داود بن يوسف صنوه ... فليس غريبًا أن يرى بكريم

ويروى: أن ولد الشيخ أحمد الرفاعي، وصل إلى ظفار يريد الحج فتلقاه الملك المظفر بالإجلال والإكرام، وأقام عنده ثلاثة أيام في الضيافات السنية، وكان يرسل له كل يوم بألف دينار ملكية وتشريفًا، فتلك شنشنة مظفرية وأخوة هزبرية.

---

(1) الأصل حران وأثبتناه من الكنز والعقود.

(2) العقود: 457 «جهز».

(3) كنز الأخيار: 144 وبهجة الزمن: 266.

فلما وصل العلم بوفاته أمر السلطان بالقراءة عليه سَبْعة أيام، وحَضَر القراءة عليه ملوك بني رسول، وأعيان الدولة ووجوه الناس، وفي كل يوم ينصرفون إلى سماط نفيس بعيد القراءة حتى انقضت السبعة الأيام.

وفي سنة اثنتي عشرة[1]: طلع السلطان الملك المؤيد من محروس زبيد إلى محروس تعز، وكان مسيره أول يوم من المحرم من السنة المذكورة[2].

وفي اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول[3]: قتل الشريف عماد الدين يحيى بن تاج الدين، وكان سبب قتله أن بعض القبائل من أهل ملحان جَرُّوه على آخرين غيرهم وعدلوا فيه وفي عسكره، فلما أراد الخروج رَدّ حصون أهل العدالة قبل انفصاله من الجبل فدغموا به، فقتل وقتل معه نيفًا وأربعون من أصحابه.

وفي هذا التاريخ[4]: وصلت رسل الإمام إلى الشريف عماد الدين إدريس بن علي ليسعى في الصلح بينه وبين السلطان قبل انقضاء الذمة، فسَيَّرهم إلى الباب الشريف السلطاني، فتلقاهم الشيخ محمد بن عبد الله بن عمر بن الحيد، فكان الحديث على يده، وكان الصاحب موفق الدين يومئذ مريضًا، فاشتهر الأمر على صلح عشر سنين أولها جمادى الأخرى من السنة المذكورة: على أن الشرف الأعلى والجبر بحجة وصاحب بيت ردم وشركاءه في أموال الوشاح حيث كانت وظفر بن وهاس وما هو معروف للإمام بحجة وظليمة وغيرهما وثلاثة آلاف دينار كل سنة، وصاح الصائح بالصلح في تعز لمدة عشر سنين[5].

---

(1) بهجة الزمن: 267.

(2) وفي هذه العودة كتب ابن فليته إلى المؤيد يرغبه بالمكوث في زبيد:

وقوفكم في زبيد شهرا	وأكثر الشهر إلا يسير
تغني البراغيث في تعز	ويستوي الورد والزهور
يفتح زمان السبوت فيها	فهي لها تطلع البدور
فإن أشاروا بغير هذا	فإنما قولهم غرور
بجني ثمار المنى سعيدا	وسعدها يحسن المسير
زبيد كل الجمال فيها	وعندك العالم الخبير
فالنخل والبحر من زبيد	يغذيهما الخوخ والتمور

(3) كنز الأخيار: 145.

(4) كنز الأخيار: 146 بهجة الزمن: 247.

(5) انظر بنو رسول وبنو طاهر: 182.

فلما تم صلح الإمام وانفصل عنه الأكراد جَرَّد السلطان من عسكر الباب مئتي فارس ورَجْل بالمحطة على هِرَّان وأمر الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن بوز، أن يسير بعسكره من صنعاء إليهم فتوجَّه الشيخ ابن الجيد حينئذ، وعقد صلحًا للأكراد على ترك دخول ذمار ورداع، وترك الأقطاع، وأن تستمر رهائنهم بالعروس، وأمر السلطان الأمير أسد الدين بسكنى ذمار واستيطانها، فامتثل الأمر.

وفي يوم الثالث من جمادى الأخرى: سار السلطان إلى الجَنَد بسبب الصَّيد.

وفي اليوم الرابع والعشرين: سار السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الرابع من رجب.

وفي ليلة الجمعة السابع عشر من رجب المذكور(1): احترق دار المرتبة بتعز لأسباب اختلف الناس فيها، فتلف فيها شيء كثير من الأثاث والكتب النفيسة والفروش(2) وغير ذلك مما لا ينحصر.

وكان من جملة ما احترق بشتخانتان(3) كبيرتان كاملتان من الزركش إحداهما صفراء والأخرى حمراء، وكان السلطان يومئذ في زبيد.

وفي هذه السنة(4): أمر السلطان بإنشاء قصر بزبيد على ظهر باب الشبارق في البستان الذي أمر بإنشائه، وهو المعروف بحائط لبيق، وكان صفة بنائه يومئذ: إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعًا، وفي صدره مقعد طوله سبعة أذرع، وله دهليز متسع، وفوق الدهليز قصر بأربعة أواوين تشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه(5).

وفي هذه السنة(6): حج الملك الناصر صاحب مصر في مئة فارس من مماليكه وستة آلاف على الهجن وسلاحهم القسي، فوصل مكة المشرفة في اثنين وعشرين يومًا من يوم خروجه من دمشق محرمًا مقرعًا، فطاف بمرأى من الناس، وكان أعرج قبيح العرجة، فقضى مناسكه،

---

(1) كنز الأخيار: 146 وبهجة الزمن: 268.

(2) العقود: الفرش.

(3) مثنى بشتخانة: السرير ونحوه (سبق ذكره) وانظر (بدائع الزهور 1: 404).

(4) بهجة الزمن: 270.

(5) هذا القصر ورد اسمه في ديوان ابن فليتة باسم الزاهر وفيه يقول:

وجهك من نور الهدى زاهر ... ما أحسن الزاهر في الزاهر

(6) السلوك للمقريزي 2: 485 وإتحاف الورى 3: 149.

فلما حَلَّ حلق رأسه وأحسن إلى الناس وتَصَدَّقَ، وعاد ومعه الشريف[1] ابن أبي نمي، وقد هرب رميثة وحميضة لما أَحَسَّا بوصوله، فنهبا التجار الواصلين نَهْبًا شديدًا وفَعَلَا من الأفعال القبيحة ما لا يفعله أحد، ولما انقضت أيام الحج عادا إلى مكة.

وفي شهر شعبان من هذه السنة[2]: حصل على الملك المظفر حسن بن السلطان المؤيد توعّك في جسمه، وذلك بعد وصوله من الشرف، وكان قبل طلوعه الشرف غير طيب، وكانت الحمى لا تفارقه مع سعال، فلما اشتد عليه ذلك أمره والده بالطلوع فطلع فاشتد به الأمر في رمضان، فَهَمَّ والده بالطلوع ثم توقف، فلما كان يوم العيد أتى خبر أزعجه فأمر الصاحب موفق الدين بالطلوع فطلع يوم العيد الظهر، وهو يوم الإثنين، فوصل تعز صبح يوم الثلاثاء بعد طلوع الشمس، وخرج السلطان من زبيد ظهر يوم الثلاثاء فدخل تعز يوم الخميس وأرسل لابنه إلى ثعبات وأرسل الأطباء لمعالجته، فلم يزدد إلا ضعفًا ونحفًا، ولم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الأحد السادس من ذي القعدة، بعد أن أوصى وتثبت في وصيته.

وفي جملة وصيته: أن يبتنى له في قرية المحالب[3] مدرسة، وأن يجرى لها الماء، وأن يجر منها الماء إلى حوض تحتها، وأوصى ألا يصاح عليه، ولا يشق عليه ثوب، ولا يغطى نعشه إلا بثوب قطن، وألا يعقر على قبره شيء من خيله، وأن يقبر في مقابر المسلمين، فنفذ والده وصيته كلها في جميع ما أوصى به إلَّا في الدفن، فإنه أمر أن يدفن عند أخيه الظافر في المدرسة المؤيدية في مغربة تعز، وكان من أجل الملوك قدرًا، وكان يوم دفنه يومًا مشهودًا، وحضر دفنه ملوك بني رسول وشهدوا القراءة عليه سبعة أيام، وأمر والده بالقراءة عليه سبعة أيام في سائر مملكته، وكتب العفيف ابن جعفر إلى السلطان يعزيه بهذه الأبيات[4]: [من المتقارب]

أمولى الملوك وسلطانها	ويا من له طاعة تفترض
ولا ملك ناقض عقده	ولا ملك عاقد ما نقض
ولا عوض عنك في ذا الورى	وكل الورى أنت عنهم عِوَضْ

---

(1) في العقود: 462 اسمه أبو الغيث ابن أبي نمي.

(2) كنز الأخيار: 146 وبهجة الزمن: 268.

(3) في (و) والعقود: المحارب، وفي المدارس الإسلامية: 212: المحاريب وهو الصواب.

(4) بهجة الزمن: 463.

وفي اليوم العاشر من ذي القعدة[1]: توفي القاضي جمال الدين محمد بن أحمد بن عمر اليَحْيوي، وهو الذي كان ينوب عمه القاضي موفق الدين الصاحب في قضاء الأقضية، وكان يباشر الأحكام ويفصل القضايا ولا يعارضه أحد، وكان الغالب عليه سلوك طريق الزهد، بحيث إن أكثر أهله وأصحابه يقولون عنه: إنه لم يكتسب شيئًا من الدنيا، وكان عمه أبو بكر هو الذي تولى تربيته ولم يصر إليه أمر الوزارة والقضاء إلَّا بعد أن تفقه وتَعَبَّد وحَجَّ وجاور في مكة والمدينة، وعرف الناس يمنًا وشامًا وحجازًا، ولم يكتسب شيئًا من الدنيا كما اكتسب أهله أجمعون، ولا تزوج امرأةً قط، وكان ما أشار به على عميه أبي بكر [وعلي لم يخالفاه، وفي أصحاب عمه أبي بكر جماعة يعترفون له [بالصلاح][2] وربما يفضلونه على عمه أبي بكر][3].

وقال الجَنَدي: كانت وفاته يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وقال الجَنَدي[4]: وفيها توفي القاضي موفق الدين الصاحب علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف بالصاحب، وكان رجلًا كاملًا رئيسًا، فاضلًا فقيهًا نبيهًا، فصيحًا، شهمًا، ولي الوزارة والقضاء الأكبر في الدولة المؤيدية إلى يوم وفاته يوم الثالث من ذي الحجة من السنة المذكورة.

وفي سنة ثلاث عشرة[5]: برز مرسوم السلطان إلى الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن بوز بأن يخرج من ذمار ويحط على هران وينصب عليه المَنْجنيق، ففعل ما أمره به ونصب المنجنيق، ووصل الأمير شمس الدين عباس[6] بن محمد بن عباس معزولاً من حرض.

وفي آخر شهر ربيع الأول[7]: قتلت الأكراد والي صنعاء حسن بن إياس في ستة نفر من الغز، منهم: ابن الغلاب، والتاج بن العز، وابن منقار، وجماعة من الرجَّالة، فجهز السلطان عباس بن محمد في خمسين فارسًا خارجًا عن عسكره، فساروا من تعز يوم الخامس من

(1) السلوك 2: 131 والعطايا السنية: 601 والعقد الثمين 1: 381 وطراز أعلام الزمن: 1281 (تحقيقنا).

(2) سقط من (و) وأثبتناه من العقود.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(4) السلوك 2: 132 والعطايا السنية: 482.

(5) كنز الأخيار: 146 وبهجة الزمن: 277.

(6) العقود: 464 «عباس بن وهاس».

(7) كنز الأخيار: 147.

جمادى الأولى، فأقاموا مع ابن بوز في محطته على هِرَّان، ولم يزل المنجنيق يصك هِرَّان حتى أتلفه إتلافًا كليا، لم يعلم قط أن منجنيقًا عمل في حصن قط ما عمل المنجنيق في هِرَّان، فلما ضاق الأمر على الأكراد، واشتد ورأوا الموت عيانًا لجأوا إلى السلطان فكاتب لهم محمد بن عبد الله بن عمر الجيد، واستعطف خاطر السلطان عليهم، فبرز أمر السلطان بالذمة على الأمير إبراهيم بن شكر، والجلال بن الأسد، فحضرا مقام السلطان الشريف ودخلا تحت الطاعة الرسولية واستعطفا خاطره الشريف، فرجع إلى شنشنته الكريمة وعفا عنهم بشرط ألا يبدو منهم ما يوجب الغيار، وسَلَّموا هِرَّان وعادوا إلى ذمار على عادتهم.

وفي هذا التاريخ[1]: تقدم السلطان إلى زبيد، فدخلها يوم الثاني عشر من رجب، ووصل إلى مقام السلطان وهو مقيم بقصر بزبيد، الأميران الكبيران الهادي بن عز الدين، وداود بن عيسى، مخاطبين في الأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين، فلم يجابا إلى خروجه من السجن، وبرز[2] مرسوم السلطان الشريف بتوجيه الأمير عماد الدين إدريس بن علي إلى صوب صهيب في جَمْع كثير من الخيل والرجل، فأقام في بلاد الأسياف[3] حتى رهنوا رهائن أكيدة، ثم سار إلى مَقْمح فأخرب العسكر بلادهم وأتلفوا عليهم طعامًا كثيرًا وأتلف الشريف للجحافل طعامًا كثيرًا وزرعًا وغير ذلك.

وفي أول يوم من ذي الحجة[4]: أخرج السلطان الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن وهاس من سجن تعز، وكان السلطان يومئذ في زبيد، فنزل الأمير جمال الدين وصحبته والي تعز، إلى الباب الشريف مخاطبًا في رجوعه إلى الخدمة الشريفة وتَسَلَّم حصن ظفر فأجيب إلى ذلك، وكانت إقامته في السّجن أربع سنين لا تزيد يومًا ولا تنقص يومًا، وأقام في زبيد أيامًا، ونزل إليه جماعة من بني عمه وأصحابه فأعلموه بامتناع ولده من الحصن المذكور، فسأل السلطان أن يقبل أولاده وبني عمه رهينة مع أربع حلل من حريمه قد صِرْنَ في صنعاء، ويتركه يطلع على حسب حاله ليتوصل إلى دخول الحصن ويسلمه إلى نُوَّاب مولانا السلطان، فأذن له في ذلك، فسار إلى ولده ودخل الحصن وتَمَكَّن منه وأمر ولده بالمسير إلى باب السلطان، وسلم الحصن إلى نواب السلطان.

(1) كنز الأخيار: 147 وبهجة الزمن: 277.

(2) كنز الأخيار: 147.

(3) كذا في الأصلين وفي الكنز والعقود: الأساودة.

(4) كنز الأخيار: 147.

وفي هذه السنة(1): وصل الشريف أبو الغيث بن أبي نمي من مصر في عسكر جرار إلى مكة، وفيهم من المماليك الترك ثلاث مئة وعشرون فارسًا وخمس مئة فارس من أفراس(2) المدينة خارجًا عما يلحقهم من المتخطفة والحرامية، فلما علم بهم رميثة وحميضة هربا إلى صوب حلي بن يعقوب واستولى الشريف أبو الغيث على مكة، وكان المقدم الأمير سيف الدين طقصبا، فلما وصل المحمل السعيد المؤيدي والعلم المنصور خرج الشريف أبو الغيث والأمير سيف الدين طقصبا للقائه وطلعا به جبل عَرَفَات على عادته.

وفي هذه السنة(3): توفيت الحرة المصونة مريم ابنة الشيخ شمس الدين ابن العفيف زوج السلطان الملك المظفر، وكانت من عقائل النساء، طاهرة عاقلة، لبيبة، لها عدة من المآثر الدينية منها: المدرسة التي في زبيد وهي التي تسمى السابقية، وكثير من الناس يقول: مدرسة مريم، وهي من أحسن المدارس وضعًا، رَتَّبَت فيها إمامًا ومؤذنًا ومعلمًا وأيتامًا ومدرسًا ومعيدًا، وطلبة على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأوقفت على الجميع وقفًا جيدًا يقوم بكفايتهم، وابتنت في تعز مدرسة في الناحية التي تسمى الحميراء، وأوقفت عليها وقفًا جيدًا، ولها مدرسة في ذي عقيب، وهي التي دُفِنَتْ فيها، ولها دار(4) مضيف، وكان وفاتها بجِبْلَة في جمادى الأولى من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة(5): توفي الفقيه الأديب الفاضل أبو محمد عبد الله بن علي بن جعفر أديب اليَمَنَيْن(6) وشاعر الدولتين(7)، وكان شاعرًا فصيحًا بارعًا فاضلًا ظريفًا بليغًا، وقد أوردنا في كتابنا هذا ما فيه كفاية ودليل على فضله، وكان ذا دين رصين لم يُحْكَ عنه شيء يشين دينه ولا عِرضه، وكان وصولًا لرحمه، قائمًا بأصحابه، باذلًا لهم جاهه.

قال الجندي: وقد خالطته ولم أحك عنه إلا ما هو عن نظر لا عن خَبَر، وكان كثير العبادة محافظًا على الصلوات المفروضة والمسنونة، لطيف الأدب صائن العرض، واستمر كاتب

(1) بهجة الزمن: 278 وإتحاف الورى 3: 150.
(2) كذا في الأصل.
(3) العقود اللؤلؤية: 468.
(4) يعني دارا للضيافة يستقبل الغرباء.
(5) السلوك 2: 352 والعقود اللؤلؤية: 469.
(6) يعني بذلك اليمن الأعلى والأسفل.
(7) يعني الأشرفية والمؤيدية.

الإنشاء في الدولة المؤيدية، وكان مَدَّاحًا للملوك والأمراء، وله مدائح كثيرة في رسول الله ﷺ، ومدائح ربانية، وكان أهله الذين يعولهم نحوًا من أربعين بيتًا، وتوفي في النِّصف من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وقيل: في السابع منه، والله أعلم.

وفي سنة أربع عشرة[1]: سار الشريف أبو الغيث بن أبي نمي والأمير طقصبا إلى صَوْب حلي يريدان حميضة ورميثة فلم يجدا لهما خبرًا، وكانا قد لحقا ببلاد السراة، فلما وصل الأمير سيف الدين إلى مدينة حلي لم يدخلها، بل قال: هذه أوائل بلاد صاحب اليمن، ولا يدخلها إلا بمرسوم من السلطان الملك الناصر[2]، وعاد على عقبه.

وفي صفر من السنة المذكورة[3]: سلم الأمير عبد الله بن علي بن وهاس حصن الظفر عدالة إلى الأمير سليمان بن محمد صاحب حصن العروس، وسُلِّم إليه حصن اللجام فانتقل إليه، ونقل ما كان معه إليه من أهل وحيوان، وأخرجت رهائنه من صنعاء، ووصلت كتب الأمير سليمان بقبضه ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول، فضربت البشائر بمدينة تعز وكسي المبشرون، وجهَّز السلطان أصحابه وأولاده الرهائن وسير بهم إليه، ونزل الأمير عبد الله إلى الباب السلطاني، فحملت له الطبلخاناة والأعلام وأقطع مدينة القَحْمة[4].

وفي العشرين من ربيع الآخر[5]: توفي الشريف عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة، وكان شريفًا ظريفًا شجاعًا كريمًا جوادًا متلافًا، وكان عالمًا عاقلًا لبيبًا أريبًا متَّصفًا بصفات الإمامة، وكان شاعرًا فصيحًا بليغًا، وقد تقدم من شعره ما يشهد بفضله، وهو مصنف كتاب (كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار) وهو كتاب حسن ممتع، وله عدة تصانيف في فنون كثيرة، ومدحه عدة من الشعراء، وكان يجيزهم الجوائز السنية، وكان رحمه الله تعالى غاية في الجود والكرم والشجاعة.

وفي هذه السنة[6]: توفي الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن عبد الله الزيلعي الفرضي، وشهر

---

(1) إتحاف الورى 3: 151 وبهجة الزمن: 679.

(2) يعني الملك المملوكي حاكم مصر محمد بن قلاوون.

(3) العقود اللؤلؤية: 470.

(4) بهجة الزمن: 378.

(5) العقود اللؤلؤية: 470.

(6) السلوك: 2: 45.

بالفرضي لإحكامه علم الفرائض والحساب، مع أنه كان مشاركًا في عدة من العلوم الدينية مشاركة مرضية، لاسيما في الفقه والحديث والتفسير والنحو، وكان تفقه بالإمام أبي العباس أحمد بن موسى عجيل، وأخذ الحديث على الإمام أبي الخير بن منصور، وانتفع به جمع كثير من زبيد وغيرها، واستمر مدرسًا في المدرسة التاجية بزبيد من قبل بني محمد[1] بن عمر، وكانت وفاته في أثناء السنة المذكورة.

وفيها[2]: توفي الفقيه الإمام البارع أبو محمد صالح بن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل البريهي، وكان مولده سنة خمس وثلاثين وست مئة، وكان فقيهًا بارعًا فاضلًا عالمًا محققًا مدققًا متفننًا، تَفَقَّه بمحمد بن مسعود المذكور أولًا، وإليه انتهت رياسة الفتوى بعده في ذي السفال، وارتحل هو والإمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي إلى أبين فأخذا عن ابن الرنبول، وكان هذا صالح فقيهًا فرضيا حسابيا نحويا لغويا، عارفًا بالحساب والجبر والمقابلة، وله تصنيف جيد في الفرائض قَصَد به (شرح الكافي) الذي للصردفي، وعنه أخذ أبو الحسن الأصبحي (نظام الغريب في الفقه)[3] وغيره، وتفقه جماعة منهم: محمد بن أحمد بن سالم، وأبو بكر بن علي، وابن أخيه أحمد الشوافي وجماعة كثيرون، وكان يقول لأصحابه كما يقول الصعبي[4]: إن بلغت ثمانين عملت لكم شكرانة، فتوفي قبل ذلك، وكان وفاته ليلة الجمعة الثالث من شوال من السنة المذكورة.

قال الجَنَدي: وفي كل ليلة يرى على قبره نور ساطع صاعد إلى السماء حتى ظن بعض الناس أن ثم نارًا توقد، أخبرني بذلك من شاهده مرارًا، والله أعلم.

وفيها[5]: توفي الفقيه الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سالم بن عمران السهلي المنبهي[6]، وكان ميلاده سنة ثلاث وسبعين وست مئة، تفقه بأبيه وأخيه، وكان أحد أعيان زمانه في الزهد والورع والعلم، أخذ بطرفي الأمرين، واشتهر بفضل الذكرين.

---

(1) يعني أولاد محمد بن عمر اليحيوي (السلوك 2: 56).

(2) السلوك: 2: 237.

(3) كذا في الأصل صوابه: في اللغة، انظر ما كتبناه في هامش: 473 من العقود اللؤلؤية.

(4) يعني الفقيه العلامة محمد بن أسعد الصعبي المتوفى 693هـ. انظر العقود اللؤلؤية: 340.

(5) السلوك 2: 185 والعطايا السنية: 167 وطراز أعلام الزمن 1: 181.

(6) الأصل الميري وأصلحناه من الطراز ومصادره الأخرى.

ويروى: أنه نسخ (المهذب) وهو يدرس القرآن، فَدَرس على كل جزء منه عشر ختمات مع نَسْخه، فدرس أربعين ختمة على أربعة مجلدات، وهو أمر غريب، لأن الناسخ لا يستطيع عمل شيء آخر مع النساخة، وهذا دليل على الكرامة الواضحة، وكانت وفاته في أثناء السنة المذكورة.

وفي سنة خمس عشرة وسبع مئة[1]: وصل الأمير علاء الدين كشدغدي ومعه جماعة من المطلوبين من الديار المصرية والشامية، وكان الأمير علاء الدين المذكور أستاذ دار الملك المظفر صاحب حماة، وكان فاضلًا في أبناء جنسه، جمع بين شهامة السنان وفصاحة اللسان، وكان على ذهنه جملة من أشعار الجاهلية والمخضرمين وغيرهم من المحدثين والمولدين، وكان يعرف شيئًا من أنواع البزدرة، ويقال: إنه كان يعرف شيئًا من ضرب الملاهي، وتَقَدَّمَ عند السلطان تقدمًا تامًا لم يعهد مثله، فقابله السلطان بالإقطاع المتسعة، وحمل له طبلخاناة وعقد له الألوية وجعله من جملة ندمائه.

وفي هذه السنة[2]: رجع الشريف حميضة بن أبي نمي إلى مكة المشرفة وقتل أخاه أبا الغيث واستولى على مكة، فغضب من ذلك السلطان الملك الناصر، وجَهَّز جيشًا كثيفًا صحبة الشريف سيف الدين عطيفة، فلما علم حميضة بوصولهم هرب من مكة، فاستولى عطيفة على مكة ولحق حميضة بالشَّرق.

وفي هذه السنة[3]: تولى القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضي الدين أبي بكر بن محمد بن عمر [اليحيوي قضاء الأقضية وكان السلطان يعظمه إكراما لأبيه وكان عمره يومئذ عشرين سنة. وفي هذه السنة توفي الإمام الفقيه العارف أبو الحسن[4] علي بن الفقيه إبراهيم بن][5] بن محمد بن حسين البجلي، وكان مولده سنة ثلاث وقيل: سنة أربع وثلاثين وست مئة، وكان رجلًا مشهورًا بجودة الفقه، وكرم النفس، وحسن الأخلاق، تفقه في بدايته بعمه إسماعيل، ثم ارتحل إلى بيت حسين فأكمل تفقهه بالفقيه عمرو بن علي التباعي فأخذ عنه

---

(1) بهجة الزمن: 279 والعقود اللؤلؤية: 475.

(2) السلوك للمقريزي 2: 505 وبهجة الزمن: 279 وإتحاف الورى 3: 152.

(3) العقود اللؤلؤية: 476.

(4) السلوك 2: 366.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(المهذب) أخذًا مرضيًا، ثم ألزمه أن يتغيبه[1]، فتغيبه تغييبًا ميز فيه بين الفاء والواو، وأخذ عنه (البيان) وغيره، ثم سار إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، فأخذ عنه أيضًا، ثم عاد إلى بلده فسكن قرية شجينة، ولزم طريق الورع والزهد لزومًا تامًا، وأقام يدرس، فانتفع به الناس من القرب والبعد، وشهر بالعلم والصلاح، وكان أشرف أهل عصره نفسًا وأدراهم بالعلم حِسًّا، وأكثرهم للكتاب والسنة درسًا.

قال الجَنَدي[2]: وأخبرني عبد الله بن محمد الأحمر، أحد المدرسين بزبيد قال: صحبت الفقيه علي بن إبراهيم ولزمت مجلسه عشرين سنة ما علمت أن سائلًا يسأله فاعتذر، بل يعطيه ما سأل، وكان مستعملًا لجميع الطاعات الواجبة والمستحبة استعمال مداومة، وكان من أبرك الفقهاء تدريسًا، قال: وأخبرني الفقيه محمد بن عبد الله الحضرمي فقيه زبيد ومفتيها في عصره قال: لما جئت إلى الفقيه علي بن إبراهيم أريد أن أقرأ عليه وأنا على حال متبلبل أريد اجتماع قلبي على تحصيل العلم، فأول درسة قرأتها عليه قمت وأنا بخلاف ما أعهد من الرغبة، وكان عندي عدة مسائل قد اشتبهت علي، فحين بدأت قرأت عليه أول يوم [عرضت][3] أنا على خاطري جميع تلك المسائل، فما عرضت مسألة في خاطري إلا وزال إشكالها، وذلك من بركته، وتبين لي خطؤها من صوابها، وما زلت أجد الزيادة إلى وقتي هذا، قال: وكان لديه دنيا واسعة، إن وقف في بيته أطعم الواردين والزائرين والطلبة والمنقطعين، وكان كثيرًا ما يحج فيصرف في الطريق إلى مكة ما يجاوز الحد، وأحصوا حجاته فكانت نيفًا وثلاثين حجة، وخرج من بين يديه نحو من مئة مدرس، ولم يك في مدرسي تهامة ولا الجبال المتأخرين أكثر أصحابًا منه، وكانت وفاته يوم الثاني عشر من المحرم من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفيها[4]: توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مضمون، وكان فقيهًا عارفًا نحويا بارعًا، ولي قضاء صنعاء من قبل بني محمد بن عمر، وكان شديد الأحكام، مبالغًا في إقامة الحق وإقامة مذهب السنة وإماتة البدعة، وكان يحلف الإسماعيلية بأيمان

---

(1) أي يحفظه غيبًا عن ظهر قلب.

(2) السلوك 2: 443 (تحقيقنا).

(3) سقط من (و).

(4) السلوك 1: 405 وتحفة الزمن 1: 330.

تشق عليهم، ثم بلغه أن بعضهم لما مات ودفن، دفن معه مصحف، فأمر من ينبش القبر وأخرج المصحف، فَشَقَّ ذلك عليهم، فكادوه وبذلوا في عزله الأموال الجزيلة، فعزل بغير سبب يوجب العزل، فعاد إلى بلاده فأقام بها مدة ثم رتبه[1] بعض أولاد أسد الدين مدرسًا في مدرسة جده بإب، فلم يزل بها إلى أن توفي، وكانت وفاته في السنة المذكورة.

وفيها[2]: توفي الفقيه أبو حفص عمر بن أبي الربيع سليمان الملقب بالجنيد بن محمد بن أسعد بن أبي النهى، وكان إمامًا فاضلًا صالحًا، له كرامات كثيرة، تفقه بسعيد الغولي[3]، وتوفي يوم الثامن من المحرم أول شهور السنة المذكورة.

ومات الفقيه الأجل الفاضل أبو العباس أحمد[4] بن أبي بكر بن أسعد بن زريع بن أسعد، تفقه بالفقيه صالح بن عمر البريهي تفقهًا جيدًا، وكان عارفًا مجتهدًا ذا صيانة وعفة وعبادة، ودَرَّس بسهفنة على حياة شيخه، وتوفي لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وفي سنة ست عشرة[5]: حصل على السلطان مرض شديد خِيفَ عليه منه التلف، وأشرف منه على الهلاك، وأرجف بموته فروي: أن القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر[6]، راسل الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف بالأمور الباطنة، وأمر بنشر الدعوة وإنابته من عمه، فلما انتشر العلم بذلك خرج السلطان الملك المؤيد من تعز إلى الجند فرآه الناس، فخشي ابن أخيه منه، فالتجأ إلى جبل سورق وهو جبل حصين مطل على مدينة الجَنَد، فجَهَّز السلطان له العساكر، وكان مقدمها الأمير جمال الدين بوز بن حسن بن بوز، فحط عليه وأحاط بالجبل من كل ناحية، فطلب الملك الناصر الذمة من عمه فأذم عليه فنزل إليه على الذمة، وحصل بينه وبين عمه اتفاق وصلح، ويقال: إنه عَرَّف السلطان سبب ذلك، فعزل القاضي جمال الدين عن القضاء واعتقله في حصن تعز، وفوض أمر القضاء إلى القاضي

(1) في (و) قريبة.

(2) السلوك 1: 445 وتحفة الزمن 1: 364.

(3) كذا في الأصل، وفي طراز أعلام الزمن: 959: العودري.

(4) السلوك 2: 227.

(5) بهجة الزمن: 380.

(6) هو اليحيوي السابق ذكره.

رضي الدين أبي بكر[1] بن الأديب، أحد فقهاء الشافعية، وكان ذلك بمحضر جماعة كثيرة من فقهاء الجبال والتهائم، فحصل الإجماع عليه، وكان فقيهًا فاضلًا له بَسْطة في العلم وكثيرًا من المعقولات والمنقولات.

وفي سنة سبع عشرة[2]: وصل القاضي أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد، من دمشق على طريق مكة، يطلب من صَدَقات السلطان الملك المؤيد، فناله من إكرامه وإحسانه ما صغر عنده أخبار من مضى من الأجواد والكرماء، وولي كتابة الإنشاء في المملكة اليمنية.

وفي هذه السنة المذكورة[3]: دخل العسكر المنصور مدينة فللة وملكوها، وضربت البشائر في سائر البلاد.

وفيها[4]: وصل رسول صاحب هرموز بالهدايا والتحف فقابله السلطان بما يليق به وأكرمه وعظم قدره.

وفي سنة ثماني عشرة[5]: وصل القاضي صفي الدين عبد الله بن عبد الرزاق الواسطي بطلب حثيث من السلطان، وصرف مولانا السلطان عليه إلى حال وصوله نحوًا من ألفي مثقال، فلما وصل في التاريخ المذكور، صرف إليه مولانا السلطان شَدّ الاستيفاء، وحظي عند السلطان، وانبسطت يده في الدواوين، وكان زوجًا لابنة الأمير علاء الدين كشدغدي، وهو الذي عَيَّنه لذلك، فسار بالناس سيرة عسفة، ثم توجه إلى عدن، فحمل منها إلى الخزانة ثلاث مئة ألف دينار ملكية، فلما وصل لقي السلطان بالجَنَد فأكرمه وعظم قدره.

وفي هذه السنة[6]: توجهت الرسل إلى مصر، وهم الأمير أسد الدين حسن بن الأسد ومن جرت العادة بمسيرهم معه في خدمته.

---

(1) هو أبو بكر بن أحمد بن الأديب. السلوك 2: 451.

(2) بهجة الزمن: 281.

(3) العقود اللؤلؤية: 482.

(4) العقود اللؤلؤية: 482.

(5) بهجة الزمن: 318 والعقود اللؤلؤية: 487.

(6) بهجة الزمن: 481.

وفي هذه السنة[1]: رتب الأمير علاء الدين كشدغدي، عساكر السلطان المنصورة على ترتيب العساكر المصرية، وجعل لها جناحًا للميمنة وجناحًا للميسرة، وجعل للسلطان عصائب كثيرة، وركب المماليك بالنفخ[2]، وجعل منهم طائفة طبردارية[3]، وركب السلطان في هذا الزي.

وفي سنة تسع عشرة[4]: توجه السلطان إلى الأعمال التهامية، فوقف في الكدراء، وعزل بعض النواب وولى آخرين، وكان القاضي صفي الدين مستمر الحكم في الدواوين، وفَوَّض السلطان نيابة السلطنة إلى الأمير علاء الدين كشدغدي، وكان أتابك العسكر المنصور، وتقدم عند السلطان في هذه السنة تقدمًا لم يسمع بمثله، وحصل بينه وبين صهره القاضي صفي الدين منافسة في الظاهر والباطن.

وفي هذه السنة[5]: حصل من السلطان تغير على الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشهابي، فعزله عن وظيفته، وقبض عليه وأودعه السجن، ونسب إليه حديث من جهة الملك الناصر[6]، فأقام أسبوعًا في السجن وتحقق السلطان براءته فيما قيل عنه، فأطلقه، وحصل بين الأمير شجاع الدين وبين القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر منازعات طويلة، وأحضر القاضي جمال الدين إلى مقام السلطنة جماعة يشهدون على الأمير شجاع الدين بكلام كثير يتعلق بالملك الناصر، وحضر الملك الناصر يومئذ مقام السلطان، ونفى عن الأمير شجاع الدين جميع ما ذكر عنه، وحقق لمولانا السلطان ما كان من القاضي جمال الدين، فغضب السلطان على القاضي جمال الدين غضبًا شديدًا، وسَلَّمه إلى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مالًا كثيرًا، فصادره مصادرة قبيحة.

---

(1) بهجة الزمن: 482.

(2) كذا في الأصل، وفي العقود «الصنج».

(3) طبردارية: لفظة فارسية بمعنى الشخص الذي يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه في المواكب وغيرها (معجم الألفاظ التاريخية: 106).

(4) بهجة الزمن: 282.

(5) بهجة الزمن: 282.

(6) حول تمرد الناصر جلال الدين محمد بن الأشرف، انظر (بنو رسول وبنو طاهر) لمحمد عبد العال محمد: 183.

وفي سنة عشرين وسبع مئة[1]: مرض الأمير علاء الدين كشدغدي مرضًا شديدًا أفضى به إلى الموت، وحصلت مرافعات كثيرة على القاضي صفي الدين عبد الله بن عبد الرزاق، وحَقَّق عليه كتاب الدواوين في المقام السلطاني أنه أخذ جملة من المال، فعزله السلطان عن شد الاستيفاء، وفوض الأمر في ذلك إلى الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد، وكان أميرًا كبيرًا عالي الهمة، حسن التأني في الأموال، وسأل من السلطان ألا يجعل عقوبة أحد على يديه، وأن مهما تعين في الأموال يأمر السلطان على أمير جاندار وهذا دليل على خيره.

وفي هذه السنة المذكورة[2]: وصل القاضي محيي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي من الديار المصرية على طريق مكة المشرفة، وأحضر إلى مقام السلطان جوهرًا كثيرًا من الزمرد واللآلئ، وتَقَدَّم عند السلطان تقدمًا حسنًا، وأحله محل الوزارة، وسلم إليه السلطان من خالص ماله مئة ألف دينار ملكية من المال الحلال على حكم التجارة، وكتب له إلى عدن بخمسين ألفًا، فلما نزل عدن تصرف فيها تصرف الملاك، وكان قاضيًا على الوزارة.

وفي هذه السنة[3]: وصل الأمير بدر الدين حسن بن الأسد من الديار المصرية صحبته جماعة كثيرة مِمَّن طلبهم السلطان، ومن جملتهم: القاضي بدر الدين حسن بن أحمد المختار، الإمام الفاضل العارف بعلوم الأوائل من الهيئة والهندسة، وعلم المجسطي، وكان مشاركًا في كل فن، وضاربًا في كل علم بنصيب، ولم يكن في البلاد الشامية والديار المصرية مع اتساعها من يناسبه في معرفته، وفرح السلطان بوصوله فرحًا شديدًا.

وفي سنة إحدى وعشرين[4]: وصل القاضي محيي الدين[5] من عدن وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين مرافعات كثيرة، واتفق لمحيي الدين اتفاقات ليست بحسنة فنقض ذلك القبول من جهة السلطان، وكان في خلال ذلك يطلب الوزارة، وسعى في تحصيلها، فلما ألح وأكثر، قال السلطان: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾ [القيامة:11]، ثم أراد السلطان أن يجبر خاطره

(1) بهجة الزمن: 283.

(2) بهجة الزمن: 283 وانظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 4: 419.

(3) بهجة الزمن: 284 وانظر السلوك للمقريزي 3: 27 ط. العلمية.

(4) بهجة الزمن: 284.

(5) يعني القاضي محيي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي السابق الذكر.

فأركبه يوم عيد الفطر في موضع الوزارة، وركب بالطرحة[1] على عادة الوزراء المصريين.

وفي هذه السنة[2]: توفي السلطان الملك المؤيد وكان قد عزم على النزول إلى زبيد كجاري عادته في كل سنة، فنزل في قصر الشجرة، فأقام فيها نحوًا من عشرة أيام بسبب مرض أصابه، فلما اشتد به المرض وهو في دار الشجرة، أمر ولده السلطان الملك المجاهد بطلوع الحصن، ولم يكن له يومئذ ولد غيره، فطلع الحصن يوم الإثنين سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة، وتوفي والده نِصْف الليل من ليلة الثلاثاء في ذي الحجة، وقد نزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد وكان يومئذ نائب السلطنة وأتابك العسكر وأستاذ دار السلطان، ونزل بنزوله جماعة من العسكر المنصور وأعيان الأمراء، فثبت ثباتًا حسنًا، وحفظ نظام السلطانية السعيدة، وضرب ايزكا[3] على الشجرة[4] إلى آخر الليل، وطلعوا آخر الليل بالسّلطان المرحوم إلى الحصن فأنزلوه في دار العدل، وكان قد أوصى أن يغسله جماعة من الفقهاء منهم: الفقيه عبد الرحمن الظفاري، والبهاء الخازندار، وأن تكون آلة الغسل كلها مدرًا تشترى له من السوق، فاشتري له كما ذكر، فكان هذا أول شيء استنكره الناس من ولده المجاهد[5]، وحمل من دار العدل إلى مدرسته التي أنشاها في مدينة تعز، فدفن بها، وكان يوم دفنه يومًا مشهودًا فيا لها من مصيبة تركت العامة حيارى والخاصة سكارى، وكان كما قال أبو الطيب المتنبي: [من الكامل]

خرجوا به ولكل باك حَوْله ... صَعَقات موسى يوم دُكّ الطور
حتى أتوا جدثًا كأن ضريحه ... في قلب كل موحد محفور
والشَّمْس في كبد السماء مريضة ... والأرض واجفة تكاد تمور

---

(1) الطرحة: وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة. انظر (الملابس المملوكية لماير ترجمة صلاح الشيتي: 93).

(2) بهجة الزمن: 285 والعقود اللؤلؤية: 501 وبنو رسول وبنو طاهر: 185.

(3) كذا في الأصل وفي بهجة الزمن: 285 يزكا وهو الصواب، وهو لفظ فارسي بمعنى الحرس أو من يراقب (معجم المصطلحات التاريخية: 426). وهنا بمعنى منع من دخول جثة والده القصر المذكور.

(4) يعني قصر الشجرة المذكور.

(5) هذه عبارة الجندي في السلوك 2: 556 ويقصد باستنكار الناس على المجاهد أنه ترك جثة والده خارج القصر والله أعلم.

وكان له من المآثر الدينية: مدرسته التي أنشأها بمغربة تعز المعروفة بالمؤيدية، ورتَّب فيها مدرسًا ودرسة ومعيدًا وإمامًا ومؤذنًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، ومقرئًا يقرئ بالسَّبعة الأحرف، ووقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفايتهم، ووقف بها خزانة من الكتب النفيسة، وابتني في أيامه عدة من المآثر، وابتنت كريمته التي تسمى دار الدملؤة مدرسة بزبيد ومسجدًا بتعز ومدرسة بظفار الحبوضي، وابتنت كريمته الأخرى التي تسمى دار الأسد مدرسة بتعز في ناحية الحدبة ومدرسة بظفار الحبوضي وجددت مسجدًا بزبيد، وكان قد أشرف على الانهدام، وابتنى الأمير الفارس الخازندار مسجدين أحدهما في زبيد، والآخر في مغربة تعز، وابتنى البهاء الخازندار مسجدًا بتعز بين المغربة وعدينة، وابتنى الأمير محمد بن ميكائيل الذي كان أستاذ داره مدرسة بزبيد، ولم يمت حتى استحلف العسكر لولده الملك المجاهد، وكان الملك المؤيد ملكًا جبارًا شجاعًا مقدامًا شهمًا جوادًا كريمًا.

[فمما يحكى عنه من شجاعته وشدة بأسه أنه حضر مقامه يومًا عدة من الأشراف الأمراء، فأمر بإحضار الطعام، فلما حضر الطعام أكل منه الحاضرون بحسب كفايتهم، وكان بين يديه خروف فأكل جنبه الأعلى، ثم قلبه فأكل من جنبه الآخر، ولم يكن يعتد ذلك، فاستوحش الناس أمره، فلما انقضى الطعام و[غسل يده و][1] غسل الجماعة أيديهم، أمر بإحضار الأسد إلى مجلسه بغير علم أحد من الحاضرين فما علموا حتى زأر الأسد على باب المجلس، فارتاعوا جميعهم فأدخلهم في شبابيك[2] المجلس وكميه، وأمر بإدخال الأسد إليه، ولم يكن في المجلس أحد غيره، فأخذ سيفًا ودرقة وقام إلى الأسد وكان الأسد خبيثًا عظيم الخلقة، فحمل عليه الأسد فاتقاه بالدرقة وضربه بالسيف ضربة أخرج حشوته ومصرانه على الفراش، ووقع الأسد صريعًا لا يملك من نفسه شيئًا، وقعد السلطان في موضعه الذي قام منه غير مكترث، وخرج إليه الجماعة منتقعة ألوانهم، طائشة عقولهم يدعون له بالبقاء ويهنئونه بالظفر، فأذن لهم في الانصراف، وقعد من موضعه في خاصته، فسأله بعضهم عما فعل من حضور الأسد وقتله، وما السبب الذي أوجب ذلك، فقال: إني أكلت اليوم أكلًا

(1) سقط من (و).

(2) في (ع) فأدخلهم في روشن وكم. والكم والكمة في كلام أهل اليمن: غرفة صغيرة تكون داخل غرفة كبيرة أو ملحقة بالديوان (المعجم اليمني: 783).

متناهيًا لا أعتاده، وفي المجلس غير أهله، فربما استوحشوا ذلك مني، فأردت أن أريهم من الفعل ما لا يستعظمون عنده ذلك الأكل(1)، وله عدة مشاهد في الحرب، وكان والده يرمي به في كل مخوف ويرسله لكل قبيل عاص، ويقطعه كل بلد يعظم فساد أهلها، ثم لا يعزله عنهم إلا رحمة لهم، وأما جوده وكرمه فغير محدود ولا معهود، وله في ذلك عدة فعلات مشهورة فمنها: أنه وهب خزانة عدن بأسرها وهي ألوف من الذهب ومثلها من الفضة وأضعاف ذلك من الملابس والأطياب والتحف والطرف مما لا يحويه الوصف ولا يحصيه العد لأحد ندمائه، وهو الأمير شمس الدين علي بن رضوان، وكان خصيصًا به، وكتب له بذلك إلى الخازندار، فلما وقف الخازندار على الكتاب استعظم الأمر، وقام إلى السلطان، وكان معظَّمًا عنده، فاستأذن عليه فأذن له، فلما مثل بين يديه قبل الأرض، وأعلم السلطان بما كان من الأمر وأوقفه على خطه، فقال: صدق، هذا خطي. فقال الخازندار: وإن كان خطك فما أنا معطيه ما تريد، ونزل مغضبًا من عند السلطان وهو بين الإقدام والإحجام، فلما وصل إلى الجماعة الكتاب، وابن رضوان واقف عندهم قال: يا هذا، اعلم أن هذه الخزائن فيها جوامك عسكر اليمن كافة، وفيها كسوة السلطان وأولاده وأهل بيته وأطيابهم، وما ينبغي لك ولغيرك أن تختص به، فإن رأيت أن أعطيك من جميع ما فيها من ذهب وفضة وملبوس ومشموم وغيره مما يليق لك أن تستعمله، وينبغي لك أن تلبسه فعلنا، وهو المصلحة لك، ولا مصلحة لك في أن تترك الخاصة والعامة أعداءك، وإن لم تقبل المشورة فعلنا نحن بخلاف ذلك ومنعناك الدخول إلى السلطان رأسًا، وربما أنك لا تسلم لك نفسك من هؤلاء الجند الذين قد طال انتظارهم، وقَلَّ اصطبارهم. ثم سمع قائلًا يقول: لا رحمه الله، فقبل ابن رضوان ما أشار به الأمير، وأعطي من ذلك سهمًا وافرًا، فلامه السلطان على قبوله البعض وعنفه، وهذه قضية مستفاضة في اليمن يعلمها الصغير والكبير، ولعمري إن هذا غاية الجود، ومن(2) ذلك ما أخبرني به الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي قاضي قضاة اليمن، عَمَّن حدثه بذلك: أن الست رشيدة كتبت إلى السلطان الملك المؤيد تطلب منه مدًا من زكاة الطعام، ومدًا من زكاة التمر، وعبرة(3) المد الواحد في اليمن: ثلاث مئة وعشرين مكيالاً، المكيال

(1) نقل المؤلف هذه الحكاية في طراز أعلام الزمن: 850 ولم ترد في العقود اللؤلؤية.

(2) في (ع) ومن جودة.

(3) من ألفاظ أهل اليمن بمعنى مقدار أو عبوة عند العصريين.

الواحد ثلاث مئة وعشرين قفلة بالمصري، فكتب إلى نائبه على أملاكه السعيدة أن يصرف لها عشرة أمداد من الطَّعام وعشرة أمداد من التمر، وقال: أبى قَلَمُنَا أن [يكتب][1] مُدًّا واحدًا.

ومما أخبرني به القاضي جمال الدين أيضًا قال: لما خالف الملك الناصر على عَمِّه السلطان الملك المؤيد، وجَهَّز إليه العساكر المنصورة التجأ إلى جبل سَوْرَقَ، وطلب الذمة من عمّه، فأذم عليه، فنزل من الحصن المذكور، وسار إلى عَمّه فأمر السلطان كل العسكر بتَلقِّيه، فالتقاه العسكر المنصور، ووصل إلى الباب الشريف، ثم سار إلى منزله، فلما استقر في منزله كتب له السلطان من الغد إلى الخازندار: يا فلان، احمل إلى الولد السعيد محمد مئة ألف دينار، وخذ خطه بذلك، وقد كان السلطان الملك المؤيد أقبل على ابن أخيه الملك السعيد أسد الإسلام محمد ابن الملك المسعود حسن بن السلطان الملك المظفر إقبالًا كليا، وأحبه حبًا شديدًا، ولم يكن في منزلته أحد من الخلق، فظن الخازندار أن الذي كتب له السلطان بما كتب هو أسد الإسلام لما يعلم من المحبة والإقبال عليه، فحمل إليه الخازندار مئة ألف دينار، وأخذ خطه بما قبض منه، ثم وصل الخازندار إلى باب مولانا السلطان وكتب مطالعة، فطوى فيها خط أسد الإسلام وأرسلها إلى السلطان، فلما وقف السلطان على المطالعة والخط جوب له: إنما أردنا محمد الناصر ولم نرد غيره، فبادر احمل إليه مئة ألف أخرى، وخذ خطه بذلك فحمل إليه المال وأخذ خطه وأوصله إلى السلطان من ساعته فقبضه، ولم يسترجع المال من أسد الإسلام ولا بعضه، ولا نقص الناصر شيئًا مما قد لفظ به ولا عَنَّف الأمير في عدم المراجعة، وهذا غاية الجود والكرم، ومكارمه كثيرة أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر][2]، وكان مشاركًا في العلوم، قد أخذ من كل فن، وشارك في كل علم، فحفظ (مقدمة طاهر ابن بابشاذ)، و(كفاية المتحفظ في اللغة)، و(الجمل) للزجاجي قراءة، و(التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي قراءة محققة، وطالع الكتب المبسوطة في كل فن، وسمع الحديث النبوي من الشيوخ الموثوق بهم ممن سنده عال، وأجازه الشيخ الإمام المحب أبو العباس أحمد[3] بن عبد الله بن محمد الطبري شيخ السنة بالحرم الشريف في

---

(1) سقط من (ع).

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود اللؤلؤية انظر ص: 502.

(3) من علماء مكة المكرمة توفي سنة 714هـ (العقد الثمين للفاسي 3: 128).

(البخاري) و(الترمذي)، وناوله (صحيح مسلم)، وأجازه باقي الأمهات على حكم روايته التي سمعها واستجازها وما صَنَّفه في [كل][1] فن وما وجد له من نظم أو نثر، واختصر كتاب (الجمهرة في البيزرة) وبين في مختصره ما لم ينبه عليه صاحب الكتاب من عمل الزيبق[2] وشرح (طردية أبي فراس) شرحًا كافيًا، وهي التي أولها:

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تم به السرور

ونقل كثيرًا من أشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين، وجمع من مصنّفات [العلم][3] على اختلاف أنواعها من علم قراءاتها وقرائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها، وحقيقتها، وأدبها، ومعرفة أيام عربها، من تاريخها، ونسبها وأشعارها على اختلاف طبقاتها شيئًا كثيرًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) زيادة في (ع).
(2) كذا في الأصل وفي العقود: 503 «التدنيق» والتدنيق والدانق من الأوزان سدس الدرهم.
(3) سقط من (ع).

الفصل العاشر

في ذكر دولة مولانا السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام أبي الحسن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول

وكان ملكًا شهمًا شجاعًا مقدامًا عالي الهمة، شريف النسب كريم الأخلاق، حييا وضيئًا، حسن الشمائل[1]: [من الكامل]

للشمس فيه وللرياح وللسحا ب وللبحار وللأسود شمائل

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملممات مناهل

وكان كامل الأوصاف، لين العريكة، حسن السياسة، صادق الفراسة، سعيد الحركة، شديد المملكة.

قال ابن عبد المجيد[2]: لما استقرت قاعدة مولانا السلطان الملك المجاهد في الملك عزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب، وفَوَّض نيابة السلطنة إلى الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور، وجعله أتابك العسكر، وكان شاد الدواوين في أيام أبيه، وكتب له بذلك منشورًا قرئ في دار الضيف، وفي ذلك اليوم عقد لولدي أخيه، وهما المفضل وأبو بكر الفائز الولاية، وحمل لهما الطبلخاناة وكتب مناشيرهما، وقرئت بمحضرهما، وحصل بين السلطان الملك المجاهد، وبين ابن عمه الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف مراسلة تقتضي أمانًا وعهودًا، فأرسل السلطان إليه من جهته الطواشي صلاح الدين، والفقيه عبد الرحمن الظفاري، وهو معلّمه ليحلّفا الملك الناصر، فحَلَّفه كما تجب الأيمان، وتقدم وكيل مولانا الملك الناصر وهو الفقيه محمد الوشاح إلى مولانا السلطان ليحلّفه فحلف كما تجب الأيمان، ولما تَمَكَّن الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف ابن منصور من السلطان، وعظمت منزلته عند طرد الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الخصي[3]

(1) من أبيات للمتنبي.

(2) بهجة الزمن: 284.

(3) العقود: 509 «ابن الجواد».

عن الباب السعيد، وتَكلَّم عليه عند السلطان أنه شؤم، وغلب عمر بن يوسف على الباب السلطاني، وحملت له الطبلخاناة، وأعطي إقطاعًا جيدًا، وضبط الباب ضبطًا عظيمًا، وكان من أذكياء الرجال ودهاتهم وأعرفهم بتدبير الملك والمملكة.

وفي سنة اثنتين وعشرين: نزل السلطان من الحصن إلى بستان دار الشجرة وكان نزوله من الحصن يوم الثالث من المحرم.

ويروى: أنه لما أراد النزول من الحصن إلى دار الشجرة أرسل إلى بعض المتصدِّرين يومئذ في علم الفلك أن يختار لنا وقتًا جَيِّدًا ولم يقل لسفر ولا إقامة فاختار له وقتًا جيدًا في ذلك اليوم، فخرج السلطان من الحصن في ذلك الوقت المشار إليه، ففزع الرجل لما علم بنزول السلطان، وسأل باقي أهل فنه عَمَّن اختار للسلطان هذا الوقت الذي نزل فيه، فقالوا له: ما اختار أحد سواك، فقال: إني، والله، ما علمت أن مراده هذا، وهذا وقت مكروه، وربما أنه لا يرجع إليه إلا في حالة معكوسة، ثم إن الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف ابن منصور أوقع في قلب السلطان المجاهد من الملك الناصر شيئًا فقبضه، فأرسل الأمير شجاع الدين لقبضه [جماعة، منهم: الشيخ عيسى بن الحريري، وكان يومئذ ناظرًا المِخلاف، والشيخ أحمد بن عمران، وكان رأس مذحج، وبدر الدين محمد بن الصليحي، فلما علم الملك الناصر بذلك لجأ إلى تربة الفقيه عمر بن سعيد بذي عقيب من أعمال ذي جبلة][1]، فلما وصل العسكر المنصور إلى التربة أحاطوا بها وأخذوه من التربة ولم يراعوا حَقّ الجوار، ثم رجعوا به إلى تعز، وكان ذلك في العشر الأولى[2] من صفر، فلما وصلوا به إلى المقام الشريف أمر السلطان أنه يحبس في الحصن فأقام محبوسًا في الحصن إلى سلخ جمادى الأولى، ثم أمر به أن يحبس في عدن.

ولما كان غرة شهر ربيع الأول[3]: تقدم السلطان إلى الجَنَد فأقام فيها أيامًا، ونَصَّب الفقيه عبد الرحمن الظفاري قاضي قضاة بمحضر جماعة من فقهاء تعز، ثم توجه من الجَنَد إلى الدملؤة وافتقد خزانته، ونزل ولم ينعم على أحد من الناس، وكان من تَقَدَّمَهُ من الملوك إذا طلع الدملؤة أنعم على كافة العسكر والمرتَّبين في الحصن إنعامًا عاما، فلما نزل السلطان من الدملؤة ولم يعط أحدًا شيئًا من العسكر ولا غيرهم، تَغَيَّرت الناس وعَدُّوها عليه فعلة ثالثة

(1) زيادة لا توجد في العقود.

(2) العقود: الوسطى.

(3) العقود اللؤلؤية: 510.

من الأفعال المكروهات، إذ كان أول مِنْ مَنْع أبيه من طلوعه الحصن بعد موته، والثانية: لَزْم الملك الناصر من غير ذنب من تربة الفقيه عمر بن سعيد، والثالثة دخوله الدملؤة وخروجه منها ولم ينعم على أحد، ولما نزل السلطان من الدملؤة - كما ذكرنا - رجع إلى تعز فأقام في ثعبات إلى الثامن من جمادى الأخرى. وقال ابن عبد المجيد[1]: إلى النصف منه، وقلوب العساكر نافرة منه، وقد سعى أكثرهم في فساد دولته، وقَرَّروا القاعدة عند الملك المنصور أيوب بن الملك المظفر فاجتمعت المماليك والأمراء الكبار وقصدوا دار الأمير الشجاع عمر بن يوسف بن منصور في قرية المحارب بتعز فقتلوه وقتلوا معه الأمير بدر الدين محمد بن علي الهمام، وكان يومئذ أفرس أهل زمانه وأشجعهم، وكان معه الفقيه عبد الرحمن الظفاري قاضي القضاة، والشيخ محمد بن عثمان العبسي من عبس حكم، وكان رجلًا شجاعًا نهابًا وهابًا، فقتلوهما معًا واحتزوا رأس عمر بن يوسف بن منصور، ورأس ابن الهمام، وخرجوا من فورهم إلى ثَعَبَات وقد ساعدهم أصحاب المبيت من النواقيس[2] والشفاليت[3] فلزموا السلطان من ثعبات، ونهب في تلك الليلة دور كثيرة بالمغربة والمحارب ممن ينتمي إلى محبة السلطان الملك المجاهد، ورجعوا إلى الملك المنصور في آخر ليلتهم بالسلطان أسيرًا، فأقام عنده تحت الحفظ ثلاثة أيام، وهو يستَحْلف العسكر فحلفوا له الأيمان المغلظة، فلما كان اليوم الرابع طلع السُّلطان الملك المنصور إلى الحصن في ناموس المملكة وزيّ السلطنة، وطلع معه بالملك المجاهد أسيرًا، فجعله في دار الإمارة على الإعزاز والإكرام، يؤتى له بما يشاء من شراب وطعام وحريم، ولما استقر الملك المَنْصور في الحصن، أرسل إلى عدن لابن أخيه الملك الناصر[4]، فلما وصل إلى الجَنَد تلقاه بالطبلخاناة[5] وأقطعه المهجم وعقد للأمير بدر الدين حسن بن الأسد الألوية، ورفع له الطبلخاناة وأقطعه حرض، ثم عقد لولديه الملك الكامل تامور الدين والملك الواثق شمس الدين، ورفع لهم الطبلخاناة وعَيَّن لكل

---

(1) بهجة الزمن: 287.

(2) ورد هذا المصطلح في ارتفاع الدولة المؤيدية: 77، ويطلق على جماعة من الرجال يضربون بالنواقيس أمام المواكب السلطانية ليفسح لهم الطريق.

(3) سبق ذكرهم، وللتوسع في شرح هذه اللفظة انظر الجيش اليمني في عصر الدولة الرسولية للدكتور عبد الحكيم محمد ثابت العراشي (رسالة دكتوراه): 222 ط دار الوفاق سنة 1435هـ.

(4) هو جلال الدين محمد بن الملك الأشرف السابق ذكره.

(5) تكرر ذكرها وللتوسع في هذا الموضوع يراجع كتاب الجيش اليمني السابق ذكره: 237.

واحد منهما إقطاعًا جَيّدًا، وأرسل ولده الملك الظاهر أسد الدين إلى الدملؤة، وفي خدمته ياقوت التعزي وفَوَّض نيابة السلطانية إلى الأمير شجاع الدين عمر[1] بن علاء الدين الشهابي، فأقامة أيامًا فحصلت بينه وبين الأمراء البحرية منافرة فصرفه السلطان عنهم وعن نيابته، وجعل مكانه الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد المعروف بالخصي، وفوض إليه أمور الباب لكماله، ولم يزل السلطان الملك المنصور في سلطنته إلى ليلة السادس من شهر رمضان وذلك على رواية ابن عبد المجيد ثمانون يومًا، وعلى رواية الجَنَدي نحو من تسعين يومًا[2].

ويروى: أنه صرف فيها من الأموال سبع مئة ألف دينار خارجًا عن المركوب والملبوس، ثم كان من أمر الله تعالى أن تقدم بعض غلمان المجاهد إلى بلاد العربيين واتفق هو وجماعة منهم كان مقدمهم بشر الرعافي[3] وعاملوا رجلاً يقال له: صالح بن القواس على طلوع الحصن من قفاه[4] باتفاق من عبيد الشربخانة والطشتخاناه وكانوا كلهم عبيد أبيه الملك المؤيد وساعدهم على ذلك النوبة المرتبون في ذلك الموضع، فوصلت العرب إلى ذلك المكان المشار إليه ليلًا، وكان إشارتهم: أن أسرجوا شمعة في طاقة من شبابيك الحصن فقصدوا نحوها، فلما أَحَسَّ بهم عبيد الشربخاناة[5] أدلوا لهم الحبال وأطلعوهم رجلاً رجلاً، وكانوا أربعين نفرًا، فلما صاروا بأجمعهم في الحصن قال لهم العبيد: لا تحدثوا حادثة حتى يصبح الصبح، فلما أصبح الصبح وطلع الفجر وأسفر، [نزل الخادم صاحب الدول بمفاتيح أبواب الحصن، فلما علموا نزول][6] الخادم بالمفاتيح كما جرت العادة خرجوا عليه فقتلوه وقبضوا المفاتيح، ولم يشعر بهم الملك المنصور حتى دخلوا عليه مجلسه الذي أمسى فيه فقبضوه منه، وخرجوا يريدون الملك المجاهد، وكان رتبة الحصن والأمير ينادون[7] في دار الضيف، فلما أشرف عليهم أهل الحصن ونادوا بشعار الملك المجاهد، قاتل أمير الحصن

(1) أحد أمراء العصر في ذلك الوقت سيأتي ذكر قتله في حادثة المنصور هذه.

(2) للتوسع في تمرد المنصور وقيامه على المجاهد انظر (الرسوليون وبنو طاهر: 187).

(3) العقود: الذهابي وسيأتي.

(4) أي من ورائه.

(5) انظر شرح هذه اللفظة في العقود اللؤلؤية (تحقيقنا): 512.

(6) زيادة لا توجد في (ع).

(7) كذا في الأصل وأصلحها بالهامش (يباتون).

حتى قتل في دار(1) تحت المدينة، فركب الملك الناصر وركب معه كثير من العسكر، ووصلوا إلى أسفل الحصن، فلم يتهيأ لهم فيه عمل وأبوابه مغلقة، وركبت البحرية والأمراء إلى الملك الناصر وقالوا: إن كان الملك المنصور مات أو قتل أو قبض، فأنت أولى بالملك، واجتمعت كلمتهم على ذلك وانبعثت المدينة خيلًا ورجلًا، يريدون طريقًا إلى الحصن، فما وجدوا إليه طريقًا، فلما رآهم الملك المجاهد كذلك، وعلم ما أجمعوا عليه عجب من فعلهم، وقال: سبحان الله أما في هؤلاء من يذكر لوالدي حسنة عليه، ولا جميلًا إليه، ثم أمر صائحًا يصيح: يا أهل تعز بيوت المنصورية لكم حلال، فرجعت الأمراء والملوك إلى بيوتهم خوفًا من النهب وغشيهم السواد الأعظم، وكان يومًا عظيمًا، فلم يمض نصف ذلك اليوم حتى كتبت والدة السلطان جهة صلاح إليه تعلمه أن بنات عمه وسائر نساء الملوك هتكوا ونهبوا ولم تبق لهم باقية، وقد صاروا في حصر المساجد والمدارس، فأمر بصائح يصيح في الناس: من أخذ من بيوت الملوك شيئًا فليرده، وكتب ذمة للملك الناصر، فلما وصله الكتاب بالذمة فما استتم قراءته حتى هجم عليه من قبضه وأطلعه الحصن، وقبض معه ولده زين الإسلام، ثم قبض الملك الكامل تامور الدين بن الملك المنصور، [وشرف الدين بن الملك العادل، فلم تمض ساعة حتى صار في الحصن من الملوك خمسة نفر، وهم: المنصور، وولده تامور الدين، والناصر، وولده زين الدين، والخامس شرف الدين بن الملك العادل، وبعد أيام قلائل قبض شمس الدين الملك المنصور، وبعد أيام قلائل لزم خالته جهة النوبة وقد نهب بيتها](2)، وكان كل من المسجونين مسجونًا وحده، واستولى السلطان الملك المجاهد على الملك مرة ثانية، وملك الحصن وجعل بينه وبين المماليك ذمم وعهود، وكتب لهم دراعة بالأيمان والوفاء، وصاح لهم في الأسواق ومجامع الناس [بمحضر القاضي والشهود، وجمع ملوك بني رسول كلهم تحت الحفظ ما خلا ولدي أخيه المظفر، وولدي عمه الواثق فإنه لم يغير عليهم](3)، وبعد أيام قلائل أمر بإطلاق الملك الناصر وتامور بن الملك المنصور، [وكان السبب في ذلك أنه لما قبض عمه الملك المنصور من الحصن - كما ذكرنا - أتى إلى السلطان الملك المجاهد بأوراق وكانت في مجلس الملك المنصور ساعة قبض، فوجد في جملة

(1) كذا في الأصل وفي العقود: 512 «فارتجت المدينة».

(2) ما بين المعقوفين ساقط من العقود اللؤلؤية.

(3) زيادة لا توجد في العقود اللؤلؤية: 513.

الأوراق ورقة من الملك الناصر إلى عمه الملك المنصور، وهو يعذله عن مبايعة المجاهد ومؤاخذته في شيء من أفعاله، ومن جملة كلامه أن قال لعمه المنصور: هذا ولد صغير، وتعلم ما كان من إحسان والده إلينا وتفضله علينا مرة بعد أخرى، ولما يقابلنا بما فعلنا معه من قبيح، وأما تومار كان السبب في خلاصه من السجن أنه ليلة قبض المجاهد من ثعبات هَمَّ به بعضهم وكاد يبطش به، فلما وصل تومار الدين طرد أولئك المماليك عنه وزَبَرَهم بالكلام وأركبه على بغلته بالزنار، وكان يسير معه في حال التأدب، فلذلك عطف عليه وأطلقه وأمرهما بسكنى السلامة][1].

واستناب في سلطنته الأخيرة الأمير جمال الدين بوز بن حسن وطلب من عَمِّه المنصور أن يكتب إلى ولده الظاهر بتسليم الدملؤة فكتب له بذلك، فلم يمتثل وامتنع من تسليمها [فاستشار السلطان الأمير جمال الدين بن بوز في حديث الدملؤة فأشار عليه أن لا يتعرض للدملؤة بحصار ولا بغيره، بل يبدأ بتمهيد قواعد البلاد والعسكر، فمتى كمل ذلك أدرك من الدملؤة ما أراد، وكان رأيًا صائبًا، فلم يقبل السلطان منه ما أشار به عليه، ومال إلى مشورة غيره من البداية بها][2]، فجهز السلطان عسكرًا كثيفًا مقدمه الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين فَحَطُّوا على المنصور نحوًا من شهرين، وقتل ما لا يحصى من الفريقين غز وعرب، وقطعت رؤوسهم[3]، فلما طال الأمر خادعهم الظاهر وأفسد بعض أهل المحطة فارتفعوا وتركوا كثيرًا من أموالهم وخيمهم.

وفي سنة ثلاث وعشرين[4]: توفي الملك المسعود تاج الخلافة حسين بن مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر، وكان وفاته في مدرسة حيس في شهر المحرم من السنة المذكورة.

وفي شهر صفر[5]: توفي الملك المنصور أيوب بن المظفر يوسف بن عمر، وكانت وفاته ليلة الأربعاء الثالث من شهر صفر المذكور في دار الإمارة من حصن تعز، ودفن في مدرسة والده الملك المظفر.

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود.

(2) زيادة لا توجد في العقود.

(3) هنا زيادة في العقود اللؤلؤية لا توجد هنا. انظرها في: 514.

(4) طرفة الأصحاب: 91 والعقود اللؤلؤية: 522 وفيه الحسن.

(5) بهجة الزمن: 522 والعقود اللؤلؤية: 522.

وفي هذه السنة: كتب الملك الظاهر إلى الأمير بدر الدين حسن بن الأسد يستدعيه إلى خدمته فأجابه إلى ذلك، ووصل في جمع كثيف، فجهزه نحو الجَنَد وجهز معه مالًا جزيلًا، فحط على الجَنَد حتى أخذها يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الأول، وكان فيها من قبل المجاهد يومئذ ابن أخيه قطب الدين أبو بكر بن المظفر حسن بن داود، وإبراهيم بن شكر وجماعة من المماليك البحرية، فخامرت المماليك، ومالوا إلى ابن الأسد وحَلَّفهم للملك الظاهر فحلفوا له، فخاف قطب الدين على نفسه، فسرى من الجَنَد فأصبح في تعز، ورجع إبراهيم بن شكر إلى تعز على موادعة بينه وبين ابن الأسد، وأقام ابن الأسد في الجَنَد أيامًا قلائل، ثم تَوَجَّه نحو تعز في عسكر جَرَّار من الأكراد والمماليك وغيرهم، وواجهه الأمير غياث الدين علي بن يحيى بن منصور الشيباني من ناحية الدمينة، وكان الغياث بن الشيباني قد وصل إلى الملك الظاهر في خلال ذلك فأكرمه وحباه بمال جزيل، [فحطوا جميعًا على حصن تعز فأقامت المحطة سبعة أيام، فلما كان اليوم السابع ارتفع ابن الأسد منهزمًا وأخذت طبلخانات ابن الشيباني، وكانت شرقي الحصن على الحبيل، وذلك][1] بعد أن قتل من أصحابهم أكثر من مئة رجل، وجملة من قتل من أهل تعز نحوًا من اثني عشر رجلًا، [وفي مدة حصار ابن الأسد لتعز اصطلح السلطان وطائفة من المماليك وطلع إليه إلى الحصن منهم جماعة وحلفوا له وحلف لهم، وكان سبب صلحهم للسلطان أن ابن الأسد لم يف لهم بما وعدهم من الجامكية والإنعام، فأقاموا في بيوتهم بالمحارب][2]، ولما ارتفع ابن الأسد عن تعز - كما ذكرنا - توجه نحو الجَنَد وتوجه معه من المماليك نحو من خمسين فارسًا [فنهبوا معشار الجَنَد نهبًا عظيمًا وسَلَّم الله الجَنَد بذاتها، ولم يخطب للظاهر في الجَنَد إلا جمعة واحدة خطبها رجل يقال له: ابن قيصر، ولما نهب المماليك معشار الجَنَد][3] ساروا من الجَنَد إلى الظاهر وهو بالدملؤة فأحسن إليهم، وطيب نفوسهم، فلما علم السلطان بذلك انقبض منهم ولم يطلق لأحد منهم جامكية فتعبوا وطال عليهم الأمر، فجاهروا السلطان بالقبيح وتكرر القبيح منهم والأذى.

(1) سقط من العقود.

(2) زيادة على العقود.

(3) زيادة لا توجد في العقود.

فلما[1] **كان يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة:** صاح الصائح من الحصن بأمر السلطان بإباحة المماليك قتلًا وأسرًا ونهبًا، وأمر السلطان على الزعيم[2] أن يخرج في عسكر تهامة ويحفظوا طريق الجَنَد وطريق الشّجرة، وأمر إبراهيم بن شكر أن يخرج عسكر الجبل ويحفظوا طريق تهامة وذي هزيم ففعلوا، وخرجت المماليك على خيولهم، فقتل منهم خمسة نفر في الميدان، والسادس عند حَمَّام الجبائي ولزم منهم جماعة أطلعوا الحصن إلى السلطان فَحَيَّدَ[3] منهم نفرين أحدهما الأساوي، وشنق خمسة، فلما كان يوم الأحد السابع من الشهر المذكور شنق اثنين منهم.

وفي يوم الأحد الرابع عشر: شنق اثنين منهم، فجميع من قتل منهم ومن شنق وحيَّد ستة عشر، [وأفلت الباقون، وكانت هذه القصة قبل وفاء ثلاثة أيام من اليوم الذي لزم فيه السلطان من ثَعَبَات، وقتل فيه الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن عمر بن منصور][4]، ولما خرجت المماليك من تعز ساروا إلى قرية الخوخية فأقاموا فيها أيامًا، ثم توجهوا نحو زبيد، [فلما[5] وصلوا قرية السلامة اجتمعوا بالملك الناصر، وكان السلطان في اليوم الذي أطلقه أمره بسكنى السلامة فسكنها، فلما وصله المماليك سألوا أن يسير معهم فاعتذر من المسير في ذلك الوقت ووعدهم من نفسه بالمساعدة واتفاق الكلمة، ففارقوه وساروا نحو زبيد فملكوها للظاهر واستولوا على خراجها ولم يكن للظاهر إلا الخطبة]، وكان واليها يومئذ محمد بن طرنطاي وهو أحد أعيانهم، فكان دخولهم زبيد في غرة شهر رجب من السنة المذكورة، وكان الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمر في قرية السلامة، فطلع إلى السلطان وتَقَلَّدَ له بأن يستعيد له زبيد، فحمل له السلطان أربعة أحمال طبلخاناة، وجَهَّزَ معه نحوًا من خمس مئة فارس وست مئة راجل [من الشفاليت][6] ونزل معهم الزعيم، ومحمد بن عمر بن العماد

(1) بهجة الزمن: 333 ط. ثانية والعقود اللؤلؤية: 519.

(2) ورد اسمه في بهجة الزمن: 336، الزعيم بن الافتخار وسيأتي ذكر مقتله.

(3) حَيَّدَه: ألقاه من رأس الجبل (الحيد) وفي المعجم اليمني: 213 الحيد هو شاهق صخري منسلخ في الجبال.

(4) سقط من العقود.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود.

(6) زيادة لا توجد في العقود.

فحطوا في بستان المنصورة فيما بين القرتب وزبيد، فلما علم بهم المماليك اجتمعوا وخرجوا إليهم من زبيد وقصدوهم إلى محطتهم في المنصورة على حين غفلة، وكان الأمير أحمد بن أزدمر قد ركب في جماعة من أصحابه يباشر أرضًا له في الوادي، فلم يحضر الوقعة، ولما قصد المماليك المحطة بالمنصورة هرب معظم الذي كانوا فيها وانهزم الزعيم وثبت ابن العماد في جماعة من العسكر فقتلوا عن آخرهم وطرحوا في بئر هنالك، ورجع الأمير أحمد بن أزدمر في جماعته الذين كانوا معه فقتل بعضهم وأسر الباقون، وكان الأمير نجم الدين في جملة الأسارى فدخلوا به زبيد، وقتل من المماليك يومئذ أيبك الدويدار وكانت الوقعة يوم الأربعاء الثامن من شهر رجب من السنة المذكورة.

وفي شهر شعبان الكريم من السنة المذكورة(1): خالف عمر بن الدويدار في لحج وأبين وسار إلى عدن فحاصرها نحوًا من عشرين يومًا حتى أخذها بمساعدة بعض المرتَّبين من يافع وخَطَب فيها للظاهر، وكان دخوله عدن لأيام بقين من شعبان من السنة المذكورة، وكان أمير عدن يومئذ الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي فقبض عليه ابن الدويدار، وبعث به إلى الظاهر، فبعث به الظاهر إلى السمدان(2) وحبسه هنالك، ونزل جعفر الأنف من الدملؤة إلى ابن الدويدار في شهر رمضان، وأقام معه في عدن إلى يوم العشرين من شوال، ثم طلع إلى الدملؤة وصحبته خزانة وبَزٌّ كثير.

وفي شهر ذي القعدة من السنة المذكورة(3): جَهَّز الظاهر إلى الجَنَد جيشًا مقدّمه الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن علاء الشهابي ومعه جماعة من البحرية(4)، كالقصري وطغشر وغيرهما، فوصلوا الجَنَد يوم السابع من ذي القعدة فحاربهم أهل الجند حربًا شديدًا من السور، فعادوا خائبين إلى قرية الغربة [فأقاموا بها، وكتب أهل الجَنَد إلى السلطان يستنجدونه فأنجدهم بعسكر من الخيل والرجل](5)، ثم وصل أهل جرانِع مع أحمد بن محمد العريقي وزحفوا على أهل الجَنَد ونقبوا موضعًا من السور، ولم يظفروا بشيء، بل قتل من رجلهم

(1) العقود اللؤلؤية: 52.
(2) يعني حصن السمدان (انظره آخر الكتاب).
(3) العقود اللؤلؤية: 521.
(4) يعني المماليك البحرية (سبق ذكرهم).
(5) سقط من (ع).

جماعة وجرح ابن شيخهم محمد بن زريع، ثم وصل الطواشي فارع [من قبل المجاهد][1] وابن الكامل والورد السنبلي وبشير الذهابي في عسكر جيد من الخيل والرجل، فرجع ابن علاء الدين إلى الدملؤة خائبًا[2]، وكان في الجَنَد والٍ يقال له: ابن حسين، كان كثير الغدر والمكر، كان يأخذ جامكية من السلطان وجامكية من الظاهر، وكان يلعب بهما معًا، وكان أسوأ الولاة حالًا وتصرُّفًا وأكثرهم خيانة لله، وللمسلمين، وقبائحه كثيرة يطول تعدادها، فلما ارتفعت المحطة من الجَنَد ورجع ابن علاء الدين إلى الدملؤة فرَّق الوالي المذكور أدبًا على أهل الجَنَد ونواحيها حتى أَضَرَّهم، فعزله السلطان عنهم بابن الحجازي وولّى ابن حسين حصن تعز فتشاءم به الناس، وكان معه شفاليت ينقبون على بيوت الناس ويأخذونها وينهبونها ويأخذون أخشابها ويوقدون بها، وطال منهم ذلك[3].

وفي سنة أربع وعشرين[4]: أمسك والي عدينة رجلاً منهم[5] وأرسل به إلى السجن، وكان ذلك يوم الثالث عشر من صفر، فلما وصل قريبًا من الحصن اصطاح بنفسه وضرب الجُنْدي الذي أطلعه الحصن فأنفت الأجناد من ذلك، فحصل بين الأجناد والشفاليت حرب عظيم، فغضب أهل المغربة مع الأجناد وصاروا يدًا والشفاليت يدًا هم وأهل الحصن يدًا واحدة[6]، فاقتتلوا قتالًا شديدًا فاستغار أهل المغربة بأهل صَبِر فأغاروا عليهم وتطاولت الحرب بينهم، فدخل القاضي[7] وابن شكر وابن فيروز على الأمير ابن حسين وقالوا له: إن المصلحة في طرد الشفاليت، وأن تحمل على أهل تعز والأجناد ولو شهرًا واحدًا، فلم يساعد إلى ذلك، واتصل العلم إلى المماليك وهم في زبيد، وكاتبهم أصحابهم وأعلموهم أن الحرب بين عسكر السلطان وبين أهل تعز، فخرجت المماليك من زبيد فتوجهوا إلى تعز فوصلوا تعز يوم الثالث من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، فحطوا ما بين الأجيناد والسائلة وأذموا

(1) سقط من (و).

(2) من هنا ينتهي السقط في العقود اللؤلؤية: 521.

(3) وردت هذه الجملة مختصرة في العقود.

(4) العقود: 526 بصياغة أخرى.

(5) يعني من الشفاليت.

(6) في (و) أخرى.

(7) يعني القاضي محمد بن مؤمن السابق ذكره.

على الناس، ولم يحصل منهم على أحد غيار، فحَصَلَت الحرب بينهم وبين الشفاليت، وكان أعيانهم يومئذ محمد بن طرنطاي والبهاء السنبلي والشريف داود بن قاسم بن حمزة.

وفي هذا التاريخ[1]: نزل شمس الدين المفضل وقطب الدين الفائز وولدا الملك المظفر حسين بن داود وتوجهوا إلى تهامة فيمن معهما مغاضبين لعمهما السلطان الملك المجاهد، وذلك بسبب ما منعهما من الذي يعتادانه من الجامكية والإقطاع وأقاموا في قرية السلامة، ثم انتقلوا إلى بيت الفقيه ابن عجيل، ولم يحصل بينهم وبين عمهم اتفاق بعد أن سعى القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن في ذلك أشد سعي.

فلما كان يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول: قدم عمر بن بالبال العلمي الدويدار تعز بعد أن نهب الجَنَد نهبًا شديدًا وأقام بها نحوًا من نصف شهر فحط في الحبيل وهو الموضع الذي كان الملوك يمدون سماط الأعياد فيه وأرسل من الجَنَد إلى عدن من يطلع المنجنيق فأطلعوا بعض أخشابه في البحر إلى موزع، ثم حمله الرجل، وبعضها ساروا بها في البر على طريق الحاظنة، فلما وصلوا به رَكَّبوه ورموا به عِدَّة أحجار، فلم يؤثر شيئًا، ثم تغير خشب المنجنيق في شهر جمادى الأولى فنزل صاحبه إلى بستان الشجرة، وقطع خشبًا كثيرًا وشرعوا في إصلاح ما تغير.

وفي هذا التاريخ[2]: ظهر للسلطان ما كان يكتمه الأمير ابن حسين من المكر والنفاق، فأخرجه من الحصن إخراجًا جميلًا، وكان الأمير غياث الدين محمد بن أحمد بن بوز مع السلطان في الحصن، وكان بمكانة من السلطان، فخادع السلطان، وخرج من الحصن، [ووصل إلى ابن الدُّويدار، فأقام معه أيامًا قلائل، ثم تقدم إلى الدملؤة فحلف للظاهر أنه ناصح مجتهد، فكان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ولما تطاول إصلاح المنجنيق أرسلوا إلى الدملؤة من يأتيهم بمنجنيق آخر، فأرسل لهم الظاهر بمنجنيق، ووصل معه الافتخار ياقوت والغياث بن بوز][3]، فكان له من الاجتهاد في حرب السلطان وقتاله ما يدل على لآمته وقلة مروءته وخبث أصله، إذ قابل السلطان بالقبيح التام من غير سبب ولا سابقة، مع كون الملك المجاهد أحسن إليه إحسانًا عظيمًا لم

(1) العقود اللؤلؤية: 527.

(2) العقود اللؤلؤية: 527.

(3) سقط من العقود.

يسبقه إليه أحد، فكان الغياث يرمي الحصن كل يوم بأربعين حجرًا، واستمر الرمي كل يوم، فسمعت أنه رمى إلى سلخ رمضان بنحو من ألفي حجر[1].

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي[2]: أخبرني الفقيه كمال الدين حسين بن عبد الله بن منصور، وكان ثقة قال: حدثني حسين بن موسى بن بغلان، عن جارية يقال لها: نخبة - بنون وخاء معجمة وموحدة قبلها تاء تأنيث - كانت من جواري جهة صلاح والدة السلطان الملك المجاهد، وكانت ممن كان في الحصن أيام الحصار، قالت: اشتد علينا الحصار يومئذ، وكان الملك المجاهد يتنقل في يومه وليلته إلى عدة مواضع في الحصن، ولقد أذكر عشيَّة من العشايا، وقد قربنا لمولانا السلطان طهوره فتوضأ وفرغ، ونحن عنده في موضع من الحصن ووالدته في موضع قريب منه إذ انشق جدار من جدر الحصن فخرج منه غلام تام الخلق، وله دبوقة[3] إلى آخر ظهره، فأكب على السلطان فاعتنقه وحمله بسرعة من ذلك المكان إلى مكان آخر، ففزعنا جميعًا وطارت قلوبنا مما رأينا، فلما وضعه في الموضع الذي وضعه فيه، وقعت حجرة من حجار المنجنيق في الموضع الذي كان فيه قاعدًا لم تمل منه يمينًا ولا شمالًا، فلما وقعت الحجر في ذلك الموضع وأتلفه، قال مولانا السلطان لذلك الرجل الذي احتمله: من أنت يا أخي الذي منّ الله عليَّ بك؟ فقال: أنا والله أخوك حقيقة، وأبي والله أبوك المؤيد وأمي الجارية فلانة، ولكني حملت صغيرًا فتربيت مع الجن حتى صرت كما ترى، ولما رأيت أن تلك الحجرة قاتلتك لا محالة حملتك من ذلك الموضع محبَّة لك وشفقة عليك، واعلم يا أخي أني قد اتفقت أنا وصاحب الحصن بصبيص أن نقاتل معك في اليوم الفلاني، فاجمع من معك لذلك اليوم، فإنا سنبلغ من نصرك ما تريد، فأستودعك الله، ومضى فدخل في الموضع الذي خرج منه، ثم أقبلت مولاتنا جهة صلاح وهي طائرة العقل إلى ابنها مما رأت، فلما رأته جالسًا جلست عنده تستخبره عن ذلك الشخص، وما كان منه فأخبرها، ثم سألها عن الجارية، فقالت: صدق والله، كانت حاملًا لأبيك حتى أشرفت على الولادة فأصبحت يومًا من الأيام وقد مسح من بطنها كأنها لم تك حاملًا، ولم يظهر لذلك الحمل

(1) في (ع) رجل.
(2) العقود اللؤلؤية: 528.
(3) الدبوقة: الشعر المفتول المنسوج والمضفور (معجم).

أثر بعد ذلك، وعاشت بعد ذلك مدةً وهلكت، فلما كان اليوم الذي وعده بنصرته فيه، جمع السلطان أصحابه وخرجوا للقتال فأثروا في عدوهم أثرًا ظاهرًا على قلتهم وكثرة العدو، وما هو إلاَّ بقتال قوم آخرين، والله أعلم.

ولما كان العاشر من شوال[1]: هَمَّ المماليك برفع المحطَّة ونزول التّهائم، فتعب من ذلك ابن الدويدار فاجتمع بهم، وقبَّح فعلهم، فقالوا: نحن بلا جامكية فأعطاهم ألف دينار فاقتسموها وأقاموا.

وفي شوال المذكور: قَصَدت المعازبة[2] مدينة القَحْمة، فأخربوها وكانت إقطاع الشريف داود بن قاسم بن حمزة، فلما بلغه الخبر بخرابها، نزل ونزل معه جماعة من المماليك، فقتلوا من المعازبة طائفة، وتراجعت القَحْمة، وابتنى الناس فيها بيوتهم ومساكنهم، وكان السلطان قد أرسل الزعيم بمال جيد يستخدم به العساكر من الأشراف وغيرهم، فاستخدم عَسْكرًا جيدًا من الأشراف بني حمزة، وأشراف المخلاف السليماني، ونزل إليه ابن الأسد وابن الشوع وابن علاء الدين، فَعَيَّدوا عيد الأضحى في قرية المحالب، ثم ساروا، ولما علم بهم المماليك اجتمعوا وساروا نحوهم فالتقوا في ناحية الكدراء في الوادي المسمى جاحف المشهور[3]، وكانت الأشراف ومن معهم ألف فارس وثلاث مئة فارس ونحوًا من ألف راجل، فاقتتلوا هنالك قتالًا شديدًا، فقتل من كل طائفة طائفة، وانهزم المماليك بعد أن تضعضع صَفِّ الأشراف لولا ثبات علي بن موسى وقوله للأشراف: أين المهرب؟ وكانت الوقعة في النِّصف الأخير من ذي الحجة، وقتل من أعيان المماليك ثلاثة: السراجي وأربك الصارمي وأطنبا المحمودي، وكان يقال: إنه أشجع المماليك كلها، وأسر من أعيانهم القصري، والصارم بن ميكائيل، وابن الرياحي، وكان القصري من شجعانهم، ووقف به فرسه يومئذ فأسر، وهَمَّ الأشراف بقتله، فمنعهم الشريف علي بن موسى وقال: مثل هذا لا يقتل، ولو كان في أصحابه عشرون رجلًا مثله، ما قمنا في وجوههم ساعة واحدة. وأما أطنبا المحمودي فإنه قاتل قتالًا شديدًا فأصيب في يده اليمنى بضربة أبطلتها عن الحركة، فلما وقعت الهزيمة خرج على وجهه

(1) العقود اللؤلؤية: 529.

(2) المعازبة: من قبائل عك للتوسع في أخبارهم انظر «التمردات القبلية في عصر بني رسول» لطه حسين هديل: 193 ط دار الوفاق سنة 1433هـ.

(3) في (ع) وكان جاحف يوم مشهور.

في بلاد العرب[1] فعرفوه، وكان قد قتل في كل قبيلة من العرب، فقتلوه، ولما رجع المماليك بعد الهزيمة إلى زبيد أطلق الأشراف القصري بولد ابن علاء الدين، ووقف القصري في زبيد، ولما بلغ الخبر إلى تعز بهزيمة المماليك وقتل من قتل منهم، وكان منهم طائفة في محطة ابن الدويدار، على حصن تعز، فلم يقر لهم قرار فارتفعوا وتركوا ابن الدويدار فلم يستقر له قرار بعدهم، فارتفع في آخر ليلته، وكان ارتفاعهم ليلة العشرين من ذي الحجة المذكورة، فلما ارتفعت المحطة عن حصن تعز، رجع إلى السلطان جماعة من المماليك وحلفوا له على حسن الطاعة، ورجع إليه الغياث بن بوز، فقابله السلطان بالقبول، وسار ابن الدويدار في عسكره إلى لحج، فأقام بها أيامًا يجمع العساكر يريد أخذ عدن لنفسه، على كره من المجاهد والظاهر.

وفي سنة خمس وعشرين[2]: سار ابن الدويدار من لحج إلى عدن يريد أخذها وكان مسيره إليها في آخر صفر من السنة المذكورة، فحاصرها حصارًا شديدًا فخودع بالصُّلح، وكان ذلك بإشارة من السلطان، فلما تم الصلح قال: إني أريد دخول المدينة؟ فقال له الوالي – وهو ابن الصليحي – : البلد بلدك، ولكن المصلحة أن تدخل في جماعة من العقلاء ممن لا تحصل منه أذية على أهل البلد، فدخل في جماعة من أصحابه فأمسى تلك الليلة في أصحابه يشربون، فلما أصبح دخل الحمام، فبينا هو في المخلع إذ هجم عليه الوالي ومن معه في عسكر البلد[3] فقتلوه، وكان قتله يوم السابع من ربيع الأول من السنة المذكورة، وكان أخوه في المحطة خارج المدينة في بقية العسكر، فلما بلغهم الخبر بقتله خرجوا من المحطة هاربين، ولحق أخوه بالحصن الذي يسمى (منيف)، فأقام أيامًا فأخذته بطنه فهلك، ولما قتل ابن الدويدار جَهَّز ابن الصليحي عسكرًا إلى لحج فقبضها للسلطان.

وفي يوم العشرين من ربيع الأول[4]: توفي الملك المغيث داود بن الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر، وكان وفاته بقرية ضراس.

(1) العقود: بلاد المعازبة.
(2) العقود اللؤلؤية: 533.
(3) في (و) الليل.
(4) العقود اللؤلؤية: 534.

ولما نزلت المماليك – كما ذكرنا – أقاموا في قرية السلامة أيامًا، ثم توجهوا إلى زبيد، فلما دخلوا المدينة قصدوا بيت القَصْري، فرحب بهم، فقالوا: أمر مولانا السلطان الملك الظاهر أن تخرج من زبيد إلى إقطاعك، وأن الشهابي يكون والي البلد، وطرنطيه الهمداني مُشِدَّهَا وبهادار الصقري مشد المشدين، فقال لهم: السمع والطاعة، وأوجبهم من نفسه التجهيز والخروج عن زبيد، فلما افترق جمعهم طلب مشايخ العوارون وبذل لهم أربعة آلاف دينار، على أن يقبضوا له الصقري والشهابي، وطرنطيه الهمداني والشريف داود بن قاسم بن حمزة فقصدوهم إلى بيوتهم يوم الأربعاء الثاني عشر من ربيع الأول، فكان خلاصة الأمر أن الصقري والشهابي وطرنطيه الهمداني، ركبوا خيولهم وخرجوا عن البلد ولم يخرج الشريف داود، وكان واثقًا بالصقري، وكان في المدينة يومئذ السنبلي الكبير، فقصد العوارون بيته وجاؤوا به وبالشريف إلى الصقري فتركهما الصقري وأعفاهما عن الخروج عن البلد، وانتهبت العوارون بيوت المماليك الذين خرجوا نهبًا شنيعًا، وذلك يوم الخميس الثالث عشر من الشهر المذكور، وليلة الجمعة.

ولما أصبح يوم الجمعة[1]: وصل مشايخ العوارين إلى بيت الصقري وطلبوا منه المال الذي وعدهم به، وهو أربعة آلاف دينار، فقال له الشريف داود بن قاسم: ما كفى هؤلاء ما قد نهبوا من بيوتنا وبيوت أصحابنا وسائر العسكر؟ فطردهم الصقري وأغلظ لهم القول وتوعدهم، فلما سمعوا كلامه ذلك صاحوا صَيْحة عظيمة، وداروا حول بيته وأمطروا الحجارة عليه وعلى من معه، فأغلق باب بيته عنهم، وقاتلهم غلمانه ساعة من نهار، ثم ركبوا عليه البيت من قفاه، فلما رأى أنه لا طاقة له بهم ركب حصانه وركب أصحابه الذين كانوا معه، وقد لبسوا دروعهم وأخذوا ما يقدرون عليه، وخرجوا قاصدين نحو باب المدينة، وانتهب العوارون بيته، وبقية بيوت أصحابه يومئذ نهبًا شنيعًا، وكان في بيته مال جزيل.

قال علي بن الحسن الخزرجي[2]: سمعت والدي رحمه الله تعالى، يحدث قال: بينما نحن في الجامع يومئذ، والخطيب قد رقى المنبر ليخطب الناس ويصلي، إذ أقبل جماعة من العَوَّارين فدخلوا الجامع وسلاحهم معهم، وكان فيهم رجل يقال له: القعموص، وكان من

(1) السلوك 2: 587.

(2) العقود اللؤلؤية: 535.

شياطينهم، فقال: يا فقيه اخطب للملك المجاهد، فقال الخطيب: ما أحد أمرنا بهذا؟ قال: فهز القعموص الحربة التي في يده، فقال له: انظر ما في يدي، والله لئن لم تخطب للملك المجاهد لأسمرنَّك أو لترى ما تكره، أو ما هذا معناه، قال: فخطب للمجاهد وهم وقوف يسمعون وكان هذا يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول، قال: ولم يخطب بعد ذلك للظاهر على منبر من منابر تهامة(1).

وفي هذا التاريخ(2): وصل شمس الدين المفضل وقطب الدين الفائز من بيت الفقيه ابن عجيل، فدخلوا زبيد لما صارت لعمِّهم المجاهد، فأقاموا بها، ولما خرج المماليك من زبيد – على صفة ما ذكرنا – توجه جماعة من مقدَّمهم إلى الملك الناصر محمد ابن الملك الأشرف، وكان في قرية السلامة، فلازموه أن يقوم معهم ووعدوه من أنفسهم بحسن الطاعة والقيام بما يحب، فقصدوا زبيد يوم الأحد السادس عشر من ربيع الأول المذكور، فحطوا في البستان، وحاصروا زبيد أيامًا، وأهل زبيد يقاتلونهم كل يوم يخرجون إليهم، ثم إن المماليك في بعض الأيام استجروا أهل زبيد واستطردوا(3) بين أيديهم حتى أبعدوا بهم، ثم عطفوا عليهم فقتلوا منهم بضعة عشر رجلًا، وقيل: عشرين رجلًا، [ثم انتقل الناصر إلى التريبة فأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار إلى الكدراء وأقام بها أيامًا يجبي أموالها، ووصل إليه ابن علاء الدين وابن الأسد وغيرهما فحلفوا له على الطاعة والموافقة فجمع عسكره وقصد زبيد فخرج إليه شمس الدين المفضل في جماعة من العسكر إلى قرية فشال فاقتتلوا هنالك، فانهزم المفضل وقُتِلَ جماعة من أصحابه، وعاد شمس الدين إلى زبيد، ثم سار الناصر في عسكره إلى قرية التَّريبة، فأقام فيها أيامًا وزحف بعسكره على زبيد، فلم يظفروا بشيء، وقد قيل: إنهم في هذه الوقعة استجروا أهل زبيد وقتلوا منهم جماعة. والصحيح أن ذلك كان في المحطة الأولى، والله تعالى أعلم.

ثم إن الناصر بلغه أن الأكراد مخامرين عليه يريدون الغَدْر به، فانتقل إلى فشال فأقام نحوًا من شهرين وأمواله تنساق إليه، وكذلك أموال القَحْمة والكَدْراء، ثم قصد زبيد أيضًا يريد النخل ووعد أهله تحطيط الثلث من المكتَّب والواجبات السلطانية، وكذلك رعية الوادي،

(1) للتوسع في الفتنة الواقعة بين الظاهر والمجاهد انظر (الرسوليون وبنو طاهر: 187 – 199).
(2) السلوك 2:588 والعقود اللؤلؤية: 536.
(3) في (ع) طردوا.

وكان محطته في محل زريق بين المَسْلَب والنخل، وأما ما كان من أهل زبيد فإنهم لما أخرجوا المماليك - كما ذكرنا - وخطبوا للملك المجاهد في التاريخ المذكور، وعلموا أنهم لا طاقة لهم بحفظ المدينة إلا بعسكر جيد][1]، فكاتبوا السلطان إلى تعز وسألوه أن يرسل إليهم واليًا، وعسكرًا يحفظ المدينة، فأرسل إليهم حسين بن علي بن حسين واليًا وأرسل جماعة من الغز، ولم يزل يرسل العسكر جماعة بعد جماعة حتى اجتمع في زبيد نحو من مئتي فارس فيهم من الأمراء المشهورين: عبد النبي السودي والغياث بن بوز، وإبراهيم بن فيروز وطغشر وبيدرة فأقاموا بها.

وفي هذا التاريخ[2]: كتب الصقري إلى الملك المجاهد يطلب ذمة شاملة، ويبذل الطاعة من نفسه، فأجيب إلى سؤاله، فقدم على السلطان في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فحمل له السلطان أربعة أحمال طبلخاناة وخمسة أعلام، وأقطعه حيس.

وفي سلخ شهر ربيع الآخر[3]: احترقت قرية السلامة احتراقًا عظيمًا، وهلك في الحريق نحو من خمسين نفسًا من الآدميين ما خلا أصناف الدواب، وتلف فيها من الأموال ما لا يَنْحَصر، وكان غالب أموال الناس فيها.

وفي يوم العشرين من جمادى الأولى: وصل ابن الشوع من بلاده ذمار إلى السلطان فكساه وأنعم عليه، وحمل له أربعة أحمال طبلخاناة، وأربعة أعلام يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة. وفي آخر النهار المذكور: تقدم السلطان إلى الجَنَد فيمن معه من العسكر، ثم سار نحو الجؤة وألعب في ميدانها فانتهب العسكر قرية أم قريش قرية بني سلمة، لأنه بلغهم أنهم يتعصَّبون مع الظاهر، وكان رجوعه إلى تعز في سابع جمادى الآخرة.

وفي هذا التاريخ[4]: طلع مشايخ[5] العوارين إلى السلطان الملك المجاهد، فدخلوا عليه وقبَّلوا قدميه، وسألوه أن ينزل معهم إلى تهامة وعرفوه أنه إن لم ينزل فلا بلاد له ولا للظاهر، وأنه لا مصلحة له في الوقوف في تعز، فوافقهم إلى ما ذكروه، وكان تقدّمه يوم العاشر

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود.
(2) السلوك 2: 589 والعقود اللؤلؤية: 536.
(3) السلوك 2: 589 والعقود اللؤلؤية: 537.
(4) العقود اللؤلؤية: 537.
(5) العقود: جماعة من أهل زبيد.

من جمادى الآخرة، وكان طريقه على وادي النخلة فأمسى هنالك عند المغلسي، فأضافه المغلسي وأضاف العسكر جميعًا ضيافة جيدة، وحَمَل إلى السلطان عشرة آلاف دينار، ثم سار من عنده آخر الليل فدخل قرية السلامة صبح يوم الخميس الحادي عشر من الشهر المذكور، فأمر من فوره صائحًا يصيح للناس بالأمان والذمة الشاملة، فوصله غالب من فيها من الجُنْد كعباس بن عبد الجليل، وبوز بن حسن وغيرهما من المماليك، فأذم على الجميع وتقدَّموا تحت ركابه إلى زبيد فدخلها يوم الجمعة الثاني عشر، فحَطَّ في البستان الشرقي خارج المدينة، وكان الناصر في عسكره في محل زريق - كما ذكرنا - وفي ظَنِّهم أن السلطان لا ينزل من حصن تعز أبدًا، فلما كان يوم الخامس عشر عزم السلطان على قصدهم، ثم قَصَد طريق النخل، فأرسل الناصر وأصحابه رسلًا يحققون لهم الخبر، فوقفوا في أثناء الطريق بين الأشجار، فلما مر بهم السلطان أبصروه عيانًا وحققوه، فرجعوا إلى أصحابهم بالخبر أنه المجاهد لا شكوك فيه حقيقة، فانحلت عزيمتهم وافترقت كلمتهم، فحملوا أثقالهم وحَرَقوا محطتهم وساروا نحو السلامة، فالتزموا الفقيه علي بن أبي بكر الزيلعي صاحب السلامة، واستوثقوا منه بالجوار، ولما دخل السُّلطان النخل واستقر في الدار وصل إليه الأمير عز الدين قتادة بن إبراهيم، يسأله ذمة لابن علاء الدين ولبقية العسكر، فأذم عليهم السلطان، وسألهم عن الناصر وعن ابن طرنطاي فقالوا: لا نعلم أين توجهوا، فرجع السلطان من فوره إلى زبيد، وبلغه الخبر أن النَّاصر وأصحابه في قرية السلامة، فَجَهَّز السلطان ابن أخيه شمس الدين المفضل في قطعة من العسكر وجماعة من العَوَّارين، فقصدوا السلامة صبح يوم الخميس الثاني عشر من الشهر المذكور فأحاطوا ببيت الفقيه علي بن أبي بكر الزيلعي، ودخل شمس الدين المفضل إلى الفقيه وحضر الناصر وابن طرنطاي، فأعطاهم ذمة بخط السلطان وأن المهجم إقطاع الناصر والقحمة إقطاع ابن طرنطاي فقرأها الناصر[1] وناولها ابن طرنطاي، فلما قرأها قال: والله ما أقابله، ولا حاجة لي بإقطاع ولا غيره، فقال الناصر ابن الأشرف كذلك فلاطفهم المفضل فلم يقبلوا، فأشار إلى من عنده من العوارين أهل زبيد بقبض ابن طرنطاي فسحبوه سحبًا عنيفًا، فلما رأى ذلك الناصر بن الأشرف استسلما وأطاعا، فخرج بهم آخر يوم الخميس يريد بهم زبيد، فلما صار قريبًا من حيس، وقد دخل أول الليل عطف

(1) في (ع) السلطان.

بهم طريق تعز، فأمسوا سارين ليلة الجمعة، ويوم الجمعة وليلة السبت وصبَّح بهم تعز يوم السبت، وقد قيدهم في الطريق، فتلقاهم أوباش تعز يسبّونهم ويعيّرونهم تصريحًا وتعريضًا، ولما طلع بهم الحصن حبسهم، فأقام الناصر في الحصن إلى أن توفي ليلة الخميس غرة شهر رجب من السنة المذكورة، وقبر مع والده في المدرسة الأشرفية في مغربة تعز، وفي ذلك الأمر يقول الفقيه محمد بن منصور العامري[1] وفيها يقول: [من السريع]

وعـــارض يـحـدوا بـه راعـد ... يـحـنّ في الـجـو حنين الـلـقـاح
يـسـوقـه الـبـرق بـأسـواطـه ... إذا دنـا مـال عـلـيـه وصـاح

وفيها يقول:

لـمـا تـلاقـيـنـا وقـد أثـمـرت ... بالموت أطراف غصون الرماح
ولـلـمـنـايـا سُـحُـب مـاؤهـا ... يـجْري على حَدّ متون الصفاح
[سالت نفوس بين حدّ الظبا ... كالماء يجري بين خضر البطاح][2]
ومـضـمـرات الـخيل كَـرَّاتها ... كَـرَّات صب مبتلى بالملاح
فـأقـبـلـت خُـضْـرًا يـمـانـيـةً ... عُجاجها بالمِسْك والنَّد فاح
سـفـيـنـة تـحـمـل أثـقـالـهـا ... تمشي رويدًا مثل مشي الرّداح
بـلا ولـيّ أنـكـحـت نـفـسـها ... لا تنكح الهَيْجاء إلاَّ سفاح
ملاحها لا يشتهي وَصْلَهم ... وربّ وَصْل فيه حتف متاح

وهي قصيدة طويلة حسنة لم أقف منها إلا على هذا القدر.

[**قال علي بن الحسن الخزرجي**: حدثني من لا أتهم: أن السلطان الملك المجاهد لما نزل من تعز في تاريخه المذكور، ودخل قرية السلامة - كما ذكرنا - اجتمع بالفقيه علي بن أبي بكر الزيلعي صاحب قرية السلامة، قال له: يا سيدنا إنما جعلت الزوايا لمن أقلع عن الخطايا، وأما من يرتبط فرسًا ويركز رمحًا ويعلق سيفًا وينتظر داعيًا من دواعي الفساد فإنه لا

---

(1) في (ع) العاري.
(2) سقط من (ع).

يجار، وهذه ذمتي لمن أحب خدمتي، وأنت الكفيل عني، وكل من كره الخدمة فهو مفسد، فإن كنت تريد صلاح الأمة وحقن دماء المسلمين فلا تُجْر مفسدًا، فإني لا أتركهم وإن منعتني منهم، فلا تصح سلطنة لي ولا للظاهر، فإن هؤلاء عسكر فساد لا عسكر جهاد. قال: فعند ذلك أخذ منه موثقًا بالوفاء لمن أطاع وأذن له في متابعة المفسدين][1].

قال الجندي[2]: وفي هذا التاريخ قدم المبشرون على السلطان بوصول الغارة إليه من الدِّيار المصرية، فوقف السلطان لهم في زبيد حتى قدموا عليه، وكان وصولهم زبيد يوم الأحد السابع عشر من رجب من السنة المذكورة، وكانوا ألفي فارس وألفي راجل، فيهم أربعة أمراء، والمعول على اثنين منهم وهما: الأمير سيف الدين بيبرس، والأمير جمال الدين طيلان وكان معهم اثنان وعشرون ألف جمل تحمل عددهم وأزوادهم.

فلما شارفوا المدينة خرج السلطان في لقائهم في عسكره وخاصته، فلما دنوا منه ترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه، وساروا في خدمته ساعة، وكانوا قد أمروا الفراشين أن يضربوا خيمة، فلما قربوا من الخَيْمة سألوه المسير معهم فأخرجوا صندوقًا فيه عمامة بعذبتين وخلعة فاخرة فألبسوه الخلعة والعمامة وأخبروه أن السلطان محمد بن قلاوون تعمم هذه بيده ووضعها في ذلك الصندوق مع تلك الخلعة وأمرهم ألا يفتحوه إلا عند اجتماعهم بالسلطان، وأن يلبسوه الخلعة والعمامة.

فلما لبس الخلعة والعمامة ركب وساروا بين يديه إلى باب المدينة فحطوا على باب الشبارق خارج المدينة من الناحية الشرقية، ثم لم يلبث السلطان أن طلع حصن تعز في معظم العسكر وتخلف عسكر مصر بأسره، إذ لا تسعهم الطريق إذا ساروا فيها دفعة واحدة، فدخل السلطان تعز يوم الخامس والعشرين من رجب وتبعه العسكر المصري، فلما دخلوا تعز عاثوا فيها وانتشروا إلى الجَنَد ونواحيها من الجهة الشرقية، وفيهم من بلغ خَدِير من الجهة اليمنية، ومنهم من بلغ سهفنة من الجهة القِبْلية، وكانوا لا يجدون طعامًا إلا أخذوه ببخس الثمن غالبًا، وانتهبوا بيوتًا كثيرةً وعدم الطعام فجلب من البعد وارتفعت الأسعار وضاقت البلاد على أهلها ضيقًا شديدًا، وضربوا كثيرًا من الناس حتى قتلوهم تحت الضرب الشديد

(1) زيادة لا توجد في (ع).

(2) السلوك 2: 593 وتاريخ ابن الجزري: 856 (بآخر العقود اللؤلؤية) والسلوك للمقريزي 3: 82 ط. العلمية.

ونهبوا قرية عقاقة وسبوا حريمها وباعوهن كما يباع الرقيق، وَقَطَعوا جميع زَرْع تعز ونواحيها.

وفي مدة إقامتهم في تعز تقدم جماعة منهم إلى الملك الظاهر صاحب الدملؤة بكتب وصلوا بها من صاحب مصر إلى الملك الظاهر، وهو يعذله عن الخروج عن السلطان ويأمره بحسن الطاعة له، وأنه إن لم يرجع عن فعله عوقب، فلما قرأ الكتاب الذي وصلوا به، أخرج لهم مساطير قد كتبت له أنه أَصْلَحَ للملك من المجاهد وأعطاهم ذهبًا كثيرًا وحرَّضَهم على قبض المجاهد، ووعدهم من نفسه بما أرضاهم فأجابوه إلى ما طلب، فأقاموا عنده نحو ثمانية أيام.

فلما رجعوا إلى تعز عزموا على قَبْض السلطان، فوصلوا إلى دار الشجرة بأجمعهم واستأذنوا على السلطان فاعتذر عن مواجهتهم بأنه في الحمام، وخرج [من باب](1) السر لفوره، وطلع إلى الحصن وكتب إلى المقَدَّمين فيهم الأمير سيف الدين بيبرس وطيلان قد بلغ شكركما، وانقضت الحاجة بكما، وهذا خَطُّنا بأيديكما يشهد لكما بقضاء الحاجة، فأقاموا إلى غرة شعبان وعزموا على السفر بعد أن قصدوا ناحية من صَبِرٍ فقاتلهم أهلها وقتل منهم نحو من أربعين رجلًا وعادوا مكسورين، ثم إنهم قبضوا الصقري ووسطوه وعلقوه على أثلة في السوق، ثم قبضوا الغياث بن بوز وساروا به تحت الحفظ فراجعهم السلطان فيه وبذل لهم مالًا جزيلًا فلم يقبلوا، فلما نزلوا تهامة نهبوا كثيرًا من القرى وحيل بينهم وبين دخول زبيد فحطوا خارجها، وكان السلطان قد ولى زبيد نجم الدين بن الخرتبرتي وعزل ابن حسين وأمر بحبسه، فلما حَطَّ العسكر المصري على باب زبيد خرجت إليهم امرأته وبذلت لهم مالًا جزيلًا على استنقاذه من الحبس، فسعوا فيه إلى الأمير نجم الدين فأخرجه من السجن وأرسل به إليهم، فأطلقوه من القيد وسار معهم، فلما صار قريبًا من شجينة دخلها وسار العسكر المصري، فلما دخلوا حرض فقدوا ابن حسين فلم يجدوه، وكانوا قد ساروا بالغياث معهم مقيدًا فوسطوه في حرض وساروا متوجهين في طريقهم، وكان السلطان قد أرسل بعدهم ليفتدي الغياث منهم بما طلبوا ولو بنصف خراج اليمن، فلم يقبلوا، وقيل: إن الزعيم لم يزل يغريهم به حتى قتلوه، والله أعلم.

(1) سقط من (و) وقوله باب السر لعله يعني الباب السري في القصر الذي يخرج منه الملك دون أن يشعر به الناس.

ولما[1] انفصل العسكر المصري من تعز في أول شعبان - كما ذكرنا - خرج السُّلطان إلى الجَنَد وخرج معه الأمير شمس الدين يوسف بن البدر، وابن الشوع، وابن شكر، وابن وهيب، ثم خرج من الجَنَد قاصدًا عدن، فلما بلغ إلى لحج لقيه ناصر الدين بمئتي فارس، ثم لقيه علي بن الدويدار بمئتي فارس أيضًا، ودخلوا على السلطان فكساهم وخلع عليهم، وخلع على جماعة من الجحافل، وخلع على الغز، وكان ذلك في النصف من شعبان.

ولما كان ليلة الخامس عشر: صلى مع الناس في الجامع بالرّعارع ثم ركب في آخر ليله نحو عدن، فحط في مسجد المباه، ثم أمر العسكر بالزحف على عدن، فخرج عليه فخرج عسكر عدن فقاتلوا قتالًا شديدًا على قِلَّتهم، وقتل من عسكر السلطان ثلاثة من خيار الشفاليت: فتشوش السلطان من العسكر الواصلين إليه، لكونهم لم يَنْصَحوا، وربما أنهم هَمُّوا فيه بسوء، فأمر السلطان بلزم ابن الدويدار، وابن أخيه وأستاذ داره الذي يسمى بالمعز وابن بن بكتوت، وأمر بتقييدهم والاحتفاظ بهم، وأمر السلطان بقبض حصن ابن الدويدار المسمى حصن عراف[2]، واستولى على ما فيه وهو قريب من الشحر، وأقام السلطان في المحطة على عدن سبعة أيام، ثم انتقل إلى الأخبَّة فحط في بستانها ثمانية أيام، فلم يتفق له في عدن ما يريد، فارتحل إلى زبيد على طريق السَّاحل وارتفعت المحطة عن عدن، فلما بلغ العارة أمر بتغريق ابن بكتوت، وكان دخول السلطان زبيد في أثناء شهر رمضان، فلما استقر السلطان في زبيد أمر الطواشي إلى تعز لينزل الطبلخاناة وجميع آلة العيد وطلع بمرسوم بشنق ابن طرنطاي فشنق في موضع محطته التي حَطَّ فيها لحصار السلطان، وأقام مشنوقًا هنالك حتى أكلت منه الكلاب، ثم أنزل وقبر بعد أربعة أيام أو خمسة أيام، [ولما علم الملك الظاهر بارتفاع السلطان من محطته عدن نزل من الدملؤة إلى عدن وكان نزوله يوم الإثنين منتصف شهر رمضان فدخل عدن يوم الأربعاء السابع عشر منه، ومعه نحو من خمسين أو ستين فارسًا من البحرية.

وقال الجَنَدِي[3]: أخبرني من رآه عند دخوله عدن، وأن الذين معه أحد عشر فارسًا، ثم وصله عسكر بعد ذلك من أهل ذمار نحو من مئة وثمانين فارسًا، فمنعهم الوالي وهو ابن

---

(1) السلوك 2: 595.

(2) كذا في الأصل ولعله عَرَفَ بلد بالقرب من الشجر.

(3) السلوك 2: 597.

الصليحي فدخل مقدمهم في جماعة يسيرة، ولم يزل يدخل أصحابه حتى اجتمع معه منهم نحو من خمسين فارسًا، فلزموا ابن الصليحي وحبسوه أيامًا قلائل، ثم خنق في الحبس، خنقه خدام الملك الظاهر][1]، ولما عَيَّد السلطان عيد الفطر في زبيد خرج في عسكره إلى بلد المعازبة [وحرقها، ونهبها نهبا شديدًا، وقتل منهم جماعة، ومات علي بن الدويدار في فشال في خروج السلطان إلى بلد المعازبة]، ومات المعز أستاذ داره في المدبي وقد حَطَّ السلطان على نخل المدبي، وأمر بقطعه لفساد أهله، ولما رجع السلطان لقيه الزعيم في فشال، وكان الزعيم في القَحْمة[2] من تقدمه مع العسكر المصري، فلما استقر السلطان في زبيد أقطع ابن شكر حيس وموزع، وأقطع ابن أخيه المفضل المهجم، فتقدم إليها، فلما مَرَّ بالكدراء لقيه ابن حسين، وكان والي الكدراء يومئذ فقبضه قبضة شنيعة بأمر السلطان، ثم تَقَدَّم به إلى المهجم فضربه ضربًا مبرحًا، وعذبه بأنواع العذاب، ثم بعد ذلك وسطه واحتز رأسه، وطيف برأسه غير مذكور بخير ولا مترحّم عليه، كما قال الجندي[3]، رحمه الله تعالى.

وفي النصف من ذي القعدة[4]: تقدم القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن إلى الديار المصرية بهدية سنية وكان مسيرها في البحر من ساحل زبيد.

وفي سنة ست وعشرين[5]: تقدم الركاب العالي من زبيد إلى تعز فكان دخوله تعز يوم الأحد الثاني من المحرم في عسكر ضليع[6]، فطلع معه الزعيم فحط في بستان الشجرة، وكان

---

(1) سقط من العقود.

(2) في (ع) الشام وفي العقود في فشال.

(3) السلوك 2: 598.

(4) السلوك 2: 598 والعقود اللؤلؤية: 544.

(5) السلوك 2: 599 والعقود اللؤلؤية: 548.

(6) وفي هذا المقدم يقول ابن فليته في قصيدة يمدح فيها المجاهد:

بـأبـرك سـاعـة وأجـل عـزًّا ... جعلت قـرار ملككم تَـعِـزًّا

قضى لعداك ربك أن يَـذِلُّوا ... بعزك إن قضى لك إن تَعِزًّا

ويقول:

بوجهك إذ حللت تعز عزًّا ... فشمس الأفق قد حسرت تعزا

حللت ذراه في عز فأضحى ... يتيه على بروح العز عزا

(ديوان ابن فليته ورقة: 34).

أول من لقيه الأمير عز الدين صالح نائبه في الحصن بنحو مئة وخمسين رجالًا، فأقام في دار الشجرة تسعة أيام فخرج الزعيم في عشية من العشايا يسير، فبينا هو يلعب على فرسه إذ اصطدم هو وفارس آخر فسقط الزعيم عن ظهر حصانه سقطة شنيعة غاب منها حسه ساعة، فلما أفاق حمل إلى داره على بغلة، ومعه من يشده عليها، ثم انتقل السلطان من دار الشجرة إلى الحَبِيْل يوم الحادي عشر من صفر فأقام إلى يوم الرابع عشر، ثم تقدم الجَنَد فأقام بالجَنَد يومًا - أو يومين - ثم أمر ابن شكر أن يتقدم تهامة يقف بها حافظًا، فتقدم من الجَنَد، ولما تقدم ابن شكر إلى تهامة ليقف فيها تقدم السلطان إلى عدن، فكان خروجه من الجَنَد يوم التاسع عشر من الشهر المذكور، فمر في بلد الأعمور فحصل بينهم وبين العسكر قتال بسبب الزرع وأسر أربعة، وسار السلطان فوصل الأخبة يوم الثالث والعشرين من صفر المذكور، ثم غزا المباه يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور، وكان في المباه عسكر من قبل الظاهر فحصل بين العسكرين قتال شديد، فانكسر العسكر الظاهري، وقتل منهم نحو من سبعين رجلًا، ولما انهزم العسكر الظاهري منعهم الظاهر من دخول عدن، فوقفوا في المباه وهي قرية صغيرة خارج عدن، وقتل من عسكر السلطان أربعة نفر، أحدهم أبو بكر بن حمزة أحد الشاوَشيَّة[1]، ثم أقام السلطان ستة أيام وحصل حرب آخر فقتل من عسكر السلطان عربان[2]، ولزم ابن أخي ابن الشوع، فلما علم السُّلطان بلزم ابن أخي ابن الشوع، غلب على ظنه أن الأكراد غير ناصحين، وكان الناس قد تَحَدَّثوا بذلك، فرجع إلى الأخبة فأقام بها نحوًا من نصف شهر، ثم غزا إلى جبل حَدِيد، فخرج إليه عسكر عدن، فحصل بينهم حَرْب شديد، وقاتلت الشَّفاليت قتالًا شديدًا، وظهر نصحهم، ونصح معهم الملك المظفر[3]، وداود بن عمر بن سهيل، والأسد بن صالح، وجماعة من أصحاب الزعيم، وصاح أهل عدن للشفاليت بالطيب والبقاء وشتموا الغز شَتْمًا قبيحًا، ورجع السُّلطان إلى الأخبة.

ولما كان يوم الثامن من شهر ربيع الآخر: قَبَض مكتَّب[4] لابن الأسد يريد عدن، فأخذت

---

(1) الشاوشية: هم جنود وظيفتهم السير مع السلطان (صبح الأعشى 4: 47).

(2) في (ع) حربان وفي العقود: فرسان ولعل الصواب: غزيان مثنى غزي.

(3) العقود: 549 (المفضل).

(4) المكتب بتشديد التاء حامل الكتب أو الرسائل (ساعي البريد).

الكتب وفضَّت، وإذا فيها: أنه واصل هو والإمام محمد بن مطهر[1] في ألف فارس واثني عشر ألف راجل، فأرجف المرجفون بذلك فاضطربت المحطَّة وكثر الكلام من الأكراد، وهم غالب العسكر، فتأيَّد السلطان فظهر له أنهم غير ناصحين، فخشي البيعة، فأمر برفع المحطة وركب سائرًا إلى تعز على فوره[2]، وكان دخوله الجَنَد يوم الخميس لنيف وعشرين ليلة من شهر ربيع الآخر وقصد مسجد صرب فبات فيه ليلته تلك، وأقام في الجَنَد نحوًا من اثني عشر يومًا، ثم تقدم تعز يوم الثلاثاء الخامس من جمادى الأولى فأقام في دار الشَّجرة، ثم تقَدَّم إلى بلاد العوادر يوم الثامن عشر وقتل منهم جماعة وعاد إلى تعز.

وقدم عليه الملك الفائز وابن شكر من تهامة، فمر على بلد بني الشيباني[3] فأخربها خرابًا شنيعًا، ثم دخلا تعز في آخر جمادى الأولى، فأقام ابن شكر أيامًا، ورجع إلى إقطاعه بتهامة.

وفي شهر جمادى الآخرة[4]: خرج الظاهر من عدن، وجميع من معه من العسكر إلى لحج، وقد كان وصله الإمام وابن الأسد في مئتي فارس، فسار الإمام وابن الأسد طريق صهيب وسار الظاهر، طريق الخبت، ومعه من أهل إب نحو من ستين فارسًا، فلما وصلوا ناحية جرانع خرج إليهم بعض أهل جرانع، وأطمعوهم في حصن الظفر، فأغاروا جميعًا على ناحية الظفر، فلم يحصلوا على طائل، وكتب أهل الظفر إلى السُّلطان لفورهم يخبرونه بما هم فيه، فخرج السلطان مسرعًا إليهم، فما علم أهل جرانع حتى هَجَم السلطان عليهم، فلما علموا بوصول السلطان اهتزموا هزيمة شنيعة، ونهبت بلادهم نهبًا عظيمًا، وقتل منهم جماعة، وقتل من بني فيروز أصحاب إب جماعة، وأسر آخرون، وهرب الظاهر بنفسه إلى حصن السَّمدان، فأقام فيه، ولما ظفر السلطان بأهل جرانع رفعوا أصواتهم بالتهليل، وسألوا من السلطان الذمة، فأذم عليهم ووصل جماعة من أعيانهم، فأمر بحبسهم، ثم أخذ السلطان حصن الشرف وولَّى فيه واليًا من جهته ونقيبًا وخادمًا.

---

(1) يلاحظ هنا أن الأئمة في اليمن كانوا دائما عاملًا في إذكاء الفتن وتأجيجها، خاصة إذا كانت بين أهل السنة.

(2) في (و) توئدة.

(3) العقود: السبائي.

(4) السلوك 1: 602.

وفي شهر شعبان من السنة المذكورة[1]: نزل السلطان إلى زبيد فأوقع بالعوَّارين وكانوا قد أمعنوا[2] وظهر من بعضهم سوء أدب وطعن في السّلطنة، فقبض شيخهم محمد الدعيسي وجماعة آخرين، فشنق منهم جماعة وقتل آخرين بالسيف، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر شعبان، وصام السلطان شهر رمضان في زبيد وعيد عيد الفطر بها.

وكان السلطان قد أقطع ابن أخيه الملك الفائز[3] حصن حرض، فبلغه عنه أنه خرج عن الطاعة فسار إليه من زبيد، وكان خروجه إليه يوم السبت العشرين من شوال، ولم يزل يتلطف به حتى انتزعه من حرض، ولما سار السلطان من زبيد يريد حرض - كما ذكرنا - وخليت المدينة من العسكر، اجتمع جماعة من العوارين الذين هربوا من السلطان، فهجموا المدينة ليلة الخميس الثامن والعشرين من شوال، وكان شيخهم أحمد بن الأسد وهو أخو الدعيسي، وكان الوالي يومئذ في زبيد الركن بن العنقاء، فهرب من العوارين خوفًا على نفسه ظَنًّا منه أن أهل المدينة كلهم على كلمة واحدة في الخلاف، فاجتمع معظم أهل المدينة في ليلتهم، وساروا بأجمعهم في طلب المفسدين فأمسكوا منهم جماعة وشنقوهم على باب الأمير، ومسك الشيخ أحمد بن الأسد في طائفة آخرين وحبسوهم حتى وصل الأمير، فتولى أمرهم، فشنق بعضهم وكحل آخرين، وكان رجوع السلطان من حرض في العشر الأولى من شهر ذي القعدة.

وفي هذا التاريخ[4]: قدم ابن مؤمن من الديار المصرية، وكان وصوله زبيد يوم الإثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة، وعَيَّد السلطان عيد الأضحى في زبيد، ثم حصل عليه بعض وعك فطلع [تعز][5] في آخر ذي الحجة، ومَنَّ الله تعالى بعافيته.

وفي سنة سبع وعشرين[6]: طلع السلطان حصن التعكر وكان طلوعه إليه يوم الأحد الخامس من المحرم.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 55.

(2) يعني أمعنوا في التمرد والعصيان.

(3) هو قطب الدين أبو بكر بن حسن بن المؤيد.

(4) السلوك 2: 603 والعقود اللؤلؤية: 551.

(5) زيادة من العقود.

(6) السلوك للجندي 2: 603 والعقود اللؤلؤية: 551.

وفي يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى: أخذت منصورة الدملؤة بمساعدة من مرتبيها، وجعل فيها عسكر من جهة السلطان.

وفي هذا التاريخ[1]: جرَّد السلطان عسكرًا جيدًا لفتح الجبل صحبة الأمير شجاع الدين الزعيم والقاضي جمال الدين محمد بن مؤمن وابن الشوع وعسكرًا جيدًا من مَذْحَج، وقيل: كان مَقْدمهم يوم التاسع من جمادى الآخرة، فلم يتم لهم ما يريدون، قيل: كان السبب في ذلك مكاتبة ولد الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي لهم إلى القبائل ينكِّفهم وأفسد جماعة من أهل جبلة، ولما لم يَتّفق فَتْح الجبل نَزَل العسكر المجردون بطلب من السلطان، وأقام في تعز إلى شهر رمضان.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان[2]: تقدم السلطان إلى ناحية عدن فلم يزل سائرًا حتى حَطَّ بالأخبة، ونزل معه الزعيم وكان يومئذ أتابك العسكر، وكان مشكور التدبير حسن الثناء، يعمل في كل يوم سماطين بكرة وعشية لذوي الحاجة من العسكر، وذلك في وقت قد عَزَّ فيه الطعام، وقَلَّ وجوده، ولم يزل السلطان يغزو عدن ويخرج أهلها يقاتلونهم، وكانت الحَرْب بينهم سجالًا، وظهر من الحمراني وجماعة من المماليك أولاد تعز سفه باللسان على السلطان وسوء أدب.

ولما دخل شهر ذي الحجة: أمر السلطان على القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن بالتَّقدم إلى تهامة، وصحبه القاضي جمال الدين محمد بن مفضل لجباية الأموال، أموال الجهات بتهامة، وحثّهما على ذلك ليأتيانه بما يستعين به على ما هو فيه من المحطة على عدن، فسارا إلى زبيد، ثم تقدم ابن مفضل لجباية الأموال في الجهات الشامية، وأقام ابن مؤمن في زبيد ينتظره.

وفي سنة ثمان وعشرين[3]: سار ابن المفضل إلى الجهات الشامية فساق منها مالاً جزيلاً، وظهر منه نصح تام في سياقة الأموال ومصادرة العمال.

(1) السلوك 2: 603.

(2) السلوك 2: 603.

(3) السلوك 2: 603.

وفي شهر المحرم من السنة المذكورة[1]: جَهَّز الملك الظاهر المماليك المخالفين معه صحبة ابن عبد المجيد[2] إلى تهامة، فحَطُّوا خارج المدينة، فخرج إليهم ابن مؤمن وقاتلهم بمن معه من العسكر فهزمهم بعد أن قتل من كل طائفة طائفة، وكان ذلك في النصف من صفر، فرجع المماليك إلى السَّمدان ومعهم الغياث بن الشيباني[3]، فأخرب ونهب وقتل في جهة جبأ، ثم نزل موزع فصولح بشيء ثم عاد إلى بلده.

وفي أوائل صفر في ثانيه أو ثالثه[4]: باع رتبة الدملؤة الحصن بستة آلاف دينار، فبادرت الآدر الكريمة والدة السلطان بإرسال المال المذكور نقدًا وأرسلت بخلع وكساو صحبة الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني، فسلم المال والخلع والكساوي.

وكان في الحصن يومئذ نور الدين وولد له صغير، ووالدة الظاهر، وبنت المنصور أخت الظاهر فأرسل لهم السلطان الأمير طلحة ابن أخت الزعيم وكان أميرًا شهمًا، فلما وصل المنصورة أنزلوا إليه، فسار بهم تحت الحفظ إلى تعز، فجعلوا في دار الإمارة من حصن تعز، وقَيَّد رجالهم، والسلطان في محطته بعدن.

وفي أواخر شهر صفر المذكور[5]: خرج بعض مرتبي عدن من يافع إلى الأخبة فاجتمع بالسلطان، وقرر معه كلامًا وأخذ جمعًا من الشفاليت، وطلع بهم من جهة التعكر ليلًا.

فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر المذكور[6]: زَحَف السلطان على عدن، فخرج أهلها لحربه على عادتهم، فخرج عليهم العسكر المجاهدي من ورائهم، وهم الذين طلعوا ليلًا بالسّلاح، وصاحوا باسم السلطان، ففشل أهل عدن، وفتحوا الباب ودَخَلَ الزعيم، والملك المفضل بعد الظهر، ودخل السلطان بعد العشاء من ليلة الجمعة الرابع والعشرين على حساب[7] فبات في التعكر، ولما أصبح يوم الجمعة نزل السلطان من التعكر

(1) السلوك 2: 604.

(2) هو صاحب كتاب بهجة الزمن الذي ينقل عنه المؤلف.

(3) السلوك: السبائي.

(4) السلوك 2: 604.

(5) السلوك 2: 605.

(6) السلوك 2: 605 وبنو رسول وبنو طاهر: 198.

(7) يعني على حساب الفلكيين والمنجمين حسب زعمهم، وكان الملوك والزعماء يؤمنون في ذلك الوقت بتلك الترهات، وكان للمنجمين صولة وجولة منهم صاحب كتاب الظاهري الذي قمنا بنشره منذ مدة.

وسار إلى الخضراء على طريق الدرب[1].

وفي يوم السبت[2]: استدعى بجماعة من الشفاليت والمماليك الظاهرية وبالرهائن الذي من الشوافي وبعدان وذمار، فأمر بقتل جماعة من الشفاليت، وجماعة من المماليك والحمراني، ومولّد اسمه الشعوبي، والشهابي، والهمداني، ونزلوا بالرهائن والوالي والناظر، وكان الوالي ابن أيبك المسعودي والناظر محمد بن الموفق، جميعهم في سلسلة واحدة.

فلما كان يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول: شنق الوالي، والناظر، وكَحَّل من الرجل جمع كثير، منهم: الشريف من أهل عكار، وأبناءِ عطاف من أهل صنعاء، وابن ياقوت من عكار أيضًا، وقاسم الدلال، وابن بلال الجَنَدي، وغَرَّق جماعة، منهم: الجرباني والزمعري ولؤلؤ كلابري، وبهادر يحيى[3] وبكتمر[4] زيدي وبهادر أشرفي، وأقام السلطان في عدن إلى يوم العشرين من جمادى الأولى، ثم خرج من عدن، فدخل الدملؤة مستهل جمادى الأخرى، وأقام بها نحوًا من نصف شهر، ثم نزل إلى الجؤة فتوقف فيها أيامًا، ثم سار إلى الجَنَد فدخلها آخر يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور[5]: قَصَد المعازبة حافة الودن[6] من زبيد في جمع كثير، فقتلوا ابن بلبال[7] والأمير سيف الدين طغشر وهو أجود[8] المماليك البحرية،

---

(1) وفي دخول المجاهد عدن يقول ابن فليته:

الحمد لله هذا السول والوطر — **فضلا من الله صَفْوًا ما به كدر**

وفيها:

وقد بدت منك أنوار على عدن — **يكاد يبصرها من لا له بصر**

إن أجدب الخلق أنت الغيث منهمر — **وأظلم الدهر أنت الشمس والقمر**

انظر ديوان ابن فليته (مخطوط) لوحة: 29.

(2) السلوك 2: 605.

(3) في (ع) بهادر كتبي وفي مطبوعة السلوك 2: 306 وبهادركني.

(4) في (ع) بليم زيدي وفي مطبوعة السلوك خلطه مع الذي قبله ركني رندي.

(5) السلوك 2: 606 وانظر التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية لطه حسين هديل: 195.

(6) حافة الودن: تقع خارج باب القرتب من مدينة زبيد كان بها قصر وبستان (زبيد للحضرمي: 20).

(7) في (و) باسك.

(8) في (و) أحد.

وكان شجاعًا مقدامًا، فلما وصل العلم إلى السلطان بذلك استدعى بولد الحبيس المعزبي وكان رهينة وقيل: مسجونًا في سجن تعز، فأمر به فوسط يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور[1].

ووصل الأمير عز الدين صالح بن ناجي يوم الخميس غرة شهر رجب في عسكر جَيِّد، وأعلام وطبلخاناة، وساعة قدومه دخل على السلطان قصر الجَنَد وقدم فرسًا وهدايا أخرى، وكان من أحسن الواصلين وساطة بين السلطان والناس، وكان لا يزال سماطه ممدودًا كل يوم يأكل منه كل أحد يقصده، فلما كان ليلة الثامن من الشهر المذكور: سرق من خيمته مال وقماش له قدر.

وفي مستهل شعبان[2]: جَرَّد السلطان جريدة مقدمها ابن ظاهر وايدغدي[3] محمد وبعد ذلك بأيام قلائل وصل حسن[4] بن الأسد من ذمار؛ وصحبته هدايا للسلطان وفيها خيل جياد، وفي جملتها فرس لا نظير له، طوله ثمانية أشبار بالتحقيق.

وفي يوم الثامن من شهر شعبان[5]: خالف الأمير عز الدين صالح في حصن تعز، وكان نائب السلطان هنالك، فأخرج الخدام الذين في الحصن، وأمر بنهب بيت الزعيم وبيت ابن مؤمن والمدرسة الرشيدية[6]، وكان فيها أموال كثيرة من التجار، واحتج أنها لابن مؤمن، ثم إنه كاتب السلطان واعتذر مما فعل، فتقدم إليه الطواشي صفي الدين جوهر وهو يومئذ زمام الباب الشريف، وكان تقدمه إليه آخر يوم الجمعة الثامن من الشهر المذكور، وتقدمت معه امرأة تعرف بالدادوة، وشرعا في الصّلح، وسأل ذمة فعاد الطواشي مخبرًا بذلك.

---

(1) السلوك 2: 606 والعقود اللؤلؤية: 556.

(2) السلوك 2: 607.

(3) في (ع) وايد عربي، وفي مطبوعة السلوك: 608 ابدعه (خطأ)، قلت: أيدغدي من أسماء المماليك بمصر في ذلك الوقت. انظر: ايدغدي التيليي (الدرر الكامنة 1: 425)، وايد غدي الخوارزمي (الدرر الكامنة 1: 425)، وايد غدي الشهرزوري (الدرر الكامنة 1: 452) والسلوك للمقريزي 2: 430 و447 و460 وغيرهم. وفي اليمن منهم بدر الدين ايدغدي (نور المعارف 2: 126).

(4) هو الحسن بن محمد بن الحسن الرسولي.

(5) السلوك 2: 608.

(6) في (و) المدينة، وسقط لفظ الرشيدية من (ع) والمدرسة الرشيدية من مدارس تعز. انظر المدارس الإسلامية: 31.

فلما كان يوم الإثنين الحادي عشر من الشهر المذكور[1]: أرسل بولده الأسد بن صالح وسار معه فقهاء تعز المدرسون والحاكم[2]، وكان رأس الفقهاء يومئذ أبو بكر بن جبريل[3]، فقصدوا باب السلطان فأذن لهم في الحضور، وقابلهم السلطان أحسن مقابلة وعرضوا عليه قصصًا[4] أجاب عليها جوابات شافية، وخرجوا من عنده داعين شاكرين، ورجع الفقهاء إلى تعز يوم الثلاثاء بذمة للأمير عز الدين المذكور.

وفي يوم الخميس الرابع عشر من الشهر المذكور[5]: وصل القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن من عدن بخزانة جَيِّدة نقدًا وعرضًا[6].

فلما كان يوم السبت السادس عشر من الشهر المذكور[7]: وصل الأمير عز الدين صالح إلى الجَنَد [بعد أن نقل ما كان له في الحصن إلى بيته][8]، ووصل صحبة الفقهاء الذين أتوه بالذِّمة فدخلوا على السلطان فكان حضورهم هذا دون حضورهم الأول في كل الأحوال، وكان من السلطان كلام كثير في معنى العتاب، وحَضَر ابن مؤمن والزعيم فعتبا على الأمير صالح وأوجداه طيبة قلوبهما، وفي حال الحضور أمر السلطان على الطواشي كافور الوَزَّان أن يتقدم إلى تعز لقبض الحصن فتقدم لفوره وخرج الفقهاء من عند السلطان ورجعوا إلى تعز.

فلما كان يوم الأربعاء العشرين من شعبان المذكور[9]: خرج الزعيم، ومعه السنبلي وقصدوا بيت القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن، وكان يومئذ شاك فدخلا عليه فوقفا عنده ساعة، ثم رجعا إلى بيوتهما.

فلما كان العصر من ذلك اليوم[10]: ركب السلطان في جماعة من العسكر وأشعر على

(1) السلوك 2: 608.

(2) اسمه في السلوك 2: 608 والعقود: 557 (محمد بن عمر بن عبد الله).

(3) هو أبو بكر بن جبريل بن أوسام الجبرتي العدلي من قبيلة تعرف بالعدل من السودان، توفي سنة 741هـ. انظر السلوك 2: 132 والعطايا السنية: 95 وطراز أعلام الزمن: 2367.

(4) يعني أوراقا وعرائض تحكي طلبات وشكاوى بعض الرعية.

(5) السلوك 2: 608 والعقود اللؤلؤية: 557.

(6) العروض: الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن (المصباح المنير: 404).

(7) السلوك 2: 608 والعقود اللؤلؤية: 557.

(8) زيادة لا توجد في العقود.

(9) السلوك 2: 609.

(10) السلوك 2: 609 والعقود اللؤلؤية: 558.

الباقين بالركوب، فخرجوا إلى الميدان، وطلب الأمير عز الدين صالح وولده فخرجا من جملة العسكر، وكان السُّلطان يسير في الميدان هو وجماعة من خواصه وباقي العسكر وقوف، فلما وصل الأمير عز الدين صالح وولده وقفا في طرف الميدان من جملة العسكر، فبرز إليهما الزعيم وطلبهما على أنه يشاورهما في أمر، فأبعد بهما ومعه جماعة من أصحابه قد أشار إليهم، فأحاطوا بهما وقالوا لهما: التزما، وخبطوهما بالسيوف [حتى بردا قتلا][1] فقتلوهما هنالك، فأقاما مكبوبين على وجوههما إلى النصف من الليل، وأمر السلطان بدفنهما فدفنا في قبر واحد، وقتل معهما جماعة من أصحابهما حينئذ[2].

قال الجَنَدي[3]: ومن أعجب ما جرى أن خبر مقتل صالح وولده شاع في مدينة إب وقت العشاء من ليلة الخميس، ولا يعلم من أشاعه، وأخبر الثقة: أن خبر صالح وولده وصل حصن المجمعة نصف الليل من ليلة الخميس الحادي والعشرين، وأن مناديًا نادى نصف الليل إلى حصن المجمعة بقتل صالح وولده، وهذا لا يكون في طاقة الإنس، فإن من الجَنَد إلى إب مسافة يوم للرَّاجل المجد في سَيْره، وإلى المجمعة يوم ونصف على طريق التقريب، وكان قتل صالح وولده في وقت العصر من يوم الأربعاء العشرين، والغالب أن الشياطين هي التي تحمل الأخبار، والله أعلم.

قال علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله وعفا عنه: وأعجب من هذا وأغرب ما سمعته بأذني ونحن في قرية النويدرة على باب سهام من مدينة زبيد يوم الثالث عشر من ذي الحجة آخر النهار عام سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، وهي السنة التي حج فيها السلطان الملك المجاهد حجته الثانية فغدر به أهل مكة والمصريون فلزموه يوم الثاني عشر من الحجة، وتحدث من تحدث في زبيد آخر يوم الثالث عشر بأنه وقع حرب في منًى بين عسكر اليمن وأصحاب مصر وقتل فلان وفلان، وكلام كثير غير منتظم لما فيه من زيادة ونقصان في المعنى ومضمونه: لزم السلطان، والله أعلم.

وفي يوم الثالث والعشرين: تقدم السلطان من الجَنَد إلى تعز، ثم طلع الحصن يوم السادس والعشرين من شعبان المذكور.

(1) سقط من (و).

(2) انظر أسماءهم في السلوك 2: 609.

(3) السلوك 2: 609.

وفي غرة رمضان[1]: خالف أهل صَبِر على ابن منير.

وفي النصف من شهر رمضان: تقدم أبو بكر العتمي إلى الشجرة وصحبته إبراهيم بن ميكائيل وإسرائيل بن إسرائيل أخرجا من حبس تعز وسار بهما تحت الحفظ معه إلى عدن، فنفيا إلى الهند.

وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان المذكور[2]: أوقع الملك المفضل بالأهمول[3] في جهة موزع، فخرج لهم فهزمهم، وقتل منهم نحوًا من مئة إنسان، فَذّلوا بعد ذلك ذلًا شديدًا وهي وقعة مشهورة.

وفي الخامس من شوال[4]: خرج السلطان لقبض حصن الشذف، فأمسى فيه ليلة السابع من الشهر المذكور، وأقام فيه ثلاث ليال، [ثم رجع بعد أن رَتَّب فيه نقيبًا وأميرًا[5]، وأقام السلطان في تعز إلى الرابع من القعدة، ثم طلع النقيب الورد السنبلي حصن صَبِر بمئتي راجل ليلًا فلم يعلم بهم أحد، فقبضوا حصن صبر، وتقدم السلطان نحو جبأ يريد طلوع الجبل[6] فلم يتمكن من طلوع صبر، فرجع يوم التاسع من الشهر، ولما علم أهل الجبل بطلوع العسكر إلى الحصن حاصروهم ولم يكن في الحصن شحنة، فاستذموا ونزلوا من الحصن يوم الثالث عشر][7]، ثم تقدم السلطان إلى تهامة يوم السبت الخامس والعشرين فأقام هنالك إلى آخر السنة.

وفي سنة تسع وعشرين[8]: وصل الحجاج فأخبروا بخصب الحجاز وأن الوقفة كانت الجمعة، وأن العراقي، كان أقوى الحجاج في تلك السنة.

---

(1) السلوك 2: 610.

(2) السلوك 2: 610.

(3) الأهمول: من قبائل عك للتوسع في أخبارهم انظر «التمردات القبلية في عصر بني رسول» لطه حسين هديل ط دار الوفاق سنة 1433هـ ص: 228.

(4) السلوك 2: 610.

(5) اسمه في السلوك هو: ابن قيماز البعداني.

(6) في (ع) الجند.

(7) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود اللؤلؤية.

(8) السلوك 2: 612 وانظر خبر هذه السنة في إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد المكي 3: 187، يقول: سنة 728 فيها كان بمكة رخاء، بيع القمح كل اردب بأربعين درهما، والدقيق كل ويبة بثمانية دراهم، وكان الرخاء أيضا في اللحم والسمن والعسل. اهـ. وانظر أيضا شفاء الغرام 2: 273 والسلوك للمقريزي 2/ 1: 303.

وفي شهر صفر[1]: خامر جماعة من أهل منصورة الدملؤة، وكتبوا إلى الظاهر[2] يخبرونه بقبض منصورة الدملؤة ويطلبون مادة بالمال والرجال، فعاد جوابه بكراهية ذلك، وأنه لا مال عنده ولا رجال، فأخربوا دار السلطان المعروف بدار الذهب، وأخربوا غالب بيوت القرية وسبوا كثيرًا من نسائها، فلما بلغ العلم إلى السلطان وهو في زبيد أرسل الطواشي صفي الدين جوهر الظفاري في مئة وثلاثين فارسًا، فلما علم بهم الأشعوب هربوا من المنصورة، ووصل السلطان من زبيد إلى تعز يوم الخامس عشر في صفر المذكور، فحط في بستان الشجرة، ثم طلع الحصن فأقام فيه أيامًا، وكان مريضًا أصابه جدري، وكثر إرجاف الناس بموته، فخرج إلى بستان الشَّجرة يوم الثالث من شهر ربيع الآخر فوقف ساعة من النهار، ثم رجع إلى الحصن فأقام فيه أيامًا، فتوفي له ولد، ثم توفي له ولد آخر، ثم أمر باستخدام الرجل من كل جانب، ولم يعلم أحد ما يريد.

وفي هذا التاريخ[3]: قتل القاضي محمد بن الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي قتله الغياث الشيباني[4] ظلمًا وعدوانًا، فكتب ابن منير صاحب صبر إلى الغياث الشيباني يسأله الكَفَّ عن الفساد، وكان الغياث الشيباني قد أعجب بنفسه، وظن أن لن يقدر عليه أحد، فَجَوَّب إلى ابن منير يقول: إنه غير مكترث بأحد من الخلق، وأنه لو اجتمع عليه أهل الأرض لنال منهم، ولم ينالوا منه شيئًا، فلما وقف ابن منير على جوابه طلب وجوه أهل صبر، وأوقفهم على كتابه، فأجمعوا على حربه واستدعوا من حولهم من القبائل، واجتمع معه جماعة من الغز المخالفين[5]، فغزوه إلى بلاده في شهر ربيع الآخر، فقتلوا من أهله وأصحابه جمعًا كثيرًا، وأخربوا بلاده، وتحَصَّن هو في حصن، وكتب إلى السلطان يستنجده على العرب، وبذل له الطاعة وتسليم الرهائن، فاستشار السلطان أكابر دولته، فقالوا: لا تقبل منه

(1) السلوك 2: 612.

(2) يعني به الظاهر عبد الله بن المنصور أيوب بن المظفر ابن عم المجاهد الذي قام بالتمرد عليه هو وأبيه، وكان محتميا في حصن السمدان من بلاد الرجاعية من بلاد الحجرية.

(3) السلوك 2: 613 وانظر ترجمة المذكور في العطايا السنية: 410.

(4) يرد ذكره في المصادر الأخرى بالسبائي.

(5) أي المخالفين للملك المجاهد والموالين للظاهر، وفي السلوك 2: 613 (انظم الذين مع الخارج في السمدان).

حتى يُسلّم الحصون التي أعطاها إياه الملك الظاهر، وهي: يمين، ومنيف، ونزل السلطان من الحصن إلى الشجرة فارتابت العرب المحاصرون له، فتفرقوا [خوفا من السلطان يغزو بلادهم][1] وكان نزول السلطان في ثاني شهر جمادى الأولى.

وفي خامس جمادى الأولى[2]: تقدم السلطان نحو عدن وكان طريقه على الماء الحار، وكان الغياث الشيباني قد استنقذ الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي[3] وأولاده وحريمه من تحت يد الظاهر، وكانوا معه في حصن يمين، فلما رأى العرب قد رموه عن قوس واحدة، وآيس من فلاح الظاهر، رأى أن يَتَقَرَّب بإطلاقهم إلى السلطان [اجتلابًا للشفقة عليه][4]، وكانت له رهائن بالسمدان عند الظاهر، فكتب إلى الظاهر في إطلاق رهائنه، فكتب له: أن اعمل في خلاص والدتي وأنا أطلق رهائنك، فأطلق الأمير بدر الدين الحلبي وحريمه وأولاده وحَلَّفه الأيمان المغلظة أنه متى دخل على السلطان عمل في خلاص والدة الظاهر، ثم سيره إلى السلطان، وكان السلطان قد توجه إلى عدن - كما ذكرنا - فتوجه الأمير بدر الدين إلى عدن فتلقاه العسكر لقاءً حسنًا وأكرمه السلطان إكرامًا تامًا، وشفع إلى السلطان في خلاص والدة الظاهر، فأرسل السلطان جريدة من العسكر نزلوا بوالدة الظاهر إلى عدن ليطلق الشيباني بقية بني النقاش الذين عنده في [حصن] يمين فأطلقهم.

وفي التاسع والعشرين من جمادى الأولى[5]: خرج أحمد بن محمد الرفدي، ووافق بني وهيب على الخلاف، [ونهبوا قرى كثيرة][6].

وفي الثاني عشر من جمادى الآخرة[7]: استعد الصُّهباني والتعكري وأصحاب الشوافي ونهبوا جِبْلة، ثم حصل شقاق عظيم بين أهل الشوافي وانفتح حرب عظيم، وفي أثناء ذلك الوقت صودر ابن مؤمن بمال جزيل، واستمر الأمير فخر الدين العتمي شاد الدواوين وسار

(1) زيادة من السلوك ليتم المعنى، قلت: هذه التفاصيل حذفها المؤلف في كتابه الثاني (العقود اللؤلؤية).

(2) السلوك 2: 614.

(3) هو المعروف بابن النقاش، سبق ذكره.

(4) سقط من (ع).

(5) السلوك 2: 614.

(6) سقط من (و).

(7) السلوك 2: 615.

السلطان من عدن إلى أبين في العشرين من رجب، وحضر الكثيب في ليلة السابع والعشرين من رجب[1]، وتصدق بصدقة جليلة ومنع الخازندارية[2] عن منع الناس عنه، فلما انقضى من الكثيب عاد إلى عدن، فأقام فيها أيامًا.

وتوفي الأمير بدر الدين ايدغدي في شهر رجب المذكور، وبعده بأيام قلائل توفي الأمير شمس الدين علي العجمي، وكان وفاتهما بعدن.

وفي شهر شعبان: طلع السُّلطان من عدن إلى محروس تعز فأقام في الحصن.

وفي شهر رمضان[3]: أطلق السلطان ابن عمه الأشرف ابن الواثق من السجن وعقد السلطان على بنت عمه الواثق يوم الثامن من شهر شوال، وأعرس عليها في آخر الشهر المذكور.

وفي آخر شوال: طلعت قافلة من عدن فَنَهَبَهَا أهل الهَجَر فغزاهم السلطان في الرابع من ذي القعدة، فقتل منهم جماعة ثم طلع الدملؤة فأقام فيها أيامًا، ثم نزل الجؤة فأقام فيها إلى أن عَيَّد عيد الأضحى[4].

وفي نصف ذي الحجة[5]: خرج السلطان على الأشعوب فانهزم عسكر السلطان يوم التاسع عشر، وقتل الحسام بن الطاهر وجماعة من العسكر خيلًا ورِجْلًا.

وفي سنة ثلاثين وسبع مئة[6]: أخذ السلطان حصن يمين من الغياث بن الشيباني على يد الزعيم بعد أن حاصره مدة حصارًا شديدًا، وهرب الغياث الشيباني إلى ناحية ذخر.

---

(1) يقول العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل في تحفة الزمن 2: 521: لم يزل الناس ينتابون الكثيب الأبيض ويزعمون أنه مما سنَّه العلماء، وهذا من البدع المكروهة ولا عبرة بكثرة اعتياد الناس لذلك.

(2) مطبوعة السلوك (الجندارية).

(3) السلوك 2: 640.

(4) وفي هذا العيد يقول شاعره ابن فليتة:

هنئت بالعيد الكريم فإنه ... قد جاء بالنصر العزيز مبشِّرا

فلقد كساه سناء وجهك رونقا ... ملأ البسيطة بالبهاء كما ترى

لما نحرت البدن فيه تقربا ... وبرزت فيه من العيوب مطهرا

(ديوان ابن فليتة ورقة: 9).

(5) العقود اللؤلؤية: 561.

(6) السلوك 2: 616.

وفي النصف من المحرم[1]: اصطلح السلطان والظاهر وأخذ السلطان ذخر قهرًا، وخرب بلاد الغياث بن الشيباني خرابًا شديدًا، وولى السلطان في قَدَس علاء الدين القوصي وفي يمين والسواء الطواشي جوهر الظفاري، وفي حصن سامع طاهر بن الحسام الذي قتل أبوه الحسام بن طاهر ليأخذ بثأر أبيه من أهل سامع، فعمل مَجْزرة على باب الحصن تعرف بمجزرة الأشعوب، وقتل كثيرًا منهم، وأصلح الغياث الشيباني على يد الأمير شجاع الدين الزعيم، وَتَوثَّقَ له بالأيمان المغلَّظة من السلطان على وفاء الذمة، ووصل الباب الشريف وسَلَّم بلاده بأسرها، ثم تَقَدَّم السلطان إلى تعز في النصف من شهر صفر في اثني عشر ألفًا من الرجل وقيل: في سبعة عشر ألفًا خارجًا عن الخيل من العرب والغز والمماليك والأكراد وأمراء الأشراف[2]: [من الوافر]

يحف أَغَرُّ لا قَوَدٌ عليه ... ولا دية تساق ولا اعتذار

تريق سيوفه مهج الأعادي ... فكل دم أراقته جُبَار

وكان أستاذ داره يومئذ الشرف ابن حباجر، وأتابكه الزعيم، وأمير خازنداره أقباي، ولما استقر السلطان في تعز وجد أهل صَبِر على أخبث ما كانوا عليه من الخلاف وخرق العرض والشتم الشنيع والتهاون بالعسكر.

فلما كان ليلة الأحد العشرين من الشهر المذكور: طلب السلطان أمراء العسكر وسائر المقدمين فوّجَّه كل مقدم في قطعة من العسكر إلى ناحية من جبل صبر فطلعوا عليهم الجبل ففتحوا عليهم الحرب من نواح شتى وغشيهم العسكر من كل مكان، وكانوا كما قال المتنبي حيث قال[3]: [من الوافر]

فَلَزَّهم الطِّراد إلى قتال ... أَحَدّ سلاحهم فيه الفِرَار

يرون الموت قُدّامًا وخلفًا ... فيختارون والموت اضطرار

فلم يكن وقت الضحى حتى مَلَك غالب الجبل، وهرب معظم أهله، فطلع السلطان الجبل فتَسلَّمه وسار في عساكره المنصورة فلم يصل قرية المَوادِم إلَّا وقد عنده نحو من

(1) الرسوليون وبنو طاهر: 198.

(2) للمتنبي من قصيدة أولها: طوال قنا تطاعنها قصار ... وقطرك في ندى ووغى بحار.

(3) من قصيدته السابقة.

أربعين رأسًا، وسار في عساكره يريد الحصن، فلما وصله وجد فيه رجلًا كان نائبًا للمملوك الذين كانوا في صبر، وحصل في أيامه الخلاف يقال له: يوسف بن عمر فأمر به فذبح على باب الحصن وقطع رأسه، وفي أثناء الوقعة شنق ثلاثة عشر رجلًا ما بين المحاريب وعدينة، ثم صدر [يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور أمر بثلاثة عشر رجلًا فشنق تسعة بالسمكر عشاء][1]، يوم الخميس المذكور، وشنق أربعة يوم الجمعة الخامس والعشرين في سوق الجَنَد، وقطع رؤوس الجميع.

قال الجَنَدي[2]: وذكر لي من يوثق بكلامه: أن القتلى من أهل صبر نحو أربع مئة رجل جميعهم قطعت رؤوسهم وطِيْف بها، وهرب ابن منير إلى جبل حُمَر، ثم سَار إلى الحشا فتوفي في شهر ربيع وقيل بل رجع من الحشا إلى بلد الأشعوب فأقام بها إلى أن توفي في النصف من جمادى الآخرة، وبعد خمسة أيام من شهر ربيع الأول أمر السلطان صائحًا يصيح بالذّمة الشاملة على ضعوف أهل صبر ومن لا يحمل السلاح.

وفي يوم الأحد الثاني أيضًا: صاح الصائح لهم ولأهل الأجناد.

وفي هذا التاريخ[3]: حصل في تعز ونواحيها وزبيد وما يليها مرض غريب، وهو زكام وسعال شديد، ونواغز في الجُنُوب، فهلك منه خلق كثير في هذه البلاد المذكورة، وأقام ذلك إلى النصف من شهر ربيع الآخر ولم يكد يسلم منه أحد، وكان القادمون من البلاد البعيدة إذا سئلوا عن هذا المرض أجابوا بأنه موجود في كل بلد من التهائم والجبال، وذلك من أواخر شهر صفر إلى أواخر شهر ربيع الآخر.

[**قال علي بن الحسن الخزرجي عفا الله عنه**: وأدركت عدة من أهل زبيد يذكرون أن هذا المرض حدث في سنة ثلاث وسبع مئة، وأن الناس كانوا يسمونه بدور، فإن تلك السنة كانت تسمى سنة بدور، وهي مشهورة بهذا الاسم عند من أدرك ذلك الوقت.

وأخبرني من أثق به: أن الخطيب صعد المنبر في جمعة في جامع زبيد في تلك المدة، فخطب فلم يسمعه أحد ولا عرف ما يقول لكثرة سعال الناس وتواتره، وأنه لم يسلم منه من الناس إلا قليل منهم، وكانت إقامته شهرين.

---

(1) سقط من (و).

(2) السلوك 2: 617.

(3) السلوك: 2: 618.

وحصل في الشهر المذكور[1]: نزول شيء يشبه الرماد في عدة من نواحي اليمن، وذلك ببلد ذُبْحان وما يقاربها وربما كان ذلك بلحج وعدن][2].

وفي هذا التاريخ[3]: قَبَضَ السلطان على الملك المفضل ابن أخيه فقيده وأطلعه الحصن فأقام هنالك إلى سنة ثلاث وخمسين، وسيأتي ذكر تاريخ خلاصه إن شاء الله تعالى، وكان سبب حبسه وقبضه أنه نقل إليه منه كلام كثير، والله أعلم به.

وفي يوم الثامن من الشهر المذكور[4]: وصل العسكر بالقاضي إبراهيم بن محمد بن عمر اليحيوي ومعه بعض أولاده، فلما وصل بهم العسكر أودعوا السجن.

وفي يوم الثالث عشر من شهر ربيع الآخر[5]: وصل الشيخ عبيد بن مهجف المستولي على حصن التعكر والحافظ له، فالتقاه طائفة من العسكر حتى دخل الجَنَد فنزل مع الأمير الزعيم.

فلما كان يوم الرابع عشر: أطلق خَطَّهُ إلى نائبه في التعكر، أن يطلق الحصن والعهدة إلى نائب السلطان، وطلع به الطواشي بارع فقبض الحصن، وقبض العربيّون حصن الدامغ للسلطان قهرًا بالسَّيف، وكان شيخهم عمر بن معوضة وأول من وصل إلى باب السلطان وهو من مشايخ العرب في الجهة المخلافية[6].

وفي يوم الثالث عشر من شوال[7]: تقدم السلطان إلى بلد المعافر في عساكره المنصورة، فحط على مطران الزعيم[8]، والغياث الشيباني، وحَطّ السلطان في المنصورة، فكان يزحف كل يوم من منصورة الدملؤة إلى مطران، وكان ابن مؤمن صاحب الباب يومئذ، وكان بينه وبين الزعيم منافسة وعداوة شديدة، فأوقع ابن مؤمن في قلب السلطان على الزعيم ما أوحشه منه، وأوجده أن الزعيم والغياث الشيباني قد اتفقا على الميل إلى الظاهر، ولهذا أنه استذم

(1) السلوك 2: 618.
(2) ما بين المعقوفتين لم يرد في العقود اللؤلؤية.
(3) العقود اللؤلؤية: 565.
(4) السلوك 2: 619.
(5) السلوك 2: 619.
(6) يعني جهات إب ونواحيها.
(7) العقود اللؤلؤية: 565.
(8) يعني وحط الزعيم على بلد مطران.

له من السلطان وتوثق له بالأيمان المغلظة وأنهما في محطَّة واحدة يسوسان الأمر، واستشهد ابن مؤمن على ذلك بالأمير شرف الدين موسى بن حباجر، وأقام السلطان في المحطة إلى آخر السنة المذكورة.

وفي سنة إحدى وثلاثين[1]: عمل الزَّعيم سماطًا للعسكر، وكان عادته في المحاط لا ينقطع سماطه، وزحف السلطان على أهل مطران، فاجتمع به الزعيم، وسأله الزعيم أن يحضر السماط، وأن يمسي معهم تلك الليلة، فأجابه إلى ذلك، فرجع الزعيم وسعى في تتميم السماط والزيادة فيه، فاجتمع ابن مؤمن وابن حباجر بالسلطان وعَرَّفاه أنما مراده بذلك إلا القبض على مولانا والقيام بدولة الظاهر فصَدَّقهما السلطان ورجع إلى منصورة الدملؤة، واستدعى بالزعيم لفوره، فَوَصل إليه بعد المغرب فأمر بقتله فقتل وأخذ رأسه، ولزم جماعة من أصحابه، ولم يسلم من أصحابه إلا القاضي محمد بن حسان[2]، وكان كاتب الزعيم يومئذ فيما دَقَّ وجل، وعليه مدار أمره، وكان رجلًا عاقلًا وقورًا، له مروءة يستجلب بها قلوب الناس، فكان موادعًا لأعيان الدولة، وكان من أسباب سلامته قصة الحصان الذي يسمى القمر، وكان هذا الحصان أحب دواب الزعيم إليه، فطلبه منه مولانا السلطان فلم يسمح له به، وتكررت مطالبة السلطان فلم يفعل الزعيم، [فلما علم ابن حسان بذلك أشار على الزعيم بتقديم الحصان وألا يتوقف عن ذلك][3]، ونهاه عن مخالفة السلطان، فأعجب السلطان بالحصان كثيرًا، فلما قتل الزعيم وقبض غلمانه ونوابه وكتابه، وقبض ابن حسان في جماعة من قبض، أمر السلطان من قرر خاطره ووعده بالخلاص [والشفقة][4]، وأما الغياث الشيباني فإنه لما قتل الزعيم وقبض السلطان مطران ورجع السلطان إلى تعز ذَكَره ابن مؤمن للسلطان، وأنه ركن من أركان الفساد، فقال السلطان: هذا رجل قد تَوَثَّق مني بالأيمان المغلظة، ولا أحب أن أنقض ما عقدت له على نفسي، وكان الغياث الشيباني قد قتل القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي ظلمًا وعدوانًا،

(1) العقود اللؤلؤية: 567.

(2) هو وزير الدولتين المجاهدية والأفضلية توفي سنة 773هـ. العطايا السنية: 431.

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (و).

وكتب إلى السلطان يخبره أنه قتله بسبب موالاته للظاهر فحفظ السلطان الكتاب عنده، وكان من شيمته حفظ الورق، فلما كثرت ملازمة ابن مؤمن للسلطان على قتل ابن الشيباني أشار إلى ابن مؤمن أن يأمر القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر اليحيوي بحضور ابن الشيباني إلى مجلس الشرع الشريف، ويَدَّعي عليه أنه قتل أخاه ظلمًا وعدوانًا، وأنه مطالب له بالقود، فحينئذ طلب ابن مؤمن القاضي وجيه الدين وحَثَّه على الطلب بدم أخيه، فشرع القاضي وجيه الدين في ذلك، وعمل السلطان حضورًا عامًا حضر فيه القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن وحضر حاكم الشرع الشريف بتعز وهو يومئذ القاضي عبد الأكبر وحضر أعيان الفقهاء وأعيان الدولة وحضر القاضي وجيه الدين، وحضر الغياث الشيباني، فادعى القاضي وجيه الدين على الغياث الشيباني: أنه قتل أخاه ظلمًا وعدوانًا بغير موجب حق، فأنكر الشيباني ما ادعاه، فقال الحاكم للقاضي وجيه الدين: يتوجه عليك إقامة البينة، وإلا استحلفته بالأيمان الشرعية، فالتفت القاضي وجيه الدين إلى السلطان وقال: يا مولانا السلطان لي عليك شهادة وأريد أداءها منك؟ فقال السلطان: والله ما عندي شهادة لك ولا له، ولكنه كتب إلي كتابًا يخبرني فيه بقتل [أخيك][1]، فقال: يا مولانا السلطان أريد الكتاب، فأمر السلطان في مقامه ذلك من أحضر الكتاب، فلما حضر الكتاب وقريء على الحاضرين اعترف ابن الشيباني أنه خطه وأنكر أن يكون باشر القتل بنفسه، وقال: إنما أمرت بقتله من قتله، فقال له الحاكم: قد أقررت أن هذا الكتاب خطك واعترفت فيه أنك قاتله، فحينئذ سأل القاضي وجيه[2] الدين من مولانا السلطان أن يُمَكَّن من غريمه، فأمر السلطان بتسليمه إليه، فسلم إليه، فقبضه ورسم عليه من ساعته من أخرجه إلى الجهملية، فقتل هنالك، وذلك بعد قتل الزعيم بمدة يسيرة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين[3]: جَرَّد السلطان عساكره المنصورة إلى المخلاف[4] وفرق المحاط وفتح الحرب عليهم من كل ناحية، فقبض حصن حب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

(1) سقط من (و).

(2) يعني عبد الرحمن بن أبي بكر اليحيوي السابق ذكره.

(3) العقود اللؤلؤية: 569.

(4) جهات إب ونواحيها.

[1]**وفي سنة ثلاث وثلاثين**[2]: قبض السلطان سائر الحصون المخلافية واتسعت المملكة، وأذعنت القبائل، ودخل المخالفون في الطاعة طوعًا وكرهًا، وأقام الملك الظاهر[3] في السمدان كالمحصور وأصحابه يتسللون عنه، فضاق به الأمر ولم يجد ملاذًا يلوذ به، فكتب إلى القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن، بأن يسعى له في الصلح والصفح من السلطان ويطلب منه ذمة شاملة عليه، وعلى من معه من أهله وغلمانه، فأجاب السلطان إلى ذلك، وأمر ابن مؤمن والأمير شرف الدين بن حباجر بالتقدم إليه، ويصلان في صحبته، فتقدَّما إليه بالذمة إلى حصن السمدان.

وفي سنة أربع وثلاثين[4]: وصل الملك الظاهر في صحبة القاضي جمال الدين والأمير شرف الدين في شهر المحرم، فأمر السلطان بطلوعه الحصن، وأن يودع دار الإمارة، فأطلع آخر يومه، فلم يزل محيَّرًا إلى أثناء شهر ربيع الأول، وتوفي في الشهر المذكور من السنة المذكورة، فأمر السلطان على حاكم الشرع الشريف وأعيان الفقهاء بمدينة تعز أن يحضروا غسله ويتفقدوا أعضاءه فلم يجدوا فيها أثرًا، وإنما مات موتًا ربانيًا، فغسل وكفن وصَلَّى عليه، وقبر في تربة الملوك بعدينة، وهي التربة الملاصقة للجامع من الناحية القبلية.

وفي سنة خمس وثلاثين وسبع مئة[5]: قتل ابن مؤمن[6] وكان رجلًا حسودًا لذوي الأقدار، ولا يزال يغري السلطان بذي المكانة عنده من غلمانه حتى يهلكه، فكان حسده سبب هلاكه، وذلك أن القاضي موفق الدين عبد الله بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف والده بالصاحب كان أوحد أهل زمانه صباحة وفصاحة، ورياسة، قَلَّ أن يأتي الزمان بمثله، وكان ابن مؤمن يحسده حسدًا كثيرًا لكماله وتأهله للرياسة، فكان يحط من قدره عند السلطان، ويقع فيه ويغريه مرة بعد أخرى، وصودر على يده مرارًا، وجرت عليه أمور مؤدية إلى الهلاك.

---

(1) من هذه السنة سيظهر تتابع السنوات سريعًا وخلوها من الأخبار لانتهاء مصادر الخزرجي التي ينقل عنها وآخرها كتاب السلوك الذي نقل عنه أخبار سنة 731هـ ثم توقف فيفهم.

(2) الكتاب الظاهري: 77.

(3) هو السابق ذكره عبد الله بن أيوب بن المظفر الرسولي.

(4) الكتاب الظاهري: 77، وبنو رسول وبنو طاهر: 199.

(5) العقود اللؤلؤية: 572.

(6) هو السابق ذكره جمال الدين ابن مؤمن (العطايا السنية: 430).

واتفق في هذه السنة المذكورة: أن القاضي عفيف الدين عبد الله بن علي الصاحب المذكور، وقع على مال مدفون لأهله، وكان ذلك المال ذهبًا فاستمال القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي، وأمره أن يتحدث على ابن عمه القاضي عبد الله بن علي في أمر وجود الذهب وبأشياء غير ذلك، فأجابه إلى ذلك خشية على نفسه من ابن مؤمن فصودر القاضي عبد الله بن علي بسبب ذلك على يد ابن مؤمن فرسم عليه ترسيمًا عنيفًا، وضَيَّق عليه، فكان على باب ابن مؤمن نقيب بينه وبين القاضي عبد الله صداقة قديمة لم يعلم بها ابن مؤمن، فطلب منه القاضي عبد الله دواة وورقة تأتيه في خفية، فأرسل إليه إلى بيت الراحة[1] بنصف جوزة[2] فيها مداد، وأرسل إليه بقلم صغير وورقة، وكتب إلى السلطان وهو في بيت الراحة كتابًا لطيفًا يقول فيه: الغارة الغارة يا مولانا السلطان، إن يكن الغرض روح أقل العبيد فتفديك، ولكن بِيَدك ولا يكون بيد ابن مؤمن، وإن يكون الغرض المال فالمال حاصل، فأدركوني فإني على آخر دقيقة من العمر مع ابن مؤمن، فأرسل السلطان لفوره خازنداره يهجمون بيت ابن مؤمن وينزعون القاضي عبد الله من تحت يده للفور، فخرجوا سراعًا وهجموا بيت ابن مؤمن وانتزعوا القاضي فأضافه السلطان إلى أمير خازنداره، وألزمه تسليم عشرة آلاف دينار، فضمن وَافْتَكَّ آخر نهاره، وساق المال المذكور، وكان القاضي عبد الله يومئذ والقاضي محمد بن حسان على يد واحدة، فشرع القاضي عفيف الدين يومئذ يحرر على خط ابن مؤمن حتى أتقنه وحاكاه حرفًا بحرف، فإذا كتب كتابًا عن ابن مؤمن لم يشك أحد من الخاص والعام أنه خط ابن مؤمن، فلما أتقنه وسَهَل عليه كتب إلى القبائل كافة من أصحاب بَعْدان والشوافي وغيرهم، وهو يَقْدح في السلطان وسيرته، ويطلب منهم أن يمكّنوه من الحصون ويعدهم من نفسه بجميع ما يحبونه عاجلًا وآجلًا، وأسقطت الأوراق في الطرقات فالتقطها بعض السيارة ووقف عليها من وقف فأخذت، وحمل إلى السلطان شيء منها، فلما وقف عليها السلطان ما شك أنها خط ابن مؤمن، فوقع في نفسه منه شيء عظيم، واتفق من قضاء الله أن القاضي بدر الدين حسن[3] بن الموصلي كاتب الإنشاء كان أحد خواص ابن مؤمن في ذلك الوقت، وكذلك

---

(1) بيت الراحة هنا كناية عن محل قضاء الحاجة، وفي العقود: 573 (المستحم).

(2) العقود: نصف قشرة الجوزة، وهو النارجيل (معروف).

(3) ابن كاتب الإنشاء موسى بن حسن الموصلي صاحب كتاب البرد الموشي السابق ذكره، وابنه حسن المذكور قال عنه الجندي 2: 567: كان حسن الخط غير أنه ابتلي بشرب الخمر.

الشيخ محمد بن قيماز البعداني، وكان ابن قيماز المذكور معروفًا بالمكر والخداع، واتفق أن اجتمع ابن قيماز وابن الموصلي في مجلس ضَمَّهم فيه صحبة ابن مؤمن وذلك على شرب الخمر، فلما أخذ السكر فيهما قال ابن قيماز لابن الموصلي على سبيل المجون: اكتب لي بولاية حصن حب، فقال له: سمعًا وطاعة، ثم أخذ الدرج وكتب له منشورًا على مقتضى ما طلب، وتوجه بالعلامة الشريفة تزويرًا عن السلطان فأخذه ابن قيماز وغلب السكر على ابن الموصلي، فلم يستعد المنشور وأنسيه بعد ذلك، وافترقا، فطلع ابن قيماز إلى بعدان فأشاع في بعدان أنه مستمر في ولاية الحصن، ثم طلع الحصن إلى الوالي، وهو الأمير فخر الدين ابن السودي، فسلم إليه المنشور فقبضه الوالي منه، وقال: سمعًا وطاعة للأمر الشريف، ولكني أريد منك خطا بالتسليم والتمكين، كما جرت العادة، فطال بينهما الخطاب فقال الوالي: لا بد من خط شاهد بالتمكين، فقال ابن قيماز: إذا لم تمتثل الأمر الشريف فأعطني المنشور وأنا أرجع إلى الباب ولمولانا السلطان علو النظر في بلاده، فلم يسلم إليه المنشور ولم يمكنه منه، بل كتب إلى السلطان يراجعه في ذلك ويستفهمه في أمر التمكين، ويطلب منه شاهدًا له بذلك، فعاد الجواب إليه: إياك تمكنه من الحصن، وبادر بإرسال المنشور إلينا للفور، فأرسل الأمير المنشور، فلما وقف عليه السلطان مع ما قد وقع في قلبه من الكتب التي وقف عليها، فلم يشك السلطان في خيانة ابن مؤمن لأجل صحبة ابن قيماز له واختصاصه، ثم إن القاضي عفيف الدين[1] لما أمكنته الفرصة وأطاعه جماعة من الحرفاء وخواص السلطان فأكثروا ذكر ابن مؤمن، وأفعاله القبيحة فاسود ما بينه وبين السلطان، وعزم على الفتك به وتحقق عنده خيانة ابن مؤمن، فلما عزم على الفتك به أقبل عليه، فكان لا يقطع أمرًا إلا بإشارته ووعده بالوزارة شفاهًا، فلما أراد الإيقاع به طلبه إلى ثَعَبَات طلبًا حثيثًا، فلما دخل من باب ثعبات قبض هنالك ورسم عليه ترسيمًا عنيفًا وحُيِّر في باب تعز من ثعبات، فأرسل السلطان لفوره الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني بأن يركب ويهجم بيت ابن مؤمن ويقبض جميع ما فيه من الآلات والفرش والدواب والجواري، وأقام ابن مؤمن في حبس ثعبات أيامًا، ثم أمر السلطان أن يحبس في التعكر، فلما تقدموا به إلى التعكر أمر السلطان من قِبَله من يقتله في الطريق فقتل وقبر في الموضع المسمى بالنقيلين، فقبره معروف هنالك، ولما هلك ابن مؤمن

(1) يعني عبد الله بن علي اليحيوي السابق ذكره.

– كما ذكرت – صودر ابن الموصلي بسبب ذلك المنشور الذي كتبه لابن قيماز، ولم يزل في المصادرة إلى أن هلك في آخر السنة المذكورة.

وفي ليلة الثامن من شعبان: نزلت بَرَدَة من السماء في أسفل وادي مور، طولها مئة وستون ذراعًا وعرضها عشرة أذرع، وسمكها نحو من قامتين، فلما ذابت سقى ماؤها أربع قطع من الأرض في ذلك الموضع.

وفي سنة ست وثلاثين(1): تسلم السلطان الحصون السرددية.

وفيها(2): أمر السلطان بضرب الدرهم الجديد المسمى بالرباصي، ونزل الأمر الشريف ألا يؤخذ من الرعية والتجار وجميع أموال الخراج إلا هذا الدرهم الجديد.

وفي هذه السنة: وقعت رَجفة عظيمة وزلزلة شديدة في اليمن حتى إن بعض الناس حكى أنه رأى شجرة مالت حينئذ حتى وقعت أغصانها على الأرض، ثم رجعت واستقامت على منبتها بقدرة الله تعالى.

وفي سنة سبع وثلاثين(3): تصدق السلطان على جميع التهائم بأن يكتب لهم مناشير بأن يؤخذ منهم الخراج المتوجّه عليهم في أراضيهم في كل نصف شهر أغبط(4) سعر للديوان فاغتبط الرعية بذلك اغتباطًا عظيمًا، وكثر الدعاء لمولانا السلطان، وكانوا قبل ذلك في الدول الأول يطالبون، في أيام الصراب وأيام وجود الطعام ورخصه بسعر آخر السنة الماضية عند ارتفاع السعر، وقِلَّ وجود الطعام، فيتضررون بذلك، فلما كثر شكواهم أزال مضرتهم التي يشكونها بإجراء النَّواصف، وكانت هذه القصة من الحسنات العظام للمجاهد [رحمه الله](5).

وفي سنة ثمان وثلاثين(6): خرج حاج اليمن من معاشير البلاد سائرين إلى مكة فاعترضهم الشريف صاحب جازان، وطلب منهم ما لا يعتادونه من المكس وأغرب في مطلوبه، فرجعوا

(1) العقود اللؤلؤية: 575.

(2) العقود اللؤلؤية: 575.

(3) العقود اللؤلؤية: 575 (بتوسع).

(4) كذا في (و) وفي (ع) تقرأ هذه اللفظة هكذا (اهبط).

(5) زيادة من (ع).

(6) إتحاف الورى 3: 211.

وبطل حاج اليمن في تلك السنة، فلما علم السلطان بفعله سار إليه في عساكره، فهرب صاحب جازان، فأخرب السلطان بلاده وقطع مواده.

وفي هذه السنة[1]: طلع السلطان إلى ذي جبلة، وكانت إقامته في دار السلام، وجَرَّد الأمير زين الدين قراجا في أربع مئة فارس وأحد عشر ألف راجل إلى نحو ذمار صحبتهم منجنيق، فأخذوا ذمار قهرًا بالسَّيف، ثم حَطُّوا على حصن هران حتى أخذوه قهرًا بالسَّيف، وذلك في شهر الحجة من السنة المذكورة واستمر فيها الأمير زين الدين واليًا مدة، ثم عزل بالأمير بدر الدين بن الحجازي فساءت سيرته فخالفت عليه وحصروه في هران أيامًا، ثم نزل[2] إلى باب السلطان وقد فاتت البلاد فاغتاظ عليه السلطان لسوء سيرته ونسبه إلى الجهل وصادره بمئة ألف دينار، وقبض دوابه أربعين رأسًا من أجياد الخيل المشهورة وستين جملًا، وذلك في سنة تسع وثلاثين.

وفي سنة تسع وثلاثين[3]: أمر السلطان بعمارة الأبواب والدروب والخنادق من زبيد المحروسة، وكان مشيد العمارة بها يومئذ الأمير شجاع الدين عمر بن عثمان بن محيا، وكان أميرًا ومشدا وناظرًا حسن السيرة، فاستمرت العمارة فيها إلى أثناء سنة أربعين.

وفي سنة أربعين وسبع مئة[4]: أمر السلطان بعمارة المدرسة المجاهدية في مكة المشرفة، ووقف عليها من أملاكه السعيدة ما يقوم بها وبكفاية المرتبين، وكان معظم وقوفاته عليها في وادي زبيد، وفندق المهجم.

وفي سنة إحدى وأربعين[5]: انقضت عمارة زبيد وجدّدت أبوابها الثمانية وزخرفت شراريفها، فكانت كالنَّجم الزاهر.

وفي هذه السنة[6]: أفسد المعازبة في التهائم فسادًا كثيرًا، فنزل السلطان من محروس تعز فلما صار في مدينة حيس سرى من هنالك إلى بلد المعازبة، ولم يدخل زبيد وحط عليهم

(1) العقود اللؤلؤية: 577 والظاهري: 78.

(2) في (ع) ثم عزله السلطان لسوء سيرته.

(3) العقود اللؤلؤية: 578.

(4) العقد الثمين للفاسي 1: 368، 6: 158، وشفاء الغرام 1: 328، وإتحاف الورى 3: 217.

(5) العقود اللؤلؤية: 579 وبغية المستفيد: 87.

(6) العقود اللؤلؤية: 579 وغاية الأماني: 513 وبنو رسول وبنو طاهر: 200.

وقطع نخلهم الذي يسمى المدبى من أصوله، وقتل منهم طائفة وأسر طائفة أخرى فَغَرَّق بعضهم في البحر، وترك الفيل يلعب بالباقين وأخرب بلادهم خرابًا كليا. وفي آخر الأمر: أنه شَيَّخ عليهم امرأة يقال لها: بنت العاطف فكساها، فكانت تركب دابة من الحمر أو جملًا وتقود المعازبة بأسرهم بعد ذلك الفساد الشديد والطغيان العظيم.

وفي سنة اثنتين وأربعين(1): سافر السلطان الملك المجاهد إلى مكة المشرفة قاصدًا للحج إلى بيت الله الحرام، فكان تَقَدُّمه من تعز صبح يوم الخميس السادس من شوال من السنة المذكورة، وكان دخوله زبيد يوم الثلاثاء الحادي عشر من شوال المذكور(2) فحط في بستان الراحة المعروف بحائط لبيق، ووصل الشَّريف عز الدين ثقبة ابن رميثة صاحب مكة المشرفة ليسير صحبة الركاب العالي، فقابله السلطان بالإكرام والإجلال والإعظام، وكان تقدم السلطان من زبيد آخر يوم الرابع عشر من شوال المذكور، فدخل الكدراء يوم الثامن عشر منه، ووصله الأمير عز الدين قراجا صاحب حرض في التاريخ المذكور فاستعرض السّلطان العسكر يوم الأربعاء التاسع عشر، فدخل المهجم يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، ثم ارتحل منها آخر يومه وأقام أيامًا في المحالب، ثم سار منها فدخل حرض يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال المذكور، ثم سُيِّر من المخيم إلى ساحل الشرجة، وقد وصلت المراكب من الثغر فدخل في السنابيق إلى المراكب، واستعرض ما فيها من الأزواد [والآلات](3) والقماش ورجع إلى حرض آخر يومه.

وفي التاريخ المذكور: هرب أشراف الجبل من المحطة إلى بلدهم، وأقام السلطان في حرض إلى يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة، ثم ارتحل منها، فكان دخوله حلي بن يعقوب يوم الأحد الخامس عشر من ذي القعدة، فأقام فيها إلى يوم الثامن عشر، فكان دخوله دوقة(4) يوم

---

(1) للتوسع في حج الملك المجاهد هذه السنة، انظر الذهب المسبوك للمقريزي: 154 والعقود اللؤلؤية: 580 - 585.

(2) انظر ذكر رحلة الملك المجاهد إلى الحج في العقود اللؤلؤية: 580 للمؤلف، وكتابه الآخر المسمى فاكهة الزمن وقد قام بتحقيق نص رحلة الحج من هذا الكتاب الأستاذ محمد الثنيان ونشر في مجلة الدارة سنة 1420هـ.

(3) زيادة من (ع).

(4) دوقة واد من تهامة يصب في البحر الأحمر.

الثاني والعشرين من الشهر المذكور، وقد وصلته هوادج محمد[1] بن جَمَّاز وخيله ورجله، وقَدَّم من النوق والهدايا شيئًا كثيرًا، ثم ركب السلطان ليصطاد فاصطاد من النعام شيئًا كثيرًا، ولعب فيمن معه من العسكر، وخرج عليهم حنش عظيم [فقتله الأمير هبة الله ايدغدي، ثم خرج حنش أعظم من الأول][2] فقتله الأمير حسام الدين عبد الغني، ثم خرج بعد ذلك وحش كريه المنظر، فما زال يجري في المحطة يمينًا وشمالًا فارتجت المحطة، ولم يزل كذلك حتى وصل خيمة السلطان فرماه السلطان بسهم واحد فقتله فقَرَّت أحوال الناس، ثم ارتحل السلطان، فكان دخوله الخيال[3] يوم الأحد التاسع والعشرين.

وفي ذلك اليوم: دخل غلام[4] لابن الشوافي في حفيرة من حفر الخيَّال فارتحل الناس قبل أن يطلع من الحفرة، فأقام فيها إلى أن رجع الناس من الحج، ولما ارتحل السلطان من الخيّال صَبَّح وادي يلملم يوم الإثنين سلخ ذي القعدة، فأمر السلطان بنَصْب الأحواض فنصبت وملئت [ماء][5] وطرح فيها من السكر والسويق ما شاء الله تعالى، وسَبَّلها للناس فشرب منها الصغير والكبير، والقاصي والداني، وتَصَدَّق على الناس يومئذ بدراهم كثيرة، وثياب كثيرة للإحرام ووصل الشريف رميثة بن أبي نمي صاحب مكة، ووصل معه سائر الأشراف وأكابر مكة وحضروا بين يدي السلطان، فتصدق على الجميع منهم على قدر مراتبهم، وأعطى الشريف رميثة أربعين ألف درهم من الجدد[6] المجاهدية وأعطاه من الكسوة وأنواع الطيب من المسك والعنبر [والعود][7] ما يحمله أربعة من الحمالين، وخلع عليه وعلى من معه من الأشراف وأعطاه عدة من الخيل والبغال كوامل العدد، ثم ارتحل السلطان فأمسى على بئر علي عليه السلام، أول ليلة من شهر ذي الحجة وأصبح هنالك، ثم سار، فكان وصوله

(1) في (ع) محمود.

(2) زيادة في (و).

(3) في الأصل: الجبال وأصلحناه من رحلة السلطان المجاهد: 146، قال: الخيال أرض واسعة بالقرب من ميقات يلملم.

(4) في رحلة السلطان المجاهد: 129: وقع غلام للقاضي جمال الدين محمد بن شرافي.

(5) سقط من (و).

(6) دراهم فضية أمر السلطان المجاهد بسكها في مدينة زبيد سنة 736هـ. انظر هامش 76 من رحلة السلطان الملك المجاهد: 149.

(7) زيادة من الرحلة و(ع).

مكة ليلة الأربعاء الثاني من شهر ذي الحجة فدخل مكة عشاء، وطاف طواف القدوم وسعى ودخل البيت المعظم بعد الطواف والسعي، فلما خرج من البيت دخل مدرسته المجاهدية، ثم خرج إلى المخيم المبارك في آخر ليلته، فلما أصبح صلَّى الصبح ثم دخل مكة فأقام في مدرسته نهار الأربعاء وليلة الخميس ويوم الخميس، وهو يشاهد الكعبة المشرفة ومن يطوف بها من الناس.

وفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة: وصل الركب المصري ومن معه من المغاربة والتكاررة[1] وصَلَّى السلطان الجمعة، وبعد صلاة الجمعة طلب أمير الركب المصري فكساه كسوة سنية.

وفي يوم السبت الخامس من الشهر المذكور: وَصَل الركب الشامي ومن معه من الصفديين والحلبيين وغيرهم، وكسا أمير الركب الشامي كسوة فاخرة.

ولما كان يوم التروية وهو يوم الثلاثاء الثامن من الشهر المذكور: ركب السلطان في عساكره المنصورة إلى منى وأمسى بها ليلة الأربعاء التاسع من ذي الحجة، فلما أصبح صَار إلى الموقف الشريف في تواضع وخشوع وتأدب وخضوع[2]: [من الوافر]

ونفس لا تميل إلى خسيس وعين لا تدار على نظير

وكانت الوقفة المباركة يوم الأربعاء التاسع من ذي الحجة، فلما أَذَّن الظهر يوم عرفة صَلَّى بصلاة الإمام، وركب نحو الصَّخرات يَتَوَخَّى موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يزل واقفًا بين يدي الله تبارك وتعالى، في تسبيح وتهليل وتقديس وتبجيل إلى آخر النهار.

وفي آخر النهار: وَصَل إليه أمير الرَّكب المصري، وأمير الركب الشامي، وسألاه المثول بين يديه، لتقبيل كَفِّه الشريف فأذن لهما، [فوصلا][3] وقبلا كفه الكريمة مرارًا، وأكثرا من الدعاء له، فلما غربت الشمس: سألاه أن يأذن لهما في المسير في خدمته، فأمرهما أن يسيرا في عساكرهما ومحاملهما، فَقَبَّلا يده وانصرفا، وتوقف هو ومن معه من عسكره وخواصه فلم يزل في بكاء وخشوع ودعاء وخضوع، والحاضرون يبكون لبكائه ويؤمنون على دعائه، فلما غشيه الليل سار في عساكره المنصورة إلى الموقف بِمُزْدَلِفَة، ولم يزل بها إلى أن صَلَّى الصبح

(1) ويقال لهم التكارنة نسبة إلى التكرور من أعراق إفريقية مسلمة من الهوسا والفلاتة والبرنو.
(2) للمتنبي.
(3) سقط من (ع).

يوم عرفة، وأخذ حاجته من الحصى لرمي الجمار، ثم سار إلى مِنَى وقد حَفَّت به العساكر وأحاطت به الفرسان[1]: [من الكامل]

ملك زَهَتْ بمكانه أيامه ... حتى افتخرن بفخره الأيام

وتخاله سلب الورى أحلامهم ... من حلمه فهم بلا أحلام

ولم يزل سائرًا إلى الجمرة الكبرى، فرمى هنالك، وسار إلى مخيمه، وسارت عساكر الشَّام ومصر بين يديه، فأقام[2] يومه ذلك وهو يوم الخميس العاشر.

فلما كان صبح يوم الجمعة: سار إلى مَكَّة المشرفة، فطاف بها طواف الزيارة، ثم رجع إلى مِنًى فرمى الجمار الثلاث، وبات ليلة السَّبت الثاني عشر بمنى، فلما أصبح وزالت الشمس رمى الجمار أيضًا.

وفي يوم الثاني عشر [المذكور][3]: هرب أمير خازنداره من الخدمة، وكان قد تنسك وتاب إلى الله تعالى، وهرب جماعة من الغرباء، فأمر على الطواشي أمين الدين أهيف أن يتقدم إلى وادي مر يقبض خيول الذين هربوا، فسار الطواشي إلى هنالك وقبض دواب الهاربين وعددهم.

وفي يوم عرفة المذكور: توفي الفقيه جمال[4] الدين محمد بن يوسف الصَّبري قاضي مدينة تعز، فحمل إلى الأبطح ودفن قريبًا من قبر الفقيه الصالح علي[5] بن أبي بكر الزيلعي صاحب السلامة، وأقام السلطان بمنى إلى سلخ يوم الأثنين الرابع عشر ثم تقدم إلى مكة المشرفة فطاف بها طواف الوداع وخرج على جملة السلامة وأشعر على العسكر بالتأهب للمسير، وسار آخر يومه فأصبح على بئر أدام[6]، وهي التي تسمى بئر علي عليه السلام، وإنما هي بئر الحسين بن سلامة، وقد تقدم ذكر ذلك، فأقام هنالك إلى يوم السبت، ثم سار قليلًا

(1) للمتنبي.

(2) في (ع): فأقاموا.

(3) سقط من (ع).

(4) السلوك 2: 86 (تحقيقنا) والعطايا السنية: 117 (تحقيقنا) وطراز أعلام الزمن 1578 (تحقيقنا) وتحفة الزمن (تحقيقنا) 1: 458.

(5) السلوك 2: 383 وطراز أعلام الزمن: 1379.

(6) العقود: 583 (آدم) وأصلحناه من رحلة السلطان الملك المجاهد: 129.

قليلًا [حتى كان دخوله الخيال يوم الأربعاء الثالث والعشرين من الشهر المذكور، فلما قصد الناس الحفاير ليستقوا وجدوا غلام ابن الشَّوافي[1] في الحفرة التي نزلها يوم وصول الناس من اليمن يريدون مكة، وهو اليوم التاسع والعشرون من ذي القعدة فأخرجوه وقد له أربعة وعشرون يومًا، فسألوه ما كان يأكل ويشرب، فقال: التراب والماء، فأطلعوه وأطعموه من أزوادهم فأكل قليلًا ثم شرب ومات بين أيديهم، فغسل وكفن ودفن.

وفي يوم السادس والعشرين: سار السلطان إلى علب[2]، فطلع يوم السابع والعشرين إلى رأس الوادي فاصطاد من الكثيب[3] ألفي حوت بالعدد ما بين صغير وكبير، وتصدق على غلمانه الحاضرين معه بألف دينار جدد.

وفي سلخ الشهر المذكور: توفي القاضي منصور قاضي الجؤة.

وفي سنة ثلاث وأربعين في أول يوم منها: توفي الشجاع عمر بن مبارز، وسار السلطان فدخل السلطان حلي بن يعقوب يوم الخامس من المحرم، فأقام بها إلى يوم الخميس التاسع، ثم سار السلطان][4]، فكان دخوله حرض ليلة العشرين من الشهر المذكور، فلما أصبح السلطان في حرض يوم الإثنين العشرين تصدق بصدقة جليلة على سائر الناس وأقام بها أيامًا، ثم سار فدخل المَهْجَم يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وقد عمل صاحب المَهْجَم طلعات تمشي على العَجَلَات، ثم جعل فيها من المغاني وأهل الطرب، وفرش من ثياب الحرير عند قدوم السلطان شيئًا كثيرًا، ثم سار السلطان من المهجم آخر يوم التاسع والعشرين، وقد وصله الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي في عساكره وغلمانه من الخيل والرجل، وقدم يومئذ صاحب القحمة، ولما سار السلطان من مدينة المهجم في تاريخه المذكور، كان قدومه زبيد يوم الأحد الثالث من صفر، وقد وصله ولده الملك المؤيد داود والوزير وهو القاضي جمال الدين محمد بن حسان في جملة من الجيوش المنصورة والعساكر المتكاثرة، فحط في بستان الراحة المسمى حائط لبيق، وقد عمل أمير زبيد ومشدها وناظرها ومشد الأملاك بها من الطَّلَعات المزينة بالذهب والفضة والمداريه المزخرفة وفَرَشُوا

(1) في (ع): السرافي.

(2) في رحلة السلطان الملك المجاهد: 130: عليب.

(3) في رحلة السلطان الملك المجاهد: 130: «الكيت» قال: نوع من السمك كذا.

(4) ما بين المعقوفتين: سقط من (ع).

من الثياب الحرير شيئًا كثيرًا، وفرش القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير والملك المؤيد، وكان أمير زبيد نجم الدين الخرتبرتي ومشدِّها القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب وهو ناظرها، وكان صاحب الأملاك يومئذ الشهاب ابن عبد الرحمن أخ الحكيم الزبيدي وكان يومًا مشهودًا، فأقام السلطان أيامًا، ثم تقدم نخل الأبيض وادي زبيد، يوم الخامس من الشهر المذكور، وكان ذلك يوم استواء ثمرة النخل، فَحَطَّ في قصره المعروف بالفائق[1]، فأقام فيه إلى آخر يوم السادس من الشهر المذكور، ثم رجع إلى قصر بستان الراحة، فأقام فيه أيامًا، ثم سار يريد تعز، فكان تقدّمه من زبيد آخر يوم الأحد العاشر[2] من صفر المذكور، فكان دخوله تعز يوم الأحد السابع عشر من الشهر المذكور، وقد أنعم على العسكر بشيء كثير من الذهب والفضة وأعطاهم من الخلع والكساوي على قدر مراتبهم في بَزَّة حسنة وعسكر جَرَّار من الملوك والوزراء والأشراف والأمراء[3]: [من البسيط]

من كل أبيض وَضَّاح عمامته كأنما اشتملت نورًا على قَبَسِ

وخرج في لقائه الملوك والفقهاء وأعيان البلد، وخرج عامة الناس وخاصتهم فوقف لهم في الحَبِيل وقَبَّلوا كفه المبارك، وأكثروا من الدعاء له وهو يؤمِّن على دعائهم، ويقول: أكثر الله أمثالكم، فلما انقضى سلام المسلمين سار في موكبه وكتائبه[4]: [من الطويل]

همام إذا ما هَمَّ أمضى همومه بأرعن وطء الموت فيه ثقيل
وخيل براها الركض في كل بلدة إذا عَرَّست فيها فليس تقيل

ولم يزل سائرًا إلى قصره وبستانه بالجهملية، وقد عمل أهل تعز من الطلعات التي تسير على العجل والمداريه شيئًا كثيرًا، وكان يومًا عظيمًا، فأقام السلطان في الجهملية إلى يوم العشرين من شهر صفر المذكور، ثم دخل ثَعَبَات صبح يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور، وقد عمل ولده الملك المؤيد والمظفر من الطلعات والمداريه وكانت كل طلعة أربع طبقات، ونثرت الدراهم على رؤوس الناس، ودقت الطبلخاناة، ولُبِّست البيوت في جميع المدينة سبعة أيام، وأنفق على العسكر المنصور نفقة أربعة أشهر.

(1) قصر الفائق ذكره المؤلف في العقود اللؤلؤية: 584.

(2) العقود اللؤلؤية: السادس عشر.

(3) المتنبي ديوانه 1: 398.

(4) للمتنبي.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر صفر(1): وقع مطر عظيم عام في البلاد، فدفع وادي زبيد في ذلك اليوم دفعة عظيمة، فوصل السيل قرية المَسْلب من وادي زبيد بعد صلاة المغرب فاحتمل معظم القرية وهلك(2) من سكانها نحو من مئة وخمسين إنسانًا ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير، وهلك من البقر والغنم والحمير والجمال شيء كثير، ولم يبق من البيوت المسكونة إلا شيء يسير، وافتقر عامة أهلها وانتقلوا هم ومن معهم من ذلك الموضع إلى الموضع الذي هم فيه اليوم، وهو قبلي القرية القديمة وغربيها.

[**وفي سنة أربع وأربعين**(3): خالف الملك المؤيد على أبيه في شهر رمضان من السنة المذكورة، وكان إقطاعه الجَثَّة فاستولى على المهجم، فَجَرَّد إليه والده السلطان الملك المجاهد العساكر صحبة القاضي موفق الدين، ثم جرد الأمير سيف الدين [طغى](4) الخراساني في عسكر آخر فما زالوا يلاطفونه حتى أجابهم إلى الدخول في الطاعة، وضمنوا له على أبيه الرضاء](5).

وفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة(6): أصلح الملك المؤيد ووصل صحبة العسكر المنصور إلى أبيه، فلما دخل على أبيه ضربه وحبسه، فمات بعد ذلك بقليل، وكان سبب خلافه استكثارًا من أبيه لما قَدَّم عليه أخاه الملك المظفر(7) وكان المؤيد أكبر من المظفر بل أكبر بني أبيه كلهم فقدم المظفر عليه فكان يسير في خدمته فأنف من ذلك فكان هذا سبب الخلاف.

وفي السنة المذكورة أو في التي قبلها(8): خالف أهل سَوْرق فحَطَّ عليهم السلطان وارتفع عنهم في النصف من المحرم، [ثم عاود المحطة عليهم فأخذ الكَلِبَة من جبل سورق، ثم استولى على باقي الجبل في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول](9).

(1) العقود اللؤلؤية: 586.

(2) العقود: «وسال في السيل من سكانها».

(3) العقود اللؤلؤية: 587.

(4) زيادة من العقود.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(6) العقود اللؤلؤية: 588.

(7) في (و): الظافر، وأثبتناه من (ع) والعقود.

(8) العقود اللؤلؤية: 587 في حوادث سنة 744هـ.

(9) زيادة لا توجد في العقود اللؤلؤية.

وفي سنة ست وأربعين[1]: تقدم السلطان إلى عدن في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، وأقام فيها أيامًا ثم سار من عدن إلى زبيد على طريق الساحل.

وفي سنة سبع وأربعين[2]: وصل السلطان إلى زبيد من عدن فتفرج على السّبوت، ثم نزل النخل فأقام فيه أيامًا، ثم سار إلى البحر فكانت قصة الملك الفائز قطب الدين أبي بكر بن حسن بن داود، وكان سبب ذلك أن المماليك الغرباء لما تأخرت نَفَقَاتهم اجتمعوا واتفقوا على لَزْم السلطان في البحر، لأنه هنالك في غير حرز منيع، واتفق رأيهم على قيام الملك الفائز، فوصل إليه جماعة من أكابرهم وقَرَّروا عنده الأمر[3]، فقال: هذا الأمر لا يتم؟ قالوا: ما نأتيك إلا بأمر تام، فاتفقوا على قَصْد السلطان في البحر مطالبين بالجامكية وأن يكون وصولهم آخر النهار، وافترقوا على هذا الرأي، [وكان الملك الفائز حينئذ معهم في البحر نائب الملك على أحسن حال، فتعوذ بالله من الشيطان][4]، فتقدم واحد منهم وأعلم السلطان وهو على البحر بحقيقة أمرهم، فركب من فوره إلى النخل وسار في غير طريقه المعهودة، وأرسل من نقبائه[5] نفرين يسيران في الطريق ويلقونه في النخل بخبر من يلقونه في الطريق، وترك الزمام[6] وعبيد السلاح[7] وطائفة من الغز يسيرون صحبة الحريم والثقل، ولما وصل السلطان النخل واجه الشخصين الذين أرسلهم من البحر، فاستخبرهما؟ [فأخبراه][8] أنهما لقيا جماعة فاستخبرونا عن السلطان فأخبرناهم أنه قد صار في النخل فتحيروا ووقفوا وفارقناهم وهم بأسرهم[9] على خيولهم، فأرسل السلطان حينئذ الأمير سيف الدين طغي الخراساني والطواشي نظام الدين خضير وقيل: الطواشي بارع فيمن معه من عبيد السلاح

(1) العقود اللؤلؤية: 589.

(2) العقود اللؤلؤية: 590.

(3) في (ع): وقرر عليه وقرروا عليه، وفي العقود: وعَرَّفوه صورة الأمر.

(4) سقط من (ع).

(5) في (ع) من ثقافة.

(6) سبق ذكره.

(7) عبيد السلاح فرقة من العبيد الأحباش كانت تتولى حراسة مخازن الأسلحة والمعدات الحربية (الدولة الرسولية للفيفي: 375).

(8) سقط من (ع).

(9) في (ع) بأمرهم.

وغلمان البغلة[1]، وقال: تقدموا إلى قطب الدين وجيئوا به طوعًا أو كرهًا، وانظروا هيئته هل هو على أهبة أو غافل عن هذا الأمر؟ فتقدموا بأجمعهم، فلما وصلوا دخل عليه الطواشي والأمير وأحاط الباقون بالموضع، فلما دخلوا عليه وجدوا دوابه مشدودة، فقالا له: باسم الله يا مولانا طلبت إلى المقام الشريف، فلم يجد بدا من ذلك، فقرَّبا له بغلة فركبها وساروا بأجمعهم إلى باب الدار، فلما وصلوا به أشرف عليه السلطان وعاتبه ووبخه، وأمر بقيده والتقدم به إلى تعز، فقيد وخرجوا به في ليلتهم، فلما وصلوا به تعز لم تطل مدته هنالك، بل [وصلوا به إلى جبل الدمنة و][2] مات عن قريب، وكان قبضه[3] ليلة السابع عشر من الشهر المذكور من السنة المذكورة.

وفي آخر الشهر المذكور[4]: طلع السلطان تعز، [وأتلف جماعة من الغز شنقا وقتلا وتغريقا][5].

وفي أول ليلة من شهر رمضان: توفي الفقيه جمال الدين الإمام العالم[6] محمد بن عبد الله الحضرمي، وكان عالم عصره وفريد دهره.

وفي سنة ثمان وأربعين[7]: خالف أهل الشوافي وكان أول خلافهم في شهر صفر من السنة المذكورة، فجمع لهم السلطان العساكر من كل ناحية ومكان، وسار في جنود لا قبل لهم بها، ولا لغيرهم[8]: [من الوافر]

ووجه البحر يعرف من بعيد ... إذا يَسْجو فكيف إذا يموج

فَحَطَّ على الشوافي في آخر شهر صفر، فاستولى على الجبل وأهله يوم السادس من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، ولما ظفر بهم السلطان قتل منهم جماعة بالسيف وغرق طائفة في البحر، وكَحَّل آخرين وأذلهم إذلالًا شديدًا.

---

(1) غلمان البغلة: طائفة من الخدم، ورد ذكرهم في نور المعارف 2: 135.

(2) سقط من (و).

(3) في (ع): لزمه.

(4) العقود اللؤلؤية: 591.

(5) زيادة من العقود.

(6) طراز أعلام الزمن: 1951.

(7) العقود اللؤلؤية: 592.

(8) من أبيات للمتنبي. ديوانه 1: 360.

وفي هذه السنة[1]: قتل الشيخ يعقوب بن طبيق المعزبي بين الخندقين على باب سهام من مدينة زبيد، قتله رجلان من الأشاعر قبل غروب الشمس، وخرجا فلم يدركهما أحد.

وفي هذه السنة[2]: صام السلطان شهر رمضان في مدينة زبيد إلى آخر الشهر، وكان عيده عيد الفطر في زبيد، وكان عيدًا حسنًا، ثم توجه إلى عدن في آخر شوال أو في أول القعدة من السنة المذكورة وعَيَّد عيد النحر في عدن.

وفي سنة تسع وأربعين[3]: وصل السلطان من عدن إلى زبيد فتفرج في أيام السبوت ونزل النخل، ثم سار إلى البحر، ثم طلع تعز مصحوب السَّلامة.

وفي [أول][4] **يوم من شهر ربيع الأول**[5]: توفي الفقيه جمال الدين محمد بن منير الزيلعي، وكان أحد الفقهاء المحدِّثين بزبيد، وكان فصيحًا صبيحًا، له خط حسن مشهور.

وفي الرابع عشر من السنة المذكورة[6]: قتل الشيخ عمر المقيبعي بين الخندقين[7] من باب سهام، وكان رجلًا ذا ثروة، يضمن قوانين المدينة بزبيد، كبيت البر، وبيت الحناء، [وبيت الموز][8]، وسوق السمك والمعصرة، قتله رجلان من أهل النويدرة القرية التي على باب سهام ثم لزما بعد وكُحّلا بعد موته.

وفي سنة خمسين وسبع مئة[9]: توفي الأمير الكبير شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي وهو ابن خال مولانا السلطان، وكان السلطان ابن عمته أخت أبيه[10]، وكان رجلًا خَيِّرًا عظيم القدر عند السلطان عزيزًا، خصيصًا به، أديبًا لبيبًا، متفقهًا، وكانت وفاته في مدينة تعز ودفن في الأجيناد، رحمه الله تعالى.

---

(1) لم يرد هذا الخبر في العقود اللؤلؤية.

(2) لم يرد الخبر في العقود اللؤلؤية.

(3) العقود اللؤلؤية: 594.

(4) سقط من (و).

(5) العقود اللؤلؤية: 594.

(6) سقط هذا الخبر من العقود.

(7) في (ع) الخندوين.

(8) سقط من (و).

(9) العطايا السنية: 137 وطراز أعلام الزمن: 358.

(10) لأن والدة السلطان المجاهد بنت علي بن إسماعيل النقاش تزوجها الملك المؤيد، وهي أخت المترجم له. انظر السلوك للجندي 1: 725 (بتحقيقنا).

وفي النصف الأخير من ذي القعدة[1]: توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن مليح[2] النحوي، وكان نادرة الزمان، لطيفًا ظريفًا، لين الجانب، دمث الأخلاق، وكف بصره في آخر عمره.

وفي سنة إحدى وخمسين في أول شهر المحرم منها[3]: توفي الفقيه الصالح موفق الدين علي بن نوح الزيلعي الحنفي الأنصاري الأبوي، من ولد أبي بن كعب، وكان فقيهًا محققًا في مذهب الإمام أبي حنيفة، عارفًا بالأصول والفروع، تَفَقَّه به جماعة من أهل زبيد وغيرهم، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثالث عشر من شعبان: توفي الأمير الكبير بدر الدين حسن بن علي الحلبي[4] صاحب القحمة، وكان أميرًا جليلًا، عالي الهمة مشهور الثناء، وكان مشهورًا عند العرب، وله عدة وقعات، توفي في مدينة حيس، وحمل إلى مدينة زبيد فدفن في مقبرة من ناحية في زبيد، وبني على قبره قبة[5] عالية، وتربته هنالك معروفة مشهورة.

وصام السلطان شهر رمضان هذه السنة في مدينة تعز.

وعزم على الحج[6] فتجهز وتوجه إلى مكة المشرفة، وكان سَفَره من تعز يوم الرابع والعشرين من شوال، وترك الأمير شمس الدين يوسف بن القاهري واليًا في حصن تعز، والطواشي أمين الدين [أهيف][7] معه في الحصن شدَّاده، وترك القاضي موفق الدين عبد الله بن علي اليحيوي شدَّادة[8] في تعز، وكان يومئذ وزيرًا وقاضي قضاة اليمن، وترك الطواشي جمال الدين بارع في حصن إرياب في عسكر جَيِّد من الخيل والرجل، وأعطاه مالًا على حفظ تلك الناحية الشرقية، وترك في الحصن، حصن تعز من أولاده الملك [المنصور] والمظفر والملك الصالح، ومن أولاده الصغار يومئذ الأفضل والظافر والناصر والمنصور

(1) العقود اللؤلؤية: 595.

(2) في (ع): بليح.

(3) العقود اللؤلؤية: 597.

(4) هو المعروف بالنقاش، أخو أحمد السابق ذكره قبل قليل.

(5) في (و): تربة.

(6) انظر خبر حج المجاهد المذكور هنا، وما وقع له مع أهل مصر في العقود اللؤلؤية: 595 والعقد الثمين 6: 171 والسلوك للمقريزي 4: 130 - 131 وإتحاف الورى 3: 245.

(7) سقط من (و).

(8) يعني من يتولى مهنة المشد وهي وظيفة سبق شرحها.

والمسعود، وتقدم معه الملك العادل إلى مكة مع جِدَّتِهِ جهة صلاح والدة السلطان، وكان يومئذ جماعة من الملوك في السجن، وهم: شمس الدين بن المنصور وزين الإسلام ابن الناصر، والملك المفضل ابن المظفر، وتقدم القاضي موفق الدين إلى المخلاف لسبب أوجب ذلك وأقام بذي جبلة.

ولما دخل السلطان مكة المشرفة وفي صحبته الشريف زين الدين ثقبة بن رميثة وكان مطرودًا عن مكة قد طرده أخوه عَجْلان بن رميثة، وكان ثقبة مُحِبًّا للسلطان منتميًا إليه، وكان الشريف عجلان محبا لأهل مصر ومنتميًا إليهم، وهم الذين أقاموه في مكة، فلما دخل السلطان - كما ذكرنا - وفي صحبته ثقبة نقل إلى الشَّريف عجلان أن صاحب اليمن يريد يولي في مكة أخاك ثقبة إذا قد صدر[1] الركب المصري ويترك معه قطعة من العسكر، وربما أنه يريد لَزْمَكَ وتسير معه معتقلًا، فلا تَشَمَّ ريح مكة أبدًا، فوقع الكلام في قلبه، فدخل على أمير[2] الركب المصري، وقال له: إن صاحب اليمن يريد أن يقف بعدكم في مكة بعد تقدّمكم ومراده أن يَنْزِع كسوة البيت ويكسو البيت كسوة جاء بها معه من اليمن، ويريد أن يُوَلِّي في مكة واليًا من جهته، ويترك جندًا من اليمن، ويغيِّر أوضاعكم ولا يترك لكم في مكة أمرًا، وها هو في جمع يسير من أهل اليمن، ولكن لا طاقة لنا بهم، ومن المصلحة أنه لا يفوت، وإن لم تفعلوا تقدمت معكم إلى مولانا السلطان وتركت مكة وبرئت من العهد، فوقع هذا الكلام في قلوبهم، واتفق رأيهم ورأي أهل مكة على الإقدام عليه، فقال لهم الشريف وأهل مكة: نحن نجعل عيونًا عليه متى إن افترق عسكره في منى لقضاء حوائجهم أشعرنا عليكم، فلا تكونوا إلا على أهبة، فافترقوا على هذا الرأي ولا علم لأهل اليمن بشيء من هذا.

فلما كان اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور: وقد افترق العسكر وانتشروا في منى يَتَجَهَّزون للنفر أرسل الشريف رسولًا بكتاب إلى أمير الركب يستحثه للركوب، وقال: هذا وقت قضاء الحاجة، فركبوا بأجمعهم ونَهَبوا المحطة على حين غفلة من أهلها وأحاطوا بمخيم السلطان، وكان عنده جماعة من أصحابه، فقاتل بعضهم فقتل منهم جماعة، فرأى السلطان أنه إن استمر القتال قُتِل أصحابه، فاستسلم للقضاء على أنهم لا يتعرضون لأحد غيره، [ففعل][3] وفعلوا.

---

(1) في (ع): سار.

(2) في إتحاف الورى 3: 248 اسمه «بزلار».

(3) زيادة من (و).

فلما لزم الجميع أيديهم نزل إليهم من الأكمة التي كان عليها، فنزلوا بأجمعهم مترجِّلين وأركبوه بغلة وساروا بين يديه إلى محطتهم على ما يجب من التَّبجيل والتعظيم، وضربوا له خامًا[1] خاصًا، وسألوه أن يستصحب من غلمانه من أراده، فاستصحب الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي، وتوجَّهوا مسافرين إلى الديار المصرية.

ودخلت الآدر الكريمة جهة صلاح مكة المشرفة ومعها الطواشي جوهر الرضواني وسائر غلمان السلطان من الغز والأمراء، فأقاموا في مكة أيامًا واسترجعوا شيئًا كثيرًا من الخيل والبغال والجمال والآلات، ثم ساروا متوجِّهين إلى اليمن فيمن معهم من المقدَّمين، كالقاضي جمال الدين محمد بن حسان والقاضي فتح الدين عمر بن الخطبا والقاضي صفي الدين أحمد بن محمد ابن هماز[2] والطواشي نظام الدين خضير وطائفة من العسكر.

قال علي بن الحسن الخزرجي: سمعت بوقوع هذا الحادث الذي حدث في منى يوم وقوعه أو بعده بيوم ونحن في مدينة زبيد على زيادة ونقصان وتصديق وتكذيب، ولا أشك أن الذي وصل به شيطان، فتَحَدَّث الناس به يومين أو ثلاثة أيام، وسكن الكلام على غير تحقيق.

وفي سنة اثنتين وخمسين[3]: وصل ابن زرير من مكة بأوراق فضربت الطبلخاناة لذلك ثلاثة أيام، ثم شاع الخبر على التحقيق بما تضمنته الأوراق، ووصل القاضي موفق الدين[4] من المخلاف[5].

فلما كان يوم الخميس من الشهر المذكور: طلع الوزير[6] الحصن إلى الطواشي أهيف وتَحَدَّثا هنالك ساعة من نهار، ونزل إلى بيته، ولما اتصل العلم بالطَّواشي جمال الدين بارع وعلم بنزول الوزير من جبلة نزل من إرياب ووقع في حسه أن السلطان لا يرجع اليمن، وقدر

(1) الخام: نسيج أو قماش غير معالج يستعمل للخيام الكبيرة. انظر صناعته وضريبته في نور المعارف 1: 191.

(2) كذا في (و) وفي (ع): عثمان، وفي العقود: 597: عمار. والصواب ما ورد في العقود، وفيه: صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار المعروف بالنشو توفي سنة 754هـ. العقود اللؤلؤية 608 وطراز أعلام الزمن: 398 وفيه: «كان يتهم هو وأهله بالسمعلة» أي بمذهب الإسماعيلية الباطني.

(3) العقود اللؤلؤية: 598. وفي العقود بزيادة: وهو رجل من أهل قرية التربية بوادي زبيد، وكان يحج كل سنة ولا يتقدمه أحد في الرجوع إلى اليمن بعد انقضاء الحج البتة.

(4) يعني القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي.

(5) يعني مخلاف جعفر جبلة ونواحيها.

(6) يعني القاضي موفق الدين السابق ذكره.

في نفسه أنه إذا نزل بهذا العسكر الجيد الذي هو مضاف إليه ربما اتفق الأمر على قيام أحد أولاد السلطان فيكون هو القائم بالباب، وتكون له يد مع من استقام في الملك، فلما صار في الجَنَد هو وكافة العسكر الذي معه كتب إليه الطواشي[1] كتابًا يقول فيه: عَرَّفني ما نزولك من عهدتك وما مرادك بهذا العسكر الذي قد جمعته من كل مكان، ومولانا السلطان حفظه الله في عافية، وقد وصلت إلينا البشائر بوصوله فأفهمني ما أنت فيه وما مرادك؟! فلم يجد عذرًا يقيمه، فكتب جوابًا يعتذر فيه ويقول: ما وصلت إلا بأمر الوزير كتب إلي أن أصل، فإن تأمرني بالوصول وصلت، وإن تأمرني بالرجوع رجعت، ولم يكن القاضي موفق الدين كتب إليه بشيء من ذلك، فلما وصل كتابه إلى الطواشي أهيف طلب القاضي موفق الدين يطلع إليه فطلع إليه [وطلع][2] قاضي تعز القاضي عبد الأكبر[3] والفقيه تقي الدين[4] عمر بن عبد الله بن علي والفقيه عيسى بن صالح وحصل بينهما كلام ما يطول شرحه، ثم إن الطواشي أهيف رسم على الوزير في الحصن ومنعه النزول إلى بيته وحبسه عنده، ولزم الأمير شمس الدين يوسف بن القاهري أمير الحصن وكاتبه الفقيه علي بن عبد الجبار، ونقيبه النقيب علي الهَمْداني، وكان ذلك يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم، فلما علم الطواشي بارع بأمر الوزير، وأمير الحصن سَرَى ليلًا من الجَنَد فأصبح في المدرسة المجاهدية بتعز، فأمر الطواشي أهيف من لزمه من محراب المدرسة، وأطلع الحصن يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من المحرم فقابل الطواشي أهيف بين يدي الوزير والطواشي بارع، فقال الوزير للطواشي بارع: يا طواشي إن كنت كتبت إليك كما تقول، فأين خطي أوقفني عليه؟ قال: وأين أجد كتابك الساعة وقد أخذ جميع ما معي؟ فأمر بهما فقيدا وباتا في الحبس، وأمر في ليلته تلك بالأمير شمس الدين محمد بن القاهري وبالنقيب والكاتب فأصبحوا مطروحين في الجَنَد [مقتولين][5] يوم الأربعاء الخامس والعشرين.

---

(1) يعني الطواشي أهيف السابق ذكره.

(2) سقط من (و).

(3) هو القاضي عبد الأكبر بن أبي بكر الجنيد توفي سنة 754هـ (طراز أعلام الزمن: 1130).

(4) هو الفقيه عمر بن عبد الله المعروف بالمكي توفي سنة 768هـ (العطايا السنية: 345 والعقود اللؤلؤية: 649).

(5) سقط من (و).

ولما كان ليلة السبت الثامن والعشرين: شنق الوزير والطواشي بارع، ولما أصبح أمر بهما فقبرا في المقبرة بتعز، رحمهم الله عليهم أجمعين.

ولما كان يوم الأربعاء ثاني شهر صفر[1]: ورد أمره على القاضي رضي الدين أبي بكر بن الفضل أن يكون نائب القاضي فتح الدين[2] في الوزارة حتى يصل.

وفي يوم الخميس الثالث من صفر: أمر القاضي عفيف الدين[3] عبد الأكبر في قضاء الأقضية.

وفي ليلة الأحد السادس من صفر: انقض كوكب عظيم بعد المغرب إلى ناحية القبلة، ولما خرج سائر عسكر السلطان من مكة المشرفة - كما ذكرنا - ساروا على أهبتهم متوجهين إلى اليمن، فلما وصلوا حرض وكان صاحبها الأمير نجم[4] الدين ميكائيل فأمرت مولاتنا جهة صلاح فيها القاضي جمال الدين محمد بن حسان لما يعلمون من سكينته وحسن تدبيره [أن يقف فيها][5]، وسارت في بقية العسكر إلى تعز، وكان دخولهم تعز ليلة الأربعاء السادس عشر من صفر، فكان نزولهم في المجلِّيَّة وبرز الأمر الشريف بضرب نوبة خليل، ولم تكن تضرب من قبل، ووصل معهم القاضي فتح الدين والقاضي صفي الدين أحمد بن عمار والطواشي نظام الدين خضير وبقية العسكر، وكتبت نهار الثاني إلى الطواشي أهيف أن يرسل لها بالمظفر[6] والصالح ليسلما عليها وكانت خاشية منهما، ومن الطواشي [أن يمنعها من][7] طلوع الحصن، فنزلوا إليها وسلموا عليها ووقفوا في المجلية فطلعت الحصن سرا منهم، فلما صارت في الحصن ودخل عليها أهيف وسلم عليها فاستحلفته وتوثقت منه، ثم أمرته أن يطلب الأولاد وطلبهم فطلعوا الحصن يوم الخميس الثامن عشر، وأمرت الطواشي أهيف أن يجعل مع الملوك من يحفظهم ويتطلع على أخبارهم من الخدام، ففعل.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 599.

(2) هو فتح الدين عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد المعروف بالخطباء السابق ذكره. انظر ترجمته في العطايا السنية: 348 وطراز أعلام الزمن: 159.

(3) هو عبد الأكبر بن أبي بكر بن محمد الجنيد توفي سنة 754هـ. طراز أعلام الزمن: 1130 والعطايا السنية: 272 (بتحقيقنا).

(4) العقود اللؤلؤية: 600 (نورالدين).

(5) زيادة من العقود.

(6) هما أبناء الملك المجاهد.

(7) سقط من (و).

وفي يوم الرابع والعشرين[1]: وصل رجل يقال له: الحمزي بأوراق من السّلطان كتبها له من المدينة [الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام][2] فضربت الطبلخاناة لأجل ذلك [ثلاثة أيام][3].

وفي هذا التاريخ: طلع الطواشي نظام الدين[4] والقاضي صفي الدين[5] والشيخ جمال الدين[6] إلى التعكر ثم إلى جبلة.

وفي يوم السابع والعشرين: ورد الأمر على القاضي والفقهاء بقراءة البخاري في جامع المغربة وعدينة.

وفي يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول: وصل الفضل الحرازي برأس ابن قيماز صاحب بعدان إلى مدينة تعز فكسي كسوة حسنة، وأعطي مالًا يستعين به.

وفي يوم الخامس والعشرين: وصل القاضي جمال الدين الفارقي بابتداءات من السلطان من مصر وضربت الطَّبلخاناه لأجل ذلك ثلاثة أيام.

وفي هذه السنة[7]: حصل في اليمن موت عظيم أن بعض البيوت خلت من السكان، ولم يبق منهم أحد، وابتدأ الإمام بالقنوت في الجامع[8] يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع الآخر.

وفي يوم السبت السادس عشر: وصل الحاج مفتاح الشَّداد تأييدات[9] من السلطان وضربت الطبلخاناة لأجل ذلك سبعة أيام.

وفي يوم الثامن والعشرين: ختم الفقهاء قراءة البخاري في جامع المغربة، ووصل العلم أن السلطان خرج من مصر متوجِّهًا إلى اليمن، فسار أيامًا وأمر صاحب مصر برجوعه إلى مصر[10].

---

(1) العقود اللؤلؤية: 600.

(2) سقط من (و).

(3) سقط من (ع).

(4) يعني نظام الدين خضير السابق ذكره.

(5) يعني صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار سبق.

(6) يعني القاضي جمال الدين محمد بن حسان السابق ذكره.

(7) العقود اللؤلؤية: 601.

(8) يعني جامع زبيد.

(9) في (ع) والعقود: بابتداءات.

(10) في السلوك للمقريزي 4: 146: وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك فخلع عليه ورسم له بالعودة.

وفي الخامس من جمادى الأولى: توفي[1] في تعز سبعون إنسانًا، ووصلت خزانة من عدن يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور فيها من الذهب والفضة والقماش والتحف شيء كثير، ووصل الشريف سليمان بن الهادي صاحب صعدة أول يوم من جمادى الآخرة.

وفي يوم السادس والعشرين: توفي الفقيه محمد بن أبي القاسم إمام المدرسة المؤيدية، وكان رجلًا صالحًا.

[**وفي السابع والعشرين**: توفي الفقيه علي بن محمد الصَّبْري رحمه الله تعالى][2].

وفي يوم السابع والعشرين: توفي الفقيه الصالح أحمد بن مسعود العتمي، والأمير بدر الدين محمد بن أحمد بن الكاملي.

وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور: توفي الشريف سليمان بن الهادي صاحب صعدة، وصاحوا بالصلاة على الفقيه محمد بن الوشاح بجامع المغربة.

وفي السادس والعشرين: توفي الشيخ يوسف بن مدافع صاحب (الوحيز)، وكان رجلًا صالحًا.

[**وفي أول شهر شعبان**: وصلت الخزانة الثانية من عدن المحروس][3].

وفي أول شهر رمضان: قبض الأشعوب حصن سامع وقتلوا من الرتبة خمسة عشر، وقتلوا عبدًا للطواشي نظام الدين في البياض، وخالف أهل بعدان، وكان أول خلافهم من إب.

[وفي السابع من شوال قتل الهمام بن جسم قتله بنو عبيد، وتوفي الأمير الكبير بدر الدين الفارس يوم الأحد الثامن من شوال][4].

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور: خرج العسكر المنصور لقتال الأشعوب فيهم القاضي صفي الدين أحمد بن عمار، والأمير الحسام عبد الغني وأحد بني زياد فأخذوهم قهرًا بالسيف يوم السابع والعشرين من الشهر المذكور، ورجعوا إلى تعز ظافرين، فبرز أمر [موالينا الكريمة جهة صلاح][5] بتقدم العسكر إلى بعدان[6] فخرجوا سراعًا فقتلوا منهم

(1) لم يرد هذا الخبر في العقود اللؤلؤية.

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (و) وانظر ترجمته في العقود اللؤلؤية: 604.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع).

(4) سقط من (و).

(5) سقط من (ع).

(6) في (و): تعز.

رجلًا أو رجلين وبينما هم كذلك إذ برز أمر موالينا جهة صلاح برجوعهم إلى الباب فرجعوا، وقد وصل رجل يقال له: العشيري بأوراق من الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني من مكة وأخبر بوصول مولانا السلطان وأنه قد صار في أثناء الطريق، فضربت الطبلخاناة سبعة أيام وعملت فرحة عظيمة، ولما رجع العسكر من بعدان أمرتهم مولاتنا جهة صلاح بالتقدم إلى ساحل الحادث فتجهز القاضي فتح الدين وكان يومئذ وزيرًا وتجهز القاضي صفي الدين أحمد بن عمار وسائر أرباب الوظائف.

وفي يوم السابع والعشرين من شوال[1]: قتل الأمير ركن الدين عبد الرحمن بن الفخر المعروف بابن العنقاء، والأمير شهاب الدين أحمد بن الدمياطي، وبهادر الهندي، قتلتهم المعازبة فيما بين القرشية وزبيد، وكان ابن الدمياطي يومئذ أمير زبيد، وكان الركن مقدم العسكر، فأَمَّر [موالينا][2] في زبيد الأمير تاج الدين إسماعيل بن محمد الحلبي واليًا بزبيد فدخل زبيد مستمرا يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة، ووصل رسل من سواكن بابتداءات من السلطان، فضربت الطبلخاناة ثلاثة أيام.

وفي يوم الرابع عشر من ذي الحجة: بَرَزَ العسكر المنصور للقاء السلطان وخرجت الطَّبلخاناة بأعلام جدد وطلعات جدد وبَزَّة حسنة وآلة كاملة قد هيئت لوصوله، وتقدم الأمير بهاء الدين السنبلي إلى المخلاف آخر ذلك اليوم.

وفي اليوم السادس عشر: سافر العسكر المنصور وأرباب الوظائف والمقدمون وكافة العسكر للقاء مولانا السلطان، فكان وصولهم زبيد يوم السابع عشر فأقاموا فيها ثلاثة أيام، ثم خرجوا إلى الجهات الشامية، فكان خروج السلطان من البحر إلى الحادث يوم السادس من ذي الحجة، فسار إلى المهجم وعَيَّد فيها عيد النحر من السنة المذكورة.

وفي ليلة الجمعة العاشر من الشهر المذكور: وصل مبشِّر بابتداءات من مولانا السلطان إلى مولاتنا جهة صلاح.

وفي يوم الثامن عشر من الشهر المذكور[3]: نزلت مولاتنا جهة صلاح من الحصن إلى المجلِّية، ثم ساروا إلى زبيد فدخلوا زبيد يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور،

(1) سقط هذا الخبر من العقود اللؤلؤية.

(2) في (ع): جهة صلاح.

(3) العقود اللؤلؤية: 603.

ونزل صحبتهم بقية العسكر وأولاد السلطان، ثم تقدمت كريمته جهة صلاح [فاتن][1] إلى المهجم وفي صحبتها الست جهة فرحان فلقوا مولانا السلطان بالمَهْجم قبل أن يسافر منها، ثم سار السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة، وعملت الفرحات والطلعات وزُيِّنت المدينة، ولقي والدته جهة صلاح في قصر بستان الراحة بزبيد في التاريخ المذكور.

وفي مدة إقامته في زبيد: أقطع ولده يحيى المظفر فشال، وأقطع ولده حسن الصالح الكدراء، وجعل أستاذ دار الملك المظفر أسد الدين محمد بن بوز وأستاذ دار الملك الصالح الأمير فخر الدين أبو بكر ابن بوز فأمرهما بالتقدم إلى إقطاعهما فتقدما.

وفي سنة ثلاث وخمسين[2]: تقدم السلطان من محروس زبيد إلى تعز، فكان دخوله تعز يوم العاشر من محرم من السنة المذكورة، فلما استقر في مدينة تعز شفعت إليه والدته مولاتنا جهة صلاح في إطلاق المسجونين من الملوك فأطلقهم جميعهم، وهم: شمس الدين محمد بن المنصور أيوب بن يوسف بن عمر، وزين الإسلام أحمد بن الناصر محمد بن عمر بن يوسف بن عمر، وشمس الدين المفضل بن يوسف بن حسن بن داود بن يوسف بن عمر، فلما أطلقهم أمرهم بسكنى قرية السَّلامة، وأطلق الشيخ عمر بن حسين الزميلي، وكان مسجونًا في الحصن أيضًا، وأقام السلطان في تعز إلى شهر جمادى الأولى، ثم نزل زبيد فأقام فيها بقية جمادى الأولى وشيئًا من جمادى الأخرى، ثم تقدم إلى تعز، وطلع معه ولداه المظفر والصالح وهما على إقطاعهما.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة: جَرَّد السلطان عسكرًا إلى بعدان، فَشَرَعوا في بيعة تتفق لهم في الجبل فلم يتفق لهم ذلك، فرجعوا في شهر شعبان.

وفي شهر شعبان[3]: أرسل السلطان بهدية جليلة المقدار إلى الدِّيار المصرية، وصار فيها ولده أحمد الناصر ومعه القاضي فتح الدين عمر بن الخطبا والأمير شمس الدين علي بن أحمد، والطواشي نظام الدين خضير فتقدموا جميعًا، فتوفي الطواشي خضير في عيذاب، وقبر هنالك.

(1) سقط من (و).

(2) العقود اللؤلؤية: 604.

(3) العقود اللؤلؤية: 605، وحول هذه الهدية ورسل السلطان إلى مصر. انظر السلوك للمقريزي 4: 179.

فلما علم السلطان بوفاته أرسل الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني فأدركهم وقد دخلوا مصر.

وفي سنة أربع وخمسين[1]: ورد أمر السلطان بقبض مشايخ بني زياد ومصادرتهم على يد الأمير بهاء الدين بهادر المجاهدي، وكانوا ثلاثة نفر أحدهم مقطع لحج وأبين والثاني ناظر الجهات الدملؤية يحكم من المفاليس إلى القفاعة[2]، والثالث ناظر الجبائية والتعزية يحكم إلى حد بطحوات فكثر عليهم الكلام وحسدوا، وأغري السلطان بهم، وكان لهم فضل ومروءة، ومكارم أخلاق [بخلاف غيرهم][3]، وكان الناس يقولون: إنهم برامكة الوقت لفضلهم وجودهم واستيلائهم على كثير من المملكة، فنقل الناس إلى السلطان عنهم ما غَيَّر باطنه وظاهره فأوقع بهم، فصودروا مصادرة شديدة حتى هلكوا في المصادرة جميعًا في مدينة الجؤة، فدفنوا هنالك، وقبورهم معروفة هنالك، وأثبت السلطان عليهم بمال جزيل قبض[4] به جميع أملاكهم في المخلاف.

وفي شهر صفر: انفصل الملك المظفر [من إقطاعه][5] واستمر الأمير شجاع الدين عمر بن العماد، وكانت ولايته سببًا لخراب التهائم فإنه تولى في الجهة المذكورة من تحت يد القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب، فأوصاه ابن قبيب بمتابعة الأشاعر لكونهم يميلون إلى القاضي جمال الدين محمد بن حسان، وكان أهل باب السلطان حزبين: حزب مع ابن حسان وحزب مع ابن قبيب.

فلما دخل ابن العماد الجهة المذكورة طلب شيخ الأشاعر وقال له: أريد منك خمسة آلاف دينار، قال: بأي سبب؟ قال: لك عادة بتسليمها، فخرج منه ولم يأته بعدها.

وفي شهر ربيع الأول: نزل السلطان زبيد فأقام بها أيامًا وتوفي القاضي صفي الدين أحمد بن عمار في مدينة زبيد ليلة الثالث عشر من شهر ربيع الآخر، وقبر على طريق التربية من باب سهام عند قبر الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي[6]، وأقام أيامًا وطلع تعز في أول شهر

---

(1) العقود اللؤلؤية: 606.

(2) العقود اللؤلؤية: المعافر.

(3) سقط من (و).

(4) في (ع): اقتضى.

(5) سقط من (ع).

(6) هو المعروف بابن النقاش.

جمادى الأولى من السنة المذكورة، وأَمَّر القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار [وزيرًا][1]، وفي أول ليلة من وزارته: حرقت الركبخانة[2] السلطنة وحرق فيها من الآلات والسروج وغيرها ما يساوي ثلاث مئة ألف دينار، على ما قيل.

وفي شهر رجب[3]: نهض السلطان إلى المخلاف واستخدم العساكر، وطلع فحط في دار السلام من جبلة وحط الطواشي صفي الدين [أبو ملعق][4] والصارم بن حناجر والمشايخ بنو ناجي في فصال[5]، وكان معهم من العسكر أربع مئة فارس وثمانية آلاف راجل، وحط الأمير بهاء الدين السنبلي والشهاب ابن قبيب والأمير بدر الدين محمد بن إسماعيل بن إياس [في مدنن][6] وجملة من معهم من العسكر مئة فارس وثلاثة آلاف راجل، وحط القاضي جمال الدين محمد بن حسان والجلال ابن الأسد [الكردي][7] في الحقيبي وهو موضع في الشعر يلي مدورة بعدان، وكان معهم من العسكر مئة فارس من الباب، ومئة وخمسين من الأكراد، وأربعة آلاف راجل، فأحاطت العساكر بالجبل وضَيَّقوا على أهل بعدان ضيقًا شديدًا، فلما رأى السيري ما هم فيه من الضيق وكان رجلًا داهيًا مكارًا تنقاد له القبائل العاصية، ويعد نفسه كالصَّغير من الناس لا يترَفَّع على أحد منهم، فلما رأى ما نزل به طلب فقيرًا من المدروزين[8] ووهب له شيئًا ووعده بشيء آخر، وقال: أريد منك أن تنفعنا وننفعك؟ قال: وما تريد؟ قال: تتقدم إلى خيمة السلطان وتقول للزمام[9]: عندي نصيحة وأريد مواجهة السلطان، ولا أذكرها إلا له، وهي مهمة من المهمات، فإذا دخلت على السلطان ووقفت بين يديه، قلت له: يا مولانا السلطان أنا رجل فقير وكثير الدورزة في البلاد وأمسيت هذه الليلة في المسجد

(1) سقط من (ع).

(2) في (و) الركز خانة، وحول هذه اللفظة انظر ما كتبناه في العقود اللؤلؤية هامش ص: 609.

(3) العقوداللؤلؤية: 609.

(4) سقط من (و).

(5) كذا في الأصل والعقود اللؤلؤية، صوابه: وصاب. انظر تاريخ وصاب: 154 (تحقيقنا).

(6) سقط من (و) ومدنن بنونين حصن عال في مركز الدن من وصاب العالي (المقحفي: 1466).

(7) زيادة لا توجد في (ع).

(8) لفظة محرفة عن المدروشين أو الدراويش، مفرد درويش، وهو الفقير المنتسب إلى الصوفية، وغالبا ما يتعاطون مهنة السُّؤال.

(9) الزمام سبق شرحه وهو المشرف على أمور السلطان (معجم مصطلحات التاريخية: 201).

الفلاني من بَعْدان، فما علمت نصف الليل حتى وصل جماعة إلى المسجد ووقفوا ساعة، ثم جاء بعدهم جماعة أخرى، وإذا هم جماعة من أهل بَعْدان وجماعة [أيضا][1] من أهل الشعر فاتفقوا واحتلفوا على أن أصحاب الشعر سينزلون[2] إليكم معيَّدين ومستنهضين في فتح الحرب على أهل بعدان، فإذا طلعتم للحرب وافتتح الحرب في كل ناحية أحاطوا بكم، وأشاروا[3] إلى أهل بعدان، فبالجملة فيأخذوكم أخذًا باليد وهم واصلون إليكم غدًا أو بعد غد، وقد والله أكلنا صدقاتكم غير مرة وإحسانكم علينا كثير، فأراد أقل العبيد أن يطلعكم على ما قد فعلوا، فلا تكون إلا على أهبة. قال السلطان: بارك الله فيك، ووهب له نحوًا من خمسين دينارًا.

وكان أهل الشعر يقاتلون مع السُّلطان قتالًا عظيمًا، وكان القاضي جمال الدين محمد بن حسان يثني عليهم في مكاتباته إلى السلطان.

فلما أطل العيد أمرهم القاضي محمد بن حسان أن ينزلوا إلى الباب الشريف لأجل العيد، وفي ظن القاضي جمال الدين أن السلطان يكسوهم وينعم عليهم، وأنهم يزدادون بذلك اجتهادًا في القتال ومحافظة على النصيحة.

فلما علم السِّيري بنصحهم معهم صنع لهم هذه المكيدة، ولما نزلوا إلى الباب الشريف طلب السلطان عبيد السلاح ومن حضر من الغز ولزم منهم ثمانية عشر وقيدهم للفور وأطلعهم حصن التعكر وهرب من هرب من أصحابهم، فلما اتصل العلم بأهل الشِّعر هجموا المحطة ولزموا القاضي جمال الدين محمد بن حسان والبهاء السنبلي وحرقوا المنجنيق وهرب سائر المقدمين وارتفعت المحاط وهربت الأكراد إلى ذمار وأقام المذكورون في السجن إلى أن هلكوا عن آخرهم، فكان هذا سبب الخلاف واتصال الفساد.

ولما اتسعت[4] الأمور ارتفع السلطان إلى الجَنَد في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة، [والله أعلم][5].

(1) زيادة من (ع).
(2) في (ع) شا ينزلون (على قاعدة لهجة أهل اليمن).
(3) في (و): ساروا.
(4) في (و): تشققت.
(5) زيادة في (ع).

وأما[1] ما كان من الأشاعر وابن العماد والشيخ أحمد بن عمر لما رجع إلى المخيريف – كما ذكرنا – لم يرجع إلى ابن العماد فطلبه ابن العماد فاعتذر، ثم طلبه مرة أخرى فاعتذر عن الوصول إليه، وقال: لا أدخل فشال أبدًا، فكتب ابن العماد إلى الشهاب ابن قبيب يعرفه أن الشيخ أحمد اعتذر وامتنع عن الوصول إليّ أبدًا، فراجع القاضي شهاب الدين إلى السلطان بأن يكون الأمير حسام الدين لاجين مقدمًا في فشال، فأجيب إلى ذلك وكان الحسام لاجين قد استمر في بيت حسين بعد قتل [عثمان][2]، وكانت له هنالك هيبة عظيمة.

فلما استمر في فشال أتاه كتاب ابن قبيب يوصيه بحفظ العهدة ومعاونة ابن العماد على الأشاعر وغيرهم، فكتب الشيخ أحمد بن عمر إلى القاضي جمال الدين محمد بن حسان يشكو إليه من ابن العماد وتعسفه، وكتب ابن العماد إلى ابن قبيب يشكو عليه من امتناع الشيخ أحمد عن الوصول إليه، وعن تسليم ما يتوجه عليه للديوان السعيد، فلما أكثروا الشكاوى إلى السلطان وكان السلطان يومئذ في المحطة على بعدان فكتب الجواب: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [الرحمن:31]، فوقفوا عن الشكوى ونزل القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار لاستخراج أموال الجهات الشامية، وكان نزوله في أول شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

فلما مَرَّ في فشال استحثَّ صاحبها في إخراج المال، ثم سار يريد الكدراء، فلما كان يوم السبت الثالث عشر من القعدة ركب ابن العماد إلى المخيريف لاستخراج ما يتوجه عليهم من مال الديوان، فدخل المخيريف في عسكر جَيِّد من الخيل والرجل، فطلب الشيخ أحمد طلبًا حثيثًا، فأتاه آخر النهار ومعه جماعة من أهله وآخرون من أهل القرية، فدخل عليه، فَهَدَّ عليه لتخلفه عنه، فاعتذر إليه فلم يقبل عذره، وأراد أن يقبضه ويرسم عليه، فأخبره بعض غلمانه أن على الباب جمعًا كثيرًا من الأشاعر ولا مصلحة لك في القبيح إليه، فتركه ولَيَّن له الكلام، ودخل عليه بعض أهل القرية ممن يظهر محبته ونصحه، فسأله ما كان من أمره هو والشيخ أحمد، فقال: أتاني في جمع كثير، وما لي ارتفاع من القرية إلا برأسه بين يدي.

فلما انقضى مجلسهما خرج الرجل إلى الشيخ وحَذَّره من الوصول إليه، فأمسى الشيخ قلقًا طول ليله، فلما أصبح ركب حصانه وخرج لبعض أموره فطلب ولده علي بن أحمد،

(1) العقود اللؤلؤية: 607.

(2) بياض في (ع).

وكان علي بن أحمد فارس الخيل في وقته، وأشجع الناس في الحرب فأوصاه أبوه [بالرجل، وسار الشيخ][1] لحاجته، فطلب علي بن أحمد، عبده سعيد وكان عبدًا فاتكًا، وهو الذي قتل يعقوب بن طبيق المعزبي على باب سهام، وطلب ابن عمه عبد الله بن علي بن عمر ورجلًا من قرابتها يقال له: أبو بكر بن حسن الزيلعي، فدخلوا على الأمير من غير إذن، وقد كان قام من النوم، فاغتسل وخرج من المغتسل فوقعوا عليه، وكان معه رجل يقال له: القويعي فلما نظرهم أخذ سلاحه فقصدهم، فقصده أبو بكر بن حسن الزيلعي فتضاربا حتى وقعا على الأرض قتيلين ومضت الجماعة فقتلوه موضعه فتشعشع[2] العسكر، فقالوا لهم: كلكم على الأمان والضمان ما تخشون شيئًا، فخرجوا ولم يتعرض لهم أحد بمكروه، وكان قتله يوم الرابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة.

ولما قتل ابن العماد في التاريخ المذكور كتب المقدم إلى القاضي جلال الدين علي بن محمد ابن عمار وكان يومئذ في الجهات الشامية[3] بسبب استخراج أموال الجهات، كتب إلى السلطان، فأرسل القاضي جلال الدين بالشهاب ابن سمير حافظًا للجهة بينما يرد أمر السلطان، فأمر السلطان القاضي عفيف الدين عثمان بن سليمان بن طلحة[4] فوصل آخر الشهر المذكور، وقرر أحوال الناس.

وفي سنة خمس وخمسين وسبع مئة[5]: وصل أمر السلطان على القاضي عفيف الدين عثمان ابن طلحة أن يغير على الأشاعر بالعسكر المنصور وبالقرشيين، فكتب إلى القرشيين يأمرهم أن يجمعوا جمعهم ويغيروا على أهل المخيريف - كما ورد أمر السلطان - وخرج في كافة العسكر من فشال والمقدَّم لاجين، وخرج أهل القرشية في جَمْع فسبق العسكر قبل وصول القرشيين فقاتلهم الأشاعر ساعة فانهزم العسكر ورجعوا خائبين وأقبل أهل القرشية بعد هزيمة العسكر فحملوا على الأشاعر ساعة فقتل من كل طائفة طائفة، ثم افترقوا فقال الشيخ أحمد بن عمر الأشعري لأهل القرية: يا هؤلاء الناس ما لنا بقتال

(1) بياض في (ع).

(2) كذا في الأصل والعقود اللؤلؤية: 603، ومعناه: انتشروا.

(3) يعني الجهات الشمالية مما يلي الحجاز نواحي حرض وما يتبعها.

(4) العقود بزيادة (الدوري) وفاكهة الزمن: 898.

(5) العقود اللؤلؤية: 611.

السلطان طاقة فارتفعوا عن البلاد، فارتفعوا عن القرية وافترقوا في وادي زبيد وفي الحواز، وكان في خروجهم من المخيريف سبب خراب التهائم كلها[1]، وذلك أن المعازبة اتفقوا هم والقرشيون على الفساد، فما برحوا يغيرون على قرى وادي رمع ووادي زبيد قرية قرية حتى أخربوا الواديين معًا.

ولما رجع القاضي جلال الدين[2] من الجهات الشامية في شهر ربيع الآخر وفي صحبته عدة من الرتب ومن عسكر الباب نحو من مئتي فارس فاتفق رأيهم على قصد المعازبة فقصدهم العسكر المذكور يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، وكانت المعازبة قد كثرت خيلهم.

فلما وافاهم العسكر شَمَّروا عن مواضعهم، فَنَهب العسكر بلادهم نهبًا شديدًا، ثم اجتمعت خيل المعازبة وحملوا على العسكر وقد افترق جمعهم فهزموهم هزيمة شديدة، وقتل المقدم لاجين وقتل طائفة من العسكر.

وفي هذه السنة[3]: جهز السلطان هدية جليلة إلى الديار المصرية، وتقدم فيها الطواشي جوهر الرضواني فالتقاهم شعب عند جبل الزقر فانكسر[4] المركب الذي فيه الطواشي فهلك هو وجماعة من الذين معه، وكانت وفاته في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة، ولما توفي: حمل إلى زبيد وقبر في قرية باب سهام من زبيد.

وفي سنة ست وخمسين[5]: قويت شوكة العرب المفسدين في التهائم، فاجتمع خيلهم ورِجْلهم وقصدوا قرية المخيريف، فخرج أهل القرية لقتالهم، [فكثرهم العدو][6] فقتل الشيخ أحمد بن عمر وجماعة من أهل القرية، فلما قتل الشيخ أحمد بن عمر[7] - كما ذكرنا - قام ابنه علي بن أحمد في القرية بينما كفن والده ودفنه، وقال للناس: من أحب الوقوف

(1) عبارة العقود: «وكانت الأشاعر ترسأ على الوادي ولجما في رؤوس المعازبة».
(2) يعني القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار السابق ذكره، تولى الوزارة مرتين ونظارة عدن، توفي سنة 760هـ (العقود اللؤلؤية: 266) وسيأتي.
(3) العقود اللؤلؤية: 612.
(4) في (و) وفاكهة الزمن: 900 انسلخ، وفي العقود: (انصلحت) وانصلح بمعنى تكسَّر من أسماء الأضداد.
(5) العقود اللؤلؤية: 613 وفاكهة الزمن: 905. وانظر بنو رسول وبنو طاهر: 206، والتمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية: 197.
(6) زيادة لا توجد في العقود.
(7) بقية نسبه في العقود اللؤلؤية: 613: أحمد بن عمر بن عبد الله الأشعري.

فليقف، ومن أحب الانتقال فلينتقل إلى أي موضع شاء، فانتقل الناس عن القرية ولم يبق فيها أحد، وكان قتله في آخر شهر المحرم من السنة المذكورة.

ولما خربت المخيريف والمكابرة والحلة والمتبرعة والمصرف والبطة[1] والكحلاني[2] من وادي رمع، ثم استمر [الفائشي][3] فضمن وادي زبيد ورمع والقحمة فاختبطت عليه البلاد وما دري ما يفعل، فلما تحقق السلطان عجزه فصله، وأمر القاضي جمال الدين محمد بن حسان في وادي رمع.

وفي هذه السنة: توفي الفقيه الصالح أبو يعقوب إسحاق[4] بن الفقيه أحمد بن زكريا، وكان ميلاده سنة اثنتين وثمانين وست مئة في شهر ربيع الأول منها، وكان تفقهه بأخويه محمد وداود وغيرهما، وتفقه به جماعة من أهل العصر، وكان عارفًا بالفقه، نقالًا للمذهب، وهو أحد من يعد فقيهًا مدققًا محققًا، وكانت الفتوى لا تدور في تعز إلا عليه، وعلى الفقيه أبي بكر بن جبريل، وكان عالي الهمة شريف النفس، توفي أثناء السنة المذكورة، وقيل: كانت وفاته في سنة ستين وسبع مئة وقبر في مقبرة باب سهام في شرقيها قربًا من تربة الفقيه إبراهيم بن عمر العلوي، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وفيها[5]: توفي الأمير الكبير أقباي عبد الله الحاجب التركي، وكان ذا ديانة ونسك، وله مقامات[6] مشكورة، وتوفي اليوم السابع عشر من صفر من السنة المذكورة.

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمئة[7]: اشتد فساد العرب والتهائم وكثرت خيول المفسدين.

وفيها[8]: أقطع السلطان ولده الملك الصالح[9] مدينة القَحْمة فسار إليها ولم يصنع

---

(1) في (ع): البطنة.

(2) فاكهة الزمن: 901 (محل كهلان)

(3) بياض في (ع).

(4) السلوك 2: 84 (تحقيقنا) والعطايا السنية: 141 وطراز أعلام الزمن 1: 195.

(5) العقود اللؤلؤية: 614 وفاكهة الزمن: 902.

(6) مقامات هنا: بمعنى مواقف، أي أفعال تدل على فضله ونبله.

(7) العقود اللؤلؤية: 614.

(8) العقود اللؤلؤية: 615.

(9) هو حسن بن الملك المجاهد الرسولي. سيأتي ذكره.

بالمفسدين شيئًا، ثم إن القاضي جمال الدين محمد بن حسان جمع العسكر من فشال والقحمة وجمع كثيرًا من العرب وقصد القُرَشِيَّة، فأغارت المعازبة خيلها ورِجْلها فانهزم العسكر، وقتل من الرجل طائفة وجماعة من الغز، وممن قتل يومئذ الأمير سيف الدين سنقر الشهابي أستاذ دار الملك الصالح، وكان فارسًا شجاعًا مقدامًا، وكانت الوقعة يوم الثامن والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة.

وفي سنة ثمان وخمسين(1): انفصل الوزير [القاضي جمال الدين محمد بن حسان](2) من فشال وأقطعها السلطان ولده الملك الصالح، واستمر الأمير شمس الدين علي بن حسن الحلبي في القَحْمَة.

وفي هذه السنة(3): وصلت التُّجار بعدة من الخيل من الجهات الشامية يريدون بها الموسم في عدن، فلما صاروا في مدينة فشال ورأتها الأشاعر ورأوا انتشار الفساد في البلاد أخذوا الخيل الواصلة بأسرها، وكان ذلك في النصف من شعبان فامتنعت المعازبة عن وادي رمع، وعن وادي زبيد، ونزل الملك الصالح إلى إقطاعه في فشال، ونزل بعده القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير في عسكر جَيّد فأغارت المعازبة على مدينة القحمة فأحرقوها ونهب أهلها نهبًا شديدًا، وانفصل أميرها إلى بيت الفقيه ابن عجيل، ولما نزل الملك الصالح إلى إقطاعه في فشال وتبعه ابن حسان انتقلت الأشاعر من فشال إلى قرية الغزالين، وهي في أعلى [قرى](4) الوادي وادي رمع فأقاموا هنالك خوفًا من السلطان، فكانت المعازبة تغير على سفل وادي رمع لما صارت العساكر(5) ساكنة في رأس الوادي.

فلما كثر تكرار المعازبة في رأس وادي رمع، نزل بعدهم الأشاعر [يومًا](6) فقتلوا منهم ثلاثة نفر من الفرسان أحدهم: حسن بن بهيلة وكان من كبرائهم سنًا وقدرًا، وكان قتله في شهر شوال من السنة المذكورة، فأرسلت المعازبة إلى سائر العرب المفسدين كالرماة والقحرى

(1) العقود اللؤلؤية: 615 وفاكهة الزمن: 902.

(2) زيادة من العقود.

(3) العقود اللؤلؤية: 615.

(4) زيادة من (ع).

(5) في (ع): الأشاعر.

(6) سقط من (و).

والمقاصرة[1] والعامرية[2] واجتمعت ذؤال من جبلها إلى بحرها، وكافة القرشيين خيلًا ورجلًا وقصدوا الأشاعر إلى الغزالين وجعلوا كافة الخيل والرجل في ثلاثة مكامن غربي الغزالين بمسافة بعيدة وأتاهم نحو من عشرين فارسًا من شرقي الغزالين فساقوا ما وجدوه على طريقهم من الأموال، فتبعهم الأشاعر فاستجروهم إلى تلك المكامن[3] فأحاطت بهم المكامن وهم على غير أهبةٍ للقتال، إنما ساقوا لاستنقاذ الأموال[4]، فقتل من الأشاعر وممن كان معهم يومئذ سبعة وثلاثون رجلًا فيهم خمسة وعشرون فارسًا، وكانت الوقعة يوم السَّابع والعشرين من القعدة في آخر النهار وأول الليل.

وفي يوم الثامن والعشرين: صَبَّحت المعازبة فشال في جمعهم ذلك فخرج الملك الصالح من فشال، وخرج الوزير ومن معهما [من بني حسان][5] والعسكر ومن انضم إليهم من أهل القرية، فانتقلوا إلى مدينة زبيد وخربت فشال، وارتفع الحكم عن وادي رمع بأسره[6].

وفي هذه السنة توفي[7]: الفقيه عمر بن محمد الجبيلي - بضم الجيم وفتح الموحدة بعدها - وكان فقيهًا مشتغلًا بالعلم، وهو من أعلم أهل عصره بالطِّب في مدينة زبيد، وكان دَيِّنًا فقيرًا قانعًا بما هو فيه.

وتوفي: المقرئ[8] أبو عبد الله محمد بن عثمان بن شنينة، وكان عارفًا بالقراءات السبع وطرقها، وله مشاركة في الفقه والنحو والحديث، وانتفع به كثير من الناس في قراءة القراءات خاصة، وعليه قرأت القراءات السبع إفرادًا وجمعًا، وأخبرني شفاهًا: أنه رأى النبي ﷺ وقرأ عليه في النَّوم، وكان من الصالحين، رحمه الله تعالى.

---

(1) المقاصرة من قبائل عك للتوسع في أخبارهم انظر «التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية: 225» ط دار الوفاق سنة 1433هـ.

(2) في (ع): والمعامريين، وفي العقود: العامريين.

(3) في (و): الأماكن.

(4) عبارة (ع): وإنما ساقوا لاستنقاذ ذلك.

(5) سقط من (ع).

(6) هنا بياض في (ع).

(7) العقود اللؤلؤية: 617 وفاكهة الزمن: 904.

(8) العقود اللؤلؤية: 617.

وفي سنة تسع وخمسين[1]: نزل السلطان إلى زبيد في عسكر جيّد، وأرسل لابن ميكائيل إلى حرض فوصل في عسكره ووصل معه جماعة من غز[2] الرتب، فخرج السلطان في جَمْع كثيف إلى بلاد المعازبة، فارتفعت عن بلادهم، ولم يظفر السلطان بهم ولا بأحد منهم، فحرق بلادهم ورجع.

وفي هذه الغزوة: قتل ياقوت عبد ابن ميكائيل، وكان فارسًا شجاعًا إلا أنه لا يعرف البلاد، فانفرد عن العسكر فقتل.

ولما رجع السلطان إلى زبيد أقام بها أيامًا، ثم طلع تعز وافترق العسكر فأغارت المعازبة على مدينة الكدراء في آخر شهر صفر، وحَرَّقوا القرية فارتفع[3] الحكم عن وادي سهام، واتصل الخراب والفساد وانقطعت السبل، [وصار أهل زبيد لا يتصلون بأهل المهجم، وأهل المهجم لا يتصلون بأهل زبيد][4].

وفي يوم التاسع عشر من شعبان[5]: اجتمع المفسدون وقصدوا النخل بوادي زبيد فنهبوا أهله وارتفع الحكم عنه، وخرج أهله منه لا يملك أحدهم قوت يومه.

وفي يوم الثالث والعشرين من شوال: اجتمع المفسدون وقصدوا الجَثَّة وفيها يومئذ الأمير بهادر السنبلي، فخرج إليهم فيمن معه فقاتلهم قتالًا شديدًا، فقتل من عسكره، وقتل وِلْدَه: محمد ومقبل وجرح أبو بكر[6] يومئذ جراحة شديدة، وكان معدودًا من جملة القتلى، وانحاز السنبلي ومن معه إلى مدينة المهجم.

ثم اجتمعت العرب جميعًا، وأرسلوا إلى عرب المهجم[7]: أن الحملة على مدينة المهجم يوم الإثنين الثالث من الحجة قبل طلوع الشمس فلا تتأخروا، فوصلت المعازبة[8]

(1) العقود اللؤلؤية: 617.

(2) في (ع): غير.

(3) يعني حكم الدولة (السلطان).

(4) زيادة من العقود.

(5) العقود اللؤلؤية: 618 وفيه: السابع من شوال.

(6) يحقق من هو أبو بكر هذا فلعله أحد أبناء السنبلي الذكور.

(7) كذا في عبارة الأصل، وفي العقود اللؤلؤية: 619: وأرسلوا إلى أهل سردد يشتورونهم في قصد المهجم.

(8) من قبائل تهامة المتمردة للتوسع انظر «التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية: 193».

والقرشيون[1] والرماة[2] والقحرى[3] والمقاصرة[4] إلى مدينة المهجم قبل طلوع الشمس، وتعوَّق عرب المهجم من بني عبيدة والزَّيديين، فخرج السنبلي ومن معه من العسكر فقاتلوا العرب المفسدين ساعة وهزموهم، وقتل من العرب أكثر من مائة رجل، ثم أقبل عرب المهجم من بني عبيدة والزيديين، وقد اهتزم أصحابهم وقتل منهم من قتل فرجعوا.

وفي هذه السنة[5]: توفي الفقيه البارع أبو الغيث محمد بن راشد السكوني، وكان فقيهًا فاضلًا عارفًا متقنًا جامعًا لعلوم شتى من الفقه والنحو واللغة وعلم المعاني والبيان والعروض والقوافي، وله مصنف لطيف يدل على جودة معرفته وصفاء ذهنه، ولي القضاء مدة في فشال، ثم في زَبيد، ثم نقله السلطان إلى مدرسته التي أنشأها بتعز فأقام هنالك مدرسًا إلى أن توفي مسمومًا على ما قِيل، والله أعلم.

وفي سنة ستين وسبع مئة[6]: نزل القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب في عَسْكر جيد فأقام شِدّاده في زبيد، ونزل معه من أولاد السلطان الملك الناصر أحمد، وكانت خيول العرب تدور حول المدينة في كل يوم لا تغيب، وكان من عادة العرب في ذلك الوقت: أن من بدت له حاجة إلى زبيد وصل ووقف خارج عن المدينة حتى يجد من يرسله إلى معروفه لقضاء حاجته، فوصل في تلك الأيام الشيخ أبو بكر[7] الهبل شيخ القرشيين، ووصل معه ابن عمه علي بن محمد بن عمر بن غراب فوقفا تحت شجرة هنالك خارج المدينة، وأرسل رسولًا إلى الصارم بن نشوان لسبب حاجتهما وأعلماه بمكانهما، وكان يظهر لهما الصَّداقة، فلما جاءه الرسول وأخبره بمكانهما صنع لهما طعامًا نفيسًا وجعل فيه من البنج[8] شيئًا كثيرًا، وأخرج إليهما ماءً طيبًا ليشربا منه وجعل فيه شيئًا من البنج، فلما وصل إليهما بالطعام أكلا منه

(1) القرشيون من قبائل عك انظر «التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية: 253».
(2) من القبائل الثائرة في تهامة انظر «التمردات القبلية: 238».
(3) من القبائل الثائرة في تهامة انظر «التمردات القبلية: 242».
(4) أخبارهم في «التمردات القبلية: 225».
(5) العقود اللؤلؤية: 619 والعطايا السنية: 427 (تحقيقنا).
(6) العقود اللؤلؤية: 621، وفي (ع) بيض لهذه السنة.
(7) العقود اللؤلؤية: أبو بكر بن غراب القرشي المعروف بالهبل وكذا في (فاكهة الزمن: 907).
(8) في (ع): المنج.

بحسب الكفاية وشربا ووقفا ينتظران الحاجة التي جاءا بسببها فأثر فيهما البنج فأيقنا بالشر، فقاما ليركبا فرسيهما، فركب الهبل وعجز ابن عمه عن الركوب، وقيل: إنه ركب وسقط عن فرسه، فأخذ الهبل الفرسين ركب أحدهما وجَنَب الآخر، وكان الناس على الدرب ينظرون ما يكون من أمرهما، فلما رأى الناس الهبل قد ركب أحدهما وجنب الآخر صرخوا من الدرب وخرج العسكر فوجدوا علي بن محمد مطروحًا لا يعقل فحملوه ودخلوا به المدينة فأقام فيها مسجونًا إلى أن نزل السلطان والتزم للسلطان بشيء من المال ومن الخيل فأطلقه. وأما الهبل فإنه سار بالفرسين إلى بعض الطريق واشتد عليه العطش فسقط، ففطس موضعه، فسار الفرسان يَطِّردان[1] حتى دخلا القرية قرية القرشية فصرخ الصارخ وخرج أهل القرية يقفون الأثر أثر الفرسين حتى وجدوا الهبل ميتًا فاحتملوه إلى القرية وغسلوه وكفنوه ودفنوه.

وفي يوم الأربعاء الخامس من شهر رمضان[2]: وقع مطر عظيم في مدينة زبيد ونواحيها من وقت أذان العصر إلى ما بين المغرب والعشاء فانهدمت بيوت كثيرة على سكانها ومات تحت الهدم - على ما قيل - نحو من ثمانين نفسًا ما بين صغير وكبير، وذكر وأنثى.

وفي شهر ذي الحجة[3]: نزل السلطان في عسكر جيد، يريد الخروج على العرب وأرسل للأمير نور الدين محمد بن ميكائيل ليصل بعسكره فلم يفعل ودافع السلطان عن الوصول، وكان قد حَسَّن له أصحابه أن يَسْتولي على الجهات الشامية، وهي سهام وسردد ومور ورحبان، ويترك ذؤال ورمع خرابًا، فإذا قد انبسطت يده على البلاد المذكورة قصد بعد ذلك زبيد وما إليها، فوقع هذا الكلام معه موقعًا، ورأى أن الأمر كائن لا محالة، وكان من قضاء الله وقدره أن الخيل في تلك السنة من دواب السلطان وغيره حصل فيها مرض يسمى المشقر وقيل: مشيقر فهلك منها شيء كثير، فتأَخَّر السلطان عن عزم الخروج في ذلك الوقت.

وفي هذه السنة: توفي القاضي جلال[4] الدين علي بن محمد محمد بن عمار الوزير، وكانت وفاته يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان.

---

(1) في (و): مطرودين.

(2) العقود اللؤلؤية: 621 وفاكهة الزمن: 908.

(3) العقود اللؤلؤية: 621.

(4) سبق ذكره في حوادث سنة 754هـ.

ومات[1] الأمير صارم الدين داود بن إبراهيم الدمرداشي، وكان وفاته في سلخ صفر من السنة المذكورة.

وفي سنة إحدى وستين[2]: طَلَعَ السلطان من زبيد، فلما استقر في تعز أرسل القاضي عفيف الدين عثمان بن سليمان بن طلحة إلى زبيد عوضًا عن ابن قبيب، وطلع ابن قبيب تعز وقد استولى الخراب على معظم التهائم.

وفي هذه السنة[3]: وصل الشريف الكبير علي بن محمد المعروف بابن الجارية إلى مدينة المهجم، فأحال له السلطان بمال على الأمير صارم الدين داود بن خليل صاحب المحالب، فارتفع إلى المحالب فأقام فيها مدة، وهو يطالب الأمير داود بالمال الذي أحيل له به، فدافعه ولم يعطه إلا شيئًا يسيرًا، فخرج إليه عشية في جماعة من أصحابه فاستأذن عليه، فاعتذر عن مواجهته في تلك الساعة، فَهَجَم عليه في أصحابه فقتلوه ونهبوا ما في بيته من المال والقماش والدواب، وكان قتله ليلة الأحد السادس عشر من جمادى الأولى، وكان الأمير علي بن حاتم يومئذ في المهجم. فلما علم علي بن حاتم بقتل صاحب المحالب أرسل القائد وهاس بن أحمد وأمره أن يغير في عسكر المهجم على الشريف علي بن الجارية وأن يخرجه من بلاد السلطان، فاجتمع القائد في أصحابه ووصله عسكر المهجم ومقدمهم شريف يقال له: حازم[4]، وقصدوا الشريف علي بن الجارية إلى مدينة المحالب، فخرج الشريف إليهم فتقاتلوا من نهار، فقتل القائد وهاس وقتل معه تسعة نفر، وكانت الوقعة يوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى.

فلما علم ابن حاتم بقتل القائد وهاس وأصحابه ارتفع من المهجم ورجع إلى السلطان، وكان رجوعه في البحر، وسار الشريف من المحالب إلى المهجم، فدخلها يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور فقبض أميرها الشجاع بن يعقوب، وولى فيها الكمال بن التهامي، ولم يزل يعذب ابن يعقوب حتى هلك تحت العذاب ليلة السابع من جمادى الأخرى.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 622.

(2) العقود اللؤلؤية: 622.

(3) العقود اللؤلؤية: 623 بتوسع.

(4) في (ع): ابن خادم وفي فاكهة الزمن: 910 (علي بن حازم).

ولما صار الشريف إلى المهجم - كما ذكرنا - أرسل جماعة من الغز إلى المحالب فوقفوا فيها فقصدهم العرب وأخرجوهم من المحالب وحرقوها ثم سار القواد إلى كل قبيلة من العرب يطلبون النصرة على الشَّريف فجمعوا المعازبة والرماة والقحرى وعرب السردية وقصدوا الشَّريف إلى المهجم، فخرج إليهم أول يوم فهزمهم معًا، فعاودوا النهار الثاني فقاتلهم واهتزموا بين يديه فلم يتبعهم، فعاودوا النهار الثالث فامتهل يومه ذلك، وخرج من المهجم وتركها، وكان خروجه منها ليلًا في أصحابه وثقله، فلما أصبحوا دخلوا المهجم فنهبوها وأحرقوها وأخذوا منها أموالًا جليلة، وكان ذلك يوم الإثنين الثاني من شهر رجب من السنة المذكورة، واستولى الخراب على التهائم كلها، ولم يبق إلا زبيد وحرض، ولم يك فيما بينهما قرية مسكونة إلا قرى المفسدين.

فلما استولى الخراب على التهائم كلها سار الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل واستخدم العساكر وقَدَّم عليهم الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن سمير، فسار بالعساكر من مدينة حرض إلى البرزة، وكانت المحالب خرابًا، فأراد أن يعمرها فأرسل الصِّميون[1] إلى عرب السردية يطلبونهم لحربه فأسرعوا إليهم، فاجتمعوا جميعًا وقصدوا ابن سمير إلى البرزة، فخرج إليهم فيمن معه من العسكر فاقتتلوا بها قتالًا شديدًا، فانهزمت العرب هزيمة شديدة، وقتل منهم نحو من ثلاث مئة إنسان، وكانت الوقعة يوم الرابع عشر من ذي الحجة، ولما انقضت الوقعة سار ابن سمير فيمن معه إلى المحالب فأقام فيها ودخلت العرب في طاعته.

وفي هذه السنة[2]: توفي الملك المنصور عمر بن الملك المجاهد.

وفي سنة اثنتين وستين[3]: سار ابن سمير[4] من المحالب إلى السُّردية وذلك في أول شهر صفر من السنة المذكورة، فاجتمعت عرب السردية لقتاله، فلما واجههم العسكر اهتزموا من غير قتال، فتبعهم العسكر وقتلوا منهم جَمْعًا كثيرًا، وهو دون القتلة الأولى، ودخل العسكر بيت حسين فَحَرَّقوا بعضها[5]، ثم ساروا إلى المهجم، فدخلها ابن سمير وسائر

---

(1) من قبائل عك في تهامة انظر تحركاتهم ضد الدولة الرسولية في «التمردات القبلية في عصر بني رسول: 243 - 245».

(2) العقود اللؤلؤية: 625 وفاكهة الزمن: 911.

(3) العقود اللؤلؤية: 626.

(4) العقود: العسكر.

(5) العقود بزيادة: وحرقوا بيت العبيد والشرجة وبيوت بني وهبان.

العسكر يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، واستولى العسكر على تلك الناحية بأسرها.

وفي يوم السابع من شهر رمضان(1): وقع [الخلف](2) بين المعازبة والقرشيين فاقتتلوا، وكانوا يومئذ في النخل بوادي زبيد، فقتل يومئذ من المعازبة رجلان، وهما أبناء القطامي قَتَلهم القرشيون، وكان هذا أول خلف حدث بينهم، ثم اتفقوا على الهدنة حتى ينقضي أمر النخل، وكان النخل تحت أيديهم معًا، فلما انقضى أمر النخل أغارت المعازبة على القرشيين فقتلوا منهم داود بن رزام، ثم أغاروا عليهم في أول شوال فقتلوا منهم رجلين: العباسي والجعالي، فطلب القرشيون الذمة من السّلطان والدخول تحت الطاعة، فأذم عليهم وأمر بمناصرتهم، فأغاروا على المعازبة فقتلوا منهم تسعة وحرقوا من قراهم القرتب والكربيسية، فجمعت المعازبة خيلها ورجلها في آخر شوال وقصدوا القرشية، فقتل من القرشيين نحو من أربعين رجلًا، منهم: عيسى بن الهبل، وقتل من المعازبة رجل واحد يقال له: مفرح بن الأسحم(3)، ثم جمعت المعازبة جمعًا كثيرًا وقصدوا القرشية آخر يوم من القعدة فخرج إليهم القرشيون فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فاهتزمت المعازبة فقتل منهم نحو من ثلاث مئة(4)، وكانت وقعة مشهورة واحتز منهم نحوًا من مئة رأس، وحملت إلى السلطان إلى تعز، فكسا الجماعة الواصلين بها.

وفي هذا التاريخ(5): جَرَّد السلطان القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب والأمير بهاء الدين بهادر السنبلي في عسكر جيد، وأمرهما بالتقدم إلى الجهات الشامية، فساروا جميعًا فلما توسطوا بلاد [الرماة](6) اجتمعت العرب عليهم من كل ناحية وقصدوهم فاهتزم العسكر وقتل ابن قبيب في حَدّ سهام.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 626.

(2) سقط من (ع).

(3) هنا زيادة في العقود انظرها ص627.

(4) هنا يورد الخزرجي في العقود بيت شعر لشاعر يقال له محمد بن سرداح القرشي يقول فيه:

ثلاث مئين قتلهم لا حقيقة ... ولكن تقريبا لعلم المسائل

انظر العقود اللؤلؤية: 627.

(5) العقود اللؤلؤية 2: 628.

(6) بياض في (و) وفي (ع): الرمة، وأثبتناه من العقود.

وكانت الوقعة يوم الحادي عشر من ذي الحجة، واهتزم السنبلي إلى العامرية، ثم سار إلى الزيدية، فعلم به ابن سمير وكان في المهجم فجمع جمعًا كثيرًا وقصدوا الزيدية، فارتفع السنبلي إلى حصن منابر فأقام به [أيامًا][1]، ثم سار إلى تعز على طريق الجبل، ورجع سائر العسكر إلى السلطان بعد الهزيمة، فكساهم وأنعم عليهم.

وفي هذه السنة[2]: توفيت الآدر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح والدة الملك المجاهد، [واسمها آمنة بنت الشيخ الصالح إسماعيل بن عبد الله الحلبي المعروف بالنقاش، ولها من المآثر الدينية المجاهدية الصلاحية في قرية المجلية شرقي تعز، ولها أخرى بقرية السلامة وثالثة عظيمة الوقف جيدة العمارة بزبيد تعرف بالصلاحية والخانقاة بزبيد والصلاحية بالمسلب والصلاحية بالتريبة، ومسجد صغير بقرية المملاح، وابتنى ثلاث جوار من جواريها ثلاثة مساجد بزبيد ووهبت لهم أراض ووقفت عليها إحداهن الحاجة سمح ابتنت مسجدًا عند سوق الشباك بزبيد، والثانية الحاجة قنديل ابتنت مسجدًا شرقي باب القرتب والثالثة الحاجة غصون ابتنت مسجدًا جنوبي دار السلطان وعلى الجميع أوقاف جيدة، وابتنى زمامها الطواشي جوهر الرضواني مسجدًا بزبيد شرقي الجامع ويعرف بمدرسة الرهائن، وأفعالها في الخير كثيرة حتى قيل: إن وقفها ووقف حواشيها بأكثر من ألف مد، ولا يعلم لأحد من نساء الملوك ما لها من المآثر الحميدة، رحمة الله عليها، من كتاب (بغية المستفيد)][3]، وكانت امرأة سعيدة عاقلة رشيدة حازمة حليمة سخية كريمة، ذات سياسة ورياسة، وكرم نفس وعلو همة، وكانت تدور بيوت الناس تتفَقَّدهم بالعطايا الوافرة، قَلَّ أن يأتي الزمان بمثلها، وما أحقها بقول المتنبي حيث يقول: [من الوافر]

ولو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس نَقْصٌ ... ولا التذكير فخر للهلال

وكان وفاتها يوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

---

(1) سقط من (و).

(2) العقود اللؤلؤية: 628.

(3) هذه الزيادة لا توجد في (ع)، ولا شك أنها أُقحمت على النص، وهي منقولة من بغية المستفيد لابن الدَّبيع. انظر بغية المستفيد: 89 (تحقيقنا).

وفيها[1]: توفي القاضي فتح الدين عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد الخطبا القرشي المخزومي، وكان من الرجال المعدودين فضلًا ونبلًا ورياسة وسياسة، وكان عاقلًا لبيبًا فطنًا ذكيًا مفرطًا في الذكاء، تولى الشد الكبير والخاص، ثم استوزره السلطان بعد ذلك، فكان حسن السيرة، طاهر السريرة، توفي في مدينة تعز يوم التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة.

وفي سنة ثلاث وستين[2]: خالف الملك الصالح وأخوه الملك العادل على أبيهما السُّلطان الملك المجاهد، وكان خروجهما من تعز يوم الإثنين غرة شهر صفر.

وفي هذه السنة[3]: ادعى ابن ميكائيل السلطنة، وكان ذلك في شهر صفر من السَّنة المذكورة، وضربت السكة على اسمه، وخطب له الخطباء في حرض والمحالب والمهجم وما يليها وينضم إليها من القرى في الناحية المذكورة وضربت السكة على اسمه، وتسمى في الخطبة بـ(الشريف الحسيب النسيب من أسري بجده[4] ليلة الإثنين إلى قاب قوسين: محمد بن ميكائيل الحسيني الفاطمي النبوي[5]). وكانت مدة سلطنته أربعة وعشرون شهرًا، أولها صفر من سنة ثلاث وستين وآخرها المحرم من سنة خمس وستين.

وصادر ابن سمير الشيخ أحمد بن حفيص الزيدي مصادرة عسرة حتى هلك في شهر رجب من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة[6]: نزل الأمير بهاء الدين السنبلي في عسكر من الباب، فأغار على المعازبة فقتل منهم ثلاثة من فرسانهم، وكانت المعازبة قبل ذلك قد اجتمعت وقصدت القرشية في الرابع عشر من ربيع الآخر، فخرج إليهم القرشيون فاهتزمت المعازبة وقتل منهم نحوًا من تسعين، وفي ذلك اليوم قتل أبو بكر بن يعقوب وكان فارسًا لا يطاق، وقتل من القرشيين سبعة

(1) العطايا السنية: 348 (تحقيقنا) وطراز أعلام الزمن: 159 والعقود اللؤلؤية: 630، وفي اسمه اضطراب.

(2) العقود اللؤلؤية: 630.

(3) العقود اللؤلؤية: 631.

(4) في (ع): من أسرى به.

(5) انظر إلى هذه الفرية الكبرى حين ينتسب من يسمون بالأشراف إلى النبي ﷺ وما هم إلا أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي هذا بحث طويل ما أحقَّه بالأفراد وتبيين ما فيه من المغالطات التاريخية الكبرى التي أدت بعد ذلك إلى مآس عظيمة لا نزال نعاني منها إلى الآن.

(6) العقود اللؤلؤية: 631.

نفر فيهم: إبراهيم الزيلعي وكان من فرسانهم المشاهير.

وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة[1]: وصل السفراء من الديار المصرية وهم: الطواشي صارم الدين نجيب والقاضي جمال الدين محمد بن عمر بن الشريف والقاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي، والأمير شمس الدين علي بن حاتم، ووصل معهم عِدَّة من أمراء الترك، فقابلهم السلطان أحسن مقابلة.

وفي سنة أربع وستين[2]: خالف الملك المظفر على أبيه السلطان الملك المجاهد وكان خروجه من تعز ليلة الإثنين السادس والعشرين من المحرم، وأفسد المماليك الغرباء وهجم الإصطبل فأخذ ما فيه من الدَّواب، وأخذ من المناخ ما أراد من الجمال، ونزل نحو عدن، واستخدم جماعة من العقارب[3]، وأمرهم بالتقدم قبله، فوقفوا عند البوابين ينتظرون وصوله، وكان قد وجد جَمَلًا يحمل بطيخًا فاعتاق على أكله.

فلما طال وقوف العقارب عند البوابين استغربوا الأمر فطردوهم، فلم ينطردوا فقاتلوهم، واتصل العلم بالأمير والناظر وأهل المدينة، فخرجوا سراعًا وأغلقوا الباب وأقبل المظفر وأصحابه وقد أغلق الباب وفات الأمر فرجعوا إلى لحج، وكان الوزير ابن حسان يومئذ في أبين فقبضه المظفر وقبض على الأمير شمس الدين وولده وصادرهما أيامًا وأطلقهما بعد ما كان يعرض عليهما القتل [صباحًا ومساءً ثم سلموا][4]، ولما اتصل العلم بالسلطان، وكان قد قَدَم عليه الأمير بهاء الدين السنبلي وجماعة من الأشراف الحمزيين[5] فسار السلطان في جُملة العسكر إلى الجؤة، ثم جَرَّد البهاء السنبلي ومن معه من الأشراف وغيرهم فالتقوا في موضع يقال له: الشراحي[6] فانهزم السنبلي ومن معه، وقتل من العسكر طائفة، فنزل السلطان إلى عدن.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 632.

(2) العقود اللؤلؤية: 632، وقبل ثورة المظفر على أبيه كان خروج ابنيه الصالح والعادل كما ذكر. انظر بنو رسول وبنو طاهر لمحمد عبد العال: 208.

(3) قبيلة سبق ذكرها، وللتوسع في خبرها انظر موسوعة الألقاب اليمنية للمقحفي 4: 429.

(4) سقط من (ع).

(5) في (و) المحمديين.

(6) في (ع): بالمهملات وآل الشراحي من أهل جبل حبشي جنوبي تعز (معجم البلدان والقبائل اليمنية): 856.

وفي هذه السنة[1]: أصلحت المعازبة وأَذَّم عليهم السلطان وطلع شيخهم العكور إلى السلطان، واجتمع بالسلطان وتكفَّل له بإصلاح التهائم، وجرَّد السلطان عسكرًا إلى زبيد وأمرهم بالتقدم إلى فشال والوقوف فيها حتى يرجع أهلها إليها، ثم ينتقلون إلى القحمة كذلك، فلما صار العسكر[2] في زبيد اتفق العسكر والقرشيون على قتال المعازبة فقتلوا منهم بضعًا وعشرين رجلًا يوم العاشر من شهر ربيع الأول، وكان من جملة من قتل الشيخ محمد العكور شيخ المعازبة، وقتل معه اثنان من إخوته، وقتل عمر بن سهيل بن الأقدر، وحسين بن عبادة، وحسين بن العجمي، وشيخ[3] بني الحاذق، وسلم منهم جماعة كانوا حينئذ عند الشيخ ناصح الدين أبي بكر بن علي بن مبارك فامتنع عليهم، فخشي أن يغلب عليهم فأمر بهم السجن فأقاموا في السجن يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء والخميس.

ولما كان يوم الجمعة[4]: هجم الغز السجن وقتلوهم، وكانوا بضعة عشر رجلاً، وكان جملة من قتل منهم نحو من أربعين رجلًا كلهم فرسان مشاهير، [ولما نزل السلطان][5] إلى عدن - كما ذكرنا - جرد العساكر لولده المظفر فلم يظفر به، وكان المظفر فتاكًا مهيبًا لا يعاقب إلا بالسيف، قد استباح عدة من الناس[6] لا يدخله على أحد شفقة ولا رحمة، ولهذا أحرمه الله الملك ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27].

ولما نزل السلطان إلى عدن وأقام بها أتاه أجله المحتوم الذي قَدَّره على خلقه الحي القيوم، فتوفي بها، وكان وفاته يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة، فاتفق الحاضرون من أهل دولته على قيام ولده الملك الأفضل، ورأوا أنه أصلح للبلاد والعباد، وكان من جملة من نزل معه إلى عدن في تلك السفرة لأمر أراده الله، وكان الملك المجاهد ملكًا سعيدًا عاقلًا رشيدًا جوادًا لبيبًا شجاعًا شهمًا عالمًا، ذكيًا فطنًا لوذعيًا، فمن جوده وسخائه ما أخبرني به الفقيه الإمام العلامة جمال الدين محمد[7] ابن عبد الله

---

(1) العقود اللؤلؤية: 633.

(2) يلاحظ هنا إذا قال المؤلف (العسكر) فإنه يعني عسكر الدولة.

(3) في العقود: 634: سهيل بن الحاذق.

(4) العقود اللؤلؤية: 634.

(5) سقط من (ع).

(6) العقود: الأنفس.

(7) من علماء اليمن الكبار في عصر الدولة الرسولية، سيأتي ذكره.

الريمي، وكان خصِّيصًا به، قال: أعطاني السلطان الملك المجاهد، في أول يوم دخلت عليه، أربعة شخوص من الذهب، وزن كل شخص منها مئتا مثقال، مكتوب على وجه كل واحد منهما: [من الطويل]

إذا جـادت الدنيا عليك فجد بها ... على النَّاس طُـرًّا قبل أن تَتَفَلَّتِ

فلا الجـود يفنيها إذا هي أَقْبَلَت ... ولا الشُّـح يبقيها إذا مـا تَـوَلَّـتِ

وكان مشاركًا في عدة فنون العلم، ويقال: إنه أعلم ملوك بني رسول، وكان شاعرًا فصيحًا، ومن شعره:

نـلـت أنـا الـعـز بـأطـراف القـنا ... لـيس بـالـعَـجْز الـمعـالي تجتنى

نـحـن بـالـسَّـيـف مـلكـنـا اليمـنا ... كـلّ فـخـر تَـدَّعـي الـنـاس لنا

أعـرق الـعـالـم في الـمـلـك أنـا

أنـا شِـبْـلُ الـمـلـك زيـن الكتب ... يـوسـف جَـدِّي وداود أبـي

والشهيد[1] الملك زاكي الحسب ... وعـلـي[2] القيل زاكـي المنصب

جـدنـا بـعـد رسـول جَـدَّنـا

إن تـكـن أضـحـت عـلاهـم خَـبَـرًا ... فـالـعُـلَـى مِـنِّـي بـالـعـيـن تـرى

أنـا كـالـلـيـث إذا مـا زأرا ... أنـا كـالـبـحـر إذا مـا زَخَـرا

الـمـنـايـا في يـمـيـني والـمُـنـى

أبـذل الـمـال ولا أجـمـعـه ... كـل عـاف نـحـونـا مَـنْـجـعـه

وإذا الـقـرن طـغـى أصـرعـه ... وإذا وَلَّـى فـلا أتـبـعـه

وإذا لاذ بِـعَـفْـوي أَمِـنَـا

شِـيَـمٌ تـشـبـه تـلـك الـشِّـيَـمـا ... يَـمَـن لـي مـن جـدودي الـقُـدَمَـا

---

(1) يعني جدُّه عمر بن علي بن رسول الذي قتل سنة 647هـ (سبق ذكره).

(2) هو عليّ بن رسول والد عمر مؤسس الدولة الرسولية.

ثـم مـلـك الـشـام مـن مـاء السما يـعـشـرون الـنـاس طُـرّا رُغَـمـا
مـن هـنـا أو مـن هـنـا أو مـن هنا

ووجدت هذه الأبيات منسوبة إلى الملك المجاهد:

[ضحك الإبريق عن دُرى الحَبَبْ مـن أنـيـن الـوتـر
وكـذا الأطـيـار غَـنَّت مـن طرب عـنـد وقـت الـسَّـحَـرِ

توشيح:

أسـمـع الـعـيـدان تـنـغـم لـلـدّفـوف
وكـذا الغـادات مـن حولـي صفـوف
وغصـون البـان في الخدمـه وقـوف

ودمـوع الغيث في الأرض أَنْسَكَبْ أَدْمُـعٍ كـالـدُّرَرِ
أَغْـنـم الـعـيش فَـذَا وَقْـتَـهْ وجب لـيـس فـيـه كـدر

توشيح:

لا تَـضَـعْ لـزمـان قـد صفـا
لا ولَا تَـتْـرُك وَقْـتًـا قـد وَفَـا
فـكـفـا مـا قـد جـرى لـي وكـفـى

أعطنـي الصَّهبـا صِرْفًـا فـي النخـب تَـنْـفِ عـنِّـي الـضَّـجَـر
خَمْـرة فـي الـكأس ذابـت كالذَّهَـبْ ورمـت بـالـشّـرَرِ

توشيح

اسـقـنـي واسـق نـديـمـي بالكبير
إنـنـي سَـكْـران مـن ريـق الـمُـدِير
حين يسقيني ومـن خَـمْـر العصير

يا حبيب القلب ما هذا العجب — أنـــــت ريـــقـــك ســـكـــري
أرجـــون مـــازجـــه خـــمـــر الشـــنـــب — مـــن شـــبـــيـــه الـــقَـــمَـــرِ][1]

وهو[2] الذي مَدَّنَ ثَعَبات وبنى سورها، واخترع فيها المخترعات الفائقة، والبساتين الرائقة، وبنى فيها المساكن العجيبة والقصور الغريبة، وله من المآثر الدينية: مدرسة في مكة المشرفة ملاصقة للحرم الشريف يُصَلِّي المصلي فيها وهو يشاهد البيت الشريف، وابتنى مدرسة في مدينة تعز وجعلها جامعًا في تلك الناحية وهي ناحية الحبيل، وجعل فيها خانقة، وابتنى جامعًا في ثعبات، وابتنى أيضًا جامعًا في قرية النويدرة على باب سهام من مدينة زبيد، وابتنى عند بستان الراحة من مدينة زبيد مسجدًا ورتب في الجميع في كل موضع إمامًا ومؤذنًا وقيمًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن، وفي كل جامع خطيبًا، وفي كل مدرسة مدرسًا وطلبة، ورَتَّب أوقافًا جليلة تقوم بكفاية الجميع المرتَّبين، وابتنى الزيادة الغربية في الجامع المظفري في عدينة بتعز، وابتنى مدرسة في دار الوعد بتعز وجعلها خانقاة، ورتب فيها إمامًا ومعلمًا وأيتامًا ومؤذنًا ونقيبًا للفقراء، وأوقف عليهم ما يقوم بكفاية الجميع منهم ويزيد زيادة ظاهرة في جميع ذلك، [[3]وهو الذي بنى مسجد عسيق ورتب فيه إمامًا وخطيبًا وغير ذلك، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم وابتنت أخته جهة فاتن المسماة ماء السماء ابنة السلطان الملك المؤيد الفاتنية بزبيد جنوبي باب سهام، والسبيل الفاتني قبالة مدرستها المذكورة، وابتنت في طريق النخل من وادي زبيد مسجد الزبد والسبيل هنالك، وأوقفت على ذلك وقفًا يقوم بكفايته، ولها مسجد صغير من باب الشبارق والمرباع، وأوقفت في وادي زبيد وقفًا جيدا على الفقراء والمساكين يعرف بالبر الفاتني، وأفعالها في الخير كثيرة، وكانت وفاتها سنة ثمان وستين وسبع مئة. من (بغية المستفيد)[4].

وكان مجللًا للعلماء محبًا لهم مشفقًا عليهم وعلى الرعية، وله في العدل والرفق بالرعية أوصاف حسنة، وأفعال مستحسنة، وهو أول من سَنَّ النواصف للرعية، فسعى في من

(1) هذه الزيادة من مخطوطة: (و) كما هي عادة الناسخ في إضافة أشياء على الأصل.
(2) هذا النص وما بعده يتوافق مع ما جاء في العقود اللؤلؤية: 636 فانظره هناك بتحقيقنا.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من (ع) وهو منقول من بغية المستفيد كما سيأتي.
(4) بغية المستفيد: 90 ط. ثانية الإرشاد 1427هـ (تحقيقنا).

لا وَفَّقه الله، وهو أول من زاد الرعية في القطائع كلها معادًا، ثم زادهم الأشرف حفيده معادًا، فسعى[1] من سعى من الظَّلمة في إبطاله فبطل، فأعاده لهم الملك الناصر، فحاز الفضل، وأجرى الملك المجاهد للرعية في آخر دولته من[2] الربع في جميع ما ازدرعوه، وكانت الرعية في أيامه على أحسن حال وأنعم بال.

---

(1) عبارة (ع): فسعى من سعا من الظلمة بإزالته فأعاده لهم الملك الناصر.

(2) في (و): منوال، وأثبتناه من (ع)، وعبارة العقود اللؤلؤية: وفي آخر أيامه أزال للرعية الربع من كل ما ازدرعوه.

الفصل الحادي عشر

في ذكر قيام الدولة الأفضلية وما جرى فيها

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي لاطفه(1) الله في الدارين: لما توفي السلطان الملك المجاهد في التاريخ المذكور اجتمع كبراء حضرته وأمراء دولته على قيام ولده السلطان الملك الأفضل العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ولم يكن في أولاد المجاهد حاضرهم وغائبهم من هو أرشد منه، ولا أعقل ولا أولى ولا أكمل للأمر منه، وإن كان فيهم من هو أكبر سنًا منه(2): [من البسيط]

فما الحداثة من حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشِّيب

فبايعه الخاصة والعامة، ووجوه أهل الدولة يومئذ.

فلما انتظمت بيعته أنفق على العسكر نفقة جيدة في يومه ذلك، ثم لما أصبح اليوم(3) الثاني سار بوالده من عدن إلى محروس تعز، وجملة العسكر سائرون، فكان دخوله تعز يوم الخميس سَلْخ جمادى الأولى، ودفن السلطان الملك المجاهد في مدرسته آخر يوم الجمعة أول يوم من جمادى الأخرى وحضر دفنه عامة الناس وخاصتهم، واستمرت القراءة عليه سبعة أيام، وكان محمد بن ميكائيل قد استفحل أمره في حرض، واستولى على الجهات الشامية لخراب التهائم وخلاف العرب.

وكان الملك المجاهد قد اشتغل عنه بخلاف أولاده عليه، فلما مات المجاهد قويت شوكة الفساد والمفسدين، وازداد طمع ابن ميكائيل في البلاد، ورأى أن موت المجاهد من الأسباب الدالة على ثبوت سلطنته، [فجمع عسكره](4) وسار من حرض إلى المَهْجم في

---

(1) في (ع): رحمه الله تعالى.

(2) للمتنبي.

(3) في (ع): النهار.

(4) سقط من (ع).

عسكر جَرَّار، ثم جرد العساكر إلى زبيد يتلو بعضها بعضًا، فلما علم السلطان الملك الأفضل بذلك جمع أكابر دولته وفرق فيهم الأموال، وأمرهم باستخدام الرجال واستوزر القاضي جمال الدين محمد بن حسان.

وفي يوم الخميس ثاني عشر رجب[1]: وصل عسكر ابن ميكائيل إلى زبيد نحو من سبع مئة فارس ومقدمهم الشهاب ابن سمير فَحَطَّ في حائط لبيق[2]، وأقام ثلاثة أيام فقاتل أهل المدينة بكرة وعشية، وقتل من أهل المدينة في أيام حربه جماعة.

وفي آخر ليلة من لياليه الثلاث: تودي[3] من عسكره بضع وسبعون فارسًا إلى مشد زبيد يومئذ وهو القاضي ناصح الدين أبو بكر بن علي بن مبارك فكساهم وأنعم عليهم، فخشي ابن سمير أن يبيعه عسكره ويَتَوَدَّدُوا به إلى مشد زبيد، فارتفع بمحطته ورجع إلى القَحْمة، وكان ارتفاعه ليلة الإثنين السادس عشر من رجب المذكور[4].

وفي يوم السادس عشر من شعبان[5]: حملت الرايات السعيدة الأفضلية.

وفي ذي القعدة: أغار ابن سمير من القَحْمة إلى حازة وادي زبيد فحرق قرية الموقر وقتل من أهلها جماعة، ولزم آخرين.

وفي هذه السنة[6]: توفي الفقيه الصالح أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل البريهي السكسكي صاحب ذي سفال، وكان فقيهًا فاضلًا ورعًا صالحًا عالمًا عاملًا، صوفيا، جمع بين الطريقين وحاز شرف المنزلتين، وكان له كرامات، وحَجَّ بيت الله الحرام عدة من سنين، وتَحَكَّم على يده جماعة من الفضلاء، وكان مشاركًا في عدة من العلوم، فقيهًا نحويًا لغويًا محدثًا مفسرًا صوفيا، وكان له صَبْر عظيم على التدريس، توفي في شهر المحرم من السنة المذكورة.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 639.

(2) حائط لبيق بالبستان الشرقي من مدينة زبيد (العقود اللؤلؤية: 538).

(3) كذا في الأصل، وعبارة العقود: تقدم من أصحابه أهل عشر من الخيل يطلبون الذمة ويستأذنون في الخدمة.

(4) اختصر المؤلف الحوادث هنا، انظرها مفصلة في كتابه الآخر العقود اللؤلؤية: 640 (تحقيقنا).

(5) العقود اللؤلؤية: 641.

(6) العطايا السنية: 253 وطراز أعلام الزمن: 1268.

وفي سنة خمس وستين وسبع مئة[1]: نزل الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي في العساكر المنصورة الأفضلية من الأشراف والأكراد، ونزل معه الأمير شهاب الدين السُّنبلي في المماليك، وكان خروجهم من تعز يوم العاشر من المحرم، فدخلوا زبيد يوم الثاني عشر من الشهر المذكور فأقاموا في زبيد يومين، ثم تقدموا إلى فشال فأقاموا فيها أيامًا، ثم قصدوا ابن سمير ومن معه إلى القحمة يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور، فاهتزم ابن سمير وأصحابه هزيمة شديدة، وقتل أخوه الأعور وكان فارسًا شجاعًا، وقتل الأمير شمس الدين علي بن داود بن علاء الدين، وهو ابن أخت الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل، وقتل من أصحابهم عدة مستكثرة، ودخل عسكر السلطان القحمة فاحتوى على ما فيها من دواب وسلاح وأثاث وغير ذلك، واستذم بعض عسكر ابن سمير، وسار ابن سمير فيمن معه من بقية أصحابه إلى ابن ميكائيل، وهو في المهجم، فوصلوا إلى المهجم عشاء.

فلما علم ابن ميكائيل خرج من المهجم آخر ليلته سائرًا إلى حرض فأقام في حرض أيامًا قلائل، وخرج من حرض لما علم أن العسكر السلطاني قد دخلوا المهجم فسار يريد صعدة، وفي ذلك يقول الشريف مطهر بن محمد بن مطهر[2]: [من الطويل]

بجهلك لم تخش الذي بأسه يُخْشى ... ولم تَرْهَب الأفعى ولا الحَيَّة الرقشا

وأرداك من مَنَّاك في الملك مثلما ... تردَّى ضحى عن ظهر ناقته الأعشى[3]

وَلَجْتَ طموم البحر وهو غَمَطْمط ... ومن وَلَج التَّيار لاقى به القِرْشَا

فقد[4] جاءك العَبَّاس منه بِصَوْلة ... فَغَشَّاك منها يا محمد ما غَشَّى

أَغَرَّكَ إرخاء المجاهد سِتْره ... عليك ولم يَنْهاك منه الذي تَخْشَى

عفا عنك صَفْحًا في الظلام إذا انجلى ... بِفَضْل وإحسان وفي اللَّيل إذ يغشى

فلما ثَوَى واعْتَزَّ في العِزَّة ابنه ... ورَبُّك يعطي الملك من خَلْقِه من شا

---

(1) العقود اللؤلؤية: 642 وفاكهة الزمن: 932.

(2) انظرها في العقود اللؤلؤية: 642.

(3) انظر شرح هذا البيت في تحقيقنا للعقود اللؤلؤية: 643 وفاكهة الزمن: 925.

(4) العقود: ففاجئك.

مشيت مُجِدًّا إذ تَمَشَّى إلى العلى ... وأيكما بالله في طرقه أمشى
وأيكما أحرى بعز ورفعة ... وأيكما أجرى على ملكه بطشا
وُلِيْتَ فلم تُؤْمن بريًّا ولم تُخِفْ ... غَوِيًّا ولم تَنْهِ الفحوش عن الفحشا
[قبلت الرَّشا حتى امَّحى منهج الهُدَى ... وليس يُعِزّ الدين من قَبِلَ الإرشا][5]
فلما استوى العباس في الملك وانجلت ... دياجير للنُّظار في جَنْحها أعشى
بهاليل من أبناء فاطمة التي ... قضى فَضْلها في الخلق من خَلَق العرشا
أتوك ببيض ضَرْبها يقطف الكلى ... وتختطف الأشلا وتخترق الأحشا
فلما استقرت في فِشَال فشلتم ... كما فشلت للأسد في رعيهنَّ الشَّا
ثمان ليال ظَلَّلْت جندك القنا ... كما جعلت بيض المواضي لها فرشا
ألم تر أن الملك يؤتيه من يشا ... إله السَّما الجَبَّار مُبْتَدِع الإنشا
تَأَنَّ وقِفْ في حَيْث أوقفك القضا ... فمن لم يقف في بابه سكن الحشَّا

ولما دخل العسكر السلطاني[6] القحمة واحتوى عليها سار منها إلى الكدراء، ثم سار من الكدراء إلى المهجم فدخلها يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم المذكور، فأقام العسكر فيها أيامًا، ثم توجه الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي إلى مدينة حرض، فدخلها في أوائل صفر في السنة المذكورة، فجعل فيها الأمير سيف الدين الرومي وترك معه طائفة من المماليك الأجواد واستوسقت البلاد كلها في أسرع مدة وعمرت القرى وزأر الليث في غابه، واستقر الحق في نصابه[7].

وفي شهر ربيع الآخر[8]: كان ختان أولاد السلطان الملك الأفضل [وهم: الملك الأشرف إسماعيل، والملك المنصور عبد الله][9]، وذلك يوم الأحد الثالث عشر منه.

(5) هذا البيت سقط من (ع) والعقود اللؤلؤية.

(6) العقود اللؤلؤية: 643 وفاكهة الزمن: 933.

(7) عبارة (ع): وعمرت المدائن والقرى واتصل الناس ببعضهم البعض.

(8) العقود اللؤلؤية: 644.

(9) زيادة لا توجد في العقود اللؤلؤية.

وأسست المدرسة الأفضلية في تعز المحروس[1] يوم الجمعة الرابع عشر من رجب.

ولما كان وقت السبوت في زبيد نَدَب السلطان، رحمه الله، الأمير شمس الدين علي بن الحسام وجماعة من بني حمزة منهم: الشريف قاسم بن أحمد صاحب حصن الموقر فأقاموا في النَّخل كما جرت العادة، وكان فساد القرشيين في كل يوم[2] يزداد.

فلما كان ليلة الثامن عشر من شوال[3]: اجتمعوا وهجموا النَّخل ونهبوا طائفة منه، فَخَرج العسكر في طلبهم، وكانوا قد جعلوا عدة مكامن، فلما تَوَسَّط العسكر بين المكامن انبعثوا عليهم، فقتل من العسكر جماعة من أهل الخيل، فيهم الشريف قاسم بن أحمد صاحب الموقر، وقتل من الرجل طائفة وغشيهم الليل، وكان الأمير بهاء الدين السنبلي أمسى تلك الليلة في قرية النويدرة على باب زبيد فبلغه العلم فركب آخر الليل إلى النخل، فلما دخل النخل اجتمع المقدمون ولم يزالوا واقفين في النخل حتى انقضى رسم النخل، ولما ارتفع أهله منه جرد السلطان العساكر إلى زبيد لغزو القرشيين فيهم: الشريف جمال الدين محمد بن تاج[4] الدين صاحب الطويلة، والأمير شجاع الدين حسين بن حسن الكردي. ووصل الطواشي صفي الدين أبو ملعق بخزانة جيدة وكسوات للمقدمين فأنفق على كافة العسكر نفقة جَيِّدة وكسا المقدمين كسوة سنية، وسار العسكر جميعه لقصد القرشيين، فكانت الوقعة يوم السابع من ذي القعدة، فقتل من وجوه القرشيين وفرسانهم نحو من مئة راجل من أجودهم.

وفي جملة من قتل: عبد الله بن علي بن محمد بن غراب، وكان أحد الفرسان المشهورين فراسة وشجاعة، ونهبت القرية وحرقت، فحرق بعضها ورجع العسكر إلى زبيد ظافرًا منصورًا، ثم إن القرشيين طلبوا الذمة وبذلوا تسليم نصف الخيل التي معهم، ويرهنون أولادهم، فأجاب السلطان إلى ذلك وسلموا نصف الخيل ورهنوا أولادهم ورجعوا إلى قريتهم وسكنوا فيها.

---

(1) العقود بزيادة: في ناحية الجبيل. وانظر المدرسة الأفضلية في المدارس الإسلامية في اليمن: 243.

(2) في (و): عام.

(3) العقود اللؤلؤية: 644.

(4) في (ع) رباح.

وفي سنة ست وستين[1]: كان رجوع أهل القرشية إلى بلادهم، وفيها استمر الأمير سيف الدين الخراساني مقطعًا في حرض، وانفصل عنها سيف الدين الرومي واستمر مقطعًا في القحمة.

وفي هذه السنة[2]: أوقع الأمير فخر الدين زياد بالمعازبة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار العسكر إلى المدبى فقطعوا كثيرًا من نخله، وكان ذلك في شعبان.

وفي شهر رمضان[3]: نزل الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل من صعدة إلى المنيفة من أعمال حرض في عسكر جَرَّار كثيف من الخيل والرجل، فلقيه عسكر السلطان هنالك فانهزم ابن ميكائيل هزيمة شنيعة، وقتل من أصحابه نحو من مئة وسبعين، فيهم أربعة من الفرسان.

وفي هذه السنة[4]: نزل السلطان زبيد في شهر شوال، فأقام فيها أيامًا، ثم تفرج إلى النخل ثم في البحر ثم توجه إلى الجهات الشامية لقبض خيول العرب فقبضها بأسرها في مدة يسيرة، ثم عاد إلى زبيد.

وفي سنة سبع وستين: طلع السلطان من زبيد، وكان دخوله تعز يوم الثالث من المحرم، وقد قبض من خيول العرب نحوًا من مئتي فارس.

وفي هذه السنة: وصل ابن سمير إلى باب السلطان على الذمة الشريفة، وكان وصوله يوم الرابع من صفر، ووصل الملك المظفر إلى حرض بعسكر جَرَّار من عسكر الإمام صاحب صعدة، فخرج إليهم صاحب حرض فهزمهم هزيمة شديدة، ورجعوا من غير قتال، ووصل رسول من صاحب ظفار وهو الفقيه أبو محمود بهدية وتحف وطلب لصاحب بلاده نيابة من السلطان، فكتبت له بذلك في شهر جمادى الأخرى.

وتقدم القاضي جمال الدين الفارقي سفيرًا إلى الديار المصرية، وفي صحبته من الهدايا والتحف ما يليق بحال المُهَدى والمُهْدِي إليه، وكان تقدمه يوم العاشر من شهر ربيع الأول.

ووصل محمد بن الفهد صاحب ثلا إلى الأبواب السلطانية مستوفدًا، فأكرمه السلطان وأنصفه، وَوَصل جماعة من الأشراف الهَدَوِيِّين صحبة الأمير عماد الدين يحيى بن أحمد

(1) العقود اللؤلؤية: 645.

(2) العقود اللؤلؤية: 645.

(3) العقود اللؤلؤية: 646.

(4) العقود اللؤلؤية: 646.

الحمزي فقابلهم السلطان بالإكرام والإنعام العام.

وفي شهر رمضان من هذه السنة: وقع في تعز ونواحيها مطر عظيم أخرب بستان المجليّة وكثيرًا من قصورها، وهلك فيه كثير من الناس، سحبهم [وبعضهم انهدمت عليهم بيوتهم][1]، وكانت مطرة لم يعهد مثلها.

وفي هذه السنة[2]: توفي الأمير سيف الدين الرومي، وكان أميرًا كبيرًا عاقلاً حسن السيرة شجاعًا مقدامًا في الحرب، وكان وفاته في مدينة القحمة، وهو مقطع بها، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثمان وستين[3]: وصل القاضي جمال الدين الفارقي من الديار المصرية بالهدايا من صاحب مصر والمماليك، وكان وصوله يوم الثامن من صفر.

وفي شهر ربيع الأول[4]: أمر السلطان بحمل أربعة أحمال طبلخاناة وأربعة أعلام للأمير سيف الدين طغي الأفضلي، ووصل رسول صاحب كنباية[5] ورسول ملك السند بالتحف والهدايا إلى الأبواب السلطانية، ووصلوا بغرسات الفل الأحمر والأصفر والأزرق.

واستمر الأمير صارم الدين داود ابن حناجر[6] أميرًا في الشحر، وكان سفره من عدن يوم السادس والعشرين من شوال، واستمر بهاء الدين الظفاري مقطعًا في حرض، والقاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم الجَلَّاد مقطعًا في فشال.

وفي هذه السنة[7]: توفي الأمير الكبير بهادر السنبلي، وكان أميرًا كبيرًا شجاعًا مقدامًا فارسًا مشهورًا، وكان أحد أعيان الأمراء في الدولة المجاهدية، ونال من الملك المجاهد شفقة تامة، وهو الذي أنشأه وحَمَلَ له أربعة أحمال طبلخاناة، وأربعة أعلام وأقطعه في جهات كثيرة من المملكة اليمنية، وكان مشهورًا بالشجاعة والفراسة، وكانت وفاته يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول.

---

(1) زيادة لا توجد في العقود اللؤلؤية.

(2) العقود اللؤلؤية: 647.

(3) العقود اللؤلؤية: 647.

(4) العقود اللؤلؤية: 647.

(5) بلد في الهند لها ذكر في نور المعارف: 188.

(6) في (ع): خناجر بالخاء المعجمة.

(7) العقود اللؤلؤية: 648.

وفي هذه السنة[1]: توفي الإمام البارع أبو العباس أحمد بن عثمان بصيبص النحوي الزبيدي - بفتح الزاي وضمها - وكان إمام الحفاظ وشرف النحاة، إليه انتهت رياسة الأدب، وكانت الرحلة إليه، وكان بارعًا في فهمه، وله تصانيف مفيدة، وأشعار جيدة، شرح (مقدمة ابن بابشاذ)، واخترمته المنية قبل إتمامه، وهو شرح جيد مفيد، تنحل فيه الأسئلة الدقيقة، وأجاب عنها بالأجوبة الحقيقة، وله المنظومة المشهورة في العروض، ولم يزل على أحسن طريقة باذلًا نفسه للطلب[2] إلى أن توفي يوم الأحد الحادي عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة.

وتوفي الفقيه الصالح تقي الدين عمر[3] بن مكي بن علي النبطي الفقيه الحنفي المحدث، وكان فقيها محدثًا مشاركًا في كثير من فنون العلم. تفقه في زبيد على الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي، وعلى الفقيه موفق الدين علي بن نوح، وعلى الفقيه برهان الدين إبراهيم ابن مهنا. وطلب لتدريس الحديث بالمدرسة المجاهدية بتعز سنة تسع وأربعين، فاستمر إلى أن توفي في شهر رمضان، وكان مولده على ما قيل: في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة في زبيد، رحمه الله تعالى.

وفي سنة تسع وستين[4]: قُبِضَ حصن خدد ومعشاره، وفيها استمر الأمير بهاء الدين المجاهدي واليًا في زبيد، وانفصل بالأمير علاء الدين شنجل.

وفيها: قتل من المعازبة نحو من خمسين نفسًا.

وفي هذه السنة[5]: استمر [الأمير بهاء الدين المجاهدي واليا في زبيد وانفصل][6] الأمير بهاء الدين طغي الأفضلي مقطعًا في حرض وانفصل عنها بهاء الدين الظفاري، وكان الأمير سيف الدين طغي الأفضلي حاد المزاج قريب النفس، كثير الغيظ قليل الاحتمال، وكانت الأشراف غير محتكمين له ولا لغيره في ذلك، فلم يتفقوا ولم يجزِهم على ما يعتادونه من المقطعين قبله، فلما رأى ما هم عليه من ترك الطاعة قبض على جماعة منهم وحبسهم عنده، فطلبوه

(1) العقود اللؤلؤية: 648 وطراز أعلام: 344 والعطايا السنية: 136.

(2) في (ع): للطلبة.

(3) العطايا السنية: 345 والعقود اللؤلؤية: 649 وفيهما: عبيد الله بن عمر المكي.

(4) العقود اللؤلؤية: 650.

(5) العقود اللؤلؤية: 650.

(6) سقط من (و).

بخروجهم طلبًا حثيثًا فقتلهم فنزع الباقون أيديهم عن طاعة السلطان. فلما علم السلطان بما كان منهم ومنه نَزَعَهُ منهم، وأعاد الأمير بهاء الدين الظفاري، فلم يتفق له استصلاح قلوبهم وأَصَرُّوا على الخلاف قولًا وفعلًا.

وفي هذه السنة[1]: توفي الفقيه الفاضل جمال الدين محمد بن عبد الله بن أسعد النظاري - نسبة إلى قرية في بعدان يقال لها: النظاري [قرية من قرى بعدان بين الحدود وأظنها أقرب إلى معشار خدد المحروس][2]، ونسبته في ذي رعين - وكان فقيهًا فاضلاً حسن السيرة، أخذ عن جماعة من كبار العلماء كالفقيه إبراهيم العلوي والفقيه إبراهيم الوزيري وغيرهما، توفي مبطونًا في غرة ذي الحجة، رحمه الله تعالى.

وفيها[3]: توفي الفقيه البارع أحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن سلمة الحبيشي الوصابي، وكان مولده سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة، وكان فقيهًا فاضلًا، له شهرة طائلة وشيمة فاضلة، وكان مشاركًا في كثير من العلوم، وله عدة تصانيف مفيدة منها كتاب (الإرشاد في معرفة سباعيات الأعداد) وهو تصنيف عجيب، وله ديوان شعر، وشعره كله حسن، ليس له في زمانه نظير، وتفقه بأبيه، وأخذ عن ابن جبريل[4] - المقدم ذكره - وعن قاضي القضاة عبد الأكبر[5]، وانتفع به جماعة كثيرون، وكان وفاته في سلخ المحرم من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفيها[6]: توفي الفقيه المشهور الملقب بالسراج أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي الحنفي، وكان فقيهًا مشهورًا، جليل القدر بالفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، رحمه الله تعالى، وكان فروعيًا أصوليًا، نحويًا لغويًا منطقيًا، شاعرًا، فصيحًا بليغًا نظم (بداية المهتدي)[7] نظمًا جيدًا، ونظم (مختصر القدوري) وكان ذكيا، ورزق قبولًا عند الخاص والعام، ودَرَّس في المدرسة المنصورية بزبيد مدة، وكانت وفاته في السنة المذكورة، رحمه الله.

---

(1) العطايا السنية: 427 والعقود اللؤلؤية: 650.

(2) زيادة في (و).

(3) تاريخ وصاب: 330 (تحقيقنا) والعطايا السنية: 136 وطراز أعلام الزمن: 319.

(4) يعني أبا بكر بن جبريل العدلي المتوفى سنة 741هـ انظر (العطايا السنية: 95) (تحقيقنا).

(5) يعني القاضي عبد الأكبر بن أبي بكر الجنيد المتوفى سنة 754هـ. (العطايا السنية: 272).

(6) طراز أعلام الزمن: 3388.

(7) هو أصل كتاب الهداية في الفقه للمرغيناني أشهر كتب الحنفية، انظر شروحه في (جامع الشروح والحواشي: 777 - 800).

وفي سنة سبعين وسبع مئة[1]: قبض السلطان حصن القاهر وقبض من مشايخ العبسيين ومشايخ الجعاشن نحوًا من ثمانية وعشرين شيخًا وقتلهم جميعًا.

وفيها[2]: وصلت هدية الملك صاحب كاليقوط، ووصل شيء كثير من غرائب الأشجار والأطيار، فغرست الأشجار في بستان دار الديباج، وهو فل أبيض، وفل أصفر وورد، وغير ذلك.

وفي شوال[3]: لزم الأمير سيف الدين طغي الأفضلي أمراء الأشراف بحرض - كما ذكرنا - وقتلهم في الشهر المذكور، ونزل السلطان إلى محروس زبيد، فعزل الأمير علاء الدين سنجل عن زبيد، وأمر الأمير شهاب الدين أحمد ابن شمير[4] واليًا في زبيد، وأقام السلطان في زبيد أيامًا، ثم توجه نحو الجهات الشامية، فبسط ابن سمير يده في البلاد وصادر الناس مصادرات عنيفة لا أصل لها، ولزم أناسًا وحَبَسَهم من غير سابقة وأتلف بعضهم، وطلب من الباقين مطلبًا عنيفًا، فافتدوا أنفسهم بما طلب، ولم يزل على هذا الأمر إلى أن رجع السلطان من الجهات الشامية.

فلما رجع السلطان من الجهات الشامية - وصَبَّح أوائل الناس يدخلون المدينة بثقلهم وحريمهم - أمر بإغلاق أبواب المدينة ولم تفتح لأحد حتى كانت الغز وأولاد الملوك من خارج الباب، ثم أمر بفتح الأبواب وقد ضَجَّ الناس ضجيجًا عظيمًا، فأمر السلطان حينئذ بقبضه، فقبض قبضًا شنيعًا على يد القاضي رشيد الدين عمر بن أحمد الشتيري، فصادره مصادرة صعبة إلى أن توفي في المصادرة في التاريخ الآتي ذكره.

وفي هذه السنة[5]: تَصَدَّق السلطان على كافة الرعايا في سائر جهات المملكة اليمنية بأن يمسح عليهم بالذراع المظفري، فسَمَّاه الناس الأفضلي[6] لكونه الذي أجراه لهم صدقة تامة عامة لا يختص بها أحد دون أحد، وهي من إحدى فعلاته المشهورات الحسان. ثم أجرى

(1) العقود اللؤلؤية: 653.

(2) العقود اللؤلؤية: 652.

(3) العقود اللؤلؤية: 652.

(4) كذا في الأصل، وقد سبق ذكره بالسين المهملة.

(5) العقود اللؤلؤية: 653 وفاكهة الزمن: 942.

(6) أي نسبة إلى الملك الأفضل صاحب الأحداث المذكورة هنا.

لبعضهم مزال الخمس مما تدور عليه الحبال[1]، ولبعضهم الربع صدقة مؤبدة يتصل بها القوي والضعيف.

وفي هذه السنة[2]: استمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد ابن سالم مشدا في وادي زبيد المبارك.

وفيها[3]: توفي القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن الفقيه أبي بكر بن أحمد بن عمر اليحيوي، وكان من غلمان الدولة المجاهدية، ونال من المجاهد شفقة تامة، وكان محبًّا للصوفية، وينسب إليهم، وولي نظر الأوقاف في الدولة الأفضلية، وكان وفاته ليلة الإثنين السابع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وفي سنة إحدى وسبعين[4]: خرج الأشراف بحرض على الأمير بهاء الدين الظفاري ورفعوا أيديهم عن الطَّاعة ووصلهم السيد إبراهيم بن يحيى الهدوي، والأمير نور الدين محمد بن ميكائيل في عسكر كثيف وجماعة من بني حمزة، فحصروا الأمير بهاء الدين في دار حرض أيامًا، وكان يقاتلهم بكرة وعشية، فخانه جماعة من أصحابه وأسلموه.

فلما رأى ما نزل به استأمن من الشريف علي[5] بن محمد المسمى مسلة[6]، وخرج متوجهًا إلى اليمن، وكان السلطان قد ندب القاضي محمد بن عمر الشريف والقاضي تقي الدين عمر بن محمد بن محيا في جماعة من العسكر لجباية الأموال من الجهات الشامية[7].

فلما صاروا في المهجم نزل الأشراف على حرض وحاصروا الأمير بهاء الدين الظفاري - كما ذكرنا - فكتب القاضي جمال الدين محمد بن [عمر][8] الشريف إلى السلطان يحقق له حقيقة الأمر، ويستمده بالعسكر فأمده بالأمير شمس الدين علي بن إسماعيل بن

(1) أي ما يسقى بالنزح من الآبار.

(2) العقود اللؤلؤية: 653.

(3) العقود اللؤلؤية: 653.

(4) العقود اللؤلؤية: 654.

(5) هو الملقب في كتب الزيدية بالإمام المهدي (أئمة اليمن لزبارة 1: 547).

(6) في (ع) مسلمة.

(7) أي الجهات الشمالية حرض وما يليها.

(8) زيادة من (ع).

إياس، والأمير طغي الأفضلي، فلما استولى الأشراف على حرض أقاموا أيامًا، ثم توجهوا إلى المهجم.

فلما علم الشريف بأنهم واصلون انتقل من المهجم إلى الكدراء، ووصله الأمير شمس الدين علي بن إياس والأمير سيف الدين طغي فلما دخل الأشراف المهجم أقاموا فيها أيامًا، ثم ساروا نحو الكدراء فارتفع ابن الشريف وسائر عسكر السلطان من الكدراء إلى القحمة، وكان في القحمة يومئذ الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي، فاجتمع العسكر عنده واستعدوا للقتال، فقصدهم الأشراف إلى القحمة يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر جمادى الأولى.

وكان السلطان قد أرسل بخزانة جيدة صحبة الأمير شمس الدين علي بن إياس خارجًا عن خراج الجهات التي تحت يد الشريف فافترقت كلمة المقدمين وأمسك كل واحد ما عنده من المال، ولم ينفقوا على العسكر شيئًا، فقصدهم العدو[1] وهم على غير اتفاق فتخاذلوا وانهزموا، وقتل [على][2] بن الشريف، والقاضي تقي الدين عمر ابن محيا، والأمير سيف الدين طغي، وقتل جماعة من الغز والرَّجل، وأسروا الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي، وانهزم ابن إياس في بقية العسكر إلى زبيد، [فلما دخل العسكر المنهزمون إلى زبيد][3] اجتمع أرباب الفساد من كل ناحية واحتلف العوارون في زبيد ليلة الرابع عشر على قتل ابن إياس.

فلما أصبح يوم الرابع عشر من الشهر المذكور: ركب ابن إياس إلى دار السلطان، وركب بركوبه أمير المدينة وهو الأمير فخر الدين أبو بكر بن بوز، ومشد الوادي يومئذ وهو عبد اللطيف ابن سالم، وناظر البلاد وهو الأمير بدر الدين محمد بن [الغرس، وصاحب فشال وهو القاضي جمال محمد بن][4] إبراهيم الجَلاَّد، واتفقوا جميعًا على أن يعدو[5]ا للعسكر، فاجتمع العوارين من أهل زبيد ومن انضم إليهم من المفسدين من كل ناحية، وتقدم بعضهم

(1) في (ع): الأشراف.

(2) سقط من (و).

(3) سقط من (ع).

(4) سقط من (و).

(5) أي ينقدوهم مرتباتهم.

إلى الأمير شمس الدين علي بن إياس وهو مجتمع بالأمير والمشد والناظر وصاحب فشال، وسألوه أن ينفق عليهم كسائر العسكر، فشتمهم الأمير شمس الدين ابن إياس وزَجَرهم بالكلام ووبَّخهم، وأمر العسكر بلزمهم، وكانوا نحوًا من عشرة رجال وهم أعيانهم، ولم يعلم أن على الباب منهم خلقًا عظيمًا وجَمًّا غفيرًا، فلما أمر بلزمهم بطش بهم العسكر فامتنعوا بسلاحهم وصفر الصافر، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فانقلبت المدينة بمن فيها من عوارين البلد وعوارين المهجم[1] وسائر العرب الذين خرجوا من قراهم على العسكر فنهبوهم في ساعة واحدة، وكانت المدينة قد امتلأت من الغرباء والعرب الواصلين من الشام - وكان في ظن الأمير أن العرب الواصلين من الشام يقولون بقوله، ولم يعلم أن الجميع منهم داعية فساد وطمع - فلما رأى الأمير ما رأى من السواد الأعظم، قام هاربًا وهرب سائر المقدمين المذكورين، فافترق العسكر فدخل الأمير موضعًا من الدار فتبعه جماعة من العوارين فقتلوه وقت صلاة المغرب من ليلة الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور.

ولما أصبح يوم الجمعة: حمل من موضعه وغسل وكفن وصلي عليه، وقبر داخل المدينة عند مسجد السدرة[2] قبالة باب الشبارق.

فلما طلعت الشمس يوم الجمعة الخامس عشر: وصل الأشراف بأَجْمَعهم إلى مدينة زبيد وحَطُّوا في البستان الشرقي، ودخل الشريف يحيى بن حمزة الهدوي وجماعة من أصحابه من السور برأي بعض العوارين، فوقفوا في المدينة ساعة يدورون على بيوت غلمان[3] السلطان ويتأملونها، وأمروا صائحًا يصيح بذمة الله تعالى وذمة الإمام على كافة الناس، ثم قال لمن عنده من العوارين: افتحوا الباب للعسكر يدخلون المدينة، فقال رجل من مشايخ العوارين يقال له: ابن العدني[4]: المصلحة يا شريف أن ترجع إلى أصحابك وتمهلونا هذه الليلة حتى نجتمع بأكابر أهل البلاد. فقال له الشريف: وهل في البلاد من هو أكبر منكم؟ قال: نعم، معنا فقهاء وتجار ورعية ومن لا يتعدى أمره، فإن رضوا بكم أصبحنا فتحنا لكم الباب، وإن لم

(1) العقود اللؤلؤية: 655: وعوارين الشام.

(2) من مساجد زبيد يقع في حافة بني سرور (الدر النضيد: 588).

(3) الغلمان هنا: المتعلقون بالسلطان من موظفين وعمال ونحوهما.

(4) في (ع): ابن المغربي.

يرضوا فيا سيف يا سيف ويا حجر يا حجر، ويعطي الله النصر من يشاء، فقال الشريف: وما في الكلام إلا هذا، قال له: نعم[1].

فرجع الشريف هو وأصحابه الذين كانوا معه، وكانوا نحوًا من سبعة - أو ثمانية - نفر، فأنزلوهم من الدرب[2]، ورجعوا إلى أصحابهم واشتد القتال ساعة من نهار، وكان هذا كله قبل زوال الشمس من يوم الجمعة المذكور، فلما زالت الشمس وحضر وقت الصلاة ولم يحضر الجامع من الناس إلا أقل من نصفهم في العادة ولم يحضر القاضي ولا الخطيب وغاب كثير من الأعيان فتأهب الناس لصلاة الظهر، فقام الفقيه أبو بكر بن محمد الوصابي المعروف بالمكي فصعد المنبر وخطب خطبة مختصرة، ولم يدع للسلطان فيها - كما جرت العادة - فبكى الناس بكاء شديدًا حتى كأن بين أيديهم ميتًا، ثم نزل وصلى بالناس الجمعة، فلما انقضت الصلاة خرجوا بأجمعهم إلى موضع شرقي الجامع يقال له: المدرك، وأرسلوا للعوارين، فوصل جماعة منهم، فقال لهم بعض الحاضرين: يا مشايخ ما هذه الأفعال التي فعلتموها في البلاد؟ قتلتم نائب السلطان ونهبتم غلمانه ونهبتم المدينة، ما عرفنا ما مرادكم إن كان غرضكم تسلطنوا أحدًا منكم فقولوا لنا، وإن كان عزمكم على دخول الأشراف فانصحونا، وإن كان البلاد بلاد السلطان عرَّفتم الناس ما مرادكم، فمن أحب الوقوف وقف، ومن أحب الخروج خرج إلى أين ما يريد، فعرِّفونا ما عزمكم الذي عزمتم عليه؟ فقالوا: والله يا فقهاء ما نحن إلا عبيد السلطان وغلمانه لو يقصنا بالمقص ما رضينا بأحد غيره. فقال لهم بعض الحاضرين: إنا نخشى أن يأتي غيركم من أصحابكم ويقولون غير هذا القول. [فقالوا: والله يا فقهاء ما أحد يقول غير هذا القول][3]، ولو كنا نريد الأشراف كنا قد فتحنا لهم الأبواب، ولكن والله يا فقهاء ما نقدم إلا من قدمتموه ولا نؤخر إلا من أخرتموه، وما أشرتم به علينا قبلناه. قالوا: فنسير إلى عند الأمير سيف الدين الخراساني فإنه عبد السلطان وأول من حفظ بلاده ولا نتهمه في شيء.

فقام ذلك الجمع كله إلى بيت الأمير سيف الدين الخراساني ودخلوا عليه، وقالوا: يا مولانا، أنت عبد السلطان وغلامه، وهذه بلاد السلطان فاحفظها ونحن نقاتل معك بين

(1) انظر هذا الحوار وما دار بين الأشراف والعدني بتوسع في فاكهة الزمن: 947.

(2) الدرب: السور.

(3) سقط من (ع).

يديك، ولا يتخلف عنك أحد منا عند القتال. فقال الأمير سيف الدين الخراساني: وأنا أنفق عليكم وعلى كافة الناس ذهبًا وفضة، فصاح الصائح حينئذ بالأمان وبذمة السلطان على كافة الناس، فظهر حينئذ ناس من العسكر كانوا مختفين في المدينة نحو من مئة وثلاثين فارسًا من عسكر السلطان واجتمع من الرجل شيء كثير.

ولما كان يوم السبت السادس عشر من الشهر المذكور: ولم يظهر من المدينة على الأشراف علم، ركب الأشراف بأجمعهم وداروا حول المدينة، فوجدوا الدرب من ناحية باب النخل[1] متخلخلاً ففتحوا الحرب من هنالك فقاتلهم أهل المدينة قتالاً شديدًا، فقتل من أهل المدينة أربعة عشر إنسانًا بالنشاب، وقتل من الأشراف فارسًا واحدًا كان قد نزل عن فرسه، وقاتل رَجَّالًا حتى وصل إلى أسفل الدرب، وأراد أن يطلع الدرب قهرًا، فواجهه رجل من أهل المدينة[2] يقال له: دهيش فتطاعنا مَلِيًّا، فأصاب الشريف طعنة كان فيها أجله، وقتل جماعة من رِجْلهم، ورجعوا إلى محطتهم في البستان الشرقي، ولم يكن بعد ذلك قتال، ولم يزالوا في محطتهم والأبواب مغلقة إلى يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور، ثم استمروا راجعين إلى الشام، فكان إقامتهم بالكدراء.

ولما ارتفعت المحَطَّة عن زبيد وصل الطواشي أمين الدين أهيف في عسكر جَيِّد من الباب السلطاني، فتخوف منه العوارين وأغلقوا أبواب المدينة، فوقف في البستان الشرقي خارج المدينة، فاشتد خوف العوارين منه وتواترت الأمداد[3] إلى المدينة، وكان العوارين يحرسون الأبواب حراسة شديدة، والطواشي يظهر لهم أنه لا حاجة له إلى دخول المدينة، وإنما وقوفه لانتظار باقي العسكر، ثم يتقدم إلى الجهات الشامية في العساكر كلها، ثم طلب مشايخ العوارين وحلفهم على حفظ المدينة وكساهم كسوة جيدة، وعرفهم حقيقة المعرفة، وأوجدهم أنه متوجه إلى الشام، وأن السلطان لم يأذن له في دخول المدينة إلا عند رجوعه من الشام، فأمنوا وما أمنوا، ولم يزل الطواشي يرقب غفلات العوارين عن حراسة الباب حتى اطمأنوا وملوا من طول الحراسة.

---

(1) باب النخل من أبواب زبيد ينفذ غربا إلى غلافقة والأهواب (البقعة اليوم)، وكان يسمى من قبل باب غلافقة (الدر النضيد: 487).

(2) العقود: 658: من العوارين.

(3) في (ع): العداد.

فلما كان يوم الأربعاء الثالث من رجب: أشعر الطواشي على كافة العسكر أن يكونوا على أهبة وجاءته عيونه فأخبروه أن الباب مفتوح وليس هناك أحد من العوارين، فأمر جماعة من أهل الخيل فساقوا إلى الباب فملكوه، ثم أمر الرجل بعدهم وأمرهم أن يسقطوا أحد المصراعين من كل باب من الأبواب الأول والثاني، ففعلوا، وصرخ الصارخ في المدينة، فما وصل أول العوارين إلا وقد دخل العسكر، ثم ركب الطواشي للفور واستنهض باقي العسكر من الخيل والرجل ووقف على فرسه خارج الباب، وأمر العسكر بالدخول ولم يزل واقفًا موضعه حتى أتي بِعِدَّة رؤوس من القتلى، ثم دخل وأمر جماعة من العسكر يدورون حول المدينة يتلقون الهارب، فكان يومًا عظيمًا، ونهبت المدينة نهبًا شديدًا، وقتل في ذلك اليوم نحو من أربعين رجلًا.

ولما كان عند أذان العصر أمر صائحًا يصيح بأمان الناس، وترك النهب، ولا أمان للمفسدين.

ولما كان يوم الخميس الرابع من الشهر المذكور: جَرَّد الجرائد إلى القرى في طلب المفسدين، فكان يؤتى بهم من كل مكان ولا خطاب لهم إلا السيف.

وفي هذا التاريخ: قُيِّد الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي في المهجم وصَدَّروا به إلى صعدة في جماعة من الخيل والرجل، فلما صاروا في حد بلاد القائد فكه القائد وأطلقه وطرد العسكر الذين كانوا معه مجرَّدين إلى صعدة، وقال له القائد: توجه حيث شئت. فطلع حصن منابر، ثم تقدم منه إلى ملحان، وكان فيه العفيف عبد الله بن الهليس، ثم سار قرن عامر.

ولما كان أواخر شعبان: خرج الطواشي[1] من زبيد يريد القرشيين وكانوا في العرمة، فقصدهم إلى هنالك فقتل منهم محمد البابلي، وكان فارسًا شجاعًا من شجعانهم المشهورين، وقتل معه جماعة من القرشيين، فأرسل القرشيون للأشراف إلى الكدراء وللعوارين إلى الجبل فوصلوهم، فاجتمع الأشراف والعوارين والقرشيون وقصدوا زبيد وكان الطواشي مقيمًا في القوز، وكان يأمر العسكر بالركوب كل يوم يسيرون إلى الأماكن البعيدة.

فلما كان يوم السابع عشر من رمضان: ركب العسكر للمسير نحو وادي رمع فواجههم الجم الغفير من الأشراف والقرشيين والعوارين، فأرسل المقدم من يعلم الطواشي ويستنجده

---

(1) يعني الطواشي أمين الدين أهيف السابق ذكره.

واقتتل العسكر والقوم قتالًا شديدًا، وثبت كل فريق للآخر فبينا هم كذلك إذ وصل بقية العسكر والناس متماسكون في القتال، فانهزم الأشراف والعرب والعوارين ومن معهم هزيمة شديدة، وقتل منهم يومئذ نحو من خمسين رجلًا فيهم عدة من مشاهير العوارين وباقيهم[1] من الأشراف والقرشيين.

وفي آخر شوال[2]: نزل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي في عسكر جَيِّد من الباب السلطاني[3] فارتفع بعض الأشراف من الكدراء إلى المَهْجَم، فلما دخلوا المهجم أقاموا أيامًا قلائل وخرجوا منها غاضبين يريدون بلادهم، فلما صاروا في أثناء الطريق قصدوا ملحان يريدون العفيف عبد الله بن الهليس فأكرمهم وأنصفهم وأرسلهم إلى الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي فوصلوه في آخر ذي القعدة.

وفي أول ذي الحجة: ارتفع السيد إبراهيم وبقية العسكر الذين معه من الكدراء إلى المهجم حين سمعوا بوصول عسكر السلطان والأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي.

فلما كان يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة: ارتفعوا من المهجم إلى المحالب فأمسوا فيها ليلة واحدة وأصبحوا سائرين لا يلوي أحد على أحد.

ونزل الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي من ملحان فدخل المهجم يوم السبت الحادي عشر ودخلها الأمير فخر الدين أبو بكر السنبلي يوم الثاني عشر من ذي الحجة فأقاموا في المهجم أيامًا وتقدموا إلى حرض، فأقاموا فيها أيامًا قلائل، ورجع زياد إلى السلطان وأقام ابن السنبلي فيها مقطعًا.

وفي هذه السنة: توفي الأمير الكبير شهاب الدين أحمد ابن سمير، وكانت وفاته في المصادرة ثاني يوم من أول المحرم.

وتوفي الفقيه شمس الدين علي بن محمد بن يوسف العلوي في المصادرة أيضًا مع القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم.

(1) في (و): وما فيهم.

(2) العقود اللؤلؤية: 660 وفاكهة الزمن: 953.

(3) العقود: (الباب الشريف).

وفي سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة[1]: نزل السلطان من تعز إلى محروس زبيد فدخلها يوم الخامس من جمادى الأولى، وكان الوالي في زبيد الأمير فخر الدين أبو بكر بن الفضل الحرازي، ففصله عن زبيد وولاه فشال وأمره بقبض مشايخ القرشيين، فأعمل الحيلة في وصولهم إليه، فلم يصلوا، فأمر السلطان الأمير فخر الدين أبا بكر السنبلي في جماعة من العسكر إلى القرشية ولقيهم ابن الحرازي من فشال.

فلما صاروا في القرشية طلبوا المشايخ بسبب المباشرة في بلادهم، فوصل معظم[2] المشايخ وتأخر جماعة، فأمر ابن السنبلي بالقبض عليهم، وكانوا ستة عشر رجلًا فقيدهم ووصل بهم إلى باب السلطان يوم السادس عشر من جمادى الأولى، وكان صاحب القَحْمة قد لزم الشيخ محمد بن حجر وأربعة عشر معه من قرابته وأرسل بهم إلى باب السلطان، فأمر السلطان بإتلاف الجميع فوسط منهم خمسة نفر وسمر ثلاثة وشنق الباقين، وكان ذلك يوم السابع عشر من جمادى الأولى، وكان فيهم من أعيان القرشيين: الشيخ علي بن محمد غراب وولده الكندروس والشيخ عمر حوالي وولده حميضة، والشيخ محمد بن عمر عروة، والشيخ محمد بن علاء الدين[3]، وأباح السلطان قريتهم وأجلاهم عنها، وأسكنها قومًا آخرين، وتَشَتَّت القرشيون في البلاد، وصاروا من طوائف الفساد.

وأقام[4] السلطان في زبيد جمادى الأولى وجمادى الأخرى ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة وذا الحجة، وفي ذي الحجة استمر الطواشي أمين الدين أهيف واليًا في زبيد وكان استمراره يوم الحادي عشر، ولم يزل مستمرا في ولايته إلى أن هلك في تاريخه الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى. وأطلق السلطان يده في البلاد كلها، فلا يعلو أمره أمر.

وفي سنة ثلاث وسبعين: تقدم السلطان إلى محروس تعز في شهر المحرم.

وفي هذه السنة: نزل الشريف نور الدين محمد بن إدريس تاج الدين الحمزي في طائفة من الأشراف أصحاب المشرق ووافقهم الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل وانضم إليهم

(1) العقود اللؤلؤية: 661 وفاكهة الزمن: 954.

(2) في (ع): معهم.

(3) في (ع): عرار.

(4) العقود اللؤلؤية: 662.

الشريف جمال الدين محمد بن مدرك، وقصدوا حرض وكان فيها الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي فعاثوا في البلاد، وطلع الأمير فخر الدين إلى باب السلطان مستنجدًا فكساه السلطان كسوة فاخرة، وأنعم عليه وجَرَّد معه عسكرًا من الباب وجماعة من بني حمزة، وأمره أن يأخذ من الرتب ما شاء، فنزل في عسكر جَرَّار وخزانة جيدة، وكان نزوله في أول شهر ربيع الآخر، فتوجه نحو المهجم وقد استقر فيها ابن ميكائيل وأصحابه المذكورون فوصلهم الأمير يوم الأحد التاسع من شهر جمادى الأولى، فخرج إليه الأشراف المذكورون ونور الدين ابن ميكائيل ومن معهم واشتد القتال بينهم ساعة من نهار، ثم انهزم ابن ميكائيل وأصحابه الأشراف هزيمة عظيمة، وقتل الشريف محمد بن إدريس في نحو من مئة إنسان، وكانت الوقعة آخر النهار. فلما حصلت الهزيمة في ذلك الوقت سترهم الليل فاتخذوه جملًا وأخذت رؤوس المقاتيل وحملت إلى السلطان وهو في تعز، ثم نزل السلطان إلى تهامة في النصف من جمادى الأولى، وسار الأمير فخر الدين إلى حرض ونواحيها، فخالف عليه أصحاب جازان وانضم إليهم أصحاب المخلاف السليماني، فقصدهم الأمير فخر الدين [فيمن معه إلى جازان وحَطَّ عليهم حتى أذعنوا بالصلح والطاعة بعد أن قتل منهم جماعة][1] في شوال من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة: توفي الطواشي جمال[2] الدين نجيب زمام الباب الشريف، وكان سيد الزمامية كريمًا حليمًا، حسن الأخلاق كريم النفس، وكان له خطٌّ عجيب قَلَّ أن يأتي الزمان بمثله في أبناء جنسه، وكان وفاته في مدينة الجؤة وقبره هنالك، رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي جمال[3] الدين محمد بن حسان الوزير، وكان من رجال الزمان، لبيبًا، مهيبًا، له بأس شديد ورأي سديد، وكان سيد الوزراء في زمانه، عاقلًا كامل الأوصاف، حسن السيرة جيد التدبير، نصوحًا، له عزم وحزم[4]: [من الطويل]

قليل الكرى لو كانت البيض والقنا ... كآرائه ما أغنت البيض والرغف

(1) سقط من (ع).

(2) انظر ترجمته في العطايا السنية: 453 (تحقيقنا)، وفيه: نجيب بن عبد الله وفاكهة الزمن: 956.

(3) العطايا السنية: 431 والعقود اللؤلؤية: 664 وفاكهة الزمن: 956.

(4) من أبيات للمتنبي.

يقـوم مقـام الجيـش تقطيـب وجهـه ويسـتغرق الألفـاظ مـن لفظـه حـرف

رحمه الله تعالى.

وتوفي الفقيه الإمام البارع برهان[1] الدين إبراهيم بن عيسى مطير الحكمي الشافعي، الساكن في أبيات حسين[2] من نواحي سردد، وكان فقيهًا نبيهًا عالمًا فاضلاً صالحًا ورعًا زاهدًا، حسن المذاكرة مبارك التدريس، محبوبًا عند الخاص والعام، توفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، وكان ميلاده ليلة الإثنين لأربع بقين من ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وسبع مئة، رحمه الله تعالى.

وفيها: توفي الفقيه الفاضل المتقن المحقق جمال الدين[3] أبو يزيد محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السراج الأشعري السدوسي الحنفي الفرضي، وكان فقيهًا عالمًا عاملًا فطنًا، ذكيًا ورعًا، له فهم ثاقب ورأي صائب، تفقه بالفقيهين إبراهيم بن عمر العلوي وإبراهيم بن مهنا، وأخذ علم الفرائض والجبر والمقابلة عن الفقيه موسى بن علي النخلي المعروف بابن الجلاد، وله تعاليق حسنة واعتراضات جيدة، و[اختصر][4] شرح الخوارزمي، وكان مبارك التدريس حسن الإقراء، مراعيًا لطريقة مشايخه، رحمهم الله تعالى.

وتفقه بعدة من الفقهاء وتفقه به عدة من أهل المذهب، وكان لا تزال وصيته تحت رأسه، فلما أَحَسَّ بالموت أبرأ كل من له عليه دين قَلَّ أو كثر، وكانت وفاته في السنة المذكورة وعمره يومئذ ثلاث وخمسون سنة، رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربع وسبعين[5]: تقدم الركاب العالي من زبيد إلى تعز وكان مَقْدَمه في إبَّان الخريف وقوّته، فوقع على السلطان وعلى العسكر مطر عظيم وهم في وادي المخيشيب فامتلأ الوادي ماء وسال بطائفة من الناس، فضلًا عن الدواب وغيرها.

---

(1) العطايا السنية: 67 وفيه: إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير.

(2) في (ع): حشيبر.

(3) العقود اللؤلؤية: 665 لم يرد في فاكهة الزمن.

(4) زيادة من (و).

(5) العقود اللؤلؤية: 665 وفاكهة الزمن: 957.

وفي هذه السنة: تولى الوزارة القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد، وكان أحق من قيل له: سَيِّد الوزراء، لَمَّا جمع الله فيه من الخصال الحميدة والأوصاف العديدة، وكان استمراره يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة: تَقَدَّم السُّفراء إلى الديار المصرية مَرَّة أخرى صحبة القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي، والأمير صارم الدين محمد بن علي الحلبي، وكان تقدُّمهم في شهر رمضان من السنة المذكورة.

وفي شوال: تقدم الرِّكاب العالي من تعز إلى زبيد فسكنها واستوطنها وعمل الجفتة[1] بها.

وفي هذه السنة: توفي الفقيه الفاضل الصالح المشهور أبو بكر[2] بن محمد بن يعقوب السودي - بفتح السين - المعروف بابن أبي حربة، وكان أحد علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة، عالمًا عاملًا، له كرامات مشهورة، وكان فصيحًا، وكان يطعم الطعام ويكفل عدة من الأرامل والأيتام. توفي في جمادى الأخرى من السنة المذكورة في قرية الواسط من قرى مور، ودفن بها، وكان يوم وفاته يومًا مشهورًا.

وفي سنة خمس وسبعين وسبع مئة[3]: طلع السلطان من محروس زبيد إلى محروس تعز كعادته، ونزل في شَوَّال من السنة المذكورة، فقام فيها أيامًا، ثم تقدم إلى النَّخل فتفرَّج فيه مدة، ثم سار إلى البحر من ساحل الأهواب، فأقام هنالك إلى آخر السنة.

وفي هذه السنة[4]: قتل الأمير الكبير سيد الأمراء فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي غيلة وخديعة في حَدّ القحرية، وكان يومئذ مقطعًا في الجُثة فتزوج امرأةً من العرب، وكان يتكرر إليها ويبيت معها، فلما كثر تكراره ومبيته عندها رَصَدَه بعض بني عمها، فدخل عليه وهو نائم فقتله، وكان سَيّد الأمراء في زمانه لا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره، وكان سريع النهضة عند الحادثة، شجاعًا رئيسًا جوادًا نفيسًا، كثير العدل والإنصاف، متحببًا إلى الرعية، محبوبًا عند كافة الناس، وكان قتله يوم الخامس من رجب من السنة المذكورة.

---

(1) من الألعاب السلطانية. انظر وصفها في تعاليق العقود اللؤلؤية: 666 (تحقيقنا).

(2) انظر ترجمته في طراز أعلام الزمن: 2431 وفاكهة الزمن: 959.

(3) العقود اللؤلؤية: 667 وفاكهة الزمن: 959.

(4) العقود اللؤلؤية: 667 وفاكهة الزمن: 960.

وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة[1]: قتل الشيخ أبو بكر بن معوضة السيري صاحب بعدان على فراشه واحتز رأسه وحمل إلى حضرة السلطان، وكان أحد رجال الدَّهر، وأفراد العصر عَزْمًا وحزمًا، وهو الذي استولى على حصون بعدان، [ونزع يده عن الطاعة][2].

وفي سنة ست وسبعين[3]: طلع السلطان من تهامة في أول السنة المذكورة بعد قَتْل السيري، ولما قتل الشيخ أبو بكر السيري - كما ذكر - كتب ولده محمد بن أبي بكر إلى الإمام صلاح بن علي يستَنْجده على بلاد السلطان، فأنجده بنفسه فيما شاء من خيل ورَجْل وجميع ما يحتاج إليه، وجمع السيري جموعه وسارا جميعًا يريدان تعز فوصلا مدينة الجَنَد يوم السادس من رمضان فأقام هنالك ثلاثة أيام واستخدم السلطان جمعًا كثيرًا من الناس من الفارس والراجل، وكتب إلى كافة القبائل بحفظ الطرق التي يمر فيها الإمام فاستوحش الإمام أمره، وكان يقدم الحزم في أموره كلها، ونمي إليه بعض الخبر أن السلطان كتب إلى كافة القبائل بحفظ الطرق ووعد كلًا بما يرضيه، فاستمر الإمام راجعًا في غير الطريق التي جاء فيها، وجَدَّ في السير حتى خرج من حد بلاد السلطان، وتعلق ابن السيري ببلده وحصونه، وكان مبارز الرفدي ممن نزل إلى الإمام وسار معه وكَثَّر سواده.

فلما ارتفع الإمام عن الجَنَد - كما ذكرنا - جَرَّد السلطان إلى بلد الرفدي جماعة من العسكر فأخذوه وجاؤوا به إلى السلطان فأمر به السلطان فقتل، ولم ينزل السلطان تهامة في هذه السنة.

وفيها[4]: تقدم السلطان إلى محروس عدن في شهر شوال، وكان طريقه على لحج، وأقام في عدن أيامًا، ونشر فيها من العدل ما لا يعهد، وكسا النواخيذ وأبطل كثيرًا مما أحدثه العمال، وسارت التجار تذكره بالجميل ونائله الجزيل إلى كل ناحية في البر والبحر، ثم تقدم أبين فأقام فيها أيامًا قلائل، واصطاد كثيرًا من حمر الوحش، ثم عاد إلى عدن فأقام فيها يومين أو ثلاثة أيام، ثم سار إلى محروس تعز.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 667 «تكرر ذكره في تاريخ البريهي كثيرًا انظر تاريخ البريهي الكبير (تحقيقنا) 1: 163 و165 و177»، وهو أحد المتمردين على الدولة الرسولية انظر «التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية: 98».

(2) زيادة في (ع).

(3) فاكهة الزمن: 961.

(4) العقود اللؤلؤية: 668 وفاكهة الزمن: 962.

وفي سنة سبع وسبعين[1]: وصل السفراء من الديار المصرية صحبة القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي وأوصلوا من الهدايا والتحف شيئًا كثيرًا، وكان وصولهم في شهر المحرم من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة: نزل الإمام صلاح الدين إلى تهامة في جيوش عظيمة من الخيل والرجل، فرأى ولاة البلاد ألَّا طاقة لهم به، فارتفعوا عن بلادهم إلى مدينة زبيد، فاجتمعوا فيها، وسار الإمام في الجهات الشامية فنهبها وأخربها، وسارت عساكره إلى مدينة زبيد فوصلها غرة شهر رجب من السنة المذكورة، فأقام ثلاثة أيام شرقي المدينة، فلم يجد فيها مطمعًا، ويقال: إنه طلع منارة جامع النويدرة فرأى في المدينة أممًا لا تحصى قد اجتمعوا من كل ناحية، فراعه ما رأى من كَثْرة الناس فيها، وكان الطواشي [أمين الدين][2] أهيف في المدينة أميرًا طلب المشايخ[3] والقرى وأمرهم بجمع رجالهم وأن يكونوا على أهبة بينما يصلهم علمه، وألا يتأخر منهم أحد فيعاقب أشد العقوبة، وكان أهيف قد عزم على أن يقصد المحطة في ليلة من الليالي بالعسكر الذي في زبيد وبكافة أهل القرى، فاتصل العلم إلى الإمام من بعض أهل القرى فاستمر راجعًا ولم يقف أكثر من ثلاثة أيام، ورجع في اليوم الرابع.

قال علي[4] **بن الحسن الخزرجي عامله الله بالحسنى**: كنت يومئذ في مدينة زبيد فأخبرني رجل من أهل سهام لا أتهمه - وكان الإمام صلاح بن علي حاطًّا على باب المدينة الشرقي في عسكره قبل أن يرتحل الإمام [بليلة أو][5] بليلتين - قال: رأيت الليلة كأنه حصل قتال عظيم بين عسكر الإمام وبين أهل زبيد، [فبينا الناس يقتتلون][6] إذ خرج رجل عظيم الخلق طويل القامة على فرس كأعظم ما يكون من الجبال لا من الخيل، وعلى الفارس ثياب كلها خضر وحوله من الناس جَمْع عظيم، فلما خرج في جَمْعَهِ ذلك ورآه عسكر الإمام انهزموا بين يديه فتبعهم ذلك الجمع الذين معه فتوجهوا نحو الشام، ولم يلتفت منهم أحد، فكان آخر العهد

(1) فاكهة الزمن: 992.
(2) زيادة من (ع).
(3) يعني: شيوخ القبائل.
(4) فاكهة الزمن (نقلًا عن الخزرجي).
(5) زيادة من (ع).
(6) زيادة في (و).

بهم. فلما سمعت هذه الرؤيا – مع ما أعلم من صدقه في الحديث إذا تحدث أيقنت بهزيمة القوم، فأصبح الإمام وجيشه متوجهين إلى نحو الجهات الشامية في صبح ليلة الرؤيا أو صبح الليلة الثانية، والله أعلم.

وفي هذه السنة: استمر الأمير ركن الدين عبد الرحمن بن علي بن الهُمَام في حرض والأعمال الرحبانية(1) مقطعًا بها.

وفي شهر رمضان من السنة المذكورة: جَرَّد السلطان الأمير صارم الدين داود بن موسى بن حباجر(2) إلى ناحية ذمار في عَسْكر كثيف من الخيل والرِّجل، فقبض عدة حصون هنالك وأجابته العرب رَهَبًا ورَغَبًا، فأخرب قرى كثيرة، فوجه الإمام جيوشًا كثيفة لقتاله، فلم تقم لهم قائمة معه، وجمع الإمام جموعًا أخر، واستنجد أهل صنعاء ونصب خيامه في الحقل مقابلًا لمحطة ابن حناجر وأرسل عيونه [يحققون له أخبار العسكر ساعة فساعة، فلم يزل هذا دأبه حتى وصل إليه عيونه](3) فأخبروه بافتراق العسكر في ذلك اليوم، وأنه ليس في المحطة إلا نحو من أربعين فارسًا، فانتهز الفرصة وصدم المحطة بنفسه وبمن معه في حال افتراق أهل المحطة، وكان في المحطة من الزيدية ناس كثير قد استخدمهم ابن حناجر، فلما اصطدم العسكر أحاطوا بالأمير قبل وصول الإمام فأسروا الأمير وقتل أناس كثير من العسكر، ونهبت المحطة، وذلك في شهر صفر من سنة ثماني وسبعين.

وفي سنة ثماني وسبعين(4): طلع الأمير بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل بن إياس في العسكر المنصور مغيرا إلى الحقل ومنع عسكر الإمام من الدخول في حدود البلاد السلطانية، وأقام هنالك يشن الغارات في كل ناحية وعلى كل قبيلة، وبذل الأموال وملك قلوب الرجال.

---

(1) مصطلح إداري في زمن الدولة الرسولية يطلق على البلاد الواقعة ما بين وادي حبل إلى الجنوب من وادي رحبان وتمتد إلى وادي خلب من بلاد حكم وكانت هذه الأعمال تسمى أيضًا حرض باسم المدينة المعروفة انظر ارتفاع الدولة المؤيدية هامش: 83 لمحققه محمد عبد الرحيم حازم.

(2) انظر ترجمته في العطايا السنية للملك الأفضل: 185 ولم يضبط لقبه بالحرف وقد يرد في المخطوطة بابن حناجر بالنون بعد الحاء فيحقق.

(3) سقط من (ع).

(4) العقود اللؤلؤية: 670.

وفي هذه السنة[1]: خالف الشريف محمد بن سليمان بن مدرك في حرض ونزع يده عن الطاعة ووافقه على الخلاف جماعة من الأشراف وقالوا بقوله، وأقام باقيهم على طاعة السلطان.

فلما كان يوم الثاني عشر من جمادى الأولى[2]: حصل المصاف بوادي رحبان من أعمال حرض بين العسكر السلطاني والأشراف المخالفين، فقتل الشريف محمد بن سليمان وقتل معه جماعة من الأشراف وأخذت رؤوسهم وحملت إلى زبيد ثم إلى تعز، وكان السلطان يومئذ في تعز، فقام برياسة الأشراف بعده الشريف يوسف بن سيف الدين وأخوه أحمد المسمى عضدة[3]، وكان صاحب حرض يومئذ الأمير ركن الدين عبد الرحمن بن علي بن الهمام.

وفي آخر جمادى الأخرى[4]: نزل السلطان من محروس تعز إلى زبيد فدخلها أول يوم من رجب، فأقام أيامًا في قصره المعروف بالخورنق، ثم سار إلى وادي رِمَع في طلب الصَّيد، فاصطاد هنالك شيئًا كثيرًا، ورجع إلى قصره المذكور فأقام فيه.

ثم وصل ولده السلطان الملك الأشرف[5] من محروس تعز، وكان وصوله إلى زبيد يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان الكريم مطلوبًا طلبًا حثيثًا ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وكانت مدة إقامته [عنده][6] في زبيد ثمانية أيام، ثم توفي السلطان الملك الأفضل وكان وفاته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان المذكور من السنة المذكورة.

فاتفق رأي الحاضرين من رؤساء الدولة على قيام ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن داود، فبايعه كبراء الدولة وعظماؤها وصلحاء الأمة وعلماؤها، وانعقدت بيعته المباركة في التاريخ المذكور، وحضر أمراء العسكر وكبراء

---

(1) فاكهة الزمن: 965 والعقود: 671 وغاية الأماني: 526.

(2) العقود: 571 وقرة العيون: 375.

(3) في (و): عصيرة (يحقق) ولعله (عصدة) بالصاد المهملة، لا تزال أسرة قائمة في صنعاء.

(4) العقود: 671 وقرة العيون: 375.

(5) يقول الملك الأشرف محدثًا عن نفسه: «وكنت قد أقمت بعده في تعز مدة فطلبني رحمه الله طلبًا حثيثًا فنزلت في النصف من شعبان أنا وبعض إخوتي» (انظر فاكهة الزمن: 966).

(6) زيادة من العقود.

الأشراف ومشايخ العرب، وحلف له الجميع منهم، وانتظمت له الأمور، وتقررت الأحوال[1] ولم يمد أحد يده ولا رفع أحد رأسه.

ثم شرعوا في جهاز والده وغسله وتكفينه والمسير به إلى تربته المباركة في [مدرسته][2] بمدينة تعز، فكان دفنه في تربته المذكورة يوم الإثنين الرابع والعشرين من شهر شعبان الكريم، وقرئ على تربته هنالك سبعة أيام.

وكان ملكًا يقظًا حازمًا عازمًا عاقلًا فاضلًا ذكيًا لينًا فقيهًا نبيهًا، مشاركًا للعلماء في عدة من فنون العلم، عارفًا بالنحو والأدب واللغة والأنساب وأيام العرب [وسير الملوك][3] وصنف عدة من الكتب منها: كتاب (نزهة العيون في تاريخ الطوائف والقرون)[4] لم يُحْذَ على مثاله ولم ينسج على منواله وهو كتاب ممتنع نافع جدا، وله كتاب (العطايا السنية في المناقب اليمنية)[5] يحتوي على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها وأمرائها، وله كتاب (نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخيار)، واختصر (تاريخ ابن خلكان)، وله كتاب (بغية ذوي الهمم في أنساب العرب وأصول العجم).

وهو الذي جَدَّد سور زبيد، وعمر خنادقها بعد أن انهدم سورها وخربت خنادقها، وأنفق في ذلك جملة مستكثرة.

وأجرى للرعية في معظم جهات اليمن الرّبع مما ازدرعوه، وفي بعضها الخُمس وأجرى لهم الذِّراع الشَّرعي في المساحة، وبينه وبين الذراع الديواني فرق ظاهر.

وكان كريمًا جوادًا، يضع الهناء موضع النقب، ووهب للشريف علي بن داود بن الهادي الحمزي أربع مئة ألف درهم زوادًا له يوم تقدمه إلى بلاده، وكان شجاعًا جليدًا، شديد البأس قوي النفس، قَصَدَه الإمام صلاح بن علي في جموع كثيرة لا تنحصر من الخيل والرجل لموافقة ابن السِّيري، وجمع ابن السِّيري أيضًا من الرجل ما يجاوز حد الحصر، وبلغ جمعهم

---

(1) في (ع): أحوال الناس.

(2) زيادة من (ع).

(3) زيادة من (ع).

(4) منه مخطوطة بدار الكتب المصرية ملحقة مع كتاب العطايا السنية الآتي ذكره، وقد رجع إليه في العصر الحديث العلامة أحمد عيسى في كتابه معجم الأطباء.

(5) قمنا بتحقيقه ونشره سنة 1431هـ.

الحوبان، وكان يومئذ مقيمًا في ثَعَبَات، فما تزلزل ولا تحول، وولي الملك - وفي قطر اليمن من طوائف الفساد ما يزيد على ألفي فارس، فضلًا عن القرناء والأضداد - ففرق كلمتهم واستأصل شأفتهم.

وكان له من المآثر الدينية المدرسة التي أنشأها في مدينة تعز في ناحية الحبيل منها أمر فيها بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها، وذلك أنها ثلاث طبقات: فالطبقة الأولى مربَّعة الشكل قائمة الأركان، والطبقة الثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف، والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر، [وجعل على باب المنارة على الجملون رخامة محكمة لأجل الميقات لصلاة الظهر والعصر][1]. وابتنى مدرسة في مكة المشرفة[2] قبالة باب الكعبة المعظمة، ورتب في كل مدرسة مدرّسًا ومعيدًا وعشرة من الطلبة وإمامًا وقيمًا ومؤذنًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن، وأوقف عليهما وقفًا جيدًا يقوم بكفاية الجميع، وله الآثار الحسنة والسير المستحسنة.

وتوفي عن سبعة أبناء أكبرهم السلطان الملك الأشرف إسماعيل، والثاني: عبد الله المنصور، والثالث: علي المجاهد، والرابع: محمد المفضل، والخامس: أبو بكر المؤيد، والسادس: عمر المنصور، والسابع: عثمان الفائز، وأما الثامن فهو: داود، مات صغيرًا قبل أبيه.

وكان وزيره القاضي جمال الدين محمد بن حسان.

فلما توفي في تاريخه المذكور استوزر القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد.

ولما توفي رثاه جماعة من الفضلاء بعدة من القصائد المختارات، ونال الناس عليه حزن شديد، وقد أثبت من جميع ما رثي به من الشعر قصيدة نظمتها لما عزب عليَّ حفظ غيرها، فجعلتها سداد من عوز وهي[3]: [من الكامل]

بكت الخلافة والمقام الأعظم ... والملك والدين الحنيف القيّم

والشَّمس والقمر المنير كلاهما ... والأرض تبكي والسَّما والأنجم

---

(1) زيادة في (ع).

(2) ذكرها الفاسي في العقد الثمين 1: 117 قال: وهي بالجانب الشرقي من المسجد الحرام.

(3) انظرها في العقود اللؤلؤية: 675 وفاكهة الزمن: 969.

والعاديات السَّابحات لدى الوغى[1] والحِجْر والحَجَر اليماني الأسحم
ومـدارس العلم الشَّريف وأهله والمسلمون فصيحهم والأعـجـم
جَزَعًا على الملك المتوّج بالبها مـن قـبـل يـعـقـد تـاجـه ويـنـظـم
الأفضل بن علي الذي ساد الورى وبنى منال المجد وهو مقوم[2]
وحمى ثغور المسلمين بِعَزْمِهِ والسيف يقطر من جوانبه الدم
الأروع الطلق القرافصة[3] الهصو ر القَسْور الورد الهزبر الضَّيغم
والعارض الهتن الأجش المرجحنّ الوابل الغدق الملثُّ المثجم
ومصرِّف الملك الجموع ولم يزل بالسَّيف ينقض ما يشاء ويبرم
وأطاعه الدَّهر العصي وأهله طوعًا وكرهًا كافر أو مسلم
فأتاه حكم الله جَلَّ جلاله وهو المليك العَدْلُ فيما يحكم
حكم على كل البرية لم يكن مستأخر فيهم ولا متقدم
فتَغَيَّر القمر المنير لفقده والشَّمس كاسفة تنوح وتلطم
والأرض راجفة تميد بأهلها والجو مُغْبَرّ الجوانب مظلم
وبكل أرض من تهامة حَسْرَةٌ وبكل بيت من زبيد مأتم
نزلت ملائكة السَّماء لدفنه وملوك يَعْرب في العزاء تقدموا
سبأ وحمير والعرنجج[4] وابنه وزهير السامي وياسر ينعم
والصعب ذو القرنين والهدهاد والصـ ـباح ذا يبكي وذا يترحم
وأتى أبو كرب وحسَّان ابنه وشقيقه وأبو الضَّجاعم ضجعم

---

(1) في (ع): والبيت الحرم الشريف بمكة.
(2) في (و): منتظم، وفي العقود: مهدم.
(3) القرافصة: الأسد الشديد الغليظ.
(4) العرنجج: اسم حمير بن سبأ (خلاصة السيرة: 111).

ومـلـوك غـسَّـان ولَـخْـم وكِـنْـدَةٍ ... وأبــي الـجَـلَـنْـدى وابـنـه والأيـهـم
وأتــى الـشـهـيـد ويـوسـف وسليله ... عـمـر وداوود الـهِـزَبْـرُ الضَّيغم
وعـلـي بـن داوود الـمـجـاهـد قائم ... يَـبْـكـي ودَمْــع الـعـيـن قـان عَـنْـدَم
يـا وحـشـة الـدنـيـا ووحـشـة أهلها ... إذ قـيـل مـات الـتُّـبَّـعـي الأعـظـم
مَـن للمواكب والكتائب في الوغى ... والـخـيـل في أَرْسَـانـهـا تتحمحم
مــن لـلـبـغـاة ولـلـطـغـاة مـدمّـر ... مــن لـلـضـلال ولـلـفـسـاد مـهـدّم
مـن للكتاب يفضّـه ويجيب عن ... مـضـمـونـه في صَـــدْره ويُـتَـرْجِـم
هيهات ضـاع الـفَـضْـلُ بـعـدك كله ... والـجـود ولَّــى والـعـطـا والأنـعـم
يا أيها الليث الهصور لدى الوغى ... يــا أيـهـا الـبَـرُّ الـرحـيـم الأكـرم
يـا أيـهـا الـجـبـل الأشـم المرتقى ... يـا أيـهـا الـبَـحْـر الخضم الـخِـضْـرم
يـا أيـهـا الـقـمـر الـمـنـيـر ضـيـاؤه ... يـا أيـهـا الـغـيـث الـهـتـون المثجم
غالتك[1] صائلة الردى صِرْفًا ولم ... يُغْـن الحسام ولا اللسان اللهذم
كَـــلَّا ولا خـــول ولا حـشـم ولا ... خـــدم ولا مـــال بـــه يـسـتـخـدم
فسقاك من سحب الرضا مُغْدَوْدِقٌ ... واهــي الـعـرى مُـثْـعَـنْـجَـرٌ لا يُـثْـجُـمُ
في كـــل يـــوم بـــكـــرةً وعـشـيـةً ... مـا غَـــرَّدت وُرَقٌ ولاحـت أنجم
فـلـئـن ذهـبـت فـمـا ذهـبـت حقيقةً ... ولئن مضيت فما مضت لك أنعم
وَدَّعْـتَـنَـا وتـركـت فـيـنـا مـاجـدًا ... يـبـنـي مـآثـر جَـفْـنَـة[2] ويـتـمّـم
الأشـرف الـمـلـك الـذي في تاجه ... قَمَـر يلـوح وفي الفضاضة[3] ضيغـم

---

(1) في (و): غادرك.

(2) في (ع): ما بنيت، وجفنة من ملوك الغساسنة في الجاهلية (الأعلام 2: 131).

(3) فاكهة الزمن (المقامة).

الـحـازم الـيـقـظ الـجـواد الـيَـعْـربي | الــهــزبــري الأفـــعـــوان الأرقـــم
والقائد الخَيْل العِتاق إلى الوَغى | شُـعْـثًـا يُـغَـادى بـالـكـمـاة تحمحم
زيـن الـصـواهـل والـعـواسـل والظبا | قـمـر الـخـلافـة زنـدهـا والمعصم
وأخـو الفضائل والفواضل والـذي | في كـل كَــفٍّ مـنـه بـحـر خِـضْـرَم
مـلـك لـه شـمّ الـمـلـوك خـواضـع | محْك إذا التقت الجيوش غشمشم
لـيـث لـدى الـهـيـجـاء وسـط عرينه | مــتــهــلِّــل لـــوفـــوده مُـتـبـسِّـم
مـن آل جَـفْـنَـة مـن بني مـاء السما | مـن سِـــرِّ غـسـان الـذيـن هُــمُ هُـمُ
ذو سـيـرة مَـرْضـيـة مـا سـارهـا | في عَصْره الهادي[1] ولا المستعصم
طَـلْـقُ الـجـبـين تـراه لا فَـظّ ولا | جَــهْــمٌ ولا مـتـكـبّـر متعظم
فــالله يـسـعـده ويـسـعـدنـا[2] به | ما دام فوق الأرض يمشي مُسْلِمُ
ويـزيـده مـلـكًـا إلـى الـمـلـك الـذي | أولـــي ويـكـفـيـه الـــردى ويـسـلّـم
مـا جَــنَّ لـيـل وانـجـلـى صبح وما | بـاتـت حـمـامـات الـحـمـى تَـتَـرَنَّـم

(1) فاكهة الزمن (الراضي).
(2) فاكهة الزمن (ويمتعنا).

الفصل الثاني عشر

في ذكر الدولة الأشرفية الكبرى، وبتمامه يتم الكتاب إن شاء الله تعالى[1]

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بالحسنى: لما توفي مولانا السلطان الملك الأفضل في تاريخه المذكور حصل الإجماع على قيام ولده السلطان الملك الأشرف[2] ممهّد الدين أبو العباس إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وكان انتظام بيعته بعد صلاة الجمعة، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر شعبان الكريم.

فلما انتظم الأمر ظاهرًا وباطنًا، وجرى القلم بالسعادة أولًا وآخرًا أنفق على العسكر نَفَقَة جَيِّدة، وسار بوالده إلى محروس تعز فدخلها يوم الإثنين الرابع والعشرين من الشهر المذكور، فدفن والده في تربته المباركة يوم دخوله المذكور، واستمرت القراءة عليه سبعة أيام، ثم برزت أوامره الشريفة إلى سائر الجهات بتقرير الأحوال واستخدام الرجال، وأقام بقية شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة وصدر ذي الحجة والكتب من كل بلد تصل إليه، والعرب من كل ناحية تفد عليه، وهو يجوب على كل كتاب بما يقتضي، ويقابل كل فاضل بما يجب ويرتضي، حتى استوسقت البلاد دانيها وقاصيها، وأذعنت البرية طائعها وعاصيها.

فلما انقضت أيام العيد عَزَم على المسير إلى زبيد فدخلها يوم السادس عشر[3]: [من الكامل]

في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذان

وفوارس تحيي الحمام نفوسها ... فكأنها ليست من الحيوان

---

(1) عنون الملك الأشرف هذا الباب بقوله (في ذكر دولتنا وحوادث حدثت في مدتنا).

(2) ترجمته في: النجوم الزاهرة 13: 25 وتاريخ ابن الفرات 9: 458 والمنهل الصافي 1: 207 والسلوك للمقريزي 3: 294 والضوء اللامع 2: 299 وتاريخ ثغر عدن 2: 20.

(3) من قصيدة للمتنبي من قصيدته المشهورة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

وفي سنة تسع وسبعين: بَرَزَ أمر السلطان بعديد النخل من وادي زبيد وكان قد تَضَرَّرَ منه أهله، وانقرض منه شيء كثير، فكان عديد النخل في هذه السنة المذكورة أول حسنة من حسناته، ثم نزل السلطان النخل فأقام فيه مدة، ثم تقدم إلى البَحْر، ثم ارتفع إلى زبيد في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ولما انقضى رَسْم النخل بوادي زبيد تَقَدَّم السلطان إلى محروس تعز في آخر الشهر المذكور، فأقام في تعز إلى السادس عشر من جمادى الآخرة، ثم تقدم إلى تهامة فأقام فيها إلى بقية جمادى ورجب ونصف شعبان.

وفي مدة إقامته في زبيد أَمَّر القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم، مشدًّا في وادي زبيد وناظرًا بها.

ولما انقضى النصف من شعبان: عزم السلطان على الطلوع إلى تعز بسبب الصِّيام، فكان دخوله تعز يوم الحادي والعشرين من شعبان فأقام فيها إلى عيد الأضحى، وكان صيامه رمضان في مدينة تعز.

ولما انقضت أيام عيد الأضحى: تَقَدَّم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم السادس عشر من ذي الحجة.

وفي هذه السنة: توفي الشيخ فخر الدين أبو بكر[1] اليونسي، وكان رجلاً قد طاف المسالك ودخل عدة من المماليك، فلما وصل اليمن قطن بها وسكن، وخدم الملك المجاهد مدة طويلة، ثم خدم ابنه الأفضل مدة إقامته في الملك، وكان حسن المحاضرة، وقد يحكي حكايات ويروي روايات تخرج عن العقل مما شاهده في ممالك العجم، وكان وفاته في الخامس عشر من شهر شعبان في مدينة تعز، رحمه الله.

وفيها[2]: توفي الأمير الكبير نور الدين محمد بن ميكائيل، وكان أميرًا كبيرًا جليلاً نبيلاً، عالي الشأن حسن السيرة كريم النفس منبسط البنان، يحب العلماء والصلحاء، ويدنيهم من مجلسه ويعطيهم عطاء جزيلًا، ويعظم حالهم. وكان في إمارته وانقياده للدولة الرسولية، يقال له ملك الأمراء، فلما نزع يده عن الطاعة وادعى السلطنة ونازع السلطان في بلاده [جهز

(1) العقود اللؤلؤية: 680 وفيه: أبو بكر بن إبراهيم اليونسي.

(2) العقود: 680.

السلطان الملك الأفضل جيشًا كثيفًا فاجتثه من أصله وطرده عن البلاد][1]، فلم تقم له راية بعد ذلك أبدًا، فلاذ بالإمام علي بن محمد الهدوي فأعطاه حصن المفتاح وما ينضاف إليه [يقتاته][2]، فلم يزل به إلى أن توفي، وكانت وفاته ليلة الجمعة السادس عشر من شعبان من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثمانين وسبع مئة[3]: أمر السلطان بعمارة القصر المسمى دار النصر في ناحية القوز من زبيد، وفيها تقدم السلطان إلى المهجم فأقام فيها أيامًا، ثم رجع فيها إلى سَلْخ شهر رمضان وصام السلطان هذه السنة في زبيد وهو أول صيامه فيها، ثم تقدم السلطان إلى تعز بعد أيام العيد، فأقام في تعز إلى عيد الأضحى، ثم عزم تهامة، وكان نزوله في النصف الأخير من الحجة.

وفي هذه السنة: توفي الشيخ الصالح تقي الدين طلحة بن عيسى بن إبراهيم بن أبي بكر بن عيسى الهتار، وكان أوحد رجال الطريقة وعلماء الحقيقة، صَوَّامًا قَوَّامًا عابدًا زاهدًا ورعًا مشهورًا، له كرامات ظاهرة، وكان وفاته يوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، توفي في زبيد وقبر في مقبرتها الشرقية من ناحية باب سهام، وبني على قبره قبة عالية، وقبره مشهور يتبرك به[4]، نفعنا الله به في الدنيا والآخرة.

وفي سنة إحدى وثمانين[5]: اجتمع المماليك الغرباء وأجمعوا على أمر لم يظهر لأحد حقيقته فنظرهم السلطان وهم يلبسون خيلهم ويأخذون سلاحهم، فأرسل عيونًا له يأتونه بخبرهم، فرجع إلى السلطان بعض عيونه وأخبره أنهم على أهبة قتال وجمع سلاح، [ولكنهم مفترقون في أماكنهم فأباحهم لعبيد[6] السلاح وغلمان البغلة][7]، فقصدوهم إلى أماكنهم

(1) سقط من (ع).

(2) زيادة في (و).

(3) العقود: 681 وفاكهة الزمن: 978.

(4) لا يجوز في الشرع التبرك بالأموات، وإنما تكون الزيارة لهم بقصد الدعاء لهم وطلب الرحمة لهم.

(5) العقود اللؤلؤية: 682 وفاكهة الزمن: 978.

(6) هم جماعة مكلفون بحفظ خزائن السلاح ولهم أمير يقال له أمير السلاح. انظر الدولة الرسولية للفيفي: 211.

(7) ساقط من (ع).

قبل أن يجتمعوا فخرجوا على وجوههم هاربين، ولزم بعضهم فأتلف، وفي ذلك اليوم أمر السلطان بلزم عمه الملك الظافر هاشم بن علي بن داود فاعتقله أيامًا، ثم أطلقه وأحسن إليه[1]؛ [من الوافر]

وما الغضب الظريف وإن تقوى بمنتصف من الكرم التلاد

وكان ذلك من فعلهم يوم عاشوراء[2]، ووقع الحريق في مدينة زبيد في شهر المحرم من السنة المذكورة فحرق السوق كله وما وراءه شرقًا وشمالًا، وحرق في تلك المدة عدة أماكن من زبيد وغيرها.

وفي هذه السنة[3]: أفسدت المعازبة فسادًا شديدًا وقصدوا طريق النخل مَرَّة بعد أخرى، فَجَرَّد لهم السلطان عسكرًا من الباب، وأمر على صاحب القحمة وصاحب فشال بمواجهة العسكر في يوم معلوم، فأتاهم العسكر من كل ناحية ومكان، ولم يكن لهم مهرب إلا البحر فغرق منهم طائفة واستذم آخرون، وأسر منهم ناس كثير، وكان المقدم سيف الدين بَشْتك قد أذم عليهم ورفع السيف عنهم، ورجع إلى السلطان بالرؤوس والأسارى، فأمر السلطان بقتل جماعة من الأسارى ممن عرف بالفساد وأطلق الباقين. وأضاف السلطان أمر الوادي رِمَع إلى الأمير سيف الدين بشتك فاستناب في الجهة المذكورة الفقيه رضي الدين أبا بكر بن أحمد بن عبد الواحد، وكان فقيهًا حسن السياسة إلا أنه ضعيف الفراسة، فجعل المعازبة غرضًا لسهامه وضريبة لحسامه، فَشَتَّتَ جموعهم وأخلى ربوعهم، وقتل منهم عدة في أقرب مدة.

ثم تقدم السلطان إلى تعز في العشر الأواخر من ربيع الآخر، فأقام فيها أيامًا قلائل، ثم سار نحو المخلاف فأخذ مدينة إب قهرًا بالسيف، ثم سار نحو إرياب فأحاط بها غلمانه، ثم رجع إلى تعز فأقام فيها أيامًا، ثم نزل تهامة فدخلها أول يوم من شعبان فأقام فيها وصام رمضان هذه السنة في زبيد، وأضاف السلطان أمر القحمة إلى بشتك، فتقدم إليها فقصده المعازبة في جمع كثيف، وقد جعلوا له ثلاثة مكامن في ثلاثة أماكن فاستجروه إلى أن توسط بين الثلاثة المكامن وخرجوا عليه فأحاطوا به وبمن معه، فقاتل حتى قتل وقتل معه الفقيه أبو بكر بن أحمد بن عبد الواحد وجماعة من العسكر، وكان قتلهم يوم الحادي والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

---

(1) من أبيات للمتنبي.

(2) كذا في الأصل وفي فاكهة الزمن: 979 لصاحب الحادثة «فعاقبنا طائفة وعفونا عن آخرين».

(3) فاكهة الزمن: 979.

وفي هذه السنة[1]: تقدم الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي صحبة المحمل والعلم المنصور إلى مكة المشرفة وسار بمسيره حاج اليمن من أهل اليمن، فحج حَجًّا حسنًا مصحوب السلامة في ذهابه وإيابه.

وفي هذه السنة: تقدم السلطان إلى ثغر عدن المحروس فأقام فيها أيامًا فأبطل من المكوس المحدثة شيئًا كثيرًا.

وفيها: توفي القاضي[2] تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد وكان [أحق من قيل له][3] سيد الوزراء أديبًا لبيبًا عاقلًا مهيبًا جوادًا كريمًا شجاعًا حليمًا: [من السريع]

لم يحكه الفضل ولا جعفر ... كَلَّا ولا يحيى ولا خالد

كالبدر والبَحْر وليث الشرى ... والطود إلَّا أنه واحد

وكان حسن السياسة كامل الرياسة، له فَهْم ثاقب ورأي سديد صائب، فصيح اللسان كثير الفضل والإحسان، شجاعًا وَفِيًّا أبيًّا ذكيًا[4]: [من الكامل]

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ... ولقد يكون به الزمان بخيلا

ولي الوزارة في سنة أربع وسبعين، وتوفي في المحرم من السنة المذكورة وعمره يومئذ أقل من خمسين سنة، والله أعلم.

وكانت وفاته في مدينة تعز وقبر في مقبرتها المعروفة بالأجيناد، ولما توفي في تاريخه المذكور، ولي الوزارة بعده ولده القاضي نور الدين علي بن عمر بن أبي القاسم وكانت وزارة القاضي تقي الدين المذكور ست سنين وثمانية عشر يومًا.

وفي سنة اثنتين وثمانين[5]: رجع السلطان من عدن إلى زبيد على طريق الساحل فأقام في زبيد مدة السبوت وغزا بلاد بني ثابت، قبضها وقبض حصن قوارير.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 684 وفاكهة الزمن: 980.

(2) العقود: 684 وفاكهة الزمن: 978.

(3) زيادة في (و).

(4) من قصيدة للمتنبي.

(5) العقود: 685 وفاكهة الزمن: 980.

وفي شهر صفر[1]: وصل الأمير فخر الدين أبو بكر السنبلي من مكة المشرفة ووصل محمل الحج والعلم المنصور، فأقام أيامًا في زبيد ووشى به بعض الوشاة إلى السلطان، وروي عنه ما كان وما لم يكن، فاعتقله السلطان وسجنه في حصن تعز، فأقام في السجن المذكور إلى يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان [فأطلقه][2].

ولما انقضى رسم النخل بوادي زبيد تَقَدَّم السلطان إلى تعز فأقام بها.

وفي أواخر شهر رجب: تقدم السلطان إلى مدينة الجؤة فأقام فيها وفي البياض[3] إلى يوم الخامس عشر من شعبان، ثم رجع إلى تعز فأقام فيها وصام السلطان هذه السنة في تعز.

وفي الخامس والعشرين من رمضان: أطلق الأمير فخر الدين السنبلي من السِّجن لما تحققوا براءته مما قيل عنه، وكان السلطان حليمًا كريمًا، قَلَّ أن يوجد في الملوك مثله.

وتَقَدَّم السلطان إلى زبيد يوم الثالث من شوال، فدخلها يوم الخامس من شوال المذكور، ثم سار إلى بلد المعازبة وكانوا على حَذَرٍ منه، فلم يظفر بأحد منهم، فرجع السلطان إلى زبيد، ثم طلع تعز في شهر ذي القعدة فأقام فيها إلى آخر السنة.

وفي سنة ثلاث وثمانين: وقع الحريق في زبيد أيضًا في ناحية السوق وكان نحوًا من الحريق الأول.

وفي هذه السنة[4]: استمر القاضي مُوَفَّق الدين علي بن محمد بن سالم مشدًا في الأعمال السهامية فأقام فيها بضعًا وعشرين يومًا شملهم فيها بالآداب وعَذَّبهم بكثير من أنواع العذاب، فبلغ علمه إلى السلطان ففصله وأضافه إلى الطواشي أهيف فصادره مصادرة شديدة هلك فيها، وكان وفاته ليلة الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة: أبطل السلطان عن الرعية مصالحة العطب، وكانت بِدْعَة منكرة أحدثها بعض النُّواب في أيام الملك الأفضل، وهي من حسناته العظام، وأعفى أهل القرى من أهل وادي زبيد عن قبال نخل الأملاك السلطانية، وكانت بدعة أحدثها بعض النواب أيضًا.

---

(1) العقود: 685 وفاكهة الزمن: 980.

(2) زيادة في (و) وفاكهة الزمن «فأطلقناه لما تحققنا براءته».

(3) البياضي: نقيل في جبل الأعماس من مديرية السدة وأعمال محافظة إب (معجم البلدان والقبائل اليمنية 1: 207).

(4) العقود اللؤلؤية: 686 وفاكهة الزمن: 981.

وفي شهر جمادى: تقدم السُّلطان إلى تعز فأقام فيها إلى شهر شعبان، ثم تَوَجَّه إلى زبيد فدخلها في آخر شعبان، وصام السلطان هذه السنة في زبيد.

فلما انقضى شهر الصِّيام، سار إلى بلد بني ثابت فاستولى عليها، ثم قصد الرُّكب[1] فَتَسَلَّمَها، ثم سار إلى حصن بني علي - وهو المسمى حصن رأس - وهو في جبل عسر مشمخر، وكان قد كثر من أهله الفساد والعصيان.

فلما قصدهم السلطان في التاريخ المذكور هربوا من الحصن وتركوه خلاءً، فقبضه السُّلطان ورَتَّب فيه رتبة يحفظونه ورجع ظافرًا منصورًا.

وفي هذه السنة: توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم بن صالح الحضرمي المقري، وكان فقيهًا فاضلًا عارفًا عاقلًا لبيبًا أديبًا، حسن الأخلاق لَيِّن الجانب، محبوبًا عند الناس له وجاهة ونباهة، وكان مدرسًا في المدرسة الواثقية[2] بزبيد ومعيدًا في الأشرفية إلى أن توفي يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وفي خامس شعبان من سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة[3]: ظهر عمود من نور في ناحية المشرق وكان يرى كالمنارة الكبيرة ووقف مكانه لا حركة له إلى يوم العشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين ينحل قليلًا قليلا حتى غاب، وكان من تأثيره بقدرة الله تعالى حصول موت عظيم في البلاد المرتفعة عن تعز بجَحَّاف وبلاد الجَحْدري وبَنَا وصُهَيْب ووَصَاب وما والاها من المشرق حتى كان يمر المار بالقرية فيجد الأنعام سائمة والآدميين موتى في منازلهم لا يَتَوَلَّى أحد دَفْنهم البَتَّة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، من تاريخ عبد الرحمن الديبع المسمى (بغية المستفيد)[4].

وفي سنة أربع وثمانين[5]: أمر السلطان بمصادرة الأمير شمس الدين علي بن حسن السقيم

---

(1) الركب: قبيلة من الأشاعرة تسكن الجبال المطلة على زبيد من جهة الشرق (معجم القبائل والبلدان اليمنية: 700).

(2) من مدارس زبيد تقع في حارة بني الأحمر (الدر النضيد: 711).

(3) هذا الخبر مقحم على الأصل ولا يوجد في (ع) وهو في تاريخ اليمن للحاسب المصري: 117 ط. الثالثة. (تحقيقنا).

(4) لا يوجد في بغية المستفيد وإنما ورد في التاريخ المنسوب للحاسب المصري السابق الذكر.

(5) العقود اللؤلؤية: 688 وفاكهة الزمن: 982.

وكان في أول أمره معلمًا للبزدارية[1] ومقدمًا على أهل فنه، وقَرَّبه السلطان قربًا كليا حتى جعله شاد الدواوين، وكسب أموالًا كثيرة من وجوه مختلفة، فساءت أخلاقه، تارة شرسًا فظا، وتارة لينًا سهلًا، إلا أنه يحط من مقدار ذوي المقدار، وينتهك حرمة السادة الأخيار[2]: [من المتقارب]

ومن جهلت نفسه قدره　　　رأى غيره منه ما لا يرى

فلما تحقق السلطان أمره صرفه عن التصرف، وطالبه بما احتجزه من الأموال فسلَّم بعضًا وبعضًا، فساق نقدًا وعرضًا، ثم أمر السلطان بإطلاقه فهرب إلى الحجاز.

وفي شهر جمادى الأولى[3]: استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري وزيرًا، وكان له عدة أعداء فقدحوا فيه عند السلطان فاستوحش منه السلطان فأمره بالانصراف عن بلاده. فلما أمره السلطان بذلك ارتفع إلى بلاد بني نعيم[4] فأقام بها، فلما علم به الإمام استدعاه إليه، فلما وصل إليه آنسه من نفسه، وقَرَّر له ما يقوم بحسب كفايته، فأقام عنده، ثم تقدم السلطان إلى تعز فأقام بها إلى آخر شهر رجب، ثم نزل يريد زبيد فدخلها غُرّة شعبان وأقام بها وصام شهر رمضان.

وفي هذه السنة[5]: وصل عدة من أشراف مكة ومن القواد يريدون الخدمة، فقابلهم السلطان بالقبول التام، وأقاموا على الإعزاز والإكرام.

فلما انقضى الشهر شهر شوال: طلبوا الفسح في إقبال الحج، فَزَوَّدهم السلطان وتقدَّموا في أول شهر ذي القعدة.

فلما بلغوا المَهْجم انحازوا إلى طوائف المفسدين وقصدوا مدينة المحالب في جَمْع كثيف من المفسدين، فخَرَجَ إليهم أميرها يومئذ الأمير ركن الدين عبد الرحمن بن الهمام فيمن حضر معه يومئذ من العسكر فقتل الأمير وقتل جماعة من العسكر ممن كانوا معه ونهبوا أطراف البلاد، ثم تَوَجَّهوا نحو حرض فخرج إليهم أميرها بهادر الشمسي فقتل كبراءهم

(1) البزدارية هم من يتولى العناية بالصقور. انظر هذه الوظيفة في نور المعارف: 118.

(2) للمتنبي من مقصورته بعد رجوعه من مصر.

(3) العقود: 688 وفاكهة الزمن: 982 لصاحب الحادثة وعبارته «استوزرناه وتخيلنا فيه حسن السياسة».

(4) في (ع): نعم، وفي العقود: يغنم.

(5) فاكهة الزمن: 983.

وشتت شمل الباقين، فتوجَّهوا نحو مكة المشرفة، فلما علم بهم صاحب مكة منعهم من دخولها فلم يدخلها منهم أحد إلا سِرًّا.

وفي هذه السنة: كتب السلطان لأصحاب الشّرج العليا من وادي زبيد بزيادة معاد في القطيعة وذلك في سبع جهات، وهي: المأوي(1) والبقر والريان ونابط ومبرح والنقض والبداني، صدقة مستمرة دائمة مستقرة، وهذا معدود من أفعاله الحسان.

وفي هذه السنة: توفيت الآدر(2) الكريمة جهة الطواشي جمال الدين علي الأفضلي الأشرفي والدة مولانا السلطان الملك الأشرف، وكانت عقيلة الزَّمَن، وسيد نساء ملوك واليمن(3): [من الخفيف]

وإذا لم تجد من الناس كفؤا ذات خدر تَمَنَّت المَوْت بَعْلا

وكان لها من المآثر الحسنة والأفعال المستحسنة.

ومن مآثرها: المسجد الذي ابتنته على باب دارها المسمى دار الأمان في مدينة تعز في ناحية المغربة، وهو مسجد حسن واسع، وجعلت فيه بِرْكة ومطاهير، وجَرَّت إليه ساقية من الماء، فانتفع به الناس نفعًا عامًا، [ثم دفنت بالمدرسة الأفضلية بتعز المحروس، رحمها الله تعالى](4).

ولها في الميهال(5) من نواحي مدينة تعز مدرسة حسنة جَرَّت إليها الماء، ولها عدة مكارم، وكانت تفعل الخير كثيرًا، وأعتقت عند موتها كثيرًا من الجواري والخدم، وأوصت بصدقة مستكثرة على الفقراء والمساكين، وعلى جملة أناس معيَّنين، وأوصت بحجة وزيارة.

قال علي بن الحسن الخزرجي، عامله الله بإحسانه وعاد عليه بعطفه وامتنانه: فَنَدَبَنِي السُّلْطَان، رحمه الله تعالى، للحج عنها والزيارة، وزَوَّدَني أربعة آلاف درهم، ولما رجعت من الحَجِّ والزيارة سامحني في خراج أرضي ونخلي يومئذ، مسامحة مستمرة مُؤَبَّدَة مستقرَّة، جزاه الله عنِّي أفضل الجزاء.

---

(1) في (ع): الملوي.

(2) العقود اللؤلؤية: 689، قلت: هذه الأخبار من حادثة أشراف مكة وما بعدها سقطت من (فاكهة الزمن).

(3) من قصيدة للمتنبي.

(4) سقط من (ع).

(5) الميهال: من قرى تعز، بمنطقة حدنان من جبل صبر (معجم البلدان والقبائل اليمنية: 1699).

وفي هذه السنة[1]: توفي القاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم الجَلاَّد، وكان أحد أعلام الدهر وأجود أعيان العصر فقيهًا فاضلًا جوادًا كاملًا، له فعلات في الجود مشهورة ومقامات في الفضل مذكورة.

قرأ على الفقيه علي بن نوح وغيره، وكان بارعًا في علم الحساب والفلك، وبنى مدرسة في مدينة زبيد لأهل مذهب أصحاب أبي حنيفة رحمه الله، وكان يحب العلماء ويجلَّهم، ولم يزل في خدمة السلطان حتى ولي الشدود[2] الأربعة وأقطعه السلطان الملك الأفضل فشال، وتوفي وهو ناظر في الثغر المحروس بعدن، وولي النظر والولاية بتهامة، ولم يتفق لأحد قبله ولاية عدن ونظرها أبدًا، وكان وفاته في شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

ويروى: أن ميلاده كان في سنة أربع وعشرين وسبع مئة، والله أعلم.

وفي سنة خمس وثمانين وسبع مئة:نزل السلطان في شهر المحرم زبيد فأقام فيها.

وفي شهر جمادى الأخرى: استمر القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي ناظرًا في الثَّغر المحروس، فكان حسن المعاشرة، جيد المباشرة.

وفي شهر شعبان: تقدم السُّلطان من تهامة إلى تعز وصام شهر رمضان في مدينة تعز، ووصل الشريف الكبير والأمير الخطير داود بن محمد بن داود بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة، صاحب صنعاء اليمن وسلطان أشراف الزمن إلى الأبواب السلطانية، فقوبل بالإجلال والإعظام والإفضال والإنعام.

وفي شهر ذي القعدة[3]: صادر الطواشي أهيف كاتبه عبد اللطيف بن محمد بن مؤمن مصادرة عنيفة، فتوفي في المصادرة في غرة ذي الحجة من السنة المذكورة، واستصفى ما ظهر له من ماله.

وفي هذه السنة[4]: توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله التهامي، وكان أحد الفقهاء المبرزين عارفًا بالمذهب، حسن الأحكام، تقيًا غير مُتَّهم في شيء، وكان ميلاده سنة إحدى

---

(1) العقود: 690، لم يرد ذكره في (فاكهة الزمن).

(2) الشدود: جمع شد، وصاحبه المشد هو ما يعرف بالمفتش الذي يقوم بإدارة الأعمال السلطانية (الدولة الرسولية للفيفي: 262).

(3) العقود: 692 وفاكهة الزمن: 984.

(4) العقود: 692.

وسبع مئة، وتولى القضاء سنة ثلاث وثلاثين ولم يزل قاضيًا إلى أن توفي في السنة المذكورة، وكان معظم استمراره في مدينة زبيد، وتولى قضاء المهجم نحوًا من ست سنين، وكان أحد أفراد الدهر. توفي في جمادى الأخرى من السنة المذكورة عن أربع وثمانين سنة ونيف، والله أعلم.

وتوفي(1) القاضي شمس الدين [محمد بن](2) أحمد بن صقر الدمشقي الغساني، وكان فقيها نبيهًا عارفًا بارعًا في عدة من الفنون، وكان يَتَوَلَّى قضاء الأقضية في قُطْر اليمن برهة، وفي أيام المجاهد ومدة الملك الأفضل وصدرًا من أيام الملك الأشرف إلى أن توفي في آخر شهر شوال من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى، واستمر بعده في القضاء الأكبر القاضي وجيه الدين(3) عبد الرحمن بن علي بن عباس المقري، وكان كاملاً فاضلاً لبيبًا عاقلاً.

وفي سنة ست وثمانين(4): تقدم السلطان إلى محروس زبيد في أول شهر المحرم فأقام فيها، ووصل الأمير شمس الدين علي بن الحسن السقيم من مكة المشرفة إلى باب السلطان مظهرًا حسن الرغبة وأكيد المحبة، فقابله السلطان بالقبول، فلما اطمأن به المقام نقل إلى السلطان أنه يتكلم بقبيح من الكلام، فأمر السلطان بتأديبه لا بتعذيبه، ثم خوطب فيه فعفا عنه وأطلقه(5): [من الطويل]

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحُرِّ الذي يحفظ اليدا

فأقام في البلاد أيامًا قلائل، ثم استمر راجعًا إلى مكة.

وفي شهر جمادى الأولى(6): قَصَد المعازبة طريق النَّخل في جَمْع عظيم، وكان السلطان يومئذ في النَّخل فأمر العسكر بالخروج في طلبهم فخرجوا سراعًا، فهزمهم العسكر وقتلوا منهم

(1) العقود اللؤلؤية: 692 وطبقات صلحاء اليمن للبريهي: 183 وتعريف ذوي العلا: 322 وإنباء الغمر 2: 150 وفاكهة الزمن: 984.
(2) سقط من (و).
(3) سيأتي ذكره عند وفاته سنة 790هـ.
(4) العقود اللؤلؤية: 693 وفاكهة الزمن: 985 يقول محدثًا عن نفسه: «نزلنا تهامة في أول المحرم» الخ.
(5) للمتنبي.
(6) العقود: 694 وفاكهة الزمن: 985.

عمر بن حسن [بن عفد، وكان أشجع فرسانهم وأفرس شجعانهم، وقتل معه جماعة منهم، وأسر علي ولد][1] عمران السنحي الذي يسمى الوشاح، وكان عمران السنحي[2] رجلًا من أهل البلاد العليا، وصل إلى السلطان فَقَرَّبَه وأدناه من نفسه حتى صار أحد جلسائه، ثم سار إلى بلد المعازبة ووافقهم على الفساد فَدَلَّ قبيح فعله على خبث أصله، ولما أسر ولده في التاريخ المذكور وأتي به إلى باب السلطان أمر بقتله وقابله بغير المعهود من خلقه وفعله[3]:

وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وفي نصف من جمادى الأولى: استمر القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري قاضيًا في مدينة زبيد المحروسة وأعمالها عوضًا عن القاضي إبراهيم بن أحمد التهامي.

وفي آخر شهر جمادى الأولى: جَرَّد السلطان العساكر المنصورة إلى بلد المعازبة وأشعر على صاحب فِشَال وعلى صاحب القَحْمة بمواجهة العسكر السلطاني في وقت قد عَيَّنه لهم، فوصل كل واحد منهم من كل ناحية وجاءهم الموت من كل مكان، فانهزموا إلى ناحية البحر، وقد أخذ السيف منهم طائفة، وأخذ البحر طائفة أخرى، وغرق من أبنائهم ونسائهم شيء كثير، وفقد منهم عدة بيوت لم يبق من أهلها أحد[4].

وفي هذا التاريخ: استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مشدًّا في الأعمال السرددية، وأقام هنالك أيامًا قلائل، وانفصل في أول شهر رجب، واستمر القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد ناظرًا في الثغر المحروس بعدن فسار سيرة مشكورة.

وفي شهر شعبان: نزل السلطان من محروس تعز إلى زبيد فدخلها يوم السادس عشر منه.

وفي رمضان: استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن العلوي في الأعمال اللحجية مستخلصًا للأموال، فلما سار نقل عليه إلى السلطان ما غَيَّر باطنه وظاهره عليه، فأرسل إلى المتولي بلحج وهو الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الإبي أن يبقى على ولايته، فإذا وصله الوجيه فيقبضه ويتقدم به إلى الثغر تحت الحفظ.

---

(1) سقط من (ع).

(2) في (ع): الشيخي، وفي العقود: 693: السبحي (يحقق).

(3) شطر بيت للمتنبي أوله: إذا قيل رفقا قال للحلم موضع.

(4) قلت: هذه التمردات من قبل القبائل لا يظن أنها لمجرد العصيان والتقطع؛ وإنما يضطر إليها بسبب الجوع والفقر لسوء التصرف في إدارة الأموال.

فلما وصل القاضي وجيه الدين إلى حدود البلاد كتب إلى [الوالي] الأمير شجاع الدين يعلمه بوصوله إلى الجهة المذكورة، فخرج الأمير في عسكر كثيف، فلما التقيا معًا أوقفه على مرسوم السلطان الذي وصل به صحبته إلى عدن، فلما دخل إلى عدن سلمه إلى النواب فقبضوه منه وأودعوه هنالك نحوًا من ستة عشر شهرًا، وصام السلطان رمضان هذه السنة في زبيد.

وفي آخر شهر رمضان[1]: وصل الطواشي مرجان بخيل المعازبة بني بشير، وطلب لهم ذمة من السلطان، فَأَذَمَّ عليهم ذِمَّةً شاملة.

[**وفي شوال**: أمر السلطان بعمارة القيسارية[2] في قرية المملاح ليرتفق بها العسكر المقيمون عنده وغيرهم، وتقدم السلطان إلى تعز في غرة ذي القعدة][3].

وفي ذي القعدة[4]: أمر السلطان بقتل ابن الشرف الصنعاني وكان سفيرًا بين السلطان وبين الإمام، فيقال: إنه خان في سفارته ومان، وأفشى من السِّر ما كان أودعه السلطان، فأمر السلطان بقتله لسوء فعله.

ومن آداب الملوك: أن يغفروا كل جريرة ويعفوا عن كل صغيرة وكبيرة إلا ثلاثة أشياء فإنها لا تغفر عندهم: إفشاء السر، والطعن في المملكة، وإفساد الحرم، فإن هذه الأشياء لا تغفر.

وفي هذه السنة: أمر السلطان بالزيادة في المكيال بزبيد وأعمالها، وكان عيار الزَّبدي[5] السنقري الذي قَرَّره سيف الدين [سُنقر][6] الأتابك مئتين وأربعين درهمًا، فأقام برهة على هذا، وزيد فيه في الدولة المؤيدية ثمانين درهمًا، فصار ثلاث مئة وعشرين درهمًا، ثم زيد فيه في الدولة المجاهدية زيادات على غير أصل معتمد، فقرره الملك الأفضل على أربع مئة درهم، وزاد فيه [ولده][7] السلطان الملك الأشرف في هذه السنة مئة درهم، فصار تقريره

(1) العقود اللؤلؤية: 695.

(2) القيسارية: الخان الكبير يشغله مجموعة من الناس (معجم الألفاظ التاريخية: 126).

(3) ما بين المعقوفتين سقط من (ع).

(4) العقود: 696.

(5) اسم مكيال عند أهل اليمن سبق شرحه.

(6) زيادة في (ع).

(7) زيادة في (ع).

على خمس مئة درهم، ومهما زاد على هذا فهو من فعل النُّواب، وهذه الزيادات كلها ضَرَرٌ على الحَرَّاثين وانتفع بها غيرهم[1]:

مصائب قوم عند قوم فوائد

وفي آخر هذه السنة المذكورة: تَجَهَّز السلطان إلى زبيد فدخلها [آخر][2] في ذي الحجة من السنة المذكورة.

وفي سنة سبع وثمانين[3]: وصلت هدية من الديار المصرية يوم الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، ووصل الشيخ سلام الجحفلي إلى باب السلطان على الذمة الشريفة، فقابله السلطان بالقبول، ووصلت رؤوس الجرابح[4] إلى باب السلطان يوم الأحد ثاني شهر جمادى الأولى، وأقام في تعز إلى يوم السادس من شهر جمادى الآخرة، ثم تَوَجَّه إلى زبيد فدخلها يوم العاشر من الشهر المذكور.

وفي ليلة الإثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور[5]: توفي القاضي نور الدين علي بن أبي القاسم بن معيبد الوزير الأشرفي، وكان رجلًا كاملًا حازمًا عازمًا جوادًا كريمًا فهيمًا، مشاركًا في كثير من العلوم، سعيد المباشرة، وجيهًا عند السلطان، مهيبًا عند أرباب الدولة، محبًا للعلم والعلماء، حسن السياسة كامل الرياسة[6]: [من الكامل]

للشمس فيه وللرياح وللسحا ... ب وللبحار وللأسود شمائل

وكان مدة وزارته: ست سنين وأربعة أشهر واثنين وعشرين يومًا.

ولما توفي في التاريخ المذكور: استمر عوضه في الوزارة القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي، وكان استمراره ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر المذكور.

---

(1) للمتنبي أوله:

بذا قضت ... الأيام ما بين أهلها

(2) زيادة في (ع).

(3) العقود: 698 وفاكهة الزمن: 986.

(4) الجرابح: قبيلة من عك (طرفة الأصحاب: 84).

(5) العقود: 698 وفاكهة الزمن: 986.

(6) للمتنبي من قصيدته المشهورة:

لك يا منازل في القلوب منازل ... أقفرت أنت وهن منك أواهل

وفي اليوم الثامن من شهر رجب: وصلت هدية من صاحب دهلك إلى باب السلطان، وفيها فيل ووحوش وغير ذلك مما يستظرف.

وفي أول شعبان[1]: وصل العلم إلى السلطان: أن الإمام في جمع عظيم يريد تعز فسار السلطان مبادرًا إلى تعز فدخلها يوم الإثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور، وفي ذلك اليوم: وصل الإمام جبلة، فلما علم بوصول السلطان إلى تعز رجع الإمام من جبلة وقد نهب عسكره بعض جبلة، فأقام السلطان في تعز وصام رمضان فيها.

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المذكور: استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس وزيرًا، وكان إليه قضاء الأقضية كما ذكرنا أولًا.

وفي شهر رمضان المذكور[2]: وصل العلم بظهور تمرلنك التركي واستيلائه على مملكة الشرق، وأنه متوجه إلى الشام.

وفي عيد الفطر من هذه السنة: أمر السلطان أولاده بالركوب إلى الميدان، ولم يكونوا خرجوا قبل ذلك.

وفي هذه السنة[3]: توفي الطواشي أمين الدين أهيف المجاهدي، وكان خادمًا حازمًا شديد البأس صعب المراس، سفاكًا فتاكًا فظًا غليظًا، دهيًا أبيًا، عظيم الهيبة، شديد النفس، وكان شجاعًا مقدامًا في الحرب، ناصحًا للسلطان، خدم أربعة من الملوك وهم: المؤيد، والمجاهد، والأفضل، والأشرف، وكان يجل العلماء ويحترمهم، وله مكارم أخلاق وعقيدة صادقة، قام واليًا في زبيد خمس عشرة سنة إلا أيامًا قلائل، وكان قليل الطمع في أموال الناس، متديِّنًا في نفسه لا يكون إلا على طهارة كاملة، لا يعرف شيئًا من النفاق، إلا أنه طائش السيف، أتلف كثيرًا من الناس بحق وباطل [تجاوز الله عنهم][4].

وفي هذه السنة[5]: ظهر جراد كثير فأتلف كثيرًا من الزرع وطائفة من نخل وادي زبيد.

---

(1) العقود: 699 وفاكهة الزمن: 986.

(2) حول خبر دخول تيمورلنك الشام انظر: السلوك للمقريزي 3: 542 وتاريخ ابن قاضي شهبة 1: 181 وإنباء الغمر 1: 129.

(3) العقود: 699 وفاكهة الزمن: 986.

(4) زيادة في (ع).

(5) العقود: 700.

وفي غرة ذي القعدة: توجَّه السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الخامس من الشهر المذكور، واستمر الطواشي مرجان أميرًا في زبيد يوم السادس من ذي القعدة.

وفي هذه السنة(1): توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد عجيل، وكان رئيسًا في أهل بيته وفي وقته ذلك لا يساميه أحد منهم، وكان جوادًا كريمًا، حسن السيرة متواضعًا برًا تقيًا، توفي في العشر الأُول من ذي الحجة.

وتوفي الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد(2) بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن علي بن إسماعيل الحضرمي، وكان فقيهًا صالحًا بارعًا تقيًا، عارفًا بالمذهب، انتهت إليه رياسة الفتوى في زبيد، وكان تفقُّهه بعمِّه الفقيه محمد بن عبد الله وغيره، وتفقه به كثير من الناس، وكان متواضعًا حسن التدريس، باذلًا نفسه لمن قصده، مختصرًا في دنياه كثيرًا، وكان وفاته يوم السادس من شهر رجب من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفي يوم التاسع من ذي الحجة(3): استمر الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الرَّيْمِي في القضاء الأكبر في المملكة اليمنية، وكان يومئذ أوحد أهل العصر علمًا وأحسنهم فهمًا، لا يقاس به غيره(4) [من الكامل]

عَـلَّامــة الـعـلـمـاء والــلُّــجُّ الـذي لا يـنـتـهـي ولـكـل بـحـر سـاحـل

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور: تَقَدَّم السلطان إلى الجهات الشامية فأقام هنالك إلى آخر السنة.

وفي سنة ثمان وثمانين(5): كان السلطان في الجهات الشامية كما ذكرنا، فأقام إلى يوم عاشوراء، وعزم على الرجوع إلى زبيد، فلما صار في القحمة يوم الثاني عشر خرج صنوه الملك المنصور عبد الله بن العباس يريد التقدم إلى فشال فصادف جمعًا من العرب المفسدين وهو على بغلته منفردًا عن حاشيته وغلمانه، ولم يكن عنده أحد إلَّا نفران، فحمل عليه الخيل، وهو يظنهم من العسكر، فلما حملوا عليه وليس معه سلاح ولا مركوب إلا

(1) العقود اللؤلؤية: 700.

(2) طراز أعلام الزمن 1: 66 (تحقيقنا).

(3) العقود: 701 وفاكهة الزمن: 987 وعبارته لصاحب الحادثة «قلدنا الفقيه قضاء الأقضية» الخ.

(4) للمتنبي.

(5) فاكهة الزمن: 987 وعبارته «ودخلت سنة ثمان وثمانين ونحن في المهجم».

البغلة التي هو عليها، فانتزع الدبوس فساق على أحدهم فاعترضه آخر فطعنه بالرمح طعنة فاضت منها نفسه، فحمل إلى زبيد، [ثم جهز وحمل إلى تعز فقبر عند والده يوم الخامس عشر، ودخل السلطان زبيد][1] يوم الرابع عشر من الشهر المذكور، وأمر بالقراءة عليه سبعة أيام في جامع زبيد[2].

وفي يوم السابع عشر: جَرَّد السلطان العساكر إلى بلاد المعازبة، فلم يظفروا بأحد فنهبوا الأموال وحرقوا القرى.

وفي غرة صفر[3]: أمر السلطان بكتب منشور لأهل وادي سهام يتَضَمَّن الصَّدقة عليهم بزيادة معاد في القطيعة، فكانت هذه من أفعاله الحسان، واستمر القاضي الأمير عز الدين هبة ابن الفخر أميرًا في زبيد في التاريخ المذكور[4].

وفي النصف من صفر: أوقع الأمير بهاء الدين الشمسي بالمقاصرة فقتل منهم طائفة، وحمل من رؤوسهم إلى باب السلطان نحوًا من خمسين رأسًا.

وفي الثامن عشر من الشهر المذكور: وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مطلوبًا إلى باب السلطان، وكان في سجن عدن كما ذكرنا أولًا، فأذم عليه السلطان وأنعم عليه لما تحقق براءته مما قيل فيه، وكان أحد الرجال الكملة رأيًا وعقلًا ورياسة ونبلًا وإفضالًا وفضلًا.

وفي التاسع عشر من شهر ربيع[5]: وصلت هدية من الديار المصرية، ووصل صحبة الهدية جماعة من عمال الحرير بالإسكندرية.

وفي الثالث عشر من ربيع الآخر: وصل من خيول العرب أربعة وثلاثون رأسًا أرسل بها بهادر الشمسي ووصل هو بالباقي، ووصل بأموال من الجهات الشامية.

وفي التاسع عشر من الشهر المذكور: وقع حريق في الثغر بعدن، وكان حريقًا شديدًا في المدينة، فَأَتْلَفَ من المدينة شيئًا كثيرًا من البيوت والأموال، ولم يعلم له سبب حتى قال من قال: إن نارًا نزلت من السماء، وقدرة الله أعظم من ذلك.

---

(1) سقط من (ع).

(2) تاريخ اليمن للحاسب: 124 وفاكهة الزمن: 987.

(3) العقود: 702.

(4) تاريخ اليمن للحاسب المصري (تحقيقنا): 124.

(5) فاكهة الزمن: 988

ونزل السلطان النخل يوم الرابع من جمادى الأولى، ورجع إلى زبيد يوم العشرين من الشهر المذكور، ثم عزم على التقدم إلى تعز فدخلها يوم الرابع من جمادى الأخرى.

وفي العشرين من شعبان[1]: توفي الأمير الكبير الشريف الحسيب النسيب شهاب الدين أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي صاحب مكة، حرسها الله تعالى، وكان أميرًا كبيرًا جوادًا كريمًا شديدًا حليمًا، حسن السيرة في البلاد والعباد، وفي أيامه رغب كثير من الناس في سكنى مكة حرسها الله [لعدله وحسن سيرته][2]، رحمه الله تعالى.

ولما توفي في التاريخ المذكور تأمَّر مكة بعده ولده محمد بن أحمد بن عجلان، وكان الشريف أحمد في مدة حياته وولايته قد حبس جماعة من بني عمه أحدهم: عنان[3] بن مغامس وأَبناء عمه ثقبة ورميثة، ومع أحد ابني ثقبة ولد له، وكانوا قد غَيَّروا على الشريف أحمد بعض الغيار وهربوا من مكة خائفين من الشريف أحمد فتبعهم أخوه محمد بن عجلان وراودهم على الرجوع فلم يطمئنوا فكفل لهم عن أخيه بالرِّضا التام، فرجعوا، فلما صاروا في مكة لزمهم الشريف أحمد وحبسهم فأتاه أخوه محمد وقال له: إني قد كفلت لهؤلاء القوم عنك بالرضا عنهم، فإما أن ترضى عنهم وإما أن تتركهم يرجعون إلى الموضع الذي كانوا فيه، ثم رأيك فيهم بعد. فلم يفعل، قال: فإذا لم تفعل هذا ولا هذا فاحبسني معهم، فأنا الذي أتيت بهم، فأمر بحبسه معهم، فأقاموا في الحبس نحوًا من ثلاث سنين في حياة الشريف أحمد.

فلما توفي في التَّاريخ المذكور وتولى بعده ولده محمد بن أحمد كما ذكرنا، أشار على الولد من أشار بكحلهم، وقد كان هرب عنان بن مغامس من الحبس فأمر الولد بكحل الباقين فكحِّلوا في مَحْبسهم من غير جرم يوجب ذلك.

وفي هذه السنة[4]: صام السلطان في مدينة تعز.

وفي غرة شهر رمضان من هذه السنة: استمر القاضي موفق الدين علي بن أحمد الضَّرغاني ناظرًا في الثغر المحروس، والأمير بدر الدين محمد بن علي [الشمسي][5] أميرًا بها، وتوجه

---

(1) إتحاف الورى بأخبار أم القرى 3: 351 – 353 والعقود: 704.

(2) زيادة من (و).

(3) الأصل: عتاب، وأصلحناه من إتحاف الورى.

(4) العقود: 704.

(5) سقط من (ع).

السلطان إلى زبيد في أثناء شهر شوال، فدخلها يوم الرابع عشر من شوال المذكور.

وفي الثامن من ذي القعدة[1]: حرقت قرية المملاح الأسفل بزبيد حريقًا شديدًا هلك فيها جماعة من الناس، وتلف مال كثير من الصامت والناطق، وذلك أن الحريق وقع يوم الجمعة والناس غائبون في صلاة الجمعة فلم يدركوا من منازلهم وأموالهم شيئًا.

وفي غرة ذي الحجة[2]: حمل كتاب (التفقيه في شرح التنبيه) تصنيف القاضي الأجل جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي على رؤوس المتفقهة من بَيْت المُصنِّفِ إلى مقام السلطان مزفوفًا بطبلخانة وكان أربعة وعشرين جزءًا، فحباه السلطان بثمانية وأربعين ألف درهم تعظيمًا للعلم ورفعًا لدرجته، إذ هو بركة الدنيا والآخرة.

وفي هذا التاريخ[3]: قتل الشريف جمال الدين محمد بن أحمد بن عجلان صاحب مكة المشرفة، وذلك أن الشريف عنان بن مغامس لما هرب من حبس مكة بعد وفاة ابن عمه أحمد بن عجلان كما ذكرنا آنفًا، وتقدم إلى مصر وحضر في مقام السلطان وحقق له ما كان من فعل الشريف محمد بن أحمد لما توفي والده الشريف أحمد بن عجلان وكونه كَحَّل الجماعة المذكورين وهم رحمه وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي بلد الله الحرام، ولم يكن لهم سابقة توجب ذلك. فسمع السلطان مقالته ولاه مكة، فرجع صحبة محمل السلطان.

فلما صار قريبًا من مكة خرج الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ليلقى المحمل السلطاني جريًا على العادة، فلما ترجل للسلام كما جرت العادة قتل هو، وهرب أصحابه وغلمانه وخدمه، وانتهب كثير من الحجاج في ذلك اليوم، ودخل عنان بن مغامس مكة أميرًا، وأشرك في الأمر ابن عمه محمد بن عجلان، وقد صار مكحولًا.

وفي هذه السنة[4]: توفي الملك المسعود عبد الله بن السلطان الملك المجاهد، وكان وفاته في قرية السلامة في بادية حيس، وكان وفاته يوم التاسع والعشرين من المحرم.

---

(1) العقود: 705.

(2) العقود: 705 وفاكهة الزمن: 988، يقول وهو صاحب الحادثة: «حمل إلينا القاضي جمال الدين» الخ.

(3) إتحاف الورى 3: 355 والعقود: 705 وفاكهة الزمن: 988.

(4) العقود: 706 وفاكهة الزمن: 987، يقول: «فأمرنا بالقراءة عليه في جامع زبيد».

وتوفي الفقيه[1] جمال الدين محمد بن علي بن ثمامة، وكان فقيهًا صوفيا ناسكًا، حسن السيرة متواضعًا، وكان مدرسًا في المدرسة النظامية بزبيد بعد أبيه إلى أن توفي، وله مصنفات في الحقيقة، واختصر (منهاج النووي)، وكان من مشايخ الصوفية، توفي في آخر شهر صفر من السنة المذكورة.

وتوفي الفقيه[2] تقي الدين عمر بن سعيد التعزي عن ثمان وثمانين سنة، وكان فقيهًا عالمًا، حسن التدريس عارفًا بالفقه والفرائض، حسن الخلق متواضعًا، تَفَقَّه به طائفة من الناس، وولي القضاء في مدينة تعز مدةً طويلة، وكان مدرسًا في المدرسة المظفرية بتعز إلى أن توفي يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وتوفي[3] الشيخ الصالح حسان بن الشيخ الصالح بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق الصوفي، وكان رجلًا تقيا حييًا متواضعًا، حسن السيرة، قانعًا بخشن العيش.

توفي يوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وتوفي[4] القاضي رشيد الدين عمر بن أحمد الشتيري وكان أحد أعيان الدولة وأجل غلمان السلطان، تولى شَدَّ الاستيفاء، وكان عفيفًا عالي الهمة، حسن المباشرة، إلا أنه غير متعلق بشيء من العلوم. توفي يوم الخامس عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة.

وفيها[5]: توفي الأمير الكبير الشريف الحسن بن إدريس الحمزي، وكان أحد الأشراف الأجواد، وأمر السلطان بالقراءة عليه في تعز ثلاثة أيام، وكان وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة.

وفيها[6]: توفي الأمير الكبير الأجل الخطير سلطان الأشراف داود بن محمد بن داود بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن علي بن حمزة صاحب صنعاء، وكان وفاته في قرية المملاح بزبيد فجهزه السلطان بأربعة آلاف درهم، وحضر دفنه السلطان ومن

(1) العقود اللؤلؤية: 706 وانظر ترجمة والده في طراز أعلام الزمن 2: 332 (تحقيقنا).

(2) العقود: 706.

(3) العقود: 707 والكتاب الظاهري: 107.

(4) العقود: 111.

(5) العقود: 111.

(6) فاكهة الزمن: 988 والعقود: 707 والكتاب الظاهري: 111.

دونه من سائر الناس، ونزل في قبره الفقيه عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي وأضجعه فيه، والسلطان - وفقه الله - على شفير القبر، وكان شريفًا جوادًا عالي الهمة، توفي في الثاني عشر من ذي القعدة، رحمه الله تعالى.

وتوفي[1] الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله ابن الفقيه الصالح حسن بن إبراهيم بن أبي السرور، وكان أوحد أهل عصره علمًا وعملًا ورياسة ونفاسة، وكان له قبول عند كافة الناس على اختلاف حالاتهم، وكان وفاته في ذي الحجة من السنة المذكورة.

وتوفي[2] الفقيه الصالح المشهور جمال الدين محمد بن عيسى الزيلعي العقيلي صاحب اللحية، وكان أورع أهل العصر وأشدهم خوفًا لله تعالى.

وفي سنة تسع وثمانين[3]: تَقَدَّم السلطان إلى تعز المحروس فدخلها يوم الثالث من المحرم.

وفي آخر الشهر المذكور[4]: وصل الأمير بهاء الدين الشمسي إلى الأبواب السلطانية بما صحبه من أموال الجهات الشامية، ومن الهدايا والتحف شيء كثير، فأمر السلطان على كافة العسكر أن يخرجوا للقائه فخرجوا، وكان السلطان في دار الشجرة.

وفي صفر[5]: طلب الفسح الأشراف الحمزيون وأرادوا الرجوع إلى بلادهم فَزَوَّدَهم السلطان بستة وخمسين ألف درهم جدد[6].

وفي شهر ربيع[7]: اصطلح الإمام وهَمْدان وسَلَّموا إليه القلعة وفدة ولم يبق تحت أيديهم إلا ذَمَرْمَرْ، وكان رئيس الإسماعيلية يومئذ الداعي في الجزيرة اليمنية الشيخ عبد الله ابن علي بن محمد بن الأنف.

وتوجَّه مولانا السلطان إلى تهامة في آخر الشهر المذكور، فدخل زبيد يوم الثالث من شهر ربيع الأول، فأقام أيامًا، ثم تقدم إلى سرياقوس[8] فأقام هنالك ثلاثة أيام، وكان ابتداء

---

(1) العقود: 708 وطراز أعلام الزمن 1: 341 وطبقات صلحاء اليمن: 281 وطبقات الخواص: 48.

(2) العقود: 708 وطراز أعلام الزمن 3: 269 (تحقيقنا).

(3) العقود: 708 وفاكهة الزمن: 988 يقول «تقدمنا إلى تعز» الخ.

(4) العقود اللؤلؤية: 708.

(5) العقود: 708 وفاكهة الزمن: 988.

(6) العقود: من الدراهم وفي فاكهة الزمن «فزودناهم بأربعة آلاف دينار».

(7) العقود: 708 وغاية الأماني: 531.

(8) دار سرياقوس: تقع في رأس وادي زبيد (الدر النضيد: 492).

السبوت يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور، ثم نزل السلطان إلى النخل وأقام فيه أيامًا، ثم سار إلى البحر ووقع حريق في زبيد في ناحية متاجر حسان[1] يوم السابع من جمادى الأخرى، وتقدم الأمير البهاء الشمسي إلى بلاده، وتقدم الأمير فخر الدين السنبلي الجثة[2].

وفي الثاني والعشرين: تَقَدَّم السلطان إلى محروس تعز فدخلها أول يوم من رجب.

وفي شعبان: وقع في نواحي زبيد مطر عظيم وأَظْلَمَ الجَوّ نصف النهار قبل صلاة الجمعة، ووقع برق حينئذ في ناحية [وادي رَمَعَ فأصاب ثلاثةً تحت شجرة في حدود صُمَّعِ قرية من قرى][3] وادي رَمَع فهلكوا لفورهم.

وحصل[4] في ناحية عدن في النصف من شعبان زلازل شديدة أقامت أيامًا وسقط بعض دور عدن، وفزعوا عند ذلك إلى تلاوة القرآن وقراءة البخاري من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي النصف من رمضان: وَصَلَ القاضي نور الدين عمر بن علي المحلِّي التاجر بهدية جليلة من الديار المصرية إلى السلطان، وأكرمه السلطان غاية الإكرام.

وفي شوال[5]: استمر القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي ناظرًا في الثَّغْر المحروس، والأمير شمس الدين علي بن محمد بن حَسَّان أميرًا بها، ووصلت هدية من دَهْلَكْ فيها فيل وزرافة ونعامة ووحوش مختلفة.

وسار[6] الإمام نحو عدن بجيوش عظيمة في شهر ذي القعدة فقاتله أهل عدن قتالاً عظيمًا، فقتل من كل طائفة طائفة، ثم ارتفع وكان ارتفاعه في الخامس والعشرين من ذي القعدة، ووقع في أصحابه مرض شديد وموت عظيم.

---

(1) كأنها منسوبة إلى التاجر الحضرمي عبد الله بن محمد أبا حسان العَطَّار، قال الخزرجي في طراز أعلام الزمن: 1158: من مشاهير تجار زبيد، وهو الذي بيوته مطلة على سوق الفوفل في مدينة زبيد.

(2) في (ع): اللحية.

(3) سقط من (ع).

(4) العقود: 710 والكتاب الظاهري: 113.

(5) العقود: 711.

(6) فاكهة الزمن: 988 والعقود: 711 والكتاب الظاهري: 113 وفيه: الإمام صلاح بن علي، سبق ذكره.

وفي هذه السنة[1]: وصل الشريف علي بن عجلان من الديار المصرية بعسكر جيد وقد وُلِّيَ الإمارة في مكة المشرفة وكان وصوله إليها في العشر الأولى من ذي الحجة، فلما علم عنان بن مغامس بوصوله هرب من مكة وتركها، فدخلها علي بن عجلان مستمرًا.

وفي سنة تسعين وسبع مئة[2]: أمر السلطان بعمارة الجامع بالمِمْلاَح وكان اختطاطه يوم الخامس عشر من المحرم، وتقدم السلطان إلى سرياقوس من وادي زبيد فأقام هنالك أيامًا ورجع إلى دار النصر. ووصل العلم في التاريخ المذكور: أن الإمام جَرَّدَ عساكر إلى حَرَضٍ فَجَرَّدَ لهم السلطان الأمير بدر الدين محمد بن الشمسي، والأمير بهاء الدين بهادر الشمسي.

وفي الرابع والعشرين من صفر: استمر القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الناشري قاضيًا بزبيد عوضًا عن ابن عَمّه القاضي أحمد بن أبي بكر الناشري.

وفي شهر ربيع الأول: استمر الأمير بدر الدين محمد بن علي بن إياس مقطعًا في رمع.

وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور: وصل العلم بدخول العسكر المَنْصور حرض وخروج المفسدين منها.

وفي السابع عشر من ربيع الآخر: أمر السلطان بإعادة القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري على القضاء بزبيد، وأعاد ابن عمه القاضي جمال الدين إلى مكانه بالأعمال السَّهامية، وكان كل واحد منهما محبوبًا عند أهل بلده.

وفي العشرين من الشهر المذكور[3]: جاء وادي زبيد بسيل عظيم، قيل: إنه كان نحوًا من أربعة أبواع[4] فانحرف نحو النخل فأتلف شيئًا كثيرًا بعد أن أتلف جانبًا من محل ماتع[5] وجانبًا من محل حريرة وشيئًا من الجحوف، واستولى على دوابهم وأهلهم، وأتلف كثيرًا من نخل المغرس، وكان سيلًا لا يعهد مثله.

---

(1) العقود: 711 وإتحاف الورى 3: 363 وفاكهة الزمن: 989.

(2) العقود: 711 والكتاب الظاهري: 114 وفاكهة الزمن: 989 يقول: «أمرنا بعمارة جامع» الخ.

(3) العقود: 713.

(4) أبواع: بالألف والباء الموحدة من تحت جمع باع: وهو مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا (المصباح المنير: 66).

(5) في (ع): كابع.

ووصل صاحب مسار يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

وفي الرابع من جمادى الأولى[1]: حصلت مشاجرة بين الأمير عز الدين هبة ابن الفخر متولي زبيد والقاضي شهاب الدين بن أبي بكر الناشري حاكم الشريعة على أرض في الوادي زبيد كل واحد يريد أن يزدرعها لنفسه، فأرسل الأمير جماعة من غلمانه يمنعوا غلمان القاضي من التصرف، وخرج القاضي لِيَمْنَعَ غلمان الأمير من التَّصرف في الأرض المذكورة، فلم يمتنع أحد منهم من البسط في الأرض المذكورة، فبطش غلمان الأمير بغلمان القاضي وبالقاضي فضربوهم وأخرجوهم عن الأرض، وأصاب القاضي ثلاث جراحات، وكان السلطان يومئذ في النَّخل، فلما تحقق الأمر على جلية فصل الأمير عن الولاية في زبيد[2] وصادره بثلاثة آلاف دينار، عن كل جراحة ألف دينار لتفريطه في الخصوم، وإهماله حق الشريعة وقيامًا بما يجب من حق الشرع الشريف. [وتعرف الأرض بمكان العرشي بشريج مرضي][3].

واستمر الطواشي جمال الدين مرجان أميرًا في زبيد، ورجع السلطان إلى النَّخل فأقام فيه [أيامًا][4] ثم سار إلى البحر.

وفي سلخ الشهر المذكور: أعاد السلطان الأمير عز الدين على ولايته في زبيد لما علم من حسن سيرته بالناس ومحبّتهم له.

وفي الخامس من جمادى الآخرة: وقع حريق في دار السلطنة فتشعث منه مواضع يسيرة.

وفي ليلة العاشر من الشهر المذكور: تَقَدَّم السلطان إلى البحر وحضر مشايخ الصوفية بأسرهم لإقامة سماع المحيا في الليلة المذكورة على ساحل البحر.

وأقام السلطان هنالك إلى السادس عشر من الشهر المذكور، وتقدم إلى زبيد، وتقدم السلطان إلى تعز يوم الإثنين الخامس عشر من شهر رجب.

وفي غرة شعبان[5]: أغار عسكر من الأشراف على بعض جهات المحالب وكان أميرها يومئذ بهادر اللطيفي فأغار عليهم فاستنقذ المال، ولزم منهم نفرين أحدهما ولد محمد بن

---

(1) العقود: 713 وفاكهة الزمن: 989.

(2) العقود بزيادة: لإهماله الشريعة المطهرة وعبارة فاكهة الزمن «فلما بلغنا العلم فصلنا الوالي عن الولاية» الخ.

(3) سقط من (ع).

(4) زيادة من (ع).

(5) العقود: 715.

سليمان بن مدرك، والآخر ولد يوسف بن حسن، وأرسل بهما إلى باب السلطان تحت الحفظ فأودعهما السلطان دار الأدب.

وفي هذا التاريخ: وصلت هدية الأمراء أصحاب حلي بن يعقوب على يد القاضي حسام الدين[1] عيسى بن عبد الله الهليسي.

وفي يوم الرابع من رمضان[2]: استمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد ناظرًا في الثغر المحروس عوضًا عن القاضي شرف الدين الفارقي.

وفي يوم السابع عشر من رمضان[3]: وصل القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي التاجر المصري الكارمي بهدية جليلة من المأكول والمشروب والملبوس والمشموم، ومن التحف شيء كثير، من الخيل والبغال وكلاب الصيد وسباع الطير ما يستحسن ويستطرف شيء كثير.

وصام السلطان رمضان هذه السنة في مدينة تعز.

فلما كان يوم الرابع من شوال: عزم السُّلطان على نزول تهامة، فكان دخوله زبيد يوم العاشر من شوال.

وفي النصف الأخير من شوال[4]: بَرَز مرسوم السلطان بأن يكون وعد زبيد وسوقها يوم الخميس، وكان قبل ذلك وعدها[5] وسوقها يوم الجمعة، فكان كثير من الناس يشتغلون بالبيع والشراء عن حضور الجمعة، فلذلك أمر السلطان بتغييره.

وفي ليلة الثامن عشر من ذي القعدة[6]: وقع مطر عظيم ورياح شديدة في ناحية الحجاز مما يلي حلي بن يعقوب فغرق في تلك الناحية من سفائن الحجاج السائرين في البحر إلى مكة المشرفة ثماني عشرة سفينة، وقيل: إحدى وعشرين فيما بين مكة وحلي، وهلك فيها طائفة من الناس، وتلفت أموال جليلة.

---

(1) انظر ترجمته في: العقد الثمين 6: 459 والضوء اللامع 6: 154 وفاكهة الزمن: 989.

(2) العقود: 716 وتاريخ الدولة الرسولية لمجهول: 98 وفاكهة الزمن: 989.

(3) العقود: 716.

(4) العقود: 716 وقرة العيون: 380 وفاكهة الزمن: 990 يقول «أمرنا أن يكون سوق الوعد» الخ.

(5) الوعد هنا: اليوم المحدد لإقامة السوق المذكور.

(6) العقود اللؤلؤية: 716.

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة المذكور[1]: أقيمت صلاة الجمعة في الجامع المبارك الذي أنشأه السلطان في قرية المملاح[2]، وقد تقدم ذكر عمارته واختطاطه.

وفي سلخ ذي القعدة[3]: استمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم مشدا في وادي زبيد بعد أن كره ذلك، فلم يقبل منه، فامتثل الأمر، وكان أوحد رجال العصر خِبْرَةً واجتهادًا ونصحًا وإرشادًا، فظهر من نصحه واجتهاده وحسن سيرته ما لم يتصور قبله، فأضاف إليه السلطان كثيرًا من الوظائف، فقام بالجميع قيامًا مرضيا.

وفي غرة ذي الحجة[4]: استمر القاضي شرف الدين أبو القاسم بن عمر بن معيبد ناظرًا في الثغر المحروس عوضًا عن القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجَلَّاد.

وتَقَدَّم الركاب العالي من زبيد إلى تعز يوم الخامس والعشرين من ذي الحجة، فكان دخوله تعز يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور.

وفي هذه السنة[5]: توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المتيني، وكان فقيهًا مجودًا في مذهب الإمام أبي حنيفة، عارفًا بالنحو والفرائض والقراءات السبع، وكان جيدًا دينًا تقيًا، حسن السيرة، أخذ الفقه عن الفقيه أبي يزيد[6] وكذا الفرائض أيضًا، واستمر مدرسًا في مدرسة ابن الجلاد وناظرًا عليها إلى أن توفي يوم الخامس من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفيها[7]: توفي الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن سلامة الساكن في موزع وهي موطنه، وكان رجلًا صالحًا ناسكًا فقيهًا حسن السيرة، وله كرامات مشهورة، وكان كثير الحج والزيارة، قدم زبيد في آخر شوال من السنة المذكورة، فأقام بها إلى السابع من ذي القعدة، ثم تقدم إلى بلاد موزع بعد أن صَلَّى الجمعة في زبيد، فتوفي في يوم الأحد التاسع من الشهر

(1) العقود: 717.

(2) العقود: القوز.

(3) العقود: 717.

(4) العقود: 717 وفاكهة الزمن: 990 وعبارته «أمرنا أبا القاسم» الخ.

(5) العقود اللؤلؤية: 717.

(6) هو محمد بن عبد الرحمن الملقب بالسراج سبق ذكره.

(7) العقود اللؤلؤية: 717.

المذكور، وهو في أثناء الطريق، فحمل إلى قريته ودفن فيها يوم الإثنين العاشر من الشهر المذكور، رحمه الله تعالى.

وفيها(1): توفي القاضي الأجل الوزير وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس المقري، وكان خير وزير، كان فقيهًا نبيهًا عارفًا بارعًا ذكيًا، متطلعًا متضلعًا، مشاركًا في كثير من العلوم، عارفًا بالفقه والنحو والفرائض، يقول شعرًا حسنًا، ولي كتابة الإنشاء في الدولة الأفضلية(2)، ثم ولي قضاء الأقضية في الدولة الأشرفية، ثم ولي الوزارة، وكان مألفًا للأصحاب.

توفي يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة، فكانت وزارته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، رحمه الله تعالى.

وفي سنة إحدى وتسعين وسبع مئة(3): استمر القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد وزيرًا، وكان استمراره يوم السبت ثاني شهر صفر من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة: أرسل السلطان لنوَّاب الجهات الشامية، فلما وصلوا وخلت الجهات من العساكر، نزل عسكر من أصحاب الإمام في النصف من شهر ربيع الأول فأخربوا الجهات الشامية وانضم إليهم كثير من العرب المخالفين، وقويت شوكتهم، ونزل الإمام بعدهم في جيوش كثيرة، فارتفع صاحب حرض وصاحب المحالب وصاحب المهجم ووصلوا إلى باب السلطان، وكثرت الأراجيف في البلاد، وكان السلطان في زبيد، فأمر بعمارة الخندق الثاني، وهو الذي كان دفنه أهيف(4)، ثم أمر بافتقاد السور الثاني الذي على الخندق الثاني، ثم أمر السلطان أمراء الجهات الشامية بالتقدم إلى ولاياتهم فتقدموا في شهر ربيع الآخر، ثم جَهَّز السلطان عسكرًا جَيِّدًا ومالًا وافرًا بعدهم.

فلما وصلهم المال والمادة بالعسكر ارتفع الأشراف، وكان ارتفاعهم يوم الإثنين الثامن من شهر ربيع الآخر(5).

---

(1) العقود اللؤلؤية: 717 وطبقات صلحاء اليمن: 184 وتاريخ الدولة للمجهول: 98.

(2) يعني دولة الملك الأفضل عباس بن علي (سبق).

(3) العقود اللؤلؤية: 719 وفاكهة الزمن: 990 وعبارته «قلدنا الوزارة القاضي» الخ.

(4) يعني الطواشي أمين الدين أهيف (سبق ذكره).

(5) للتوسع في هذه الحادثة انظر فاكهة الزمن: 990.

وفي شهر ربيع الآخر: رَتَّب السُّلطان الفقهاء المدرسين في جامع المملاح وأمرهم بالتدريس وجمع الطلبة ونَشَر العلم بستة مدرسين: مقرئ لكتاب الله تعالى بالقراءات السبع، ومحدّث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومدرِّس بالشرع الشريف على مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ومدرِّس على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي، ومدرِّس في النحو وصناعة الإعراب، ومدرس في الفرائض، ورتب مع كل واحد منهم جماعة من الطلبة، ورتب فيه إمامًا ومؤذنين وقَيِّمين وخطيبًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن وشيخًا صوفيًا.

وفي الخامس من جمادى الأولى[1]: وصل جماعة[2] من عبيد الإمام إلى باب السلطان [ووصل معهم رجلان من العرب][3] يطلبون الخدمة، فقابلهم السلطان بالقبول، وأنعم عليهم.

وفي يوم السابع من الشهر المذكور: أمر السلطان على أصحاب النويدرة من زبيد بالانتقال من قريتهم لقربهم من السور، فانتقلوا وابتنوا قرية فيما بين باب سهام وباب الشبارق[4]، وأبعدوا بنيانهم عن السُّور، وأقاموا هنالك إلى أن أذن السلطان في رجوعهم إلى قريتهم في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي النصف من جمادى الأولى: استمر الأمير بدر[5] الدين أحمد بن علي الشمسي أميرًا في الثغر[6] المحروس.

وفي سلخ جمادى الأولى[7]: استمر الطواشي مرجان مقطعًا في القَحْمة، وتقدم السلطان إلى تعز يوم السابع عشر من جمادى الأخرى، فدخلها يوم التاسع عشر منه.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 723 وفاكهة الزمن: 991.

(2) العقود: ثلاثة وفي فاكهة الزمن (وآخران من عسكره المفارقة).

(3) سقط من (ع).

(4) باب الشبارق أحد أبواب زبيد ينفذ شرقا إلى قرية الشبارق من قرى وادي زبيد العليا ثم إلى حصن قوارير وغيره. انظر الدر النضيد: 487.

(5) العقود: شهاب الدين.

(6) يعني مدينة عدن.

(7) العقود اللؤلؤية: 724 وفاكهة الزمن: 991.

وفي هذا التاريخ[1]: وصل العلم بأن الإمام واصل إلى زبيد في جيوش عظيمة، فانتقل أهل النويدرة وأهل المملاح إلى زبيد، ووقع حريق في النويدرة يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وطارت[2] شرارة إلى زبيد فاحترق في زبيد من باب سهام إلى باب الشبارق، ولم تزل النار تشتعل إلى آخر الليل من ليلة الثاني والعشرين، وتلفت أموال كثيرة وطعام كثير.

ووصل الإمام إلى زبيد يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور، وكانت محطته شرقي [مقبرة][3] باب سهام، فلما كان يوم الجمعة ركب في جيوشه وطاف حول المدينة ليرى موضعًا أصلح للقتال، فرتب على كل باب طائفة من عسكره، فكان القتال على الأربعة الأبواب، وظهر له أن الباب الغربي باب النخل أيسر أخذًا من سائر الأبواب، خصوصًا لأجل المخاليل التي يخرج منها أمواه المطر، ففتح الحرب من هنالك، وكان في كثرة من العسكر مع اشتغال أهل المدينة بالقتال على كل باب، فزحف أصحاب الباب الغربي، وقد زحف أصحاب التراس يمينًا وشمالًا، وقصدوا السور فحفروا بالمحافر وامتد أصحاب النشاب مع كثافتهم فرشقوا أهل المدينة وأنزلوهم عن السور، وانهزم أهل المدينة عن السور لكثرة النشاب، وكان معظم العسكر الذي في المدينة مخامرين[4] فاهتزموا وتركوا القتال، فارتجت المدينة وصَرَخ النساء من كل ناحية، فخرج أهل المدينة من منازلهم وطلعوا الدرب وقاتلوا قتالًا عظيمًا، وصبروا صبرًا شديدًا، ولم يقتل من أهل زبيد في ذلك الوقت أحد، وكان على قُلَّة[5] باب النخل جماعة من الأسباهية[6]، فاعترضوا أصحاب الإمام الذين قصدوا المخاليل بالنشاب، فرجعوا على أعقابهم خائبين، وانقطع طمعهم عن أهل المدينة وآيسوا منها، فجعلوا شغلهم التحريق في النويدرة وفي قرية المملاح وفي حافة الودن، وفي المسرة، وما كان خارجًا عن المدينة.

(1) العقود اللؤلؤية: 724 وفاكهة الزمن: 991.
(2) عبارة العقود: وطارت الرياح بالنار.
(3) زيادة في (و).
(4) خامر: خادع، قال في المحيط: خامر على صاحبه وافق على أذاه وهي مولده.
(5) في (ع): قبلة، وما أثبتناه من (و) والعقود اللؤلؤية.
(6) السباهية: جند من جنود الفرسان (معجم الألفاظ التاريخية: 88).

ووصلت[1] كتب الأمير الشمسي يوم السادس والعشرين: أنه قد صار في القرشية ويستشير المقدمين الذين في زبيد في وقت فيهجم فيه المحطة ليلًا، ويخرج أهل المدينة إليه في ذلك الوقت. فرجع الجواب إليه، وعلم الإمام بوصوله إلى القرشية ومكاتبته لأهل زبيد، فَجَرَّد طائفةً من العسكر يستطلعون له الخبر، فلقوا جماعةً من أصحاب الشمسي فناوشوهم شيئًا من قتال، فقتل مملوك من أصحاب الشمسي والتزم من أهل حرض فارسان[2]، فوصلوا بهما إلى الإمام فاستخبرهما فأخبراه الخبر وأطلعاه على حقيقة الأمر، فأصبح يوم السابع والعشرين سائرًا إلى بلاده في الطريق التي جاء منها.

ودخل الشَّمسي زبيد يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور، فأقام أيامًا في زبيد، ثم تقدم إلى بلاد المحالب، ورجع كل أمير إلى جهته.

وفي الرابع عشر من شعبان: تقدم السلطان إلى جبلة فنزل دار السلام.

وفي غرة رمضان[3]: جَرَّد السلطان عسكرًا إلى حصن نعم، فَحَطَّ العسكر عليه، وأمر محمد السيري أن يجرّد عسكرًا من أهل بعدان إلى نعم أيضًا؛ لأنهم أدرى بالبلاد، فجرد منهم عسكرًا جيّدًا، ولكن كان أكثرهم مخامرين، فسعوا في فساد المحطة وباعوا العسكر، وكانت البيعة ليلة الحادي عشر من رمضان، فانقطعت المحطة، وأغار ابن السيري على الصوت، فانكشف الأمر، وعرف أهل البيعة، فمسك منهم جماعة وقتلوا، ثم وصل الإمام إلى نعم، واشتد القتال وطال الأمر إلى يوم السابع والعشرين، ثم رجع الإمام إلى ذمار وارتفعت المحطة عن نعم، وكان صيام السلطان هذه السنة في دار السلام من جبلة.

وفي رمضان المذكور: استمر الشمس السعردي[4] ناظرًا في عدن عوضًا عن القاضي شرف الدين أبي القاسم بن عمر بن معيبد، وأقام السلطان في دار السلام إلى العاشر من شوال، ثم طلع الشوافي، وأمر بالمحطة على الرازحي صاحب حصن شافة من أعمال خدد، فلما اشتد عليه القتال وضاق ضيقة شديدة، سأل ذمة السلطان، وبذل تسليم الحصن، فأجيب إلى ذلك،

(1) العقود اللؤلؤية: 725.

(2) كذا في الأصل وفي العقود: فارسين، وهو الصواب.

(3) العقود اللؤلؤية: 727.

(4) في (و): المسعودي، وفي (ع): الشعري، وأثبتناه من العقود اللؤلؤية. والسعردي نسبة إلى سعرد أو أسعرد؛ هي الآن مدينة تركية إلى الجنوب الغربي من بحيرة وان إلى الشرق من ديار بكر.

فنزل بأولاده ونسائه وخدمه، وقبض منه الحصن المذكور يوم السادس عشر من شوال.

وأقام السلطان أيامًا قلائل، ثم رجع إلى دار السلام من جِبْلة، فأقام فيه إلى الرابع عشر من القعدة، ثم سار إلى تعز، فدخلها يوم الخامس عشر، ثم توجه إلى زبيد يوم السادس عشر.

وفي هذا التاريخ: قتل العبد منصور[1] مقدم عسكر الإمام، وكان قتله في حد الوادي من مور، وكان سبب قتله أن الإمام لما رجع من محطته بنعم في السابع والعشرين من رمضان كما ذكرنا، أقام في ذمار أيامًا، ثم جَرَّد عسكرًا إلى تهامة، فنزلوا على حرض وكان فيه من المقدمين العبد منصور ويحيى الباقر الحمزي، وقاسم بن المهدي في عدة من وجوه العرب وفرسان الشرف، وكان وصولهم حرض يوم السابع من ذي القعدة فأقاموا فيها أيامًا قلائل، وخرجوا يريدون المحالب، وكان خروجهم يوم الثلاثاء الثالث عشر، وكان الأمير بهاء الدين الشمسي يومئذ في المحالب، فأتاه الخبر يوم الخميس الخامس عشر بخروج العبد منصور ومن معه من العسكر يريدون المحالب، وأن جمعهم دون كل مرة، فَجَمَعَ الأمير أصحابه وعَرَّفَهم بما وصله من الخبر وقال لهم: هذه غنيمة ساقها الله لكم، فالحزم الحزم، والعزم العزم. وخرج ليلة الجمعة السادس عشر، وفَرَّقَهم ثلاث فرق، فلما أصبح الصباح يوم الجمعة وصل العبد منصور وأصحابه، وفي ظَنِّهم أن الشمسي وأصحابه قد صاروا في المهجم فلما بلغ العبد منصور ومن معه البرزه حقق لهم الخبر وأن الشمس وأصحابه وقوف في المحالب، فالتفت العبد منصور إلى أصحابه وقال لهم: أرى من المصلحة أن نرجع إلى حرض وننتظر ما يأتينا من المدد؟ فقال له ابن الباقر: وما خوفنا منهم، والله لو قد رأوا وجه فارس منا ما وقفوا، وأنا أكفيكم؟ فساروا كلهم كردوس واحد. فبيناهم يسيرون إذ طلعت عليهم طلائع الشمسي فتراجعوا في الكلام، ورجع من أخبر الشمسي بوصولهم، فاستنهض أصحابه وعبأ كل طائفة في كل موضع، ووقف هو في القلب، فتواجه العسكران، فحمل يحيى بن الباقر وحمل معه طائفة من أصحابه وقصدوا القلب، فوقع يحيى على مملوك من العسكر فقتله ووقع مملوك آخر على يحيى فقتله، وأقبل أصحاب الميمنة وأصحاب الميسرة جميعًا فانهزم العبد منصور وأصحابه هزيمة شنيعة، وضيقت عليهم أهل الخيل من كل مكان، فقتل من الرجال والخيل شيئًا كثيرًا، وقتل العبد منصور ولم يعرفه قاتلوه، وقتل قاسم بن المهدي وولده، ومات كثير

---

(1) هو عبد الإمام صلاح الدين (سبق ذكره) وانظر (فاكهة الزمن: 992).

من الرجل عطشًا، ونهبت خيولهم وسلاحهم وأزوادهم ولم يرجع منهم إلا الأقل، وكان ذلك يوم الجمعة السادس عشر من ذي القعدة.

وفي ذلك النهار[1]: خرج السلطان من تعز يريد زبيد فدخلها يوم الأحد التاسع عشر، وقد واجهه الخبر بهزيمتهم إلى حيس.

وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين[2]: تقدَّم عَلَم الحجّ المنصور وصحبته القائد علي بن سعيد من مدينة زبيد، واتصل العلم أنه دخل جدة يوم الخميس المبارك السادس من ذي الحجة، فكان مسيره من زبيد إلى جدة سبعة أيام، وهذا شيء ما علمنا بمثله في زماننا ولا فيما قرب منه، وعَيَّد السلطان عِيدَ الأضحى [هذه السنة في زبيد][3].

وفي هذه السنة[4]: توفي الفقيه الصالح المشهور محمد الصامت، وكان رجلاً صالحًا خَيِّرًا ورعًا، وسمي الصامت؛ لأنه كان لا يكلم أحدًا ولا يتكلم إلا بالدعاء والذكر وما لا بد منه من أذكار الصلوات وغيرها ورد السلام وغيره. وعاش مدة طويلة في مدينة زبيد، وهو على هذه الحالة، وهذا إنما هو لمن لا يعرفه، وأما من يعرفه من أهل بيته فيتكلم معهم بالشيء اليسير - أعاد الله علينا من بركاته - وقبر في مقبرة باب سهام قريبًا من تربة الشيخ الصالح أحمد بن أبي الخير الصَّياد في ناحية الشَّرق منه. وكان وفاته ليلة الأحد الرابع من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

وفيها: توفي الشيخ جمال الدين محمد ابن الشيخ الصالح طلحة بن عيسى الهتار، توفي شابًا، وكان حسن السيرة، كثير الحج إلى بيت الله تعالى والزيارة لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ودفن رحمه الله عند والده في قبته المعروفة في مقبرة باب سهام. وكان وفاته يوم السبت السابع من شعبان من السنة المذكورة.

وفيها[5]: توفي الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر الأشرفي، وكان أميرًا كبيرًا مشهورًا، أحد نصحاء الملك المجاهد، ثم خدم السلطان الملك الأشرف.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 730 وفاكهة الزمن: 992.

(2) العقود اللؤلؤية: 730 وفيه زيادة إيضاح: «تقدم القائد علي بن سعيد بعلم الحج المنصور الأشرفي».

(3) سقط من (و).

(4) العقود اللؤلؤية: 731.

(5) العقود اللؤلؤية: 731 وتاريخ الدولة الرسولية للمجهول: 102.

وكان وفاته يوم الخامس والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

وفي سنة اثنتين وتسعين[1]: وصل الأمير بهادر الشمسي إلى باب السلطان بزبيد، وكان وصوله يوم الثالث من صفر وبين يديه رأس العبد منصور على رمح طويل معمم بمنديل وأمامه مكتّب[2] من الشفاليت، ومصلع، وصنج، ونفير، ورمح يحمل أمامه مقلوبًا وحصانه المسمى الثلج[3] خلفه، وبعده عدة من رؤوس القتلى ما خلا رؤوس الأشراف، فإن الأشراف الذين يخدمون على باب السلطان من بني حمزة وغيرهم سألوا من السلطان ألا يدار برؤوس قراباتهم، فأجابهم إلى ذلك.

ووصل الأمير ومعه من الخيل القلائع[4] عدة، فوهب له السلطان منها ستة رؤوس.

وفي الثاني عشر[5]: استمر الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي مقطعًا في حرض، وتقدم السلطان إلى تعز يوم السادس عشر من شهر صفر[6]، وقد أمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن سالم بعمارة المساجد والمدارس والسبل، وأضاف إليه شَدَّ الأوقاف المباركة بزبيد، وأن يعيدها كما كانت، وكان الخراب قد استولى على كثير من المساجد والمدارس حتى ألصقها بالأرض وبعضها أمثل من البعض.

فأما الذي عمره بعد أن كان دامرًا فالمدرسة المنصورية الحنفية، ومجلس الحديث النبوي بها، والسَّيفية الصغيرة، والنظامية، والعفيفية، والميكائيلية، ومسجد الأتابك سنقر، ومسجد نجم، ومسجد الطواشي فاخر، ومسجد الطيرة، ومسجد ابن الهمام، ومسجد الخيزران، ومسجد خيلخان، ومدرسة التربية، ومسجد الصَّياد، ومسجد عباس الظفاري، [ومسجد][7] أزدمر وهو مسجد باب القرتب ومسجد الزيد ومسجد الساباط، ومسجد القرتب، وسبيل القرتب، والسبيل الفاتني على باب سهام، وسبيل المنظر، وسبيل فشال، وأحدث السبيل الذي على باب مسجد الجامع بزبيد.

---

(1) العقود: 732 وفاكهة الزمن: 992.

(2) مكتب: اسم رجل من الشفاليت وكذا مصلع.

(3) اللفظة بدون نقط وفي فاكهة الزمن «البلح».

(4) أي الخيول التي انتزعت منهم.

(5) العقود اللؤلؤية: 732.

(6) فاكهة الزمن: 992 (باختصار).

(7) سقط من (و).

وأما الذي معظمه خراب وباقيه قائم فالمنصورية العليا والأشرفية والسابقية، والسيفية الكبرى والتاجية الفقهية، والشَّمسية، ومسجد السابق النظامي، ومسجد الحاجة غصون، ومسجد الحاجة قنديل، ومسجد الحاجة سماح، ومسجد الأمير عباس بن عبد الجليل، والصَّلاحية بزبيد، ومدرسة المسلب وسبيلها، وسبيل الشهاب بزبيد، وسبيل المنصورة ومسجد الجبرتي والقبة الفاتنية، ومسجد البانة[1]، [وسبيل مسجد الزبد][2]، وسبيل التربية، وسبيل الصلاحية بزبيد، وسبيل باب النخل، ومسجد بستان الراحة، والخانقة التاجية بزبيد، وجامع النويدرة وسبيله، وسبيل الطيبغا.

وأما الذي معظمه قائم وبعضه خراب فالمدرسة الصَّلاحية الكبيرة الفاتنية والفرحانية وسبيلها، ومدرسة المِيلين والعاصمية والهكارية والدحمانية ومدرسة القراء والحديث بها، ومسجد الست جهة رشيد والمسجد الجامع بزبيد، وسبيل الطواشي خضير، فهذه خمسة وستون موضعًا من المآثر الدينية.

فقام في ذلك كله قيامًا كليا، واجتهد وأعاد معالم الوقف على حقائقها المعتادة ورسومها القديمة، وأحيا السّبل الداثرة، وقام في ذلك حَقّ القيام، حتى شكره الخاص والعام.

وفي أول شهر ربيع الأول[3]: سار الإمام بجيوشه إلى حصن الدرج[4] من بلاد الشوافي وضَيَّقَ على الرتبة ضيقًا شديدًا، حتى أخذه، ثم زَحَف على حصن خَدَد في آخر الشهر المذكور، فقاتله المرتَّبون فيه قتالًا شديدًا، فقتل من عسكره اثنا عشر رجلًا وأخذت رؤوسهم وحملت إلى السلطان، فرجع الإمام عنه، ولم يتفق له ما يريد.

وفي سلخ شهر ربيع الآخر: وقع الخلف بين بني الفقيه والشهاليين[5]، فقتل من بني الفقيه وحلفائهم نفران، فأمر السلطان أن يصادروا بعشرة آلاف دينار.

(1) في (ع): الأبة.

(2) زيادة في (و).

(3) العقود اللؤلؤية: 735.

(4) العقود اللؤلؤية: 735.

(5) في (و): الشهابيين.

وفي سلخ جمادى الأولى: استمر الأمير بهاء الدين الشمسي أميرًا بأبين، وتقدم الركاب العالي إلى زبيد فدخلها يوم العاشر من جمادى الأخرى، ثم تَقَدَّم إلى النخل في الثامن والعشرين منه، فأقام في النخل شهر رجب.

وفي غرة شعبان: تقدم السلطان إلى تعز المحروسة.

وفي النصف من شعبان[1]: برز مرسوم السلطان باستمرار القاضي رضي الدين أبي بكر بن يحيى بن أبي بكر بن أحمد بن موسى بن عجيل في القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية ولقبه القاضي زكي الدين، وكان فقيهًا عالمًا فطنًا أريبًا لبيبًا، كامل الأوصاف، مشاركًا في عدة من الفنون.

وصام السلطان هذه السنة شهر رمضان في تعز، وكان جُلُّ إقامته في دار الشجرة.

[انقضاض كوكب]

وفي ليلة الإثنين التاسع من شوال[2]: انقض كوكب عظيم من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال وقت صلاة العشاء، فكان له ضوء عظيم زائد على ضوء القمر زيادةً[3] كثيرة، وبعد مغيبه بقليل وقعت هَدَّة عظيمة حتى سمعت أن بعض العقلاء قام من موضعه فزعًا مرعوبًا يظن أن منزله قد انهدم على أهله، أو بعض المنزل من شدة ما سمع.

وفي يوم عيد الأضحى[4]: وقع حريق عظيم في زبيد من ناحية المَجْزَرَة واستولت النار على جانب من السوق.

وفي ذلك اليوم: قتل الشيخ علي بن محمد العجمي شيخ الأشاعر بفشال، وكان قتله بعد صلاة العيد في قرية فشال، والذي قتله جماعة من بني الدريهم ظلمًا وعدوانًا، وكان السبب في ذلك أن بني الدريهم أغاروا على عبيد العبادل فنهبوهم بعض ماشيتهم، فخرج العبيد بعدهم فلحقوهم فاقتتلوا فقتل من العبيد واحد وهو أجودهم. فلما رأى أهله مصرعه قتلوا واحدًا من بني الدريهم وهو ولد شيخهم، فلما علم أبو الولد بقتل ابنه فقال: والله لأقتلن أكبر

(1) العقود اللؤلؤية: 736 وفاكهة الزمن: 993 وفيه «نصبنا القاضي زكي الدين الخ».

(2) العقود: 737.

(3) في (ع): زيّد.

(4) العقود اللؤلؤية: 737.

العبادل وأسلم دية العبد المقتول. فلم يزل حتى وجد غرةً في ذلك اليوم من الشيخ علي بن محمد العجمي فقتله بابنه.

وفي هذه السنة: توفي الطَّواشي جمال الدين ثابت[1] الأشرفي، وكان خادمًا سعيدًا وحيدًا في أبناء جنسه في عصره، وكان وفاته يوم الأحد سابع شهر المحرم، ودفن في مقبرة باب سهام قريبًا من تربة الشيخ الصالح طلحة بن عيسى بن الهتار رحمهما الله تعالى.

وتوفي الفقيه الإمام العلامة جمال الدين أبو عبد الله[2] محمد بن عبد الله الريمي الفقيه الشافعي، وكان فقيهًا عارفًا محققًا مدققًا نَقَّالًا للنصوص بارعًا في المذهب، له مصنفات مفيدة، ومن مصنفاته (التفقيه في شرح التنبيه) وكانت له حظوة عند الملوك، صَحِبَ السلطان الملك المجاهد إلى أن توفي، ثم صحب الملك الأفضل إلى أن توفي، ثم صحب الملك الأشرف وولاه قضاء الأقضية، وجَمَع من المال ما لم يَجْمعه غيره من الفقهاء ألبتة ألبتة، لكن من وجوه مختلفة، عفا الله عنه.

وكان له مكارم أخلاق، باذلًا نفسه وماله للطَّلَبة، وجمع من الكتب شيئًا كثيرًا، وعلى كتبه الاعتماد. وكانت وفاته يوم الرابع والعشرين من صفر، ودفن على باب تربة الشيخ الصالح أحمد بن أبي الخير الصَّيَّاد في مقبرة باب سهام، رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة[3]: توفي الأمير الكبير محمد بن علي بن إسماعيل بن إياس، وكان أميرًا كبيرًا شهمًا جوادًا حازمًا، سريع النهضة عند الحادثة، يَتَوَلَّى الأمور بنفسه، بدايته كنهاية غيره من أبناء جنسه، وكان وفاته في العشر الأولى من صفر من السنة المذكورة.

وفيها: توفي الفقيه الإمام البارع أبو العباس أحمد بن موسى بن علي الجَلَّاد النخلي الحنفي الفرضي، وكان فقيهًا فاضلًا في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وكان إمامًا في الفرائض والجبر والمقابلة والحساب، وله مُصَنَّفَات مفيدة، أخذ عن والده وعن غيره، وانتفع به خلْقٌ كثير، لاسيما في الفرائض والحساب والهندسة، وكانت ولادته في الثامن والعشرين من ذي الحجة آخر سنة سبع مئة، وتوفي في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

---

(1) في (ع): نائب.

(2) انظر ترجمته في الدرر الكامنة 3: 486 وتحفة الزمن 2: 319 وطبقات صلحاء اليمن: 181.

(3) العقود اللؤلؤية: 739.

وفي سنة ثلاث وتسعين(1): تَقَدَّم السلطان إلى فشال وحَطَّ على بني الدريهم حتى أذعنوا وطلبوا الذمة وبذلوا الأدب والدخول تحت الطاعة، فأذم عليهم السلطان وتأدبوا، وتقدم السلطان إلى تعز يوم الرابع والعشرين من المحرم.

وفي شهر صفر(2): وصل الإمام إلى جبل بعدان فَحَطَّ عليهم فقاتلوه أيامًا، ثم إنهم سيبوا الماء في أرض مزروعة قضبًا، ثم فتحوا الجرب، وقد كمنوا للعسكر في عدة نواح هنالك، فلما اشتد القتال خرجت المكامن فلم تجد العسكر مهربًا إلا في ذلك القضب، فرسبت خيلهم ورجلهم فقتل منهم مقتلة عظيمة، فارتفع الإمام عنهم وسار إلى ذمار.

وفي غرة شهر ربيع الأول(3): تقدَّم السلطان إلى حصون المداد، وترك على كل حصن منها محطة، حتى تسلم الحصون جميعها إلَّا حصن ريشان، فإن ولد علي بن محمد بن مظفر أقام فيه، فأقام السلطان فيها نوابًا من غلمانه الثقات، ورجع إلى تعز وكان غيبته عن تعز عشرين يومًا.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله: حدثني الفقيه علي بن محمد الناشري: أن السلطان جَرَّد عسكرًا إلى بلاد الأهمول في الشهر المذكور، فكبسوا قرية من قراها في يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، فذكروا أنهم وجدوا فيها مولودة صغيرة لها أربع أياد وأربع أرجل، فسبحان الخلاق العليم.

وفي العشر الأواخر من الشهر المذكور: انفصل القاضي سليمان بن الجُنَيْد عن القضاء في زبيد، واستمر قاضيًا في مدينة تعز ورجع القاضي أحمد بن أبي بكر الناشري على القضاء في زبيد، فسار في الناس سيرة صعبة أتعب فيها نفسه وغيره، فكثر شاكوه، هذا مع شدة ورعه وعفته وفقهه ومعرفته، فَفَصَله السلطان وأمر أخاه القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري، فكان استمراره يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وتقدم السلطان من تعز إلى الثغر(4) يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، فَدَخَلَها يوم الإثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور.

(1) العقود اللؤلؤية: 739 وتحفة الزمن 2: 349.

(2) العقود اللؤلؤية: 740 وتاريخ الدولة الرسولية للمجهول: 106.

(3) فاكهة الزمن: 994 وفيه «تقدمنا إلى حصون المداد الخ».

(4) يعني ثغر عدن.

وظهرت[1] هالة على الشمس يوم الثامن والعشرين لمضي ثلاث ساعات تقريبًا إلى آخر الساعة السادسة، وكانت هالة كبيرة بينها وبين قرص الشمس من كل ناحية نحو من عشرة أذرع في رؤية العين، وكان فيها ألوان عجيبة لا يمكن أحدًا وصفها، بل هي بحكم التقريب من البياض والحمرة والصفرة والخضرة، وفي دائرها ألوان عجيبة، وحول الجميع شعاع أبيض أصفى من الفضة البيضاء. وسمعت[2] عدة من الأكابر المعمرين يقولون: إنهم ما رأوا مثلها قط، ولا سمعوا من أحد ممن تقدمهم أنهم رأوا مثلها أبدًا، والله أعلم.

وفي يوم التاسع والعشرين: كسفت الشمس.

وفي يوم الثالث من جمادى الأولى: ظهرت هالة على الشَّمس مثل الهالة المذكورة آنفًا، وكان ظهورها بعد مضي ثلاث ساعات من النهار إلى الساعة التاسعة، واضمحلت عند أذان العصر من ذلك النهار.

وأقام السلطان في الثغر المحروس شهر جمادى الأولى وعشرًا من جمادى الأخرى، ثم سار يريد مدينة زبيد فدخلها يوم الرابع والعشرين من جمادى الأخرى.

وفي شهر رجب[3]: قصد الإمام بلد بني شاور، فبسط العسكر أيديهم في البلاد وقتلوا الفقيه أحمد بن زيد الشاوري، وقُتِلَ معه جماعة من أهل تلك الناحية من بلده، ونهب بيت الفقيه المذكور، وكانت فيه أموال جَمَّة مودعة للناس، وكان الفقيه في غاية من العلم والعمل، وكان قتله يوم الحادي عشر من الشَّهر المذكور، وقتل ظلمًا وعدوانًا، ولم تطل مدة الإمام بعده[4]: **[من البسيط]**

ما كان أقصر وقتًا كان بينهما   كأنه الوقت بين الورد والقرب

وفي شهر رجب المذكور[5]: تَقَدَّم السلطان من زبيد إلى النخل فأقام فيه بقية شهر رجب، ثم تقدم إلى البحر، ثم دخل إلى النخل، ثم سار إلى زبيد يوم الثامن من شهر شعبان.

---

(1) العقود: 741 وفاكهة الزمن: 994.

(2) قوله «سمعت» نجد هذه اللفظة في (فاكهة الزمن) فلا ندري من الذي سمع هل هو الملك الأشرف أم الخزرجي.

(3) العقود: 742 وفاكهة الزمن: 995.

(4) للمتنبي (ديوانه): 323.

(5) العقود: 743.

وفي يوم السادس من شعبان[1]: ركب الإمام صلاح لبعض ما يريد من الأمر، فبينما هو سائر على بغلته إذ أقبل طائر من الجو قاصدًا وجه البغلة فنفرت البغلة نفورًا وسحبته فانعسفت رِجْله وقيل: رجله ويده وكان في موضع وعر، فلم يَتَمَكَّن الحاضرون من تخليصه حتى لزموا البغلة، وقيل: عقروها، ثم حمل من موضعه ذلك على ظهور الرجال إلى أن دخلوا به حصن ظفار، فأقام هنالك أليمًا، ثم انتقل إلى صنعاء فدخلها في العشر الأولى من شوال وهو يجد شيئًا من الألم، ولكنه يُظْهر الجَلَد، فأقام في صنعاء أليمًا إلى أن توفي، وقيل: حَدَث به مرض آخر في النصف الأخير من شوال إلى أن توفي، وكانت وفاته في الثالث من ذي القعدة، وقيل: في الثاني منه من السنة المذكورة.

وفي الرابع من شعبان[2]: طلب ولد المدادي الذِّمة من السلطان وبذل تسليم حصن ريشان، فأجيب إلى ما سأل وقبض الحصن.

وتَقَدَّم السلطان إلى تعز يوم السَّابع عشر من الشهر المذكور، وصام السلطان هذه السنة في مدينة ثَعَبات.

واستمر الجمال[3] المصري محتسبًا في زبيد في شهر رمضان المذكور، فقام بالوظيفة قيامًا حسنًا، وبرز أمر السلطان بعمارة الزيادة الأشرفية في جامع عدينة بتعز فانتفع الناس بها نفعًا عظيمًا، وكثر الدعاء للسلطان.

وفيها[4]: أمر السلطان بتسوير مدينة الجَنَد، وكان سورها قد اندرس، ولم يبق له أثر، فأعاده على عادته الأولى، أو ربما هو اليوم أحسن، والله أعلم.

وفي الثامن من شهر رجب: مُسِكَ رجل يهودي، ذكر أنه ساحر، وكان يَتَشَبَّه بالمسلمين، فَكُحِّلَ وقطعت يده.

وفي شهر رمضان من هذه السنة[5]: أصاب الناس في التهائم مجاعة شديدة، وتأخر الغيث عن أيام أوانه، فارتفع السعر وهلكت البهائم وانقطعت السيول فانكشفت أحوال كثير من

(1) العقود: 743 ومآثر الأبرار للزحيف: 1022 – 1053.

(2) الكتاب الظاهري: 134.

(3) هو مؤلف كتاب الظاهري في التاريخ الذي قمنا بنشره سنة 1431هـ.

(4) العقود: 744 وفاكهة الزمن: 995 يقول: «أمرنا بعمارة سور مدينة زبيد».

(5) العقود اللؤلؤية: 744 وفاكهة الزمن: 995.

الناس، وابتاع مد الطعام بنيف وتسعين دينارًا ملكية، وابتاع السمن كل أربعين قفلة بدرهم، ثم حصل المطر في آخر الشهر وأول شوال، وسالت السيول وتواترت الأمطار، ووصل الطعام الجديد.

وتقدم[1] علم الحج من زبيد ثاني يوم من ذي القعدة.

وفي التاسع من ذي القعدة: تقدم السلطان من تعز إلى محروس زبيد، فدخلها يوم الثالث عشر، فأقام في بستان الراحة ثمانية أيام، ثم دخل دار السلطنة بزبيد.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين: صلى السلطان الجمعة في جامع زبيد، وهي أول جمعة صَلَّاها في جامع زبيد.

[سنة أربع وتسعين وسبعمائة]

وفي سنة أربع وتسعين: أَذِن السلطان لأهل النويدرة من زبيد أن يرجعوا إلى قريتهم الأولى على باب سهام، وكان انتقالهم أول يوم من المحرم.

وفي آخر الشهر المذكور: وَصَل الشريف المهدي بن عز الدين صاحب تلمّص، ووصل بعده الشريف شمس الدين سليمان بن يحيى المعروف بحجرية.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من صفر: رأى السُّلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله: أخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرَّداد، قال: كتب إليَّ مولانا السلطان كتابًا، وأوقفني على كتاب السلطان إليه، قال: وأخبرني بعد الكتاب مشافهة أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه في الليلة المذكورة، وكان يومئذ مقيمًا في دار العدل بمدينة تعز، قال: رأيت كأني في مرج يشبه الماء الحار الذي هو فيما بين عدن وتعز وكأني بين نخل وسدر وموضع يشبه ساحل الفازة، إلا أنه لا بحر هنالك، وكان في طرف المكان مجلس بعيد من الموضع الذي نحن فيه، وكأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وعليًا رضي الله عنهم أجمعين هنالك، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس على قعادة بلا حصير حبالها عتق، كأنها حبال قعادة الرعاء

(1) العقود: 745 وفاكهة الزمن: 995.

عليها أثر البقر والغنم، وإذا بي أقبل أنا وعلي وإذا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مد يدك نبايعك، وكأني لم أفهم إلَّا وأنا معظم الشأن، كأَنِّي مثل الذي وصل إليهم بقبائل أريد نصرهم، وهم مثل الفرحين بي، فمددت يدي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبايعني، فقمت من ساعتي بعد المبايعة، وأنا أقول لهم: ما نخرج اليوم ولا نترزق في بعض الطرقات من هؤلاء الفعلة الصنعة، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم فقمت أنا وعلي ﵁، وركبنا فرسين وسرنا وإذا بنا في عدن، وعن يميننا بحر، وعن يسارنا جزائر من جبل أحمر، وأنا أقول إشارة بإصبعي: من ههنا كان يريد الفاعل الصانع يدخل عدن - يعني: الإمام - وإذا بنا رجعنا إلى الجماعة، وقد صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقفًا على قعادة لي صغيرة وأرجلها من صندل أحمر، والبساط الذي أقعد عليه، وهو بساط من حرير، وعلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دراعة مسح علي ثم انتبهت.

فلما كان الليلة الثانية: وإذا أنا أرى الجماعة، وهم: أبو بكر وعمر وعلي، ونحن على تلك الحال التي فارقناهم فيها الليلة الأولة، ولم أر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأني أروم معاصرة عمر، فانتبهت فزعًا.

فلما كان الليلة الثالثة: وإذا بي أرى الجن وأنا مثل المتفرس عليهم، وعليهم شراقوشات[1] الصَّناعنة، وصورهم مثل صور الآدميين لا فرق إلا أني أفهم أنهم الجن، فتعجبت من هذه النكتة العجيبة.

قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله: هذا منام عجيب، يدل على بشارات وإشارات حسنة، ولا يصلح إلا أن تكون لمثله، أصلحه الله صلاحًا حسنًا، ووفقه للعمل بما يرضيه، إنه على ذلك قدير.

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور: وصل الشَّيخ شمس الدين علي بن الرياحي السرحي شيخ مشايخ العرب طائعًا مختارًا، ووصل معه أهله وقرابته، فقابلهم السلطان بالقبول وصرف له وللواصلين ثلاث مئة وخمسين قطعة من الملابس الفاخرة وصرف له بغلة بزُنَّار وأعطاه خمسة آلاف دينار.

---

(1) شراقوش: غطاء خاص بالرأس مخروط الشكل (الملابس المملوكية لماير: 56).

وفي هذا التاريخ: حصل حريق في زبيد كان ابتداؤه من ناحية المجزرة وأخذ شرقًا وشمالًا، فحرقت فيه بيوت كثيرة وتلفت أموال جَمَّة.

وفي هذا التاريخ: توفي الطواشي معتب[1] الأشرفي زمام الجهة الكريمة والدة مولانا الملك الناصر وإخوته أولاد مولانا الملك الأشرف.

وفي يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول: وصل عَلَم الحَجِّ المنصور من مكة المشرفة إلى مدينة زبيد، ووصل عِدَّة من الحجاج وأخبروا أنه وصلت كتب إلى مكة المشرفة وألقيت في المقامات الأربعة، نسخها متفقة في المعنى مختلفة في اللفظ، وقعت لي نسخة منها فأثبتها، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المهدي خليفة سيد البشر أمير المؤمنين محمد بن عبد الله، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه بشارة وبشرى وتذكرة وذكرى إلى مكة أم القرى ندعو إلى رب العالمين بما ورد في الكتاب المستبين، واسند إلى الصحيح من سيد المرسلين وأصحابه المطهرين صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين، أجيبوا إمامكم تجدوا الحق أمامكم بدواع سليمة لموارد سليمة، فما دعوت لهذا الشأن حتى دعاني الملك الديان فأجبته داعيًا إليه، فأتمروا بما أمرت، والتزموا ما التزمت، وكونوا كالبنان والبنيان وكالنصرة الواحدة في الأديان، هذه سجية الأعوان والأكوان، أسرعوا وسارعوا أيما إسراع، وأقبلوا إلى الله في صحة الإقلاع ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:104]، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء وصيتكم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وأتباعه الطاهرين، وجعلنا نتبع آثارهم ونقفو آثارهم، ونفع بهم، آمين آمين آمين، انتهى[2].

وفي سلخ شهر ربيع الآخر: اقتتل الفرس[3] والأشاعر بوادي زبيد فقتل من الفرس خمسة رجال ونهبت محلتهم[4] وحرق بعضها، فتأدبت الأشاعر بخمسة عشر ألف دينار.

(1) في (و): حفيت وفي فاكهة الزمن: 996 (مغيث) خطأ في المطبوعة.

(2) قلت: مثل هذه المرائي والتخرصات الكاذبة يروّج لها الشيعة والصوفية ليكون لهم قبول عند العوام.

(3) في (و): القرشيين.

(4) في (ع): محطتهم.

وفي غرة جمادى الأولى[1]: ورد أمر السلطان بزيادة معاد في القطيعة في كافة جهات المملكة، وإبطال مصالحة العطب على الرَّعية بوادي زبيد صَدَقة مستمرة، وقرئ المنشور بذلك في جامع زبيد يوم الجمعة الرابع من الشهر المذكور، وكانت هذه من فعلات السلطان الحسان، وكثر الدعاء للسلطان.

وظهرت هالة على الشَّمس في يوم الأحد الثالث والعشرين من الشهر المذكور، مثل الهالة التي ظهرت في السنة الأولى.

وفي يوم السادس عشر: وصل الشَّريف أبو الفضائل الهدوي إلى باب السلطان فأكرمه السلطان وأنصفه، وتواترت القبائل.

وفي أول جمادى الأخرى: تَقَدَّم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم السابع من الشهر المذكور.

وتوفي[2] القاضي برهان الدين إبراهيم بن أحمد التهامي، وهو آخر من ولي القضاء من بني التهامي.

وفي هذه السَّنة: أمر السُّلطان بعديد النخل من وادي زبيد على يد القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم، وندب القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي بعديد النخل في الجهات اليمانية، [وهي الحليلة والزهاوي والأوشج والسحاري][3].

وتَقَدَّم السلطان إلى النَّخل بوادي زبيد يوم العشرين من الشهر المذكور.

وفي التاريخ المذكور: انهدم ركن من أركان حصن تعز مما يلي برج السنبلة على جماعة من الأجناد، فهلك منهم اثنان وسلم الباقون.

وفي هذا التاريخ[4]: استمر القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشكيل[5] في وادي سهام.

وفي غرة شعبان: توفي الطَّواشي جمال الدين طريف زمام الباب الشريف باب السلطان، وكان خادمًا حازمًا، [صابرًا][6] قائمًا بما يتولاه.

---

(1) العقود: 751 وفاكهة الزمن: 997 وفيه «تصدقنا على أهل التهايم أجمع بزيادة معاد» الخ.

(2) العقود: 752.

(3) سقط من العقود.

(4) العقود: 752.

(5) في (و): الأشكل. انظر العقود: 753.

(6) زيادة من (ع).

وطلع السلطان من النخل يوم السابع عشر من شهر شعبان. وتقدم إلى تعز يوم الثامن عشر، وصام السلطان هذه السنة في تعز، فكانت إقامته في دار الوعد.

وفي العاشر من رمضان: وصل القاضي شرف الدين الفارقي بخراج نخيل الجهات الموزعية.

وفي الثامن عشر: أرسل الأمير بهاء الدين الشمسي بخيل أهل الحنكة وكانت أربعين رأسًا.

وفي آخر شعبان[1]: وصل الأمير سيف الدين قيسون إلى باب السلطان، فكساه السلطان وأنعم عليه، وكان السلطان قد طَرَدَهُ يوم قِصَّة المماليك في القوز، وقد تقدم ذكرها.

ولما انقضى رمضان عزم السُّلطان على تطهير أولاده، وأمر بتحصيل ما لا بد منه مما تدعو الحاجة إليه من الخزائن على اختلاف أنواعها من الطير وذوات الأربع والبيض، ومن الحنطة والسمون والعسلان والأرزاز، ومن الرُّمان والعدس والقرطم والحُمَر والزَّبيب واللوز والسكر والزعفران والنشأ والفلفل والكَزْبرة والزنجبيل والبصل والثوم والكَمُّون والملح وسائر التَّوابل، وكذلك القرفة والمصطكا والسنبل والجوزبوا والشونيز والبسباسة، ومن البقول على اختلاف أنواعها وأجناسها كالفجل، والقرع، والموز والبطيخ والرطب والأعناب وسائر الفواكه.

ومن الحطب والشَّمع والسليط وآنية الصِّيني واليشم والقاشاني والفَخَّار من الصحون والزَّبادي والجِرَار والأَدْوَاح والكِيْزان البِيْض والطباشير والقراريب[2] والمطاهر[3].

ومن أنواع الرياحين كالفلّ والوَرْد والنَّرجس والياسمين والمنثور والكاذي والأترج والبلح وأشباه ذلك.

ومن أنواع الطيب كالمِسْك والعَنْبر والصَّنْدل والبَنَفْسَج والأُلُوَّةِ والشند والنَّد. وماء الوَرْد والغوالي[4]، ومِمَّا لا يدخل تحت العد والحَصْر شيء كثير.

ومن أنواع الحلوى وما ينضم إليها كالمبسوط والمُشَبَّك والقاهرية والقَرْعِية والشيزرية والفانيذ والخشخاش وأشباه الطيور والبطاطيخ والقطائف المقلية والخبايص والخشكنان والكعك المطابق والكعك المحشو، والجوز واللوز والزبيب الأخضر والقسب[5].

---

(1) العقود: 754.

(2) القراريب: جمع قربة (معروف).

(3) أجمل المؤلف هنا سائر محتاجات المطبخ ومستلزمات البيوت في ذلك العصر.

(4) الغوالي: جمع غالية، العطر.

(5) التمر اليابس (المصباح المنير: 502).

ومن المشروب كالسوبيا(1) والفقاع(2)، وأشباه ذلك مما لم يذكر. وأشعل من قصور الشمع الملونة والشماع المزهرة شيء كثير.

ووصل الأمراء والمقدمون من سائر الجهات، فوصل أمير زبيد الأمير عز الدين هبة بن محمد بن الفخر، ومشدها القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم.

ولما انقضى [شوال](3) احتفل أهل الديار، بل سائر الناس لذلك احتفالاً عظيمًا، فاستحضروا من المخضِّبات نحوًا من ثمانين امرأة، واستحضروا من نساء الأمراء والمقدَّمين والقضاة والمتصرِّفين وأكابر أهل البلد، فلم يتخلف منهن امرأة.

وحَمَل الأمراء والمقدَّمون وكبار أهل الدَّولة التقاديم النفيسة إلى باب الدار، فحمل الأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي نحوًا من ستين جملًا يحملون الشمع المزهر والقصور الملونة والمشام المشبوكة وشيئًا كثيرًا من المأكول والمشموم.

وحمل القاضي شهاب الدين الوزير شيئًا كثيرًا يجلُّ عن الوصف ويزيد على الحصر، وكذلك الطواشي صفي الدين جوهر بن عبد الله الصيني أمير حصن تعز يومئذ، والقاضي شرف الدين الفارقي والقاضي رضي الدين أبو بكر الصانع والأمير بهاء الدين بهادر بن عبد الله الشمسي، والأمير بدر الدين حسين بن عبد الله الخراساني، والشيخ شرف الدين السفساف، والأمير فخر الدين أبو بكر العراقي صاحب حصن صَبِرْ.

وكان كل من حمل حملًا مِمَّن ذكرناهم وغيرهم، يجعل قبل حمله رأسين من البقر جَيِّدِين على أتم ما يكون من الحسن وعليهما ثوبان من الحرير الملون، ويصل معه عدّة من المغاني والرياحين والبَوَّاقين(4) يزفُّون كل حمل إلى باب الدار المعروف بدار النّصر من ثَعَبَات المعمورة، فإذا قد وصلوا باب الدار المذكور قام مقدم الجَزَّارين [فينزع الثياب الحرير، ويذبح ما وصل من الجزائر](5)، فإذا ذبح ما أُتِيَ به إلى هنالك، أخذه من حضر من

(1) نبيذ يتخذ من الحنطة (تاج العروس س وب).

(2) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير.

(3) قلت: هذا البذخ والزيادة في الكماليات يدلُّ على أن اليمن كان يعيش في نعيم ورفاهية.

(4) البواقين: هنا هم الذين ينفخون بالأبواق جمع بوق (معروف).

(5) سقط من (ع).

الغلمان كالسُّوَّاس والحَمَّالة والبَوَّاقين وغلمان البساتين، وأهل الإصطبلات والفَيَّالِين[1]، وغيرهم ممن ينخرط في سلكهم.

وفي يوم السادس من ذي القعدة المذكور: أمر السلطان بركوب العساكر المنصورة إلى الميدان السعيد بثَعَبَات المعمورة بكرة وعشيَّة ثلاثة أيام، فلم يتخلف أحد من الوزراء والأمراء المقطعين والمشدِّين، وسائر المقدمين وكافة الجُنْد والرجل، والطبلخاناة تخدم على باب الدار ليلًا ونهارًا.

وكان الطهور المبارك يوم الخميس التَّاسع من الشهر المذكور، فَحَضَر الناس على اختلاف طبقاتهم من الوزراء والأمراء المقطعين والمشدين وكبار الدَّواوين والمُتَصَرِّفِين والقضاة والفقهاء وكبراء أهل الوقت، ودخل الجميع إلى سماط قد أتقنته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته[2]، لم ير الراؤون أعظم منه بعد أن أفيضت الخلع الملوكية والشاسات المذهبة، وكسي الحاضرون على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم من غلمان السلطان خاصة، ثم خرجوا من مجلس السِّماط إلى مجلس الحلوى فأخذوا منه بحسب ما أرادوا، ثم قاموا إلى سماط فيه من الجوز واللوز والزَّبيب والعنب والسوبيا والفقاع والفستق والبندق، وما أشبه ذلك شيء كثير، ثم قاموا إلى مجلس الطيب فاستعملوا منه شيئًا كثيرًا من المسك والعنبر والماء ورد، والشند والغالية وكان يومًا مشهودًا لم يكن في الدهر مثله.

قال علي بن الحسن الخزرجي: وكنت ممن حضر ذلك وشاهدته شيئًا فشيئًا، وحضر عِدَّة من فصحاء الشعراء بالقصائد الفاخرة، وأجيزوا الجوائز السنية، وهم: الفقيه موفق الدين علي بن محمد الناشري، والفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي، والفقيه رضي الدين أبو بكر بن فارس، والفقيه عفيف الدين عثمان بن أبي بكر [الأصبحي، والفقيه نورالدين علي بن إياس][3] الحموي، والفقيه برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر العزيزي، والفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الصبري، والفقيه صارم الدين إبراهيم الجحافي، والفقيه موفق الدين علي الطيبي، والفقيه بدر الدين حسن بن علي الحجازي، ولم يمكنني إثبات قصيدة أحد دون الآخر، وفي إثبات جميعهم تطويل وملل، ورأيت أن لا أخلي هذا

(1) أي الذين يسوسون الأفيال.

(2) جهاته: هنا جمع جهة كناية عن المرأة – يعني النساء –.

(3) سقط من (و).

السُّرور العظيم من قصيدة، وكنت ممن قال في ذلك الفرح العظيم ما يعد به من المُحبِّين، فأثبَتُّ قصيدتي(1) التي قلتها يومئذ، وأنا أعلم أنها دون كل ما قيل، لكن ألجأت الضرورة إليها، وهي(2): [من الكامل]

هَبَّ النَّسيم مُعَنْبَرُ النفحات ... وشَدَا الحمام بأطيب النغمات
وتضوَّع اليمن الخصيب بأسره ... بالطِّيب من عدن إلى عرفات
وتألق البرق الكليل فأشرقت ... أنواره في حَنْدس الظُّلُمات
فرحًا بتطهير الملوك الأكرميـ ... ـين الأعظمين الجلَّة السادات
أولاد مولانا ومالك عَصْرنا ... قَمَرُ الخلافة صادق العَزَمَات
الأشرف بن الأفضل بن علي بن دا ... ود بن يوسف قَسْور الغابات
أشباهه في الخَلْق والخُلْق الرضي ... والحَزْم والحَرَكات والسَّكنات
والجود يوم السِّلم والإفضال والـ ... إقدام يوم الرَّوع والفَتَكَات
فالدُّوح ترقص في غلائل سندس ... والجَوّ ينثر لؤلؤ القَطرات
والروض معتّم النبات بِنَرْجِس ... وشقائق تُزْرِي بكلِّ نبات
والنَّاس في فَرَحٍ وفي مَرَحٍ وفي ... لَعَبٍ وفي طَرَبٍ وفي لَذَّات
والطَّير ذا شاد وهذا زامر ... فَوْق الغصون بأفصح الأصوات
والكل يدعو باختلاف لغاتهم ... في كُلَّمَا وقت من الأوقات
يا ربِّ مَهِّد للممهد ملكه ... وانصره واحرسه من الآفات
وافتح له فَتْحًا مبينًا واكفه ... صِرْفَ الرَّدى وتغيّر الحالات
حتى تدين له البلاد بأسرها ... بالسَّيف من مِصْرٍ إلى قَلْهَات

---

(1) قلت: كان الأولى أن يثبت قصيدة ابن المقري التي أولها:

سرور عم حتى ما عرفنا ... مهنِّي العالمين من المهنا
وأفراح تَرَوَّى الدهر منها ... وصَفَّق وانثنى طربا وغَنَّى

(2) أعاد المؤلف كتابتها في كتابه الآخر العقود اللؤلؤية: 758 - 760 (تحقيقنا) ط الإرشاد سنة 1430هـ.

الأشـرف الملك الـذي عَـمّ الـورى بالفضل والإحـسـان والـحَـسَـنات
وحوى الفضائل والفواضل والنُّهى والـمُـكْـرَمـات الـغـرِّ والـجَـفـنَـات
مـلـك لـه تـعـنـو الـقـبـائـل طاعـة ولـه يـديـن الـكِـسْـرويُّ الـعـاتـي
والماجد المتفضل المتعطف المتـ ـطـول الـمـتـهـلِّـل الـقَـسَـمـات
في وَجْـهـه نـور الـهـدى متشعشع مـتـكـشِّـف عـن واضـح الآيـات
يَـغْـزو فيغزو الطَّـير فـوق جيوشه والـوَحْـش معه يسير فـي الجَنبَات
ذو فِـطْـنـة ينبيك قـبـل غَـدٍ بما سـيـكـون بـعـد غـد بـمـا هـو آتـي
وسـمـاحـة وفـصـاحـة وصَـبَـاحـة وشَـجَـاعـة ورجـاحـة وأَنَـاتِ
ومـواقـف مـشـهـورة ومـشـاهـد مـذكـورة ومـكـارم وصِـلَاتِ
وإصـابـة وإنـابـة وبـراعـة وسِـيـاسَـة وفِـرَاسـة وثَـبَـاتِ
وسـعـادة أغـنـتـه يـوم نـزالـه عَـنْ سَـلِّ صـمـصـام وهَـزِّ قـنـاة
يـا سَـيِّـد الـخـلـفـاء دعـوة حـازم يَـدْعُـو الإلـه بـصـالـح الـدَّعـوات
في كُـلّ يـوم بـكـرة وعـشـيـة قَـبْـل الـصـلاة وبـعـد كـل صـلاة
بـالـعـز والإقـبـال مـا طَـيْـر شـدا والـسُّـعـد والـتـوفيـق في الحركات

وفي يوم الجمعة: أجاز السُّلطان [الجماعة][1] الشعراء وغيرهم ذهبًا وفضة، وانتشر جوده وعَمَّ كثيرًا من الناس بِرُّه.

وفي يوم الإثنين الثالث عشر من الشهر المذكور[2]: برز مرسوم السلطان بأن يحمل للشريف فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة حمل [طبلخانه][3] وعلم، وجَرَّده إلى البلاد العليا، وحمل له من المال نحوًا من سبعين ألفًا خارجًا عن الكساوي والخَيْل والآلات، وكان تقدَّمه يوم الثالث من الشهر المذكور.

(1) زيادة في (و).
(2) فاكهة الزمن: 998.
(3) سقط من (و).

وفي غرة ذي الحجة: تَقَدَّم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الثالث من الشهر المذكور، فأقام في بستان الراحة وعَيَّد عيد النحر فيه.

وفي يوم الثاني عشر منه[1]: استمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله الناشري قاضيًا في تعز المحروس.

وفي الثالث عشر من الشهر المذكور: نَزَل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري من حصن منابر إلى مدينة المهجم على الذمة الشريفة.

وفي هذه السنة: توفي الطواشي كمال الدين فاتن أمير ثَعَبَات، وكان حازمًا عظيمًا رؤية وسماعًا، وكان جَبَّارًا مَهِيبًا سَفَّاكًا فتاكًا، وكان له من المآثر الدينية المسجد الذي بناه في مَغْربة تعز فوق حافة الملح، تجاوز الله عنه.

وفي سنة خمس وتسعين وسبع مئة[2]: وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري إلى الأبواب الكريمة مشتملًا بالذمة الشريفة، وكان وصوله يوم الحادي والعشرين من المحرم من السنة المذكورة، فلما وصل إلى الباب الشريف أقبل عليه السلطان وكساه كسوة فاخرة، وقدم له بغلة بزنار، وأخرى بغير زنار، وأمر له بإقامة سماط في بيته للواصلين معه من العسكر، وطلبه بعد ثلاثة أيام إلى المقام الشريف، فلما حضر عاتبه معاتبة لطيفة وآنسه من نفسه أنسًا تامًا.

وفي يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور: أسلم يهودي في مدينة زبيد فأركب بغلة وزُفَّ بالموكب وكسي كسوة فاخرة.

ولما من الله بعافية أولاد السلطان من ألم الختان أمر السُّلطان بعَمَل فرحة في زبيد، ودخل أولاد السلطان الحَمَّام الصَّلاحي، فلما خرجوا من الحمام إلى الدار السلطاني في جملة العساكر وحضر يومئذ كافة الجُنْد من الغز والأمراء والفقهاء والقضاة، ودخلوا على سماط كامل فيه من أنواع المطعومات ما يعرف وما لا يعرف، وانتقل منه الحاضرون إلى سماط من الحَلْوى فيه من كافة أنواعها، ثم إلى مجلس الطيب وكان يومًا تام السُّرور، وذلك يوم الإثنين الثامن من شهر صفر.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 761 وفاكهة الزمن: 998.

(2) العقود اللؤلؤية: 761 وفاكهة الزمن: 999.

ووصلت[1] خزانة من سهام أرسل بها القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشكيل، ووصلت خزانة أيضًا من الجهات الشامية أرسل بها الأمير بهاء الدين الشمسي، ووصلت خزانة أيضًا من عدن صحبة الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي.

وفي ليلة الثالث والعشرين: أمر السلطان بتأسيس دار النَّصر بزبيد[2]، ووضعت عتبته[3] السفلى يوم العاشر من شهر ربيع الأول.

وفي غرة شهر ربيع الأول: استمر الطَّواشي جمال الدين مرجان مقطعًا في القحمة وسار إليها.

وفي الرابع والعشرين: وصل الأشراف أصحاب جَهْران إلى باب السلطان، ووصل بعدهم ابن الأنف في يوم السادس والعشرين.

وفي الثاني عشر من ربيع الآخر: استمر القاضي الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي مقطعًا في القحرية والمقصرية.

وتقدم السلطان إلى محروس تعز في الخامس عشر من ربيع الآخر، ووصل عَلَمُ الحج المنصور من مكة المشرفة في الخامس عشر من ربيع الآخر.

وفي [ليلة][4] **السابع والعشرين من جمادى الأولى**: دفع وادي زبيد بسيل عظيم، قيل: إنه أعظم من سيل المسلب، وحَصَل من هذا السيل ضرر عظيم في الوادي أخرب جانبًا من محل ماتع وشيئًا من محل طرقوه وبعض محل حريرة، وأتلف من النخل عدةً مستكثرة.

وفي التاسع من جمادى الآخرة: تَقَدَّم السلطان من تعز إلى محروس زبيد فدخلها يوم الثاني عشر من الشهر المذكور.

وفي الثاني والعشرين منه: قتل الشيخ محمد بن عبد الله بن يحيى بن فخر[5] النخلي قتله رجل يقال له: سليمان أحد بني الزحوي[6] وجده نائمًا فضربه بمهربة[7] من حديد في رأسه ضربتين أو ثلاثًا، ثم هرب إلى بلد المعازبة.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 763 وفاكهة الزمن: 999.

(2) العقود اللؤلؤية: (بالقوز الأعلى).

(3) في (ع): عتيبته.

(4) زيادة في (و).

(5) في (ع): فخر الدين المحلّي.

(6) في (ع): الرحمي.

(7) المهربة: خشبة تستعمل في الحرث.

وفي هذه السنة(1): أمر السلطان بعديد المساجد والمدارس في زبيد، وكان عددها مئتين وبضعًا وثلاثين موضعًا، وعدت المعاصر فكانت ستة أو سبعة وعشرين عودًا.

وفي الثاني والعشرين من رجب: تَقَدَّم السلطان من زبيد إلى النَّخل، فأقام فيه أيامًا، ثم تقدم إلى البحر فأقام فيه أربعة أيام، ثم رجع إلى النخل، ثم سار إلى زبيد فأقام في بستان الراحة وصام السُّلطان هذه السنة في زبيد.

وفي شهر رمضان المذكور: وصل كتاب من كاليقوط(2) إلى السُّلطان مترجمًا عن القاضي بها وعن التُّجار المقيمين ببذل طاعتهم للسلطان ويستأذنونه في إقامة الخطبة له بها، ولم يك خُطِب لأحد فيها من ملوك اليمن، ولا من ملوك مصر، ولا من غيرهم، وكان صاحب دلي(3) قد غلب عليهم في أول الدهر، وكذلك أيضًا صاحب هرموز فكانوا يخطبون لهما معًا، فلما جاءت كتبهم إلى السلطان قبل ما بذلوه من الطاعة وأنعم عليهم إنعامًا تاما، وأذن لهم وكسا القاضي كسوة سنية(4).

وفي العشر الأواخر من رمضان(5): جاءت كتب أهل الشِّحر يخبرون بهزيمة الخائن ابن بوز الذي يسمى الأسد، خرج منها هاربًا مطرودًا، وقبضها بعده غلام السلطان ابن شماسة.

وفي الخامس من شوال: استمر الأمير شمس الدين علي بن محمد بن حسان أميرًا في الثغر المحروس، واستمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مشدًا في المحالب وكساه السلطان وحمل له حملًا وعلمًا، وأقطعه حرضًا وجعل إليه النظر في الأعمال السرددية، وتقدم إلى الجهات المذكورة يوم الثامن من شوال.

وفي شوال المذكور: توفي القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري، وكانت وفاته يوم السادس من الشهر المذكور، ودفن في مقبرة باب سهام قريبًا من تربة الشيخ الصالح إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي من شرقيه، وكان، رحمه الله تعالى، رجلًا كاملًا لبيبًا عاقلًا شهمًا جوادًا، يقول شعرًا حسنًا، مشاركًا في فنون العلم.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 766 وفاكهة الزمن: 1000.

(2) بلد بالهند هو ما يعرف بكلكوته (سبق ذكرها).

(3) هي المعروفة اليوم بدهلي أو دلهي انظر ذكرها في هامش ص: 767 من العقود اللؤلؤية (تحقيقنا).

(4) أورد المؤلف في العقود: 768 صورة كتاب بعثة سلطان الهند إلى الأشرف وكذا في فاكهة الزمن: 1001.

(5) العقود: 770 وانظر البهاء في تاريخ حضرموت لابن حسان (تحقيقنا): 186.

وفي الثامن من شوال: تقدم السلطان إلى محروس تعز واستمر الأمير سيف الدين قيسون أميرًا في الجثة عوضًا عن الأمير فخر الدين السنبلي.

وفي اليوم السادس من شوال: توفي الفقيه محمد بن شافع، وكان من أصحاب الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، فحضر يومئذ سماعًا للفقراء، فلما غنى المسمِّع في السماع دخله شيء من الوجد، فقام من موضعه وقعد عند المغني ساعة، ثم رمى بنفسه على المغني واعتنقه ساعة، ثم فترت قواه فخر مغشيا عليه، فتركوه ساعة ثم كشفوا عن وجهه فوجدوه ميتًا، وكان رجلًا خيرًا كثير السَّعي في قضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم، وكان بيته مأوى لمن أراد من الفقراء وغيرهم من الأصحاب ولم يكن له ولد ولا زوجة، وكان في بيته نحوًا من عشرين أو ثلاثين سنورًا ما بين ذكر وأنثى وهو يشتري لهم ما يأكلونه ويطعمهم ويهتم بهم، رحمه الله تعالى، وقبر عند قبر القاضي وجيه الدين النظاري.

وفي الحادي والعشرين من شوال المذكور[1]: توفي أبو بكر السلاسلي وهو رجل من أهل زبيد، كان قد تَنَسَّك وصحب الصوفية وجاهد نفسه وهام حتى ألقى الثياب التي عليه، وكان يسير عريانًا لا شيء عليه، وهو يدور في الشوارع والسكك على تلك الحالة، وإن ألبسه أحد ثوبًا جديدًا أو قميصًا فلا يقف عليه أكثر من يومه ذلك ويطرحه، ولم يزل كذلك إلى التاريخ المذكور. فلما كان ليلة الحادي والعشرين وصل إلى بيت أخت له في المدينة، فألقى نفسه على الأرض فحملوه ودخلوا به إلى البيت، فأشار إلى السرير فوضعوه عليه فأمسى على ذلك السرير ليلته إلى الصباح فأصبح ميتًا، فدفن في مقبرة باب القرتب، وهو الباب اليماني بزبيد، وقبره قريب من الباب وحضر دفنه كثير من الناس، وحضر والي البلد ورؤساؤها ولم يكن به مرض قبل تلك الليلة، والله أعلم.

وفي الخامس عشر من ذي القعدة[2]: تقدم عَلَمُ الحج المنصور إلى مكة المشرفة.

وفي الرابع من ذي الحجة: أَسْلم يهودي في مدينة زبيد فكساه القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري الحاكم يومئذ بزبيد، وكساه الأمير عز الدين هبة بن محمد بن الفخر أمير زبيد يومئذ.

---

(1) العقود: 771.

(2) العقود: 773.

وفي العشر الوسطى من ذي الحجة: عدم البر خُبْزًا وحَبًّا ودقيقًا، فأقام نحوًا من ثمانية أيام، ثم جلب فرخص رخصًا تاما بحمد الله تعالى.

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة: توفي القاضي زكي الدين أبو بكر بن يحيى بن أحمد بن موسى بن عجيل، وكان وفاته في مدينة تعز وقبر في مقبرتها، وكان أوحد زمانه فطنة، وكان لا يوجد له نظير في وقته، قرأ كثيرًا من فنون العلم، وبرع في كل فن، وأسند إليه السلطان القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية، فكانت مدته في القضاء ثلاث سنين وأربعة أشهر وثمانية أيام، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وتسعين(1): تقدم السلطان من تعز إلى محروس زبيد فَدَخَلها يوم السبت الحادي عشر من المحرم فأقام في قصر بستان الراحة.

وفي سلخ الشهر المذكور: قتل إسحاق بن محمد بن إسحاق الكاتب في مدينة حرض، قتله جماعة من العَسْكَر وبنو سبأ، وكان رجلًا شِرِّيرًا بذيَّ اللسان، عفا الله عنه.

وفي الثامن عشر من صفر(2): توفيت الجهة الكريمة جهة الطواشي الأجل جمال الدين معتب بن عبد الله الأشرفي، والدة مولانا السلطان الملك الناصر(3)، وكان وفاتها في القصر من دار النَّصر ودفنت ضُحى يوم الأربعاء التاسع عشر من صفر في التربة المعروفة هنالك شرقي تربة الشيخ الصالح طلحة بن عيسى الهتار من مقبرة باب سهام، وحصل في ليلة وفاتها مطر شديد عام في البلاد، واستمرت القراءة عليها سبعة أيام، فلما انقضت السَّبعة الأيام رَتَّب مولانا السلطان الملك الأشرف على قبرها مئة قارئ يقرؤون ليلًا ونهارًا، فأقاموا شهرًا، وكساهم جميعًا وأجازهم ورتب عشرين قارئًا منهم مؤبدين وبنى لهم عشرين بيتًا هنالك يسكنونها، ولحقه عليها حزن عظيم وأسف شديد، وعقر على قبرها يوم وفاتها عدة رؤوس من الإبل والبقر، وأتلف كثيرًا من البهائم.

وكانت امرأة كثيرة الصَّدقة، كثيرة الخير تفعل المعروف كثيرًا على يد غيرها، خارجًا عَمَّا تتظاهر بفعله من أفعال البر، وهي أم أربعة من أولاده الذكور، وهم: عبد الرحمن الفائز وأحمد الناصر والعباس الأفضل، وعلي المجاهد.

---

(1) العقود: 774 وفاكهة الزمن: 1005 يقول: «توجهنا من تعز إلى زبيد» الخ.

(2) العقود: 774 وفاكهة الزمن: 1005.

(3) في (ع): الأشرف الناصر.

ولها من المآثر الدينية: المدرسة المعتبية في ناحية الواسطة من مدينة تعز، فيها إمام ومؤذن وقيم، ومدرس ومعيد وطلبة ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن.

ولها عِدَّة سبل في مقاطع الطرق يردها السَّارح والرائح، وكانت تأمر بإصلاح الطرقات والمُدَرَّجات، وما في السبل من عقاب، وما يتضرَّر به المارون من الشجر وغيره.

ورثاها جماعة من الشعراء المجيدين، منهم: الفقيه موفق الدين علي بن محمد الناشري، والفقيه جمال الدين محمد بن علي الراعي والفقيه رضي الدين أبو بكر بن عبد الله الهبيري[1]، والفقيه[2] شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري وغيرهم من الأفاضل البلغاء، ولم يكن في ذهني يوم أثبت هذه الترجمة شيء من قصائدهم، فأثبت هذه القصيدة وجعلتها سدادًا من عوز لما لم أجد في تلك الساعة شيئًا غيرها، وهي[3]: [من الطويل]

تَعَزَّ ولا تَجْزَعْ لنائبة الدَّهْر ... وقابل عظيم الرزء[4] بالحَمْد والشكر
ولا تكترث إن ناب خَطْب فقد قَضَى ... بما قد قَضَى في الخَلْق ذو النَّهي والأمر
لكل امرئ كأس من الموت مُتْرَعٌ ... ولكنَّنَا نسري إلى أَجَل يَسْري
فَحَمْدًا على حُلْوِ القضاء ومُرِّه ... وصَبْرًا فإن الصَّبْر من شيمة الحر
على ذا مضى الناس اجتماعًا وفرقة ... وكل بِذَا يَدْري وإن كان لا يَدْري
فَكَمْ من قرون قد مضوا لِسَبِيلهم ... فَهُم بين أطباق المهامه والقَفْر
وكم أُمّة عظمى خَلَتْ بعد أمة ... كما قد خلا في الشَّهر أمس من الشهر
وكم من ملوك قد مضوا وتتابعوا ... كما انتثر السِّلك الفريد من الدُّر
وكم لك من جَدٍّ عظيم متوَّج ... إذا قيس لا يُحْكى بزيد ولا عَمْرو

---

(1) كذا، ولعل صوابه: المهيري. انظر جدَّه أبا بكر ابن عمر المهيري في تحفة الزمن 2: 351.

(2) انظر مرثية الفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ في ديوانه: 451، وأولها:

في الله سبحانه عمَّى مضى خلف ... فلا ينل منك فرط الحزن والأسف

وأخرى يقول فيها:

حكم مضى وقضاء لا نغالبه ... ضاقت على ذي الحجى مِنَّا مذاهبه

(3) انظرها في العقود اللؤلؤية: 775.

(4) الأصل: الذنب، والإصلاح من العقود.

فَعَوَّضك الرحمن صَبْرًا وعصمة ... وأجرًا على عُظْم الرَّزية في القدر
[ولا زال][1] عَفْو الله يسقي ضريحها ... بِمُثْعَنْجَرٍ يغدو مسحنفري يسري
مَشَتْ زُمُرُ الأملاك من حول نَعْشِها ... يهنُّون بالبشرى من الله والبِشْر
وكم من مليك حافيًا من أمامها ... ومن خَلْفها يَمْشي وأدمعه تجري
لقد أوحشت منها قصور منيفة ... وكانت إذا ما أسفرت زِينَة القصر
فَيَا لَيْلَة ما كان أَوْحَش بَثَّها ... وقد كنت ذا بأس شديد وذا صَبْر
بَكَتْها السما والأرض يوم وفاتها ... وأمسى سَحاب الأفق أدمعه تسري
فَحَسْبي من يوم تَقَضَّى وليلة ... وحَسْبي من صَدٍّ صددت ومن هَجْر
وسُقْيًا لأيام تَقَضَّتْ عهودها ... ورُعْيًا لعصر قد تَقَضَّى من العصر
فيا أم عباس ويا أم أحمد ... ويا أم عبد الله يا دُرَّة النَّحر
لقد طال ليلي بعد ليلتك التي ... تَمَنَّيْت فيها أنها ليلة الحشر
فإن كنت قد غُيِّبْتِ عَنِّي فلم يَغِبْ ... خَيَالُكِ عن عَيْني وذكرك عن ذِكْري
وما أنت إلا الشَّطر منِّي حقيقة ... وما شطر شيء بالغَنِيِّ عن الشَّطْر
وما راقني من بعد فقدك رَائِقٌ ... وما شاقني ما في العيون من السِّحر
ولم يُلْهني قرب الغزال الذي رَنَا ... ولم يَشْفني طَيْف الخيال الذي يَسْري
على وَجْهك الميمون حَيًّا وميتًا ... سلام يزيد العِطْر عطرًا إلى العطر
سلام على ذاك الجَبين ورَحْمة ... على شَخْصك المدفون في ذلك القَبْر
عليك سلام الله ما ذَرّ شارق ... وما بات نَجْمٌ في دُجنته يَسْري
وما غَرَّدت وُرق وما حَنَّ راعد ... وما لاح بَرْقٌ يستطير ويَسْتَسْري
يهوِّن وجدي فيك أنك في الورى ... من الذَّاكرين الله في ساعة الذكر

---

(1) سقط من (ع).

وما فيك من نسك وما فيك من تقى   وما فيك من سر وما فيك من برِّ
وعِلْمي بأن الموت لا بد وَاقعٌ   وأني أَحْرى بالتَّجَلُّدِ والصَّبْر
ولا شك عندي ثَمَّ لا شك أنما   تَنَقَّلَت من قَصْر منيف إلى قَصْر
فلو جاز أن تُفْدى لما غُلِيَ الفدا   [ولو كان بالأعمار شَطْرٌ إلى شطر
ولو جاز أن تحمى حميت من الردى][1]   بهندية بيض وخطية سمر
ومعرقة قب عتَّاق شَوَازب   وأسد غطاريف جحاجحة غُرِّ
بهاليل من غَسَّان من آل جفنة   فروعهم فرعي ونُجْرهم نَجْري[2]
ولكنَّ أمر الله للنَّاس غالب   وكلهم تحت الإرادة والقهر

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه[3]: ولَمَّا كان بعد أسبوع من وفاة الجهة الكريمة المذكورة توفيت الآدر[4] الكريمة جهة حافظ بنت مولانا السلطان الملك المجاهد، وأقام السلطان الملك الأشرف بعد وفاة الجهة المذكورة شهرًا كاملًا في قصر دار النصر لا يدخل ولا يخرج إلا في جَوْف الليل إلى التربة المذكورة يقرأ ما تيسر من القرآن.

فلما كان يوم الأربعاء من شهر ربيع الأول: انتقل السُّلطان من دار النَّصر إلى الدار الكبير السلطاني بزبيد.

وفي هذا التاريخ: تَزَوَّج مولانا السلطان بالجهة الكريمة جهة الطواشي جمال الدين فرحان الأشرفي، وأقام السلطان في مدينة زبيد شهرًا كاملًا.

وفي أواخر الشهر المذكور: وَصَلَ عَلَمُ الحَجِّ المنصور.

وفي نصف شهر ربيع الآخر: أغار السلطان إلى بلد المعازبة فقتل منهم جماعة ونهب العسكر قراهم نهبًا شديدًا، ورَجَع السلطان إلى زبيد فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم خرج يوم

---

(1) سقط من (ع).

(2) إشارة إلى أن المؤلف ينتمي إلى الخزرج، والخزرج بن حارثة بن عمرو بن مزيقا من الأزد، والغساسنة منهم. انظر كتب الأنساب.

(3) العقود اللؤلؤية: 777 وفاكهة الزمن: 1005.

(4) في (و): الدرة، والآدر (سبق شرحها). وانظر العقود اللؤلؤية: 777 ومعجم النساء اليمنيات: 72.

العشرين من الشهر المذكور، فَحَطَّ في القرية المعروفة ببيت الفقيه ابن عجيل، ثم سار منها إلى بيت العقار فحط هنالك على أهل الحَنَكَة، ثم سار في العسكر إليهم فهربوا بنسائهم وأولادهم وتركوا القرية وما فيها، فنهبت العسكر ما وجدوه فيها، وأقام السلطان في بيت العقار[1] اثني عشر يومًا فضاق أهل الحنكة من المحطة فأرسلوا بالخيل التي معهم وهي ثلاثة عشر رأسًا.

وفي غرة جمادى الأولى: انتقل السُّلطان من المحطَّة وسار إلى المهجم فأقام فيها عشرة أيام، وأنفق على العَسْكر نفقة جَيِّدَة، وأحضر الأمير بهاء الدين الشمسي خيل السرددية[2] بني عبيدة وبني حفيص والزَّيديين وغيرهم نحوًا من أربعين رأسًا، ثم انتقل السلطان إلى المحالب فلقيه مشدها القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي وأضافه إضافة جيِّدة، وحمل مع الضيافة ثلاثة عشر ألف دينار، وقاد من جياد الخيل اثنين وعشرين رأسًا ومن الثِّياب الحرير الفاخرة بألفي دينار، ووصل عسكر حرض وصحبتهم عشرون رأسًا من جياد الخيل، فأمر السلطان على الوزير بالتَّقَدُّم إلى بلد القائد وإحضاره، فركب الوزير إلى المنصورة وأتى بالقائد أبو بكر بن أحمد بن علي، ووصل معه أخوه وعمه، فدخلوا على السُّلطان فأذم عليهم وآنسهم من نفسه، وخلع عليهم، وتَقَرَّرَت أحوالهم ورجعوا إلى بلادهم على ذِمَّة السلطان، فأرسل القائد ستين رأسًا من الخيل.

ثم[3] إن السُّلطان ركب يومًا إلى بلد القائد في عَسَاكره فارتاع القائد، وأمر أصحابه بالرُّكوب فركبوا، فعلم السلطان بجمعهم فقصدهم فواجهه القائد، فأمر السلطان بقبضه فقبض، ودخل السلطان قريته التي تسمَّى المنصورة، وصاحت صوائحه بالأمان، فلم يمد أحد يده إلى شيء، ووقف السلطان في المنصورة إلى آخر النهار، ورجع إلى المحالب والقائد معه، فطلب منه السلطان الخيل فأحضر مئة واثني عشر رأسًا وستة وعشرين درعًا، ثم أطلقه السلطان، وقد التزم ببَقِيَّة الخيل الذي عنده.

وبرز أمر السلطان بِطَلَب خيول عرب الجهة، فأحضر الصُّميُّون تسعة وعشرين رأسًا، ووصل شيخ الواعظات بستة عشر رأسًا، وأرسل صاحب جيزان بستة رؤوس.

---

(1) في (ع): بيت العفار.

(2) في (ع): السردية، وفي العقود: 779: المقاصرة.

(3) العقود: 780.

وفي مدة[1] إقامة السُّلطان في المحالب استمر القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشكيل في المحالب، وانفصل الوجيه العلوي.

وفي الخامس عشر من جمادى الأولى: توفي الأمير عزّ الدين هبة بن محمد بن الفخر بن يوسف بن منصور بن الفخر والي زَبيد، واستمر عِوَضَه ابن عمه الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشَّرف بن يوسف بن منصور فسار بالناس سيرة ابن عمه.

وفي غرة جمادى الأخرى[2]: قُتِل الشَّيْخ النَّهاري بن عيسى الأشعري شيخ بني الدُّريهم قتله أولاد الشيخ علي [بن محمد][3] العجمي بأبيهم الذي قتله بنو الدُّريهم يوم عيد الأضحى من سنة اثنتين وتسعين، وقد تقدم ذكره.

وكانت إقامة السُّلطان في المحالب شهرًا وثلاثة أيام، ثم رَجَع إلى المَهْجَم، ثم إلى زبيد فكان دخوله يوم الثامن والعشرين من جمادى الأخرى في عسكر ضخم نحو من خمس مئة فارس، ونحو ثلاثة آلاف راجل، وأمامه الخيل التي قبضها من العسكر المفسدين، وهي مئتان وستة وسبعون رأسًا.

وفي غُرَّة[4] **شهر رجب**، وهو يوم السبت كان أول السبوت.

وفي يوم الثاني والعشرين من رجب[5]: توفي مولانا الملك الفائز عبد الرحمن ابن مولانا السلطان الملك الأشرف، وهو أكبر أولاده، وكان عاقلًا ذا أناة وسكينة ودفن عند والدته في التربة المعتبية في مقبرة باب سهام، وحضر دفنه كافة أهل زبيد على اختلاف حالاتهم، وعقر على قبره عدة من ذوات الأربع، وكانت القراءة عليه سبعة أيام.

وفي غرة شعبان: نزل السلطان النَّخل فأقام فيه كجاري عادته.

وفي يوم الحادي عشر من شعبان[6]: استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن العلوي في شد الاستيفاء والحلال، وتقدم السلطان البحر يوم السادس من شعبان المذكور وفي يوم

(1) العقود: 781.

(2) العقود: 781.

(3) سقط من (ع).

(4) العقود: 782.

(5) العقود: 784 وفاكهة الزمن: 1006.

(6) العقود: 785.

العشرين طلع السلطان من البحر إلى النخل، ثم سار إلى زبيد، وكان تقدمه إلى تعز يوم الأربعاء الرابع والعشرين، وكان دخوله تعز يوم الثامن والعشرين من شعبان، وصام رمضان هذه السنة في تعز، وكانت إقامته في ثعبات المعمور[1].

وفي التاسع من شهر رمضان[2]: أسلمت امرأة يهودية وتبرأت من كل دين خالف الإسلام، وكان زوجها من الإسرائيليين، فألزمه الحاكم تسليم مهرها الذي تستحقه عليه، وفرق الحاكم بينهما فرقة لا اجتماع بعدها إلا أن يسلم هو، والله على ما يشاء قدير.

وفي الرابع والعشرين[3]: وصل القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من الثغر المحروس مطلوبًا إلى الأبواب الكريمة.

فلما وصل أكرمه السُّلطان وأنصفه وأنزله منزلًا يليق بحاله، وأرسل إليه للفور بأربعة آلاف درهم [جدد][4] برسم الضِّيافة، وكان قد كَتَب له إلى عدن بأربعة آلاف درهم يتزود بها ويتَجَهَّز بها للوصول إليه، ولم يزل مقيمًا عنده على الإعزاز والإكرام، وانتفع الناس به نفعًا عامًا.

وكان في عصره شَيْخ الحديث والنَّحو واللغة والفقه والتاريخ، ومشاركًا فيما سوى ذلك مشاركة جيدة، وله مصنَّفات مفيدة، وشرح (الجامع الصحيح) للبخاري شرحًا ممتعًا[5].

وفي هذه السنة[6]: عيد السلطان عيد الفطر في ثَعَبَات المعمورة، وركب ولده الملك الناصر في جُمْلة العسكر المنصور نائبًا عن والده فصَلَّى في مصلَّى العيد بعد أن عبر العسكر في الميدان على جاري عادتهم.

وفي التاسع عشر من شوال[7]: حصل في مدينة تعز ونواحيها مطر شديد ورعد وبرق، فأصاب البرق جماعة، مات منهم أربعة في ساعة واحدة، وقيل: إن أحدهم كان يؤذِّن في

(1) في (ع): المحروس.
(2) العقود: 786.
(3) العقود: 786 وفاكهة الزمن: 1008.
(4) سقط من (ع).
(5) لم يذكر أهم كتبه، وهو كتاب القاموس المحيط، لأنه لم يؤلفه إلا بعد دخوله زبيد.
(6) العقود: 787.
(7) العقود: 788 وفاكهة الزمن: 1008.

تلك الساعة في منارة جامع عُدَيْنة من تعز، [وهو الفقيه وهيب أبو ابني وهيب المذكورين المعروفين بالجامع إلى الآن][1]، فأصابه البرق وهو في أثناء الأذان قبل أن يتم كلمته التي هو فيها.

وفي يوم التاسع والعشرين: تَقَدَّم عَلَم الحج إلى مكة المشرفة.

وفي هذه السنة المذكورة[2]: حصل في ناحية موزع وأعمالها رَجَفَات متتابعة نحو من أربعين رجفة في يوم واحد، وذلك في جمادى الأولى - أو الأخرى - أخبرني بذلك الفقيه أبو بكر بن سليمان الأصابي عن مشاهدة لا عن رواية، والله أعلم.

وفي سنة سبع وتسعين[3]: عزم السلطان على التَّقَدُّم إلى زبيد يوم العاشر من المحرم، فكان دخوله زبيد يوم الرابع عشر.

فلما استقر في زبيد أمر الوزير بالتَّقَدُّم إلى الجهات الشامية لجباية الأموال بها، فبينا هو يتجهز إذ وصل العلم بقتل بهاء الدين اللطيفي، وكان الذي قتله الخبثا في حدود حرض، وكان قتله ليلة الأربعاء السادس عشر من المحرم. ووصل العلم بقتله يوم السبت التاسع عشر من المحرم المذكور فاستمر عوضه في حرض الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي.

وتقدم الوزير إلى الجهات الشامية فأقام في الكدراء فامتنع الرُّماة عن تَسْليم الحقوق الديوانية، فَجَرَّد لهم الوزير مقدمهم الأمير سيف الدين قيسون وأردفه بالأمير فخر الدين أبي بكر السنبلي، فأوقعوا بالرُّماة فقتلوا منهم بضعًا وثلاثين رجلًا، ونهبوهم نهبًا شديدًا، وأسر أربعة من كبارهم، فكساهم الأمير وأطلقهم وأَذَمَّ على الباقين، فدخلوا تحت الطاعة.

وفي الرابع من صفر: خرج السلطان من زبيد يريد المعازبة، وقد كتب إلى الوزير أن يلقاه صبح يوم الأحد إلى موضع يسمى الردم للغارة على المعازبة، فوصلهم الوزير فقاتلوه ساعة من النهار، ثم أقبل السلطان من الناحية الأخرى فقتل منهم أكثر من مئة، وقتل من أولادهم ونسائهم جماعة بالنشاب، ونهبوا نهبًا شديدًا حتى قيل: إنه لم يبق لهم شيء من المواشي، ثم رجع السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الإثنين السادس من صفر.

(1) ما بين المعقوفتين سقط من (ع) والعقود اللؤلؤية.

(2) العقود: 789.

(3) العقود: 790.

وفي العشر الأواخر من صفر(1): علم الوزير بقوم من المقاصرة في حَدّ الوادي وادي سهام فَجَرَّد لهم عساكرًا فمسكوا بعضهم وهرب الباقون، فلما أتي بهم إلى الوزير أمر بقتل من عرف بالفساد فقتل منهم ستة عشر رجلًا، وأرسل برؤوسهم وبالباقين إلى السلطان وبخزانة جيدة، واستمر الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر العدني أميرًا في الثغر المحروس عوضًا عن الأمير شمس الدين علي بن محمد بن حسان.

وفي آخر يوم من صفر: أغار السُّلطان إلى بلد المعازبة فقتل منهم أربعة نفر، ونهب العسكر ما وجدوه من أموالهم.

وفي غرة شهر ربيع الأول(2): توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي، وكان فقيهًا عارفًا متقنًا مشتغلًا ذكيًا، توفي شابًا، رحمه الله تعالى.

وفي ليلة السابع من شهر ربيع المذكور: توفي الشيخ معروف ابن الشيخ الصالح الجليل إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، ودفن في تربة باب سهام الغربية، وقبره هنالك مشهور يزار.

وفي غرة شهر ربيع الآخر: أغار الأمير سيف الدين سنجر على بلد المَعَازِبَة فقتل منهم جماعة، وفيهم رجل يقال له: إبراهيم بن مذكور(3)، كان من شياطينهم، واحتز من القتلى ثمانية رؤوس وأرسل بهم إلى باب السلطان.

وفي الرابع من الشهر المذكور(4): أغار الأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي على بلد المعازبة، وكانوا قد حذروا منه، فنهب العسكر ما وجدوه من المال وافترق العسكر بالنهب الذي معهم، فكثرت المعازبة على الأمير وقد افترق العسكر، فقاتل حتى وقف به حصانه، فقتل وقتل معه حمزة بن الأنف ومملوك من العسكر، وأحد عشر رجلًا من الرجل.

وفي ليلة العاشر من جمادى الأولى: كانت ولادة الملك الصالح حسن بن مولانا السُّلطان الملك الأشرف ووالدته جهة فرحان.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 791.

(2) العقود: 792.

(3) في (ع): مركوز.

(4) العقود: 793.

وفي التاريخ المذكور: أغار الأمير بدر الدين محمد اللَّطيفي من فشال على المعازبة فقتل منهم جماعة واحتز منهم تسعة رؤوس.

وفي اليوم السادس عشر من جمادى الأخرى: أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بضرب الشيخ صالح المكي، فضرب بالسياط ضربًا مبرحًا.

ثم إن الشيخ إسماعيل استأذن السلطان في إخراجه من اليمن، فأجابه السلطان إلى ذلك، وصرف أمره إلى أمير البلد فأرسل به الوالي إلى البحر، وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر العجم[1].

فلما صاروا به في البَحْر، وكان يومئذ شديد الرياح فَصَرفهم الرِّيح عن مقصدهم وألقتهم في ساحل الحديدة ساحل وادي سهام، فأقام هنالك أيامًا مستترًا.

وفي شهر رجب[2]: أصلحت المعازبة وردُّوا ما عندهم من الخيل، ووصل بهم الأمير سيف الدين سنجر صاحب القَحْمة، ووصل بالخيل التي معهم، وهي تسعة عشر رأسًا.

وفي الرابع والعشرين من شهر رجب: وصل الأمير الكبير الشَّريف صلاح بن علي بن مطهر بن محمد بن مطهر بن يحيى إلى الأبواب الشريفة السلطانية، وسلم لمولانا السلطان حصن ذروان فكساه السلطان وأنعم عليه وأعطاه عشرة آلاف دينار، ونزل السلطان النخل يوم الثاني من شعبان.

وفي التاسع من شعبان[3]: توفي الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي، وكان شيخ الحديث في مدينة زبيد، رحمه الله تعالى.

ورجع السلطان من النَّخل إلى زبيد يوم التاسع عشر، ثم تَقَدَّم السلطان إلى تعز يوم الرابع والعشرين من شعبان فدخلها يوم الثامن والعشرين.

وفي هذه السنة: صام السلطان رمضان في تعز المحروس فكانت إقامته في دار الوعد.

---

(1) قلت: انظر كيف ينكل الصوفية بخصومهم وهذا المذكور أعني الجبرتي كان عندهم من كبار الصوفية وله مقبرة خاصة به بزبيد، وكان صالح المكي ويقال له أيضًا المصري من أصحاب ابن المقري وله شعر يجاهر فيه بنقد الصوفية وذمِّ بدعهم ورعوناتهم. انظره في ديوان ابن المقري.

(2) العقود اللؤلؤية: 795.

(3) العقود اللؤلؤية: 796.

وفي يوم السادس من رمضان: توفي[1] القاضي جمال الدين محمد بن علي بن الجنيد، وكان فقيهًا خيرًا، حسن السيرة، وَلَّاه السلطان القضاء في مدينة تعز، فكان مشكور الثناء محبوبًا عند سائر الناس، ثم تولى القضاء في مدينة عدن فأقام هنالك مدة، ثم انفصل، وأراد السلطان أن يوليه القضاء الأكبر فاخترمته المَنِيَّة في التاريخ المذكور.

وفي يوم الحادي عشر: وصل الشريف الأمير عماد الدين يحيى بن أحمد الحمزي إلى باب السلطان، فقابله السلطان بالقبول، وصام السلطان رمضان هذه السنة تسعة وعشرين يومًا، وعَيَّد عيد الفطر في دار الوعد.

وفي اليوم الرابع من شوال: جَرَّد الوزير عسكرًا من المحالب لحصن منابر، ثم تبعهم الوزير نهار الخامس في بقية العسكر، فأحاطوا بالحصن من جوانبه كلها وحصروا الحصن حصرًا شديدًا.

فلما كان يوم التاسع أذعن أصحاب الحصن، وسألوا ذمة شاملة من الوزير، فأذم عليهم وأحسن إليهم وكساهم وقبض الحصن ورَتَّب فيه عسكرًا يحفظونه.

وتقدم السُّلطان إلى الدملؤة يوم التاسع من الشهر المذكور، ووصل العلم أن الجحافل خرجوا على القافلة في طريق عدن، فجَرَّد إليهم الأمير بدر الدين محمد بن زياد في عسكر من عسكر الباب، فقتل منهم جماعة، [حز منهم أربعة][2] وأسر أربعة واستقلع خمسة رؤوس من الخيل. وأقام السلطان في الدملؤة إلى آخر الشهر المذكور.

وفي الرابع عشر من ذي القعدة[3]: وقع في عدن[4] ونواحيها وسائر المخلاف مطر شديد، قيل: إنه من بعد صلاة الجمعة إلى مضي جزء من الليل، فأتلف في تعز بيوتًا كثيرة وانهدمت عدة دكاكين على ما فيها، ونزل تلك الليلة في وادي زبيد مياه كثيرة أتلفت مواضع كثيرة لا عهد لها بالسقي، ورجع السلطان من الجؤة إلى تعز يوم السادس من القعدة ثم إلى محروس زبيد.

---

(1) العقود: 797 وتاريخ ثغر عدن 2: 222.

(2) سقط من (ع).

(3) العقود اللؤلؤية: 800.

(4) العقود: تعز، وهو الصواب.

وفي اليوم التاسع من القعدة: تَقَدَّم عَلَم الحج المنصور إلى مكة المشرفة صحبة القائد علي بن سعيد.

وفي الرابع عشر: حصل بالتهائم مطر شديد ورياح عظيمة وغرق في ذلك اليوم خمس سفائن من سفن الحجاج على ساحل المخلاف السليماني.

وفي الثاني والعشرين(1): وصل العلم بقتل الشريف علي بن عجلان صاحب مكة المشرفة، وكان الذي قتله بنو عمه، ويقال: إن قاتله قتل يومئذ، قتله عبيد المقتول، وكان قتله في ناحية وادي مر يوم السابع من شوال.

وفي السادس والعشرين: تقدم القاضي شهاب الدين الوزير من قرية المحالب إلى الأبواب السلطانية الكريمة بما صحبه من المال والتحف والهدايا، وثمانية وعشرين رأسًا من الخيل، وكان وصوله تعز يوم الرابع من الحجة، فأمر السلطان على ولده مولانا الملك الناصر أن يَتَلَقَّى الوزير في كافة العسكر والمقدَّمين والأمراء المقطعين، فوصل إلى باب السلطان في كافة العسكر، فكان ذلك اليوم يومًا مشهودًا، فقابله السلطان مقابلة رَضِيَّة، وكساه صيفية(2) ملوكية، وصرف له بغلة بزُنَّار، وأنعم عليه بألفي دينار.

وفي السابع من ذي الحجة(3): استمر القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي في القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية، وكتب له منشور بذلك، وكان من الحفاظ المشهورين والعلماء المذكورين، وهو أحق الناس بقول أبي الطيب المتنبي حيث يقول: [من الطويل]

أديب رست للعلم في أرض صدره ... جبال جبال الأرض في جنبها قف

وفي سنة ثمان وتسعين: وصل ولد السِّيري إلى باب السلطان فكساه السلطان وأنعم عليه وصرف له حصانًا أخضر وبغلة، وانصرف راجعًا إلى أبيه.

وفي هذا التاريخ: عزم السلطان على طلوع جِبْلة والتقدم إلى الشَّوافي فأمر على الفراشين بالتَّقَدُّم فحملوا ثمانين حِمْلًا من الخيام وخرجت الزَّردخاناة والطَّبلخاناة يوم الثالث من

---

(1) العقود اللؤلؤية: 800 وإتحاف الورى 3: 394.

(2) أي كسوة صيفية.

(3) العقود اللؤلؤية: 801 وفاكهة الزمن: 1008 يقول: «أمرنا القاضي مجد الدين في القضاء الأكبر» الخ.

المحرم، ثم سار السلطان آخر يومه في جيش أجش[1]: [من البسيط]

جيـش كـأنـك في أرض تـطـاولـه فالجيش لا أُمَـمٌ والأرض لا أَمَـمُ

إذا مـضـى عَـلَـمٌ مـنـه مـضـى علم وإن مـضـى عـلـم مـنـه بـدا علم

فأقام السُّلطان في قرية المقادمة[2] أيامًا وأرسل من يجس على خاصية[3] السيري فوجده على أقبح سيرة وأخبث سريرة، فارتحل السُّلطان إلى دار السلام من جبلة فأقام هنالك وأرسل للقبائل فوصلوا من كل ناحية. واستخدم الرجال، فأرسل إلى ابن السيري يطلب منه عسكرًا بالجامكية، فلم يفعل فتحقق السلطان فساده وإفساده ومَكْرِه وعناده، وكان ممن تَخَلَّف عن الوصول إلى باب السلطان - أعني - محمد بن السيري صاحب بعدان، وعبد الباقي الصهباني صاحب بلد صهبان، وعلي بن داود الحبيشي صاحب حصن الخضراء من بلد الشوافي.

ثم إن السلطان تسيَّر[4] يومًا إلى مدينة إب وكان ابن السيري قد رتب فيها ألفي راجل، فلما قرب السلطان المدينة أغلقوا أبوابها وظهر منهم من السفه وقل الأدب شيء كثير، فرجع السلطان إلى دار السلام، ثم قصدهم يوم الحادي والعشرين من المحرم المذكور، فأغلقوا الأبواب وقاتلوه ساعة من نهار قتالًا شديدًا، فانهزم العسكر السلطاني هزيمة شديدة، وثبت السلطان يومئذ وولده أحمد الناصر ثباتًا حسنًا، وتراجع الأمراء إلى السُّلطان ورجع معظم العسكر، فكبسهم السلطان ودخل المدينة العسكر قهرًا وأخربها العسكر خرابًا كليًا، ونهبوا ما وجدوا فيها، وقتل من أهلها جماعة، ورجع السلطان إلى دار السلام ظافرًا منصورًا.

وفي آخر الشهر المذكور: وصل الشيخ عبد الباقي بن عبد الملك الصهباني إلى باب السلطان في عسكر جيد، فقابله مقابلة جيدة، وكساه وأنعم عليه.

وفي اليوم الثامن من صفر: أَمَر السلطان بالمحطَّة على حصن الخضراء حصن علي بن داود الحبيشي صاحب بلد الشوافي، وسار السلطان في كافة العسكر فحطوا عليه وضيقوا

---

(1) للمتنبي، انظر ديوانه.

(2) قرية المقادمة في جنوبي جبلة. (معجم البلدان والقبائل اليمنية: 1605).

(3) العقود: مخاضته.

(4) في (ع): سار.

ضيقًا شديدًا، وأقام[1] السلطان في المحطة ثلاثة أيام، وفتح الحرب عليهم يوم الخميس الخامس عشر من صفر.

وكان علي[2] بن داود قد جمع جَمْعًا عظيمًا من أهله وغيرهم، فلما وجد الضيق الشديد خرج في جمعه ذلك يقاتلون العسكر فاهتزمت الناحية التي هو فيها، فقتل وقتل معه جماعة من قرابته وغيرهم، وقتل معه ولده الذي يسمى الأسد، وقتل الشيخ عمار وهو الذي يسمى عمار الحفا، وكان عظيمًا من عظمائهم وأسر ولده إدريس بن علي وأبو القاسم بن داود الحبيشي، وخرب دار علي بن داود وبساتينه، ونهبت البلاد نهبًا شديدًا، وحرقت المنازل والقرى، وحُزَّت رؤوس القتلى، وحملت إلى بين يدي السلطان، وكان ذلك كله يوم الخميس، ولم تزل المحطة على الخضراء حتى أثر فيها المنجنيق والعَرَّادات، فضاق أهلها من شدة الحصار فطلبوا الذمة وبذلوا تسليم الحصن فأجابهم السلطان إلى ذلك، فنزل الشيخ محمد بن داود الحبيشي إلى السلطان فكساه السلطان وأنعم عليه، وتَصَدَّق مولانا السلطان بالحصن على أولاد الحبيشي فبقوا في حصونهم، وبذلك يحتج الحبيشي أن الحصن صدقة عليه.

وكانت غيبة مولانا السلطان عن تعز في غزوته هذه ستة وأربعين يومًا، ثم توجه السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الإثنين آخر يوم من صفر في عسكر جَرَّار، ورؤوس القتلى بين يديه، ولسان الحال ينشد[3]: [من الوافر]

بَلَغْنَا ما نشاء من المراد ... وحُزْنًا ما نشا من البلاد
وفَلَّقنا رؤوسًا عاصيات ... بأسياف مهنَّدة حداد
وصِلْنَا صَوْلَةً يوم الشَّوافي ... فَذَلَّت عند صولتنا الأعادي
أتيناهم بكل أَقَبٍّ نهدٍ ... شديد أسره سَلِسَ القِيَاد
وفرسان كأُسْد الغاب بأسًا ... وكادَتْ أن تطير من البلاد
وقد ظَلَّت سراة القوم صَرْعى ... بأطراف القَوَاضِبِ والصِّعاد

(1) في (و): وأدام.

(2) يعني الحبيشي.

(3) انظرها في العقود اللؤلؤية: 805 وقرة العيون: 384.

وكـــلُّ مـقـوَّم لـم يـعـص أمـرًا ... يـشـق إذا انـبـرى قـلـب الـفـؤاد
طـغـوا وبـغـوا فـسـادًا فانتقمنا ... بِـحِـزْب الله مـن حِـزْب الـفَـسَـاد
فَـأَضْـحَـتْ دورهـم منهم خـلاءً ... بِـلَاقِـعَ لا مجيب ولا منـادي
أبـحـنـاهـا اغـتـصـابًـا ثـم جُـدْنَـا ... عـلـيـهـم بـالـطَّـريـف وبـالـتـلاد
وعُـــدْنَـــا ظـافـريـن إلـى تَـعَـزّ ... عـلـى الـقُـبِّ الـمطـهَّـمة الـجِـيَاد
فـقـل لـمـحـمـد الـسِّـيـري عَـنِّـي ... إذا واجَـهْـتَـهُ يـومًـا ونـادي
أفـق مـن قـبـل أن يـغـشـاك بـأسٌ ... وأن تـلـحـق ثـمـود بـقـوم عـاد
فـــإني يـا مـحـمـد عــن قـريـب ... إلـيـك بـعـاديـات الـخـيـل غـاد
وبـالـسُّـمـر الـمـثـقَّـفـة الـعـوالـي ... وبِـيـض الـمَـشْـرفـيـات الـحِـدَاد
وأبـطـال يَـــرَوْن الـمـوت غُـنْـمًـا ... جـــلاد سِـيَّـمـا يـوم الـجـلاد
وشُـــمٌّ مـن ذرى غَـسَّـان غُـرٌّ ... عـلـى غُـــرٍّ مُـحَـجَّـلـة جِـيَـاد
وبـالـجـيـش الأجـش وكـل قِـرْم ... طـويـل الـبـاع مُـسْـتَـرْخـي الـنِّـجاد
ومـا زال الإلـــه لـنـا مـعـيـنًـا ... وهـاديـنـا إلـى سُـبُـلِ الـرَّشـاد
أنـا الـمـلـك الممهد ذو المعالي ... سَـلـيـل الأفـضـل الـمـلـك الـجَـوَاد
أنـا الـمـلـك الـرسـولـي الـيـمـاني ... هـزبـر الـمـلـك وكَّـاف الأيـادي
كـريـم الـفـرع زاكـي الأصـل لا من ... قـــلاوون[1] ولا مـن آل شـادي[2]
أجـــود بـكـل مـا مـلـكـت يميني ... ولا يـغـنـي طـريـفـي عـن تـلادي
وتـعـنـو لـي الـقـبـائـل في ذراهـا ... ولـو كـانـت عـلى الـسَّـبـع الـشداد
وتـخـدمـنـي مـلـوك الأرض طـرًّا ... وسَـــل مـن شـئـت مـن قـار وبـاد

(1) يعني من المماليك حكام مصر، وقلاوون هو قلاوون الألفي العلائي الصالحي أحد ملوكهم، تولى السلطنة سنة 678هـ. (الأعلام 5: 203).

(2) يعني دولة الأيوبيين، وشادي المذكور هو جد صلاح الدين الأيوبي.

وفي رجوع السلطان من قبل الحُبَيْشي وإخراب مدينة إب وقبض بلد صُهْبَان ودخول عبد الباقي الصهباني في الطاعة ومسيره تحت الركاب العالي حط مولانا السلطان في تربة قرية اليهاقر، فانضرب صوت نصف النهار من تربة مدينة الجَنَد، فانكشف الخبر عن هجم الرفدي قرية السيحان[1] ونهب منها مواشي، وليس بينها وبين المحطة السلطانية إلا مسافة قريبة، فَعَزَّ على مولانا السلطان الأمر، وقال: نحن نقهر العتاة في أقصى الأرض ويتفق مثل هذا في محطتي.

فلما وصل إلى محروس زبيد سارع إلى جهاز الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي بكافة المماليك الغرباء نحو من مئة فارس، فطلع وخرج على بلاد السَّلف حيث مأوى الأرفود ومن يوافقهم على الفساد، فما زال يشرِّدهم كل مشرَّد، وقتل وأسر كل من ينضم إليهم، حتى أصفى البلاد إلى أقصى الحشا، وخرج ولم يسمع فيها بعد ذلك بشيء مما كان.

ولما[2] دخل السلطان زبيد في التاريخ المذكور سكنها واستوطنها واخترع فيها القصور العجيبة والمنازل الرحيبة.

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من صفر المذكور: توفي الفقيه الإمام العلامة موفق الدين علي بن عبد الله الشاوري الفقيه الشافعي، وكان أحد من تدور عليه الفتوى في مدينة زبيد، تفقه بالفقيه أحمد بن إسحاق بن زكريا، وبالفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي، وتفقه به الفقيه علي بن عثمان الأحمر، والفقيه علي المذاهبي[3] وغيرهما، وكان باذلاً نفسه للطلبة.

وفي يوم الثالث والعشرين من شهر ربيع: كان ابتداء عمارة المتجر بزبيد المحروس على يد القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد ابن سالم.

وفي الخامس من جمادى الأولى[4]: كان ابتداء العمارة في العين التي ظهرت في المغرس من وادي زبيد، وكان وصول الماء من العين إلى بستان الشوحين من نخل وادي زبيد يوم الثامن عشر من شعبان الكريم من السنة المذكورة.

---

(1) في (ع): السحاب.

(2) العقود اللؤلؤية: 806.

(3) في (ع): الناهبي.

(4) فاكهة الزمن: 1009.

وفي العاشر من جمادى الأولى[1]: أرسل السلطان بهدية سَنِيَّة إلى الديار المصرية صحبة القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلِّي، وذلك في مقابلة ما وصل من السلطان الظاهر برقوق من الهدية.

وفي يوم التاسع من رجب: استمر الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الإبي أميرًا في زبيد عوضًا عن الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف.

وفي هذه السنة[2]: ظهر جراد عظيم فأتلف شيئًا كثيرًا من الزراعة.

وأخبرني من يحكي عن الفقيه شهاب الدين أحمد الحرضي – نفع الله به – والفقيه برهان الدين إبراهيم بن وهاس وجماعة من الثقات: أن رجلًا من أهل البادية بينا هو يحرث في أرض له إذ انبعث من تحت الشجب والعود جراد كثير من الأرض صغار يهول من رآه.

ويروى أن رجلًا أراد أن ينفر الجراد عن أرضه وزرعه فوقع عليه الجراد فخاف أن يأكله الجراد وهرب وتركهم، وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة.

وتقدم السلطان إلى النَّخل في عساكره وآلته يوم الثامن من شعبان.

وصام السلطان رمضان هذه السنة في النَّخل في عساكره، وكان صيامًا حسنًا، ولم يذكر أن سلطانًا قبله صام رمضان في النخل أبدًا.

وفي أول يوم من رمضان[3]: قتل الأمير بدر الدين محمد بن سيف الدين، قتله الأهمول، وكان يومئذ أمير الجهات الموزعية، وكان سبب قتله أنه حبس رجلًا منهم فمات في الحبس من غير ضرب ولا تعذيب.

وفي أثناء شهر رمضان: وصل إلى باب السُّلطان ولد سلطان دِلِّي[4] فأكرمه السلطان إكرامًا حسنًا وكساه كسوة سنية، وصرف له حصانًا من جياد الخيل كامل العدة والآلة، وصرف له ألف دينار ملكية برسم الضيفة وآنسه من نفسه أنسًا تامًا، وكان يحضر مجلس التشفيع كل ليلة أسوة الجماعة المندوبين لذلك، وكان اسمه كوجرشاه بن ظفرخان بن فيروز شاه ملك الهند، وكان لفيروز شاه المذكور عِدَّة أولاد.

---

(1) فاكهة الزمن: 1009.

(2) العقود اللؤلؤية: 807.

(3) العقود اللؤلؤية: 808.

(4) هي دلهي أو دهلي (سبق ذكرها).

فلما توفي فيروز شاه ولي الملك بعده من أولاده ظفرخان والد هذا المذكور، فأقام أيامًا في الملك ثم نازعه أحد إخوته وقتله وقتل عدة من أولاده، واستولى على الملك، وكان هذا الولد صغيرًا، ولم يعلم به عَمَّه، فلما شَبَّ خشي على نفسه، فخرج من الهند وأعمالها إلى اليمن.

وفي أثناء رمضان المذكور: وصل إلى الأبواب السلطانية الملك الفائز ابن السلطان الملك المظفر صاحب ظفار الحبوضي مستوفدًا للأبواب السلطانية، ووصل الوزير من الجهات الشامية بنحو من ستين رأسًا من الخيل من خيول العرب، ومن جملتها حصان أصفر كان صاحبه يسميه بريم الجهة[1].

وفي شهر رمضان هذه السنة[2]: سمع السلطان صحيح البخاري من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القاضي مجد الدين قاضي القضاة يومئذ، وكان ذا سند عال من طرق شتى، وعَيَّد السلطان عيد الفطر في النخل، فكان عيدًا لم يكن مثله في كثرة الناس وحسن الهيئة، واجتماع العسكر.

وفي الثاني من شوال: نزل السُّلطان إلى البَحر فأقام إلى الثالث عشر، ثم ارتفع إلى النخل، ثم دخل زبيد يوم الرابع عشر فأقام إلى العشرين، ثم تقدم إلى تعز يوم الحادي والعشرين فدخلها يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال.

وفي اليوم الحادي عشر من ذي القعدة[3]: توفي الأمير هيصم الدين إبراهيم بن الأمير أسد الدين محمد بن الملك الواثق إبراهيم بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وكان وفاته في زبيد وقبر في مقبرة باب سهام.

وفي هذه السنة[4]: وقع برق عظيم في قرية من قرى وادي زبيد يقال لها: الدملة - بضم الدال المهملة وتشديد الميم المفتوحة - فأحرق كل دابة فيها من البقر والغنم والدواب والحمير، ولم يحرق من القرية شيء لا من بيوتها ولا من أهلها، ولا أصاب أحدًا من ساكنيها

(1) في (ع): مريم (خطأ)، وبريم الجهة يعني «حزام الجهة» والجهة هي الأميرة أو زوجة السلطان، وكن يستعملن أحزمة من الذهب الخالص، ورد ذكر الحصان المذكور في فاكهة الزمن: 1010.

(2) فاكهة الزمن: 1010 يقول: «وفي مدة شهر رمضان المذكور سمعنا صحيح البخاري على القاضي مجد الدين الخ».

(3) فاكهة الزمن: 1010.

(4) العقود: 811 وفاكهة الزمن: 1010 رواية عن الخزرجي مؤلف كتابنا هذا.

ضرر في جسمه أبدًا إلا اثنين كانا خارج القرية منفردين عن بنيان القرية فحرقا، أخبرني بذلك الفقيه علي بن محمد الناشري قال: وكان البرق في شعبان من السنة المذكورة.

وفي سنة تسع وتسعين[1]: نَـزَل السلطان تهامة وكان دخوله زبيد يوم الثالث والعشرين من المحرم.

وفي التاسع والعشرين[2]: انفصل الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الإبي عن ولاية زبيد وصودر مصادرة عنيفة أفضت به إلى الموت، واسْتَمَرَّ الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف في الولاية بزبيد، وكان الأمير نجم الدين محبوبًا عند الناس، وكانت ولاية الشجاع الإبي ستة أشهر وثمانية عشر يومًا. وتوفي في المصادرة ليلة الرابع والعشرين من صفر.

وفي غرة شهر ربيع الأول: توفي القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمر بن العراف الحاكم بالأعمال الحيسية.

وفي غرة شهر ربيع الآخر: تَقَدَّم السلطان إلى النَّخل في غير أَيَّام النخل، فأقام فيه ثمانية أيام ثم رجع إلى زبيد.

وفي جمادى الأولى: تَقَدَّم السلطان إلى الجهات الشامية، وكان تقدمه يوم الرابع منه.

وفي هذا التاريخ: نهبت قافلة عدن نهبها عرب يقال لهم: الأحيوق، ويقال: إن عددها ثمانون جملًا، عليها من الذَّهب والفضة أكثر من عشرة لكوك.

ودخل السلطان مدينة المَهْجم يوم الثامن من جمادى الأولى، فأقام فيها عشرة أيام، ثم انتقل إلى المحالب، وأغار العسكر على بلاد القائد فَنَهَبَها نهبًا شديدًا.

وفي يوم الثامن من جمادى الأولى[3]: حرقت قرية الحمى من وادي زبيد بأسرها، ولم يبق فيها من المساكن شيء.

وفي العاشر من الشهر المذكور[4]: وصلت هدية ولد الإمام صلاح الدين بن علي صاحب صنعاء وهي خمسة جمال موقرة مِمَّا يستطرف، وخمسة رؤوس من الخيل الجياد.

---

(1) فاكهة الزمن: 1010 يقول: «نزلنا تهامة فدخلنا زبيد الخ».

(2) العقود اللؤلؤية: 812.

(3) فاكهة الزمن: 1010.

(4) فاكهة الزمن: 1010.

وكان رجوع السلطان من المحالب إلى المهجم يوم العشرين من جمادى الآخرة، فأقام في المهجم أيامًا، ثم سار إلى زبيد فدخلها يوم التاسع والعشرين منه.

وفي اليوم الثاني عشر من رجب: وقع حريق في ناحية المرباع من زبيد أخذ من هنالك إلى مسجد فوفلة، وأضر بأهل تلك الناحية ضررًا شديدًا.

وفي يوم الجمعة الخامس عشر(1): صَلَّى السلطان الجمعة في زبيد، وكانت السبوت(2) يوم الثاني والعشرين من رجب المذكور.

وفي يوم الثالث والعشرين(3): بَرَزَ مرسوم السلطان إلى القاضي مجد الدين قاضي الأقضية أن يندب إمامًا شافعيا لمسجد الأشاعر بزبيد، وكان المسجد لأصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله من قديم الزمان فيما رأيناه وسمعنا به من قاضي الأقضية الفقيه علي بن محمد بن قحر(4) في التاريخ المذكور.

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور: وضع ولد للسلطان وهو في مدينة زبيد وهو المسمى حسين، ولم أقف على تسميته بالملك، [كما سمى أخوه حسن بالصالح](5) ولعل هذا أن يكون الملك العادل إن شاء الله تعالى، بل هو الملك الظاهر، والدته الدار الكريمة جهة فرحان سلامة.

وتَقَدَّم السلطان النخل يوم الرابع والعشرين من شعبان، وصام السلطان رمضان هذه السنة في النخل، وكان صيامًا حسنًا، وعيد عيد الفطر في النخل.

وفي أول يوم من شوال: حرقت مدينة فشال حريقًا شديدًا، وحرق في ذلك اليوم أم أولاد القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد بن موسى الذؤالي، وجاريته، وكان يومئذ حاكم الشرع بمدينة فشال.

وفي أول يوم من القعدة: تَقَدَّم السلطان إلى البحر.

وفي هذا التاريخ: قتلت امرأة في قرية النّويدرة التي على باب سهام من زبيد، ورمي بها في بئر

---

(1) فاكهة الزمن: 1011 يقول: «صلينا الجمعة في جامع زبيد الخ».

(2) في (ع): السبت، والسبوت سبق شرحها.

(3) فاكهة الزمن: 1011.

(4) يلاحظ أن ابن قحر المذكور والمؤلف كانا من الحنفية.

(5) سقط من (و).

هنالك بين القبور، فظهر ريحها فأخرجت فغسلت وكفنت. ولم يزل الأمير نجم الدين يبحث عن الخصوم حتى دَلَّ على رجلين فوجد أحدهما في النخل والآخر في قرية القرشية، فجَرَّد لهما من غلمانه من أحضرهما، ثم راجع السلطان في أمرهما، فأمره باتلافهما، فأخرجهما إلى قبر التي قتلت ووسطهما وعلقهما على أربع خشبات إلى آخر يومهما.

وفي الرابع من ذي القعدة[1]: وقع مطر عظيم في الجبال، وقد صارت جمال القافلة تحت عقبة نخلة، فنزل سيل عظيم بخلاف ما يعتاودنه، فسحب السيل الجمال وما عليها من الأحمال والركبان، فكان جملة من سحبه السيل حينئذ من الآدميين تسعة عشر، وقيل: نحو من خمسة وعشرين ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة، والله أعلم.

وفي يوم الخميس الخامس عشر: ارتفع السلطان من النخل إلى زبيد فدخلها يوم السابع عشر فأقام أيامًا، ثم تَقَدَّم إلى تعز يوم السادس والعشرين[2].

وفي هذه السنة[3]: خرج رجل يرعى غنمًا له في ناحية صنعاء عند جبل يسمى (مذبح)، فنزل بعض الغنم في حيد هنالك، فتبعه الراعي فوجد هنالك كهفًا فيه رجل ميت، ففزع وهاله ما رأى، فرجع في طريقه قليلًا قليلا، وأعلم بعض أهل تلك الناحية فسار معه جماعة منهم، فوجدوا في الكهف رجلًا مَيِّتًا عليه سبعة أكفان وتحته نحو من أربعين ثوبًا، وعلى رأسه عمامة طولها خمسة وثلاثون ذراعًا في عرض ذراع، وكأنه مات قبل ذلك بيوم واحد، ووجهه أبيض وأنفه مستقيم، وكأنه نائم مستقبل القبلة، وساعده الأيمن تحت خده ويده الأخرى على صدره وهو قصير الظهر عريض الحقو، طول ساعده ذراع وطول أصابعه كل واحدة نحو من شبر، وطول ساقه ذراع ونصف، وطول أصابع رجليه كل واحدة نحو من نصف شبر، وبه جراحة بعضها في وجهه وشيء في ظهره، وأجمع جهال[4] أهل تلك الناحية أنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وذكروا أن رجلًا زاره وهو أعمى فخرج من عنده في عافية، والله أعلم[5].

---

(1) فاكهة الزمن: 1012.

(2) هنا يذكر الملك الأشرف خبر ظهور الفئران وانتشارها في وادي مور لم يرد ذكره هنا انظر (فاكهة الزمن: 1012).

(3) فاكهة الزمن: 1011.

(4) كذا في الأصلين، وفي العقود: وأجمع أهل تلك الناحية.

(5) ينكر الأشرف أن يكون هذا قبر علي بن أبي طالب لأنه قتل في الكوفة ودفن فيها وإنما أخفوا قبره خوفًا عليه من العدو أن ينبشوه ولو بعد حين انظر (فاكهة الزمن: 1012).

وفي سنة ثماني مئة[1]: وصلت هدية الشيخ علي بن أبي بكر بن زيد صاحب بيت حسين، وصل بفيلين وزرافتين ونعامة وأسد صغير وحمار وحش وعشر رؤوس من الإبل الصهب، وعشر جوار حسان، وعشرة عبيد يحملون السلاح، فوهب له السلطان ثلاثة آلاف دينار، وكساه كسوة فاخرة، وَشَيَّخه في بلاده، وسَمَح له في بعض خراجها وشفعه في بعض مشايخ العرب المعتقلين، فأطلقوا.

وفي صفر[2]: وصلت الهدية من الديار المصرية إلى ساحل الحردة[3] صحبة الطواشي فاخر، فلما وصل علمها إلى السلطان أرسل الطواشي جميل بثلاث مئة جمل وجَرَّد معه قطعة من العسكر يسيرون صحبة الهدية المذكورة، وكان وصول الهدية إلى زبيد يوم الرابع والعشرين من صفر، فكانت هدية جليلة المقدار، فيها من المماليك نحو من ثلاثين تركيًا، ومن جياد الخيل اثنا عشر رأسًا بسروج معرقة وآلة حسنة، وعدة جوار من الروميات والأرمينيات، وطبيب ماهر من يهود مصر، ومن الملبوس والمطعوم والمشموم شيء كثير مما لا يدخل تحت الحصر.

ووصل في الهدية القاضي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المَحَلِّي، وكان يوم وصول الهدية يومًا مشهودًا.

وفي سلخ صفر: أرسل الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة بجماعة من الغلمان منهم رجل يقال له: إبراهيم بن كليب كان من أعيان المعازبة فراسة ورياسة، فأمر السلطان بقتلهم، وقتل يومئذ معهم رجل يسمى باحش[4] من الأهمول، يقال: إنه الذي قتل الأمير بدر الدين محمد بن سيف الدين أمير موزع، وقد تقدم تاريخ قتله.

وفي يوم العشرين من ربيع الأول: مات الطبيب اليهودي الذي وصل من مصر صحبة الهدية المذكورة.

---

(1) فاكهة الزمن: 1013.

(2) فاكهة الزمن: 1013.

(3) من سواحل اليمن قريب اللحية.

(4) في (ع): أبا حسن، ولعله باجس.

وفي يوم الحادي والعشرين(1): توفي الفقيه عمر بن عبد الرحمن الدملؤي الخطيب في جامع زبيد، وكان أوحد أهل زمانه في الخطبة، لم يكن في عصره مثله في ناحية من أقطار اليمن، أقام خطيبًا في جامع زبيد نحوًا من خمسين سنة، والله أعلم.

وفي يوم الأحد ثاني شهر ربيع الآخر: تَقَدَّم السلطان نحو الجهات الشامية، فأقام في الكدراء إلى يوم الخامس عشر.

وفي الخامس عشر: غزا إلى بلاد المفسدين، فحرق قرية الزبير، والمصفاة وقرية الشجرة.

وفي يوم السادس عشر: حرق القنبور وأخربها، وحَطَّ على البجليين حتى استذموا ودخلوا تحت الطاعة، ثم سار السلطان إلى المهجم.

وفي السادس والعشرين: توفي الفقيه رضي الدين أبو بكر بن علي الحداد(2)، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب الإمام أبي حنيفة متقنًا صالحًا ورعًا، وكان أكبر أصحاب أبي حنيفة في عصره، وله مُصنَّفَات حسنة في المذهب، وتفقه به جماعة من أهل زبيد، وانتفع به الطلبة نفعًا عظيمًا، وقبره في مقبرة باب القرتب من زبيد، رحمه الله تعالى.

ووصل السُّلطان إلى زبيد يوم السابع والعشرين من الجهات الشامية، ووصل بنحو مئتي رأس من خيول العرب فاصرف السلطان منها مئة رأس للقرشيين والأشاعر.

وفي السابع عشر من رجب(3): وَصَل الشريف صاحب النجيمية إلى الأبواب السلطانية، فقابله السلطان بالقبول، وكان أول السبوت يوم الخامس والعشرين من رجب.

وفي الخامس عشر من شعبان(4): أفرغ القاضي مجد الدين كتابه المسمى بـ(الإسعاد) وحمل إلى باب السلطان مزفوفًا بالطبول والمغاني، وحضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة وساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان، وهو ثلاثة أجزاء مجلدة، يحمله ثلاثة من الطلبة على رؤوسهم وعلى البغال، فلما وصل الكتاب إلى السلطان وتصفحه أجاز مصنفه المذكور بثلاثة آلاف دينار.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 820 وفاكهة الزمن: 1014.

(2) انظر مؤلفاته ومصادر ترجمته في كتابنا (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن): 243.

(3) العقود اللؤلؤية: 822.

(4) انظر ما كتبناه حول هذا الخبر بتوسع في العقود اللؤلؤية هامش ص: 822.

وفي يوم السادس عشر[1]: وصلت هدية صاحب سيلان إلى باب السلطان، وهي أربعة أفيال وتحف كثيرة، وشجرة من العنبا، ووصل منه كتاب إلى السلطان بتعيين ما صدر في ورقة من الذهب الخالص، فقابل رسوله السلطان بالقبول وأدخله الإصطبل، فانتقى منه خمسة رؤوس من الخيل الجياد، وكساه كسوة فاخرة.

ونزل[2] السلطان النخل يوم الخامس والعشرين من شعبان، وصام السلطان رمضان هذه السنة في النخل أيضًا، وحضر مقام التشفيع عِدَّة من وجوه أهل دولته، وحضر الشعراء من سائر الجهات: سفير صاحب مصر، وسفير صاحب الهند، وسفير صاحب مكة وهو أحمد بن محمد بن عجلان، والشرفاء من أصحاب المشرق منهم الشريف الأمير فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي الحمزي، وصاحب ذمرمر وهو عبد اللطيف[3] أحد بني الأنف، وعدة كثيرة من القضاة والفقهاء، وكانوا يحضرون السماط كل ليلة.

وفي الثامن والعشرين: وصل الشريف صاحب تلمص في نحو مئة فارس وراجل، وكانت الختمة ليلة الثالث والعشرين كالعادة.

وفي السَّادس والعشرين: زُفَّ محمل الحج من مدينة زبيد وساروا به إلى النخل يوم السابع والعشرين فدخلوا به النخل يوم السابع والعشرين في جمع عظيم من الفقهاء والقضاة والعسكر، وصام السلطان رمضان هذه السنة تسعة وعشرين يومًا.

وفي يوم العيد: ركب مولانا النَّاصر نائبًا عن أبيه في كافة العسكر، وتَقَدَّم السلطان إلى البحر يوم الثامن من شوال فأقام فيه اثني عشر يومًا، ثم رجع إلى النخل، ومن النخل إلى زبيد، فأقام في دار السرور، وجَهَّزَ[4] محمل الحج إلى مكة المشرفة بما يعتاد مما لا بد منه من المال والكَسَوَات والعسكر والأزواد، وَوَهب للشريف محمد بن عجلان مئة رأس من كرائم الإبل خارجًا عَمَّا يعتاده من العادة القديمة.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 822 وفاكهة الزمن: 1014.

(2) فاكهة الزمن: 1014.

(3) في العقود: عبد المطلب.

(4) فاكهة الزمن: 1015 يقول: «وفي آخر شهر رمضان جهّزنا محمل الحج الخ».

وسار المحمل صحبته إلى مكة المشرفة، وكان تقدم المَحْمَل من زبيد يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال، وسار صحبته من الحَجَّاج قافلة عظيمة، ودخل السلطان زبيد يوم الأحد التاسع من شوال، وكان تقدمه إلى تعز الثامن من ذي القعدة.

وفي يوم السابع عشر من ذي القعدة(1): توفي القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم في مدينة زبيد ودفن يوم الجمعة الثامن عشر، قريبًا من تربة الشيخ أحمد بن أبي الخير الصَّيَّاد من قبليه، وحضر دفنه عالم لا يحصون كثرة، وكان من أفراد الزمن حازمًا عاقلًا كاملًا، حسن السيرة، رحمه الله.

واستمر عوضه في زبيد القاضي عماد الدين أبو الغيث بن أبي بكر بن علي الميت.

وفي هلال ذي الحجة(2): وقع على حجاج اليمن سموم عظيم في ناحية يَلَمْلَم، فهلك منهم طائفة عظيمة في يوم واحد، يقال: إن الذين هلكوا في ذلك اليوم أكثر من ألف وخمس مئة إنسان، والله أعلم.

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة: حرقت قرية القرشية حريقًا عظيمًا، ولم يسلم منها إلا شيء قليل من القرية السفلى.

وفي سلخ الشهر المذكور: وصلت هدية من الدِّيار المصرية صحبة الشيخ شهاب الدين أحمد الأخفافي(3).

وفي سنة إحدى وثماني مئة(4): أغار المعازبة على قَرْية فشال، فقتل منهم حشيبر بن علي حشيبر المعزبي، وأخذ فرسه، وكان الذي قتله ولد الشريف داود بن مطهر.

وفي يوم الخامس من الشهر المذكور: أغار الشريف والقرشيون على المعازبة فقتل منهم ثلاثة أنفار وأخذت رؤوسهم، ثم أغار المعازبة على أهل المخيريف فقتل منهم أيضًا ثمانية نفر، ودخل برؤوسهم زبيد، ثم جمعوا جمعًا آخر وأغاروا على أهل المخيريف يوم العاشر من صفر، فقتل منهم نحو من ثلاثين رجلًا.

---

(1) فاكهة الزمن: 1015.

(2) العقود اللؤلؤية: 824 وفاكهة الزمن: 1016.

(3) في العقود: الخفافي.

(4) فاكهة الزمن: 1016 (من هنا يتوافق العسجد مع فاكهة الزمن وذلك لمرض السلطان وقرب منيته).

وفي يوم الثالث عشر من صفر: تَقَدَّم السُّلطان من تعز إلى زبيد، وكان خروجه يوم الخميس عند طلوع الشمس، ودخل حيس بين المغرب والعشاء، ثم سرى من حيس فدخل زبيد عند طلوع الشمس من يوم الجمعة الرابع عشر.

ووصل محمل الحج من مكة المشرفة يوم السابع عشر، ووصل معه قافلة من الحجاج وهدية من الديار المصرية.

وتقدم السلطان إلى سرياقوس الأعلى يوم السابع والعشرين، وفي ذلك النهار كسفت الشمس.

وفي شهر صفر المذكور: قتل جماعة من بني إبراهيم نحو من عشرين شَيْخًا قتلهم صاحب أبين، وهو الأمير بدر الدين محمد بن أحمد قراجا، وقبض بيوتهم وخيولهم، فثارت تلك فتنة عظيمة.

وفي شهر ربيع الأول: صرب[1] الأرز من أملاك السلطان بوادي زبيد، فوصلت الزَّفَّة[2] الأولى يوم النصف من الشهر المذكور: مئتان وثمانون جملًا، ووصلت الزفة الثانية يوم الحادي والعشرين وهي نحو من الأولى، ووصلت الزفة الثالثة يوم السادس والعشرين، وهي دون التي قبلها.

وفي شهر ربيع الآخر: وقع الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي بالعرب المفسدين في الجهات السرددية فقتل منهم جماعة، ووصلت رؤوسهم إلى زبيد يوم السادس، خمسة وعشرون رأسًا، ومن خيلهم سبعة عشر رأسًا.

وفي يوم الخميس الثامن من جمادى الأولى[3]: وصل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي، والطواشي جمال الدين جميل من عدن ووصلوا بخَيْل العرب الذين قتلوا من بني إبراهيم[4]، ووصلوا برؤوس القتلى، ووصل ولد صاحب ظفار وهو المسمى بالملك المجاهد، فأمر السلطان على ولده مولانا الملك الناصر أن يركب لتلقيه، فخرج في لقائه

(1) الصرب والصراب بالصاد المهملة في كلام أهل اليمن: الحصاد (المعجم اليمني: 542).

(2) الزفة: في كلام أهل اليمن بمعنى الدفعة من كل شيء تحملها الجمال.

(3) فاكهة الزمن: 1019.

(4) في (و): دريهم.

وخرج معه قطعة من العسكر، فلما وصل إلى باب السلطان أكرمه وبجله وأخلى له منزلًا يليق بحاله، ولم يزل على الإعزاز والإكرام إلى آخر السنة، ثم جَهَّزه السلطان وزَوَّدَه وجَرَّد معه عسكرًا إلى بلاده، فملكها واستولى عليها.

وفي الثاني عشر(1): قتل عمر بن سهيل رئيس المعازبة قتله أهل التربية فأغار المعازبة على أهل وادي زبيد فقتلوا من أهل بيدحة نحوًا من عشرين رجلًا.

وفي سلخ الشهر المذكور: وصل الشَّريف يحيى بن أحمد بن الهادي بن عز الدين الحمزي إلى باب السلطان فقابله السلطان بالقبول.

وفي ليلة الإثنين الثالث من جمادى الآخرة(2): كان عرس الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي على ابنة الأمير علم الدين سنجر صاحب القحمة، فقام به السُّلطان قيامًا تاما، وسَكَّنه في بيت الطواشي جمال الدين ثابت، وهو بيت عجيب، وحمل له إلى البيت فرشًا على اثنين وعشرين جملًا من أنواع مختلفة، وحمل إليه ما يحتاج من النحاس والصيني والأطياب والملابس شيئًا كثيرًا، وكساه كسوة فاخرة، وأقاد له حصانين مكملين(3)، وكانت الحضرة على باب الدار، فحضر الوزير وسائر المقطعين والأمراء ووجوه العرب، وكان السلطان مشرفًا وخرج مزفوفًا من باب الدار إلى البيت الذي هيئ له، وكانت المماليك الخاسكية يحملون الشمع المزهرة أمامه، وسائر المذكورين يمشون إلى أن وصلوا البيت المذكور، وكانت ليلة مشهورة مذكورة.

وفي ليلة الأحد التاسع من الشهر المذكور(4): تَقَدَّم السلطان إلى الجهات الحيسية بسبب اصطياد حمير الوحش، فاصطاد في يوم الإثنين العاشر من الشهر المذكور عشرة رؤوس، ثم رجع إلى محروس زبيد يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر المذكور.

وفي يوم الخامس عشر: تَقَدَّم الأمير بدر الدين محمد بن زياد إلى حصن ريشان من ناحية المداد.

---

(1) فاكهة الزمن: 1019.

(2) فاكهة الزمن: 1019.

(3) أي بكامل عدتهما.

(4) العقود اللؤلؤية: 829 وفاكهة الزمن: 1020.

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور[1]: اختصم إلى باب الوالي اثنان، فطلب أحدهما حكم الشرع الشريف، فمنعه الوالي من ذلك، فاستغاث بحاكم الشريعة فعجز القاضي عن استنقاذه، فكتب القاضي إلى السلطان يشكو من الوالي وتعديه على حكم الشريعة المطهرة، فأمر السلطان حينئذ من تقدم إلى الوالي وأخرجه من بيته ماشيًا إلى بيت القاضي إنصافًا للشرع الشريف.

فلما وصل الوالي إلى القاضي نهاه عن معارضة الشَّرع الشريف مشافهة، وقصره عن ذلك، وأخذ عليه أخذًا كليا، ثم قال: تقدموا به إلى باب السلطان، فلما وصلوا به إلى باب السلطان أشرف عليه السلطان وشَتَمَه ووَبَّخَه وفضحه، ولولا أنه كان يجله لحسن سيرته في الناس ما سَلم منه.

[وفي أول يوم من رجب: اجتمع الفقهاء بزبيد، وقصدوا القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي قاضي القضاة يومئذ وسألوه: أن يسمعهم صحيح البخاري، فأجابهم إلى ذلك، وكانت القراءة يومئذ في البستان الذي عند باب النخل، فاجتمع لذلك خلق كثير من الفقهاء والأعيان، واستمرت القراءة إلى أن ختم الكتاب في التاريخ الآتي إن شاء الله تعالى][2].

وفي يوم الخامس من رجب[3]: تَصَدَّق السلطان بصدقة جليلة على فقراء أهل البلد، وذلك على ما حقق ألفا دينار ذهبًا، وأطلق ذلك اليوم عدة من أصحاب السجون.

وفي الثاني عشر من الشهر المذكور: أمر بعديد نخل وادي زبيد. [وكان ختم قراءة البخاري ليلة الثالث من شعبان، وحضر يوم الختم من الناس عالم من الأعيان ووجوه الدولة، كمشد الاستيفاء، وأستاذ دار، ووالي زبيد، وعدة من أمثالهم، وأجاز الشيخ وهو القاضي مجد الدين لكل من سأله الإجازة. قال علي بن الحسن الخزرجي: وكُنتُ ممن حضر الختم يومئذ، وسألته الإجازة فأجازني في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته، وكتب بخطه بذلك لي ولأولادي وبعض أولادهم وهم الموجودين، جزاه الله خير الجزاء][4].

(1) فاكهة الزمن: 1021.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من (و).

(3) العقود اللؤلؤية: 830 وفاكهة الزمن: 1021.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من (و).

وفي ليلة الخامس عشر من شعبان[1]: توفي القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي الوزير الأشرفي، وكان حسن السيرة، له آثار حسنة، وكان وفاته في مدينة زبيد ودفن في مَجَنَّةِ باب سهام في الناحية الشرقية قريبًا من تربة الشيخ الصالح طلحة بن عيسى الهتار.

وصام[2] السلطان رمضان هذه السنة في مدينة زبيد، وكانت الختمة في دار السرور الذي هو خارج باب النَّخل، وعَيَّد السلطان عيد الفطر بزبيد، ووصل الأمير بدر الدين محمد بن زياد من ريشان آخر يوم من رمضان.

ونزل السلطان النخل يوم الثالث من شَوَّال، وطلع الأمير بدر الدين محمد بن زياد تعز في العشر الأول من شوال ليكون شداده في تعز ونواحيها، وارتفع السلطان من النخل يوم الثامن والعشرين من ذي القعدة [وانفصل عنها شجر][3].

وفي غرة ذي الحجة: أقطع السُّلطان الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي القحمة وحمل له حملًا وعلمًا.

وفي الثامن من ذي الحجة: استَمَرَّ الجمال محمد بن عمر شكيل في الأعمال الموزعية، وعَيَّد السلطان عيد النحر في زبيد، وركب يوم العيد مولانا الملك الناصر في كافة العسكر بحكم النيابة عن أبيه.

وفي هذه السنة[4]: ارتفعت الأسعار في مدينة زبيد، فَبَلَغَ سعر الذِّرة والدُّخن كل زَبَدي بدرهم، وعبرة الزبدي خمسون وقية، الأوقية عشرة دراهم [قفال][5] بالخَتْم المصري، وبلغ زبدي السمن بأربعين درهمًا، وعبرة الزبدي السمن اثنا عشر رطلًا، الرطل عشرون أوقية، وبلغ البر الزبدي بدرهم ونصف، وقَلَّ الدَّر في الدواب.

وفي سنة اثنتين وثماني مئة[6]: وصل الخبر بموت الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية، وصلي عليه في زبيد يوم الجمعة الثالث من المحرم أول السنة المذكورة في جامع زبيد،

(1) العقود: 831، وانظر إنباء الغمر 2: 70 والضوء اللامع 3: 149 وفاكهة الزمن: 1021.

(2) فاكهة الزمن: 1021.

(3) زيادة من فاكهة الزمن: 1022.

(4) فاكهة الزمن: 1022.

(5) زيادة من فاكهة الزمن.

(6) العقود اللؤلؤية: 833، وللتوسع انظر: إنباء الغمر 2: 49 ط. مصر سنة 1415هـ.

وكانت وفاته في شوال من سنة إحدى وثماني مئة، وأمر السلطان بالقراءة عليه سبعة أيام في مدينة زبيد وتعز وعدن.

وفي يوم الثامن والعشرين من شهر المحرم المذكور[1]: خالف الأمير بدر الدين محمد ابن زياد الكاملي، وكان السلطان قد تركه في مدينة تعز وأضاف إليه قطعة من العسكر خيلًا ورجلًا رُتْبة هنالك، ثم كَتَب إليه السلطان أن يَتَلَقَّى خزانة عدن ويصل بها إلى زبيد، فلما خرجت الخزانة من عدن لقيها الأمير بدر الدين فيمن معه من العسكر، وكانت خزانة جَيِّدة، فيها أموال جليلة من الذهب والفضة لكوك، ومن الملبوس والطيب شيء كثير، وسار معها جماعة من التجار بأموالهم، فجزل ذلك في عينه وأعين أصحابه وحسن له بعض أصحابه أخذها، فاستولى على الخزانة بأسرها وعلى من سار معها وسار بها، [نحو جبل سورق يريد طلوعه فلم يتفق ذلك فقَصَد حصن سناح فاستولى عليه واستوطنه][2] ووقف فيما بين بلد زبيد والعربيين، وكان قد أضاف إليه السلطان طائفة من الحصون ورتب فيها نقباءه ونوابه.

فلما انتهى العلم إلى السلطان بما كان منه، أرسل الطواشي جمال الدين مرجان لقبض حصن ريشان أحد حصون المداد، وهو من الحصون المنيعة، وكان فيه نائب لابن زياد. فلما وصل الطواشي إلى الحصن المذكور طلب نائب ابن زياد، فلما وصل إليه أوقفه على أمر السلطان بقبض الحصن فأطاع وسلم الحصن إلى الطواشي، فقبضه الطواشي من النائب وطلعه للفور ورتب فيه ثقاته.

فلما استقر فيه الطواشي وصلت كتب ابن زياد إلى نائبه يأمره بحفظ الحصن وأنه لا يمكنه أحدًا، فندم النائب على تفريطه في الحصن، وكتب إلى ابن زياد يعلمه أنه لم يصل كتابه إلا وقد وصل الطواشي مرجان بأمر شريف أنه يقبض الحصن فقبضه ونزلت منه، ولو سبق كتابك ما مَكَّنَتْه ولا مكنت أحدًا غيره، والسلام.

ثم إن الطواشي مرجان شَحَن الحصن بالطَّعام والماء والحطب وأمر على النقيب الذي كان فيه بالتقدم إلى باب السلطان، فتقدم النقيب إلى باب السلطان، ووقف الطواشي في الحصن يعمره ويشحنه.

(1) العقود اللؤلؤية: 833 وفاكهة الزمن: 1023 يقول: «وكنا قد تركناه في تعز رتبة هناك».

(2) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل وأثبتناه من فاكهة الزمن.

وفي يوم الخامس من صفر[1]: وصلت هدية الديار المصرية أرسل بها السلطان الملك الظاهر برقوق قبل وفاته، فوصلت في التاريخ المذكور، ووصل الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي بخزانة من الجهات الشامية، وكان وصوله يوم التاسع من صفر.

وفي يوم الثاني عشر[2]: وصل الطَّواشي جمال الدين ظريف الدويدار من الجهات التعزية ووصل صحبته عسكر من صاحب بعدان، وتَقَدَّم[3] السلطان إلى تعز يوم الإثنين التاسع عشر من صفر، وكان دخوله تعز يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور، فلما استقر السلطان في تعز وصل الأمير بدر الدين بهادر اللطيفي، ووصل الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي الجميع إلى باب السلطان، فلما توافرت العساكر أنفق السلطان على كافة العسكر نفقة جَيِّدة وجَرَّدهم، فحطُّوا على حصن سناح وأقاموا عليه نحوًا من نصف شهر في قتال ليلًا ونهارًا.

فلما رأى ابن زياد كثرة العساكر عَلَم أنه لا طاقة له بالسُّلطان، وعلم أن ما كان معه من المال ينفد، وأن العرب تأكله وربما باعوه، فأرسل إلى السلطان يطلب ذِمَّة شاملة له ولمن معه، فأذم السلطان لهم على يد جماعة من الفقهاء والمشايخ والصوفية، وتوثقوا له من السلطان، ثم رجعوا إليه بالذمة الشريفة، فسرى من الحصن الذي هو فيه ليلًا بغير علم أحد من أهل الحصن الذي هو فيه، ولا من أهل المحطة، فأصبح على باب السلطان يوم الأربعاء الرابع من شهر ربيع الآخر، فكان جملة خلافه أربعة وستين يومًا.

ولما وصل إلى باب السلطان - كما ذكرنا - قابله أحسن مقابلة، وصَفَحَ عنه وكساه وأعاده إلى أحسن من حالته الأولى.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة[4]: وقع في مكة، حرسها الله تعالى، مطرة شديدة وسالت أوديتها بمياه كثيرة، وامتلأ الحرم ماء، دخل الماء إلى باطن الكعبة من بابها، فكان الماء من فوق العتبة السفلى نحو من شبر، وحمل الماء منبر الخطيب من موضعه إلى موضع آخر، ومات في الحرم جملة أدركهم الماء، وعجزوا عن الخروج، وخربت بيوت كثيرة في مكة ومات تحت الردم طائفة منهم.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 834 وفاكهة الزمن: 1024.

(2) فاكهة الزمن: 1024.

(3) يقول الملك الأشرف: «فلما صح لنا ما فعله تقدمنا إلى تعز الخ».

(4) العقود اللؤلؤية: 500، وانظر إتحاف الورى 3: 319 وشفاء الغرام 2: 267 والعقد الثمين 1: 208.

وفي شهر ربيع الأول: توفي الأمير بهاء الدين بهادر الأشرفي أمير خازندار السلطان، وكان وفاته في تعز.

وفي يوم الثامن من شهر ربيع: ولد للسلطان الملك الأشرف ولد سماه عليًا، وتوفي ولده المسمى حسن بعده بقليل.

وفي أول شهر جمادى: حرقت قرية محل مبارك من وادي زبيد بأسرها.

وفي اليوم الخامس والعشرين منه(1): وَصَل الشريف شمس الدين المسمى حجربة من صعدة في نحو من سبعين فارسًا وخمس مئة قوس.

وفي اليوم الخامس والعشرين منه(2): وصل السلطان إلى محروس زبيد فأقام فيها أيامًا، ثم جرد عسكرًا إلى بلد المعازبة فوجدوا في نخل المدبى جماعة منهم فقتلوا منهم اثنين وعشرين رجلًا، منهم مرزوق بن الشحيح.

وفي يوم الخامس والعشرين من جمادى الأخرى: وقعت رَجْفَة عظيمة نصف النهار وانقض كوكب عظيم، يحكي من رآه أنه على هيئة القمر، وانهدمت مواضع كثيرة في الجبال.

وفي اليوم الثاني من رجب: جَرَّد السلطان عسكرًا إلى بلد المعازبة فيهم ولده الملك الناصر فقصدوا الردم فلم يجدوا فيه إلا المواشي فَنَهَب العسكر ما وجدوا وقتلوا رجلين أو ثلاثة ورجعوا.

وفي يوم الإثنين التاسع من رجب المذكور: أمر السلطان بخروج مَحْمل الحج مزفوفًا في جماعة الفقهاء والقضاة، وكذلك يوم الإثنين السادس والعشرين.

وفي ليلة الخميس التاسع والعشرين: توفي الفقيه عيسى بن موسى الزَّيْلَعي في مدينة زبيد عن نيف وتسعين سنةً، وحضر دفنه كافة أعيان أهل الدولة.

وفي يوم الخميس السادس من شعبان(3): توفي الشريف إدريس بن عبد الله صاحب ظفار.

وفي يوم الجمعة السابع منه: وصلت هدية جليلة من صاحب الهند، ووصل سفير السلطان

(1) فاكهة الزمن: 1027.

(2) فاكهة الزمن: 1027.

(3) العقود اللؤلؤية: 837 وفاكهة الزمن: 1028.

وهو الناخوذة أمين الدين مفلح التركي(1).

وفي الشهر المذكور: توفي الأمير الشريف فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة، وكان وفاته في مدينة زبيد وقبر في حِيَاط التربة المعتبية بأمر السلطان.

وفي يوم الإثنين العاشر منه: حَصَلت رجفة شديدة، حكى الفقيه تقي الدين عمر بن أحمد ابن عبد الواحد قال: بينا أنا وجماعة من الرعية وقوفًا في رأس الوادي زبيد وقت الضحى الأول، إذ حصلت رجفة شديدة، وكان أحد عمال النخل حينئذ على نخلة عندنا هنالك، فكادت النخلة تسقط بالعامل. وكان قد انْقَضَّ نَجْم قبل ذلك من ناحية المغرب إلى المشرق، فوقع بين رجلين هنالك، فاشتعلت النار حينئذ موضعه، ثم حصلت الرجفة بعده بقليل.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين: توفي وَلَد السلطان الملك الأشرف، وهو المسمى علي في مدينة زبيد، وقبر في التربة المعتبية.

وفي هذه السنة: صام أهل زبيد شهر رمضان الإثنين، وصامه أهل المهجم الأحد عن رؤية حكوها في كتبهم الواصلة منهم إلى زبيد.

وفي الخامس عشر من رمضان: أمر السلطان أن تمنع النساء من اتباع الجنائز والنياحة على من مات، [وأن لا يفرش على قبر أحد من الناس شيء من الثياب ألبتة ألبتة](2).

وفي اليوم التاسع والعشرين من رمضان: استمر القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري قاضيًا، وصام أهل زبيد رمضان هذه السنة تسعة وعشرين يومًا وأفطروا عن رؤية.

وفي يوم الخميس ثالث شهر شوال: سَخَط السلطان على الأمير بدر الدين محمد بن داود الكاملي فقبض وقبضت دوابه وغلمانه، وأودعه سجن زبيد.

ونزل السلطان النخل في التاريخ المذكور، وقد تقدم إلى البحر يوم العاشر من شوال، فأقام أيامًا ورجع إلى النخل، وكانت إقامته في النخل المسمى بالهاروني.

وفي يوم الحادي والعشرين: توفي الفقيه أحمد بن القاضي علي بن سالم عن سن عالية، وكان من الأخيار، رحمه الله تعالى.

---

(1) في العقود: مفلح التركي.

(2) سقط من (ع).

وفي يوم الثالث والعشرين من شوال[1]: احترق الحرم بمكة، وكان سَبَبُه أن رجلاً من المجاورين يسكن في رباط العجم عند باب عزورة[2] أطفأ مصباحه عند أن أراد أن ينام، ففلت من الذبالة شيء من النار فوقع على شيء، فاحترق ذلك الشيء واحترق ذلك الموضع، فلحقت النار سقف الرباط فاحترق، ثم لحقت النار سقف الحرم فاحترق السقف، وكان حريقًا عظيمًا لم يعهد مثله، وأقامت النار في الحرم نحوًا من عشرين يومًا، والناس كل يوم يطفؤونها ولا تكاد تنطفئ.

وفي أول القعدة: استمر الأمير بدر الدين محمد بن السنبلي في القَحْمَة ومقدّمًا في فشال وانفصل ابن اللطيفي عن القحمة.

وفي السادس من ذي القعدة: خرج رجل من باب النخل في محارة - وكان في الباب محيرًا بأمر الأمير - فلما صار في الباب أراد البواب أن يختبر ما في المحارة، فضَرَبُوا بالحديد عليه فتوجع الرجل، وأن أنة شديدة، فلزموا الجمل وبَرَكُوه وأخرجوا الرجل من المحارة وتقدَّموا به إلى الأمير فأمر بحبسه وحبس الجَمَّال الذي ساق به الجمل، ثم كُحْلا في النَّهار الثاني.

وفي اليوم السابع من الشهر المذكور: توفي الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير، وهو آخر من كان في بني أبي الخير من الفقهاء في ذلك العصر.

وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور: أصلحت المعازبة على يد الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي والتزموا بأداء الخيل وأمنت الطرق، وسار الناس فيها آمنين، وأمر السلطان بإخراج الأمير محمد بن زياد من سجن زبيد وتطليعه[3] إلى تعز وسَجَنه في حصن تعز هو وأصحابه هنالك.

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر[4]: وَقَع مطر عظيم في مدينة زبيد ونواحيها من بعد طلوع الشمس إلى أذان الظهر، وتشعَّث في المدينة بيوت كثيرة وانهدم شيء كثير من بيوت الناس، وتتابع سيل الوادي ليلًا ونهارًا وسائر الأودية المصاقبة له، وربما بلغ بعضها

(1) العقود اللؤلؤية: 839، وانظر: إتحاف الورى 3: 420 وشفاء الغرام: 228 والسلوك للمقريزي 3/ 3: 1019.

(2) كذا في الأصل، صوابه: باب الحزورة، بالحاء المهملة. انظر: إتحاف الورى 2: 504 وغيره.

(3) في (ع): طلوع.

(4) فاكهة الزمن: 1031.

إلى البحر، وأتلفت ثمرة النخل إتلافًا شديدًا، وصلَّى الناس الجمعة في ذلك النهار بالاجتهاد وبعضهم صلى الظهر مجتهدًا، وعُدَّ الحاضرون يومئذ في جامع زبيد فكانوا بضعًا وثلاثين رجلًا، ولذلك صلَّى جماعة منهم الظهر[1] ثم بعد ساعة جاوزوا الأربعين وصلُّوا الجمعة من غير دلالة على بقاء الوقت، ووافق اليوم من السنة الرومية سادس عشر تموز، والله أعلم.

وطلع السلطان من النخل إلى زبيد يوم الثامن من ذي الحجة، وتواترت الأمطار والسيول في قطر اليمن، واتَّصلت الأودية بالبَحْر بعد أن استغنى الناس عنها، وكانت سنة حسنة كثيرة الخير خصيبة بحَمْد الله.

وفي النصف الأخير من ذي الحجة[2]: ولد لمولانا الملك النَّاصر أحمد ابن مولانا السلطان الملك الأشرف ولد وهو المسمَّى يوسف.

وفي ليلة الخميس الحادي والعشرين: دفع وادي زبيد دَفْعَة عظيمة حتى قال الناس: لم نعهد مثلها، وأخربت المعقم الكبير المجاهدي.

وفي يوم السبت سلخ شهر ذي الحجة: توفي الفقيه[3] الإمام العلامة سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الفقيه الحنفي النحوي، وكان شيخ نحاة اليمن في عصره.

وفي هذه السنة: ظهر جراد عظيم في نواحي زبيد وأتلف كثيرًا من الزرع والثمار والأشجار.

روى الخزرجي[4] عن الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف المتولي في زبيد يومئذ [نائبًا للمشد على الأملاك سرياقوس][5] قال: أخبرني بعض الرعية الثقات من أهل وادي زبيد أنه رأى حنشًا كبيرًا خرج من جحره فأكل من الجراد شيئًا كثيرًا حتى عجز عن المسير إلى جحره، فوقف موضعه ذلك فوقع عليه الجراد حتى غشية من كل ناحية، ثم أكلوه ولم يتركوا منه شيئًا.

---

(1) عند الفقهاء: أن الجمعة لا تنعقد إلاَّ إذا تجاوز الـمُصلُّون الأربعين رجلًا.

(2) فاكهة الزمن: 1032.

(3) من كبار علماء اليمن، انظر ترجمته في طراز أعلام الزمن 2: 284 وطبقات اليمن للبريهي: 211 وإنباء الغمر 4: 167 والمعجم المؤسس 3: 167 وبغية الوعاة: 311 والضوء اللامع 4: 325.

(4) العقود: 842: قال علي بن الحسن الخزرجي.

(5) زيادة في (و).

قال: وأخبرني بعض الثقات من أهل الحاجزية -وهي بحاء مفتوحة وجيم مكسورة وزاي-: أنه رأى ديكًا وقد انتشر الجراد في موضعه ذلك، فالتقط ذلك الديك شيئًا فأكله حتى انتهى، ثم وقع عليه الجراد فأكله جميعًا ولم يترك منه إلا الريش، وكان ظهور الجراد في آخر شوال من السنة المذكورة، وأقام إلى آخرها، والله أعلم.

وفي سنة ثلاث وثمانئة: استمر القاضي رضي الدين أبو بكر بن القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن مُعَيْبد ناظرًا في الثغر المحروس عوضًا عن الجمال محمد بن عمر الشكيل، واستمر الأمير سيف الدين قيسون أميرًا بها عوضًا عن الأمير فخر الدين أبي بكر بن بهادر العدني.

وفي عاشر المحرم: توفي الفقيه شرف الدين إسماعيل ابن الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الخير، وكان شابًا حديث السن نجيبًا، قد ظهرت عليه أمارات الفلاح، وكان ذَكِيًّا مجتهدًا في طلب العلم.

وفي سلخ المحرم: وصل القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشكيل[1] من الجهات الشامية إلى باب السلطان بزبيد، وحَصَل على السُّلطان وعك شديد في التاريخ المذكور، وقلق الناس من أجل ذلك قلقًا شديدًا، ثم مَنَّ الله بعافيته. وركب من الدار السلطاني بزبيد إلى دار السرور يوم الجمعة ثاني عشر صفر، فأقام فيه أيامًا، وفي مدة إقامته فيه وصلت خزانة من عدن وكان وصولها يوم الخميس الخامس عشر من صفر.

وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور[2]: توفي الفقيه الصالح تقي الدين عمر بن مظفر وكان وفاته في مدينة زبيد، وكان رجلًا عالمًا صالحًا باذلًا نفسه لطلبة العلم في سبيل الله، عرض عليه التَّدْريس في عدة مدارس فكره الأسباب كلها، ولم يتعلق بشيء منها.

وفي هذا التاريخ[3]: حصل على السلطان ألم شديد أشد من الأول وأقام أيامًا ينتقل من موضع إلى موضع فلم يجد راحة، فعزم على الطلوع إلى تعز، فتقدم يوم الخميس ثاني شهر ربيع الأول، فأقام في حيس أيامًا لسبب ما يجد من الألم، ثم سار إلى تعز، فكان دخوله ليلة

---

(1) العقود اللؤلؤية: الشتيري.

(2) العقود اللؤلؤية: 844 وفاكهة الزمن: 1034.

(3) العقود اللؤلؤية: 844 وفاكهة الزمن: 1034 ومن الغريب أن يرد هذا الخبر في كتاب ينسب إلى الملك الأشرف فكيف تأتَّى له أن يؤرخ لوفاته، وكان على المحقق أن ينبّه على ذلك.

الأربعاء ثامن شهر ربيع الأول، فأقام في دار الوعد عشرة أيام مريضًا، ثم توفي ليلة السبت الثامن عشر من الشهر المذكور، وكان تشييعه إلى تربته والصلاة عليه يوم السبت المذكور فيما بين صلاة الظهر والعصر، ودفن في مدرسته الأشرفية التي أنشأها في ناحية عدينة، واستمرت القراءة عليه سبعة أيام وصلي عليه في سائر مدن اليمن، وقرئ عليه في كل مدينة سبعة أيام، فأصاب كافة الناس عليه أسف شديد، وكان خير ملك، وسيرته أحسن سيرة، جوادًا كريمًا همامًا حليمًا رؤوفًا مشفقًا عطوفًا، لم يكن في ملوك اليمن مثله.

قال القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري: وتوليت غسله بوصِّية منه، وأعانني عليه الفقيه جمال الدين محمد بن صالح الدِّمتي والفقيه موفق الدين علي بن محمد قحر، وشاهدت عليه من الجَلَال والبهجة ما ينشرح به الصَّدر، وبالغت في تطهيره وتنظيفه حتى بلغت به أكمل الفَرْض والسنة، وكَفَّنَتْه بالثياب البيض وطيبته بالمسك والكافور، ونزلت به إلى مدفنه، وحَلَّيت عنه الرباط وألصقت خده بالأرض ووجهته إلى القبلة الشريفة، ودعوت له وودعته، وكان من أحسن الملوك خلقًا وخُلقًا، لم يكن في الملوك الذي عرفناهم مثله.

ومن مآثره الدينية[1]: المدرسة التي أنشأها في مدينة تعز، وهي مدرسة غريبة الشكل، لها بابان شرقي وغربي، وباب كبير يماني، ومقدَّم فسيح وشُمْسَة رحيبة، وتكوين عجيب غريب، [وابتنى فيها مطهرًا نفيسًا][2]، [اتفق الإجماع أنه لم يكن في قطر اليمن مثلها أبدًا][3]، ورتب فيها إمامًا ومؤذنًا وقيمًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن ومدرسًا على مذهب الإمام الشافعي ومعيدًا، وجماعة من الطلبة ومحدثًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجماعة من طلبة الحديث، ومدرسًا في النحو والأدب وجماعة من الطلبة أيضًا، ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن، وأوقف على المدرسة المذكورة وعلى المرتبين فيها وقفًا جيدًا يقوم بكفايتهم.

وهو الذي زاد الزيادة الشرقية في جامع عدينة من مدينة تعز، وهي زيادة حسنة نفيسة، انتفع بها الناس انتفاعًا تامًا.

---

(1) العقود اللؤلؤية: 845 وقرة العيون: 386.

(2) سقط من (ع).

(3) زيادة في (ع).

وابتنى جامع قرية المملاح بزبيد، وأنشأ عدة سبلًا في الطّرقات لمن يَمُرّ هنالك من المسافرين والدواب وغيرهم، وهو الذي أحدث بستان سرياقوس الأعلى في وادي زبيد وغرس فيه غرائب الشجر وازدرع الأرز هنالك.

وكان في غاية اللُّطف والظرف، ومكارم الأخلاق، وجمال الصورة وحسن السِّيرة، والتودُّدِ إلى الخلق ومحبة العلماء والعلم وتوقير حامليه.

ورثاه جماعة من الفضلاء البلغاء بعدَّة من المراثي، وقد أَثْبَتُّ منها القصيدة التي رثاه بها القاضي شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري لموافقتها للمقصود، وهي[1]: [من الطويل]

هو الدَّهر كَرَّت للخطوب كتائبه ... وعضَّت بأنياب حِدَاد نوائبه
وإن كان هذا الدَّهر مالا صروفه ... على دكَّها الطَّود المنيع جوانبه
فما جَدَعَت إلا لمارن أنفه ... ولا جُبَّ إلا ظهره وغواربه
لقد كُوِّرَت في ذلك اليوم شمسه ... وأمست تهاوى في الدَّياجي كواكبه
وأمسى أبو العباس من بعد ملكه ... معفَّرة تحت التراب ترائبه
وحيدًا بِبَطْن الأرض من فوقه الثَّرى ... تَمُرُّ به أحبابه[2] وحبائبه
وقد ملأت عرض الفيافي جنوده ... وطَبَّقَت الدنيا خيولًا مواكبه
فلو كان يغني في الورى دَفْع دافع ... لردَّت وجوه الخَطب عَنَّا كتائبه
ولكنها الأقدار تنفذ في الورى ... بِأَمْرِ إله أمره لا نغالبه
فيا لهف نفسي كيف أُطْفِئ نُورَه ... وكيف خَبا بعد الإضاءة ثاقبه
وكيف أصابته المنايا بِسَهْمِها ... ولم يُغْن عنه جَيْشه ومقانبه
فيا أيها الباكون حول ضريحه ... على مثله فليسكب الدمع ساكبه
فجعتم بمَلْك كالأب البَرِّ مشفق ... بوادره مأمونة وعواقبه

(1) انظرها في ديوان ابن المقري: 130. ط. قطر، والعقود اللؤلؤية: 845.
(2) العقود: أخدانه.

فقدتم له ما تعلمون من الوفا ومن كَرَم ما خاب في النَّاس طالبه
إذا أوعد الجاني تَغَشَّاه عَفْوه وإن وعد العافي غَشَتْه مواهبه
وما عُذْر عين لم تَفِضْ فيه ماؤها وما عذر صَبْر لم تُدُعُّ جوانبه
عليكم له حَقٌّ فَوفُّوه حقَّه وكيف توفَّى بالمدامع واجبه
فوالله لو تبكي الدماء عيوننا لما قاربت من حقّه ما يقاربه
لقد كان مِنَّا يحسن الموت قَبْله لو انَّ امرأً قد مات إذ مات صاحبه
ولولا الذي نرجو ونَعْلَمُ أنه مُمَهَّدة أعلى الجنان مراتبه
وأَنَّ لَهُ في حَضْرة القُدْس منزلًا يشاهد منه رَبَّه ويخاطبه
لما انفك دَمْع العين حزنًا وحسرة عليه من الباكين تَجْري شعائبه
فلا يخدعنَّ الدهر من بعده امرأً فما الدَّهر إلا ضَيْغَمٌ أنت راكبه
يصافي الفتى حتى يرى فيه فُرصة فَيَنْشُب فيه نابه ومخالبه
أبا أحمد أسلمت أمة أحمد إلى أحمد[1] فاستسلم الحق صاحبه
فقام بأمر الله من بَعْد ما عَفَتْ معالمه فِينَا وغارت كَوَاكِبُه
وشَمَّر عن ساق امرئ هَمَّه العلا يجاذب من أطرافها وتجاذبه
وأَمَّنَ من خوف وقَرَّب من نَوَى وساس البرايا وهو ما طَرَّ شاربه
ودانت له الدنيا وأَذْعَن أهلها وراضت صعاب الحادثات تَجَارِبُه
كريم أهان المال بذلًا ومن يُهِنْ لسائله أمواله عَزَّ جانبه
أنارت به الآفاق والشَّمس أشرقت بِطَلْعَتِه والليل تُجلى غياهبه
فيا ناصر الإسلام صَبْرًا فإنه مَتَى مَرَّ طعم الصَّبر سُرَّت عواقبه

(1) يعني ولد الملك الأشرف الملك الناصر أحمد إسماعيل (803 – 827هـ).

لقد كُنْت نِعْم الجَبْر للكسر بعده	فَيَا لك صَدْعًا لَمَّ فِلْقَيْه شاعبه
سقَى قَبْرَهُ الفَيَّاض بالجود والنَّدى	سحاب مُلِثٌّ ليس يقلع راتبه
[وصلى على المختار يا رب ما سرى	ركاب ومهما سار في البَحْر رَاكِبُه][1]

(1) زيادة من (ع)، وإلى هنا تنتهي مخطوطة (ع)، وقد جاء في آخرها ما يلي:
«تَمَّ الكتاب المبارك بحمد الله ولطفه وعطفه، فله الحمد أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا كما يحب ربنا ويرضى، وكان الفراغ من كتابته ورسمه يوم الثلاثاء نصف شهر ربيع الأول من شهور سنة اثنتين وثمانين وألف. وكتب برسم مالكه السيد المقام العلامة شرف الدين الحسين بن أحمد الشامي وفَّقه الله تعالى لصالح الأعمال، آمين. بخطِّ أفقر عباد الله وأحوجهم إليه عليّ بن يحيى الحبيشي وفقه الله تعالى أمره.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا مباركًا إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم».

ملحق[1]

[منقول من كتاب: بغية المستفيد من تاريخ مدينة زبيد]

ومما نقل من (تاريخ) الفقيه العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الشيباني عامله الله بلطفه آمين قال[2]: وكانت البيعة قد ثبتت لمولانا السلطان الملك الناصر في مدة مرض أبيه الملك الأشرف، فحملت راياته وزُفَّت يوم ثامن ربيع الأول من سنة ثلاث وثمان مئة، وكان السِّيري قد حَطَّ على حصن الحمراء في مدة مرض والده وساعده ولده مهدي صاحب سناح، فخرج مولانا الملك الناصر يوم السادس عشر فأخذ شياح وغيره، ورفع السِّيري عن مكانه ونَهَب ما معه، ثم عاد منصورًا.

وفي يوم الحادي عشر من جمادى الأولى من عامه[3]: قصد حَدَّ بني سيف وأباد الأقران وأسر الأعيان، ثم رجع إلى بلاد الأساودة في الثاني والعشرين من شهره، وسَلَّموا حصونهم بالرضا منهم، ثم عاد تعز وحَصَلت منهم خيانة فقصدهم لأجلها في الرابع من جمادى الآخرة فأخرب بلادهم وحُصُونهم وأهلك منهم كثيرًا.

ثم سار[4] إلى زبيد يوم الإثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور وأقام بها إلى عاشر رجب، وخرج إلى المعازبة وسألوا الذِّمة فأعطاهم وسَيّر إلى حنكة المخالفين من بلاد الرماة، فأخذ ما مع الرماة من خيل، ودخل زبيد وأقام إلى أول يوم من شعبان وأخذ المعازبة إبل للمنافرة، فأغار عليهم يوم الثاني، وأباد منهم أممًا منهم ولم يحدث منهم بعد ذلك حادث.

وفي الثاني من شوال[5]: أخذ حصن المهور وهو حصن عظيم انحسمت به مادة الخلاف في مِخْلاف سهام وتلك الأطراف.

---

(1) هذا الملحق وجد بآخر مخطوطة (و) انظر ص: 507 – 521.

(2) بغية المستفيد: 97 (تحقيقنا) ط. الإرشاد بصنعاء سنة 1427هـ.

(3) بغية المستفيد: 97، وفيه: الخامس عشر.

(4) بغية المستفيد: 98.

(5) بغية المستفيد: 98.

ثم طلع إلى تعز يوم الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثماني مئة.

وفي أول يوم من سنة أربع وثمان مئة: أخذ حصن رَيْمة وسائر ما هنالك، وكان افتتاح هذه الأماكن على يد الأمير بدر الدين[1] محمد بن زياد الكاملي والطواشي نظام الدين خضر الخازندار الأشرفي، وقدم عليه الشريف المنتصر في سنة سبع، فوصله بمئة ألف دينار وغزا المقاصرة وقتل منهم جموعًا ونهب بلادهم وأخربها في سنة ثمان.

وفيها[2]: أخذ مدينة دثينة ودخلها قَهْرًا وانتهب أموال أهلها، وقَصَد مدينة جازان في سنة سبع لتغلب حصل من صاحبها على تسليم عادته في كل سنة، فدخل جازان ولم يجد بها أحدًا وأقام بها أيامًا، ثم سأل صاحبها الذِّمة فأعطاه إياها فنزل إليه وأنعم عليه، ووَجَّه به إلى مدينة زبيد في صحبة الأمير محمد بن زياد الكاملي.

ثم توجه[3] الملك الناصر إلى مدينة حلي فلقيه صاحبها إلى البرك بهدايا وتحف وترجل له ومشى تحت ركابه كبعض الجند، وسأل منهم إقالة العثرة وحمل إليه القرآن، وقال: إن هذه البلد ضعيفة لا تطيق وطأة مولانا السلطان فقبل منه، وأمره بالرجوع إلى بلده سالمًا مسرورًا بعد أن شرط عليه أن يقود في كل سنة إلى بابه خمسين فرس، فامتثل ذلك، ورَجَع الملك الناصر إلى جازان فأمر عليها أحد الأشراف من قرابة صاحبها وقَلَّده أمورها.

ثم رجع إلى زبيد فاستشفع إليه صاحب جازان بعلماء زبيد وصلحائها، وكان محبوبًا عند الناس كافة لفعله الخير، فشفَّعهم فيه وخلع عليه خلعًا وصرف له طبلخاناة بأربعة أعلام وكساه من ملابسه وأعطاه عشرين ألف دينار وخمسين عبدًا، وسيره إلى بلده مكرمًا ووَلَّاه أمورها وأمر سائر أمرائه بتشييعه إلى بيت الفقيه ابن عجيل.

وفي سنة إحدى عشرة[4]: وصل إليه أبناء سعد الدين صاحب الحبشة مستنجدين به على الحطى الكافر وواجهاه بمدينة تعز، فأكرمهما ووعدهما النُّصرة.

---

(1) بغية المستفيد: بدر الدين زياد بن أحمد الكاملي.

(2) بغية المستفيد: 98.

(3) بغية المستفيد: 98.

(4) بغية المستفيد: 99، وانظر تاريخ الدولة الرسولية للمجهول (تحقيقنا): 154.

وفي السنة التي تليها[1]: مات الشيخ معوضة بن تاج الدين يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة.

وفي سنة سبع عشرة: قدم عليه الشيخ طاهر بن معوضة يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة فكساه وأنعم عليه وعلى من وصل معه.

وفي سنة عشرين وثمان مئة: قصد صاحب صنعاء بلاد بني طاهر أمناء السلطان، فلما بلغه الخبر تَجَهَّزَ إليه والتقيا بموضع يقال له الضرام، فانكسر الإمام وعسكره وقتل منهم جمع كثير وتبعهم السلطان إلى وادي خبان، ثم رجع إلى المقرانة، وكان قد أمر بعمارة دار النعيم بها، فأعطى البنائين عند وصوله عشرين ألف دينار،

ثم سار إلى بلد العجالم ثم إلى أبين ثم إلى دثينة ثم إلى بلاد علي بن الحسام الزاهر لخيانة بلغته عنه، ثم ظهرت له براءته عنها، فأعطاه مالًا جزيلًا.

ثم سار إلى عدن، ثم إلى تعز، ثم إلى زبيد فبلغه أن جهات وصاب حصل فيها فساد عظيم فقصدها وأخذ أربعين حصنًا من حصونهم، ثم أخذ حصن ركنة زحفًا ثم حصن قوارير قهرًا على أهله ورتب في الحصون من قبله، وأعجبه حصن قوارير فابتنى فيه قصورًا مشيدة ودورًا شامخة وجعل خشبها من الصندل، ومنع قصورها.

وفي سنة اثنتين وعشرين: خالف عليه أخوه حسين وأخذ زبيد وتسلطن فيها ولقب بالظافر فنزل من تعز ودخل زبيد قهرًا، وقبض على أخيه ومن معه وقيده وأودعه دار الأدب بحصن الفص ثم نقله إلى دار الأدب بحصن تعز.

ونزل السلطان إلى بيدحة فاتصل به العلم أن أخاه حسينًا قد أحدث خلافًا آخر بتعز، فطلع السلطان مبادرًا إلى تعز وحصر أخاه في الحصن ثلاثة أيام وأخذه قهرًا وقبض على أخيه وأرسله إلى حصن ثعبات مترسمًا، وأمر أخاه شقيقه الملك الظاهر أن يسير إليه في جماعة ويسمل عينيه ففعل وبقيت هذه سُبة في بني رسول ثم ندم الناصر على ما كان منه ولام الظاهر على المبادرة إلى ذلك، وكان أمر الله قدرًا مقدورا.

ثم نزل الملك الناصر إلى زبيد ثم إلى النخل ثم إلى المرسى الجديد بالقارة، وأمر بعمارته، ثم رجع إلى زبيد.

---

(1) بغية المستفيد: 99.

وفي سنة ثلاث وعشرين: قدم عليه قاصد صاحب الصين بثلاثة مراكب عظيمة فيها من الهدايا النفيسة ما قيمة عشرون لكًّا من الذهب، واجتمع القاصد بالملك الناصر فلم يقبل الأرض بين يديه، بل قال: سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك، فقال له: مرحبًا بك ونعم المجيء جئت، وأكرمه وأسكنه بدار الضيافة، ثم كتب الناصر إلى صاحب الصين كتابًا يقول فيه: الأمر أمرك والبلد بلدك.

وجَهَّزَ له من الوحوش البرية والثياب الفاخرة السلطانية جملة مستكثرة وأمر بتشييعه إلى مدينة عدن.

وفي سنة أربع وعشرين: حصل في اليمن غلاء عظيم وجوع شديد، وقام الفقيه الصالح شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن عجيل بأمر الناس فيه قيامًا عظيمًا، حتى قيل أنه أطعم في إحدى الليالي ثلاثة آلاف نفس رحمه الله تعالى.

وفي سنة خمس وعشرين: وَصَل ابنا سعد الدين المجاهد منهزمين من المشركين إلى زبيد البقعة ودخلا مدينة زبيد فنزل السلطان إلى زبيد واجتمع بهما ورَغَّبَ في الجهاد والخروج له، ثم جَهَّز لهما مئتي فارس وأعطاهما مئتي فرس بما يصلحهما من آلات الحرب، وجهزهما إلى بلدهما مكرمين، ولم يزل يجري لهما الخيرات حتى قويت شوكتهما وظهر في أول دولته ابن نجاح فما ساعده فلاح حتى ضربت به العامة المثل فقالوا: ملك نجاح ساعة وراح واسمه محمد بن أبي القاسم ابن نجاح الأشعري، وكان قد جمع أموالًا عظيمة فاستكثرها وقصد زبيد وحاول الملك فلم يظهر منه بشيء ولم ير في زبيد إلا مقتولًا، وكان ظهوره وقتله يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثمان مئة.

والملك الناصر هو الذي عمر المرسى بساحل وادي زبيد وانفق فيه مالًا جزيلًا وعمر حصن الفص بقوارير وعمر هنالك مواضع كثيرة وأحدث فيها دورًا كثيرة منها: البريحة والقاهرة، وأنشأ دارًا ببحرة وآخر بالرعب وأنشأ في مدينة بيدحة دارين عظيمين، وأنشأ هنالك مجرى وبستانين وساق الماء إلى هذه الأماكن من مكان بعيد، والدار الكبير الناصري في مدينة زبيد من عمارته، وإليه ينسب.

وفي أيامه بنت الحرة أم الملوك جهة الطواشي فرحان المدرسة الفرحانية بزبيد، وأنشأت أيضًا بركة مسجد الأشاعر في سنة خمس عشرة أو التي بعدها، وكان جماعة المسجد

قبل إنشائها قليلين فكثر جمع المسجد المذكور بسبب إنشائها، وارتفق الناس بها ارتفاقًا عظيمًا كليًا.

وكان الملك الناصر موصوفًا بالكرم الجم، والحلم التام، عند الخاص والعام، بحيث أنه قد يرفع إليه أشياء مما لا يحتمله عادة الملوك، فلا يستفره غضبه، ولم يذم منه شيء سوى ما فعله مع أخيه حسين، ولم يزل قائمًا بأحوال المملكة حافظًا لها في التهائم والجبال، حتى توفي آخر يوم الأحد الخامس عشر من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثماني مئة شهيدًا بقصره في حصن الفص من قوارير، وحمل إلى مدينة تعز، ودفن في مدرسة والده الملك الأشرف.

ثم ولي الملك بعده ولده الملك المنصور عبد الله بن أحمد، وكان عدلًا شجاعًا ذا دين متين، أزال منكرات كثيرة. [........][1].

فأثار ساكن، عزم أهل السنة، ومنع أرباب الطرب من النساء الحضور إلى دار مملكته، وكان ذا رأي وتدبير لسياسة المملكة على صغر سنه، جوادًا شجاعًا، كريمًا، ممدحًا، وكان يحب الفقراء والمساكين ويحضر صلاة الصبح جماعة مع الجماعة بمسجد الأشاعر بزبيد وبالجامع المظفري بذي عدينة.

ولم يزل على قدم الجَدِّ والاجتهاد ناهضًا بأعباء ما حمل حتى توفي ظهر يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمان مئة بالدار الكبير من مدينة زبيد، وحمل إلى مدينة تعز ودفن بها في مدرسة جده الأشرف بحذا قبره، يوم السبت ثامن عشر الشهر المذكور.

ثم ولي الملك بعده أخوه الملك الأشرف ابن الناصر إسماعيل بن أحمد، وكان صغير السن فتولى تدبير المملكة جماعة من أعيان الدول، واختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم، فنهض جماعة من المماليك والعبيد وقبضوا عليه ظلمًا وبغيًا بدار المملكة من مدينة تعز المعروف بالأخضري.

وفي التاسع من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين: نهب الدار وما فيه، وخربت مدينة الكدراء من وادي سهام في أيامه، فقتل مقدمها يومئذ العباس بن محمد الكاملي، وكانت مدة ملكه سنة وشهرين.

---

(1) بياض في الأصل.

ثم انعقدت كلمة الإجماع على إقامة عمه السلطان الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل، فأخرج من السجن بثعبات صبيحة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وثمانمئة، وبايعوه وتمت بيعتهم، ثم ركب إلى دار العدل بتعز لفوره، ثم أرسل بابن أخيه الملك الأشرف تحت الحفظ إلى حصن الدملؤة وسُجن هنالك حتى توفي، ثم نزل إلى مدينة زبيد فدخلها يوم الجمعة ثاني ذي القعدة من السنة المذكورة دخولًا معظمًا.

وبعد عامين من ولايته نكل بالجند الذين خلعوا ابن أخيه أشد النكال، وأذاقهم شديد الوبال. وكانوا قد طغوا وبغوا وزعموا أنهم يقيموا من شاؤوا ويخلعوا من شاؤوا، فأبادهم قتلًا وتغريقًا ونفيًا وتفريقًا.

ثم صادر وزير ابن أخيه القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوي وأخذ منه أموالًا عظيمة، ثم أطلقه، وأظهر له الرضا، وأرسل زوجته بنت المزجاجي سرًا وأمرها أن تطلق منه، وكانت تحته، فأطلعته على ذلك، فطلقها خوفًا على نفسه، فلما علم الملك الظاهر بذلك عَقَد له الولاية على مدينة المحالب فتوجه إليها.

فلما انقضت عدة زوجته أرسل السلطان، وهو إذ ذاك بمدينة موزع وكيله فتزوجها ونقلت إليه، فلما انتهى الخبر بذلك إلى العلوي فرّ إلى مكة حرسها الله تعالى، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين.

فلما علم الملك الظاهر بذلك أمر بالقبض على أخيه الشهاب العلوي وعلى بيوتهم وأموالهم، فلما علم الشِّهاب بذلك استجار ببيت الشيخ الغزالي بن طلحة الهتار، فقالوا له: لا يقدر أن يجرك من السلطان، فلجأ إلى مدرسة أم السلطان المعروفة بالفرحانية في زبيد فأرسل السلطان من قبضه منها، فجيء به صائمًا حاملًا للقرآن على رأسه حتى وقف بين يديه، فأمر بضرب عنقه فضرب لفوره، ولم تعلم أم السلطان حتى قتل، وذلك في يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين.

ثم استصفى السلطان أموال بني العلوي، وهَدَمَ بيوتهم، ولم يبق لهم باقية.

وأما القاضي شرف الدين فلم يزل مقيمًا بمكة حتى توفي مسمومًا فيما قيل، أول سنة خمس وثلاثين.

وفي سنة اثنتين وثلاثين: أمر السلطان الملك الظاهر بتجديد درب مدينة زبيد وتحصينها وبنى دار السلاح على باب الشبارق منها.

وفي جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين: استوزر القاضي تقي الدين عمر بن الوزير شرف الدين أبي القاسم بن معيبد، وكان موصوفًا بالدين والصلاح وعقد له الوزارة في مدينة موزع.

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضانها: وصلت هدية من صاحب دهلك إلى الملك الظاهر من جملتها: فيل وأسد وزرافة وجوار وعبيد وزباد وغير ذلك.

وفي يوم الخميس الرابع من شهر صفر سنة خمس وثلاثين: قدم عليه الشيخ شمس الدين علي ابن طاهر بن معوضة بن تاج الدين إلى مدينة تعز، وواجهه بدار الشجرة.

وفي السنة المذكورة: أمر بعمارة دار العذيب بنخل وادي زبيد.

وفي سنة ستة وثلاثين: اتفقت الصَّهارة الكريمة بين الملك الظاهر وبين الشيخ طاهر بن معوضة، وتقدم الفقيه نور الدين علي بن محمد الحميري وكيل للسلطان في زواج ابنة الشيخ طاهر بن معوضة، وتقدم معه الأمير عفيف الدين عبد الله بن محمد الشمسي، ومن الفقهاء: الفقيه عبد الولي بن محمد الوحصي، والفقيه أبو بكر بن محمد العرشاني.

وفي السنة المذكورة: توفيت أم السلطان الحرة الطاهرة أم الملوك جهة الطواشي جمال الدين فرحان بمدينة زبيد في الثاني عشر من شهر صفر، ودفنت قريبًا من تربة الشيخ طلحة ين عيسى الهتار، وأمر ولدها السلطان الملك الظاهر بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها، ورَتَّب فيها إمامًا وخطيبًا وأيتامًا ومعلمًا لهم، وعشرين قارئًا يقرؤون القرآن عند ضريحها عقيب كل صلاة، ورَتَّب لهم ما يقوم بكفايتهم.

ومآثر أم الملوك هذه كثيرة شهيرة في أماكن متعددة كمكة وزبيد وتعز ولحج.

وفي سنة سبع وثلاثين: وهي السابعة من دولته، وقع بمدينة زبيد موت عظيم حتى بلغ الذين يخرج بهم من الأبواب في كل يوم ثلاثين ميتًا وأقل وأكثر، وكثر المرض في الناس حتى أن بعض البيوت مرض جميع أهله فلم يجدوا من يمرضهم.

وحصل في تلك السنة: حريق عظيم وكثر المطر، ووقع في مدينة زبيد مطرة عظيمة وأهلها يومئذ في النخل فخرب من بيوتها فوق السبعين بيتًا ما عدا الجدرات والأسعاف[1] والخوض، ولم يبق بيت إلا وحصل فيه الخراب، وسال وادي زبيد نيفًا وستين يومًا متصل الأيام والليالي لم ينقطع ساعة واحدة، وعم الموت جميع البلدان، ومات في مكة تلك السنة خلق كثير من أهلها وغيرهم حتى خلا بعض بيوتها.

---

(1) الأسعاف: جمع سعفة (معروف).

وفي السنة المذكورة: كان ختان أولاد الملك الظاهر وهم: الأشرف إسماعيل وشقيقة الناصر أحمد، وأخوهما الصالح حسن بمدينة زبيد صبح يوم الجمعة التاسع عشر من شوال، وكان ختانًا معظمًا لم ير مثله، والملك الظاهر هو الذي أبطل ضمان الحسبة والمحناط ورد كثير من المظالم على أهلها.

ولم يحمله على ما فعل ببني العلوي إلا أحقاد متقدة من دولة أخيه الملك الناصر فما بعدها.

ومن مآثره الدينية: المدرسة الظاهرية بمدينة تعز، وكان ابتداء عمارتها في السابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين، وقبره بها، أمر فيها بعمارة منارتين أحداهما بدرجتين ليس لهما نظير في اليمن إلا بصنعاء كما قيل، وله أخرى بمدينة عدن عند باب الساحل، وعمرت زوجته الحرة الطاهرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت المدرسة الياقوتية بمدينة زبيد غربي الخان المجاهدي منها، ورتبت إمامًا ومدرسًا ومقرئًا بالسبعة وغير ذلك.

وسقطت في أيامه منارة مسجد الجَنَد الشرقية، فأمر بعمارتها من خالص عين ماله.

وفي أيامه بنى خازنداره الأمير برقوق الظاهري مسجد الأشاعر بمدينة زبيد في سنة اثنتين وثلاثين، وهو الذي بناه بعد الحسين بن سلامة فيما وقفت عليه، فعمره عمارة متقنة وزاد فيه زيادات مستحسنة، منها: أجنحته الشرقي والغربي واليماني، ومقصورة النساء، وجعل للمسجد خزانة جيدة لحفظ أمتعته، وقضضه بالنورة ورسم فيه بالدهانات، ونصب في المسجد المذكور منبرًا وجعل عليه مقدمة كريمة من القرآن العظيم انفق في تحصيلها نفقة جليلة، وهي عديمة النظير في الخط والذهب، وجعل على المنبر قارئًا يقرأ القرآن قبل صلاتي الظهر والعصر، ووقف لذلك ولمصالح المسجد المذكور وقفًا جيدًا، وجعل نظر ذلك إلى المعمار الصديق بن عمر الموزعي.

قلت: وقد شارف المسجد المذكور الخراب في أيام السلطان الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر، فأمر بهدمه وعمارته ورفعه عن الأرض، فابتدئ في ذلك من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمان مئة فهدم وبني بنا حسنًا، ورفع عن الأرض نحو سبعة أذرع، وزيد فيه زيادات من جانبه الأيمن، وجعل في جداره القبلي شُبَّاكان من حديد عظيمان أضاءت منهما الجوانب في المسجد المذكور.

وأبدل على الأساطين ما تلف وجعل للبركة رواق ثاني زيادة على الرواق الأول الشرقي، وجعل للبركة باب خارج عن المسجد يدخل منه الناس أيام المطر صيانة للمسجد عن النجاسات.

وأنفق فيه مولانا السلطان نفقة جليلة، والمسجد المذكور على بنائه إلى وقتنا هذا.

وفي آخر دولة الملك الظاهر الغساني هي سنة تسع وثلاثين: حصل في اليمن طاعون عظيم عام، وكثر في الجبال، ومات بسببه من أعيانها خلائق لا يحصون، كالفقيه الحافظ جمال الدين محمد بن أبي بكر الخياط، والفقيه عبد الولي بن محمد الوحضي، وقاضي تعز إسماعيل بن عبد الله بن محمد الريمي، والقاضي عبد الرحمن بن محمد العرشاني قاضي مدينة تعز وأخيه القاضي أبي بكر بن محمد، وقاضي الجَنَد الفقيه محمد بن أبي بكر الحنبلي، والفقيه محمد بن عبد الله الكاهلي بمدينة إب وغيرهم.

وفي هذه السنة: تورخ بها عوام من أدركناه من أهل اليمن فيقولون: سنة الجفلة - بكسر الجيم والفاء وتشديد اللام المفتوحة ثم هاء تأنيث - والله أعلم.

وفي آخر دولته: أغار القرشيون على مدينة فشال وأخربوها وقتلوا أميرها شمس الدين علي بن موسى اليمني وبني السرب في جماعة من أهل فشال في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين.

ولم يزل السلطان الظاهر قائمًا بأعباء الخلافة حتى توفي في آخر يوم الجمعة آخر شهر رجب الحرام سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة بمدينة زبيد بعد أن قدم إليها من مدينة تعز يوم الإثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور مريضًا فأقام بها ثلاثة أيام فحسب، ثم توفي.

فأجمع أهل الحل والعقد على إقامة ولده الأكبر سنًا السلطان الملك الأشرف إسماعيل خليفة، فبايعوه وتمت بيعتهم له، وأمر بتجهيز والده الملك الظاهر فغسله بأمره شيخ الإسلام جمال الدين محمد بن الطيب بن أحمد الناشري، وقاضي الشريعة بزبيد حينئذ شهاب الدين أحمد أبو الفضل بن على الناشري، وخطيب زبيد الفقيه كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي، ثم جهزه أحسن الجهاز، ثم صلى عليه، وأمر شيخ الإسلام الطيب الناشري أن يتقدم به إلى مدينة تعز، وهو الذي أدخله قبره وقبره بمدرسة الظاهرية بمدينة تعز المقدم ذكرها.

ولما استقل ولده الأشرف بالملك دانت له البلاد والعباد، ومشى على طريقة والده في حسن السياسة، وظهرت للناس رجاحته، واشتهر في جملة معارك بالفراسة وقوة القلب والشجاعة والإقدام والنجدة، والشهامة وشدة البأس، حتى قيل: لم يسبقه أحد من آبائه إلى ذلك، وباشر الأمور بنفسه، وتولى ما يعنيه، وكان فيه أقدام عظيم، حتى كان يقال له: المجنون لذلك.

وفي يوم الجمعة سلخ ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين: فقدت جهة شقيق ابنه الملك الأشرف بن الأفضل عمَّة الملك الظاهر.

وفي يوم الإثنين مستهل صفر من سنة ثلاث وأربعين: هجم القرشيون قرية المملاح بظاهر زبيد، ونهبت القيسارية، وقتل من القرشيين رجل واحد.

وللملك الأشرف مع العرب عدة وقائع له وعليه، فمنها: يوم العذيب، وكان يوم الأربعاء الثامن من صفر سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة، اجتمع فيه القرشيون والمعازبة وقصدوه إلى دار العذيب بنخل وادي زبيد، فكسرهم كسرة شنيعة، وقتل من القرشيين خمسة وثلاثين رجلًا.

ومنها: يوم الفص، قتل فيه منهم نحوًا من ثلاثة وثلاثين رجلًا.

ومنها: يوم العرمة، قتل فيه القرشيون من عسكره جمعًا، وهزموهم وأتبعوهم إلى قرية التحيتا، يقتلون منهم ويأسرون.

ومنها: وقعة القاهرة بينه وبين المعازبة، قتل فيه من عسكره جمع كثير، منهم الأمير شكر العدني، والأمير عبد الله بن زياد وغيرهم، وذلك يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين.

ومنها: وقعة المشيافة بينه وبين القرشيين، لم يسلم فيها من عسكره إلا اليسير، ولم ينج إلا بنفسه، وليس معه سوى دبوس في يده.

ومنها: وقعة السماط المشهورة في شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين طلب الملك الأشرف جماعة من مشاهير المعازبة ومشايخهم، وعمل لهم سماطًا ببيت الفقيه ابن عجيل، فلما قعدوا عليه يأكلون أمر العساكر بضرب رؤوسهم، فضربت على السماط رؤوس أربعين نفرًا منهم، ولم ينج منهم إلا اليسير.

وكان يواظب على صلاة الجمعة بجامع زبيد، وفعل فيه حسنة لم يسبق إليها، وذلك أنه أمر بإنشاء بركة حسنة عظيمة في الجامع المذكور، وأقام فيه درسة يقرؤون القرآن عقيب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم، وعمر في الجامع المذكور عدة من سقوفه، وأصلح متشعثه.

وقد قيل: أنه أعرق الناس في الملك، فهو الأشرف بن الظاهر بن الأشرف بن الأفضل بن المجاهد بن المؤيد بن المظفر بن المنصور.

قلت: ومثله ابن عمه الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف، ولم يوجد في الملوك باليمن من ولي الملك، هكذا ثمانية على نسق واحد إلا فيهم.

وتوفي الملك المذكور يوم الثلاثاء من شهر شوال سنة خمس وأربعين وثمان مئة بدار السرور من مدينة تعز، ودفن عند والده بالظاهرية.

ثم ولي الملك بعده ابن عمه الملك المظفر الصغير يوسف بن الملك المنصور عمر بن الملك الأشرف إسماعيل بن العباس، وكان قد نفر من ابن عمه المذكور قبله إلى أصاب، وأقام بها عند الشيخ الصالح يحيى بن عمر الذيابي صاحب الصنجوج مستجيرًا، فأجمع أهل الحل والعقد على إقامته خليفة، وقد كان الناس يلهجون به قبل ولايته ويذكرون عدله وإنصافه، فتسلم الملك بقرية الصنجوج من بلد أصاب يوم الجمعة الثاني عشر من شوال، وسار إلى تعز فدخلها عصر يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور إلى باب دار الشجرة في موكب عظيم، ثم ركب منه إلى دار النجا بتعز ظهر يوم الإثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

ولم ينزل من تعز فخرج جماعة من الترك والجند الذين بايعوه على الطاعة، ونزل المماليك من عنده إلى زبيد وصحبتهم يشبك الخاصكي وكان صاحب شدة وبأس ففعل هو والمماليك أفاعيل من جملتها أنه أقاموا الملك المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل العباس سلطانًا بتربة الطلحية، ودخل مدينة زبيد يوم الثلاثاء خامس المحرم أول سنة ست وأربعين وصرف أموالًا كثيرة، وأدخل العرب مدينة زبيد وفرق عليهم جملة من الخيل والأسلحة من الدار حتى قويت شوكتهم وأخذوا نخل وادي زبيد على أهله واقتسمه القرشيون والمعازبة ومنعوا منه أهله رأسًا.

ثم اختلفت القرشيون والمعازبة واقتتلوا فلم يتطرق المعازبة إلى نخل وادي زبيد، وبقي أمر النخل في أيدي القرشيين إلى أن نزل الشيخ علي بن طاهر وملك البلاد فيما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وجرت أمور ومفاسد من العساكر بزبيد يطول شرحها، فنزل من قبل المظفر الطواشي محسن والشهاب الصباحي والوجيه ابن عباس والشيخ شمس الدين علي بن طاهر، فلم علم الطواشي نجيب بوصولهم لزم المفضل بزبيد، ولما دخلوا زبيد خرج نجيب بالمفضل إلى تعز في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر.

ومات الوجيه ابن حسان في ذلك اليوم، واستشهد المفضل في شعب الديار، ثم طلع ابن الطاهر باستدعاء المظفر له يوم الخميس تاسع الشهر المذكور.

وفي يوم الجمعة بعده: قتل يشبك الحاسكي المفسد، وكان قد خرج عن طاعة المظفر مع جماعة من أصحابه المفسدين وأقاموا بقرية القرشية وقصدوا زبيد غير مَرَّة في أصحابه المخالفين، فلم يظفر بشيء حتى قتل في التاريخ المذكور خارج باب النخل.

وفي الجمعة التي بعدها: قرئ منشور في جامع زبيد، وصل من المظفر بأمان أهل زبيد، ثم قدم بخيت من تعز وفي صحبته أربعون عبدًا فلزم جماعة من أعيان البلد في جامع زبيد لفتنة أرادها، فقتل وطرح وانتهب بيته واستجار الصباحي عند الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي وافتدى محسن نفسه بألفي درهم بعد أن نهب بيته، ثم طلب العبيد جوامكهم فكتب إلى المظفر فلم يجيء جوابه، فنهب العبيد الغلة من جميع الأراضي حول زبيد واستدام ذلك، ثم أظهر العسكر أن المظفر غير قائم بأمر الخلافة لضعفه.

وخرج جماعة من العبيد إلى مدينة حيس وبحثوا عمن بها من ملوك فوجدوا أحمد الناصر بن الظاهر بن يوسف بن عبد الله بن المجاهدي علي الرسولي فولوه سلطانًا، ودخل زبيد عصر يوم السبت سلخ جمادى الآخرة إلى الدار الكبير الناصري، ولم يكن بذاك.

وفي يوم الخميس خامس شهر ربيع منها: اجتمع جماعة من العبيد إلى باب الدار وضرب نفيرهم فصاحوا صيحة منكرة، وساروا لوقتهم ينهبون المدينة ويقتلون من وجدوه وانتهبوا بيوتًا كثيرة من ربعي الجامع والمعاصر، وقصدوا بيوت التجار، ولم يزالوا كذلك من ضحوة النهار إلى صلاة العصر، وسلمت بيوت القضاة، وقتل من أهل زبيد أربع نفر، ومن العبيد

واحد، ولم يزل البلاء يتزايد حتى كان يوم الأحد سادس شعبان فنزل السلطان لمباشرة النخل بوادي زبيد، فقام جماعة من عوارين أهل زبيد نحو الخمسين ليغلقوا أبواب المدينة، وظنوا أنهم لا يغلبون، فلما قفلوا الأبواب إلا باب الشبارق جاؤوا ليغلقوه فوجدوا عساكر السلطان عليه، فحاصوا حيصة حمر الوحش، ورجعوا هاربين، وتسوروا الدروب واستجاروا ببيوت المناصب، فنهبت عساكر السلطان البلد نهبًا عظيمًا شنيعًا.

ثم قدم السلطان بعد صلاة المغرب، فأمر بذلك وبقتل من وجد من صغير وكبير، فلم يبق لأهل زبيد باقية، حتى أخرجوا ما في الآبار والمدافن وغير ذلك، ولم يسلم من البيوت سوى بيوت جماعة من الدولة، وأصبحت زبيد ﴿حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس:24]. وتفرق أهلها عنها شذر مذر، وسلم أكثر بيوت أهل المجنبذ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلقب هذا بالخاسر لهذه الوقائع التي اتفقت في أيامه.

ثم لزم في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأخرجوه سالمًا إلى الطلحية هو وأولاده. وقام بالأمر بعده الملك المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف بن الناصر، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة في ليلة الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول بزبيد، ودخل عدن يوم الخميس منتصف ذي القعدة الحرام، وبنو طاهر إذ ذاك بلحج وأبين معاونين للملك المظفر، وفي أنفسهم ما فيها من طلب الاستبداد بذلك لما رأوه من ضعف المملكة وانحلال أمرها، فقاومهم الملك المسعود وخرج إليهم من عدن ودخل لحج سنة ثمان وأربعين.

وفي آخر هذه السنة: وقع باليمن طاعون عظيم، وكان معظمه في الجبال، ومات بسببه خلائق لا يحصون، منهم: المقري العلامة عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري توفي بمدينة إب، رحمه الله في آخر ذي الحجة منها.

وفي سنة تسع وأربعين: قدم الأمير زين الدين جياش السنبلي إلى مدينة زبيد مقدمًا من قبل الملك المسعود، فاصطلح هو والمعازبة ونابذ القرشيين وغزا المخيريف قرية الأشاعر، فأخربها وغزا القرشيون، ونزل النخل أيام حلوله، ومعه المعازبة والعبيد والعساكر، فحمل عليه القرشيون صبيحة مبيتة بالنخل يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وثمان مئة، فانكسر الأمير وهرب العبيد والقواد، وقتل الأمير عماد الدين يحيى بن زياد، وصهره عبد الله بن عمر بن حسين الدمرداشي، والمشد محمد بن معوضة، ومولانا

حمزة بن الملك العادل، وجماعة من بني أقبال، وسلم الأمير زين الدين وبنو عمه، وكانت وقعة مشهورة تعرف بالعذيب الأخرى.

ثم قصد المسعود تعز وحاصر المظفر بحصنها وتعب المظفر من ذلك وأرسل إلى بني طاهر، فنزل إليه الشيخ عامر بن طاهر مناصرًا له على المسعود، وأقام بدار القسطال حتى انحاز إلى بلدة راضيًا مختارًا.

ولم يزل المسعود بدار الوعد من عدينة تعز حتى قام عليه بنو طاهر مرة أخرى وأخرجوه من تعز سالمًا بجميع ما معه يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين، فبلغ موزع ثم هقرة، ثم عدن، ودخلها يوم السادس من شوال، ثم نزل بنو طاهر والمظفر لحج والمسعود بعدن في ذي القعدة، وحصلت مقاتلة بينهما، فقتل من عسكر المسعود جماعة، وخلَّى المظفر بين المسعود وبين حصن تعز، فنزل منه وقبضه المسعود سنة أربع وخمسين، وفيها حصل بمدينة زبيد وما يليها جوع عظيم وغلاء شديد، وتعرف بسنة مجرر.

قلت: وهذه السنة التي تؤرخ بها الآن عوام أهل زبيد، فيقولون: سنة الجوع.

وقد حصل في الدولة الناصرية جوع عظيم، وتعرف بسنة أحمد، وبسنة قميع.

وفي شوال من سنة سبع وخمسين: غرقت سفينة حبر بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة التحتانية، ثم راء، ببطن الصفارية بين البقعة والحديدة، ولم ينج من أهلها سوى البحارين وامرأة واحدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما ابن طاهر فابتنى دار لحج، ووقف بها مدة، ثم ارتحل إلى بلده، ثم نزل في المحرم سنة ثمان وخمسين في عسكر ضليع، فقاتله عساكر المسعود، فنال منهم، ونالوا منه، ثم رجع إلى بلده.

وفي هذه المدة من أيام المظفر إلى آخر دولة بني رسول: لم يزل أمر العبيد يستفحل بزبيد حتى استقلوا بالأمر دون أوليائهم، وفعلوا ما فعلوا، وأخذوا كل سفينة غصبا، وولوا بزبيد الملك المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف في آخر يوم من شعبان من سنة خمس وخمسين سلطانًا، فلما علم المسعود بذلك نزل إلى زبيد في رمضان، ولم يدخلها، بل استقر خارجًا ليحارب المؤيد، فأحس من عساكره بمكر وخداع، فرجع إلى تعز، ثم إلى عدن. وما زالت الحرب بينه وبين بني طاهر سجالًا حتى خلع نفسه، وخرج من عدن سادس جمادى

الآخرة سنة ثمان وخمسين وثمان مئة، ودخلها المؤيد يوم السابع والعشرين منه، ووقف بها إلى أن نزل الملكان أبناء طاهر على ما سيأتي بيانه في الباب بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ضحوة نهار الخميس خامس شهر شعبان المعظم المنخرط في سلك شهور سنة 1103 ولله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ملحق

أواخر الدولة الأيوبية في اليمن

(نص مستل من كتاب التاريخ المنصوري
لأبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي
المتوفى بعد سنة 625 هـ)

تحقيق

الدكتور أبو العيد دودو

ط دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية
سنة 1401هـ/ 1981م

وفي[1] سنة ثمان وتسعين [وخمسمائة][2] أخرج سيف الإسلام ولده الملك المعز[3] إسماعيل من اليمن خرجة ثانية بعدما كان أخرجه إلى الشام وعاد منه إليه. وذلك كله خوفًا على نفسه منه، فسار فاتصل بالسرّين من بلاد اليمن، وهي آخر اليمن وأول الحجاز، فأقام بها أيامًا وتُوفّي سيف الإسلام/. فسيَّر جمال الدولة كافور خادم أبيه إليه ياقوت العجمي، [114أ] وياقوت الجمالي، ومحمود السيرواني، والأسعد بن الحارس [فساروا][4] إلى الملك المعزّ عرّفوه بموت أبيه واستدعوه إلى زَبيدْ[5]، فحضر معهم، وسلموها إليه، وأقام بها أيامًا وسلموا إليه جميع القلاع. ثم توجه منها إلى قلعة تعز[6]، فأقام بها مدة، ثم توجه إلى الدُّمْلوَة[7]، فأقام بها شهرين طلع إلى حب[8]، فأقام بها، ثم توجه إلى لَحج[9] وأبْيَن[10]، فأقام بها أيَاما، ثم توجه إلى عدن، فأقام بها ستة أشهر، ثم توجه إلى صنعاء، فلقيه الشريف عبد الله بن عبد الحسيني[11]، فصافه تحت حب، فكسر الشريف المذكور، وتوجه إلى صنعاء، فلقيته مماليك أبيه، عدتهم [114ب] ثمانمائة مملوك، فاعتصموا بصنعاء وقاتلوه، فكسرهم، وأخذ صنعاء، وأقام بها/ أربعة أشهر، ثم نزل إلى تعز، فأقام بها أربعين يومًا، ثم إلى زبيد، فأقام بها أيامًا، ثم استحلف الناس، وفصل له الثياب الخضر، والعمائم الخضر المذهبة، واستسلم من كان في بلاده من النصارى

(1) يجدر بنا أن ننبّه هنا إلى أن المؤلف يسرد حوادث اليمن ابتداء من سنة 593، وهي السنة التي توفى فيها سيف الإسلام. أما المعز فقد قتل في هذه السنة. انظر: أبو الفداء ج 3 ص 107، المقريزي ج 1 قسم واحد ص 159، أبو المحاسن، النجوم ج 6 ص 181، ابن الأثير ج 9 ص 238، وابن الجوزي ج 8 قسم 2 ص 453.

(2) زيادة للإيضاح.

(3) في الأصل: «العزيز».

(4) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها النص.

(5) زبيد: مدينة مشهورة باليمن. انظر ياقوت ج 2 ص 915.

(6) تعز: قلعة عظيمة باليمن. انظر المرجع السابق ج 1 ص 851.

(7) الدملوة: حصن باليمن. المرجع نفسه ج 2 ص 599.

(8) حب: من قلاع اليمن المشهورة. المرجع نفسه ج 1 ص 193.

(9) لحج: مخلاف ومدينة باليمن. نفس المرجع ج 4 ص 352.

(10) أبين: مخلاف باليمن. المرجع نفسه ج 1 ص 110.

(11) الأصل «الحسني» تصحيف. توفي الشريف بن عبد الله الحسيني سنة 613هـ/ 1216م، انظر أبا شامة، الذيل 64.

واليهود، وخطب له بالخلافة في زبيد، وادعى أن الأمويين، فأول خطبة خطب الملك المعز المذكور في داره المعروفة بعبد النبي بن مهدي[1]. ثم سير إلى البلاد، وأمرهم أن يخطبوا له على المنابر بأمير المؤمنين، وأبطل الخطبة لبني العبّاس. ولم يزل هو يخطب بنفسه مدة حياته، وذلك في تعز، وفي الدُّملُوَة، وفي كل موضع له حصن، وكان قد أقام سلطانًا من غير دعوى خلافة سنة كاملة، وبقي خليفة إلى أن مات أربع سنين، وكانت مدة ولايته خمس
سنين وشهيرات./ ثم تجهّز طالبًا مكة المحروسة، وجهّز ياقوت الجمالي، والمجاهد [108أ]
الجمالي، وسنقر[2] الغُزِّي إلى مكة بأن تُعْمَلَ له دار، ويقام له إقامة ليكسو البيت، فلمَّا تحقّق الشريف أبو عزيز قتادة[3] ذلك أمر غلمانه أن ينبهوا جميع من كان من أصحاب الملك المعزّ وأسروهم، فسمع الملك المعز ذلك فشقّ عليه، وتجهز طالبًا مكة إلى أن وصل إلى المهْجم[4] تقاعد عنه جماعة من أصحابه وخذلته، تعكَّس وتشوّش، فعاد إلى اليمن إلى بلد يقال له الكدْرَى[5] من أعمال زَبِيد[6]، فأقام بها خمسة أيام، ثم استدعى مملوكًا يقال له سيف الدين سُنقر واستحضره عنده في الدار بمحضر من جماعة، فسقاه الخمر بعد أن كان تركها مدّة
زمانيَّة وقال له: «ياسنقر، قد كبر جوفك وسمنت»[7] ودعا[8] بمعتوق الرزاق/ الحلبي وقال [115ب]
له: «يا معتوق، طيب لي قارورة نفط!»[9] فأحضرها بين يديه، وقال له: «قم يا سنقر!» وأم معتوق أن يضربه بها، فقام إليه مملوك يقال له أبو شامة كبير من مماليك أبيه، كأن له صنعًا في حياة والده، واستوهبه منه فوهبه له، ثم قعدوا على شرابهم ساعة، ثم دعا[8] بسنقر مرة ثانية

(1) كان عبد النبي علي بن مهدي أحد أعداء الدولة في حيه، وقد قتل سنة 570هـ/ 1174م. انظر المقريزي ج 1 قسم 1 ص 53.

(2) كان اسم سيف الدين سنقر قبل أن يصبح أنابكا سنقر الغُزي، راجع ابن حاتم ورقة 16 ب.

(3) هو الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة العلوي، توفي سنة 617هـ/ 1220م. انظر أبا شامة، الذيل ص 123 وابن الجوزي ج 8 قسم 2 ص 617.

(4) المهجم: بلد وولاية واسعة من أعمال زبيد، انظر ياقوت ج 4 ص 696.

(5) الكدري: اسم لمدينة باليمن تقع على وادي سهام. انظر ياقوت ج 4 ص 244.

(6) انظر ما سبق ص 26.

(7) عبارة ابن الفرات ج 4 ورقة 198 ب: وقال له: «بسنقر، والله قد كبر جوفك وسمنت»، فقال له: «من نعمة أمير المؤمنين».

(8) الأصل وادعى.

(9) ورد في ابن الفرات، ج 4 ورقة 199أ، بعد كلمة (نفط)، وهي ساقطة هناك، عبارة: «فطيبها وأحضرها».

وجذب عليه سكينًا وقال له: «أريد أَشقّ مصارينك!» فقال له: «يا أمير المؤمنين، أنا مملوك» فعاتبه ساعة، ثم قام سنقر من بين يديه بعد أن قبلها، وقعد في مكانة ساعة، ثم خرج، فقال له الملك المعز: «إلى أين؟» فقال: «في حاجة يا أمير المؤمنين [إلى] البرية أقضيها وأعود» فقال له: «دع رهنك على العَودة، كما جرت عادة من يشرب مع الندماء»(1) فترك منديله وخرج إلى [116أ]
خيمته/ لقي جماعة من المماليك فقال لهم: «قد قتلت الخليفة!» وكان ليلًا فركبوا في خمسمائة مملوك، ثم دخلوا إلى الكدري ونهبوها، وأخذوا خزانتها، فبلغ ذلك المعزّ، وهو على شرابه، فبطل الشراب وتجهّز في ليلته هاربًا إلى زبيد. ثم قصد سنقر موضعًا يقال له المهجم(2)، فنهبه(3) وأحرقه وأخذ خزانة فيه؛ ثم توجه إلى المحاليب(4) فأحرقها وأخذ خزانتها، ثم صعد إلى الشريف عبد الله بن الله في بلاده منتصرًا به، فأقام عنده خمسة أيام، فتجهز الملك المعزّ خلفه، فنفذ إليه هذا سيف الدين سنقر المذكور وقال له: «بالله عليك يا أمير المؤمنين، لا تخرج [إلى](5)، فإن العسكر مُنَافق عليك» فوصله الكتاب وهو راكب، فقال: يهدّدني هذا الفاعل الصانع! وساق من وقته بجيشه/ إلى أن خرج إلى موضع يقال له [116ب]
الجنابذ(6)، وهي أرض يقال لها عَجّى، فتحالف العسكر [117أ] عليه، وتشاوروا على قتله، وهم كبار الأكراد مثل شمس الدين الدُّقّيق، وجمال الدين ابن أخيه، وابن أخته، وابن بركات، وهندو(7)، ورُوبَك أخوه، وسيف الدين نجد أمير آخور(8)، وباخل، ومن الأتراك شمس الدين القرابُلي. فحمل عليه هندو ورُوبك أخوه. فلما قربا إليه بالحملة قال لهما: «لا تفعلا وأغنكما» فجفلت به البغلة في مثل ذلك الوقت من الرّماح فرمته، فبقي متخبطًا في ثيابه وأكمامه، وذلك أن ثياب

---

(1) عند ابن الفرات (ج 4 ورقة 199 أ): «دع رهنك، كما جرت عادة الحرفاء مع الندماء».

(2) عبارة ابن الفرات في المكان نفسه: «قصد سنقر بمن معه المهجم».

(3) الأصل: «نهبه» بدون فاء.

(4) المحاليب: بلدة وناحية دون زبيد من أرض اليمن. انظر ياقوت ج 4 ص 422.

(5) ما بين المعقوفين زيادة عن ابن الفرات بنفس الصفحة.

(6) الجنابذ: هكذا ضبطها ابن نظيف، وقد نقلها ابن الفرات الجناد. انظر ابن المجاور، تاريخ المستبصر ج 1 ص 275.

(7) اسمه عند ابن حاتم (ورقة 17 أ) هندوه.

(8) أمير آخور: في الأصل: آخر. وهو الذي يشرف على اسطبل السلطان، ويقوم بأمر ما فيه من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك. ومعنى آخور المعلف. انظر القلقشندي ج 5 ص 460 وما بعدها.

الخليفة كانت عليه، طول أكمامها كل كم خمسة وعشرون شبرًا، وسع الكم ستة أشبار[1]، فسبقه شمس الدين الدقيق والقرابُلي، وابن بركات، وهو يُخبّط في ثيابه فقتلوه/ وأخذه ابن [117أ] بركات فقطع رأسه، وحمله على رمح، وأعطاه[2] للداعي الذي كان بين يديه[3]. فأقاموا في المدينة ثلاثة أيام يدورون[4] برأسه في البلد[5]. ثم نهبت زبيد سبعة أيام نهبًا شنيعًا، ثم اختلفت الأكراد لعدم مقدّم عليهم. هذا وسيف الدين سُنْقُر لم يعلم بذلك، فاتصلت به الأخبار وعند اختلاف الأكراد، نفَّذوا إلى سُنْقُر لم يعلم بذلك، فاتصلت به الأخبار. وعند اختلاف الأكراد، نفَّذوا إلى سنقر إلى صعدة باخل الكردي الحُميدي، فطلبوه لتمليكه، فحضر إلى زبيد، ودخلوا به إلى دار إلى الرَّباع بباب شحّاد، ونزل في دار يوسف العروي، ثم تقدم شمس الدين القرابلي من الأتراك وابن الدقيق من الأكراد وسلطنوا سنقر، وحملوا الغاشية بين يديه، وأدخله راكبًا إلى دار ابن سيف الإسلام. فأقام بزبيد ثلاثة أيام/ . وأمّر جماعة منهم. ثم عاد [117ب] إلى تعزّ، وأقام بها أربع سنين. فكتب كتابًا إلى زبيد يطلب من الأكراد المقيمين بها مائة ألف دينار، وكان عند سلطنته قد قنع منهم بالاسم لا غير؛ وترك لهم البلد وقال: «أقنع بتعزّ لا غير» فخادعهم إلى أن قوي وجَيَّش وتَمسَّك بجماعة عاهدهم، ونفّذ يطلب المال، فأحضروا خمسة أحمال صناديق وعملوا فيها اللوالك[6] المقطَّعة والخفاف والجلود المقطَّعة وأسنّة مكسرة ومسامير وحديد مكسر، وختموها وسيروها إليه.فلما رآها شقّ عليه ذلك، ونفّذ في الوقت والحال يعلمهم وصوله إليهم قُبَالة هديتهم، فخرج في ليلته قاصدًا زبيد. فلما سمع[7]

---

(1) عبارة ابن الفرات (ج 4 ورقة 199 ب) وردت كما يلي: «طول أكمامه ما يناهز كل كم خمسة وعشرين شبرًا. والكم منه ستة أشبار».

(2) وأعطاه الداعي الذي كان بين يديه كما جرت عادة الخلفاء وقال: «در برأسه». هكذا وردت هذه العبارة في المرجع السابق. وقد ضاعت منه بضع صفحات لا ندري مقدارها.

(3) في الأصل: «أيديه».

(4) الأصل: «يدوروا».

(5) ما ذكره ابن حاتم في السمط الغالي (ورقة 17 أ) عن مقتل الملك المعز يشبه إلى حد ما ورد هنا.

(6) اللوالك: لم نعثر على هذه الكلمة في المعاجم اللغوية، وسوف يذكرها المؤلف مرة أخرى عند حديثه عن فتح الخوارزمي لمدينة خلاط سنة 626هـ/ 1228م. ويفهم منه أنها نوع من الجلود. وقد ذكر في لسان العرب أن اللكاك هي الجلود المصبوغة لا غير، ولعلها كلمة عامية قصد بها هذا المعنى الوارد في اللسان.

(7) في الأصل: «سمعوا».

[118أ] الأكراد خروجه، خرجوا إلى ضيعة يقال لها/ المعزيّة كان بناها الملك المعز بن سيف الإسلام، وسماها القاهرة المعزيَّة، وهي ضيعة كبيرة جيدة كثيرة الخيرات. فوصل سيف الدين سنقر إليها، فلما قرب منها انهزم الأكاريد[1] ونزلوا في ضيعة يقال لها الزّريبة، فأقاموا بها خمسة أيام، ورحلوا منها إلى زبيد، ورحل سنقر طالبهم إلى زبيد، فنزل وخيم عليها، وقفلوا أبوابها. وكان قد ذكر لأصحابه أنه «إذا أخذها بالسيف انهبوها» فخرج الأكراد وقاتلوه يومين. فما منهم يوم إلا ويخسرون فيه. فلما كان اليوم الثالث ركب سنقر بجماعته. وزحف إلى باب يقال له باب القرُتب[2] فوقعت إحدى البواشير[3]، فقفز سيف الدين سنقر هو وبدر الدين بن تُميرك، فقال سنقر عند ذلك: «الحمد لله رب العالمين»/ وهو واقف في وسط الثلمة، وقال للعسكر: «يا أصحابنا كنا قد أمرنا أنكم إذا أخذتم هذه المدينة بالسيف انهبوها، [118ب] وقد عمل الله لنا ما لا كان في حسابنا من هدم هذه الثلمة. فأَنا أشتري منكم نهبها بمائة ألف دينار» فأَبوا إلا نهبها، فزادهم خمسين ألف دينار[4] وحلّفهم بالطلاق أنه إن سمع[5] أنهم تعرضوا لنهب أو غيره من أذية البلد آذاهم. ثم دخل مدينة زبيد وأقام بها، فخرجت الأكراد من باب ولا فقهَ، ثم قصدوا ضيعة يقال لها الحصبى[6]، فنزلوا عند رجل يقال له علي الكناني، وهو من غُفَراء البحر، فأضافهم وأحسن ضيافتهم، فطلبوا منه نبيذًا يشربونه، فأحضر لهم نبيذ النخل، وهو يقال له الفَضْح، فشربوا منه وسكروا ورقدوا/ فقام مُضيّفهم علي الكناني وأخذ [119أ] خيولهم وربط غلمانهم، وأخذ ما كان معهم من المال، وكتّف الأكراد إلى أن أَصبح الصباح واجتمع قومه بنو كنانة[7] وساروا بهم على الإبل في المحائر إلى أن وصلوا بهم إلى زبيد، فشنق سنقر علي الكناني وأخاه محمدًا[8]، وقال لهم: «قبحكم الله، غدرتم بضيوفكم». ثم

(1) في الأصل: «انهزموا».

(2) في الأصل: «العرتب». وقد صحح بعد مراجعة ابن حاتم، وهو باب من أبواب زبيد. انظر ابن حاتم ورقة 17 أ.

(3) جمع باشورة وهي الجانب الظاهر من الحائط. انظر محيط المحيط.

(4) في الأصل: «دينارًا».

(5) في الأصل: «أنهم إن سمعوا».

(6) الحصبى: قرية من قرة اليمن: ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 18.

(7) بنو كنانة: بطن من مضر من القحطانية وهم في بلاد اليمن. انظر القلقشندي، نهاية الأرب ص 409.

(8) في الأصل: «لعلي الكناني ولأخيه محمد».

أخذ جماعة الأكراد ورماهم الحبس، واستدعى بهم في اليوم الثالث إلى القصر، فنصب لسيف الدين سنقر شُبَرمَة، وهي قاعدة من خيزران مثل السرير. واستحضر ولد سيف الإسلام يقال له الملك الناصر، كان صغير السن، واستدعى الدقيق فضرب رقبته، ثم من بعده علم الدين ابن أَخيه، ثم من بعده هندو[1]، ثم بعده روبك، ثم بعده عيسى بن أجول الزرزاري وسبعة من [119ب] إخوته، ثم بعده النظام بن عيسى/ الجزري وجماعة، فكانت القتلى في ذلك النهار سبعماية [نفس][2] بالضبط. وعفا[3] عن القرابلي وأولاده وعن باخل وعن ابن بركات، ثم قعد في مملكته وفعل من العدل وحسن السيرة مالا رآه[4] أهل اليمن ولا رعية، وسلطن الملك الناصر، وصار هو أتابكه، وخطب للملك الناصر في بلاد اليمن، ثم بقي في السلطنة [والأتابكية][2] أربع سنين إلى أن توفي بتعز فجأة، وذلك أنه كان ليلة موته قد أكل لحم فرس ولحم بقر، وشرب عليه شرابا مطبوخا[5]، فغُسّل ودفن في جامع تعز، وخلف ولدًا أخرس وولدًا آخر[6] من أم الملك الناصر، لأنها كانت زوجته، ثم تزوج إبراهيم غازي بن جبرائيل أم الملك الناصر بعد وفاة سيف الدين سنقر، وصار أتابكًا أيضًا للملك الناصر. وبقي الملك الناصر مدة، ثم توفي[7] في الجنَد[8] وحمل إلى تعز فدفن/ فيها. وكان سبب موته أَن غازي بن [120أ] جبرائيل[9] سمَّه بكوز فقّاع، فبقي غازي صاحب البلاد مدة يسيرة وقتل في حِب[10]، فقتله

(1) في الأصل: «لهندو».

(2) ما بين الخصرتين زيادة عن ابن الفرات ج 4 ورقة 200 ب

(3) في الأصل: «وعفى».

(4) الأصل: «مالا رأوه».

(5) في المرجع السابق «... شرابًا مطبوخًا بعسل»، ولعله أنسب في هذا المقام. - ذكر ابن حاتم في السمط (ورقة 32 ب) أن سيف الدين سُنقر توفي سنة 609هـ/ 1212م، أما المقريزي (ج 1 قسم 1 ص 180) وأبو الفداء (ج 3 ص 108) فيذكر أن وفاته سنة 611هـ/ 1215م.

(6) في الأصل: «أخرسًا» «وولدًا آخرًا».

(7) كانت وفاة الملك الناصر في المحرم سنة 611هـ/ مايو 1214م، انظر ابن حاتم ورقة 33 ب، ويحيى بن الحسين ورقة 85 ب.

(8) الجند: إحدى المدن النجدية باليمن. انظر يافوت ج 2 ص 128.

(9) يقول ابن حاتم (ورقة 33 ب) إن قبائل العرب قتلت إبراهيم غازي بن جبرائيل تقربًا إلى أم الملك الناصر، وذلك سنة 611هـ/ 1214م.

(10) سبق التعريف بها في ص27.

حِمْيَر وخولان وبنو عبد الوهاب، ورموا برأسه من قلعة حب، وسبب ذلك اتهامهم[1] له بقتل الملك الناصر فبقيت البلاد بلا صاحب إلا الخواتين لا غير. فجاء الشريف عبد الله بن عبد الله بخلق كثير وملك زبيد مدة يسيرة، ثم سمع بركب الحجاز ووصوله فقال في نفسه: «لا يخلو هذا الركب من أحد من بني أيوب» فخاف على نفسه وعاد إلى بلاده. ووصل ركب الحجاز إلى زبيد، فنزل المهتار كدكل[2] العزيزي من عند أم الملك الناصر [بطريق الاتفاق][3] يتفقد الركب الحجازي، فلقي سليمان شاه[4] بن سعد الدين بن الملك المظفر تقي الدين بن شاهان شاه بن أيوب، [فتحدث معه وسأله عن أحواله وفي وقته][3] كتب كتابًا إلى أم الملك [120ب] الناصر يخبرها/ بخبره وقال [لها][3]: «هذا من بني أيوب وهو حسن الشباب فأحضرته وخلعت عليه وتزوجت به وسلطن وملك البلاد، وملأها فسقًا وجورًا وفجورًا، وأخذ نساء الناس وما شكر ما أنعم الله عليه به، فإنه كان فقيرًا لا يملك درهمًا، بحيث حجّ ماشيًا مع الفقراء يكدون ويطعمونه فلما بغى سلبه الله ما كان خوّله، بعد أَن وصلت مكتوباته إلى السلطان الملك العادل وإلى عمه الملك المنصور صاحب حماة جهز الملك الكامل ولده الملك المسعود إليه، وأخذ البلاد منه عنوة. وقد ذكرنا ذلك مفصلًا في تاريخنا الكبير المرسوم (بالبيان في حوادث الزمان)، وإنما ذكرنا هذه اللمعة لسياقة الحديث والله أعلم.

***

(1) عبارة ابن واصل (ج 3 ص 138) مشابهة لهذه، فهو يقول: «سبب قتلهم له اتهامهم إياه بقتل الملك الناصر». فالظاهر أنه ينقل عن ابن نظيف.

(2) المهتار: لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت مثل مهتار الشراب خاناه وغير ذلك. انظر صبح الأعشى ج 5 ص 470.

ويبدو الاسم في الأصل بصورة: «كلكل الفهري».

(3) زيادة عن ابن الفرات ج 4 ورقة 200 ب و 201 أ.

(4) في الأصل «سلمان» تصحيف.

توفي سليمان شاه سعد الدين بن أيوب عند خروجه إلى المنصورة غازيًا سنة 647هـ/ 1249، وكان قد أخرج من اليمن، وسيَّر تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة وفاته. انظر المقريزي ج 1 قسم 1 ص 181، أبا الفداء ج 3 ص 121.

فهرس الأعلام

ب

ت

ح

خ

ز

س

ش

ص

ض

ط

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

فهرس البلدان والقبائل

ب

ت

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

و

ي

فهرس المصطلحات

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

فهرس الشِّعر

صدر البيت	القافية	بحره	القائل	الصفحة
شهدت بفضلك	والنظراء	الكامل	أحمد بن علي المعافري	164
عاد الهوى في فؤادي	نبأ	البسيط	أبو بكر بن أحمد العندي	170
حقًّا أحاتم ما تنفك	اللجب	البسيط	عبد الله بن علي	151
ذكر العذيب	عذابه	الكامل	أبو بكر بن أحمد العيدي	169
ليس للرازقي	الذنوب	الخفيف	حاتم بن أحمد	150
خذي الدف	اطربي	المتقارب	علي بن الفضل	88
ولو لم تخني	مطلب	الطويل	الشريف إدريس بن علي ابن عبد الله	450
ألا هكذا	المناقب	الطويل	العماد الشيزري	291
فيا غاديا نحو العراق	نصاب	الطويل	البن النساخ	239
هو الدهر كرت	نوائبه	الطويل	إسماعيل بن أبي بكر المقري	696
لا تقطعن ذنب الأفعى	الذنبا	البسيط	...	191
أشد من الرياح	هبوبا	الوافر	...	455
إذا جادت الدنيا	تتفلت	الطويل	...	573
هب النسيم	النغمات	الكامل	الخزرجي المؤلف	653
فكأنما نتجت	صهواتها	الكامل	المتنبي	217
وعاين الناس هامات	أمواج	البسيط	أخو كندة	388
وألذ من قرع المثاني	وأسرج	الكامل	علي بن محمد الصليحي	123

صدر البيت	القافية	بحره	القائل	الصفحة
ملأنا البر	سفينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	385
أخطأت يا جياش	الحسن	رجز	...	196
ما سما الدنيا	سماوه	الخفيف	التاج بن العطار	317
القوس موترة	ودانيها	البسيط	سابق الدين يوسف بن العنسي	420

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**